سورة صٓ

[٧٧٦] أخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي [ﷺ] فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: **«أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية كلمة واحدة»** قال ما هي؟ قال: **«لا إله إلا الله»** فقالوا: إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب فنزل فيهم: ﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ إلى قوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾(١).

* * *

---

[٧٧٦] (١) سورة صٓ: الآية (١ ـ ٨).

(٣٨) سُورَةُ صٓ مَكِّيَّة
وآياتها ثمان وثمانون

سورة « صٓ » من السور المكية التي نزلت قبل هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهدفُها نفسُ هدف السور المكية من ترسخ العقيدة ، والدعوة إلى وحدانية الله ، والإيمانِ بالبعثِ والجزاء ، والتصديقِ بالوحي والرسالة . والمحورُ الذي تدور عليه السورة الكريمة هو إثباتُ صدقِ القرآن ، وصحةِ رسالة محمد عليه الصلاة والسلام التي كابر فيها المشركون من كفار مكة .

تبتدىء السورة الكريمة بالقسم بحرفٍ من حروف الهجاء المؤلف منه هذا الكتاب المعجز ، المنزّل على النبي الأمي ، الذي تحدَّى الله به الخلائق أجمعين ﴿صٓ . والقرآن ذي الذكر﴾ أي والقرآنِ المجيد المشتمل على المواعظ البليغة ، والأخبارِ العجيبة كما يشتمل على التشريع والقَصَص والتهذيب ، والجوابُ محذوفٌ لدلالة السياق عليه تقديره : إن هذا القرآن لحقٌ ، وإن محمداً لصادق . ولقد بالغ المشركون في المكابرة والعناد ، واستبعدوا أن يتنزل الوحيُ على رجلٍ فقير ، هو يتيم أبي طالب فأنكروا الوحي وكذبوا الرسول ﴿وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً ؟ إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب . وانطلق الملأ منهم أنْ امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيءٌ يراد﴾ ولفظُ « عُجاب » يدل على المبالغة في العَجَب ، ويوحي بشدة العَجَب وكثرتِه وضخامته .. روي أن قريشاً

اجتمعوا وجاءوا إلى «أبي طالب» فقالوا له: إنَّ ابن أخيك يعيب ديننا، ويسبُّ آلهتنا، ويُسَفِّه أحلامنا، فلو بعثتَ إليه فنهيتَه وكففتَه عنّا، فبعث إليه فلما جاءه رسول الله ﷺ قال: يا ابنَ أخي، ما بالُ قومك يشكونك! يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتسفِّهُ أحلامهم! فقال يا عم: أريد كلمةً واحدة يقولونها: تدين لهم بها العرب، وتؤدي لهم بها العَجَم الجزية، فقال أبو جهل: كلمةً واحدة؟ نَعَم وأبيك نعطيكَها وعشرَ كلماتٍ معها!! قلْ ما هذه الكلمة؟ فقال ﷺ قولوا: «لا إله إلا الله» فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون ﴿أجعلَ الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيءٌ عُجاب﴾ وتنتقل السورة لتضرب الأمثال لأولئك المتكبرين المتجبرين من كفار قريش، بمن سبقهم من الأمم العاتية التي كذبت رسل الله على مدار القرون، وما حلَّ بهم من هلاكٍ ودمار ﴿كذبت قبلَهم قومُ نوح، وعادٌ وفرعونُ ذو الأوتاد. وثمودُ وقومُ لوطٍ وأصحاب الأيكة، أولئك الأحزاب. إنْ كلٌّ إلاّ كذَّب الرسُلَ فحقَّ عقاب. وما ينظر هؤلاء إلا صيحةً واحدة ما لها من فواق﴾ وتذكرُ السورة قَصَص بعض الأنبياء تسليةً لرسول الله عليه الصلاة والسَّلام، وتخفيفاً لآلامه وأحزانه، فتتحدث عن نبي الله «داود» وولده سليمان الذي جمع الله له بين «النبوة» و «المُلْك» وسخَّر له الإنس والجن، والريح والشياطين، وتذكر ما نال كلاً منهما من الفتنة والابتلاء، وتأمر الرسول بالصبر على ما ناله من أذى قريش ﴿إصبْر على ما يقولون، واذكر عبدنا داود ذا الأَيْد – أي ذا القوة في العبادةِ والطاعةِ والدين – إنه أواب. إنا سخرنا الجبال معه يسبحنَ بالعشي والإبكار. والطيرَ محشورةً كلٌّ له أوّاب. وشددنا ملكَهُ وآتيناه الحكمةَ وفصلَ الخِطاب﴾ ومع هذا كله فقد تعرَّض داود للفتنة والابتلاء، وكانت عينُ الله ترعاه وتقود خُطاه، ويدُ الله تكشف

له ضعفَه وخطأه ، وتجنّبه خطر الطريق ليتوقاه ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوَّروا المحراب إذ دخلوا على داودَ ففزع منهم ، قالوا لا تخف خَصْمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تُشْطِطْ واهدنا إلى سواء الصراط ﴾ وبيانُ هذه الفتنة أن « داود » عليه السلام خصّص بعضَ وقته للتصرف في شئون المُلْك ، وللقضاء بين الناس ، وخصَّص البعض الآخر للخلوة والعبادة وترتيل أناشيده تسبيحاً لله في المحراب ، وكان إذا دخلَ المحراب للعبادة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس ، وفي ذات يومٍ فوجيء بشخصين يتسوران المحراب ففزع منهم ، فما يتسور المحراب هكذا مؤمن ولا أمين ! فبادرا يطمئنانه ﴿ قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ﴾ أي وجئنا للتقاضي أمامك ﴿ فاحكم بيننا بالحقّ ولا تُشْطِط ﴾ أي لا تَجُرْ ولا تظلم في الحكم ﴿ واهدنا إلى سواء الصراط ﴾ أي وأرشدنا إلى طريق الحق والعدل ، ثم بدأ أحدهما فعرض خصومته ﴿ إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجة ، وليَ نعجةٌ واحدة فقال أكْفلنيها وعزَّني في الخطاب ﴾ أي اجعلها لي وفي ملكي وكفالتي ، وغلبني في الكلام والخصومة . والقضيةُ تحمل ظلماً صارخاً - كما عرضها أحد الخصمين - فاندفع داود يقضي على إثْرِ سماعه لتلك المَظْلَمة ، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثاً ، ولم يسمع له حجة ، ولكنه مضى يحكم ﴿ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتِكَ إلى نعاجِهِ ، وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ﴾ وعند هذه المرحلة اختفى عنه الرجلان فقد كانا مَلَكَيْن جاء للامتحان ، امتحانِ النبي المَلِك ، الذي ولاّه الله أمر الناس ليقضي بينهم بالحقِّ والعدل ، وليتبينَّ الحقَّ قبل إصدار الحكِم ، وقد اختارا أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخةٍ مثيرة ، ولكنَّ القاضي عليه ألا يُستَثَار وألاَّ يتعجَّل قبل أن يسمع حجة الآخر ، عند هذا تنبَّه داود إلى أنه الابتلاء ﴿ وظَنَّ

داود أنَّما فتنَّاه فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب﴾ هذه خلاصة القصة كما عرضها القرآن ، أمَّا ما ذكره بعضُ المغرمين بالقِصَص الاسرائيلية فكذبٌ وبهتان ، حتى قال عليٌّ كرم الله وجهه « من حدَّث بحديث داود على ما يرويه القُصَّاص جلدتُه مائةً وستين جلدة ، وذلك حدُّ الفِريةِ على من قذف نبياً من أنبياء الله » ثم تشير السورة الكريمة إلى هذا الكون المنظور ، وما فيه من بدائع الصنعة ، ودلائل القدرة والوحدانية ، وأنه لا بدَّ من حياةٍ بعد هذه الحياة ينال فيها الظالم جزاءه ، والمحسن ثوابه ﴿وما خلقنا السماء والأرضَ وما بينهما باطلاً ، ذلك ظنُّ الذين كفروا ، فويلٌ للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ كالمفسدين في الأرض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟﴾ وتختم السورةَ الكريمة - بعد عرض قصة سليمان وأيوب ، وإسحق ويعقوب ، وإسماعيل وذي الكفل - ببيان وظيفة الرسول ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[١]

قوله[3] عز وجل: **ص والقرآن ذي الذكر**، قال بعضهم: **ص**،[4] هو اسم تلك السورة التي ذكر [فيها ص]، وكذلك قوله: قٓ وَالْقُرْآنِ [الْمَجِيدِ]،[5] وكذلك جميع الحروف[6] المقطعات. ولله أن يسمي ما شاء بما شاء وبأي اسم شاء. وقال بعضهم: إنما[7] هو من[8] أسماء الرب تبارك وتعالى. وقال بعضهم:[9] هو من[10] فواتح السور،[11] وقد ذكرنا أنـ[ـه] يفسره ما ذكر على إثره. وقد ذكرنا في غير موضع ما قيل في الحروف[12] المقطعة.[13] وقال بعضهم: [**ص**، أي] صادِ، أي عَارِض [الكفرة] بالقرآن. قال أبو عبيدة: صادِ من المصاداة.[14] وقال الزجاج: صادِ بالقرآن، أي قاتل[15] وحارب[16] بالقرآن. وقال بعضهم: صادِ بالقرآن،

[1] ر - سورة ص؛ ن م + مكية؛ ث + وهي ثمان وثمانون آيات مكية.
[2] ن + وبه نستعين.
[3] ر: وقوله.
[4] جميع النسخ + لنا.
[5] سورة ق، ١/٥٠.
[6] جميع النسخ: حروف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[7] جميع النسخ: لنا.
[8] جميع النسخ - من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[9] جميع النسخ + لنا.
[10] جميع النسخ - من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[11] جميع النسخ: السورة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.
[12] جميع النسخ: حروف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[13] انظر مثلا: تفسير الآية ١-٢ من سورة البقرة، وكذا من سورة آل عمران.
[14] نسبه الطبري إلى الحسن (*تفسير الطبري*، ٥/٢٠).
[15] ر: قائل؛ ث ن: مايل؛ جميع النسخ + به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[16] ث ن: وحازب.

أي نادِ بالقرآن. وقيل: أقبِل بالقرآن، ونحوه. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: هو قسم أقسم بقوله: **والقرآن**.

وقوله عز وجل: **ذي الذكر**، يحتمل ذي الشرف، سماه ذكرا لأن كل شريف يُذكر في كل ملأ من الخلق، أو سماه ذكرا لِما يُذَكِّرهم كلَّ ما لهم وما عليهم وما يُؤْتَى[1] وما يُذَر. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: [**ذي الذكر**، أي][2] ذي البيان.

[٦٥٠ظ س٣ *ذكر عن الحسن في[3] قوله عز وجل: **ص والقرآن ذي الذكر**، يقول: حَادِث القرآنَ بقلبك. وهو من قول العرب: صاديتُ[4] الدابةَ إذا كانت صعبةً فلاطفتَها[5] حتى ذلّت ولانت. وقال أبو عَوْسَجَة: **ص**، هو أشد كلام، وهو شِبه قسم. قال: والصادي[6] في غير هذا الموضع

٦٥٠ظ س٦] العطشان، وقومٌ صادُون.[7]*

[٦٥٠ س١٢ *وقوله عز وجل: **ذي الذكر**، قال بعضهم: ذي الشرف، أي من أُوتيه شَرُف، وقيل: ذي الشأن، وقيل: **ذي الذكر**، فيه ذكر ما يُؤْتى وما يُتَّقَى[9] وذكرُ من كان قبله من الأمم

٦٥٠ظ س١٣] الخالية.*

[٦٥٠ظ س٦ * ثم اختلف في موضع [جواب] القسم على ما ذكرنا. قال الكسائي: من القسم في القرآن ما هو ظاهر لا يخفى، ومنه غامض. فمن ظاهره قولُه عزّ وجلّ: فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ،[11] وجوابه قوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ.[12] ومن غامضه **ص**، قال بعض الناس: موضع قسمه قوله عز وجل: إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ.[13] ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: ونوى؛ ن: وما نوى.
[2] الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥و.
[3] ر م: من.
[4] جميع النسخ: صادته. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.
[5] ث ن: إذا كانت فاطعتها؛ ر م: إذا كانت منعت فأطعمتها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.
[6] جميع النسخ: الصاد. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.
[7] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدماه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٣-٦.
[9] ر ن م: ما نوى وما يبقى.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدماه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٢-١٣.
[11] سورة التكوير، ٨١/١٥-١٦.
[12] سورة التكوير، ٨١/١٩.
[13] الآية ٦٤ من هذه السورة.

إلا أنه قد[1] طال الكلام وجاء من[2] القصص ما لا يكون ذلك قَسَمَه.[3] ولكنّ قسمَه[4] -والله أعلم- عندي قوله: كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ،[5] ومعناه: لَكَمْ أهلكنا ... إلا أنه لما اعترض بينه وبين القسم قوله: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ،[6] حُذِف لامُ القسم، ويكون مردودا عليه وجوابا له،[7] وهو غريب ظريف غامض.[8] * [٦٥٠ظ س١٢]

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **بل الذين كفروا في عزة وشقاق.** ذكر أن أبا طالب كان مريضا فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فجلس فيه وعنده مَلَأٌ من قريش. فشكوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب فقالوا: إنه يقع في آلهتنا. قال: يا ابن أخي ما تريد منهم؟ قال: يا عَمِّ، إني[10] أريد منهم كلمةً تَدِينُ لهم بها العربُ ويؤدِّي إليهم بها العجم الجزيةَ. قال: وما هي؟ قال: لا إله إلا الله. فقال أبو جهل: أَجَعل الآلهةَ إلها واحدا؟[11] فذلك أَخْذُهم[12] العزةَ التي[13] ذَكَر، حيث قال: **بل الذين كفروا في عزة وشقاق.**

---

[1] ر ن م: لا أريه شيئا؛ ت: لا أريد سيما. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.

[2] جميع النسخ: خامس. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٣٤ظ.

[3] ر: قسمة.

[4] ر م: قسمة.

[5] الآية التالية.

[6] الآية ٢ من هذه السورة.

[7] جميع النسخ: عندي ص والقرآن ذي الذكر ثم اعترض أهلكنا القسم هاهنا بكم أهلكنا ولكن لما اعترض بل الذين كفروا صار قوله ردا عليه وجوابا له. والتصحيح من *الشرح*، نسخة والي الدين، ورقة ٣٥ظ.

[8] وعبارة السمرقندي هكذا: «ثم اختلف في موضع جواب القسم هاهنا. قال بعضهم: جواب القسم قوله: ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾، فإن حرف "بل" لنفي ما قبله وإثبات ما بعده، معناه -والله أعلم- ليس الذين كفروا إلا في عزة وشقاق. قال بعضهم: موضع القسم في قوله: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص﴾. قال بعضهم: موضع القسم في قوله: ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾، مع بعد ما بين هذا الكلام وبين القسم في أول السورة. والله أعلم». (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٣و- ٦٤٣ظ).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٦-١٢. (ورد هنا قسم من تفسير الآية متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى محله، انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٢-١٣).

[10] ت - إني.

[11] انظر: *تاريخ الرسل والملوك* للطبري، ١/٤٠١؛ و*الكامل في التاريخ* لابن الأثير، ١/٢٦٠.

[12] جميع النسخ: بذلك أخبرهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥و.

[13] جميع النسخ: الذي.

وقوله: **في عزة**، قال بعضهم: في[1] مَنَعَة معاندين ممتنعين. وقال بعضهم: **في عزة**، في حميّة[2] واعتزاز. والحميّة هي التي تحمل[3] على الخلاف والعصبية.[4] *والله أعلم*.

[٦٥٠ظ س١٣] *وقوله: **في عزة وشقاق**، قيل: في تكبر وتكذيب، وقيل: في حمية وخلاف، وقيل:
[٦٥٠ظ س١٤] في غفلة، ونحوه.*

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٣]

قيل في قوله: **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** بوجهين. أحدهما أن هذا في كل كافر ومشرك ينادي عند موته وهلاكه، ويسأل ربّه الرجوع والعود إلى الدنيا ليؤمن، كقوله: [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ] رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا،[6] وكقوله: [٦٤٩و] فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ،[7] الآية، / ونحوه. لكن لا ينفع[8] ذلك النداء والغوث والسؤالُ[9] التأخيرَ، على ما أخبر أنه: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[10]

والثاني[11] هذا في الجملة في الأمم التي أُهلِكت من قبلُ واستؤصلت بالتكذيب والعناد، كانوا[12] ينادون عند نزول ذلك بهم ووقوعه عليهم، ويسألون الغوث ويُظهرون الإيمان، كقوله عز وجل: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ.[13] لكن لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت على ما أخبر الله[14] عز وجل، لأنه إيمانُ دفعِ العذابِ والاضطرارِ[15] لا إيمان اختيار.

---

[1] ر م – في.
[2] ر: حمئة.
[3] جميع النسخ: يحمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣و.
[4] جميع النسخ: المعصية. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥و.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٣-١٤.
[6] سورة المؤمنون، ٢٣/٩٩-١٠٠.
[7] ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدَكم الموتُ فيقولَ ربِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأَصَّدَّق وأَكُنْ من الصالحين﴾ (سورة المنافقون، ٦٣/١٠).
[8] ر م: لما ينفع.
[9] ث ن: وسؤال.
[10] سورة الأعراف، ٧/٣٤.
[11] جميع النسخ: ومنهم من يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[12] ث: وكانوا.
[13] سورة المؤمن، ٤٠/٨٤.
[14] ن – الله.
[15] جميع النسخ: واضطرار.

يخوِّف [الله] بهذا[1] أهلَ مكة أن ينزل[2] بهم على ما نزل بأولئك ويندمون على صنيعهم كما ندم أولئك. **والله أعلم**.

ثم قوله عز وجل: **ولات حين مناص**، هو في الأصل ولا[3] فإذا وُصل بحين صارت[4] ولات كأنه يمين: أي والله، وهو قول الكسائي. وقال بعضهم: هو ولا وليس هنالك تاء وإنما التاء في حين أي تَحِينَ.[5] وربما تزاد[6] التاء في حين والآن[7] ونحوه. وقال بعضهم: ولات بالتاء.[8] وقد قرئ بالتاء والوقف عليها.[9] وقوله:[10] **حين مناص**، وابن عباس رضي الله عنه يقول: ليس بحين نَزْوٍ[11] ولا فِرار،[12] وقال بعضهم: ليس بحين مَغاثٍ، وقيل: ليس بحين جَزَعٍ. **والله أعلم**.

*وقوله: **فنادَوْا ولات حين مناص**، قال بعضهم: أي هَرَبِهِم[13] في غير وقت الحرب. ومناص: مهرب [من قولهم:] ناص[14] ينوص نَوْصا وهو المنجي[15] والغوث. وقال القُتَبي: **ولات حين مناص**، [٦٥٠ظ س١٤]

---

[1] ر ن م: بخوف فهذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[2] جميع النسخ: أن نزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[3] جميع النسخ: ولاه.
[4] ر ن م + وهو؛ ث + تاء وهو.
[5] ث: تحير.
[6] ر ث م: يزاد.
[7] ث ن م: والات.
[8] ر ث: بالياء.
[9] ر ث ن: عليهما. «واختلفوا في وجه الوقف على قوله: ﴿ولات حين﴾. فقال بعض أهل العربية: الوقف عليه «ولات» بالتاء، ثم يبتدأ "حين مناص". قالوا: وإنما هي "لا" التي بمعنى "ما" وفي الجحد وُصلت بالتاء، كما وصلت ثَمّ بها فقيل: ثَمَّتَ، وكما وصلت رُبَّ فقيل: رُبَّتَ. وقال آخرون منهم: بل هي هاء زيدت في "لا" فالوقف عليها "لاهْ" لأنها هاء زيدت للوقف... فإذا وصلت صارت تاء. وقال بعضهم: الوقف على "لا"، والابتداء بعدها "تحين"، وزعم أن حكم التاء أن تكون في ابتداء حين، وأوان، والآن... وأنه ليس هاهنا لا فيوصل بها هاء أو تاء؛ ويقول: إن قوله: ﴿لات حين﴾ إنما هي: ليس حين، ولم توجد "لات" في شيء من الكلام» (*تفسير الطبري*، ٢٠/١٥-١٦).
[10] ر ث ن: قوله.
[11] ر ن م: بروز؛ ث: رود. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ.
[12] ر ث ن: ولا قرار. *تفسير الطبري*، ٢٠/١٣.
[13] ر ث م: هربتهم؛ ن: هربتم.
[14] جميع النسخ: وناص.
[15] جميع النسخ: المنجاء.

أي لا حين مهرب[1] كما[2] قال أبو عَوْسَجَة. [وقال أبو عبيدة: هو من النجاة والغوث، أي ليس وقت نجاة وغوث].[3] وقال [القتبي:] النَّوص: التأخر في الكلام، والبَوْص[4] التقدم.[5] وأصله ما ذكرنا أن ذلك الوقت ليس هووقتَ المهرب ولا وقتَ المنجى ولا وقتَ الغوث على ما تقدم غيره.* [٦٥٠ظ س١٨]

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وعجبوا أن جاءهم منذر منهم**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما: **عجبوا أن جاءهم منذر منهم** أي من بشر مثلهم، كقوله عز وجل: هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[7] وقوله عز وجل: يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ،[8] وقوله:[9] أَبَعَثَ اللّٰهُ بَشَرًا رَسُولًا،[10] كانوا ينكرون الرسالة في البشر ويقولون: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ.[11] والثاني **وعجبوا أن جاءهم منذر منهم**، أي مِن دُونِهم في أمر الدنيا لِما رأوا أنفسهم قد فُضِّلوا[12] في أمر الدنيا دونه فقالوا: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[13] وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[14] لم يروا مَنْ دُونَهم في أمر الدنيا [أهلا لنزول الوحي][15] على ما ذكر. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م: هرب.
[2] جميع النسخ: على ما. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ.
[3] الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ.
[4] جميع النسخ: النوص. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ. والنَّوص في كلام العرب التأخر، والبَوْص: التقدم (*لسان العرب*، «نوص»).
[5] ر م: المتقدم. تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٦.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٤-١٨.
[7] سورة الأنبياء، ٣/٢١.
[8] سورة المؤمنون، ٣٣/٢٣.
[9] جميع النسخ: وقولهم.
[10] سورة الإسراء، ٩٤/١٧.
[11] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.
[12] ر م: ضلوا.
[13] الآية ٨ من هذه السورة.
[14] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[15] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.

وقوله عز وجل: **وقال الكافرون هذا ساحر كذاب**،[1] دل هذا القول منهم أنه قد كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية[2] معجزة أتى بها حتى قالوا: ساحر كذاب، علموا [بها][3] أنه رسول الله. لكنهم عاندوا وأرادوا بقولهم: **ساحر كذاب** أن[4] يُغرُوا أتباعَهم عليه[5] كما أغرى فرعونُ قومَه على موسى عليه السلام، حيث قال: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[6] وهو عليه السلام لم يُرِد أن يُخرِجهم من أرضهم إنما يريد الإسلامَ منهم. فعلى ذلك هؤلاء الرؤساء عرفوا أنه ليس بساحر ولكنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أرادوا أن يُغرُوا قومَهم وأتباعَهم عليه ويُلَبِّسوا[7] أمرَه عليهم لئلا يتبعوه.

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٥]

وكذلك قوله عز وجل: **أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**، هذا القول من الرؤساء والمتبوعين منهم إغراءُ [الأتباع] عليه لِما عَرَفوا من حُبّ[8] عبادة الأصنام والأوثان في قلوبهم فقالوا: **أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**.[9]

*وقوله عز وجل: **إن هذا لشيء عجاب**، قال بعضهم: **عجاب**، بلغة قوم عَجَب، [٦٥٠ظ س١٨
وقال الكسائي: العُجَاب والعُجَّاب والعَجِيب[10] والعَجَب[11] كلها لغات واحدة، وقال أبو عَوْسَجَة: **عجاب** هو تكثير[12] للعجب، كما يقال: كُبَار وكُبَّار.* ٦٥٠ظ س١٩]

---

[1] ث + علموا أنه رسول الله لكنهم عاندوا وأرادوا بقولهم.
[2] جميع النسخ: انه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[4] ن: أي.
[5] م – عليه.
[6] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.
[7] جميع النسخ: لبسوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٣ظ.
[8] جميع النسخ: خبر. الزيادة والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[9] قال السمرقندي: «وقوله: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ بهذا القول أراد رؤساؤهم أيضا إغراءَ الأتباع على محمد لِما عرفوا من الأتباع شدة حبهم للأصنام وتمكن تعظيمها في قلوبهم» شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٥ظ.
[10] م – والعجيب.
[11] ع: والعجيب.
[12] ر م: يكثر.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٨-١٩.

﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[٦]

وقوله: **وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم**، اختلف في قوله: **أن امشوا**، قال[١] بعضهم: إن الملأ منهم والأتباع أَتَوْا أبا طالب يشكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر آلهتهم بسوء، فلمَا كلّموه في ذلك لم يلتئم أمرُهم فيما طمعوا[٢] منه ولم يُجِبهم إلى ما دَعَوه إليه وسألوه، فقال الملأ -وهم أشرافهم- للأتباع: امشوا من عنده واصبروا على عبادة آلهتكم. ويحتمل[٣] أنْ قال الملأ للأتباع: أن امشوا إلى آلهتكم واصبروا على عبادتها. ويحتمل أن قالوا لهم:[٤] أن امشوا إلى أبي طالب وقولوا له كذا واصبروا على كذا. ويحتمل: أن[٥] امشوا إلى [آلهتكم من عند][٦] رسول الله صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*.

|٦٥٠ظ س٢١ *[ويحتمل:][٧] أن امشوا إلى أبي طالب واثبتوا[٨] على عبادة آلهتكم إنَّ هذا [**لَشيءٌ يُراد**]. قيل: إنما قالوا ذلك[٩] حين أسلم عمر رضي الله عنه. [قوله:] **لَشَيْءٌ**، أي لَأمرٌ يُراد. فمَشَوْا[١٠] إلى أبي طالب وقالوا له ما ذكرنا فيما تقدم، والقصة طويل[ة]. وقال بعضهم: **أن امشوا** أي امضوا وارجعوا إلى عبادة آلهتكم واصبروا عليها. وقال بعضهم قوله: **أن امشوا** من عند محمد صلى الله عليه وسلم **واصبروا على** عبادة **آلهتكم**[١١] **إنَّ هذا لشيء يُراد** بأهل مكة.

٦٥٠ظ س٢٤| *والله أعلم*.*

|٦٥٠ظ س١٩ *وقوله عز وجل: **وانطلق الملأ منهم**، أي الأشراف منهم، وقالوا للأتباع على ما ذكرنا:

٦٥٠ظ س٢٠| **أن امشوا واصبروا على آلهتكم**.*

---

[١] ر ث م: وقال.
[٢] ث + منهم.
[٣] جميع النسخ: أو أن يقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[٤] جميع النسخ: أو أن يكون قولهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[٥] جميع النسخ: أو أن يقولون. والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[٦] الزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٦و.
[٧] جميع النسخ + قال بعضهم قوله.
[٨] جميع النسخ: وأنيبوا.
[٩] جميع النسخ: قال بعضهم بقبول (ر: يقول) إسلام وذلك.
[١٠] ر ن م: فامشوا.
[١١] ر – واصبروا عليها وقال بعضهم قوله أن امشوا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصبروا على عبادة آلهتكم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٢١-٢٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ١٩-٢٠.

وقوله عز وجل: **إن هذا لشيء يراد**، لسنا ندري ما أرادوا بقولهم: **إن هذا لشيء يراد**. فجائز أن يكونوا أرادوا بذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم وإن دعاكم إلى ترك عبادة الأصنام لا يترككم كذلك ولكن يدعوكم إلى عبادة غيرها. أو يطلب منكم[١] أشياء.[٢] أو أشياءَ أرادوا لسنا نعرف ذلك ما أرادوا[٣] بذلك. *والله أعلم*.[٤]

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة**،[٥] قال بعضهم: **الملة الآخرة** هي ملة عيسى عليه السلام. [وإنما] قالوا ذلك[٦] لأن النصارى اختلفوا في عيسى عليه السلام، منهم من اتخذه إلها،[٧] ومنهم من اتخذه ولدًا لله عز وجل. فيقولون: ما سمعنا[٨] عبادة الواحد الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم في الملة الآخرة[٩] وهي النصرانية؛ إذ [منهم] من صيّره إلها عنده، و[منهم] مَنْ قال: إنه ولده، صيّره بحيث يحتمل الشريك. فيقولون: ظهرت عبادة العدد في الملة الآخرة فكيف يمنعنا محمد عليه السلام عن عبادة العدد ويدعونا إلى عبادة الواحد؟ فقال بعضهم في قوله **في الملة الآخرة**: هي الحال التي كانوا عليها؛ يقولون: **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة** التي نحن عليها وكان آباؤنا عليها لا على عبادة الواحد؛[١٠] يقولون: **إن هذا إلا اختلاق** من عند محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[١] ر: عنكم.

[٢] ر م + أحوالا.

[٣] م: أراد.

[٤] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقوله: ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ لسنا ندري حقيقة ما أرادوا بقولهم: ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ فجائز أن يكونوا أرادوا بذلك أن محمدا وإن دعاكم إلى ترك عبادة الأصنام لا يترككم كذلك سدى ولكن يدعوكم إلى عبادة غيرها، فيكون له غرض وإرادة سوى ما يدعوكم من ترك عبادة الأصنام. ويحتمل أنه أراد تحت ما دعاكم من عبادة الواحد وترك عبادة الأصنام أشياءَ أُخَرَ من الأموال وغيرها. أو يكون غرضه هو التسلط والإمارةَ عليكم دون الدعاء إلى عبادة الواحد ونحو ذلك. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٦و).

[٥] قال السمرقندي: «وقوله: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ عَنوا بـ"بهذا" عبادةَ إله واحد وتركَ عبادة آلهة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٤و).

[٦] وعبارة السمرقندي هكذا: «قال عامة أهل التأويل: الملة الآخرة هي النصرانية لأنها آخر الملل. وإنما قالوا ذلك...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٤و).

[٧] ن - إلها.

[٨] ر ث م - ما سمعنا.

[٩] ر: الآخر.

[١٠] ر م: الواحدة.

[٦٥٠ظ س٢٥ *وقوله: **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة**، يعنون [بهذا] عبادةَ إله واحد وترك[1] عبادة آلهة. **في الملّة الآخرة**، قال عامة أهل التأويل: الملّة الآخرة النصرانية واليهودية كلتاهما.[2] وقال بعضهم: يعنون بالملة[3] الآخرة الملّةَ التي هم عليها وآباؤهم.[4] يقولون: ما سمعنا عبادة إله واحد وترك عبادة الآلهة[5] في الدين[6] الذي[7] نحن وآباؤنا عليه. **إنْ هذا**، أي ما هذا **إلا اختلاق** من نفسه.* ٦٥٠ظ س٢٨]

﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **أأنزل عليه الذكر من بيننا**، يدل على أنهم قد رأوا أنّ مَن أُنزل عليه [٦٤٩ظ] الذكر من السماء إنما ينزل / لفضل[9] وخصوصية.[10] لكن إنما رأوا الفضل والخصوصية لأنفسهم لما هم الفضل والخصوصية[11] في الدنيا، فلم يروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك أنكروا إنزال الذكر عليه دُونَهم، ولذلك قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[12] وقالوا: **أأنزل عليه الذكر من بيننا.**

ثم أخبر عز وجل أنهم شاكّون في ذكره، حيث قال: **بل هم في شك من ذكري**، وتأويل هذا -والله أعلم- أن الشك هو الذي لا يُوجِب القطعَ على شيء بل يُوجِب الوقفَ فيبطل[13] القطعُ على شيء فكيف قطعتم على الرد والإنكار دون أن[14] تقفوا[15] فيه. ***والله أعلم.***

[1] جميع النسخ: فترك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[2] جميع النسخ: كليهما.
[3] جميع النسخ: الملة.
[4] جميع النسخ: واثارهم.
[5] ر: آلهة.
[6] ن – الدين.
[7] ر ث م – الذي.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٢٥-٢٨.
[9] ر م: الفضل؛ ث: للفضل.
[10] جميع النسخ: وخصوصه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[11] ر م – والخصوصية.
[12] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[13] جميع النسخ: فبطل.
[14] ر – أن.
[15] ر ن م: يقفوا.

وقوله عز وجل: **بل لما يذوقوا عذابِ**، ثم يحتمل أن يكون هذا على الإخبار عن الإياس من إيمانهم أنهم[1] لا يؤمنون حتى[2] يذوقوا العذاب، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.[3] وقال مقاتل: اللام زائدة كأنه قال:
بل هم في شك من ذكري بل لم يذوقوا عذابِ.[4] *وقالوا: **أأنزل عليه الذكر من بيننا**، يعنون [٦٥٠ظ س٢٨
النبوة والكتاب أو الوحي[5] وهو أفقرنا وأصغرنا ونحن أكثر سنا وأعظم شرفا. [فرد الله تعالى عليهم]
وقال:[6] **بل هم في شك من ذكري**، بأنه لم يُنزل عليه، بل[7] لم يذوقوا عذابِ،[8] وهو قول مقاتل.* ٦٥٠ظ س٣٠]
يَذْكُر سفهَهم في ردّهم الذكرَ وتكذيبِهم إياه على الشك منهم، والشكُّ يوجب الوقف في الشيء لا القطعَ في الرد والتكذيب له.

ثم فيها[10] الدلالة على أن الحجج والبراهين قد يُلزِم مَن جَهِلَها ولم تتحقق[11] عنده إذا كانت يسهل[12] التحقق لها والوقوف عليها بالتأمل والنظر فيها، وإن كانت لم تتحقق[13] عنده بالبديهة وعند قرعها سمعه.[14] فهو حجة لقول علمائنا: إنّ مَن أسلم في دار الإسلام ولم يَعلم أن عليه الشرائع والأحكامَ[15] كان مأخوذا بها غير معذور في جهله فيها لأنه يَسهُل ما يوصَل إليها[16] بالسؤال والبحث عنها والفحص منها. *والله أعلم*.

---

[1] ث + لا يذوقون.
[2] ر م – لا يؤمنون حتى.
[3] سورة يونس، ١٠/٩٦-٩٧.
[4] جميع النسخ: بل لما يذوقوا عذابي. والتصحيح من *تفسير مقاتل*، ٣/١٥١.
[5] ر ث م: والوحي.
[6] جميع النسخ: يقول الله عز وجل.
[7] ر م – بل.
[8] جميع النسخ: لما يذوقوا. والتصحيح من *تفسير مقاتل*، ٣/١٥١.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٢٨-٣٠.
[10] جميع النسخ: فيه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.
[11] جميع النسخ: يتحقق. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٦و.
[12] جميع النسخ: تسأل. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق، ورقة ٣٦و.
[13] جميع النسخ: يتحقق. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٣٦و.
[14] ن: سمعة.
[15] ر ن م: الشرائع وأحكام؛ ث: شرائع وأحكام.
[16] جميع النسخ: لأنها تسأل ما يوصل إليه.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب.** قد ذكرنا فيما تقدم أن حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على الإيجاب والإلزام مما لو كان ذلك من مستفهم حقيقة يقتضي جوابا.[١] فقوله عز وجل: **أم عندهم خزائن رحمة ربك،** جواب لقولهم:[٢] أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[٣] فجوابه لهم: ليس عندهم رحمة ربك حتى يختاروا الرسالة والنبوة لأنفسهم أو لمن شاءوا هم،[٤] كقوله:[٥] لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.[٦] [وهذا لأنهم] كانوا لا يرون وضعَ الرسالة إلا فيمن كانت له أموال وله سَعَةٌ في الدنيا وفضلُ مالٍ؛[٧] فيذكر أعندهم[٨] خزائن ربك حتى يجعلوا الرسالة والنبوة فيمن شاءوا[٩] واختاروا؟ لذلك قال الله عز وجل: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ، أي لا يملكون قسمة رحمة ربك بل، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[١٠] الآية، يخبر أنهم لا يملكون توسيعَ[١١] المعيشة على مَن ضَيَق عليه ورَفْعَ مَن وَضَعَ. فعلى ذلك ليس إليهم اختيار النبوة والرسالة لمن شاءوا واختاروا، بل اختيار[١٢] ذلك إلى الله عز وجل يضعها حيث يشاء فيمن شاء، عنده فضل المال والسعة. أو لم يكن ثَمَّ هذا البلاء [والآفة] لهم[١٣] لِما رأوا السعة وفضل المال حقا لهم على الله عز وجل[١٤] فقالوا: إذ كنا أحقَّ بهذا في الدنيا فنحن أيضا أحق بالرسالة والنبوة على ما كنا أحق في الدنيا بالسعة والفضل فيها.

---

[١] جميع النسخ: يتضمن الجواب له. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٦ظ.

[٢] ث ن م: كقولهم.

[٣] الآية السابقة.

[٤] م: شاءوهم.

[٥] جميع النسخ: كقولهم.

[٦] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.

[٧] جميع النسخ: وفضل ومال.

[٨] جميع النسخ: أن عندهم.

[٩] جميع النسخ: فيما ساواهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤و.

[١٠] سورة الزخرف، ٣٢/٤٣.

[١١] جميع النسخ: أنهم على ما لا يملكون بوسع. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٦ظ.

[١٢] ث ن: اختار.

[١٣] ر م - لهم.

[١٤] ر م - يضعها حيث يشاء فيمن شاء عنده فضل المال والسعة أو لم يكن بهم هذا البلاء لما رأوا السعة وفضل المال حقا لهم على الله عز وجل.

بل لو عرفوا أن ما نالوا من السعة في الدنيا وفضل الأموال إنما نالوا ذلك[١] برحمة الله وفضله لا بحق كان لهم على الله، فلو عرفوا [هذا] لكانوا لا ينكرون وضع الرسالة فيمن اختار الله عز وجل وضعها.[٢]

وعلى ذلك قول المعتزلة: إنهم لا يريدون لله أن يفعل بأحد[٣] شيئا إلا ما هو أصلح له في الدين، وأنه[٤] لو فعل ما ليس بأصلح له في الدين لكان جائرا[٥] ظالما، فيرون حفظ الأصلح له حقا، كما رَأَى أولئك الكفرةُ [إعطاءَ][٦] السعة والأموال حقا على الله، فرأوا أنفسهم أحقَّ أيضا بالرسالة والنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٧] ثم إن المعتزلة يقولون في ألم الصغار أن ليس لله أن يؤلمهم إلا بعوض يجعل لهم بإزاء ذلك الألم عوضا يَرضون هم[٨] بذلك[٩] إذ جعلوا أنفسهم له حقيقة؛[١٠] حيث لم يجعلوا لله الإيلام إلا بالعوض، ومن أخذ[١١] حقا لغيرٍ لا يأخذه إلا ببدل وعوض برضاء ذلك الغير. فهذا تناقض[١٢] في قولهم: إن على الله حفظَ الأصلح للخلق في دينهم، حيث لم يجعلوا له ذلك إلا بعوض يَجعل لهم. *والله أعلم*.

[٦٥٠ظ س٣٠ *ثم قوله:[١٣] **أم عندهم خزائن رحمة ربك**، أي[١٤] نعمةِ ربك، أي [أ]بأيديهم مفاتيح الرحمة والنبوة والرسالة فيضعوها[١٥] حيث شاءوا؟ أي ليست تلك بأيديهم ولكنها بيد الله **العزيزِ** في ملكه **الوهابِ** يهب النبوةَ والرسالة لمن شاء ويضعها فيمن يشاء.* ٦٥٠ظ س٣٢]

---

[١] ر ن م: بذلك.

[٢] جميع النسخ + فيمن شاء.

[٣] ر ن م: يأخذ.

[٤] م + وأنه.

[٥] ر: جائزا؛ م: جابرا.

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[٧] «ولم يروا أنه يُفضِل البعضَ على البعض وناقضوا في ذلك، حيث رأوا لبعضهم فضلا على البعض في نعيم الدنيا والملك والسلطنة ولم ينكروا ذلك، ثم أنكروا ما رأوا من تفضيل البعض في النبوة والرسالة. وكذا المعتزلة ناقضوا في إيلام الصبيان وليس في ذلك صلاح لهم». (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٤ظ).

[٨] جميع النسخ: يرضونهم.

[٩] ن + العوض.

[١٠] لعله يريد: إذا أسلموا وجوههم لله وكانوا مؤمنين حقيقة.

[١١] ث ن + إلا.

[١٢] جميع النسخ: يناقض. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، نسخة مدينة، ورقة ٧٥٧ظ.

[١٣] جميع النسخ: ثم قال.

[١٤] جميع النسخ: يحتمل.

[١٥] جميع النسخ: فيضعونها.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٣٠-٣٢.

ودل اتفاق القول إنه وهاب على أن ما يُنال من خير أو سعة أو فضل إنما يُنال برحمة وفضل [منه] لا بحق عليه، لأن من أدّى حقا عليه لا يقال: إنه وهّاب ولا يُسمّى وهابا [في الشاهد إلا][1] من أعطى ما أعطى[2] إنما أعطاه تفضلا منه ورحمة لا حقا كان عليه.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما**، هو مثل الأول،[3] أي [أ]لهم ملك السماوات والأرض [حتى] يملكوا[4] ما شاءوا من الأمور ويختاروا وضعَ الرسالة فيمن شاءوا هم،[5] أي ليس لهم ملك السماوات والأرض فيملكوا ما يذكرون ويختارون.[6] فإن[7] قالوا: بل نملك[8] ذلك وإلينا ذلك، فعند ذلك يقال: **فليرتقوا في الأسباب.**

[٦٥٠ظ س٣٢] *ثم قال عز وجل: **أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما**، أي ليس لهم ذلك، ولكن الله[9] عز وجل يوحي[10] الرسالة إلى من يشاء ويختار لها من يشاء. ثم قال: **فليرتقوا في الأسباب**، أي الأبواب التي في السماء. وإن كانوا صادقين بأن محمدا صلى الله عليه وسلم اختلقه من تلقاء نفسه[11] فليستمعوا إلى الوحي حين يوحي الله إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم[12] [ليعلموا أن ذلك صدق أو اختلاق].[13] وقال بعضهم: السبب ما بين السماء والأرض أصلبُ من الحديد وأدق[14] من الشعر تعرج به الملائكة، وهو المعراج يُبصره الميتُ إذا خرجت روحه.

---

[1] جميع النسخ + على.
[2] جميع النسخ: على ما أعطى من أعطى. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ٦٤٤ظ.
[3] أي مثل قوله: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾.
[4] جميع النسخ: ليملكوا. الزيادتان والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
[5] م: شاءوهم.
[6] «أي إن قالوا [بأنْ] ليس لهم ملك السماوات والأرض يلزمهم أن لا يختاروا التصرف في وضع الرسالة فيمن شاءوا بل يتركوا ذلك إلى من بيده مفاتيح الرحمة والمالكِ لهم على الحقيقة ليتصرف باختياره على سر الحكمة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٤ظ).
[7] ر م – فإن.
[8] جميع النسخ: يملك. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
[9] ر ث م – الله.
[10] جميع النسخ: فيوحي.
[11] جميع النسخ + أي.
[12] جميع النسخ: يقول أولئك.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
[14] ر ث م: أدق.

وقال بعضهم: **فليرتقوا**، أي فليصعدوا[١] في طرقها فيعلموا علم ذلك: أَنُزل عليه الذكر أو لم يَنزل؟ ***والله أعلم***. والارتقاء الصعود. أو أن يقول: ارتقَوْا أنتم[٢] السببَ الذي ارتقى محمد صلى الله عليه وسلم وائتوا بمثل الذي أتى به محمد [وقولوا:][٣] إنه ليس برسول. أو أن يقول: ائتوا أنتم بالذي أتى به محمد من الدين والأسباب حتى تختصوا بالنبوة / والرسالة كما اختص محمد صلى الله عليه وسلم.* [٦٥١و س١]

ثم اختلف في الأسباب التي ذكر، قال بعضهم: السبب ما بين السماء والأرض وكذلك ما بين كل سماءين سبب، والأسباب جماعة. وقال بعضهم: الأسباب طرق[٥] السماء، وقال بعضهم: هي الأبواب التي في السماء تفتح[٦] للوحي / ومعناه -والله أعلم- أي **فليرتقوا في الأسباب** [٦٥٠و] إن كانوا صادقين بأن محمدا صلى الله عليه وسلم كذّاب وأنه ساحر وأنه اختلقه من تلقاء نفسه أي تفتح[٧] له أبواب السماء، فليستمعوا إلى الوحي حتى يوحي الله عز وجل النبيَّ صلى الله عليه وسلم لقولهم: **إن هذا إلا اختلاق**. أو أن يكون معناه -والله أعلم- أن يرتقوا ملكا[٨] فينْزل[٩] فيخبر أن محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب فيما يدعي، لقولهم:[١٠] لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا،[١١] ونحوه.[١٢] ***والله أعلم***.

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**، قال بعضهم: حرف "ما" هاهنا[١٣] صلة، كأنه قال عز وجل: جند هنالك مهزوم من الأحزاب، وقال بعضهم: جند بل هنالك مهزوم من الأحزاب.

---

[١] ر م: فليصعد.
[٢] جميع النسخ: أنهم.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٣٢- ٦٥١و/ سطر ١.
[٥] جميع النسخ: طرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.
[٦] جميع النسخ: يفتح.
[٧] جميع النسخ: يفتح.
[٨] جميع النسخ: ملك.
[٩] ن: فنزل.
[١٠] ن ت + لولا أنزل علينا الملائكة.
[١١] سورة الفرقان، ٢٥/٧.
[١٢] ر م - ونحوه.
[١٣] جميع النسخ: هنالك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧و.

وجائز أن يكون على تحقيق "ما" فيه، أي جندٌ مَا يُهزَم هنالك من الأحزاب لا كُلّ الأجناد، وهم الجند الذين خرجوا عليه للمباهلة[1] وهم الذين قالوا: اللهم انصر أيَّنا أوصلُ رَحِمًا وأنفعُ مالا وأخْيَرَ للخلق؟ فغُلبوا هم[2] وقُهروا. وقال عامة أهل التأويل هم الجند الذين قتلوا[3] ببدر.[4] *والله أعلم*.[5]

ثم في الآية وجوه ثلاثة من الدلالة. أحدها الأمن له عن أن يصلوا إلى قتله وإهلاكه على الآحاد والأفراد، كقوله عز وجل: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ.[6] و[الثاني] فيها الأمن له[7] عن أن يصلوا إلى قتله وإهلاكه على الجمع والاجتماع عليه، كقوله عز وجل: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ،[8] أخبر عز وجل أنهم يُهزَمون جميعا. و[الثالث] فيها[9] بشارة له أنهم يُهزَمون في ضعفه وقلة أعوانه وأنصاره مع كثرة أولئك وعِدَّتهم. ففي الوجوه الثلاثة التي ذكرنا دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بما ذكر فكان على ما أخبر، دلّ أنه بالله تعالى عرف ذلك صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب،** [الأحزاب هم الذين][10] حين تحزبوا عليه قال بعضهم: إنه ساحر، وقال بعضهم: إنه كذاب وإنه مفتر وإنه مجنون على ما تحزبوا[11] عليه، وتفرقت قلوبهم فيه وتلونت. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: وهو الجند الذي خرجوا عليه بالمباهلة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، نفس الورقة.

[2] ر: فغلبوهم.

[3] جميع النسخ: هو الجند الذي قتل.

[4] *تفسير الطبري*، ٢٩/٢٠.

[5] قال السمرقندي: «وقوله: ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾، قيل: هذا وعد من الله نبيه أنْ سيُهزَم جند المشركين... ثم اختلف فيه. قال عامة أهل التأويل: المراد هم الجند الذين قتلوا ببدر. وقيل هم الجند الذين خرجوا عليه للمباهلة وقالوا: اللهم انصر أيَّنا أوصل رحما وأنفع مالا وأخير للخلق؟ وقيل ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ الأحزاب هم الذين تحزبوا عليه أي تفرق قولهم فيه، قال بعضهم: إنه كذّاب وإنه مفترٍ وإنه مجنون، فوُعِد بالنصر والظفر عليهم. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧و).

[6] يقول الله تعالى خبرا عن هودٍ عليه السلام: ﴿قال إني أُشهِد اللهَ وَاشْهَدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرونِ﴾ (سورة هود، ١١/٥٤-٥٥).

[7] ر ن م: وفيه الأمر؛ ث: وفيه الأمن؛ ث - له. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، نفس الورقة.

[8] سورة القمر، ٥٤/٤٥.

[9] جميع النسخ: وفيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[11] ر م: تحزبون.

*وقوله عز وجل: **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**، قال: وعد الله عز وجل نبيه [٦٥١و س١
صلى الله عليه وسلم أنه سيَهزِم جُنْد المشركين. فقال عامة أهل التأويل: جاء تأويلها يوم بدر
وقد ذكرنا تأويلها[١] فيما تقدم. *والله أعلم*. والأحزاب هم الذين تحزبوا عليه أي تفرقوا.* ٦٥١و س٣]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾[١٢] ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾[١٣]

وقوله: **كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد** إلى قوله: **أولئك الأحزاب**، أي الفِرَق.[٣] يَذكر هؤلاء الأحزابَ الذين كانوا [من قبلُ من الأمم السابقة][٤] لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبره[٥] عن صنيعهم ومعاملتهم الرسلَ. [وفي ذلك] وجهان.[٦] أحدهما كيفية معاملة الرسل عليهم السلام أولئك الكفرةَ مع تكذيبهم إياهم وسوء معاملتهم وصنيعهم مع الرسل وأنواعِ البلايا التي كانت منهم إليهم أنْ كيف عاملوهم وصبروا على أذاهم ليعامل هو قومَه مثلَ معاملتِهم قومَهم ويصبرَ على أذاهم كما صبر[٧] أولئك على أذى قومهم،[٨] كقوله عز جل: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٩]

والثاني يَذكُر هذا لأهل مكة ويحذّرهم عمّا[١٠] نزل بالأمم المتقدمة بتكذيبهم الرسل وعنادهم وتمردهم معهم ليحذروا تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وأن لا يعاملوه كما عامل أولئك رسلَهم عليهم[١١] السلام فينزلَ بهم مثلُ ما نزل بأولئك من العذاب والهلاك.[١٢] *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: تأويله.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٥، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥١و/ سطر ١-٣.

[٣] جميع النسخ + وقوله إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[٥] ر ث م: ويخبرهم.

[٦] جميع النسخ: لوجهين. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[٧] ن: صبروا.

[٨] جميع النسخ + مثل معاملتهم قومهم وسوء صنيعهم.

[٩] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

[١٠] جميع النسخ: ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[١١] ر ن: عليه.

[١٢] جميع النسخ: مع العذاب والإهلاك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[٦٥٠و س٢٧ *وقوله عز وجل: **وفرعونُ ذو الأوتاد**، قال بعضهم: إن فرعون كان إذا غضب على أحد من قومه مده بأوتاد[١] فيعاقبه بها ويعذّبه [لذلك سمي ذي الأوتاد].[٢] *والله أعلم*. وقال بعضهم: **وفرعون ذو الأوتاد**، أي ذو[٣] البناء المحكم. وقال بعضهم: كانت له أوتاد وأرسان،
٦٥٠و س٣٠] أي حبال وملاعبُ يُلعَب له عليها.[٤] *والله أعلم*.*

﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾[١٤]

وقوله: **فحق عقاب**، قال بعضهم: أي وجب عليهم عقابي. لكن معناه:[٦] نزل بهم العقاب ووقع عليهم وإلا كان العذاب واجبا على [جميع] الكفار [فما معنى لتخصيصهم]؟[٧]*

﴿وَمَا يَنْظُرُ هٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾[١٥]

وقوله عز جل: **وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق**. يخبر عز وجل رسولَه ويُؤيِسه من إيمانهم[٩] أنهم لا يؤمنون إلا عند وقوع العذاب بهم حتى[١٠] لا ينفعهم الإيمان، كقوله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.[١١] ثم قوله عز وجل: **إلا صيحة واحدة**، يحتمل أن يكون سَمّى نفسَ العذاب صيحةً[١٢]

---

[١] ث + أي حبال.

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٤ظ.

[٣] ر ن م: ذي.

[٤] جميع النسخ: وملاعب يلاعبون بها. عن قتادة قال: كان له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب له عليها... عن السدي قال: كان يعذب الناس بالأوتاد، يعذبهم بأربعة أوتاد ثم يرفع صخرة تُمَدّ بالحبال ثم تلقى عليه فتشدَخه (*تفسير الطبري*، ٢٠/٣٠-٣١). الشدخ: كسرُ الشيء الأجوف. تقول شَدَخْتُ رأسه فانشدخ (*النهاية* لابن الأثير، ٢/٤٠٤).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٤ متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٥٠و/ سطر ٢٧-٣٠.

[٦] جميع النسخ: عقاب لكن قوله عز وجل: ﴿فحق عقاب﴾ أي. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧ظ.

[٧] الزيادة من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧ظ.

* وقع هنا قطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٢، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٥٠و/ سطر ٢٧-٣٠.

[٩] جميع النسخ: عن إيمانهم.

[١٠] ث: حين.

[١١] ن ث + يخبر أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. سورة يونس، ١٠/٩٦-٩٧.

[١٢] جميع النسخ + وجائز أن يكون ذكر صيحة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.

لِما أن العذاب إذا نزل بهم ووقع عليهم يَصيحون، فسمي ذلك صيحة لصِياحهم. أو أن يكون ذلك إذا نزل بهم كان فيه صياحٌ وصوتُ الشيءِ الهائل العظيم الشديد إذا هوى[1] ووقع[2] ومال إلى الأرض[3] حتى يفزع الناس منه. فعلى ذلك الصيحة التي ذَكَر تحتمل[4] ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ما لها من فواق**، قال أبو عبيدة: من فَتَحها أراد: ما لها من راحة ولا إفاقة،[5] كأنه ذهب إلى إفاقة المريض من علته.[6] ومَنْ ضَمَّها جَعَلها[7] من فُواق الناقةِ وهو ما بين الحَلْبَتَيْن، يريد: ما لها[8] انتظارٌ ومُكْثٌ.[9] قال أبو عَوْسَجة والقُتَبي: **ما لها من فواق**، أي من انقطاع إذ[10] هي دائمة أبدا لا تنقطع.[11] وقال الكسائي: الفواق -بالنصب والرفع- لغتان وهو من فُواق الناقة بين الحَلْبتين / والرَّضْعتين. وقال عامة أهل [٦٥٠ظ] التأويل: **ما لها من فواق**، أي من مَرَدّ ومرجع وقرار. وقال بعضهم: هو مَدّ[12] البصر، يقول: هي أقرب من ذلك، كقوله عز وجل: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[13] *والله أعلم*. وأصل الفُواق كأنه من العَوْد والرجوع كعَوْد[14] اللبن إلى الضَّرْع بعد ما حُلِب[15] مرة. *والله أعلم*.*

---

[1] ر م: هو.
[2] ر م: ورفع.
[3] جميع النسخ + كان فيه صياح وصوت. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[4] جميع النسخ: يحتمل.
[5] جميع النسخ: إقامة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٧ظ.
[6] جميع النسخ: من عليه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، نفس الورقة.
[7] جميع النسخ: حطها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[8] ر ن م: ويريد ما لها من فواق.
[9] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١٧٩/٢.
[10] ن: أي.
[11] جميع النسخ: لا ينقطع؛ ث م + به.
[12] جميع النسخ: مدة.
[13] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[14] ر ن م: كقول.
[15] ث: حلبت.
* وقعت هنا قطع كثيرة من تفسير الآي السابقة برقم ١-١١، فنقلناها إلى محالّها. انظر: ورقة ٦٥٠ظ/ سطر ٣- ٦٥١و/ سطر ٤.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾[١٦] ﴿اِصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **وقالوا ربّنا عجل لنا قطّنا قبل يوم الحساب**. اختلف فيه. قال بعضهم: **عجل لنا قطنا**، أي كتابنا. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُوعدهم أنهم يُؤتَون كتابهم بشمالهم -فيه أعمالهم التي عملوها في الدنيا- في الآخرة. فعند ذلك قالوا له: **عجّل لنا قطنا**، أي كتابنا الذي تُوعِدُنا[١] أنه يعطي بشمالنا، قالوا[٢] ذلك استهزاء به[٣] وتكذيبا له. وقال بعضهم: **عجّل لنا قطنا**، أي نصيبنا وحظنا من العذاب الذي تُوعِدُنا به وتحذّرنا يوم الحساب، **قبل يوم الحساب**. قالوا ذلك استهزاء به وتكذيبا له. ولذلك قال له على إثر ذلك: **اصبر على ما يقولون**، يُصبّره ويُعزّيه على ما يقولون ليصبر على ذلك. *والله أعلم*. وجائز أن يكون قوله عز وجل: **عجل لنا قطنا**، ليس على سؤال العذاب والكتاب الذي حمله عامة أهل التأويل عليه، ولكنه [على] سؤال السعة والنصيب[٤] في الدنيا. ويكون ذلك في قوم لا يؤمنون بالآخرة سألوا ما وُعِدوا من النعيم في الآخرة السعةَ[٥] في الدنيا. وذلك أشبه لأنهم سألوا ربهم أن يُعجّل ذلك لهم. فلو كان على ما يحمله أهل التأويل من سؤال العذاب والكتاب على الاستهزاء بالرسول والتكذيب له لسألوا الرسول ذلك ولم يسألوا ربهم ذلك. فدل ذلك على أنه أشبه وأقرب. *والله أعلم*.[٦] ويكون قوله عز وجل: **اصبر على ما يقولون** على ما تقدم من قولهم: إنه ساحر وإنه[٧] كذاب وإنه اختلق هذا القرآن من ذات نفسه ونحوه. ويؤيد ذلك قول سعيد بن جُبَيْر، قال: ذُكِرتْ لهم[٨] الجنة فاشتهَوْا ما فيها فقالوا: **ربنا عجل لنا قطنا**، أي نصيبنا من الجنة.[٩]

---

[١] ر م: يوعدنا.
[٢] جميع النسخ: قولوا.
[٣] جميع النسخ: بهم.
[٤] ر: والنصب.
[٥] جميع النسخ: والسعة.
[٦] وعبارة السمرقندي هكذا: «وجائز أن يكون قوله: ﴿عجل لنا قطنا﴾ ليس على سؤال العذاب والكتاب الذي حمله عامة أهل التأويل [عليه] ولكنه على سؤال السعة والنصيب في الدنيا، لما أنهم وُعدوا في الآخرة من نعم الجنة بالإيمان. وهم كانوا لا يؤمنون بيوم الحساب سألوا ما وُعدوا في الآخرة من النعم قبل يوم الحساب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٥و).
[٧] ر ن م: انه.
[٨] ر: هم.
[٩] *تفسير الطبري*: ٣٨/٢٠.

*وقال أبو عَوْسَجَة: **قِطَنا**، أي كتابنا. يقال: قَطَطْتُ، أي كتبت، أَقُطّ قَطًا فأنا قاطٌ، [٦٥١و س ٣٦
والكتاب مقطوط. والقَطُ أيضا القطع. يقال قَطَطْتُ أظفاري.[١] والقَطُّ: الدهر. ويقال: قَطِي،[٢]
أي حَسْبِي، وقَطُك أي حسبك.[٣] وقال القُتَبِي: القِطّ: الصحيفة المكتوبة وهي الصَّكّ.[٤]* ٦٥١و س ٣٩]

وقوله عز وجل: **واذكر عبدنا داود**. يحتمل قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: **واذكر عبدنا داود** وجوها.[٦] أحدها أنْ اذكر[٧] نبأَ داود ونبأَ من ذكر في هذه السورة [من الأنبياء][٨] من قوله: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ،[٩] [وقوله:] وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وإسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ[١٠] ومن ذكرهم -عليهم السلام وعلى محمد- في هذه السورة. أي اذكر نبأهم الذي لم تكن[١١] لتعرف[١٢] أنت ولا قومك من قبلِ هذا لعلّهم يصدّقونك ويؤمنون[١٣] بك، كقوله عز وجل: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.[١٤]

والثاني قوله عز وجل: **واذكر عبدنا داود**، أي اذكر صبر هؤلاء على أذى قومهم وتكذيبهم إياهم لتصبر على أذى قومك وتكذيبهم[١٥] إياك كما صبر أولئك، كقوله عز وجل: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ[١٦] أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[١٧]

---

[١] ر ن م: قططنا ظفاري.
[٢] ن: قطي.
[٣] ر - حسبك؛ م - أي حسبك.
[٤] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٨. الصك الذي يُكتب للعُهدة، معرّب أصله جك، ويُجمعُ صِكَاكًا وصُكوكًا (*لسان العرب*، «صكك»).
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥١و/ سطر ٣٦-٣٩.
[٦] جميع النسخ: وجوه.
[٧] ر: ذكر.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[٩] الآية ٤١ من هذه السورة.
[١٠] ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ الآية ٤٥ من هذه السورة.
[١١] جميع النسخ: تكن.
[١٢] ن: تعرف.
[١٣] جميع النسخ: ويؤمنوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[١٤] سورة هود، ٤٩/١١.
[١٥] ث - إياهم لتصبر على أذى قومك وتكذيبهم.
[١٦] ث - أولئك كقوله عز وجل فاصبر كما صبر.
[١٧] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

والثالث اذكر داود ومن ذكر من الأنبياء، أي اذكر لهم المصدّقين وما يكون لهم من الكرامات والثواب كما ذكرتَ لهم المكذبين وما نزل بهم من العذاب لعلهم يرجعون ويصدّقونك، ليعلموا من نجا منهم بم[1] نجا ومن هلك منهم بم[2] هلك، أو ليعلموا أن في[3] أوائلهم المصدقين له والمؤمنين فكيف اتبعتم المكذبين منهم دون المصدّقين؟ *والله أعلم*.

و[الرابع][4] يحتمل قوله عز وجل: **واذكر عبدنا**، أي اذكر جهد داود وجهد من ذُكِر من هؤلاء في العبادة والدين.[5] وأمثالَ ذلك يحتمل.[6] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذا الأيد إنه أوّاب**، قال عامة أهل التأويل: **ذا الأيد**، أي[7] [ذا] القوة على العبادة. وجائز أن يكون قوله: **ذا الأيد**، [أي ذا القوة] في أمر الله [و]في[8] أمر الدين؛ لأنه أُلِين له الحديدُ حتى كان يتخذ منه الدِرع وغيرها[9] من الأسلحة، وسُخِّر له الطير والجبال حتى كُنَّ يسبحن معه[10] بالعشيّ والإشراق، وحتى كان يستعمل ما اتخذ [من] الحديد فيما[11] شاء من أمر الدين من المحاربة مع الأعداء والذَّبِّ[12] عن أهل الإسلام والدفع عنهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إنه أوّاب**، قال بعضهم:[13] **أوّاب**، مطيع لله[14] مقبل على طاعته، وقال بعضهم: **أواب**، أي مُسبّح لله. ذُكِر أنه كان كثيرَ التسبيح. وكذلك قال عز وجل: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ،[15]

---

[1] ن: ثم.
[2] ر م – نجا ومن هلك منهم بم؛ ن: ثم.
[3] ر م: في أن.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[5] ر: والذين.
[6] ث: تحتمل.
[7] ر ث م: أن.
[8] الزيادات مستفادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٨و.
[9] ر ث م: وغيرهما.
[10] جميع النسخ: حتى كان يسبح معهم. لعل المؤلف يشير إلى الآية التالية: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾.
[11] جميع النسخ: فيمن.
[12] جميع النسخ: والدرء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥و.
[13] ث – بعضهم.
[14] ر: الله.
[15] ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوّبي معه والطيرَ وألَنّا له الحديد﴾ (سورة سبأ، ١٠/٣٤).

أي سبحي معه، هذا محتمل.[١] وجائز أن يكون قوله عز وجل: **أوّاب**، أي رجّاع، إلى الله يرجع في كل أمر، وإليه يفزع في كل نائبة وحادثة. وقال بعضهم: **ذا الأيد إنه أواب**، أي ذا الإحسان والعمل الصالح. **أوّاب**، أي تواب. وقتادة يقول: ذا[٢] القوة في العبادة وذا الفقه في الإسلام وذا البصر في الدين.[٣]*

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق**، هو على التقديم والتأخير، / كأنه قال عز وجل: إنا سخرنا الجبال يسبحن معه.[٥] أخبر أنه سخر الجبال والطير [٦٥١ظ] وما ذَكَر لداودَ كي[٦] يُطِعنه ويُسبّحن معه. وفي الآية بيان لطف الله عز وجل وذكرُ الخصوصية لداود[٧] حيث صيّر الجبال والطير[٨] يقفن وقت تسبيح[٩] داود معه على ما أخبر عز وجل. وفيها[١٠] [أيضا] أن الله تعالى لمَا[١١] صيّر الجبال مع شدتها وصلابتها بحيث تعرف وقت تسبيح داود[١٢] وتسمعه وتلين له.[١٣] فجائز أن يجعل قلبَ الكافر بحيث يلين ويخضع[١٤] لله بلطفه، إذ قلبه ليس أشدَّ قسوة وصلابةً من الجبال، فإذا جعل لطفَه فيها لانت وخضعت، فعلى ذلك إذا جعل ذلك اللطف في قلب الكافر لا يحتمل أن لا يلين ولا يخضع، إذ هو ليس بأصلب وأشدَّ من الجبال التي ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[١] ر م: يحتمل.
[٢] ر: اذا؛ م - ذا.
[٣] *الدر المنثور* للسيوطي، ٥١٢/١٢.
* وقعت هنا قطعة من تفسير هذه الآية متأخرا فقدمناها إلى محلها. انظر: ورقة ٦٥١و/سطر ٣٦-٣٩.
[٥] ر م - معه.
[٦] ر ن ث: وكي.
[٧] جميع النسخ: وفيه لطف من الله عز وجل في هذه الأشياء والخصوصية لداود في ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٥ظ.
[٨] جميع النسخ + بحيث.
[٩] ر ن ث: يسبح.
[١٠] جميع النسخ: وفيه.
[١١] جميع النسخ: حيث.
[١٢] جميع النسخ + ويعرف تسبيحه.
[١٣] ر ث م: ويسمعه ويلين له؛ ن: ويسمعه وتلين له. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٥ظ.
[١٤] ر ث م: تلين وتخضع.

وأما الخصوصية له فإن الله عز وجل جعل لكل[1] من الرسل خصوصية في شيء – لم يجعل مثل ذلك الخصوصية لأخرى في ذلك الشيء بعينه–[2] بلطفه. وخصوصية داود ما ذكر من تسخير ما ذكر له من الجبال والطير والتسبيح معه، وما ذكر من إلانة الحديد له وغير ذلك من الأشياء. وخصوصية سليمان ما ذكر من تسخير الرياح له[3] وحملها إياه حيث شاء إلى ما شاء مسيرةَ شهرٍ بِغُدُوِّه ومسيرةَ شهر بعشيه،[4] حيث قال عز جل: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ،[5] وما ذكر من فهم نطق الطير له[6] والنطقِ[7] معه وفهمه تسبيحها، ونحو ذلك كثير. ومثلُ هذا ما قد جعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر أنه أخذ أحجارا فسبّحن في يده حتى سمع ذلك من حَضَره،[8] وما ذكر أن أصابعه يسبّحن،[9] ونحوه كثير. فلكل منهم خصوصية في شيء ليست تلك لغيره. **والله أعلم.**

[٦٥١ظ س١٧] *ثم قوله عز وجل: **يسبحن بالعشي والإشراق،** جائز أن يكون لا على إرادة حقيقة العشي والإشراق، ولكن[10] على إرادة التسبيح معه في كل وقت، فيكون العشي كناية عن الليل والإشراقُ كنايةً عن النهار. يخبر أنهن يسبحن في كل وقت من الليل والنهار. **والله أعلم.** ويحتمل أن يكون يسبحن في العَشِيّات والغَدَوات خاصة، كقوله عز وجل لرسول الله[11] صلى الله عليه وسلم حيث قال: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ.[12] **والله أعلم.**

---

[1] جميع النسخ: بكل. والتصحيح من *الشرح*، ٦٤٥ظ.
[2] ر ن: يعينه؛ م: يعنيه.
[3] ر – له.
[4] ر ن ت: بعشية.
[5] ﴿ولسليمانَ الريحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهر وأسَلْنا له عَينَ القِطْرِ ومِن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا نُذِقْه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجِفانٍ كالجَواب وقُدُور راسيات﴾ (سورة سبأ، ٣٤/١٢-١٣).
[6] ر م – له.
[7] م + له.
[8] عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أُبْعَثَ، إني لأعرفه الآن» (*صحيح مسلم*، "الفضائل" ٢؛ و*سنن الترمذي*، "المناقب" ٣). انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٢٣/١٧٤.
[9] انظر: *سبيل الهدى والرشاد* للصالحي الشامي، ٩/٤٩٣.
[10] ر – على إرادة حقيقة العشي والإشراق ولكن.
[11] ن: لرسوله.
[12] سورة الكهف، ١٨/٢٨.

ثم جائز أن يكون ما ذكر من تسبيح هذه الأشياء صلاة، **يسبحن**، أي يصلّين لله، كقوله عز وجل: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ، ثم قال عز وجل: كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ،[١] دل أن لها صلاة. ***والله أعلم***. ومن الناس من يقول: يسبح هذه الأشياء التي ذكر هو[٢] تسبيحَ خلقة[٣] لا تسبيح نطق وكلام. لكن لو كان على هذا لكان لا معنى لذكر تسبيحهن مع داود عليه السلام، إذ ذاك[٤] مع داود وغيره في كل وقت، دل أنه على تسبيح النطق. وإن كان على الصلاة فهو أن لا تجوز[٥] الصلاة لأحد حتى يُشرق الشمس وترتفع[٦] حيث ذكر إشراق الشمس. ***والله أعلم***.

ثم من الناس من حمل قوله عز وجل: **والإشراق**، على صلاة الضحى، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. ذكر عنه[٧] أنه سأل أم هانئ عن صلاة الضحى: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل في بيتها؟ فأخبرته أنه فعل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وقلت: أيُّ صلاةٍ [صلاةُ] الإشراق؟ [قالت:] وهذه صلاة الإشراق، تعني صلاة الضحى.[٨] ***والله أعلم***.

وسميت صلاة الضحى صلاةَ الأوابين.* [٦٥١ظ س٣٠]

*والإشراق هو طلوع الشمس ووقوعها في كل ناحية بنورها، كقوله عز وجل: وَأَشْرَقَتِ [٦٥٢و س١٥]
الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا.[١٠]* ٦٥٢و س١٧]

---

[١] سورة النور، ٢٤/٤١.
[٢] أي الله تعالى.
[٣] ر ن: خلقه.
[٤] ر ث م: ذا.
[٥] جميع النسخ: لا يجوز.
[٦] ر ث م: ويرتفع.
[٧] ر ن – عنه، صح ه؛ م – عنه.
[٨] *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٤-٤٥. عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: سألت عن صلاة الضحى في إمارة عثمان ابن عفان، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون، فلم أجد أحدا أثبت لي صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أم هانيء قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاها مرة واحدة ثمان ركعات يوم الفتح في ثوب واحد، مخالفا بين طرفيه، لم أره صلاها قبلها ولا بعدها. فذكرت ذلك لابن عباس رضي الله عنهما فقال: إني كنت لأمُرّ على هذه الآية ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ فأقول: أي صلاة صلاة الإشراق؟ فهذه صلاة الإشراق (*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/٥١٧).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥١ظ/ سطر ١٧-٣٠.
[١٠] سورة الزمر، ٣٩/٦٩.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٢و/ سطر ١٥-١٦.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾[١٩]

وقوله: **والطير محشورة**، أي مجموعة مسخرةً، أي سُخرت له الطير أيضا. وقوله: **كلٌّ له أوّاب**. قال بعضهم: كل له مطيع، وقال بعضهم: كل له مسبح. فإن كان قوله عز وجل: **كل له أوّاب**، أي مطيع فهو يحتمل مطيع لله، ويحتمل مطيع[1] لداود. وإن كان الأوّاب هو المسبح فهو لا يحتمل لداودَ لكن لله تبارك وتعالى. ***والله أعلم***.*

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة**، قال عامة أهل التأويل في قوله: **وشددنا ملكه**، لأنه كان يَحرُسه كلَّ ليلة ثلاثة وثلاثون ألفا من بني إسرائيل. لكن [هذا ضعيف، لأن هذا الكلام خرج على سبيل الامتنان عليه بشدّ الملك و][3] ليس فيما ذكروا كثير شد الملك وتقويته، إنما[4] هو وصفُ ضعفٍ، إلا أن يَعنوا[5] بما ذكروا كثرة أعوانه وأنصاره وفضل أتباعه وحواشيه فعند ذلك يحتمل ما ذكروا. فأما[6] نفس ما ذكروا من الْحَرَس له والحفظ فليس فيه كثير شد ولا فضل منقَبة.

وجائز أن يكون غير هذا أشبه له وأولى مما ذُكر في شدّ ملكه،[7] وهو يخرج على وجهين. أحدهما شدُّ ملكه مما ذكر من إلانة الحديد له[8] حتى كان يتخذ[9] منه ما شاء[10] من الدروع وغيرها من أسباب الحرب والتأهب لها وما يصلح للقتال ما لم يُعطَ بمثله لأحد سواه، فتنقطع بذلك طمع المنازعين[11] له في ذلك والراغبين في ملكه ويأمن هو بذلك ذهابَه،[12] فهو شدُّ ملكه. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م – لله ويحتمل مطيع.

* وقعت هنا قطع من تفسير الآية السابقة فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥١ظ/ سطر ١٧–٣٠.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

[4] ر ن: اسماء؛ م: اسما.

[5] ر ن م: يعفوا.

[6] ر ن + في.

[7] جميع النسخ: وبما ذكر ملكه.

[8] ر ث م – له.

[9] ن: تتخذ.

[10] ر ن م: بأسا؛ ث: لباسا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

[11] ث: الميان غيره.

[12] م: ذهاب.

والثاني شدّ ملكه بما ذكر من تسخير الجبال له والطير والتسبيح معه وما ذكر من طاعة هذه الأشياء له والخضوع لأمره. فمن بلغ أمر ملكه هذا المبلغَ الذي وصف مِن طاعة مَن ذكره والتسخير له وعبادته لله تعالى وطاعتِه لربه في نفسه، حيث قال عز وجل: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا / الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ،[١] لم يَقصد أحدُ من ملوك الأرض قصدَه ولا طَمَع في زوال [٦٥٢و] ملكه إليه بحالٍ. وهذا أشبه أن يُجعل تأويلَ شدّ ملكه الذي ذكر -والله أعلم- مما قاله أهل التأويل.

وقوله عز وجل: **وآتيناه الحكمة**، قال بعض أهل التأويل: **وآتيناه الحكمة** أي النبوة، **وفَصْلَ الخطاب**، أي [فَصْلَ الخصومة بين الخصوم بِ]البينة[٢] على المدّعِي[٣] واليمين على المدّعَى عليه. لكن ليس فيما ذكروا من جعل البينة على المدعي وجعل اليمين على المنكر كثيرُ مَنْقَبة وخصوصية إذ قد أُعطينا نحن مثلَه وقد ذُكر على الخصوصية له. ثم جائز أن يكون ما ذكر من الحكمة أنه آتاها له إحكامَ أمره فيما بينه وبين ربه [في] العبادة له[٤] والطاعة[٥] في كل وقت على ما وصفه حين قال: ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ،[٦] أي ذا القوة والجهد في العبادة لله والطاعة له. [وجائز أن يكون ما ذكر من الحكمة أنه آتاها له إحكامَ أمره فيما بينه وبين الناس من معرفة السياسة][٧] فيهم وإنزال كلٍّ منهم منزلته[٨] وتأليف قلوب بعضهم من بعض وجمعِهم على دين واحد ومذهب واحد حتى لم يقع تنازع ولا خلاف في الدين. *والله أعلم*.

وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل: **وفَصْلَ الخطاب**، أي قطع الخصومات فيما بينهم على التأليف والتلطف وإيصال كلٍّ إلى حقه من غير أن يقع بينهم خشونة أو ضغينة.[٩] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وفصل الخطاب**، قال بعضهم: ما ذكرنا من القضاء بين الخصوم بالبينة على المدعي واليمين على المنكر،

---

[١] الآية ١٧ من هذه السورة.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.
[٣] م: للمدعي.
[٤] جميع النسخ + أي لله تعالى.
[٥] ر ن ث + له.
[٦] قد مر آنفا.
[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.
[٨] جميع النسخ: منزلة.
[٩] جميع النسخ: ضغنة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

وليس في ذلك كثيرُ منقبة ولا خصوصية. وقال بعضهم هو "أما بعد"،[١] وهذا أيضا ليس بشيء. والأصل فيه ما ذكرنا. **والله أعلم**.

والخطاب هو[٢] الخصومة. قال أبو معاذ: الخطاب كالجدال والخصام، [تقول: خاطبته خطابا ومخاطبة كما تقول: جادلته جدالا ومجادلة، فكل فَاعَل له مصدران: فِعال][٣] ومفاعلة. وقال أبو عَوْسَجَة: الفصل: القضاء، والخطاب: الخصومة؛ تقول:[٤] خاطبت الرجل، أي خاصمته.*
والله أعلم.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[٢١] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾[٢٢] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وهل أتاك نبأ الخصم**، قد ذكرنا في غير موضع أن حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على الإيجاب أو على التقرير والتنبيه.[٦] ثم قوله عز وجل: **هل أتاك نبأ الخصم** على الوجهين. أحدهما [على الإيجاب]، أي قد أتاك نبأ الخصم فتفكرْ فيه: كيف ابتلاه الله عز وجل وفتنه[٧] بما ذكر.[٨] والثاني [على التقرير والتنبيه][٩] أي لم يأتك نبأ الخصم،[١٠]

---

[١] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٥١. وقولهم في الخطابة "أما بعد" إنما يريدون: أما بعد دعائي لك. وفي حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم فقال: «أما بعد»، تقدير الكلام: أما بعد حمد الله فكذا وكذا. وزعموا أن داود عليه السلام أول من قالها، ويقال: هي فصل الخطاب، ولذلك قال جل وعز: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾. وزعم ثعلب أن أول من قالها كعب بن لؤي (*لسان العرب*، «بعد»).

[٢] ر م: وهو.

[٣] وعبارة جميع النسخ هكذا: يقول خاطبته ومخاطبة واحدا لا ومجادلة فكل فاعله لها جمعان فقال. والتصحيحات من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

[٤] جميع النسخ: يقول.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ١٨، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٢و/ سطر ١٥-١٦.

[٦] ر ن م: والبينة.

[٧] ر م: وفتنة.

[٨] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

[٩] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و. جميع النسخ + قوله عز وجل: هل أتاك نبؤا الخصم.

[١٠] ر م – أي لم يأتك نبأ الخصم.

فأنبأك[١] وأرسل إليك نبأه وخبره أن كيف ابتلاه وفتنه.[٢] وعلى هذا يجوز أن يكون قوله عز وجل: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ،[٣] أي اذكر ما فُتِن به، أو اذكر مغفرة الله تعالى[٤] إياه، أو اذكر خصومة الخصمين إليه، أو اذكر ما أُعطي هو من الحكمة والحُكم وفصل الخطاب. ثم قوله: **نَبَأُ الخصم**، الخصم[٥] هو حرف التوحيد والوُحْدان. وقوله عز وجل: **إذ تسوّروا المحراب** [هو] حرف الجماعة، وكذلك قوله عز وجل: **إذ دخلوا على داود**، ذكره بالجماعة، وكذلك قوله عز وجل: **ففزع منهم**، ذكر بحرف الجماعة وقوله: **قالوا لا تخف**، ثم ذكر بحرف التثنية، حيث قال عز وجل: **خصمان بغى بعضنا على بعض**. ذكر بعضه بحرف الوُحْدان والإفراد وبعضه بحرف الجماعة[٦] وبعضه بحرف التثنية وهي قصة واحدة. قال[٧] بعضهم: أما قوله عز وجل: **الخصم** فهو مصدر والمصدر يذكر ويراد به المفرد والتثنية والجمع.[٨] وأما قوله تعالى: **تسوّروا**، **ودخلوا**، **وقالوا** ونحوه فقد يقال[٩] للاثنين ذلك، لأن الاثنين جماعة، كقوله عز وجل: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا،[١٠] والقلوب جماعة وإنما هو قلبان، وذلك كثير في القرآن، وذلك جائز في اللغة شائع فيها.

وعندنا جائز أن يكون قوله عز وجل: تسوروا ودخلوا عليه **وقالوا لا تخف** ونحوه إن كان مع الخصمين الْمَلَكَيْن ملائكةٌ سواهما[١١] شُهودٌ على دعواهما وخصوماتِهما تسوروا معهما ودخلوا معهما عليه، فلما فزع منهم قالوا: لا تخف. وإن كان الذي يخاصم بين يديه اثنان لِما لا يحتمل أن يقول داودُ لأحد الخصمين: لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ،[١٢]

---

[١] جميع النسخ: وأتاك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦و.

[٢] ر م: فتنة؛ ن + وابتلاه.

[٣] الآية ١٧ من هذه السورة.

[٤] جميع النسخ: أي اذكر ما قربه هو أو اذكر متقربه (ن: متقربة). والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٣٩و.

[٥] ر م – الخصم.

[٦] ر ث م – وبعضه بحرف الجماعة.

[٧] جميع النسخ: وقال.

[٨] جميع النسخ: فهو مصدر ومصدر للجمع (ن م + ومصدر الجمع) والفرد والتثنية واحد. الزيادات والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.

[٩] جميع النسخ: قد يقال.

[١٠] سورة التحريم، ٦٦/٤.

[١١] جميع النسخ: سواهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.

[١٢] الآية ٢٤ من هذه السورة.

ينسبه إلى الظلم ويصفه بالبغي بلا شهود يشهدون[1] له[2] إلا أن يكون من الآخر إقرار على ما يُدَّعَى عليه. فإذا كان كذلك فيشبه أن يكون ما ذكرنا أنه كان مع الملكين ملائكةُ آخرون شُهودٌ يشهدون على ذلك وأن حاصل الخصومة لاثنين منهم. فأضيف[3] الفعل إلى الجماعة [لما][4] كانوا جماعة في التسور والدخول عليه والقولِ منهم **لا تخف**، وأضيف [فعل الخصومة][5] إلى الاثنين لتفردهما[6] في الخصومة. ***والله أعلم***.

ثم فيه من الكلام والقول حيث قالا: **خصمان بغى بعضنا على بعض، وإن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب**، ونحوه من الكلام والقول الذي كان منهما.[7] كيف حققا ذلك وقطعاه أنهما خصمان ولم يكونا في الحقيقة خصمين، وأن لهذا كذا وكذا نعجة ولهذا واحدةً ولم يكن في الحقيقة ذلك، وأن هذا بَغَى على هذا ونحوَ ذلك من الخصومات التي جرت بينهما و لم يكن ذلك كذلك في الحقيقة. كيف قالا[8] ذلك وحققاه وهم ملائكة والملائكة لا يحتمل أن يَكْذِبوا قطُّ أو يرسلهم[9] الله ليكذبوا [فما معنى ذلك؟][10]

[٦٥٢ظ] [قيل: يخرج ذلك] على طريق التقدير والتمثيل،[11] / أي لو كان لأحدهما[12] كذا كذا **نعجةً** وللآخر واحدةً فغلب صاحب النِعاج الكثيرة على صاحب النعجة الواحدة فأخذها، أليس يكون ظالما أو يكون[13] باغيا؟ ليس على التحقيق ولكن لما ذكرنا يُقدِّرانِ عنده الزلة ويمثلان[14] الخطيئة[15]

---

[1] ر م: ويشهدون.
[2] م - له.
[3] جميع النسخ: وفيما أضيف.
[4] التصحيح والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[5] جميع النسخ: وفيما أضيف. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، نفس الورقة.
[6] جميع النسخ: كان اثنان.
[7] ر ث م: منها.
[8] ر: والا.
[9] م: ويرسلهم.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[11] جميع النسخ: على التقرير والتمسك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[12] جميع النسخ: لاحديهما.
[13] م: ويكون.
[14] ر ن م: ويمثلا به.
[15] ر م: الخطبة.

إن كانت له[١] على ما يقوله أهل التأويل ليتقدر[٢] [ما كان منه من الهفوة والزلة التي ابتلي بها فيرجع إلى الله تعالى ويتوبَ عن ذلك].[٣] وقد ذكر الله عز وجل أشياء كثيرة على التمثيل والتقرير على تقرير أشياء غفلوا عنها وسَهَوا ليتقرر ذلك عندهم وينتبهوا[٤] فيها. فعلى ذلك يشبه أن يكون خصومة هؤلاء الملائكة عند داودَ عليه السلام وما كان منهم من القول والخصومة ليتقرر ما كان منه من الهفوة والزلة، ليعرف ذلك ويرجع عنها. **والله أعلم.**

ثم قول أهل التأويل: إن طائرا وقع بين يديه قريبا منه فنظر إليه وصار مُعْجَبا به،[٥] فهمّ أن يأخذه وارتفع إلى كَوّة المحراب فصعد ليأخذه فوقع بصرُه على امرأة فأعجبته، فإن هذا يحتمل أن يكون. وأما قولهم أدام[٦] النظر، أما هذا فإنه لا يحتمل أن يكون [من] مثل[٧] داود أو نبي[٨] من الأنبياء عليهم السلام أنه يديم النظر إلى ما لا يحل النظر إليه. وأما الأول من الذَّهاب لطلب ذلك الطائر والنظر إليه أنه من أين وإلى ماذا؟ فذلك يحتمل أن يكون. ثم هو يكون معذورا في الصعود إلى الكَوّة والارتفاع للنظر إلى الطائر لما[٩] كان الطيور قد حُشِرت[١٠] له وسُخِرت في التسبيح معه والطاعة له. فجائز أن يكون له البحث والفحص عن حال ذلك الطائر على ما أخبر عن سليمان، حيث قال عز وجل: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ.[١١] فإذا كان ما ذكرنا كان هو في الصعود إلى الكَوّة والارتفاع إلى ذلك معذورا. لكن [إذا كان] وقع بصرُه عليها بلا قصد منه ولا علم بحالها ومال[١٢] قلبُه إليها لحسنها وجمالها فذلك[١٣] مما يكون[١٤] بلا تكلف ولا صنع،

[١] أي لداود عليه السلام.
[٢] جميع النسخ: يقدرونه. والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[٣] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٦٤-٦٦.
[٤] جميع النسخ: وسهوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[٥] ر: معجباة.
[٦] ر: امام.
[٧] جميع النسخ: ميل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.
[٨] م: ونبي.
[٩] ر: لمان؛ م: لما ان.
[١٠] ر: خسرت.
[١١] سورة النمل، ٢٧/٢٠.
[١٢] ر م: ومالا.
[١٣] جميع النسخ: وذلك.
[١٤] جميع النسخ: ما يكون.

وذلك مما لا يملك دفعه -نحوَ ما كان [من] ميل[1] قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة زيد حتى[2] وعد [الله] له[3] نكاحها، حيث قال عز وجل: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا[4] - وما ذكر من بعث زوجها إلى القتال ليُقتَل فهذا أيضا غير محتمل. لكن يحتمل بعثه إياه ليجاهد أعداءَ الله وكان ذلك فرضا عليه فصار مقتولا فيه من غير أن يتوهم منه أنه قصد قتله وإهلاكه. ***والله أعلم***.

فإن قيل: كيف عوتب كلَّ هذا العتاب حتى بعث[5] [الله] الملائكة إليه بالخصومة عنده والتمثيل[6] لما ذكر وتقريرِ ذلك عنده، ثم أخبر أنه غفر له بعد طول المدة، أَنْ كان معذورا في ذلك غيرَ مؤاخَذ به؟

قيل: إن الأنبياء عليهم السلام كانوا يؤاخَذون بأدنى شيء كان منهم ما لا يؤاخذ غيرُهم بذلك بل يُعَدُّ ذلك منهم من أرفع الخصال وأجلّها، نحوَ ما عوتب يونس عليه السلام في خروجه من بين[7] قومه ليَسْلَم له[8] دينه أو نفسه، لكنه خرج بلا إذن كان له من الله فعوتب لذلك.[9] فعلى ذلك داود عليه السلام إنما[10] فعل بلا إذن من الله عز وجل. ***والله أعلم***.

ثم في بعث الملائكة إليه فيما ذكر وجوهٌ من الحكمة وأنواعٌ من الفائدة. أحدها جواز الحُجّاب والحُرّس [للخلفاء والسلاطين والقضاة فإنه عليه السلام كان] له [الحُجّاب][11] حيث دخلوا عليه من غير الباب. والثاني رفع الحجاب عن الخصوم والجلوسُ للقضاء في وقت حاجة الخصوم[12] لا على وقت حاجة نفسه حيث دخلوا عليه[13] من غير الباب للخصومة بلا إذن منه.

---

[1] ر ن م: مثل.

[2] ر م - حتى.

[3] جميع النسخ: لها. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.

[4] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٧.

[5] ر ث م + إليه.

[6] جميع النسخ: والتمسك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.

[7] ن: مرتين.

[8] ر ث م - له.

[9] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مُغاضِبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نُنجي المؤمنين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٨٦-٨٧).

[10] ر ث م: وإنما.

[11] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٦٤٦ظ.

[12] ر م - والجلوس للقضاء في وقت حاجة الخصوم.

[13] ر ث م - عليه.

والثالث قدرة الملائكة على التصور بصورة البشر مع كون[١] النفس[٢] الكثيفة ووجود الجسد[٣] معهم.[٤] وذلك يردّ على الفلاسفة مذهبهم أن النفس الروحانية خلقت منتشرة متحركة في كل حال، لكن الجسد الذي جعلت فيه يمنعها[٥] عن ذلك، فإذا نام ذلك الجسد أو مات ذهبت تلك النفس حيث شاءت إلى حاجتها. ألا ترى أن الملائكة قد تسوّروا عليه بصورة البشر واختصموا إليه خصومةَ البشر. دَلَّ على أنه ليس على ما وصفوا هم.[٦]

ثم قوله عز وجل: **إذ تَسَوَّروا المحراب**، قال بعضهم: صَعِدوا. وأصل التسور هو الدخول من العلو والارتفاع، وهو النزول من الشُور، وهو الحائط المشرف المرتفع. وقوله عز وجل: **ففزع منهم**، لِما خاف دخول الوهن[٧] في ملكه إذ دخلوا بلا إذن من غير الباب، أو خاف لِما ظن أنهم لصوص مكابرون، أو لِما عَرَف أنهم ملائكة جاءوا بأمر عظيم ونحوه.[٨] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تُشْطِطْ**، أي لا تَجُرْ. وقوله: **أَكْفِلْنِيها**، قال[٩] بعضهم: أَعْطِنِيها.[١٠] يقال: أَكْفَلْتُه أي أعطيتُه، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقال بعضهم: أي ضُمَّها إليَّ واجعلني كافلَها، وهو قول القُتَبِي.[١١] وقوله: **وعزّني في الخطاب**، قال بعضهم: غلبني في الخصومة، وقال بعضهم: وعزني في القول والكلام[١٢] أي [هو] أبينُ مني كلاما وإن تكلفت فيه وجهدت.[١٣]

---

[١] ن - كون.

[٢] جميع النسخ: نفس.

[٣] ر ث م - الجسد.

[٤] ر: معه. وعبارة السمرقندي هكذا: «والثالث بيان إقدام الملائكة على تصوير أنفسهم بصورة البشر مع كون النفس الكثيفة ووجود الجسد» (ورقة ٦٤٦ظ.).

[٥] جميع النسخ: الذي جعل فيه يمنعه.

[٦] ر ث م: وصفهم؛ ن: وصفوهم.

[٧] ر م: الموهن.

[٨] ث - ونحوه.

[٩] ر ث م: وقال.

[١٠] م + وقال.

[١١] *تفسير غريب القرآن*، ٣٧٩.

[١٢] ن + أي صار ياله [غير منقوطة] إلي في الكلام.

[١٣] ر ث م - وقال بعضهم وعزني في القول والكلام أي صار ياله إلي في الكلام أي أبين مني كلاما وإن تكلفت فيه وجهدت.

[٦٥٣و س ٣٠ * وقال بعضهم في قوله عز وجل: **وعزني في الخطاب**، أي غالبني في الكلام. أراد إذا تكلم
أن يكون أبين مني، وإذا دعا ودعوت أن يكون[1] أكثر مني،[2] وإذا[3] ملت [عنه] أن يكون أعرض
٦٥٣و س ٣٢] [عني] على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.*

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض**، ثم استثنى: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، أي الذين آمنوا واعتقدوا في إيمانهم الأعمالَ الصالحاتِ فإنهم لا يبغي[5] بعضهم على بعض. ثم أخبر أن من آمن واعتقد في إيمانه العملَ الصالح، أي من اتقى
[٦٥٣ظ] من المؤمنين وتركَ البغي [قليلٌ، بقوله:] / **وقليل ما هم**.[6] وهذه الآية شديدة صعبة،[7] لأن[8] أن المؤمن الذي اعتقد في إيمانه العمل الصالح وترك البغي على غيره قليل في كل زمان ودهر.[9] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وظن داود أنما فتناه**، أي علم داود وأيقن أن خصومة الملكين عنده فيما اختصما فيه محنة له[10] [وأنّ] الممتحَن بها [هو]،[11] لا أنهما كانا ممتحنَيْن بذلك، فاستغفر ربه؛ إذ[12] أيقن بذلك أنه[13] هو الممتحن بذلك لا غيره. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م – يكون.
[2] ر ث م: أكرمني.
[3] جميع النسخ: أو ما.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٣و/ سطر ٣٠-٣٢.
[5] جميع النسخ: لا يبغون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين، ورقة ٤٠ظ.
[6] جميع النسخ: قليل منهم. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[7] جميع النسخ + على ما ذكرنا.
[8] جميع النسخ: وفيه.
[9] وعبارة السمرقندي هكذا: «وهذه الآية شديدة صعبة حيث جعل المؤمنين الذين لا بغي معهم قليلا، وهو إخبار من الله تعالى أنهم قليل في كل زمان ودهر» (ورقة ٦٤٧و).
[10] جميع النسخ + هو.
[11] الزيادتان من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٤٠ظ.
[12] م: إذا.
[13] ر: إذ.

ثم فسّر أهل التأويل الظن هاهنا بالإيقان،[١] أي أيقن.[٢] وكأنّ الإيقان هو علم يستفاد بالأسباب[٣] على ما استفاد داود عليه السلام علما بخصومة الملكين عنده. ولذلك لا يضاف الإيقان إلى الله [فلا يقال:] إنه أيقن كذا؛[٤] لأنه علم يستفاد بالأسباب وهو عالم بذاته لا بسبب. وأما العلم فإنه[٥] قد يستفاد بسبب وبغير سبب[٦] لذلك أضيف إليه حرف العلم و لم يضف حرف الإيقان. **والله أعلم.**

فإن قيل: ما الحكمة في ذكر زلّات الرسل صلوات الله عليهم والأصفياءِ في الكتاب، وهو وَصَف نفسه أنه غفور وأنه سَتور، وقد أمرنا لنستر على من ارتكب شيئا من ذلك وبالغفران والعفو؟ فكيف ذَكَر هو زلّاتِ أنبيائه وأصفيائه حتى تقرأ[٧] زلّاتهم في المساجد والمكاتب[٨] بأعلى صوت إلى يوم التناد، وما الحكمة في ذكر ذلك؟

{قال الشيخ أبو منصور محمد بن محمد الفقيه رضي الله عنه:} يخرج ذكر[٩] زلّات الأنبياء صلوات الله عليهم في القرآن وتركُ الستر عليهم على وجوه. أحدها ذَكَرَها ليكون ذلك آية لرسالة[١٠] محمد صلى الله عليه وسلم، لأن قلوب الخلق وأنفسهم لا تحتمل[١١] ذكر مساوئ الآباء والأجداد، وكذلك لا تحتمل[١٢] قلوبهم ذكر مساوئ أنفسهم. فإذ ذَكَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك دلّ أنه على أمرٍ من الله عزّ وجلّ يَذكر[١٣] ذلك ليعلم الناس أنه رسول الله وأنه عن أمر منه ذَكَر ذلك. **والله أعلم.**

---

[١] جميع النسخ: الإيقان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.
[٢] «لأن داود عليه السلام أيقن أنه هو المراد بذكر هذه القصة على طريق التمثيل فحصل له العلم بهذا السبب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٧و).
[٣] ن: الأسباب.
[٤] م + كذا.
[٥] جميع النسخ: إنه.
[٦] ر م – سبب.
[٧] ر م: نقرأ.
[٨] م: والكاتب.
[٩] جميع النسخ: ذلك.
[١٠] ر: لرسالته.
[١١] جميع النسخ: لا يحتمل.
[١٢] جميع النسخ: لا يحتمل.
[١٣] ن: بذكر.

والثاني ذكر زلّاتهم امتحانا منه عباده أن كيف يعاملون رسلهم بعد ما عرفوا منهم الزلّات وأظهر عنهم العَثَرات، وكيف ينظرون بعين الرحمة والرأفة؟ يمتحنهم بذلك على ما امتحنهم بسائر أنواع المحن.

والثالث ذكر منهم ليعلموا -أعني الخلق- كيف عاملوا[1] ربهم عند ارتكابهم الزلّات والعثرات فيعاملوا[2] ربهم عند ارتكابهم ذلك على ما عامله الرسل بالبكاء والتضرع والفزع إليه والتوبة عن ذلك.[3] *والله أعلم*.

أو أن يكون ذَكَرها ليُعلَم أن ارتكاب الصغائر لا يزيل الوَلاية ولا يُخرجه من الإيمان. وذلك على الخوارج لقولهم:[4] إن من ارتكب صغيرة أو كبيرة خرج من الإيمان. أو أن يكون ذلك ليُعلَم أن الصغيرة ليست بمغفورة، ولله[5] أن يعذب عليها ردا[6] على ما قالت المعتزلة أن ليس لله أن يعذب أحدا على الصغيرة. *والله أعلم*. وزلّات الأنبياء عليهم السلام[7] [من الصغائر في حقهم لقيام النهي، وإن كانت مباحة في نفسها في حق غيرهم وهي ترك الأفضل]،[8] فخافوا عليها، فلولا أنهم عرفوا أن لله[9] أن يعذبهم عليها وإلا لم يخافوا منها كل ما ذكر منهم.

يُذكَر عن الحسن أن داود جزّأ[10] الدهر أربعة[11] أجزاء: يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء بني إسرائيل ويوما لعبّاد بني إسرائيل [يذكّرهم] ويذكّرونه ويُبكيهم ويبكونه. فلما[12] كان يوم بني إسرائيل ذَكَروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه[13] ذنبا؟ فأضمر داودُ في نفسه أنه سيطيق ذلك. قال: فلما كان يوم عبادته غلّق أبوابه وأمر أن لا يُدخَل عليه أحدٌ

[1] أي الأنبياء والأصفياء.
[2] ر: فعاملون؛ ن م: فيعاملون.
[3] جميع النسخ: على ذلك.
[4] جميع النسخ: بقولهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[5] جميع النسخ: ولكن له.
[6] جميع النسخ: وليس.
[7] جميع النسخ + في قلوب الناس.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[9] ر: الله.
[10] جميع النسخ: جزى.
[11] ر م – أربعة.
[12] ر ن: فلم.
[13] ر ث م: به.

فأكبّ على الزبور يقرأها فابتُلي بما ذكروا. قال: ولذلك سُمّي أوابا.[١] *والله أعلم*. وابن عباس وهؤلاء قالوا: إنه كان له تسع وتسعون امرأة، فكان يكون عند كل امرأة يوما فإذا كان رأس المائة يَفرغ للعبادة ففي ذلك اليوم أصابه ما أصابه.*

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **فغفرنا له ذلك**، أي زلته[٣] التي كانت منه وعَثْرَته. وما يقوله[٤] أهل التأويل: إن[٥] ربه أوحى إليه أني[٦] قد غفرت لك، لكن لا بد أن يتعلق بك أُوريا في رءوس الخلائق ثم أَستوهبُك منه وأعوضه[٧] كذا،[٨] فذلك مما لا نقول به ولا نعلم[٩] ذلك، ولا يصح ذلك ولا يستقيم على ما ذكرنا نحن أنه لم يكن منه بأوريا[١٠] ما يلحقه ما يذكرون، إنما أَمَرَه بمجاهدة أعداء الله وكان له أن يأمر إلا أنه عوتب لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يعاتَبون بأدنى شيء كان منهم ويُعَيَّرون على ذلك، لذلك كان ما ذكرنا. وقد عرفنا أنه كان منه شيء عوتب عليه ثم علمنا أن ربه غفر له بقوله عز وجل: **فغفرنا له ذلك**، فأما ما سوى ذلك الذي ذكره أهل التأويل فلا نعرفه، فإن صح شيء منه نقول[١١] به وإلا الترك أولى به وأسلم.[١٢]

وقوله عز وجل: **وإن له عندنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مآب**، يحتمل قوله عز وجل: **له عندنا لزلفى** في باقي عمره، أي له في باقي / عمره ما يُزْلفه لدينا ويُقرّبه[١٣] عندنا. *والله أعلم*. [٦٥٣ظ]
أو أن يكون له زلفى عنده في الآخرة، أي له كرامة ومنزلة. *والله أعلم*.

---

[١] انظر: تفسير *الطبري*، ٦٩/٢٠-٧٠.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٣و/ سطر ٣٠-٣٢.

[٣] م: ذلته.

[٤] م: وما يقول.

[٥] ر م - إن.

[٦] جميع النسخ: أي.

[٧] ن ث: أو عوضه؛ ر م: أو عوض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.

[٨] انظر: تفسير *الطبري*، ٧٤/٢٠-٧٥.

[٩] جميع النسخ: لا يقول به ولا يعلم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.

[١٠] جميع النسخ: أوريا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧و.

[١١] جميع النسخ: يقال. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٠ظ.

[١٢] قال الشارح رحمه الله: «فأما ما سوى ذلك الذي ذكره أهل التأويل فإن صح شيء منه بطريق التواتر نقول به إن كان شيئا يستقيم ذلك من الأنبياء، أو نحمله على تأويل صحيح إن كان لا يستقيم ذلك منهم. فأما ما ثبت بطريق الآحاد فالكف عنه في باب الاعتقاد أولى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٧و).

[١٣] ر: يقربه.

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض**، يحتمل قوله: **جعلناك خليفة في الأرض**،[1] في جملة أهل الأرض من الرسل والأنبياء والملوك وغيرهم على الشريف والوضيع. *والله أعلم*. ويحتمل قوله عز وجل: **جعلناك خليفة في الأرض**، في الرسل خاصة. وكلا[2] التأويلين يرجعان إلى واحد إلا أن أحدهما يرجع إلى الخاص[ة] من الناس والآخر[3] يرجع إلى العامة منهم. *والله أعلم*.

|٦٥٣ظ س٢٥ *ثم يقول قتادة في قوله عز وجل: **إنا جعلناك خليفة في الأرض**، إلى قوله: **بما نسوا يوم الحساب**، يقول: لم يذكر الله عز وجل من شأن داود عليه السلام ما ذكر إلا أن يكون داود قَضَى[4] نَحْبه من الدنيا على طاعة الله والعمل به والعدل فيما ولّاه الله عز وجلّ، ولكنّ الله تعالى وَعَظ نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين موعظة بليغة شافية لِيُعلِم[5] من وُلِّيَ [من] هذا الحكم[6] شيئا أنه ليس بين الله وبين العباد سببٌ يعطيهم خيرا ولا يدفع عنهم به شرا إلا بطاعة الله والعمل ٦٥٣ظ س٣١| بما يرضى. وقوله عز وجل: **إنا جعلناك خليفة في الأرض**، أي جعلنا لك[7] الخلافة فيمن ذكرنا.*

وقوله عز وجل: **فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى**، دلّ قوله عز وجل: **ولا تتبع الهوى** أن النفس قد تهوَى في الحكم بغير حق، حيث قال: **فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى**.[9] ثم لم ينهه عن هوى النفس ولكن نهاه عن اتباع هواها،[10] لأن النفس أُنشئت على الهوى والميل إلى اللذات والشهوات وعلى ذلك طُبعت وبُنِيت، فيكون في هواها إلى ما تهوى مدفوعا

---

[1] ر ث م + يحتمل قوله.

[2] ن: وكلي.

[3] ر م – يرجع إلى الخاص من الناس والآخر.

[4] ن: قصر.

[5] جميع النسخ: وليعلم.

[6] ر م: هذا يحكم.

[7] ر م: جعلناك.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٣ظ/ سطر ٢٥-٣١.

[9] ر ث م – دل قوله عز وجل ولا تتبع الهوى أن النفس قد تهوي في الحكم بغير حق حيث قال فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى.

[10] ر ث م + أن النفس قد تهوى في الحكم بغير حق حيث قال فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى.

غير مالك ولا قادر على دفعه. لذلك لم ينهه[١] عن هواها ولكن نهاه عن اتباع هواها [لأنه قد يملك ترك اتباع هواها][٢] ويقدر على منعها بالعقل وردّها إلى اتباع الحق، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فيضلك عن سبيل الله**، ذكر أنه لو اتبع هواها أضله عن سبيله ولا كل هَوًى إذا اتبعه المرء أضله عن سبيله، لكنه إذا اتبعه في شيء بعد شيء يحمله على الإضلال عن سبيله، إذ من ضل عن سبيله[٣] إنما يضل لاتباعه هواه، كقوله عز وجل: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ،[٤] أخبر أن من اتخذ إلها دونه إنما اتخذه بهواه لا بحجة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**، [يحتمل **بما نسوا**][٥] أي تركوا الأعمال التي تُعمل[٦] ليوم الحساب أو [يحتمل] **بما نسوا**، أي بما تركوا الإيمان به والإقرار. *والله أعلم*.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا**، الباطل هو الفعل الذي يُذَمُّ عليه فاعله،[٧] والحق هو الفعل[٨] الذي يُحمَد عليه فاعله.[٩] وقوله عز وجل: **ذلك ظن الذين كفروا**. لم يظن أحد من الكفرة أن الله خلق شيئا باطلا، لكن يكون خلق ما ذكر من السماوات والأرض وما بينهما من الأهل مخلوقا باطلا على ما عند[١٠] أولئك الكفرة وفي حسبانهم، لأن عندهم أن لا بعث ولا حياةَ بعد ما ماتوا. فكان خلق ذلك كله -لو لم يكن بعث ولا نشور- خلقا باطلا لوجهين.

---

[١] جميع النسخ: لم ينه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[٣] م: من سبيله.
[٤] سورة الفرقان، ٤٣/٢٥.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[٦] جميع النسخ: يعمل.
[٧] جميع النسخ – فاعله. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[٨] ر م – الفعل.
[٩] «بيّن أن خلقه السماوات والأرض لِحِكَمٍ بالغة وعواقبَ حميدةٍ لا أنه خِلْوٌ عن العاقبة حتى يكونَ باطلا عبثا، وهو كقوله: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ (سورة الدخان، ٣٨/٤٤)، وقوله: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٧ظ).
[١٠] ر ن م: عبد.

أحدهما أنه لو لم يكن بعثٌ لحصلَ[1] إنشاؤه إياهم للفناء خاصة، وإنشاء الشيء وبناؤه للفناء خاصة لا لعاقبة تُقْصَد[2] عبث باطل سفه، كقوله عز وجل: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا، إلى آخر[3] الآية، صيّر خلقَه إياهم إذا لم يكن رجوعُ إليه عبثا، لذلك كان ما ذكرنا.

والثاني أنه لو لم يكن بعث لكان خلقهم غيرَ حكمة، لأنه قد جمعهم جميعا في نعيم[4] هذه الدنيا ولذاتها و لم يُفرِّق بين[5] الوليّ والعدوّ. وفي[6] الحكمة التفريق والتمييز بينهما. فلو لم يكن دار أخرى يُفرَّق فيها[7] لكان في خلقهم غيرَ حكيم، وعندهم جميعا أنه حكيمٌ.*

[٦٥٤و س ١٠ *ثم في قوله عز وجل: **ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار**، دلالة لزوم الحجة والوعيد على الظن والجهل وإن لم يتحقق لهم العلم بذلك بعد[9] أن مُكّنوا[10] من العلم وجُعل لهم سبيلُ الوصول إلى معرفة ذلك. وإنما لزمهم ذلك الوعيد والحجة بما هم[11] ضيّعوا[12] معرفة ذلك والعلمَ بها، لأنهم لو تأملوا فيه ونظروا لوقع لهم علم ذلك. لكنهم تركوا علم ذلك وضيعوه[13] فلم يُعذَروا في ذلك. وعلى ذلك نقول في القدرة أو من مُنِع عنه القدرةُ وحِيلَ بينه وبينها كان غير مكلف بها ولا مخاطبٍ ويكون معذورا.[14] ومن لم يمنع عنه ومُكِّن [مِن] ذلك إلا أنه ترك العملَ به كان مكلَّفا به غير معذور، لأنه هو الذي ضَيّع[15] ذلك وتركه بالاختيار، والأول غير مضيّع لها ولا تاركٍ لذلك.[16] وذلك على المعتزلة. *والله الموفق*.* ٦٥٤و س ١٧]

---

[1] جميع النسخ: يحصل.
[2] جميع النسخ: يقصد.
[3] م - إلى آخر. ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا تُرجَعُون﴾ (المؤمنون، ١١٥/٢٣.).
[4] جميع النسخ: في بعثهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[5] جميع النسخ - و لم يفرق بين. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[6] جميع النسخ: في. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٧ظ.
[7] جميع النسخ: لتفرق بينهما.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٣ظ/ سطر ٢٥-٣١.
[9] جميع النسخ - بعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[10] ر ن م: ان مكثوا.
[11] جميع النسخ: لهم.
[12] جميع النسخ: صنعوا.
[13] جميع النسخ: وصنعوه.
[14] جميع النسخ: ولا مخاطبا معذورا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[15] جميع النسخ: صنع.
[16] جميع النسخ + أمر.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ١٠-١٧.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**، هو صلة قوله عز وجل: ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.[١] كان ظنهم أن لا بعث ولا نشور. فيقول -والله أعلم-: إنه لو كان على ما ظن أولئك الكفرة أن لا بعث لكان في ذلك جعلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات في هذه الدنيا كالمفسدين في الأرض وجعلُ المتقين كالفجار؛ إذ قد سوّى بينهم في هذه الدنيا وجمعهم في لذاتِ هذه الدنيا وشهواتها وفي حسناتها وسيئاتها، وفي الحكمة التفريقُ بينهما والتمييزُ وقد سوّى بينهما في الدنيا على ما ذكرنا من جمعهم في المحنة بالخير والشر. فلو كان على ما ظن أولئك أن لا بعث ولا حياة لكان ذلك جمع وتسوية بين الولي والعدو. وفي الشاهد من سوّى بين من عاداه وبين من والاه وجمع بينهم في البِر والجزاء كان سفيها غيرَ حكيم. فعلى ذلك الله سبحانه لو لم يجعل دارا أخرى يفرق بينهما فيها كان[٢] غير حكيم، إذ قد سوّى بينهما وجمع. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثم من الناس من يقول يجب أن يفرق بينهما في الدارين جميعا: / في الدنيا والآخرة، [٦٥٤و] وقد فعل حيث سَمّى هؤلاء ضُلّالا وهؤلاء مؤمنين وخذل الكفار وأذلّهم ووفّق المؤمنين وأعزهم، وهو قول المعتزلة.

ولكنا نقول:[٣] لا يجب ذا في الدنيا ولكن إنما[٤] ذا في الآخرة، لأن الدنيا دار محنة وابتلاء يُمتحَن الفريقان جميعا بالخير مرة والشر ثانيا، وبالحسنة[٥] تارة وبالسيئة أخرى على ما أخبر، حيث قال عز وجلّ: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[٦] وما ذكر: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[٧] الآية،

[١] الآية السابقة.

[٢] م - كان.

[٣] جميع النسخ: ومنهم من يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.

[٤] ر م - ذا في الدنيا ولكن إنما.

[٥] ر: والجنة.

[٦] ﴿وقطّعناهم في الأرض أُمَما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٨).

[٧] ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٣٥).

أخبر عز وجل أنه يمتحنهم ويبتليهم بالخير والشر وبالسيئة والحسنة، وذلك للفريقين جميعا على ما ذكرنا[1] من جمعه إياهم جميعا في الحالين، فإنما هي[2] مجعولة للجزاء[3] خاصة فهنالك يقع التفريق والتمييز بينهما لا فيما فيه المحنة والابتلاء. *والله أعلم*. وأما قولهم: إنه قد فرّق بينهما حيث سمّى هؤلاء ضُلّالا وهؤلاء مؤمنين، وخذل هؤلاء ووفّق أولئك، فليس ذلك[4] بتفريق بينهما، لأنه إنما سمّاهم ضلالا كفرة بفعلهم الذي اختاروه وصنعوا، أو أمرٍ[5] آثروه[6] على غيره فإنما هو تسمية[7] فعلِهم لا جزاءٌ يُجزون[8] [به]. *والله أعلم*.*

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته**، سماه مباركا لأن من اتبعه وتمسّك به وعمل بما فيه صار شريفا مذكورا عند الناس عظيما على أعينهم وقلوبهم، وذلك أثرُ المبارك وعملُه؛[10] إذ[11] يَنَال [به] كل برّ وخير[12] ويكون[13] أبدا على الزيادة والنماء. *والله أعلم*. وقوله: **ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**، أخبر أنه أنزله ليدبروا[14] في آياته [و]ليعرفوا ما لهم وما عليهم وما يُؤتى وما يتقّى؛[15] [إذ] إنما يعرف ذلك بالتأمل والتدبر والتفكر. وقوله: **وليتذكر أولوا الألباب**، أي ليتذكر وليتّعظ أولوا الألباب مما فيه من المواعظ والآداب وغير ذلك.

---

[1] ر: على ما ذكره زا.
[2] أي الآخرة.
[3] جميع النسخ: الجزاء.
[4] ر - ذلك.
[5] ن م: أمرا.
[6] ر م: آثره.
[7] ر م: يسميه.
[8] ر م: يخرجون.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ١٠-١٧.
[10] جميع النسخ: وذلك عمل المبارك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[11] جميع النسخ: أن. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٢و.
[12] ر: كل خير وبر.
[13] جميع النسخ: يكون. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[14] جميع النسخ: ليدبر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[15] ر ن م: وما نوى وما يبقى.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٣٠]

وقوله: **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أوّاب**. أثنى الله عزّ وجلّ على داود وابنِه سليمانَ عليهما الصلاة والسلام بالأَوْبَة إليه والرجوع، وهو ما قال عز وجل في داود عليه السلام: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ،[1] [وقال في سلميان: **نعم العبد إنه أواب**][2] ثم[3] فسر ما[4] الأواب؟ وقال في سليمان عليه السلام: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ،[5] إلى آخر ما ذُكِر، دلّ ذكر قوله عز وجل: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ، على إثر قوله: **إنه أواب**، أنه إنما كان أوابا بالذي ذكر منه، لأن حرف "إذ" لا يذكر إلا عن شيء سبق. وسمى[6] عز وجل داود عليه السلام أوّابا بما ذكر من تسبيحه بالعشي والإشراق والفزع إليه بما يَنُوبه.[7] ***والله أعلم***.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد**، قيل:[8] **الصافنات** هو الخيل. وقال بعضهم: **الصافنات** هن القائمات على ثلاث قوائم رافعاتٍ إحدى الرجلين أو إحدى اليدين على طرف الحافر. وقال بعضهم: **الصافنات** هن القائمات لا غير. وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من تمنّ أن يقوم له الرجال صُفُونًا،[9] أي قياما، فَلْيَتَبَوَّأ مقعدَه من النار»[10] أو كلام نحوه. **والجِياد**، قيل: السِراع. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم: صفونها[11] قيامها وبسطها قوائمَها. [٦٥٤و س٣٩]

---

[1] الآية ١٧ من هذه السورة.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[3] ر م - ثم.
[4] م: نا.
[5] الآية التالية.
[6] جميع النسخ: يسمي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[7] جميع النسخ: هو به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨و.
[8] جميع النسخ: وقيل.
[9] ر م: صفوفا.
[10] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤، ٩١، ٩٣؛ و*الأدب المفرد* للبخاري، ٣٣٩؛ و*سنن أبي داود*، الأدب ١٥٢؛ و*سنن الترمذي*، الأدب ١٣.
[11] م: صفوفها.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ٣٩.

[٦٥٤ظ س٢٥ *وقال القُتَبِي: **الصَّافِنَاتُ الجِيادُ**، يقال: هي القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت[1] [اليد] الأخرى على طرف الحافر من يد كان أو من رجل. والصافن في كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها على ما ذُكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سرّه أن يقوم له الرجال صُفُونا فليتبوأ مقعده من النار»[2] أي يديمون له القيام.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: الجياد

٦٥٤ظ س٢٩] من الخيل السِراع. والواحد جواد. ورجل جواد أي سخي وقوم أجواد.[4]*

[٦٥٦و س٥] *والأصفاد الأغلال التي يشد[6] بها الأيدي إلى العنق.*

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب،** دل ما سبق من ذكر الصافنات الجياد بالعشي على أن قوله عز وجل: **حتى توارت بالحجاب،** إنما أراد به تواري الشمس بالحجاب؛ إذ ليس شيء يتوارى بالحجاب في ذلك الوقت سوى الشمس.* ثم قوله عز وجل: **حُبَّ الخير**، يجوز أن يُكَنَّى بالخير[9] عن الخيل نفسه، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة»،[10] سَمَّى الخيلَ خيرا. فعلى ذلك قوله تعالى: **إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي. *والله أعلم*.**[11]

[٦٥٤و س٣٤ *ثم قوله عز وجل: **إني أحببت حب الخير،**[12] إذ المحبة يجوز أن يكنى بها عن الإيثار. ***والله أعلم***. والثاني [فيه تقديم وتأخير مع الجري على حقيقة لفظ المحبة، معناه:][13]

---

[1] جميع النسخ: قامت. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٩.

[2] عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سرّه أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار» قد مر بيانه.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٩.

[4] ر ن ث + أي. *تفسير القرطبي*، ١٥/١٩٣؛ *وروح المعاني* للآلوسي، ٢٣/١٩٠.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٣، فنقلناه إلى هنا. انظر: ٦٥٤ظ/ سطر ٢٥-٢٩.

[6] ر م: يشتد.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦و/ سطر ٥.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية، فذكرناها إلى بعد أسطر. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ٣٤-٣٦.

[9] ر ث م: الخير.

[10] *صحيح البخاري*، المناقب ٢٨؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ٩٦-٩٩؛ *وسنن أبي داود*، الجهاد ٤١.

* وقع هنا سطر من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ٣٩.

[12] جميع النسخ + حتى شغلني عن ذكر ربي.

[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ظ.

إني أحببت[١] الخير حبا حتى شغلني عن[٢] ذكر ربي حتى توارت الشمس بالحجاب على التقديم والتأخير. ***والله أعلم***.* [٦٥٤و س٣٦]

*[قال أبو عَوْسَجَة:] **أحببتُ** أي آثرتُ الخيرَ أي المال على ذكر ربي. |٦٥٤ظ س٢٥

وفي حرف حفصة: إني[٤] ألهاني حبُّ الخير عن ذكر ربي، أي شغلني.[٥]* [٦٥٤ظ س٢٦]

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: / **ردوها عَلَيَّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق**. قال عامة أهل التأويل: [٦٥٤ظ] أي جعل يَعقِر سُوق الخيل ويضرب أعناقها -والسوق هو جماعة الساق- لِما شغلته عن ذكر ربه -وهي صلاة العصر- حتى غفل عنها فجعل يقطع سوقها[٧] ويضرب أعناقها كفارةً عما شُغِل عن ذكر ربه. ثم إن ثبت ما ذكروا من عَقْر السوق والأعناق أنه على الحقيقة فهو يخرج على وجهين. أحدهما أنه كان ذلك في شريعته جائزا[٨] وإن كان في شريعتنا لا يجوز نحوَ ما ذُكر عنه من تعذيب الهدهد وغيره حين تفقّده و لم يجده، حيث قال عز وجل: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ،[٩] الآية، فمثله لا يجوز[١٠] في شريعتنا. فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذكروا[١١] من عقر الخيل وضرب الأعناق له جائزا وإن كان ذلك لا يجوز عندنا. ***والله أعلم***. أو أن يكون ذلك منه قبل النهي عن القتل[١٢] ثم جاء النهي عنه بعد ذلك فحُرِم[١٣] عليه ذلك وعلينا جميعا.

---

[١] ر م + حب.

[٢] جميع النسخ: خير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ظ.

* وقع ما بين النجمتين قبل أسطر، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤و/ سطر ٣٤-٣٦.

[٤] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ظ.

[٥] جميع النسخ: أشغلني. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٢ظ.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤ظ/ سطر ٢٩-٣٠.

[٧] جميع النسخ: ساقها.

[٨] م: جائز.

[٩] سورة النمل، ٢٧/٢٠-٢١.

[١٠] جميع النسخ + تعذيب الطير.

[١١] ث: ذكر.

[١٢] ن: عن الميل.

[١٣] جميع النسخ: فخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٣٨ظ.

وجائز أن يخرج تأويل الآية على غير حقيقة عقر الساق وضرب الأعناق، لكن ما ذكر من الأعناق يكون كناية عن الذبح، وقوله عز وجل: **فطفق مسحا بالسوق** كناية عن التسليم إلى الناس. أو أن يكون ما ذكر من المسح بالساق والأعناق كناية عن مسح وجهها ورأسها بعد ما رَدّوها عليه والتسليمِ إلى الناس من غير أن كان هناك عقر أو ذبح: أو [يكون] كفارةً عما غَفَل عن ذكر ربه.[1]

قال الحسن: قال سليمان عليه السلام: لا، والله لا تَشغَلِيني عن عبادة ربي آخرَ ما عليك، [٦٥٤ظ س٢٠ فكسف[2] عراقيبها[3] وضرب أعناقها. *وعن الحسن في قوله عز وجل: **رُدّوها عليّ فطَفِق مسحا بالسُّوق والأعناق،** قال: كسف[4] عراقيبها[5] وضرب[6] أعناقها فأبدله الله خيرا منها وأسرع: **اَلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ،**[7] الآية. قال أبو معاذ: قوله عز وجل: **فطفق مسحا بالسوق والأعناق،** يقول العرب: مسح عِلاوته[8] بالسيف مسحا أي ضربها. وقال القُتَبي: قوله عز وجل: **فطفق مسحا،** أي فأقبل[9] يمسح بضرب[10] سوقها وأعناقها.[11] قال أبو عوسجة: **فطفق** أي أخذ وجعل ٦٥٤ظ س٢٥] يمسح أي يقطع، يقال: مسح عنقه، أي قطعها.*

ثم اختلف في ذلك الخيل التي عرضت عليه فشغلته عن ذكر الله ففعل ما ذكر. قال بعضهم: إنها خيول أخرجها الشياطين من مروج البحر لسليمان عليه السلام لها أجنحة تعدو[12] وتطير.

---

[1] قال السمرقندي: «ويحتمل أن يكون مسح السوق والأعناق كناية عن الذبح على سبيل التقرب إلى الله تعالى مثل ذبح الهَدْي ونَحْر البُدْن، ويكون ذبح الخيل مشروعا في شريعته» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٤٨ظ).

[2] كسف الشيءَ يَكْسِفه كَسْفًا وكَسَّفَه، كلاهما: قطعه (*لسان العرب*، «كسف»).

[3] جميع النسخ: والله لا يَشْغُلَنّ عن عبادة ربي أحدُ ما عليك لكن كَشف عراقبها. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٨٦/٢٠. العرقوب: العصب الغليظ الْمُوَتَّر فوق عقب الأسنان. وعقروب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها. وعَرْقَبَ الدابة: قطع عرقوبها (*لسان العرب*، «عرقب»).

[4] ر ث م: كشف.

[5] جميع النسخ: عراقبها.

[6] ر: أو ضرب.

[7] ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب﴾ الآية ٣٦ من هذه السورة.

[8] جميع النسخ: غلافه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ظ. العلاوة من كل شيء ما زاد عليه. والعلاوة ما يوضع على البعير بعد تمام حِمْله من سقاء وغيره (*المعجم الوسيط*، «علو»).

[9] ن: فاصل.

[10] جميع النسخ: يضرب. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٩.

[11] المرجع السابق، نفس الورقة.

* وقع ما بين النجمتين بعد أسطر، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٤ظ/ سطر ٢٠-٢٥.

[12] جميع النسخ: تعدوا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين٤٢٦، ورقة ٤٣و.

وقال بعضهم: لا، ولكن كانت خيلا ورثها من أبيه داود عليه السلام وكان داود عليه السلام أصابها من العَمَالِقَة. وقال: وما بقي اليومَ في أيدي الناس من الخيل فمن نسل بقية تلك الخيل. *والله أعلم*. وقال بعضهم: لا، ولكن أهل دمشق من العرب وأهل نَصِيبِينَ جمعوا جموعا لسليمان عليه السلام فأصاب منهم ألفَ فرس عِراب،[١] فعُرِض عليه الخيلُ حتى شغلته عن ذكر ربه ففعل ما ذكر من قطع العراقيب[٢] وضرب الأعناق.[٣] *والله أعلم*.*

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب**، اختلف أهل التأويل في سبب فتنة سليمان عليه السلام الذي ذَكَر أنه عز وجلّ فَتَنَه[٥] وأنه ألقى على كرسيه جسدا اختلافا كثيرا بيّنا[٦] ما يطول الكتاب بذكر كل ما ذكروا. ولا ندري[٧] أكان ذلك سبب افتتانه أم لا، مع علمنا أن ذلك كله لم يكن سبب فتنته،[٨] إن كان فإنما[٩] كان واحدا منها، ولا ندري ما هو؟ لذلك تركنا ذكر ما ذَكَر أولئك أنه كان سبب افتتانه.[١٠]

ثم يخرج قوله عز وجل: **ولقد فتنا سليمان** على وجهين. أحدهما أنه امتُحن بأمر فكان منه في ذلك زلة وغفلةٌ فعوقب بما ذَكَرَ وعوتب بنزع ملكه. والثاني أنه فتنه[١١] وامتحنه بنزع ملكه منه لا بزلة منه ولا عَثْرة وصَرَفه إلى غيره لا بسبب كان منه وزلة[١٢] ويجعله لغيره.

---

[١] جميع النسخ: عرات. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٨ظ.

[٢] جميع النسخ: العراقين.

[٣] ر + وضرب أعناقها.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية هذه، وقطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٣١ ورقم ٣٢ فنقلنا كلا منها إلى محله. انظر: ورقة ٦٥٤ظ/ سطر ٢٠- ٢٦.

[٥] ر م: فتنة.

[٦] ر: اينا.

[٧] ث: ولا يدرى.

[٨] ر: فتنة.

[٩] جميع النسخ: قائما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩و.

[١٠] م: افتتانه.

[١١] ر: فتنة.

[١٢] «بل كان ذلك من الله تعالى في حقه ابتداء امتحان وافتتان وله أن ينزع ملكه عنه بلا سبب كان منه ولا زلة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٩و).

ثم إن كان نَزْع[1] الملك منه بأدنى سبب كان منه وزلة فعوتب[2] لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا مخصوصين بالعتاب والتعيير بأدنى شيء يكون منهم مما يُعَدّ[3] ذلك الذي كان منهم من أفضل الأعمال [لغيرهم][4] على ما ذكرنا فيما تقدم.[5] ثم [ما] كان منهم من التوبة والتضرع إلى الله عز وجل بالذي كان منهم لِما عرفوا لأنفسهم من الخصوصية لهم من الكرامات والفضائل التي

[٦٥٥و] خُصُّوا[6] بها. فرأوا على أنفسهم بما[7] أُكرموا من / أنواع الكرامات والفضائل التي خصوا هم بها من التوبة لله وفضل التضرع والابتهال إلى الله لما رأوا ما ارتكبوا كفرانا له فيما أنعم عليهم وأحسن إليهم فضلَ تضرعٍ وابتهال ما لا يلزم ذلك غيرهم في مثل ما كان منهم. **والله أعلم**.

[٦٥٥ظ س ٣٢] *ثم اختلف في سبب[8] فتنة سليمان عليه السلام وفي ذنبه. قال بعضهم: وذلك أن الله تعالى أمره أن لا يتزوج[9] امرأة إلا من بني إسرائيل فتزوج[10] امرأة من غير بني إسرائيل وجعل لها صنما: فعُبد في بيته كذا كذا يوما فابتلاه الله بسلب ملكه عقوبةً له على قدر ما عُبد من الصنم في بيته. وقال بعضهم: كانت فتنة سليمان عليه السلام التي ذُكر في ناس[11] من أهل الجَرَادَة، وكانت الجرادة امرأتَه وكانت من أحب نسائه إليه. وكان إذا أراد أن يُحدِث[12] أو يدخل الخلاء أعطاها خاتَمه. وإن ناسا[13] من أهلها جاءوا يخاصمون قوما إلى سليمان. قال:[14] وكان سليمان أحبَّ أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضيَ لهم فعوتب حيث[15] لم يكن هواه فيهم واحدا.[16] وهو قول ابن عباس.[17]

---

[1] ر ث م: بنزع.
[2] جميع النسخ: فعوقب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩و.
[3] جميع النسخ: ما يعد. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة مدينة، ورقة ٧٦٣و.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٩و.
[5] انظر مثلا: تأويل الآية ٧٥ من سورة الصافات.
[6] جميع النسخ: خصوهم. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٣و.
[7] ن: لما.
[8] م – سبب.
[9] م: أن يتزوج.
[10] ر ث: فيتزوج.
[11] ن ث: في ما بين.
[12] جميع النسخ: يحنث.
[13] جميع النسخ: وإن ناس.
[14] أي بعض أهل التأويل.
[15] جميع النسخ: حين.
[16] وفي *الشرح*: «حيث لم يكن هوى سليمان وميله فيهم واحدا» (ورقة ٦٤٩و).
[17] انظر للتفصيل: *تفسير الطبري*، ٢٠/٩١-٩٢.

وقد ذكرنا نحن على أنه يجوز أن يكون نزع الملك منه وما ذكر فتنته[١] إياه بلا زلّة ولا سبب كان منه ابتداءَ محنةٍ وابتلاء. وذلك جائز، ولله[٢] أن يفعل ما يشاء بمن شاء وكيف شاء من نزع الملك وغيره. *والله أعلم*.* [٦٥٥ظ س٣٩]

وقوله عز وجل: **وألقينا على كرسيه جسدا**، يحتمل أن يكون كرسيُّه ملكَه، فيكون ما ذكر كناية عن نزع ملكه. وجائز أن يكون ما ذكر من إلقاء الجسد على كرسيه حقيقة الكرسي أُلْقى عليه جسدا يشبه جسدَ سليمان في الجسمية لا في العلم والمعرفة والبصر وما كان فيه من الكرامات، كقوله عز وجل: عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ،[٤] أي عجلا مجسَّدا في الجسدية لا أنّ جسدَ العجل الذي اتخذه هو جسدُ العجل المعروف، فعلى ذلك قوله عز وجل: [وألقينا] **على كرسيه جسدا**، يشبه جسدَ سليمان في الظاهر في الجسدية لا أن[٥] جسده كجسد سليمان فيما فيه من اللحم والبصر وغير ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثم أناب** يحتمل وجهين. أحدهما [أناب إلى المُلْك، أي رجع الملك إليه إن كان نُزِع منه. والثاني] **ثم أناب** إلى الله تعالى ورجع إليه بجميع أموره إن كان فيه زلة وعثرةٌ [فتاب عليه].[٦] **وأناب**: رجع[٧] وأقبل أو تاب. *والله أعلم*.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **قال رب اغفر لي وهب لي ملكا**، يحتمل سؤاله المغفرة عند سؤاله الملك أمرًا فيما بينه وبين ربه، لأن الملك مما يُتَلذّذ به وفيه هوى النفس. وعلى ذلك خرج سؤال زكريا عليه السلام لمَا سأل ربه عز وجل الولدَ سأل أمرا بينه و بين ربه في ذلك، وهو ما قال: رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً.[٨] وكذلك إذا خرج[٩] سؤال الأنبياء فيما سألوا مما فيه اللذة وهوى النفس من الولد وغيره قَرَنُوا في ذلك السؤال أمرا بينهم وبين ربهم،

---

[١] ر م: فتنة.

[٢] ر: والله.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٥ظ/ سطر ٣٢-٣٩.

[٤] ﴿واتخذ قومُ موسى من بعده من حُلِيِّهم عجلا جسدا له خُوار﴾ (سورة الأعراف، ١٤٨/٧).

[٥] جميع النسخ + في أن.

[٦] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٦٤٩و.

[٧] ر م: ورجع.

[٨] سورة آل عمران، ٣٨/٣.

[٩] جميع النسخ: ولذلك خرج. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ٤٣ظ.

فعلى ذلك سؤال سليمان عليه السلام بالملك قرنه بالمغفرة لذلك.[1] ثم يحتمل سؤاله المغفرةَ نفسَها عما يكون منه من التقصير في ذلك. أو يكون سؤاله المغفرة سؤالَ الأسباب التي بها تكون[2] المغفرةُ لا نفسَ المغفرة، نحو قول نوحٍ عليه السلام لقومه: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[3] وقولِ هودٍ عليه السلام: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ؛[4] [لأنه][5] لا يحتمل أن يأمروا قومهم أن قولوا: نستغفر الله،[6] ولكن أمروهم أن يأتوا بالأسباب التي بها يصيرون أهلا للمغفرة وبها يستوجبون التجاوز، فعلى ذلك يحتمل سؤال المغفرة ما ذكرنا. **والله أعلم**.

ثم [قوله: **وهب لي ملكا**]، يحتمل سؤاله الملك -والله أعلم- أنه أراد أن يستسلم له الخلق في الإجابة إلى ما يدعو[7] إليه من وحدانية الله تعالى وجَعْلِ العبادة له، لِما رأى أن إجابة الناس وإقبالهم إلى ما عنده من السعة والغنى[8] أسرع ولقوله أقبل ورغبتَهم[9] فيه أكثر. وإذا كان ما ذكرنا -وهو متعارف فيما بينهم: أن إجابتهم أعني إجابة الناس للملوك ولمن عنده السعة والغنى أسرع لهم وأطوع- فكان في سؤاله الْمُلكَ له نجاةُ[10] الخلق كلهم بما[11] يستسلمون له ويجيبون إلى ما يدعوهم إليه فيَنْجَون نجاةً لا هلاك[12] بعدها.[13] **والله أعلم**.

ثم قوله عز وجل: **هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي**، يحتمل وجوها. أحدها أنه سأله ملكا لا يُنزَع عنه بعدُ؛ إذ نُزِع مرة على ما يقوله[14] أهل التأويل. والثاني سأل ربه ملكا

---

[1] جميع النسخ: والملك قرنه بالمغفرة في ذلك. والتصحيح من المرجع السابق، نفس الورقة.

[2] جميع النسخ: يكون.

[3] سورة نوح، ١٠/٧١.

[4] ﴿ويا قومِ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يُرسلِ السماءَ عليكم مِدْرَارًا ويَزِدْكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (سورة هود، ٥٢/١١).

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٩و.

[6] جميع النسخ: يستغفر الله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٣ظ.

[7] ر م: يدعوا.

[8] ر: والغناء؛ م: والغنا.

[9] جميع النسخ: ورعيتهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.

[10] ن: بجاه.

[11] ن ث: لما.

[12] ر م: نجاة الاهلاك.

[13] جميع النسخ: بعده.

[14] ن ث م: يقول.

لا يكون لأحد ما بقي هو حيا[١] فيكون له آية لنبوته[٢] على ما ذكرنا، إذ[٣] لو كان مثله لأحد منهم فلم يكن له في ذلك آية[٤] لنبوته. والثالث سأله ملكا ليبقى له الذكر والثناء الحسن كقول الناس: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وباركت على إبراهيم، ونحوه. فعلى ذلك جائز أن يكون سليمان عليه السلام أراد أن يكون مذكورا على ألسن الخلق بالثناء[٥] الحسن بالملك الذي سأله. *والله أعلم*.

* دلَّ قولُ سليمان عليه السلام ودعاؤُه ربَّه باستهابة المُلك: **قال رب اغفر لي وهب لي ملكا** [٦٥٦و س د
لا ينبغي لأحد من بعدي [إنك أنت الوهاب]، على أن الملك الذي أعطاه لم يكن حقا عليه؛ إذ لو كان حقا له لكان[٦] لا يستوهبه ولا يقول له: **إنك أنت الوهاب**، ولكن يقول له: أعطني حقي؛ إذ كلّ طالبِ حقٍ له قِبَل آخر لا يوصف إذا أعطاه إياه أنه وهابٌ ولكن مؤدي حقٍ عليه. ويدل هذا أيضا على أنْ ليس على الله حفظُ الأصلح في الدين؛ إذ لو كان عليه حفظ الأصلح في الدين، وأعطى الآخرَ، لكان لا يستوهب الملك؛ إذ كان الملك له أصلحَ في الدين ولكن يقول: أعطني حقي. فدلّ استيهابه[٧] منه الملكَ على أنْ ليس عليه حفظُ الأصلح في الدين ولا إعطاء[٨] الأخير وأنَّ له أنْ لا يعطيه وإن إعطاء الملك له فضل منه ورحمة. *والله أعلم*.[٩]

فإن قيل: فيه تفضيل الغنى والسعة على الفقر والضيق لِما أنّ الله عز وجل جعل الغنى والسعة آية من آيات النبوة والرسالة ولم نر[١٠] الفقر والضيق جعلهما آية من آيات النبوة، فهلّا دلّ جعلُ الغنى آية من آيات النبوة على أنه أفضل من الفقر؟

---

[١] جميع النسخ: وحي.
[٢] ر: في نبوته؛ ر ن م + على انه لنبوته.
[٣] ر – إذ.
[٤] جميع النسخ: انه.
[٥] ن: بالنباء.
[٦] ث + حقا له لكان.
[٧] ر ث م: استهابة.
[٨] جميع النسخ: ولا أعطى.
[٩] قال السمرقندي: «وعند المعتزلة: أن ما كان أصلح للخلق فإعطاء ذلك كان حقا على الله تعالى، والملك أصلح له حيث أعطاه. فلو كان حفظ الأصلح في الدين واجبا على الله تعالى وكان ذلك حقا لسليمان عليه السلام لا يستوهب الملك منه بل يطالبه بأداء حقه. ولما سماه وهابا وحيث استوهب وسماه وهابا دل أن الأصلح في الدين ليس بواجب على الله تعالى. فتكون الآية حجة على المعتزلة. لكنّ الملك فضل ورحمة من الله تعالى يُعطي من شاء في حقه الفضلَ ويَحرِم من شاء. والله الهادي» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٤٩ظ).
[١٠] جميع النسخ: لم ير. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٤و.

يقال لهم: إن الغنى والملك إنما جعلهما[1] آية لرسالة نبي واحد، وأكثرُ الأنبياء عليهم السلام كانوا فقراء وأهل الحاجة والضيق في أمر الدنيا. فمهما كانوا ما ذكرنا من الضيق والفقر وقلة أعوانهم وأنصارهم نفذ[2] قولهم وظَهَر [دينهم، وأجاب الناسُ][3] إلى ما دَعَوْهم[4] [إليه] وهو التوحيد والإسلام، مع وجود رغبة الناس فيمن عنده السعة والغنى ونِفارهِم وقلةِ رغبتهم ممن عنده الفقر والضيق. فدل اختيار أكثر الأنبياء الحالَ التي ينفر طباع الناس عنها على الحال التي يرغبون فيها مع حرصهم ورغبتهم في الدين على أن الحال التي اختاروا هم[5] أفضل وأخْيَرُ من الحال الأخرى. *والله أعلم*. وكذلك قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ،[6] نهاه أن يمدّ عينيه إلى ما مُتِّعوا هم؛[7] على العلم منه أنه[8] لو مدّ عينيه إلى ذلك واختاره[9] إنما يمد ويختار لسعة قومه وأصحابه في أبواب البر[10] والخير، وأنه لا يختار ولا يأخذ إلا ما يحل ويَطِيب. فدل النهي عما ذكر -على العلم منه ما وصفنا- على أن ذلك أفضل من الآخر. *والله أعلم*.* [٦٥٦و س٢٤]

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[٣٦]

وقوله[12] عز وجل: **فسخرنا له الريح تجري بأمره**، بين ما أعطاه من الملك بما ذكر من تسخير الريح له والجن والشياطين وغير ذلك ما لم يكن ذلك لأحد من ملوك الأرض سواه.[13] وهذا يدل على أن تسخير هذه الأشياء التي ذكر أنه سخرها لسليمان عليه السلام

[1] جميع النسخ: جعله.
[2] جميع النسخ: بعد.
[3] جميع النسخ + ما دعوا الناس. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.
[4] ر ث م: إلى ما دعواهم.
[5] ر م: اختاروهم.
[6] سورة الحجر، ١٥/٨٨.
[7] ر ن م: متعوهم.
[8] ر ث م: أن.
[9] ر ن م: ويختاره.
[10] ر ث م: الشر؛ ن: السير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦و/ سطر ٥-٢٤.
[12] ن: ثم قوله.
[13] ن: لسواه.

كان بلطف من الله تعالى، لا يكون ذلك بالحيل،[١] إذ لا يملك أحد من الخلائق تسخير[٢] ما ذكر من الخلق لنفسه. ولو كان يملك ذلك بالحيل[٣] لكان يعني لذلك، مع العلم أن كل مَلِك لا يترك لنفسه من الحيل[٤] ما يزيد في مُلكه[٥] ويُبقيه إلى ما يبقي[٦] وهو حي.[٧] فإذ لم يكن دل أنه إنما كان لسليمان ذلك بالله لطفا منه[٨] ليكون آية من آيات النبوة. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **تجري بأمره رخاء حيث أصاب**. وصف تلك الريح باللِّين[٩] والرِّخوة في هذا الموضع، وقال في آية أخرى: [وَلِسُلَيْمَانَ] الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ،[١٠] وصفها بالشدة. فجائز أن تكون[١١] هي في أصل الخلقة شديدة.[١٢] لكنها صارت لسليمان عليه السلام لَيِّنة سَهْلة.[١٣] وقال قائلون: هي وقتَ الحمل شديدة لكنها تصير بالسير لينة سهلة. ***والله أعلم***. أو أن تكون[١٤] لينة له بالأمر الذي ذكر، حيث قال عز وجل: **تجري بأمره رخاء**.[١٥] أو أن يكون[١٦] قوله عز وجل: عاصِفَةً على أعداء الله رُخَاءً ليّنة على أوليائه. ***والله أعلم***.

---

[١] ر ث م: بالخيل.

[٢] ر م: تسخيرها.

[٣] ر م: بالخيل.

[٤] ر م: الخيل.

[٥] ر م: من ملكه.

[٦] جميع النسخ: بقي.

[٧] جميع النسخ: هو وحي.

[٨] م: من الله.

[٩] ر: بالليل؛ ن: بالله.

[١٠] م + رخاء. ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٨١/٢١).

[١١] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.

[١٢] ث: لشديدة.

[١٣] م: وسهلة.

[١٤] جميع النسخ: أو أن يكون.

[١٥] ر ث م – لينة له بالأمر الذي ذكر حيث قال عز وجل تجري بأمره رخاء. ن + وقوله عز وجل حيث أصاب أي حيث أراد وقصد.

[١٦] ن + وقوله عز وجل حيث أصاب أي حيث أراد وقصد أو أن يكون.

ثم فيما ذكر من جري[1] الريح بأمره حيث أراد وقصد[2] لطف [من][3] الله عز وجل لسليمان
[٦٥٥ظ] عليه السلام حين جعله بحيث / يفهم الريحُ مراده ويفهم هو منها ما أرادت حتى كان يستعملها فيما[4] شاء وحيث شاء.[5] وكذلك ما فَهِم من نطق الطير وكلامه وكلام النمل الذي ذكر وتفهم[6] هي منه،[7] فذلك كله بلطف منه له ورحمة.

[٦٥٥ظ س٣٩] *وقال القُتَبِي / وأبو عَوْسَجَة: **رُخاءً** أي رِخوة ليّنةً،[8] وهو من اللِّين. ويقال: رجل رِخْوٌ
[٦٥٦و س٢] أي ضعيف في عمله، وقوم[9] رِخاء. قال: والرُّخاء الساكن. ويقال استرخى، أي سكن.*

[٦٥٦و س٤] *وقوله عز وجل: **حيث أصاب** أي أراد. قال الأصمعي:[11] العرب تقول:[12] أصاب الصواب
[٦٥٦و س٥] فأخطأ الجواب، أي أراد الصوابَ.*

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[٣٧]

وقوله عز جل: **والشياطين كل بناء وغواص،** أي سخرنا له الشياطين حتى يستعملهم فيما[14] شاء: بعضهم في البناء وبعضهم في الغوص في البحر لاستخراج ما فيه من الأموال، ليتفرغ الناسُ بعبادة الله[15] والخدمةِ [و]لا يكونَ لهم شُغل في البنيان ولا في مئونة أنفسهم. *والله أعلم.*

---

[1] جميع النسخ: جرية.
[2] ر + وأن يكون قوله عز وجل؛ ن ث – وقصد؛ م + أو أن يكون قوله عز وجل.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٤٩ظ.
[4] جميع النسخ: فيم.
[5] ر م – وحيث شاء؛ ث: حيث شاء.
[6] جميع النسخ: ويفهم.
[7] انظر: سورة النمل، الآية ١٦ وما بعدها.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٧٩.
[9] ر: أو قوم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٥ظ/ سطر ٣٩– ٦٥٦و/ سطر ٢.
[11] ر: لاصمع.
[12] جميع النسخ: يقول.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦و/ سطر ٤–٥.
[14] ر ن م: فيم.
[15] م – الله.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **وآخرين مقرنين في الأصفاد**، وآخرين الذين[1] لم يطيعوه فيما أمرهم من الأعمال في البناء والغوص وغير ذلك من الأعمال جَعَلَهم في الأصفاد،[2] وهي الأغلال يجعل[ها] في الأعناق ليدفع شرهم وسوءهم عن الخلق حيث لم يطيعوه فيما أمرهم بالعمل للخلق ليتفرغوا للعبادة. وفيه ما ذكرنا من آية عجيبة لسليمان عليه السلام واللطف له حيث مَكّن له من استعمال ما ذكر من الجن والشياطين والريح وسَخّر له ذلك لِيُعلَم أنه إنما قدر على ذلك بلطف منه لا بالحيل[3] والأسباب.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**. قال عامة أهل التأويل: هذا [عطاء الله] في الشياطين التي ذَكَر أنه سخّرها له في العمل وآخرين في جعله إياهم في الأصفاد، خيّره بين أن يَمُنّ على من شاء منهم فيُخلّي سبيلَه وبين أن يُمسك من شاء منهم فلا يخلي سبيله. وقال بعضهم: ذلك التخيير في الشياطين وفي جميع ما أعطاه له من الملك. يقول: إن شئت تَمُنّ فتعطيه[4] من شئت وإن شئت أمسكت فلا تعطي[5] أحدا شيئا، ولا تَبِعةَ عليك في ذلك الإعطاء ولا في الإمساك. **والله أعلم**. وجائز أن يكون لا على التخيير ولكن امتَحنَ[ه] بالإعطاء لقوم والمنع عن قوم، فيقول: **هذا عطاؤنا فامنن**، أي أعط وابذُل لمن أُمرتَ وامتُحِنت بالإعطاء من كان أهلا لذلك وأمسك عمن ليس هو بأهل[6] لذلك ومن لم تؤمر[7] بدفعه إليه، وهو كقوله عز وجل: إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا،[8] إنه[9] ليس على التخيير ولكن على تعذيب من هو أهل للعذاب مستحق له واتخاذِ الحُسْن فيمن كان أهلا على ما بين ذلك[10]

---

[1] ر م – الذين.
[2] ث – وآخرين الذين لم يطيعوه فيما أمرهم من الأعمال في البناء والغوص وغير ذلك من الأعمال جعلهم في الأصفاد.
[3] ر م: الخيل.
[4] ر م: يمن فيعطيه.
[5] ر ن م: فلا يعط.
[6] ر: باطل.
[7] جميع النسخ: لم يؤمر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٤ظ.
[8] ﴿... قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ (سورة الكهف، ٨٦/١٨).
[9] جميع النسخ: ان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[10] جميع النسخ: في ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.

وأظهر في الآية حيث قال عز وجل: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ، الآية، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى،[1] فعلى ذلك يحتمل الأول. **والله أعلم**.

وقال الحسن: قوله عز وجل: **[هذا] عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**، يقول: هذا مُلْكنا الذي أعطيناك،[2] أعط[3] منه ما شئت وامنع منه ما شئت لا تَبِعَة[4] عليك فيه في الآخرة،[5] وهو قريب مما[6] ذكرنا في أحد التأويلين. وقال قتادة: احبس[7] منهم من شئت في وَثاقك[8] هذا وعذابك، وسرّح منهم من شئت لا حساب عليك في ذلك.[9] وهو قريب مما[10] ذكرنا في أحد التأويلين: رجع أحدهما إلى الشياطين خاصة في الحبس في العمل من شاء منهم والتسريح لمن شاء منهم، والآخرُ إلى كل ما أعطاه من الملك. **والله أعلم**.

[٦٥٦و س ٢] *وقوله عز وجل: **فَامْنُنْ أو أَمْسِك بغير حساب**، ومثله[11] قوله: وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ،[12]
[٦٥٦و س ٤] أي لا تُعط ليأخذ من المكافأة أكثر مما أُعطيتَ. وقال الفراء: سَمّى العطاء مَنًا.[13]*

وقوله عز وجل: **بغير حساب**، أي أعطاه[15] من الملك ما لا يُحسَب من الكثرة والعدد.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٤٠]

وقوله: **وإن له عندنا لزلفى**، أي القربة، **وحسن مآب**، أي مرجع. هذا يدل على أن ما أعطاه من الملك لم يَحُطَّه عن مرتبته[16] ولا نَقَص من قدره عند الله، لأنه إنما سأله الملك –والله أعلم–

[1] سورة الكهف، ١٨/٨٧-٨٨.
[2] جميع النسخ + يقول.
[3] جميع النسخ: أعطه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[4] ر: لا اتبعة.
[5] ر ن م: من الآخرة. *تفسير الطبري*، ٢٠/١٠٢.
[6] جميع النسخ: ما.
[7] جميع النسخ: احسن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[8] ر: وثاقل؛ ن ث: وتامل؛ م: وثايل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[9] *تفسير الطبري*، ٢٠/١٠٣.
[10] جميع النسخ: ما.
[11] ر: ومثل.
[12] سورة المدثر، ٧٤/٦.
[13] *معاني القرآن* للفراء، ٢/٤٠٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦و/ سطر ٢-٤.
[15] جميع النسخ + له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[16] ر م: مرتبة.

لما ذكرنا[١] من رغبته[٢] في نجاة الخلق لسرعة إجابتهم إياه إلى ما يدعوهم إليه، لا رغبةً[٣] منه في الدنيا ولذّاتها وطلب العزّ فيها ولكن لما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإن له عندنا لزلفى**، أي الأسباب التي تُزلِفه إلى الله وتقرّبه[٤] من التوفيق والعصمة والمعونة على الطاعة، وذلك يكون في الدنيا والأول يكون في الآخرة. *والله أعلم*. وهذا من أعظم المنن واللطف حيث أمّنه عن جميع أنواع التّبِعات بقوله:[٥] **بغير حساب**، وبَشّره[٦] بالزلفى وحسن المرجع.[٧] *والله أعلم*.*

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب**، ثم لا ندري ما الذي كان من الله من تمكين الشيطان عليه حتى أضاف ذلك إلى الشيطان، وليس لنا أن نقول: إنه مكّن عليه كذا وفَعَل كذا في كذا وفَعَل به كذا إلا أن يُثبت عن الله.[٩] ثم وجه الحكمة في تمكين الشيطان على أوليائه فيما مكّن في أمر الدين ليُعلَم جهة الفضل من جهة العدل وجهة الحكم من جهة الرحمة، وأن له أن يمتحن عباده[١٠] بما شاء وكيف شاء من أنواع الشدائد والبلايا على أيدي من شاء بلا أسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك، وله أن يحسن إلى من شاء بأنواع[١١] الخير والنعم ابتداءً بلا أسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك.[١٢] فعلى ذلك بلاء أيوب عليه السلام والشدائدُ التي أصابته جائز أن يكون بلا سبب كان منه يستوجب ذلك، بل كان امتحانا[١٣] منه إياه بذلك.

---

[١] جميع النسخ: ما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[٢] ر ث م: رغبة؛ ن: رعيته.
[٣] ن: لا رعية.
[٤] ر م: يقربه.
[٥] جميع النسخ: يغفرله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[٦] ر ث م: ويسرله؛ ن: وبشر له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[٧] ر م: الرجع.
* وقعت هنا قطع كثيرة من تفسير الآيات السابقة برقم ٣٤ ورقم ٣٦ ورقم٣٩، فنقلنا كلا منها إلى محله. انظر: ورقة ٦٥٥ظ/ سطر ٣٢- ٦٥٦و/سطر ٢٤.
[٩] «إلا أن يثبت من الله بيقين، وأما ما ورد من الحديث الواحد فإنه محتمل للغلط، والباب ليس باب العمل ليعمل به احتياطا، فكان الكف عن ذلك أسلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥٠و).
[١٠] ر: عبادة.
[١١] ر ن م: أن يجتبي إلى من شاء من أنواع. والتصحيح من *الشرح*، ٦٥٠و.
[١٢] ث – وله أن يجتبي إلى من شاء من أنواع الخير والنعم ابتداء بلا أسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك.
[١٣] جميع النسخ: ولكن ابتدأ امتحانا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.

*ثم قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: **واذكر عبدنا أيوب**، أي اذكر صبره [٦٥٦ظ س ١١
كيف صبر على البلاء من الله عز وجل بأنواع[١] الشدائد والبلايا، فاصبر أنت إذا ابتُليت بشيء
من البلايا. وعلى ذلك يخرج جميع ما ذُكر في هذه السورة وأَمْرِه أن يذكرهم بما[٢] ابتلاهم
من الشدائد أن كيف صبروا له على ذلك، ومن امتحنهم بالسعة والملك[٣] أنْ كيف شكروا
ربهم وأطاعوه. ***والله أعلم***.* ٦٥٦ظ س ١٥]

ثم قوله: **مَسَّنِيَ الشيطانُ بنُصْب وعذاب**، إنه وإن أضاف إليه فهو في الحقيقة من الله،
[لكن أضيف إليه][٥] لِما أنه أجراه[٦] على يديه، كقوله عز وجل: يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ
وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ،[٧] أخبر أن حقيقة العذاب منه وإن كان على أيديهم يجري[٨] ذلك. وهو كقوله
تعالى: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ،[٩] أي ما يمس الإنسانَ من ضُرّ على يَدَيْ أحد إلا ويكون[١٠]
من الله، وله في ذلك صنع وفعل، لا على ما يقوله المعتزلة: أنْ لا صنعَ لله في فعل العباد.
وأخبر أنه لو أراد بأحد[١١] ضرا ومسّه بذلك لا كاشفَ لذلك الضرّ ولا دافعَ، وأنه لو أراد
خيرا بأحد لا رادَّ لذلك الفضل غيرَه، فهو على المعتزلة أيضا. وقوله: **بنُصْب** ونَصَب واحد،
وهو تَعَبٌ. وكذلك يقول القُتَبِي: النُّصْب والنَّصَب واحد مثل حُزْن وحَزَن، وهو العَناء والتعب.
وقال أبو عبيدة: النُّصْب الشر والنَّصَب الإعياء.[١٢] ومنهم من يقول: إن أحدهما فيما يصيب
ظاهرَ جسده والآخرَ فيما يصيب باطنه. / ***والله أعلم***. [٦٥٦ظ]

---

[١] ع: من أنواع.
[٢] جميع النسخ: بالذي.
[٣] جميع النسخ + يقول ان اذكر لهم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٦ظ/سطر ١١-١٥.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[٦] جميع النسخ: لما أخبر أنه. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[٧] ﴿قاتِلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويَشْفِ صدورَ قوم مؤمنين﴾ (سورة التوبة، ١٤/٩).
[٨] ر ن م: يخزي.
[٩] ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشفَ له إلا هو وإن يُرِدْك بخير فلا رادَّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده﴾ (سورة يونس، ١٠٧/١٠).
[١٠] جميع النسخ: من ضر يكون على يدي آخر ويكون. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[١١] جميع النسخ: باخذ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[١٢] جميع النسخ: الاعناء. والتصحيح من *مجاز القرآن* للأبي عبيدة، ١١٠/١؛ وتفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٠.

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب**، جائز أن يكون لَمّا قال: أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ،[1] دعا عند ذلك أنْ يكشف[2] عنه البلايا التي مسّته، كأنه قال: إنّي مسني الضرُّ فاكشف ذلك عني وأنت أرحم الراحمين، ودل[3] على ذلك قوله[4] عز وجل: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ.[5] فدل[6] هذا على أن قد كان منه دعاء وسؤال في كشفه الضرّ عنه فاستجاب الله دعاءه فعند ذلك قال: **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب**. جائز أن يكون لمّا ضرب برجله الأرض ورَكَضَها نبع منها عينان، إحداهما للاغتسال فيها والأخرى للشرب منها. فكانت التي للشرب منها ماؤها بارد[7] على ما يوافق للشرب ويُختار له،[8] والأخرى ماؤها ما يوافق للاغتسال وهو دونه في البرودة[9] على ما قاله أهل التأويل عامة، كقوله عز وجل: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ [وَالنَّهَارَ] لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ؛[10] وإنما السكون فيما يُسْكَن وهو الليل، والابتغاءُ بالنهار. وجائز أن يكون العين واحدا إلا أنه لمّا اغتسل منها كان ماؤها فاترا يوافق للاغتسال،[11] [وإذا شرب منها كان ماؤها باردا يوافق للشرب].[12] قال بعض أهل التأويل: كان به البلاء بظاهر الجسد وباطنه، فما كان بظاهره ذهب بالاغتسال وما كان بباطنه ذهب بالشرب. *والله أعلم*.*

---

[1] ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ (سورة الأنبياء، ٨٣/٢١).
[2] جميع النسخ: أن كشف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[3] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[4] م: وقوله.
[5] سورة الأنبياء، ٨٤/٢١.
[6] جميع النسخ: دل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠و.
[7] ن ث: باردا.
[8] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ٦٥٠ظ.
[9] جميع النسخ: في النزول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
[10] ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص، ٧٣/٢٨).
[11] جميع النسخ: كان ما يوافق الشرب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٦ظ/ سطر ١١-١٥.

[٦٥٧و س ٢ *وقال أبو عَوْسَجَة: **اركض برجلك**، أي اضرب بها الأرض. وكذلك تقول: ركضتُ الدابة[1]
إذا ضربتَها برجلك حتى تُسرع. وكذلك قال القُتَبي.* *وقال: المغتسل الماء، وهو الغَسول أيضا.[3]* ٦٥٧و س ٥]

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **ووهبنا له أهله ومثلهم معهم**، اختلف أهل التأويل فيه. قال بعضهم: وَهَب[5] له أهلَه، أي أحيا[6] مَنْ هلك من أهله وماله وزاد له على ذلك ضِعْفَهم في الدنيا رحمة منه وفضلا. والحسن يقول بهذا: إنه أحياهم له بأعيانهم وزاده مثلَهم معهم.[7] وقال بعضهم: قيل له: يا أيوب إنّ أهلك في الجنة فإن شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوّضناك مثلهم. قال: لا، بل اتركوهم في الجنة، فتُرِكُوا له في الجنة وعوّض [له] مثلهم في الدنيا. ولله أن يُحيي من شاء بعدَ ما أماته وله أن يؤجِر على ذلك ما شاء. ألا يُرَى أنه قال على إثره: **رحمة منا وذكرى لأولي الألباب**، دل قوله: **رحمة منا** على أن كشف الضر عن أيوب وإعطاءَ ما أعطاه رحمة منه وفضلٌ ونعمة. وكان[8] له أن لا يكشف الضر عنه وأن لا يردَ عليه أهله ولا يزيد له. وهو على المعتزلة، لأنه لا يخلو إما أن يكون ما أعطى وردّ عليه أصلح له. وقد أخبر أنه برحمته كان ذلك له وفضلٍ منه، ولو كان عليه حفظ الأصلح له في الدين كان في تركه ومنعه جائرا[9] عندهم ظالما. أو أن يكون منعُه ذلك عنه أصلح له فأعطاه وترك الأصلح له. فدلّ أن ليس على الله حفظ الأصلح لأحد في الدين. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وذكرى لأولي الألباب**، أي ذكرى وعِظَةً لمن ينتفع باللّب لِيُعْلَم أن ليس التضييق لمقتٍ منه وسَخَطُه لمن ضَيّق عليه، ولا في التوسيع رضاءٌ[10] منه، ولكن [هما][11] محنتان يَمتحن من شاء بالشدة والبلاء ومن شاء بالسَّعة والرَّخاء.

---

[1] جميع النسخ: ركض دابتها. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٧و/ سطر ٢-٣.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٠.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٧و/ سطر ٥.

[5] ر م: ووهب.

[6] ر م: احياء.

[7] *تفسير الطبري*، ٢٠/١١٠.

[8] جميع النسخ: فضلا ونعمة كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

[9] ر ن: جائزا.

[10] ن: رضا.

[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث**. اختلف في السبب الذي كان من أيوب عليه السلام الحَلْفُ[١] بضرب امرأته. ولكن لسنا ندري ما السبب الذي حمله على الحلف[٢] بضربها. ولا حاجة لنا إلى معرفة ذلك السبب غيرَ أنا نعلم أنه كان من المحلوف[٣] عليه معنى يستوجب بذلك الضربَ حيث حَلَف[٤] هو بالضرب وأمره الله عز وجل بالضرب. ثم معلوم أن غضبه وحَلْفه لا يحتمل أن يكون لمنفعة نفسه ولكن[٥] لله عز وجل. ثم الغضب لا يخرج الأنبياءَ عليهم السلام عن أيدي أنفسهم على ما يُخرِج[٦] من كان غضبه لنفسه.

ثم اختلف في قوله: **ضغثا**، قال بعضهم: قُضْبان وأغصان ونحوه،[٧] ذلك لأيوب خاصة. وقال بعضهم: هو له ولسائر[٨] الناس أنّ من حلف أن يضرب [عبده][٩] كذا خشبة[١٠] أو سوطا فجمع قضبانا أو أغصانا[١١] فضرب بها برّ في يمينه. وليس في الآية أنه ضرب به مرة أو مرارا حتى يخرجَ بضربه المرأةَ عن يمينه. ثم الأصل عندنا أن من همّ بضرب آخرَ كانت[١٢] بالضارب هيئة[١٣] وأثر[١٤] يَعرف أنه يريد[١٥] الضرب فيحذر،[١٦] وبالمضروب[١٧] هيئة[١٨] وأثر وهو التألم.

---

[١] ر ن: الخلف.
[٢] ر ن: الخلف.
[٣] ر: المخلوق.
[٤] ر: خلف.
[٥] ث – لكن.
[٦] ن ث: من يخرج؛ ر م – ما يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
[٧] ث: ونحو.
[٨] ر م: وسائر.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.
[١٠] ث: خشية.
[١١] ث: غصانا.
[١٢] جميع النسخ: كان.
[١٣] ر ث م: هيئته.
[١٤] جميع النسخ: وابدا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[١٥] جميع النسخ: يزيد.
[١٦] ر: فتجرد؛ ث: فيتحرر؛ م: فيحرر.
[١٧] ر ث م: بالمضروب.
[١٨] ث م: هيئته.

فجائز أن يكون المراد به تلك الهيئة والأثر: الضربُ نفسُه ليس في يمينه، وإن الأفضل فيها ترك الضرب والكفارة عن الحنث.[1]

[٦٥٧ر] ثم أثنى الله على أيوب عليه السلام فقال عز وجل: / **إنا وجدناه صابرا**، بما ابتلاه الله في نفسه وأهله وماله. **نعم العبد إنه أواب**، أي رَجّاع[2] إليه عز وجل في جميع أحواله في حال الشدة والبلاء وفي حال السعة والرخاء. ***والله أعلم***.*

قال [أبو عَوْسَجَة:][4] والضِغث مثل الكفّ من الحشيش[5] وغيره ومن كل شيء، وأضغاث جمع.[6] وقال القُتَبِي: الضِغث الحُزْمة من الخَلَى و العيدان،[7] وهو قريب من الأول.*

وقوله عز وجل: **ولا تحنث** من الحِنْث، والحِنْث في الأصل الإثم. برّ في يمينه[9] إذا صدق فيها ووَفَى.[10]

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب**، يحتمل قوله عز وجل: **واذكر** مَنْ ذُكِر من الرسل عليهم السلام وأهلِ[11] الصفوة، أي اذكر هؤلاء بما لَقُوا من أعدائهم فتستعين أنت بما تلقى[12] من أعدائك. أو يقول: اذكر صبر هؤلاء على قومهم لتصبر أنتَ على أذى قومك، وهو قريب من الأول. أو يقول:[13] اذكر جَهد[14] هؤلاء في العبادة والدين

---

[1] «وكان في شريعته الأفضل هو البر في اليمين وهو العزيمة. وقد رخص الله تعالى لهذه الأمة تخفيفا. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥١و).

[2] جميع النسخ: راجع.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٤٢، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٧و/ سطر ٢-٣.

[4] الزيادة مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

[5] ث: الخشيش.

[6] جميع النسخ: جميع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

[7] جميع النسخ: من الكلإ أو من العيدان. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨١.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٤٢، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٥٧و/ سطر٥.

[9] جميع النسخ: برت يمينه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٠ظ.

[10] ن: ووفاء ث: ووفاء.

[11] ر ن م: وأصل.

[12] ر ث م: يلقى.

[13] ر م – أو يقول.

[14] ر م: حينئذ.

ليحثّك[١] ذلك ويحرّضك[٢] على الجهد فيها. أو يقول: اذكر الأسباب التي بها صار هؤلاء أهل[٣] صفوة الله ومحلّ[٤] إحسانه ليحملك ذلك على طلب تلك الأسباب لتصير[٥] [أنت] من أهل صفوة الله، ونحوه يحتمل. أو يقول: اذكر هؤلاء الصالحين لتتسلّى بذكرهم عن بعض أمورك وهمومك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أولي الأيدي والأبصار**، قيل: **أولي الأيدي**، أي أولي القوة في العبادة والبصر في الدين. ثم معلوم أن هؤلاء لم يكونوا أهل قوة في أنفسهم وإنما كانوا أهل قوة في العبادة في الدين ليُعلَم أن القوة في الدين غير القوة في النفس. وقيل: أولي القوة في طاعة الله والبصر في الحق، وقيل: في الفقه، وقيل: أولي الفهم في كتاب الله، وهو واحد. ثم في قوله: **أولي الأيدي والأبصار** دلالةُ أن قد يُفهَم بذكر الأيدي غيرُ الجارحة وبذكر البصر غيرُ العين؛ لأنه معلوم أنه لم يرد بذكر الأيدي الجوارح ولا بذكر الأبصار الأعينَ ولا فهم منه ذلك أحدٌ،[٦] ولكن فهم باليد القوة وبذكر البصر الفهم[٧] أو ما فَهم. فعلى ذلك لا يُفهَم من قوله عز وجل: خَلَقْتُ بِيَدَيَّ،[٨] ونحوِه الجارحةُ على ما يفهم من الخلق، ولكن القوةُ أو غيرها. لكن كنّى باليد عن القوة لما باليد يُقوَى،[٩] وكنّى بالبصر عن درك الأشياء[١٠] لما بالبصر يُدرَك الأشياء.

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**. قيل:[١١] الخالصة التي أخلصهم بها هي ما ذَكر من ذكرى الدار.[١٢] ثم اختلف فيه. قال بعضهم: [هو ما][١٣] كانوا يدعون الناس

[١] ر ن م: ليحبك.
[٢] جميع النسخ: ويخرجك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[٣] ر ن م: أصل.
[٤] ر ن م: ويحل.
[٥] جميع النسخ: ليصير.
[٦] ر م - أحد.
[٧] جميع النسخ: انهم.
[٨] ﴿قال يا إبليسُ ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدي﴾ الآية ٧٥ من هذه السورة.
[٩] ر: بقوى.
[١٠] جميع النسخ + حقيقة. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[١١] جميع النسخ: تلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[١٢] «فإنه جعل ذلك تفسيرا لها» (*شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٦و).
[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.

إلى الله عز وجل وإلى الدار الآخرة. وقال[1] بعضهم: إنا جعلناهم أَذْكَرَ الناس لدار الآخرة. وقال بعضهم:[2] **أخلصناهم بخالصةٍ**، أي النبوةِ[3] والرسالة، **وذكرى الدار**، أي أن لا يذكرون[4] غير دار الآخرة. وأصله أن الله عز وجل أخلصهم وصفاهم واختارهم لأشياء[5] وخصهم بها وجعل همتهم الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا واختيارَ ذكر الآخرة على ذكر الدنيا. أو أن يكون قوله عز وجل: **أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**، أي شرفِ الدار وذكرِهم [فيها. أي][6] صاروا مذكورين مشرَّفين في الدار.

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار**، أي هم عندنا أهل صفوة صفاهم الله عز وجل واختارهم لنفسه ولرسالته. وقال بعضهم: **وإنهم عندنا لمن المصطفين[7] الأخيار** اختار[8] هم على علم الرسالة.[9] *والله أعلم*.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار**، يحتمل قوله عز وجل: **واذكر**، وجوها على ما ذكرنا.[10] [اذكر] صبرَ هؤلاء على ما لَقُوا من قومهم فتستعين أنت على الصبر مما تلقى[11] من قومك. أو يقول: اذكر حسن معاملة هؤلاء ربَّهم وحسنَ سيرتهم فيما بينهم وبين الخلق لتعامل أنت ربَّك مثل معاملتهم ومثل سيرتهم.

---

[1] ر م – هي ما ذكر من ذكرى الدار ثم اختلف فيه قال بعضهم كانوا يدعون الناس إلى الله عز وجل وإلى الدار الآخرة وقال.

[2] جميع النسخ + أي.

[3] جميع النسخ: بخالصة للنبوة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

[4] جميع النسخ: وأن لا يذكروا.

[5] جميع النسخ: ناسا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.

[7] ن ث + بالنبوة.

[8] م: لاختيارهم.

[9] جميع النسخ: والرسالة.

[10] انظر عند تأويل الآية ٤٥ من هذه السورة.

[11] جميع النسخ: يلقى.

أو يقول: اذكر هؤلاء ومن ذُكِر، أي أَثْنِ[1] عليهم بحسن الثناء واذكرهم بخير ما أثنى [الله][2] عليهم وأَمَر الناس أن يُثنُوا عليهم على ما تقدم ذكره ليكونوا أبدا أحياءً بحسن الثناء والذكر. أو أن يقول: اذكر هؤلاء أنْ كيف عاملهم الله واختارهم لرسالته وما ذكر الله. ***والله أعلم***.

ثم قوله عز وجل: **واليسع**. قال بعضهم: هو إلياسُ، وقال بعضهم: هو غيره وكان ابنَ عمّ إلياس. ***والله أعلم***. [وقوله:] **وذا الكفل**، اختلف فيه أيضا. قال بعضهم: كان إلياسُ في أَرْبَعَمِائَةِ نبيٍ عليهم السلام في زمن مَلِك، فقَتَل[3] الملكُ ثَلَاثَمِائةٍ منهم فكَفَل رجل إلياس في مائة نبي فكفلهم وخبّأهم[4] عنده يُطعمهم ويَسقيهم[5] حتى خرجوا من عنده. وكان الكِفْل[6] بمنزلة من المَلِك؛ فلذلك سُمِي ذا الكفل لأنه خبّأهم وكَفَلهم. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: سُمّي ذا الكفل لأنه كَفَل لله عز وجل قوتا[7] فسُمّي ذا الكفل. وقال أبو موسى الأشعري: إن ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا، فكفل بعمل رجلٍ صالح عند موته كان يصلي لله عز وجل كلَّ يوم مائةَ صلاة فأحسن[8] الله عليه الثناءَ في كفالته.[9] وقال بعضهم: إن نبيا من الأنبياء قال لقومه: أيُّكم يَكْفُل بتبليغ ما بُعثتُ[10] أنا إلى الناس بعدي لِأَضْمَن له الجنة والدرجة العليا؟[11] فقال شاب: أنا أَكْفُل[12] التبليغ على ذلك ووفى[13] ما كَفَل، فسُمّي ذا الكفل لذلك. ***والله أعلم***. / وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجةٌ أنه لماذا وأن الْيَسَع [٦٥٧ظ] كان فلانا، سوى أن تعرفهم[14] أنهم من الأخيار على ما ذكر الله عز وجل. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: اثر.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[3] ر ن م: فقيل.
[4] م: وجناهم.
[5] ر ن م: بطعمهم وسقيهم.
[6] الكِفْل والكافل والكفيل: العائل، القائم بأمر اليتيم، الضامن (*لسان العرب*، «كفل»).
[7] جميع النسخ + لله به.
[8] ن ع: فاحبس.
[9] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٧٢/١٦.
[10] ر: بعث.
[11] جميع النسخ: العلى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[12] جميع النسخ: نكفل.
[13] ر ن: ووفا؛ ث م: ووفاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[14] ر ن م: يعرفهم.

وبعد، فإن معرفة ذلك [بـ]أخبار الآحاد، وأخبار الآحاد[1] توجب علم العمل ولا توجب[2] علم الشهادة، وليس هاهنا سوى الشهادة على الله، والترك أولى.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **هذا ذكر**. يحتمل قوله:[3] **هذا ذكر**، أي شرف وذكر للذين[4] تقدم ذكرهم من الأخيار،[5] لأنهم يُذكَرون أبدا بخير وحسن الثناء عليهم بما كان منهم من حسن السيرة والعمل. فذلك شرفهم حيث صاروا مذكورين على ألسن الناس وهم أموات.[6] أو أن يكون ذكر هؤلاء ذكرا[7] وعِظَة لمن بعدهم، أو ذكرًا[8] لك وعظة لتعرف[9] حسن معاملة الربّ بهم. أو هذا القرآن ذكر وعظة لمن آمن[10] به. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وإن للمتقين لحسن مآب**. جملة الاتقاء هو أن يُتَّقى المهالكَ، أي [للذين] اتَّقَوْا جميع ما يُهلكهم لَحُسْنُ مآب، أي مرجع. ثم بيّن ووصف حسن المرجع الذي يرجعون إليه حيث قال عز وجل:

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[٥٠]

قوله عز وجل: **جنات عدن** أي مُقام. يقال: عَدَن في مكانٍ كذا أي أقام [به] كأنه[11] جناتُ مقام فيها لا يبغون عنها حِوَلا ولا غِيَرًا،[12] على ما أخبر الله عز وجل: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[13] وقال بعضهم: عَدْن الشيء هو وسطه،[14] كأنه ذَكَر أن جنة عدنٍ وسط الجنان. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م – وأخبار الآحاد.
[2] جميع النسخ: يوجب علم العمل ولا يوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[3] ر ن م: قول.
[4] جميع النسخ: للذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[5] ن ث: من الأخبار.
[6] جميع النسخ: أحزاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١و.
[7] جميع النسخ: ذكر.
[8] جميع النسخ: ذكر.
[9] ر ن م: ليغرف.
[10] ن ث: أمر.
[11] أي مرجعهم.
[12] ث: ولا عدا.
[13] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزُلًا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ (سورة مريم، ١٨/١٠٧-١٠٨).
[14] جميع النسخ: عدن الذي هو وسط الشيء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

وقوله عز وجل: **مفتَّحةً لهم الأبواب**. يحتمل قوله: **مفتحة لهم الأبواب** أبواب الجنة، يقال له: ادخلْ أيَّ بابٍ من أبوابها شئت[١] على ما يقوله بعض الناس. وجائز أن يكون أبواب كلِّ أحد منهم في الجنة تكون[٢] مفتحة، لأن إغلاق الأبواب[٣] إنما يكون في الدنيا إما لخوف السَّرَق أو نظر الناس إلى أهله وحرمه، وخوفِ نظر أهله إلى الناس، لهذا المعنى تُتَّخذ[٤] الأبواب في الدنيا والغَلَق والإغلاق دونهم، وليس ذلك المعنى في الجنة لِما أخبر أن أزواجهم يَكُنَّ قاصراتِ الطرف[٥] لا ينظرن إلى غير أزواجهن، ولا يكون فيها[٦] خوف السرق، لذلك كان ما ذكر. والأشبه أن لا يكون فيها أبواب لما ذكرنا أن الأبواب إنما تتخذ في الدنيا[٧] لخوف السرق والنظر في حرمهم. ***والله أعلم***.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب**، هذا -والله أعلم- كأنه وصفُ حال اجتماعهم، لأنه عند[٨] ذلك يدعى[٩] بالفواكه والشراب في الدنيا، وأما في حال الانفراد فقلّ[١٠] ما يَدعون بالشراب. ثم فيه إخبارُ أنهم يدعون في الجنة بالفواكه والشراب جميعا، وفي الدنيا العرف فيهم: أن أهل الشراب قلّما يجمعون بين الفواكه والشراب بوجهين: إما لخوف الضرر بهم إذا جُمِع، أو لِما لا يوجَدان، وليس هذان المعنيان في الجنة. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **بفاكهة كثيرة**، كأنّ ذكر الكثرة[١١] كناية عن أنواع[١٢] الفواكه وألوان مختلفة من كل نوع، ليس بعبارة عن الكثرة من نوع واحد. ***والله أعلم***.

---

[١] م: شيئت.
[٢] ر ن م: يكون.
[٣] جميع النسخ: الإغلاق والأبواب.
[٤] جميع النسخ: يتخذ.
[٥] انظر: الآية ٥٢ من هذه السورة.
[٦] ر ن م: فيهما.
[٧] جميع النسخ: يتخذ؛ ر ث م - في الدنيا.
[٨] ر م - عند.
[٩] ر ن م: يدعا.
[١٠] ر ن: قل؛ ث م: وقل. والتصحيح مستفاد من نسخة مدينة، ورقة ٥٧٤و.
[١١] جميع النسخ: من أنواع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.
[١٢] ث: الكثيرة.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وعندهم قاصرات الطرف**، أي طَرَفَهن يَقْصُرن[١] على أزواجهن لا ينظرن[٢] إلى غير أزواجهن ولا يردن غيرهم. *والله أعلم*.

وقوله: **أتراب**، قالوا: مستويات الأسنان. أرادوا[٣] أن يكونوا[٤] جميعا: الأزواج والزوجاتُ على سن[٥] واحد. أو يخبر أنهم جميعا يكونون على حال واحدة لا يتغيرون ولا يهرَمون كما يكون في الدنيا بعضهم أكثر سنا من بعض وأضعف حالا من الآخر، ولكن لا يهرمون ولا يَكبَرون ولا يَضعُفون. *والله أعلم*.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٥٣] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **هذا ما توعدون ليوم الحساب**، كأنه يقول لهم الملائكة: هذا ما توعدون[٦] [يا] أهلَ الجنة في القرآن. ثم أتاهم من الله بِشارة ببقاء تلك النعم لهم[٧] أبدا، وهو ما قال عز وجل: **إن هذا لرزقنا ما له من نفاد**، أي انقطاع وذهاب. نَفَدَ الشيء إذا فَنِيَ[٨] وذهب. *والله أعلم*.

﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[٥٥] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **هذا**، أي هذا الذي ذكرنا ثواب المتقين وجزاء تقواهم. ثم بين جزاء الطاغين وهو قوله عز وجل: **وإن للطاغين لشر مآب**، أي لبئس المرجعُ. ثم بيّن ذلك المرجع، ما هو؟ فقال عز وجل: **جهنمَ يصلونها فبئس المهادُ**، أي بئس ما مَهَدوا لأنفسهم.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **هذا**، أي هذا الذي ذكرنا جزاء الطاغين. والطاغي[٩] يرجع إلى وجوه،

---

[١] ن: يقصر.
[٢] ر: لا ينظر.
[٣] ر ث م: أراد.
[٤] جميع النسخ: أن يكونون.
[٥] جميع النسخ: سنن.
[٦] ن: توعد.
[٧] جميع النسخ: بشارة يبقى لهم ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.
[٨] ر م: افنى.
[٩] جميع النسخ: والطغيان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

إلا أن أصله هو الذي لا يجتنب المهالك ولا يتقي؛ والمتقي هو الذي يتقي[1] المهالك ويجتنبها حقيقةَ التُّقى.[2] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فليذوقوه حميم وغساق**، كَأن الملائكة يقولون[3] لهم إذا أدخلوا جهنم وأُلقُوا فيها: **فليذوقوه حميم وغساق**. والحميم هو الشراب الذي قد انتهى حرّه غايته ونهايتَه. والغَسّاق، اختلفوا[4] فيه. قال بعضهم: هو ما يسيل من الصديد والقَيح واللحم، جعل ذلك شرابَهم في النار. وقال بعضهم: الغساق هو الزَّمْهَرير. والزمهرير هو البرد الذي بلغ غايته ونهايته، يُحرق لشدة[5] برده كما يُحرق الحميم الذي بلغ نهايته لشدة[6] حرّه. *والله أعلم*.

[٦٥٨و س١٧] *قال القُتَبي: **الغسّاق** ما يسيل من جلود أهل النار ولحومِهم من الصديد. يقال: غسَقتْ عينه[7] أي سالت. ويقال: هو البارد المُنْتِن.[8] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة.* [٦٥٨و س١٩]

﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾[٥٨] ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾[٥٩] ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وآخر من شكله أزواج**، اتفق أهل التأويل أو أكثرهم[10] على أن قوله عز وجل: **وآخر من شكله أزواج** هو العذاب، كأنه يقول: وآخر من شكل ما ذكر من العذاب لهم. / ثم اختلفوا في ذلك العذاب الذي قالوا: إنه[11] من شكله. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: [٦٥٨ر] هو الزمهرير.[12] وروي عن الحسن: **وآخر من شكله أزواج**، أي[13] ألوان من العذاب.[14]

---

[1] ن: اتقى.
[2] جميع النسخ: + والطغيان ما ذكرنا.
[3] ر م: يقول.
[4] ن + اختلفوا.
[5] ر ث م: بشدة.
[6] ر م: شدة.
[7] جميع النسخ: عنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨١.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦١، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٨و/ سطر ١٧-١٩.
[10] وعبارة السمرقندي هكذا: «روي عن ابن عباس ومجاهد، ثم اتفق عامة أهل التأويل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٦٥١ظ).
[11] ر ث م - انه.
[12] *تفسير الطبري*، ٢٠/١٣١.
[13] ر م - أي.
[14] *تفسير الطبري*، ٢٠/١٣٣.

وقال بعضهم: زَوجٌ من العذاب. ويشبه أن يكون قوله عز وجل: **وآخر من شكله أزواج،** أي قوم من شكل أولئك الذين ذكرهم يُقرَّبون[1] إلى أولئك فيُجمَعون في العذاب، كقوله عز وجل: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ.[2] أو أن يكون فوج آخرُ يُدخَلون من شكل الأولين وهو ما ذكر عز وجل: **هذا فوج مقتحم معكم** أي داخل معكم، **لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار** أي داخلو[3] النار.

يقول أهل التأويل: إن قوله عز وجل: **لا مرحبا[4] بهم،** يقول المتبوعون[5] للأتباع لَمَّا أُدخلوا النار وراءَهم:[6] **لا مرحبا بهم** أي لا سعة بهم، وهو من الرُّحْب وهو السعة، فأجابهم الأتباع: لا، **بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار.** وقال بعضهم: قالت الخزنة لمن في النار: **هذا فوج مقتحم معكم،** فيَرُدّون على الخزنة: **لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار،** فيَرُدّ عليهم القومُ الذين اقتحموا النار بعدَهم: **بل أنتم لا مرحبا بكم.** وأصل هذا أن هذا منهم لَعْنٌ يلعَن بعضُهم بعضا، كقوله[7] عز وجل: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[8] ونحو ذلك من الآيات.

[٦٥٨و س١٩ *وقوله عز وجل: **وآخَرُ من شكله أزواجٌ،** من مثله. الشكل المثل والشكل بنصب الشين الغُنج،[9] وشكِلت المرأة إذا تغنّجت.[10] والتقحم الدخول؛ واقتحمت، وانقحمت، وتقحّمت،[11]
كله واحد[12] وهو الدخول. وقوله: **لا مرحبا بهم** أي لا سعة[13] بهم. والرَّحِيب والرَّحْب الواسع.* ٦٥٨و س٢١]

---

[1] ث: تقربون.

[2] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣).

[3] ث: ادخلوا.

[4] ر ث م – معكم أي داخل معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار أي داخلوا النار يقول أهل التأويل إن قوله عز وجل لا مرحبا.

[5] جميع النسخ: المتبوع. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

[6] جميع النسخ: وراوهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

[7] ر ث م: لقوله.

[8] ﴿... ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).

[9] م: الفنج.

[10] ر م: تفنجت.

[11] ر م – وانقحمت وتقحمت.

[12] جميع النسخ: واحدة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

[13] جميع النسخ: لا سعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٥٨و/ سطر ١٩-٢١.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **قالوا ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار**، هذا كقوله: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[١] فهذا[٢] قول الأتباع للقادة والرؤساء منهم. ثم ردت القادة[٣] على الأتباع وهو قوله عز وجل: وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ.[٤] فعلى ذلك هذه المناظرة التي ذكرت هاهنا بين القادة والأتباع. ثم قوله عز وجل:[٥] **من قدم لنا هذا**، أي من شَرَع لنا هذه وسنّ الذي كنا عليه وأَمَرَنا به،[٦] **فزده عذابا ضعفا في النار**. وهو كما ذكر في سورة سبأ، حيث قال:[٧] إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا.[٨] *والله أعلم*.*

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾[٦٢] ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾[٦٣]

وقوله: **وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار**، إلى آخر ما ذكر. ذُكر أنهم يقولون[١٠] [هذا] في الآخرة في النار[١١] لِيَلزمهم الحجة وأن لا يقولوا:[١٢] إنا كنا عن هذا غافلين، لأن هذه السورة مكية نزلت في محاجة[١٣] أهل مكة في إثبات التوحيد وإثبات الرسالة.

---

[١] سورة الأعراف، ٧/٣٨.

[٢] جميع النسخ: هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥١ظ.

[٣] ر – والرؤساء منهم ثم ردت القادة.

[٤] ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٣٩).

[٥] جميع النسخ + أنتم قَدَّمْتُموه لنا وقوله أي أنتم شرعتموه لنا في الدنيا وسننتموه ولذلك قولهم.

[٦] ر ن م: منه؛ ث – به.

[٧] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.

[٨] ﴿وقال الذين استُضْعِفوا للذين استَكْبَروا بل مَكْرُ الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعلَ له أندادا﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٣).

* وقعت هنا قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٥٧ ورقم ٥٨ ورقم ٥٩، فنقلنا كلا منها إلى محلها. انظر: ورقة ٦٥٨و/ سطر ١٧-٢١.

[١٠] ن ث: ذكر هذا أنهم يقولون؛ ر م: ذكر هذا يقول.

[١١] جميع النسخ + هذا.

[١٢] جميع النسخ: وأن لا تقولوا.

[١٣] ر ث م – في محاجة.

ومنهم من ينكر البعث. فذكر[1] الأنباء المتقدمة لإثبات الرسالة فيما تقدم، وذَكَر حجج البعث في هذه الآيات وحجج التوحيد في آخره. ذكر ذلك كله لهم ليُلزمهم الحجةَ وإن أنكروا ذلك لئلا يقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين.

ثم في هذه الآية دلالةُ أن عقوبة الله قد تلزم وإن لم يتحقق[2] عنده الحق و لم يعرفه حقيقةً، حيث أخبر أنهم يقولون في النار ما ذكر عز وجل: **ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار**، لأنه معلوم أنهم لو علموا[3] حقيقةً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا [على حق][4] ما تركوا[5] اتباعه ولا سخِروا منهم. وعلى ذلك يخرج مُباهلةُ أبي جهل[6] يوم بدر، حيث قال: اللهم أيُّنا أَوْصَل رَحِما وأبرُّ لكذا[7] فانصر[8] عليه. ومعلوم أنه لو كان يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق لكان لا يجترئ على المباهلة، دلّ أنه لم يعلم حقيقة[9] أنه على حق، فعوقبوا وإن لم يعلموا لِما مُكِّن لهم من العلم والمعرفة لو تأمّلوا وأحسنوا النظر في ذلك. ***والله أعلم.***

ثم قوله عز وجل: **ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار**، قال أهل التأويل: إنهم ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم في دينهم، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يستهزءون بهم في الدنيا ويسخرون منهم، يقولون: كنا نسخر منهم في الدنيا فأين هم[10] وما لنا لا نراهم؟ **[أتّخذناهم سخريّا] أم زاغت عنهم الأبصار**، أي حارت وشُغلت أبصارُنا فلا نراهم. لكن لا يحتمل أن يكونوا يقولون على هذا الذي يقوله أهل التأويل، ولكن يقولون على التلهّف والتندّم على ما كان منهم في الدنيا من ترك اتباعهم والسُّخريّة منهم، قد ظهر عندهم أن أولئك كانوا على حق -أعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه- وأنهم على باطل؛

---

[1] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.

[2] جميع النسخ: وإن يحقق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.

[3] جميع النسخ: لم يعلموا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.

[5] جميع النسخ: وما تركوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.

[6] ر: أبو جهل.

[7] جميع النسخ: واثر كذا على ما ذكر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٧ظ.

[8] ث: وانصر.

[9] ر م: حقيقته.

[10] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.

فلا يحتمل أن يقولوا ذلك على غير التلهّف والتندّم، وقد عرفوا بماذا عذّبوا وجُعلوا في النار، عرفوا أنهم لا يكونون[١] في النار -يعني أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم- إذ كانوا على خلاف ما كان أولئك الكفرة. **والله أعلم**. أو أن يقولوا ذلك على الاستغاثة بهم. يقولون: أين أولئك الذين كانوا اتخذناهم سِخْريًا في الدنيا لعلهم / يشفعون لنا[٢] فيُعينوننا؟[٣] [٦٥٨ظ] يَطْمَعون النجاة إذا اتبعوهم في ذلك الوقت، أو نحو ذلك، كقوله عز وجل: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.[٤] وهذا الذي ذكرنا هو أشبه مما يقوله أهل التأويل. **والله أعلم**.

﴿إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار**. قال بعضهم: القسم بقوله عز وجل: صٓ وَالْقُرْآنِ،[٥] وقع على هذا على ما ذكرنا. وقال بعضهم: هذا على التقديم والتأخير، يقول: إن ذلك الذي ذكره مِن لعْن[٦] بعض على بعض ومن دعاء بعض على بعض،[٧] حيث قالوا: بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا، وقولهم: رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ،[٨] وما ذكر في سورة الأعراف: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ كذا، [و] أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ،[٩] كذا. أي ذلك التخاصم الذي ذُكِر **لَحَقٌّ**،[١٠] أي كائن فيما بينهم. **والله أعلم**.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **قل إنما أنا منذر**، ليس عليّ مما حُمّلتم[١١] شيء، إنما ذلك عليكم، إنما عليّ الإنذار لكم فقط. وقوله عز وجل: **وما من إله إلا الله الواحد القهار**، يقول -والله أعلم-:

---

[١] جميع النسخ: لا يكذبون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[٢] ر ن م: يشفعوننا.
[٣] م: فيعيوننا.
[٤] سورة الحجر، ٢/١٥.
[٥] الآية الأولى من هذه السورة..
[٦] ر ث م: من امن.
[٧] ر م - ومن دعاء بعض على بعض.
[٨] الآية ٦٠ و ٦١ من هذه السورة..
[٩] سورة الأعراف، ٣٨/٧-٣٩.
[١٠] جميع النسخ: الحق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[١١] ر ن م: ما حملتم.

ما من إله عُبِد[1] دونه بإله إنما الإله هو الله[2] الواحد القهار الذي تفرد وتوحّد بربوبيته وألوهيته، قَهَر الخلائق كلَّهم بقدرته.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**، يخبر[3] عن غناه[4] وسلطانه يقول -والله أعلم-: تعلمون[5] أنه رب السماوات والأرض ومنشئهما ومنشئ ما بينهما، فلا يحتمل أن ما يأمركم به وينهاكم عنه إنما يأمركم لحاجة نفسه أو لمنفعة له، ولكن إنما يأمر وينهى لمنفعة أنفسكم[6] ولحاجتكم. أو يقول: تعلمون[7] أنه هو ربكم ورب ما ذَكَر من السماوات والأرض وما بينهما فكيف تعبدون من تعلمون[8] أنه ليس برب[9] ولا إلهٍ وإنما الإله ما ذُكِر فتتركون[10] عبادته وطاعته؟ وقوله عز وجل: **العزيزُ الغفار**، أي لا يلحقه الذُل بذُلّ أوليائه وخَدَمِه لأنه عزيزٌ بذاته لا بأحد، ليس كملوك الأرض يَذِلّون إذا ذلّ أولياؤهم وأتباعهم، لأن عِزّهم بأوليائهم وأتباعهم فإذا ذلّوا ذَلّ[11] من كان عزُّه بهم، فأما الله سبحانه وتعالى [فـ]هو العزيز بذاته لا يلحقه الذلّ بذلّ أوليائه ولا هلاكِهم.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾[٦٧] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون**، له تأويلان. أحدهما أن هذا القرآن الذي أنزل[ه] على رسوله صلى الله عليه وسلم نبأٌ عظيم أنتم عن التفكر فيه والنظر معرضون؛ لأن فيه ذكر ما[12] نزل بالمكذبين بالتكذيب والعناد، وفيه ذكر من نجا منهم أنه[13] بم[14] نجا،

---

[1] ر: عند.
[2] ر م - الله.
[3] ر م: ويخبر.
[4] ر ث: غنائه.
[5] ر ث م: يعلمون.
[6] ر م: له نفسكم.
[7] ر ث م: يعلمون.
[8] ر ث م: يعلمون.
[9] ر ث م: بربكم.
[10] جميع النسخ: فيتركون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢و.
[11] م - ذل.
[12] ر م: ذكرنا.
[13] ر ث م - انه.
[14] جميع النسخ: ثم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.

وفيه[1] ذكر ما يؤتى[2] وما يُتَّقى، وفيه ذكر البعث وذكر الجنة والنار ونحوه، وذكرُ ما لهم وما عليهم، فهم عن التفكر فيه والنظر معرضون ما لو تفكروا فيه وتأملوا لأدركوا كله ووصلوا إلى معرفة كل ما فيه مما ذكرنا. *والله أعلم*.

والثاني قوله عز وجل: **قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون**، أي البعث والحشر هو نبأ عظيم أنتم عن السعي والعمل لذلك معرضون تاركون. فمن جعل تأويله على البعث[3] والحشر يجعل الإعراض عن السعي له والعمل لذلك اليوم، ومن حمل تأويله على القرآن يجعل الإعراض عن التفكر فيه والنظر. *والله أعلم*.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[٦٩] ﴿إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي**، الآية. اختلف **في الملأ الأعلى**. قال عامة أهل التأويل: الملأ الأعلى هم الملائكة الذين تكلموا في آدم عليه السلام حين قال لهم الرب عزّ وجلّ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، فقالوا عند ذلك: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ،[4] الآية. وقوله عز وجل: **إذ يختصمون**، ليس على حقيقة الخصومة ولكن على التكلم في ذلك، كقوله عز وجل: يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا،[5] ليس على التنازع المعروف عند الناس والخصومة، ولكن على اختلاف الأيدي؛ فعلى ذلك ما ذكر من اختصامهم. *والله أعلم*. ومعناه ما كان لِيَ[6] من علم من اختصام الملأ الأعلى وما كان منهم من التكلم إلا أن أوحي إليَّ فعلمت، وإنما أنا نذير مبين. وقال بعضهم: **ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون**، وكان[7] اختصامهم في الكفّارات وفي الدرجات وفي المنجيات والموبقات،[8]

---

[1] جميع النسخ: وفي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[2] ر م: نوى.
[3] جميع النسخ: غير البعث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[4] ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٠).
[5] جميع النسخ: كأنها. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٤٠٧ظ. ﴿... لا لغوٌ فيها ولا تأثيم﴾ (سورة الطور، ٥٢/٢٣).
[6] جميع النسخ – لي. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[7] جميع النسخ: وما كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[8] ر ث م: والموثقات.

حتى علّمني الله ذلك بالوحي وأعلمني ذلك.[1] ويذكرون أن الكفارات هي[2] إسباغ الوضوء في المكروهات وبذل الطعام عند الضِيق والشدائد ونحوها[3] مما يطول ذكره.[4] ***والله أعلم.***

وجائز أن يكون قوله عز وجل: **ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون**، أي بالجمع الأعلى وهو جمع يوم القيامة، سمّاه الجمع الأعلى لأنه جَمْع الأولين والآخرين من الفرق[5] جميعا، أي ما كان لي من علم بذلك الجمع حتى علمتُ بالوحي. وقوله عز وجل: **إذ يختصمون**، في ذلك اليوم[6] تقع[7] الخصومات كقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾،[8] وهو على حقيقة الخصومة. وجائز أن يكون: **الملأ الأعلى** هم الأشرافَ من أولئك الكفرة والقادة، منهم الذين أُهلكوا بالتكذيب، ومنهم من نجا[9] بالتصديق. يقول: ما كان لي من علم بهم وما نزل بهم حتى أُوحِي إليّ فعلمتُ بالوحي. كأنهم سألوه عن ذلك فأخبر أني[10] كنت كواحد منكم في ذلك حتى علمت

[٦٥٩و] ذلك بالوحي، **إلا أنما أنا نذير مبين** أمَرني ربي وأوحى إليّ أن أنذركم / بذلك.[11] ***والله أعلم.***

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين**، ظاهر هذا أن يكون لا على القول منه لهم ولكن على الخبر أنه كان ما ذكر. ***والله أعلم.*** ثم ذكر الذي خلق منه آدم على أوصاف مختلفة. مرةً ذكر أنه خلقه[12] من طين،[13] ومرة من تراب،[14] ومرة مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ،[15]

---

[1] جميع النسخ + إلي.
[2] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[3] ن: ونحو ذلك.
[4] انظر: تفسير *القرطبي*، ٢٢٦/١٥.
[5] ن ث: العرف.
[6] ن ث + وفي ذلك اليوم.
[7] جميع النسخ: يقع.
[8] سورة الزمر، ٣١/٣٩.
[9] جميع النسخ: ومن نجا منهم.
[10] جميع النسخ: أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.
[11] جميع النسخ + حتى أعلم بالوحي.
[12] ر م: خلق.
[13] ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (سورة السجدة، ٧/٣٢).
[14] ﴿خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (سورة آل عمران، ٥٩/٣).
[15] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ (سورة الحجر، ٢٦/١٥).

ومرةً من صلصال[١] كالفخار،[٢] ومرةً من [طين][٣] لازب[٤] وغيره على اختلاف ما ذكر. فجائز أن يكون كل وصف من ذلك قد كان وصفا[٥] عن حال: كان ترابا[٦] ثم صار طينا ثم[٧] ما ذكر ووصف.[٨] *والله أعلم.*

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **ونفخت فيه من روحي**، أي جعلت فيه من روحي.[٩] وإضافة الروح إلى نفسه كإضافة خلق من خلائقه إليه؛ إذ الروح خلقٌ من خلائقه كسائر الخلائق. وقوله عز وجل: **فقعوا له ساجدين**، لولا صرف أهل التأويل سجود الملائكة لآدم إلى حقيقة السجود، وإلا كنا نصرف الأمر به إلى الخضوع له والاستسلام لِما[١٠] أحوج الملائكة إلى معرفة هذه الأسماء إلى آدم وبه عرفوها، حيث قال عز وجل: يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ.[١١] لكن صَرَف أهل التأويل سجود الملائكة لآدم[١٢] إلى حقيقة السجود له، وذلك جائزٌ لأنهم ممتحَنون بالأمر والنهي، وقد بيّنا ذلك فيما تقدم.[١٣]

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٧٣] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٧٤]

ثم استثنى إبليس من الملائكة وأخبر أنه استكبر وأبى أن يسجد له، حيث قال عز وجل: **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين**، على قول من يقول:

---

[١] جميع النسخ: كالصلصال ومرة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.

[٢] ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ (سورة الرحمن، ١٤/٥٥).

[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٢ظ.

[٤] ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ (سورة الصافات، ١١/٣٧).

[٥] جميع النسخ: وصف.

[٦] ر ن م: أترابا.

[٧] ن ث + ما ذكر إلى احتلاف.

[٨] ر م: وصف؛ ث - وصف.

[٩] ر ث م - أي جعلت فيه من روحي.

[١٠] جميع النسخ: كما. والتصحيح من *الشرح*، ٦٥٢ظ.

[١١] ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (سورة البقرة، ٣٣/٢).

[١٢] ر م - لآدم.

[١٣] انظر تأويل الآية ٣١ من سورة البقرة.

إن إبليس كان من الملائكة فلما أبى السجود خذله ووَكّلَه إلى نفسه صار كافرا ليُعلَم أن كلّ أحد وإن عظُم قدره وجلّت منزلته يحتمل خلافَ ما هو فيه وضدّه، وأنه متى امتحنه بأمرٍ فترك أمره تكبرا واستخفافا خذله[1] ووكله إلى أمره ونفسِه فصار كافرا مخذولا حقيرا، ليكونوا[2] أبدا على حذر وفزع إلى الله عز وجل على ما أخبر من عظم قدر الملائكة عند الله وجليل منزلتهم عنده، إذا خذلهم ووكلهم إلى أنفسهم صاروا كما صار إبليس. ***والله أعلم***. ثم قوله عز وجل: **وكان من الكافرين**، أي كان في علم الله أنه يكفر. أو كان بمعنى صار، [أي صار] من الكافرين إذ أبى السجود واستكبر، كقوله عز وجل لآدم: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،[3] أي تصيرا من الظالمين. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ**، قد ذكرنا فيما تقدم[4] في غير موضع أن تخصيص إضافة الشيء الواحد إلى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم ذلك الواحد وذلك الفرد، كقوله: بيت الله، و مساجد الله، و أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[5] و رسول الله، وولي الله وأشباه ذلك. وخص هذه الأشياء بالإضافة إليه وإن كانت البقاع كلها والخلق كله له على التعظيم لذلك. فعلى ذلك يخرج إضافة خلق آدم إلى نفسه مخرج[6] تعظيم آدم حيث قال: **خلقت بيديّ**، وإن كان جميع الخلائق هو خلقهم. ويخرج إضافة كلية الأشياء إلى الله وكلية الخلائق إليه مخرج تعظيم الرب والمدح له، نحو قوله عز وجل: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ،[7] ورازق كل شيء،[8] [و]منشئ العالم ومبدئه،[9] و هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[10] [و] مَالِكَ الْمُلْكِ،[11] وغير ذلك على ما ذكرنا فيما تقدم. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: أو استخفافا وخذله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٨ظ.
[2] «أي الأخيار الذين لا عصمة لهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٥٢ظ).
[3] سورة البقرة، ٣٥/٢.
[4] انظر: *تأويلات القرآن*، ١٤٢/١، ١٧٣؛ ١٦٠/٦-١٦١.
[5] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[6] ر ن م: يخرج.
[7] سورة الأنعام، ١٠٢/٦.
[8] جميع النسخ + ورزاق (ن ث: ورازق) الخلق (ر م: يخلق).
[9] جميع النسخ: مبدئها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٤٨ظ.
[10] سورة البقرة، ٢٨٤/٢.
[11] سورة آل عمران، ٢٦/٣.

ثم قوله عز وجل: **بيدي**، قد تكلف[١] أهل الكلام والتأويل في تأويل إضافة اليد إلى الله عز وجل. منهم من قال: [هي] القوة، ومنهم من قال كذا، لكن التكلف في ذلك فضل. مع ما قد يضاف اليد إلى من لا يد له ولا جارحة ولا عضو، نحو قوله[٢] عز وجل: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[٣] لم يفهم أحد بذكر اليد له ولا [بذكر] الخلف ما يُفهَم من الخلق.[٤] وكذلك لم يفهم[٥] ما ذكر من مجيء البرهان [و]مجيء[٦] الحق ولا من زهوق الباطل ما يُفهَم من مجيء الخلق ولا ذهابهم،[٧] حيث قال عز وجل: قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ،[٨] و قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ،[٩] وأمثال ذلك مما يكثر عدُّه وإحصاؤه. لم يَفهم أحدٌ من الخلائق من مجيء هذه الأشياء التي ذكرنا مجيءَ الخلق ولا فَهِم من ذكر اليد لما ذكرنا من الأشياء جارحةً ولا عضوا؛ فكيف يُفهَم من ذكر اليد ما فُهِم[١٠] من الخلق لولا[١١] فساد اعتقادهم لربهم والجهلُ بتعاليه عن معنى الغير، وإلا لم يخطر ببالهم[١٢] بذكر ذلك لله وإضافته[١٣] إليه ما يخطر ببالهم[١٤] من الخلق ومعنى الخلق.

أو أن يكون ذِكْرُ ذلك[١٥] لنفسه وإضافته إليه من اليد وما ذكر لما باليد يكون [العمل][١٦] في الشاهد لو احتمل كون[١٧] ذلك من الخلق، نحو قوله:[١٨] ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ،[١٩]

---

[١] جميع النسخ: قد تكلفت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[٢] ر ن ث: قال.
[٣] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[٤] جميع النسخ + ولا ذهابهم.
[٥] جميع النسخ – لم يفهم. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[٦] ر ن ث: فمجيء.
[٧] ر ن م + وكذلك ما ذكر من مجي البرهان.
[٨] سورة يونس، ٥٧/١٠.
[٩] سورة النساء، ١٧٤/٤.
[١٠] ن: ففهم.
[١١] ر م: اولا.
[١٢] جميع النسخ: بباله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[١٣] جميع النسخ: أو إضافته.
[١٤] جميع النسخ: بباله. والتصحيح المرجع السابق، نفس الورقة.
[١٥] ر م: ذلك ذكر.
[١٦] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[١٧] ن: كونه.
[١٨] جميع النسخ: ما قال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[١٩] سورة الأنفال، ٥١/٨.

[وقوله:] فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ[1] ونحو ذلك مما يعلم في الحقيقة أن ذلك لم يكن[2] بكسب اليد[3] حقيقةً ولا عَمَلِه[ا] من نحو الكفر وغير ذلك من الأشياء، لكنه ذَكَر اليدَ لِما باليد يكتسب في الشاهد وبها يُعمل أكثر الأعمال والأفعال، فأضاف[4] ذلك إليها لما ذكرنا وإن لم يكن منها عمل حقيقةً. فعلى ذلك إضافة اليد إلى الله / فيما أضاف، على ما لو كان[5] ذلك من الخلق [٦٥٩ظ] إنما كان باليد. وعلى ذلك يخرج ما ذكر من استوائه على العرش بعد أن ذكرنا فيه ما يليق به ونفينا عنه ما لا يليق.[6] وأصل ذلك أنا عرفنا الله عز وجل متعاليا عن جميع معاني الغير [بريئا][7] عن كل صفات يوصف بها الغير على ما ذكر في كتابه: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[8] فإذا كان كذلك لا حاجة[9] لنا إلى تأويل اليد وما ذكر أنه ما أراد به. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أستكبرت أم كنت من العالين**، معناه -والله أعلم- **أستكبرت** للحال عند ما أبيت[10] السجود له **أم كنت** في اعتقادك **من العالين**، أي المستكبرين. ويحتمل قوله عز وجل: **أم كنت** أم صرت، **من العالين**، أي استكبرت وصرت من العالين[11] على ما ذكرنا[12] في قوله عز وجل: وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ،[13] أي صار من الكافرين. ثم حرف الشك والاستفهام من الله قد ذكرنا أنه على الإيجاب والقطع، كأنه قال: بلى كنتَ في [علم][14] الله أنك تكفر. أو يقول: وصرتَ من العالين، أي عمن يطلب العُلو، كقوله تعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ.[15]

[1] جميع النسخ: وما كسبت يداك. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و. ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٣٠).

[2] ر ث م + ذلك.

[3] جميع النسخ: به.

[4] ر ث م: أو أضاف؛ ن: وأضاف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.

[5] ر م: على ما كان.

[6] ر: ما يليق. انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية في أواخر المجلدات «الاستواء على العرش».

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.

[8] سورة الشورى، ٤٢/١١.

[9] ن ث + يقع.

[10] ث: اتيت.

[11] ن + أي استكبرت وصرت من العالين.

[12] ر ث م - ذكرنا.

[13] الآية السابقة.

[14] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.

[15] سورة القصص، ٢٨/٤.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**. ظن إبليس -عليه لعنة الله- أن النار لِما كان من طبعها الارتفاع والعلو ومن طبع الطين التسفّل والانحدارُ [ظنَّ][١] أن الذي طبعُه الارتفاع والعلوّ خير من الذي طبعه التسفّل والانحدار؛ لذلك قال -والله أعلم-: **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**. أو لِما رأى أن إصلاح الأشياء كلها ونضجَها بالنار فقال كذلك.[٢] لكن لو نَظَرَ[٣] الملعون وحَقَّق النظر لعلم أن الطين خير من النار، لأنه من الأرض والأرض كالأصل والأمِ لغيره لأن الأشياء التي[٤] يكون صلاحها ونُضجها بالنار أولُ بدئها من الأرض كالابن من الأم الوالدة على غير ما ذكر. ***والله الموفق***. ثم كفره بإبائه[٥] السجودَ له لِما لم ير أمر الله له بسجود من هو خير وأعلى لمن دونه حكمة وحقا، فكفر لِما رأى أنه وضعَ الأمرَ[٦] في غير موضعه.[٧] ***والله أعلم***.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **فاخرج منها**، قال بعضهم: أي اخرج من الجنة، وقال بعضهم: أي اخرج[٨] من السماء إلى الأرض، وقال بعضهم: أي اخرج من الأرض إلى جزائر البحر. والله أعلم بذلك. وليس لنا أنْ نتكلف القطع على القول فيه أنْ أمره بالخروج مِن كذا، وقد عرف اللعين أنه ما الذي أمره بالخروج[٩] منه؟

ثم ذكر مرة: **فاخرج منها**، ومرة قال: فَاهْبِطْ مِنْهَا،[١٠] ونحو ذلك من الألفاظ المختلفة. وكذلك ما ذكر مرة: قَالَ [يَا إِبْلِيسُ] مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ،[١١] وقال في موضع آخر:

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[٢] جميع النسخ: عند ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[٣] جميع النسخ: لو يظن. والتصحيح من نسخة تيره، ورقة ٤٥٠ظ.
[٤] جميع النسخ – التي. والزيادة من *الشرح*، نسخة مكة ٥٣٠، ورقة ١٢٠ظ.
[٥] ر ن م: باثباته.
[٦] م: الأرض.
[٧] جميع النسخ: موضع الأمر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[٨] ن ث – أي اخرج.
[٩] جميع النسخ: أنه تمادى أمره بالخروج منه؛ ر ث م: منها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[١٠] سورة الأعراف، ١٣/٧.
[١١] الآية ٧٥ من هذه السورة.

مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ،[١] وقال في موضع: مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ،[٢] ونحو ذلك على الألفاظ المختلفة، فذلك كله يدل على أن ليس على الناس حفظ الألفاظ والحروف، وكذلك ما ذكر في القِصص على اختلاف الألفاظ مكررة مُعادة. وقوله عز وجل: **فإنك رجيم،** أي لعين، كأنه قال: فإنك لعين على ألسن الناس [إذ][٣] ليس يذكره أحد من أعدائه وأتباعه وأوليائه إلا وقد لعنه.[٤]

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين،** كانت اللعنة عليه إلى يوم الدين هي[٥] خذلانه وطردَه عن رحمته ودينه، لِما علم [في الأزل][٦] أنه لا يعود إلى اختيار توحيده وطاعته أبدا، وإلا كانت[٧] عليه لعنته في الدنيا والآخرة.[٨] فأما في الدنيا [فـ]ـما ذكرنا من خذلانه وتركه في العمى،[٩] وأما في الآخرة [فـ]ـطرده[١٠] عن جنته. ***والله أعلم.***

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٧٩] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[٨٠] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[٨١]

ثم سأل ربه أن يُنظره إلى يوم يبعثون فأجاب[ه] حيث قال عز وجل: **فإنك من المنظرين.** وإنما أنظره –والله أعلم– [لِما علم][١١] أنه يختار الكفر والخلاف له أبدا.

ثم قوله عز وجل: **إلى يوم الوقت المعلوم،** هو يومٌ اختلف فيه. قال بعضهم:[١٢] الوقت المعلوم هو يوم البعث، [لأنه] إلى ذلك أنظره على ما سبق منه السؤال على النَّظِرَة إلى يوم البعث،

---

[١] سورة الأعراف، ٧/١٢.
[٢] سورة الحجر، ١٥/٣٢.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[٤] ر – وقوله عز وجل فإنك رجيم أي لعين كأنه قال فإنك لعين على ألسن الناس ليس يذكره أحد من أعدائه وأتباعه وأوليائه إلا وقد لعنه.
[٥] جميع النسخ: هو.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[٧] جميع النسخ: كان.
[٨] يشير الإمام رحمه الله إلى أن قوله تعالى: ﴿إلى يوم الدين﴾ ليس لانتهاء الغاية وأن لعنته تدوم في الآخرة أيضا.
[٩] جميع النسخ: العمر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين، ورقة ٤٩و.
[١٠] جميع النسخ: مطرود.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٥٣و.
[١٢] ر ث م – قال بعضهم.

حيث قال: [**قال رب فأنظرني**] **إلى يوم يبعثون**. وقال بعضهم: الوقت المعلوم هو النفخة الأولى.[١] وقال بعضهم: لم يبين له ذلك الوقت، ولذلك ذَكَر منه الخوف، وهو ما قال عز وجل: نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ.[٢] ولو كان بيّن[٣] له الوقت المعلوم لكان لا يخاف دون ذلك الوقت ولكنه يأمن؛ فدل خوفه أنه لم يبين له ذلك وهو معلوم عند الله. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٨٢] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٨٣]

وقوله: **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**، وقال عز وجل: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ،[٤] كأنه يقول -والله أعلم-: إن عبادي ليس لك عليهم سلطانُ أن تغويهم[٥] إلا من كان في علمي[٦] أنه يختار الغواية ويُؤْثر[٧] اتباعك[٨] فيكون لك[٩] عليهم سلطانُ الإغواء، فأما من كان[١٠] في علم الله أنه يختار الإيمان والتوحيد فلا سبيل لك عليهم. ***والله أعلم***.

ثم قال بعضهم: **المخلصين** للتوحيد، فإن كان ذلك فيكون قوله عز وجل: **لأغوينهم**، أي لَأُوقِعنّهم في الكفر.[١١] وقال بعضهم: **المخلصين** من الهلاك، فإن كان ذلك فيكون قوله: **لأغوينهم**، أي لأهلكنهم. وقال بعضهم: **المخلَصين** من كل ذنب وكل معصية، لكنّ الوجهين الأولين أشبه وأقرب. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: الأول.

[٢] ﴿وإذ زَيّن لهم الشيطانُ أعمالهم وقال لا غالب لكم اليومَ من الناس وإني جارٌ لكم فلما تَرَاءت الفئتان نَكَصَ على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).

[٣] جميع النسخ: يبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[٤] سورة الحجر، ٤٢/١٥.

[٥] جميع النسخ: أن يغويهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[٦] جميع النسخ: في علمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[٧] ر م: ولوير؛ ث - ويؤثر.

[٨] جميع النسخ: اتباعه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[٩] جميع النسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

[١٠] ر م + له.

[١١] جميع النسخ: لأغوينهم يكون كفرا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾[٨٤] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **قال فالحق والحق أقول**، قد قرئ بنصبهما جميعا: فالحقَ والحقَ أقول. وقد قرئ أيضا برفع الأول ونصب الثاني: فالحقُ والحقَ. فمن قرأ بالرفع فيكون معناه -والله أعلم- [٦٦٠و] / أنا الحقُّ والحقَّ أقول. أو مِنِّي يكون الحقُّ [والحقَّ أقول].[1] ومن قرأ على النصب فهو على التأكيد تأكيدا[2] على ما ذكر على إثره، كأنه يقول: أقول الحقَّ الحقَّ. وهو قوله:[3] **لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين.**

[٦٦٠و س١٩] *ثم ذكر عز وجل في جهنم أنه يملأها ولم يذكر في الجنة أنه يملأها. فجائز أن يكون ما ذَكَر من المْلإِ هو أن يُضيِّقها عليهم وفي التضييق زيادةٌ في الألم. أو أن يكون في سعة الجنة حكمةٌ ولا يكون ذلك في جهنم؛ لأن السعة يُطلب للنزهة والانتشار في البساتين وغير ذلك، [٦٦٠و س٢٢] وليس ذلك في جهنم. والله تعالى أعلم بالصواب.*

ثم جائز أن يُحتجَ بهذه[5] الآية على المعتزلة [في قولهم: إن الله أخبر أنه لا يريد الشر]، فيقال لهم: أراد الله عز وجل أن يُنجز ما وعد وأن يُصدِّق خبره الذي أخبر أنه[6] يكون أو لم يرد أن ينجز ما وعد وأن لا يخرج خبره على الصدق؟ فإن قالوا: لم يرد، أعظموا القول، لأنهم زعموا أنه أراد أن يخلف ما وعد وأن يَكذِب[7] في خبره. فذلك عظيمُ القول حيث وصفوا ربهم بالسفه؛ إذ من أراد أن يخلف وعده وأن يكذب[8] في خبره فهو سفيه على زَعم من قال ذلك. وإن قالوا: أراد أن ينجز ما وعد وأن يصدق [في] خبره، فيقال لهم: أراد أن يتبعوا إبليس أو أراد أن يؤمنوا ولا يتبعوه؟ فإن قالوا أراد أن يؤمنوا ولا يتبعوا[9] إبليس فيقال: أراد أن يَجُور ويظلم على زعمكم لأنه أراد أن يملأ جهنم ولم يرد ما يستوجبون ذلك؟ فدلّ على أن الله تعالى قد أراد ما[10] علم أنه يكون منهم. *والله أعلم.*

---

[1] جميع النسخ: أو مني يكون الحق على هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[2] م - تأكيدا.
[3] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٨، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٦٠و/ سطر ١٩-٢٢.
[5] ن: فهذه.
[6] جميع النسخ + كان.
[7] جميع النسخ: وأن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[8] جميع النسخ: وأن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[9] ن: ويتبعوا.
[10] جميع النسخ - قد أراد ما.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٨٦]

وقوله: **قل ما أسألكم عليه من أجر**، هذا يحتمل وجوها. أحدها لا أسألكم على ما أدعوكم إلى الشرف[١] والذكر في الدنيا والآخرة من أجر. ولا أَحَدَ في الشاهد من يَبذُل لآخر من الشرف أو الذكر إلا ويطلب منه الأجر.[٢] فكيف تتركون[٣] اتباعي ولا يقبلون[٤] ذلك مني؟ أو يقول: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من أجر فيمنعَكم ثِقَلُ ذلك الأجر وذلك الغُرم عن إجابتي، كقوله عز وجل: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ،[٥] أي لستَ تسألهم أجرا حتى يمنعَهم ثقل ذلك الغرم عن الإجابة.

وقوله عز وجل: **وما أنا من المتكلفين**، قال عامة أهل التأويل: وما أنا ممن تكلف[٦] ذلك من تلقاء نفسه[٧] ولا أمرتكم بما آمركم إلا بالوحي. والمتكلف عند الناس في الظاهر هو الذي يفعل ويقول بلا إذن. وقال أبو عَوْسَجَة: المتكلف هو الذي يتكلف ما لا يَعْنيه ويفعل ما لم يُؤمَر به. وجائز أن يكون قوله عز وجل: **وما أنا من المتكلفين**، أي ما أنا من المتحملين ما حُمِّلتم[٨] إذا خالفتموني. ***والله أعلم.***

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **إن هو إلا ذكر للعالمين**، أي ما هذا القرآن وهذا النبأ إلا عِظَةٌ[٩] وذكرٌ لمن انتفع به.[١٠]

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **ولتعلمنّ نبأه بعد حين**، يحتمل نبأ القرآن، ويحتمل البعث والحساب، أي تعلمون أن ذلك حق بعد حين.*

---

[١] جميع النسخ: من الشرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[٢] جميع النسخ: ولا يعطيه ذلك إلا بأجر. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٥٣ظ.
[٣] ر م: يتركون.
[٤] ر ث م: يصلون.
[٥] سورة الطور، ٥٢/٤٠.
[٦] ن ث: تكلفت.
[٧] جميع النسخ: نفسي.
[٨] ن ث: مما حملتم؛ ر م: فما حملتم.
[٩] ر م: الأعظم.
[١٠] وقع في نسخة ث تفسير هذه الآية بتمامها بعد الآية التالية.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٨٥، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٦٦٠و/ سطر ١٩-٢٢.

سورة ص

ثمانون وثمان آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۞ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۞ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۞ ﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الكلام المستقصى في أمثال هذه الفواتح مذكور في أول سورة البقرة ولا بأس بإعادة بعض الوجوه فالأول: أنه مفتاح أسماء الله تعالى التي أولها صاد، كقولنا صادق الوعد، صانع المصنوعات، صمد، والثاني: معناه صدق محمد في كل ما أخبر به عن الله، الثالث: معناه صد الكفار عن قبول هذا الدين، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٦٧]، الرابع: معناه أن القرآن مركب من هذه الحروف وأنتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضة القرآن، فدل ذلك على أن القرآن معجز، الخامس: أن يكون صاد بكسر الدال من المصادة وهي المعارضة ومنها الصدى وهو ما يعارض صوتك في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة، ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه، السادس: أنه اسم السورة والتقدير هذه صاد، فإن قيل ههنا إشكالان أحدهما: أن قوله: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ قسم وأين المقسم عليه؟ والثاني: أن كلمة ﴿بَلِ﴾ تقتضي رفع حكم ثبت قبلها، وإثبات حكم بعدها يناقض الحكم السابق، فأين هذا المعنى ههنا؟ والجواب: عن الأول من وجوه الأول: أن يكون معنى صاد، بمعنى صدق محمد ﷺ، فيكون صاد هو المقسم عليه، وقوله: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ هو القسم الثاني: أن يكون المقسم عليه محذوفًا، والتقدير سورة ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ إنه لكلام معجز، لأنا بينا أن قوله ﴿صٓ﴾ تنبيه على التحدي، والثالث: أن يكون صاد اسمًا للسورة، ويكون التقدير هذه ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾، ولما كان المشهور أن محمدًا عليه السلام يدعي في هذه السورة كونها معجزة، كان قوله هذه ﴿صٓ﴾ جاريًا مجرى قوله: هذه هي السورة المعجزة، ونظيره قولك هذا حاتم والله، أي هذا هو المشهور بالسخاء، والجواب عن السؤال الثاني: أن الحكم المذكور قبل كلمة ﴿بَلِ﴾ [1] أما ما ذكره المفسر كون محمد صادقًا في تبليغ

(١) الحكم الذي قبل كلمة (بل) هو وصف القرآن بأنه تذكير لهم بوجوب التوحيد والإيمان بالله ورسله واليوم الآخر وكل ما تفيده كلمة ذي الذكر وهذا هو الحكم المتبادر من ظاهر الآية وبهذا يكون للإضراب ببل معنى ويجري الكلام على الأساليب العربية فهو قبيل الاستنتاج والاعتماد على ما جاء بعد (بل) من آيات والإضراب لا يكون عن حكم لم يذكر.

الرسالة أو كون القرآن أو هذه السورة معجزة والحكم المذكور بعد كلمة ﴿بَلِ﴾ ههنا هو المنازعة والمشاقة في كونه كذلك فحصل المطلوب، والله أعلم.

المسألة الثانية: قرأ الحسن صاد بكسر الدال لأجل التقاء الساكنين، وقرأ عيسى بن عمر بنصب صاد ونون وبحذف حرف القسم وإيصال فعله كقولهم: الله لأفعلن، وأكثر القراء على الجزم لأن الأسماء العارية عن العوامل تذكر موقوفة الأواخر.

المسألة الثالثة: في قوله ﴿ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾ وجهان الأول: المراد ذي الشرف، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٌ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤] وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ﴾ [الأنبياء: ١٠] ومجاز هذا من قولهم: لفلان ذكر في الناس، كما يقولون: له صيت، الثاني: ذي البيانين أي فيه قصص الأولين، والآخرين، وفيه بيان العلوم الأصلية والفرعية ومجازه من قوله: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢].

المسألة الرابعة: قالت المعتزلة القرآن ذي الذكر والذكر محدث، بيان الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٌ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤] ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠] ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ وَقُرۡءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] وبيان الثاني: قوله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] وقوله: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ﴾ [الشعراء: ٥] والجواب: أنا نصرف دليلكم إلى الحروف والأصوات وهي محدثة.

أما قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فالمراد منه الكفار من رؤساء قريش الذين يجوز على مثلهم الإجماع على الحسد والكبر على الانقياد إلى الحق، والعزة ههنا التعظيم وما يعتقده الإنسان في نفسه من الأحوال التي تمنعه من متابعة الغير لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٦] والشقاق هو إظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف أو على جهة الفضلية عليه، وهو مأخوذ من الشق كأنه يرتفع عن أن يلزمه الانقياد له بل يجعل نفسه في شق وخصمه في شق، فيريد أن يكون في شقة نفسه ولا يجري عليه حكم خصمه، ومثله المعاداة وهو أن يكون أحدهما في عدوة والآخر في عدوة، وهي جانب الوادي، وكذلك المحادة أن يكون هذا في حد غير الآخر، ويقال انحرف فلان عن فلان وجانب فلان فلانًا أي صار منه على حرف وفي جانب غير جانبه، والله أعلم، ثم إنه تعالى لما وصفهم بالعزة والشقاق خوفهم فقال: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ فَنَادَواْ﴾ والمعنى أنهم نادوا عند نزول العذاب في الدنيا ولم يذكر بأي شيء نادوا، وفيه وجوه:

الأول: وهو الأظهر أنهم نادوا بالاستغاثة لأن نداء من نزل به العذاب ليس إلا بالاستغاثة.

الثاني: نادوا بالإيمان والتوبة عند معاينة العذاب.

الثالث: نادوا أي رفعوا أصواتهم، يقال: فلان أندى صوتًا من فلان أي أرفع صوتًا، ثم قال: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ يعني ولم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب وهو كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [غافر: ٨٤] وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤] والجؤار رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة، وكقوله: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [يونس: ٩١]، وقوله: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

بقي هاهنا أبحاث:

البحث الأول: في تحقيق الكلام في لفظ (لات) زعم الخليل وسيبويه أن لات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتأكيد، وبسبب هذه الزيادة حدثت لها أحكام جديدة، منها أنها لا تدخل إلا على الأحيان، ومنها أن لا يبرز إلا أحد جزأيها، إما الاسم وإما الخبر ويمتنع بروزهما جميعًا، وقال الأخفش: إنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء، وخصت بنفي الأحيان ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ منصوب بها كأنك قلت: ولات حين مناص لهم، ويرتفع بالابتداء أي ولات حين مناص كائن لهم.

البحث الثاني: الجمهور يقفون على التاء من قوله: ﴿وَّلَاتَ﴾ والكسائي يقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة، قال صاحب (الكشاف): وأما قول أبي عبيدة التاء داخلة على الحين فلا وجه له، واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في مصحف عثمان فضعيف فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط.

البحث الثالث: المناص المنجا والغوث، يقال ناصه إذا أغاثه، واستناص طلب المناص، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق أردفه بشرح كلماتهم الفاسدة فقال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ في قوله: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ وجهان الأول: أنهم قالوا: إن محمدًا مساو لنا في الخلقة الظاهرة والأخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة، فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والدرجات الرفيعة، والثاني: أن الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهالتهم، وذلك لأنه جاءهم رجل يدعوهم إلى التوحيد وتعظيم الملائكة والترغيب في الآخرة، والتنفير عن الدنيا، ثم إن هذا الرجل من أقاربهم يعلمون أنه كان بعيدًا من الكذب والتهمة؛ وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه، ثم إن هؤلاء الأقوام لحماقتهم يتعجبون من قوله، ونظيره قوله: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩] فقال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ ومعناه أن محمدًا كان من رهطهم وعشيرتهم وكان مساويًا لهم في الأسباب الدنيوية

فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه، وعجبوا أن يختص هو من بينهم برسالة الله وأن يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة، وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب إلا الحسد.

ثم قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ وإنما لم يقل: وقالوا، بل قال: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إظهارًا للتعجب ودلالة على أن هذا القول لا يصدر إلا عن الكفر التام، فإن الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ويدعو إلى طاعة الشيطان ودلالة على أن هذا القول لا يصدر إلا عن الكفر التام، فإن الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ويدعو إلى طاعة الشيطان وهو عندكم بالعكس من ذلك والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه وهو يخبر عن وجود الصانع القديم الحكيم العليم وعن الحشر والنشر وسائر الأشياء التي تثبت بدلائل العقول صحتها فكيف يكون كذابًا؟ ثم إنه تعالى حكى جميع ما عولوا عليه في إثبات كونه كاذبًا وهي ثلاثة أشياء أحدها: ما يتعلق بالإلهيات، وثانيها: ما يتعلق بالنبوات، وثالثها: ما يتعلق بالمعاد، أما الشبهة المتعلقة بالإلهيات فهي قولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ روي أنه لما أسلم عمر فرح به المسلمون فرحًا شديدًا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسًا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يعنون المسلمين فجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك، فقال ﷺ: ماذا يسألونني، قالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك، فقال ﷺ: أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أتعطوني أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم؟ قالوا: نعم، قال: تقولوا لا إله إلا الله، فقاموا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ (١).

أي بليغ في التعجب وأقول منشأ التعجب من وجهين الأول: هو أن القوم ما كانوا من أصحاب النظر والاستدلال بل كانت أوهامهم تابعة للمحسوسات فلما وجدوا في الشاهد أن الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلق العظيم قاسوا الغائب على الشاهد، فقالوا: لا بد في حفظ هذا العالم الكثير من آلهة كثيرة يتكفل كل واحد منهم بحفظ نوع آخر، الوجه الثاني: أن أسلافهم لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا جاهلين مبطلين، وهذا الإنسان الواحد يكون محقًا صادقًا،

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي في (سننه) (٥/ ٣٦٥) حديث رقم (٣٢٣٢)، وحسن حديثه. والنسائي في (سننه الكبرى) (٥/ ٢٣٥)، حديث رقم (٨٧٦٩)، وأيضًا (٦/ ٤٤٢)، حديث رقم (١١٤٣٦)، وأحمد في (مسنده) (١/ ٢٢٧)، حديث رقم (٢٠٠٨)، وأبو يعلى في (مسنده) (٤/ ٤٥٥)، حديث رقم (٢٥٨٣)، والحاكم في (المستدرك) (٢/ ٤٦٩)، حديث رقم (٣٦١٧)، وابن حبان في (صحيحه) (١٥/ ٧٩)، حديث رقم (٦٦٨٦)، جميعًا من طريق سفيان... به، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد في (مسنده) (١/ ٣٦٢)، حديث رقم (٣٤١٩)، قال حدثنا حماد بن أسامة... به، والنسائي في (السنن الكبرى) (٦/ ٤٤٢)، حديث رقم (١١٤٣٧) من طريق أبي أسامة عن الأعمش... به.

وأقول: لعمري لو سلمنا إجراء حكم الشاهد على الغائب من غير دليل وحجة، لكانت الشبهة الأولى لازمة، ولما توافقنا على فسادها علمنا أن إجراء حكم الشاهد على الغائب فاسد قطعًا، وإذا بطلت هذه القاعدة فقد بطل أصل كلام المشبهة في الذات وكلام المشبهة في الأفعال، أما المشبهة في الذات فهو أنهم يقولون لما كان كل موجود في الشاهد يجب أن يكون جسمًا ومختصًا بحيز وجب في الغائب أن يكون كذلك، وأما المشبهة في الأفعال فهم المعتزلة الذين يقولون إن الأمر الفلاني قبيح منا، فوجب أن يكون قبيحًا من الله، فثبت بما ذكرنا أنه إن صح كلام هؤلاء المشبهة في الذات وفي الأفعال لزم القطع بصحة شبهة هؤلاء المشركين، وحيث توافقنا على فسادها علمنا أن عمدة كلام المجسمة وكلام المعتزلة باطل فاسد. وأما الشبهة الثانية فلعمري لو كان التقليد حقًا لكانت هذه الشبهة لازمة وحيث كانت فاسدة علمنا أن التقليد باطل.

بقي هاهنا أبحاث:

البحث الأول: أن العجاب هو العجيب إلا أنه أبلغ من العجيب كقولهم طويل وطوال وعريض وعراض وكبير وكبار وقد يشدد للمبالغة كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢].

الثاني: قال صاحب (الكشاف): قرئ عجاب بالتخفيف والتشديد، فقال: والتشديد أبلغ من التخفيف كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا﴾ [نوح: ٢٢].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ قد ذكرنا أن الملأ عبارة عن القوم الذين إذا حضروا في المجلس فإنه تمتلئ القلوب والعيون من مهابتهم وعظمتهم، قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من قريش انطلقوا عن مجلس أبي طالب، بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾.

وفيه مباحث:

البحث الأول: القراءة المشهورة (أَنِ امْشُوا) وقرأ ابن أبي عبلة امشوا بحذف أن، قال صاحب: (الكشاف) (أَنْ) بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما يجري في المجلس المتقدم، فكان انطلاقهم مضمنًا معنى القول، وعن ابن عباس: وانطلق الملأ منهم يمشون.

البحث الثاني: معنى أن امشوا أنه قال بعضهم لبعض: امشوا واصبروا، فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد، إن هذا لشيء يراد، وفيه ثلاثة أوجه أحدها: ظهور دين محمد ﷺ ليس له سبب ظاهر يثبت أن تزايد ظهوره، ليس إلا لأن الله يريده، وما أراد الله كونه فلا دافع له، وثانيها: أن الأمر كشيء من نوائب الدهر فلا انفكاك لنا منه، وثالثها: أن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم، قال القفال: هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف وكأن معناها أنه ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين، وإنما غرضه أن يستولى علينا فيحكم في أموالنا وأولادنا بما يريد.

ثم قال: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ والملة الآخرة هي ملة النصارى فقالوا: إن هذا التوحيد الذي أتى به محمد ﷺ ما سمعناه في دين النصارى، أو يكون المراد بالملة الآخرة ملة قريش التي أدركوا آباءهم عليها، ثم قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ افتعال وكذب، وحاصل الكلام من هذا الوجه أنهم قالوا: نحن ما سمعنا عن أسلافنا القول بالتوحيد، فوجب أن يكون باطلاً، ولو كان القول بالتقليد حقًّا لكان كلام هؤلاء المشركين حقًّا، وحيث كان باطلاً علمنا أن القول بالتقليد باطل.

قوله تعالى: ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

اعلم أن هذا هو الشبهة الثالثة لأولئك الكفار وهي الشبهة المتعلقة بالنبوات وهي قولهم إن محمدًا لما كان مساويًا لغيره في الذات والصفات والخلقة الظاهرة والأخلاق الباطنة فكيف يعقل أن يختص هو بهذه الدرجة العالية والمنزلة الشريفة؟ وهو المراد من قولهم: ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ فإنه استفهام على سبيل الإنكار، وحكى الله تعالى عن قوم صالح أنهم قالوا مثل هذا القول فقالوا: ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٥] وحكى الله تعالى عن قوم محمد ﷺ أيضًا أنهم قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وتمام الكلام في تقرير هذه الشبهة: أنهم قالوا النبوة أشرف المراتب، فوجب أن لا تحصل إلا لأشرف الناس ومحمد ليس أشرف الناس، فوجب أن لا تحصل له النبوة، والمقدمتان الأوليان حقيقتان لكن الثالثة كاذبة وسبب رواج هذا التغليط عليهم أنهم ظنوا أن الشرف لا يحصل إلا بالمال والأعوان وذلك باطل، فإن مراتب السعادة ثلاثة أعلاها هي النفسانية وأوسطها هي البدنية وأدونها هي الخارجية وهي المال والجاه، فالقوم عكسوا القضية وظنوا بأخس المراتب أشرافها فلما وجدوا المال والجاه عند غيره أكثر ظنوا أن غيره أشرف منه، فحينئذ انعقد هذا القياس الفاسد في أفكارهم، ثم إنه تعالى أجاب عن هذه الشبهة من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ وفيه وجهان أحدهما: أن قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ أي من الدلائل التي لو نظروا فيها لزال هذا الشك عنهم وذلك لأن كل ما ذكروه من الشبهات فهي كلمات ضعيفة وأما الدلائل التي تدل بنفسها على صحة نبوته، فهي دلائل قاطعة فلو تأملوا حق التأمل في الكلام لوقفوا على ضعف الشبهات التي تمسكوا بها في إبطال النبوة، ولعرفوا صحة الدلائل الدالة على صحة نبوته، فحيث لم يعرفوا ذلك كان لأجل أنهم تركوا النظر والاستدلال، فأما قوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ فموقعه من هذا الكلام أنه تعالى يقول: هؤلاء إنما تركوا النظر والاستدلال لأني لم أذقهم عذابي، ولو ذاقوه لم يقع منهم

إلا الإقبال على أداء المأمورات والانتهاء عن المنهيات، وثانيها: أن يكون المراد من قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ هو أن النبي ﷺ كان يخوفهم من عذاب الله لو أصروا على الكفر، ثم إنهم أصروا على الكفر، ولم ينزل عليهم العذاب، فصار ذلك سببًا لشكهم في صدقه، وقالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] فقال: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ معناه ما ذكرناه، وقوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ معناه أن ذلك الشك إنما حصل بسبب عدم نزول العذاب.

والوجه الثاني: من الوجوه التي ذكرها الله تعالى في الجواب عن تلك الشبهة قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ وتقرير هذا الجواب أن منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية والقادر على هبتها يجب أن يكون عزيزًا أي كامل القدرة ووهابًا أي عظيم الجود وذلك هو الله سبحانه وتعالى، وإذا كان هو تعالى كامل القدرة وكامل الجود، لم يتوقف كونه واهبًا لهذه النعمة على كون الموهوب منه غنيًّا أو فقيرًا، ولم يختلف ذلك أيضًا بسبب أن أعداءه يحبونه أو يكرهونه.

والوجه الثالث: في الجواب عن هذه الشبهة قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ واعلم أنه يجب أن يكون المراد من هذا الكلام مغايرًا للمراد من قوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ والفرق أن خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١] ومن جملة تلك الخزائن هو هذه السموات والأرض، فلما ذكرنا الخزائن أولاً على عمومها أردفها بذكر ﴿مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يعني أن هذه الأشياء أحد أنواع خزائن الله، فإذا كنتم عاجزين عن هذا القسم، فبأن تكونوا عاجزين عن كل خزائن الله كان أولى، فهذا ما أمكنني ذكره في الفرق بين الكلامين، أما قوله تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ فالمعنى أنهم إن ادعوا أن لهم ملك السموات والأرض فعند هذا يقال لهم: ارتقوا في الأسباب واصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يرتقوا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي على من يختارون، واعلم أن حكماء الإسلام استدلوا بقوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ على أن الأجرام الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواص أسباب لحوادث العالم السفلي لأن الله تعالى سمى الفلكيات أسبابًا وذلك يدل على ما قلناه، والله أعلم، أما قوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ ففيه مقامان من البحث أحدهما: في تفسير هذه الألفاظ، والثاني: في كيفية تعلقها بما قبلها أما المقام الأول: فقوله: ﴿جُندٌ﴾ مبتدأ وما للإيهام كقوله: جئت لأمر ما، وعندي طعام ما، و﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة لجند و﴿مَهْزُومٌ﴾ خبر المبتدأ وأما قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ فيجوز أن يكون صفة لجند أي جند ثابت هنالك، ويجوز أن يكون متعلقًا بمهزوم معناه أن الجند من الأحزاب مهزوم هنالك، أي في ذلك الموضع الذي كانوا يذكرون فيه هذه الكلمات الطاعنة في نبوة محمد ﷺ، وأما المقام الثاني: فهو أنه تعالى لما

قال: إن كانوا يملكون السموات والأرض فليرتقوا في الأسباب، ذكر عقيبه أنهم جند من الأحزاب منهزمون ضعيفون، فكيف يكونون مالكي السموات والأرض وما بينهما، قال قتادة: هنالك إشارة إلى يوم بدر فأخبر الله تعالى بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر، وقيل يوم الخندق، والأصوب عندي حمله على يوم فتح مكة، وذلك لأن المعنى أنهم جند سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة، فوجب أن يكون المراد أنهم سيصيرون منهزمين في مكة وما ذاك إلا يوم الفتح، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الجواب عن شبهة القوم أنهم إنما توانوا وتكاسلوا في النظر والاستدلال، لأجل أنهم لم ينزل بهم العذاب، بيّن تعالى في هذه الآية أن أقوام سائر الأنبياء هكذا كانوا ثم بالآخرة نزل ذلك العقاب، والمقصود منه تخويف أولئك الكفار الذين كانوا يكذبون الرسول في إخباره عن نزول العقاب عليهم، فذكر الله ستة أصناف منهم أولهم قوم نوح عليه السلام ولما كذبوا نوحًا أهلكهم الله بالغرق والطوفان، والثاني: عاد قوم هود لما كذبوه أهلكهم الله بالريح، والثالث: فرعون لما كذب موسى أهلكه الله مع قومه بالغرق، والرابع: ثمود قوم صالح لما كذبوه فأهلكوا بالصيحة، والخامس: قوم لوط كذبوه فأهلكوا بالخسف، والسادس: أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب كذبوه فأهلكوا بعذاب يوم الظلة، قالوا: وإنما وصف الله فرعون بكونه ذا الأوتاد لوجوه الأول: أن أصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطنب بأوتاده، ثم استعير لإثبات العز والملك قال الشاعر:

وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ (١)

قال القاضي: حمل الكلام على هذا الوجه أولى لأنه وصف بتكذيب الرسل، فيجب فيما وصف به أن يكون تفخيمًا لأمر ملكه ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من الهلاك مع قوة أمره أبلغ، والثاني: أنه كان ينصب الخشب في الهواء وكان يمد يدي المعذب ورجليه إلى تلك الخشب الأربع، ويضرب على كل واحد من هذه الأعضاء وتدًا، ويتركه معلقًا في الهواء إلى أن يموت، والثالث: أنه كان يمد المعذب بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات، والرابع: قال قتادة: كانت أوتادًا وأرسانًا وملاعب يلعب بها عنده، والخامس: أن عساكره كانوا كثيرين، وكانوا كثيري الأهبة عظيمي النعم، وكانوا يكثرون من الأوتاد لأجل

(١) هذا البيت ضمن قصيدة من البحر الكامل وهو للأسود بن يعفر النهشلي وقد تقدمت ترجمته.

الخيام فعرف بها، والسادس: ذو الأوتاد والجموع الكثيرة، وسميت الجموع أوتادًا لأنهم يقرون أمره ويشدون مملكته كما يقوي الوتد البناء. وأما الأيكة فهي الغيضة الملتفة.

ثم قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ وفيه أقوال الأول: أن هؤلاء الذين ذكرناهم من الأمم هم الذين تحزبوا على أنبيائهم فأهلكناهم، فكذلك نفعل بقومك، لأنه تعالى بيَّن بقوله: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [ص: ١١] أن قوم محمد ﷺ جند من الأحزاب، أي من جنس الأحزاب المتقدمين، فلما ذكر أنه عامل الأحزاب المتقدمين بالإهلاك كان ذلك تخويفًا شديدًا لقوم محمد ﷺ، الثاني: أن معنى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ مبالغة لوصفهم بالقوة والكثرة، كما يقال فلان هو الرجل، والمعنى أن حال أولئك الأحزاب مع كمال قوتهم لما كان هو الهلاك والبوار، فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين.

واعلم أن هؤلاء الأقوام إن صدقوا بهذه الأخبار فهو تحذير، وإن لم يصدقوا بها فهو تحذير أيضًا، لأن آثار هذه الوقائع باقية وهو يفيد الظن القوي فيحذرون، ولأن ذكر ذلك على سبيل التكرير يوجب الحذر أيضًا ثم قال: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي كل هذه الطوائف لما كذبوا أنبياءهم في الترغيب والترهيب، لا جرم نزل العقاب عليهم وإن كان ذلك بعد حين، والمقصود منه زجر السامعين، ثم بين تعالى أن هؤلاء المكذبين وإن تأخر هلاكهم فكأنه واقع بهم فقال: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ وفي تفسير هذه الصيحة قولان الأول: أن يكون المراد عذابًا يفجؤهم ويجيئهم دفعة واحدة، كما يقال: صاح الزمان بهم، إذا هلكوا قال الشاعر:

صَاحَ الزَّمَانُ بِآلِ بَرْمَكَ صَيْحَةً ... خَرُّوا لِشِدَّتِهَا عَلَى الْأَذْقَانِ

ويشبه أن يكون أصل ذلك من الغارة إذا عافصت القوم فوقعت الصيحة فيهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [يونس: ١٠٢] الآية، والقول الثاني: أن هذه الصيحة هي صيحة النفخة الأولى في الصور، كما قال تعالى في سورة يس: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩] والمعنى أنهم وإن لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو معد لهم يوم القيامة، فكأنهم بذلك العذاب وقد جاءهم فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم، كالرجل الذي ينتظر الشيء فهو ماد الطرف إليه يطمع كل ساعة في حضوره، ثم إنه سبحانه وصف هذه الصيحة فقال: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ قرأ حمزة والكسائي (فواق) بضم الفاء، والباقون بفتحها، قال الكسائي والفراء وأبو عبيدة والأخفش: هما لغتان من فواق الناقة، وهو ما بين حلبتي الناقة وأصله من الرجوع، يقال: أفاق من مرضه، أي رجع إلى الصحة، فالزمان الحاصل بين الحلبتين لعود اللبن إلى الضرع يسمى فواقًا بالفتح وبالضم، كقولك: قصاص الشعر وقصاصه، قال الواحدي: والفواق والفواق اسمان من الإفاقة، والإفاقة معناها الرجوع والسكون كإفاقة المريض، إلا أن الفواق بالفتح يجوز أن يقام مقام المصدر، والفواق بالضم

اسم لذلك الزمان الذي يعود فيه اللبن إلى الضرع، وروى الواحدي في البسيط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: «**يأمر الله إِسْرَافِيلَ فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، قَالَ فَيَمِدُّهَا وَيُطَوِّلُهَا**» وهي التي يقول: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ ثم قال الواحدي: وهذا يحتمل معنيين أحدهما: ما لها سكون، والثاني: ما لها رجوع، والمعنى ما تسكن تلك الصيحة ولا ترجع إلى السكون، ويقال لكل من بقي على حالة واحدة: إنه لا يفيق منه ولا يستفيق، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝١٦ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۝٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝١٦ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

اعلم أنا ذكرنا في تفسير قوله: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤] أن القوم إنما تعجبوا لشبهات ثلاثة أولها: تتعلق بالإلهيات، وهو قوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥] والثانية: تتعلق بالنبوات، وهو قوله: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] والثالثة: تتعلق بالمعاد، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ وذلك لأن القوم كانوا في نهاية الإنكار للقول بالحشر والنشر، فكانوا يستدلون بفساد القول بالحشر والنشر على فساد نبوته، والقط القطعة من الشيء لأنه قطع منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط، ولما ذكر رسول الله ﷺ وعد المؤمنين بالجنة، قالوا على سبيل الاستهزاء: عجل لنا نصيبنا من الجنة، أو عجل لنا صحيفة أعمالنا حتى ننظر فيها.

واعلم أن الكفار لما بالغوا في السفاهة على رسول الله ﷺ حيث قالوا: إنه ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤] وقالوا له على سبيل الاستهزاء: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أمره الله بالصبر على سفاهتهم، فقال: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فإن قيل. أي تعلق بين قوله: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ وبين قوله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾؟ قلنا: بيان هذا التعلق من وجوه الأول: كأنه قيل إن كنت قد شاهدت من هؤلاء الجهال جراءتهم على الله وإنكارهم الحشر والنشر، فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر، فإن بقدر ما يزداد أحد الضدين شرفًا يزداد الضد الآخر نقصانًا، والثاني: كأنه قيل لمحمد ﷺ: لا يضيق صدرك بسبب إنكارهم لقولك ودينك، فإنهم إذا خالفوك فالأكابر من الأنبياء وافقوك، والثالث: أن للناس في قصة داود قولين: منهم من قال: إنها تدل على ذنبه، ومنهم من قال: إنها لا تدل عليه (فمن قال بالأول) كان وجه المناسبة فيه كأنه قيل

لمحمد ﷺ: إن حزنك ليس إلا لأن الكفار يكذبونك، وأما حزن داود فكان بسبب وقوعه في ذلك الذنب ولا شك أن حزنه أشد، فتأمل في قصة داود وما كان فيه من الحزن العظيم حتى يخف عليك ما أنت فيه من الحزن (ومن قال بالثاني) قال الخصمان اللذان دخلا على داود كانا من البشر، وإنما دخلا عليه لقصد قتله فخاف منهما داود، ومع ذلك لم يتعرض لإيذائهما ولا دعا عليهما بسوء بل استغفر لهما على ما سيجيء تقرير هذه الطريقة فلا جرم أمر الله تعالى محمدًا عليه السلام بأن يقتدي به في حسن الخلق، والخامس: أن قريشًا إنما كذبوا محمدًا عليه السلام واستخفوا به لقولهم في أكثر الأمر إنه يتيم فقير، ثم إنه تعالى قص على محمد كمال مملكة داود، ثم بين أنه مع ذلك ما سلم من الأحزان والغموم، ليعلم أن الخلاص عن الحزن لا سبيل إليه في الدنيا، والسادس: أن قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ غير مقتصر على داود فقط بل ذكر عقيب قصة داود قصص سائر الأنبياء فكأنه قال: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ واعتبر بحال سائر الأنبياء ليعلمه أن كل واحد منهم كان مشغولاً بهمٍّ خاص وحزن خاص، فحينئذٍ يعلم أن الدنيا لا تنفك عن الهموم والأحزان، وأن استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل إلا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا، وهذه وجوه ذكرناها في هذا المقام وههنا وجه آخر أقوى وأحسن من كل ما تقدم، وسيجيء ذكره إن شاء الله تعالى عند الانتهاء إلى تفسير قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] واعلم أنه تعالى ذكر بعد ذلك حال تسعة من الأنبياء فذكر حال ثلاثة منهم على التفصيل وحال ستة آخرين على الإجمال.

فالقصة الأولى: قصة داود، واعلم أن مجامع ما ذكره الله تعالى في هذه القصة ثلاثة أنواع من الكلام فالأول: تفصيل ما آتى الله داود من الصفات التي توجب سعادة الآخرة والدنيا، والثاني: شرح تلك الواقعة التي وقعت له من أمر الخصمين، والثالث: استخلاف الله تعالى إياه بعد وقوع تلك الواقعة، أما النوع الأول: وهو شرح الصفات التي آتاها الله داود من الصفات الموجبة لكمال السعادة فهي عشرة، الأول: قوله لمحمد ﷺ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ فأمر محمدًا ﷺ على جلالة قدره بأن يقتدي في الصبر على طاعة الله بداود وذلك تشريف عظيم وإكرام لداود حيث أمر الله أفضل الخلق محمدًا ﷺ بأن يقتدي به في مكارم الأخلاق، والثاني: أنه قال في حقه: ﴿عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ فوصفه بكونه عبدًا له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم، وذلك غاية التشريف، ألا ترى أنه سبحانه وتعالى لما أراد أن يشرف محمدًا عليه السلام ليلة المعراج قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] فهاهنا يدل على ذلك التشريف لداود فكان ذلك دليلاً على علو درجته أيضًا، فإن وصف الله تعالى الأنبياء بعبوديته مشعر بأنهم قد حققوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة، والثالث: قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي ذا القوة على أداء الطاعة والاحترازعن المعاصي، وذلك لأنه تعالى لما مدحه بالقوة وجب أن تكون تلك القوة موجبة للمدح، والقوة التي توجب المدح العظيم ليست إلا القوة على

فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه و﴿ٱلْأَيْدِ﴾ المذكور ههنا كالقوة المذكورة في قوله: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أي باجتهاد في أداء الأمانة وتشدد في القيام بالدعوة وترك إظهار الوهن والضعف والأيد والقوة سواء ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال: ٦٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] وعن قتادة: أعطي قوة في العبادة وفقهًا في الدين، وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر، الرابع: قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي أن داود كان رجاعًا في أموره كلها إلى طاعتي والأواب فعال من آب إذا رجع كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥] وفعال بناء المبالغة كما يقال قتال وضراب فإنه أبلغ من قاتل وضارب، الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبا: ١٠].

وفيه مباحث:

البحث الأول: وفيه وجوه:

الأول: أن الله سبحانه خلق في جسم الجبل حياة وعقلاً وقدرة ومنطقًا وحينئذٍ صار الجبل مسبحًا لله تعالى ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فإن معناه أنه تعالى خلق في الجبل عقلاً وفهمًا، ثم خلق فيه رؤية الله تعالى فكذا ههنا.

الثاني: في التأويل ما رواه القفال في تفسيره أنه يجوز أن يقال: إن داود عليه السلام قد أوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوي حسن، وما يصغي الطير إليه لحسنه فيكون دوي الجبال وتصويت الطير معه وإصغاؤه إليه تسبيحًا، وذكر محمد بن إسحاق أن الله تعالى لم يعط أحدًا من خلقه مثل صوت داود حتى إنه كان إذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى يأخذ بأعناقها.

الثالث: أن الله سبحانه سخر الجبال حتى إنها كانت تسير إلى حيث يريده داود وجعل ذلك السير تسبيحًا لأنه كان يدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته.

البحث الثاني: قال صاحب (الكشاف): ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ في معنى مسبحات، فإن قالوا: هل من فرق بين يسبحن ومسبحات؟ قلنا: نعم، فإن صيغة الفعل تدل على الحدوث والتجدد، وصيغة الاسم على الدوام على ما بينه عبد القاهر النحوي في كتاب دلائل الإعجاز، إذا ثبت هذا فنقول: قوله: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئًا بعد شيء وحالاً بعد حال وكأن السامع حاضر تلك الجبال يسمعها تسبح.

البحث الثالث: قال الزجاج: يقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت وقيل هما بمعنى، والأول أكثر تقول العرب شرقت الشمس والماء يشرق.

البحث الرابع: احتجوا على شرعية صلاة الضحى بهذه الآية، عن أم هانئ قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى، وقال: «يَا أُمَّ هَانِئٍ هَذِهِ صَلَاةُ

الْإِشْرَاقِ»(١) وعن طاوس عن ابن عباس قال: «هَلْ تَجِدُونَ ذِكْرَ صَلَاةِ الضُّحَى فِي الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: لاَ، فَقَرَأَ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾» وقال: كان يصليها داود عليه السلام، وقال: لم يزل في نفسي شيء من صلاة الضحى حتى وجدتها في قوله: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾.

الصفة السادسة: من صفات داود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

وفيه مباحث:

البحث الأول: قوله: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ معطوفة على الجبال والتقدير وسخرنا الطير محشورة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان داود إذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبحت معه، واجتماعها إليه هو حشرها فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله (فإن قيل) كيف يصدر تسبيح الله عن الطير مع أنه لا عقل لها؟ قلنا: لا يبعد أن يقال: إن الله تعالى كان يخلق لها عقلاً حتى تعرف الله فتسبحه حينئذٍ، وكل ذلك كان معجزة لداود عليه السلام.

البحث الثاني: قال صاحب (الكشاف): قوله: ﴿مَحْشُورَةً﴾ في مقابلة ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ إلا أنه ليس في الحشر مثل ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئًا بعد شيء، فلا جرم جيء به اسمًا لا فعلاً، وذلك أنه لو قيل: وسخرنا الطير محشورة يسبحن على تقدير أن الحشر وجد من حاشرها جملة واحدة دل على القدر المذكور، والله أعلم.

البحث الثالث: قرئ (والطير محشورة) بالرفع.

الصفة السابعة: من صفات داود عليه السلام، قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ومعناه كل واحد من الجبال والطير أواب أي رجاع، أي كلما رجع داود إلى التسبيح جاوبته، فهذه الأشياء أيضًا كانت ترجع إلى تسبيحاتها، والفرق بين هذه الصفة وبين ما قبلها أن فيما سبق علمنا أن الجبال والطير سبحت مع تسبيح داود عليه السلام، وبهذا اللفظ فهمنا دوام تلك الموافقة وقيل الضمير في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ لله تعالى أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح.

الصفة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أي قويناه وقال تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] وقيل شددنا على المبالغة، وأما الأسباب الموجبة لحصول هذا الشد فكثيرة، وهي إما الأسباب الدنيوية أو الدينية، أما الأول فذكروا فيه وجهين الأول: روى الواحدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل، فإذا أصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله، وزاد آخرون فذكروا أربعين ألفًا. قالوا: وكان أشد ملوك الأرض سلطانًا، وعن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً ادعى عند داود على رجل أخذ

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير) (٢٤/ ٤٠٦)، حديث رقم (٩٨٦) من طريق حجاج بن نصير حدثنا أبو بكر الهذلي واسمه سلمي عن عطاء عن ابن عباس... به، وأورده الهيثمي في (المجمع) (٢/ ٢٣٨). وقال: رواه الطبراني وفيه حجاج بن نصير ضعفه ابن المديني وجماعة ووثقه ابن معين وابن حبان.

منه بقرة فأنكر المدعى عليه، فقال داود للمدعي: أقم البينة، فلم يقمها، فرأى داود في منامه أن الله يأمره أن يقتل المدعى عليه فثبت داود وقال هو منام فأتاه الوحي بعد ذلك بأن تقتله فأحضره وأعلمه أن الله أمره بقتله، فقال المدعى عليه: صدق الله إني كنت قتلت أبا هذا الرجل غيلة، فقتله داود. فهذه الواقعة شددت ملكه، وأما الأسباب الدينية الموجبة لهذا الشد فهي الصبر والتأمل التام والاحتياط الكامل.

الصفة التاسعة: قوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ واعلم أنه تعالى قال: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] واعلم أن الفضائل على ثلاثة أقسام: النفسانية والبدنية والخارجية، والفضائل النفسانية محصورة في قسمين العلم والعمل، أما العلم فهو أن تصير النفس بالتصورات الحقيقية والتصديقات النفسانية بمقتضى الطاقة البشرية، وأما العمل فهو أن يكون الإنسان آتيًا بالعمل الأصلح الأصوب بمصالح الدنيا والآخرة، فهذا هو الحكمة وإنما سمي هذا بالحكمة لأن اشتقاق الحكمة من إحكام الأمور وتقويتها وتبعيدها عن أسباب الرخاوة والضعف، والاعتقادات الصائبة الصحيحة لا تقبل النسخ والنقض فكانت في غاية الإحكام، وأما الأعمال المطابقة لمصالح الدنيا والآخرة فإنها واجبة الرعاية ولا تقبل النقض والنسخ، فلهذا السبب سمينا تلك المعارف وهذه الأعمال بالحكمة.

الصفة العاشرة: قوله: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ واعلم أن أجسام هذا العالم على ثلاثة أقسام أحدها: ما تكون خالية عن الإدراك والشعور وهي الجمادات والنباتات، وثانيها: التي يحصل لها إدراك وشعور ولكنها لا تقدر على تعريف غيرها الأحوال التي عرفوها في الأكثر، وهذا القسم هو جملة الحيوانات سوى الإنسان، وثالثها: الذي يحصل له إدراك وشعور ويحصل عنده قدرة على تعريف غيره الأحوال المعلومة له، وذلك هو الإنسان وقدرته على تعريف الغير الأحوال المعلومة عنده بالنطق والخطاب، ثم إن الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير، فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام المرتب المنتظم بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول، ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادرًا على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات، وكل من كانت هذه القدرة في حقه أكمل كانت الآثار الصادرة عن النفس النطقية في حقه أكمل، وكل من كانت تلك القدرة في حقه أقل كانت تلك الآثار أضعف، ولما بيّن الله تعالى كمال حال جوهر النفس النطقية التي لداود بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أردفه ببيان كمال حاله في النطق واللفظ والعبارة فقال: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ وهذا الترتيب في غاية الجلالة، ومن المفسرين من فسر ذلك بأن داود أول من قال في كلامه: أما بعد، وأقول حقًّا إن الذين يتبعون أمثال هذه الكلمات فقد حرموا الوقوف على معاني كلام الله تعالى حرمانًا عظيمًا، والله أعلم، وقول من قال المراد معرفة الأمور التي بها يفصل بين الخصوم وهو طلب البينة واليمين فبعيد أيضًا، لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرًا على التعبير عن كل ما يخطر

بالبال ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام، وهذا معنى عام يتناول جميع الأقسام، والله أعلم، وههنا آخر الكلام في الصفات العشرة التي ذكرها الله تعالى في مدح داود عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

اعلم أن الله تعالى لما مدحه وأثنى عليه من الوجوه العشرة أردفه بذكر قصة ليبين بها أن الأحوال الواقعة في هذه القصة لا يبين شيء منها كونه عليه السلام مستحقًّا للثناء والمدح العظيم.

أما قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ فهو نظير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه: ٩] وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها، ليكون داعيًا إلى الإصغاء لها والاعتبار بها، وأقول: للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال أحدها: ذكر هذه القصة على وجه يدل على صدور الكبيرة عنه، وثانيها: دلالتها على الصغيرة، وثالثها: بحيث لا تدل على الكبيرة ولا على الصغيرة.

فأما القول الأول فحاصل كلامهم فيها؛ أن داود عشق امرأة أوريا، فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعته، وعرضا تلك الواقعة عليه، فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبًا، ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة.

والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه الأول: أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجورًا لاستنكف منها والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن من ينسبه إليها، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه، الثاني: أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته؛ أما الأول: فأمر منكر قال ﷺ: «مَنْ سَعَى فِي

دَم مُسْلِم وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»[١] وأما الثاني: فمنكر عظيم قال ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[٢] وإن أوريا لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحه، والثالث: أن الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة، ووصفه أيضًا بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة، وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفًا بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح، ولا بأس بإعادة هذه الصفات لأجل المبالغة في البيان.

فنقول: أما الصفات الأولى: فهي أنه تعالى أمر محمدًا ﷺ بأن يقتدي بداود في المصابرة مع المكابدة، ولو قلنا إن داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في إراقة دم امرئ مسلم لغرض شهوته فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمدًا أفضل الرسل بأن يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله.

وأما الصفة الثانية: فهي أن وصفه بكونه عبدًا له، وقد بينا أن المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في موقف العبودية تامًّا في القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات، ولو قلنا إن داود عليه السلام اشتغل بتلك الأعمال الباطلة، فحينئذٍ ما كان داود كاملا في عبوديته لله تعالى بل كان كاملاً في طاعة الهوى والشهوة.

الصفة الثالثة: هو قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧] أي ذا القوة، ولا شك أن المراد منه القوة في الدين، لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار، ولا معنى للقوة في الدين إلا القوة الكاملة على أداء الواجبات، والاجتناب عن المحظورات، وأي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم؟

الصفة الرابعة: كونه أوابًا كثير الرجوع إلى الله تعالى، وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغوفًا بالقتل والفجور؟.

الصفة الخامسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ [ص: ١٨] أفترى أنه سخرت له الجبال

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن ماجه في (سننه) (٢/ ٨٧٤)، حديث رقم (٢٦٢٠)، وأبو يعلى في (مسنده) (١/ ٣٠٦)، حديث رقم (٥٩٠٠)، وابن أبي عاصم في (الديات) (١/ ١٠/ ٦)، والبيهقي في (سننه الكبرى) (٨/ ٢٢)، والعقيلي في (الضعفاء الكبير) (٩/ ٢٣٢)، حديث رقم (٢١٨١)، جميعًا من طريق يزيد بن أبي زياد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة... به. وفي إسناده يزيد بن زياد وهو ضعيف.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب (الإيمان)، باب: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) (١/ ٦٩)، حديث رقم (١٠)، وأبو داود في كتاب (الجهاد)، باب: (في الهجرة هل انقطعت) (٣/ ١٠٧٢)، حديث رقم (٢٤٨١)، والنسائي في كتاب (الإيمان)، باب: (صفة المسلم) (٨/ ٤٧٩)، حديث رقم (٥٠١١)، وأحمد في (مسنده) (٢/ ١٦٣)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (١٠/ ٢٣)، حديث رقم (٦٥١٥)، والبيهقي (١٠/ ١٨٧)، جميعًا من طريق عامر عن عبد الله بن عمرو... به، وأخرجه مسلم أيضًا في (صحيحه) (١/ ٦٥/ ٤٠) من طريق أبي الخير عن عبد الله بن عمرو... به. وأيضًا في (١/ ٦٥/ ٤١) من طريق أبي الزبير عن جابر... به.

ليتخذه وسيلة إلى القتل والفجور؟ .

الصفة السادسة: قوله: ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗ﴾ [ص: ١٩]، وقيل إنه كان محرمًا عليه صيد شيء من الطير وكيف يعقل أن يكون الطير آمنًا منه ولا ينجو منه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه؟ .

الصفة السابعة: قوله: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾ ومحال أن يكون المراد أنه تعالى شدد ملكه بأسباب الدنيا، بل المراد أنه تعالى شدد ملكه بما يقوي الدين وأسباب سعادة الآخرة، والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك؟ .

الصفة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علمًا وعملاً، فكيف يجوز أن يقول الله تعالى: إنا ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ مع إصراره على ما يستنكف عنه الخبيث الشيطان من مزاحمة أخلص أصحابه في الروح والمنكوح، فهذه الصفات المذكورة قبل شرح تلك القصة دالة على براءة ساحته عن تلك الأكاذيب.

وأما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فهي عشر الأولى: قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ وذكر هذا الكلام إنما يناسب لو دلت القصة المتقدمة على قوته في طاعة الله، أما لو كانت القصة المتقدمة دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ لائقًا به، الثانية: قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه، أحدها: أن الملك الكبير إذا حكى عن بعض عبيده أنه قصد دماء الناس وأموالهم وأزواجهم فبعد فراغه من شرح القصة على ملأ من الناس يقبح منه أن يقول عقيبه أيها العبد إني فوضت إليك خلافتي ونيابتي، وذلك لأن ذكر تلك القبائح والأفعال المنكرة يناسب الزجر والحجر، فأما جعله نائبًا وخليفة لنفسه فذلك ألبتة مما لا يليق، وثانيها: أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم عقيب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، فلما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة، ثم قال بعده: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أشعر هذا بأن الموجب لتفويض هذه الخلافة هو إتيانه بتلك الأفعال المنكرة؛ ومعلوم أن هذا فاسد، أما لو ذكر تلك القصة على وجوه تدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرته على طاعة الله تعالى فحينئذٍ يناسب أن يذكر عقيبه: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فثبت أن هذا الذي نختاره أولى، والثالثة: وهو أنه لما كانت مقدمة الآية دالة على مدح داود عليه السلام وتعظيمه ومؤخرتها أيضًا دالة على ذلك، فلو كانت الواسطة دالة على القبائح والمعائب لجرى مجرى أن يقال: فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله خليفة في أرضه وصوب أحكامه، وكما أن هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا ههنا، ومن المعلوم أن ذكر العشق والسعي في القتل من أعظم أبواب العيوب، والرابعة: وهو أن القائلين بهذا القول ذكروا في هذه الرواية أن داود عليه السلام تمنى أن يحصل له في الدين كما حصل للأنبياء المتقدمين من المنازل العالية مثل ما حصل للخليل من الإلقاء في النار وحصل

للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب فأوحى الله إليه أنهم إنما وجدوا تلك الدرجات لأنهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سأل داود عليه السلام الابتلاء، فأوحى الله إليه أنك ستبلى في يوم كذا فبالغ في الاحتراز ثم وقعت الواقعة، فنقول: أول حكايتهم يدل على أن الله تعالى يبتليه بالبلاء الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب إخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والإفراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة، ويثبت أن الحكاية التي ذكروها يناقض أولها آخرها، الخامسة: أن داود عليه السلام قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ استثنى الذين آمنوا عن البغي، فلو قلنا إنه كان موصوفًا بالبغي لزم أن يقال إنه حكم بعدم الإيمان على نفسه وذلك باطل، السادسة: حضرت في بعض المجالس وحضر فيه بعض أكابر الملوك وكان يريد أن يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى ذلك، فقلت له: لا شك أن داود عليه السلام كان من أكابر الأنبياء والرسل، ولقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا أن نبالغ الطعن فيه، وأيضًا فبتقدير أنه ما كان نبيًّا فلا شك أنه كان مسلمًا، ولقد قال ﷺ: «لاَ تَذْكُرُوا مَوْتَاكُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ»(١) ثم على تقدير أنا لا نلتفت إلى شيء من هذه الدلائل إلا أنا نقول إن من المعلوم بالضرورة أن بتقدير أن تكون القصة التي ذكرتموها حقيقية صحيحة فإن روايتها وذكرها لا يوجب شيئًا من الثواب، لأن إشاعة الفاحشة إن لم توجب العقاب فلا أقل من أن لا توجب الثواب، وأما بتقدير أن تكون هذه القصة باطلة فاسدة، فإن ذاكرها يستحق أعظم العقاب والواقعة التي هذا شأنها وصفتها، فإن صريح العقل يوجب السكوت عنها فثبت أن الحق ما ذهبنا إليه، وأن شرح تلك القصة محرم محظور، فلما سمع ذلك الملك هذا الكلام سكت، ولم يذكر شيئًا، السابعة: أن ذكر هذه القصة، وذكر قصة يوسف عليه السلام يقتضي إشاعة الفاحشة فوجب أن يكون محرمًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النور: ١٩]الثامنة: لو سعى داود في قتل ذلك الرجل لدخل تحت قوله: «مَنْ سَعَى فِي دَمِ مُسْلِمٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» وأيضًا لو فعل ذلك لكان ظالمًا فكان يدخل تحت قوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] التاسعة: عن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «مَنْ حَدَّثَكُمْ بِحَدِيثِ دَاوُدَ عَلَى مَا يَرْوِيهِ الْقَصَّاصُ جَلَدْتُهُ مِائَةً وَسِتِّينَ» وهو حد الفرية على الأنبياء، ومما يقوي هذا أنهم لما قالوا: إن المغيرة بن شعبة زنى وشهد ثلاثة من عدول الصحابة بذلك، وأما الرابع فإنه لم يقل بأني رأيت ذلك العمل. يعني فإن عمر بن الخطاب كذب أولئك الثلاثة وجلد كل واحد منهم

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في (الصمت) (١/ ٣٠٢)، حديث رقم (٧٠٩) من طريق إياس الأفطسي حدثنا عطاء بن أبي رباح قال ذكر رجل عند عائشة رضي الله عنها... فذكره، وأورده العجلوني في (كشف الخفا) (١/ ١٠٦)، وقال: روى أبو داود الطيالسي عن عائشة بلفظ: (لا تذكروا هلكاكم وفي رواية موتاكم إلا بخير) وإسناده جيد.

ثمانين جلدة لأجل أنهم قذفوا، وإذا كان الحال في واحد من آحاد الصحابة كذلك، فكيف الحال مع داود عليه السلام مع أنه من أكابر الأنبياء عليهم السلام، العاشرة: روي أن بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله تعالى فقال لا ينبغي أن يزاد عليها، وإن كانت الواقعة على ما ذكرت، ثم إنه تعالى لم يذكرها لأجل أن يستر تلك الواقعة على داود عليه السلام، فلا يجوز للعاقل أن يسعى في هتك ذلك الستر بعد ألف سنة أو أقل أو أكثر، فقال عمر: «سَمَاعِي هَذَا الْكَلَامَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها أن القصة التي ذكروها فاسدة باطلة، فإن قال قائل: إن كثيرًا من أكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة، فكيف الحال فيها؟ فالجواب الحقيقي أنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد كان الرجوع إلى الدلائل القاطعة أولى، وأيضًا فالأصل براءة الذمة، وأيضًا فلما تعارض دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم أولى، وأيضًا طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا، وأيضًا فنحن نعلم بالضرورة أن بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة: لِمَ لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة؟ وأما بتقدير كونها باطلة فإن علينا في ذكرها أعظم العقاب، وأيضًا فقال عليه السلام: «إِذَا عَلِمْتَ مِثْلَ الشَّمْسِ فَاشْهَدْ» وههنا لم يحصل العلم ولا الظن في صحة هذه الحكاية، بل الدلائل القاهرة التي ذكرناها قائمة فوجب أن لا تجوز الشهادة بها، وأيضًا كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الأكثرون المحقون والمحققون منهم يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد، وأيضًا إذا تعارضت أقوال المفسرين والمحدثين فيه تساقطت وبقي الرجوع إلى الدلائل التي ذكرناها فهذا تمام الكلام في هذه القصة.

أما الاحتمال الثاني: وهو أن تحمل هذه القصة على وجه يوجب حصول الصغيرة ولا يوجب حصول الكبيرة، فنقول في كيفية هذه القصة على هذا التقدير وجوه الأول: أن هذه المرأة خطبها أوريا فأجابوه ثم خطبها داود فآثره أهلها، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه، الثاني: قالوا إنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب ألبتة، أما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس بذنب، وأما حصول الميل عقيب النظر فليس أيضًا ذنبًا لأن هذا الميل ليس في وسعه، فلا يكون مكلفًا به بل لما اتفق أن قتل زوجها لم يتأذ تأذيًا عظيمًا بسبب قتله لأجل أنه طمع أن يتزوج بتلك المرأة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهو أنه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل، والثالث: أنه كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضًا أن يطلق امرأته حتى يتزوجها وكانت عادتهم في هذا المعنى مألوفة معروفة أو أن الأنصار كانوا يساوون المهاجرين بهذا المعنى فاتفق أن عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فأحبها فسأله النزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل وهي أم سليمان فقيل له هذا وإن كان جائزًا في ظاهر الشريعة، إلا أنه لا يليق بك، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فهذه وجوه ثلاثة لو حملنا هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام إلا ترك الأفضل والأولى.

وأما الاحتمال الثالث: وهو أن هذه القصة على وجه لا يلزم إلحاق الكبيرة والصغيرة بداود عليه السلام، بل يوجب إلحاق أعظم أنواع المدح والثناء به وهو أن نقول روي أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود عليه السلام، وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه، فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقوامًا يمنعونه منهم فخافوا فوضعوا كذبًا، فقالوا: خصمان بغى بعضنا على بعض: إلى آخر القصة، وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يحتج به في إلحاق الذنب بداود إلا ألفاظ أربعة أحدهما: قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُردُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ﴾، وثانيها: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ وثالثها: قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ ورابعها: قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ ثم نقول، وهذه الألفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكروه، وتقريره من وجوه الأول: أنهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق، وعلم داود عليه السلام ذلك دعاه الغضب إلى أن يشتغل بالانتقام منهم، إلا أنه مال إلى الصفح والتجاوز عنهم طلبًا لمرضاة الله، قال وكانت هذه الواقعة هي الفتنة لأنها جارية مجرى الابتلاء والامتحان، ثم إنه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهم وأناب، فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم، والثاني: أنه وإن غلب على ظنه أنهم دخلوا عليه ليقتلوه، إلا أنه ندم على ذلك الظن، وقال: لما لم تقم دلالة ولا أمارة على أن الأمر كذلك، فبئسما علمت بهم حيث ظننت بهم هذا الظن الرديء، فكان هذا هو المراد من قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُردُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ منه فغفر الله له ذلك، الثالث: أن دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام، إلا أنه عليه السلام استغفر لذلك الداخل العازم على قتله، كما قال في حق محمد ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] فداود عليه السلام استغفر لهم وأناب، أي رجع إلى الله تعالى في طلب مغفرة ذلك الداخل القاصد للقتل، وقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ أي غفرنا له ذلك الذنب لأجل احترام داود ولتعظيمه، كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [الفتح: ٢] أن معناه أن الله تعالى يغفر لك ولأجلك ما تقدم من ذنب أمتك، الرابع: هب أنه تاب داود عليه السلام عن زلة صدرت منه، لكن لا نسلم أن تلك الزلة وقعت بسبب المرأة، فلم لا يجوز أن يقال إن تلك الزلة إنما حصلت، لأنه قضى لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الخصم الثاني، فإنه لما قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ فحكم عليه بكونه ظالمًا بمجرد دعوى الخصم بغير بينة، لكون هذا الحكم مخالفًا للصواب، فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة، إلا أن هذا في باب ترك الأفضل والأولى (١). فثبت بهذه البيانات أنا إذا حملنا هذه الآيات على هذا الوجه، فإنه لا

(١) أقول: لم لا تكون هذه القصة راجعة إلى قصة الغنم التي نفشت في الزرع وجاء ذكرها في سورة الأنبياء وقد ذكرت هناك بلفظ الغنم وهنا بلفظ النعاج وفتنة داود كانت بالاجتهاد في الحكم والخطأ فيه وقد نص الله على أنه فهمها سليمان عليه السلام والقاعدة أن من اجتهد في حكم وأخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران وكأنه عليه السلام لم=

يلزم إسناد شيء من الذنوب إلى داود عليه السلام، بل ذلك يوجب إسناد أعظم الطاعات إليه، ثم نقول: وحمل الآية عليه أولى لوجوه الأول: أن الأصل في حال المسلم البعد عن المناهي، لا سيما وهو رجل من أكابر الأنبياء والرسل، والثاني: أنه أحوط، والثالث: أنه تعالى قال في أول الآية لمحمد ﷺ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص: ١٧] فإن قوم محمد عليه السلام لما أظهروا السفاهة حيث قالوا: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤] واستهزءوا به حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] فقال تعالى في أول الآية: اصبر يا محمد على سفاهتهم وتحمل وتحلم ولا تظهر الغضب واذكر عبدنا داود، فهذا الذكر إنما يحسن إذا كان داود عليه السلام قد صبر على إيذائهم وتحمل سفاهتهم وحلم ولم يظهر الطيش والغضب، وهذا المعنى إنما يحصل إذا حملنا الآية على ما ذكرناه، أما إذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضًا فاسدًا، والرابع: أن تلك الرواية إنما تتمشى إذا قلنا الخصمان كانا ملكين، ولما كانا من الملائكة وما كان بينهما مخاصمة وما بغى أحدهما على الآخر كان قولهما: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كذبًا، فهذه الرواية لا تتم إلا بشيئين أحدهما: إسناد الكذب إلى الملائكة والثاني: أن يتوسل بإسناد الكذب إلى الملائكة إلى إسناد أفحش القبائح إلى رجل كبير من أكابر الأنبياء، فأما إذا حملنا الآية على ما ذكرنا استغنينا عن إسناد الكذب إلى الملائكة، وعن إسناد القبيح إلى الأنبياء، فكان قولنا أولى، فهذا ما عندنا في هذا الباب، والله أعلم بأسرار كلامه.

ونرجع الآن إلى تفسير الآيات. أما قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ قال الواحدي: الخصم مصدر خصمته أخصمه خصمًا، ثم يسمى به الاثنان والجمع ولا يثنى ولا يجمع، يقال هما خصم وهم خصم، كما يقال هما عدل وهم عدل، والمعنى ذوا خصم وذوو خصم، وأريد بالخصم ههنا الشخصان اللذان دخلا على داود عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ يقال تسورت السور تسورًا إذا علوته، ومعنى: ﴿تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي أتوه من سوره وهو أعلاه، يقال تسور فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها. وأما المحراب فالمراد منه البيت الذي كان داود يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربه، وسمي ذلك البيت المحراب لاشتماله على المحراب، كما يسمى الشيء بأشرف أجزائه، وههنا مسألة من علم أصول الفقه، وهي أن أقل الجمع اثنان عند بعض الناس، وهؤلاء تمسكوا بهذه الآية، لأنه تعالى ذكر صيغة الجمع في هذه الآيات في أربعة مواضع أحدهما: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾، وثانيها: قوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟﴾. وثالثها: قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾، ورابعها: قوله: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ فهذه الألفاظ الأربعة كلها صيغ الجمع، وهم كانوا اثنين بدليل أنهم قالوا: خصمان، قالوا: فهذه الآية تدل على أن أقل الجمع اثنان والجواب: لا يمتنع أن يكون كل واحد

=يدرك هذه القاعدة أو لم يكن العمل عليها في عهده ولهذا استغفر ربه والدلائل على ذلك كثيرة منها ظاهر الآية ولا داعي إلى التأويل بالمرأة أو غيرها ومنها قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والتعقيب بقوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾.

من الخصمين جمعًا كثيرين، لأنا بينا أن الخصم إذا جعل اسمًا فإنه لا يثنى ولا يجمع، ثم قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ والفائدة فيه أنهم ربما تسوروا المحراب وما دخلوا عليه، فلما قال: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ دل على أنهم بعد التسور دخلوا عليه، قال الفراء: وقد يجاء بإذ مرتين ويكون معناهما كالواحد، كقولك: ضربتك إذ دخلت علي إذ اجترأت، مع أنه يكون وقت الدخول ووقت الاجتراء واحدًا، ثم قال تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ والسبب أن داود عليه السلام لما رآهما قد دخلوا عليه لا من الطريق المعتاد، علم أنهم إنما دخلوا عليه للشر، فلا جرم فزع منهم.

ثم قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: خصمان خبر مبتدأ محذوف، أي نحن خصمان.

المسألة الثانية: ههنا قولان الأول: أنهما كانا ملكين نزلا من السماء وأرادا تنبيه داود عليه السلام على قبح العمل الذي أقدم عليه والثاني: أنهما كانا إنسانين دخلا عليه للشر والقتل، فظنا أنهما يجدانه خاليًا، فلما رأيا عنده جماعة من الخدم اختلقا ذلك الكذب لدفع الشر، وأما المنكرون لكونهما ملكين فقد احتجوا عليه بأنهما لو كانا ملكين لكانا كاذبين في قولهما ﴿خَصْمَانِ﴾ فإنه ليس بين الملائكة خصومة، ولكانا كاذبين في قولهما: ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ولكانا كاذبين في قولهما: ﴿إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ فثبت أنهما لو كانا ملكين لكانا كاذبين والكذب على الملك غير جائز لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧] ولقوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] أجاب الذاهبون إلى القول الأول عن هذا الكلام بأن قالوا إن الملكين إنما ذكرا هذا الكلام على سبيل ضرب المثل لا على سبيل التحقيق فلم يلزم الكذب، وأجيب عن هذا الجواب بأن ما ذكرتم يقتضي العدول عن ظاهر اللفظ، ومعلوم أنه على خلاف الأصل، أما إذا حملنا الكلام على أن الخصمين كانا رجلين دخلا عليه لغرض الشر ثم وضعا هذا الحديث الباطل، فحينئذٍ لزم إسناد الكذب إلى شخصين فاسقين فكان هذا أولى من القول الأول، والله أعلم، وأما القائلون بكونهما ملكين فقد احتجوا بوجوه الأول: اتفاق أكثر المفسرين عليه، والثاني: أنه أرفع منزلة من أن يتسور عليه آحاد الرعية في حال تعبده فيجب أن يكون ذلك من الملائكة، الثالث: أن قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ كالدلالة على كونهما ملكين لأن من هو من رعيته لا يكاد يقول له مثل ذلك مع رفعة منزلته، الرابع: أن قولهما: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ كالدلالة على كونهما ملكين لأن أحدًا من رعيته لا يتجاسر أن يقول له: لا تظلم ولا تتجاوز عن الحق، واعلم أن ضعف هذه الدلائل ظاهر، ولا حاجة إلى الجواب، والله أعلم.

المسألة الثالثة: ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي تعدى وخرج عن الحد يقال بغى الجرح إذا أفرط وجعه وانتهى إلى الغاية، ويقال: بغت المرأة إذا زنت، لأن الزنى كبيرة منكرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: ٣٣] ثم قال: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ معنى الحكم إحكام الأمر في

إمضاء تكليف الله عليهما في الواقعة، ومنه حَكَمة الدابة لأنها تمنع من الجماح، ومنه بناء محكم إذا كان قويًّا، وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي بالحكم الحق وهو الذي حكم الله به ﴿وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ يقال شط الرجل إذا بعد، ومنه قوله: شطت الدار إذا بعدت، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] أي قولاً بعيدًا عن الحق، فقوله: ﴿وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ أي لا تبعد في هذا الحكم عن الحق، ثم قال: ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ وسواء الصراط هو وسطه، قال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] ووسط الشيء أفضله وأعدله، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣] وأقول: إنهم عبروا عن المقصود الواحد بثلاث عبارات أولها: قولهم فاحكم بالحق، وثانيها: قولهم: ﴿وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ وهي نهي عن الباطل، وثالثها: قولهم: ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ يعني يجب أن يكون سعيك في إيجاد هذا الحق. وفي الاحتراز عن هذا الباطل أن تردنا من الطريق الباطل إلى الطريق الحق، وهذا مبالغة تامة في تقرير المطلوب، واعلم أنهم لما أخبروا عن وقوع الخصومة على سبيل الإجمال أردفوه ببيان سبب تلك الخصومة على سبيل التفصيل، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال صحاب (الكشاف): ﴿أَخِي﴾ بدل من ﴿هَٰذَآ﴾ أو خبر لقوله: ﴿إِنَّ﴾ والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ وكل واحدة من هذه الأخوات توجب الامتناع من الظلم والاعتداء.

المسألة الثانية: قال صاحب (الكشاف): قرئ (تسع وتسعون) بفتح التاء ونعجة بكسر النون، وهذا من اختلاف اللغات نحو نَطِع ونَطع، ولِقوة ولَقوة وهي الأنثى من العقبان.

المسألة الثالثة: قال الليث: النعجة الأنثى من الضأن والبقرة الوحشية والشاة الجبلية، والجمع النعجات، والعرب جرت عادتهم بجعل النعجة والظبية كناية عن المرأة.

المسألة الرابعة: قرأ عبد الله: (تسع وتسعون نعجة أنثى) وهذا يكون لأجل التأكيد كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النحل: ٥١]، ثم قال: ﴿أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ قال صاحب (الكشاف): ﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ حقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني، يقال عزه يعزه، والمعنى جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أورده به، وقرئ (وَعَازَنِي) من المعازة، وهي المغالبة، واعلم أن الذين قالوا: إن هذين الخصمين كانا من الملائكة، زعموا أن المقصود من ذكر النعاج التمثيل، لأن داود كان تحته تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة، فذكرت الملائكة تلك الواقعة على سبيل الرمز والتمثيل.

ثم قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ أي سؤال إضافة نعجتك إلى نعاجه، وروي أنه قال له: إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا، وأشار إلى الأنف والجبهة فقال: يا داود أنت أحق أن نضرب منك هذا وهذا، وأنت فعلت كيت وكيت، ثم نظر داود فلم ير أحدًا فعرف

الحال، فإن قيل كيف جاز لداود أن يحكم على أحد الخصمين بمجرد قول خصمه؟ قلنا ذكروا فيه وجوهًا الأول: قال محمد بن إسحاق: لما فرغ الخصم الأول من كلامه نظر داود إلى الخصم الذي لم يتكلم وقال: لئن صدق لقد ظلمته، والحاصل أن هذا الحكم كان مشروطًا بشرط كونه صادقًا في دعواه، والثاني: قال ابن الأنباري: لما ادعى أحد الخصمين اعترف الثاني فحكم داود عليه السلام ولم يذكر الله تعالى ذلك الاعتراف لدلالة ظاهر الكلام عليه، كما تقول: أمرتك بالتجارة فكسبت، تريد اتجرت فكسبت، وقال تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] أي فضرب فانفلق، والثالث: أن يكون التقدير أن الخصم الذي هذا شأنه يكون قد ظلمك.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ قال: الليث خليط الرجل مخالطه، وقال الزجاج: الخلطاء الشركاء، فإن قيل لم خص داود الخلطاء يبغي بعضهم على بعض مع أن غير الخلطاء قد يفعلون ذلك، والجواب لا شك أن المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة، وذلك لأنهما إذا اختلطا اطلع كل واحد منهما على أحوال الآخر فكل ما يملكه من الأشياء النفيسة إذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه، فيفضي ذلك إلى زيادة المخاصمة والمنازعة، فلهذا السبب خص داود عليه السلام الخلطاء بزيادة البغي والعدوان، ثم استثنى عن هذا الحكم الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأن مخالطة هؤلاء لا تكون إلا لأجل الدين وطلب السعادات الروحانية الحقيقية، فلا جرم مخالطتهم لا توجب المنازعة، وأما الذين تكون مخالطتهم لأجل حب الدنيا لا بد وأن تصير مخالطتهم سببًا لمزيد البغي والعدوان، واعلم أن هذا الاستثناء يدل على أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يبغي بعضهم على بعض، فلو كان داود عليه السلام قد بغى وتعدى على ذلك الرجل لزم بحكم فتوى داود أن لا يكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومعلوم أن ذلك باطل، فثبت أن قول من يقول المراد من واقعة النعجة قصة داود قول باطل.

ثم قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ واعلم أن الحكم بقلة أهل الخير كثير في القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وقال داود عليه السلام في هذا الموضع ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ وحكى تعالى عن إبليس أنه قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] وسبب القلة أن الدواعي إلى الدنيا كثيرة، وهي الحواس الباطنة والظاهرة وهي عشرة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية السبعة فالمجموع تسعة عشر واقفون على باب جهنم البدن، وكلها تدعو إلى الخلق والدنيا واللذة الحسية، وأما الداعي إلى الحق والدين فليس إلا العقل واستيلاء القوة الحسية والطبيعية على الخلق أكثر من القوة العقلية فيهم، فلهذا السبب وقعت القلة في جانب أهل الخير والكثرة في جانب أهل الشر، قال صاحب (الكشاف): وما في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ للإبهام وفيه تعجب من قلتهم، قال وإذا أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس:

وحديث ما على قصره

وانظر هل بقي له معنى قط.

ثم قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ قالوا: معناه وعلم داود أنما فتناه أي امتحناه، قالوا: والسبب الذي أوجب حمل لفظ الظن على العلم ههنا أن داود عليه السلام لما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك، ثم صعد إلى السماء قبل وجهه، فعلم داود أن الله ابتلاه بذلك فثبت أن داود علم ذلك وإنما جاز حمل لفظ الظن على العلم لأن العلم الاستدلالي يشبه الظن مشابهة عظيمة، والمشابهة علة لجواز المجاز، وأقول: هذا الكلام إنما يلزم إذا قلنا الخصمان كانا ملكين أما إذا لم نقل ذلك لا يلزمنا حمل الظن على العلم، بل لقائل أن يقول إنه لما غلب على ظنه حصول الابتلاء من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والإنابة.

أما قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ أي سأل الغفران من ربه، ثم ههنا وجهان إن قلنا بأنه قد صدرت زلة منه، حملنا هذا الاستغفار عليها، وإن لم نقل به قلنا فيه وجوه الأول: أن القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله، وإنه كان سلطانًا شديد القهر عظيم القوة، ثم إنه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الفزع في قلبه عفا عنهم ولم يقل لهم شيئًا قرب الأمر من أن يدخل في قلبه شيء من العجب، فاستغفر ربه عن تلك الحالة وأناب إلى الله، واعترف بأن إقدامه على ذلك الخير ما كان إلا بتوفيق الله، فغفر الله له وتجاوز عنه بسبب طريان ذلك الخاطر، الثاني: لعله هم بإيذاء القوم، ثم قال: إنه لم يدل دليل قاطع على أن هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر عن ذلك الهم، الثالث: لعل القوم تابوا إلى الله وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم لأجل أن يقبل توبتهم فاستغفر وتضرع إلى الله، فغفر الله ذنوبهم بسبب شفاعته ودعائه، وكل هذه الوجوه محتملة ظاهرة، والقرآن مملوء من أمثال هذه الوجوه وإذا كان اللفظ محتملاً لما ذكرناه ولم يقم دليل قطعي ولا ظني على التزام المنكرات التي يذكرونها، فما الذي يحملنا على التزامها والقول بها، والذي يؤكد أن الذي ذكرناه أقرب وأقوى أن يقال ختم الله هذه القصة بقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ومثل هذه الخاتمة إنما تحسن في حق من صدر منه عمل كثير في الخدمة والطاعة، وتحمل أنواعًا من الشدائد في الموافقة والانقياد، أما إذا كان المذكور السابق هو الإقدام على الجرم والذنب فإن مثل هذه الخاتمة لا تليق به، قال مالك بن دينار: إذا كان يوم القيامة أتى بمنبر رفيع ويوضع في الجنة، ويقال: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا، والله أعلم، بقي ههنا مباحث فالأول: قرئ (فتناه) وفتناه على أن الألف ضمير الملكين، الثاني: المشهور أن الاستغفار إنما كان بسبب قصة النعجة والنعاج، وقيل أيضًا إنما كان بسبب أنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الثاني وذلك غير جائز، الثالث: قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ يدل على حصول الركوع، وأما السجود فقد ثبت بالأخبار وكذلك البكاء الشديد في مدة أربعين يومًا ثبت بالأخبار، الرابع: أن مذهب الشافعي رضي الله عنه أن هذا الموضع ليس فيه سجدة التلاوة قال: لأنه توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة، الخامس: استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية في سجود التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود.

قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

اعلم أنه تعالى لما تمم الكلام في شرح القصة أردفها ببيان أنه تعالى فوض إلى داود خلافة الأرض، وهذا من أقوى الدلائل على فساد القول المشهور في تلك القصة، لأن من البعيد جدًّا أن يوصف الرجل بكونه ساعيًا في سفك دماء المسلمين، راغبًا في انتزاع أزواجهم منهم ثم يذكر عقيبه أن الله تعالى فوض خلافة الأرض إليه، ثم نقول: في تفسير كونه خليفة وجهان الأول: جعلناك تخلف من تقدمك من الأنبياء في الدعاء إلى الله تعالى، وفي سياسة الناس لأن خليفة الرجل من يخلفه، وذلك إنما يعقل في حق من يصح عليه الغيبة، وذلك على الله محال، الثاني: إنا جعلناك مالكًا للناس ونافذ الحكم فيهم فبهذا التأويل يسمى خليفة، ومنه يقال خلفاء الله في أرضه، وحاصله أن خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة ممتنعة في حق الله، فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة مفيدة اللزوم في تلك الحقيقة وهو نفاذ الحكم.

ثم قال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ واعلم أن الإنسان خلق مدنيًا بالطبع، لأن الإنسان الواحد لا تنتظم مصالحه إلا عند وجود مدينة تامة حتى إن هذا يحرث، وذلك يطحن، وذلك يخبز، وذلك ينسج، وهذا يخيط، وبالجملة فيكون كل واحد منهم مشغولاً بمهم، وينتظم من أعمال الجميع مصالح الجميع. فثبت أن الإنسان مدني بالطبع وعند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات ولا بد من إنسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات وذلك هو السلطان الذي ينفذ حكمه على الكل فثبت أنه لا ينتظم مصالح الخلق إلا بسلطان قاهر سائس، ثم إن ذلك السلطان القاهر السائس إن كان حكمه على وفق هواه ولطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق فإنه يجعل الرعية فداء لنفسه ويتوسل بهم إلى تحصيل مقاصد نفسه، وذلك يفضي إلى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق، وذلك يفضي بالآخرة إلى هلاك ذلك الملك، أما إذا كانت أحكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحق الإلهية انتظمت مصالح العالم، واتسعت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه. فهذا هو المراد من قولهم: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني لا بد من حاكم بين الناس بالحق فكن أنت ذلك الحاكم ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وتفسيره أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، والضلال عن

سبيل الله يوجب سوء العذاب، فينتج أن متابعة الهوى توجب سوء العذاب.

أما المقام الأول: وهو أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله فتقريره أن الهوى يدعو إلى الاستغراق في اللذات الجسمانية، والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات، لأنهما حالتان متضادتان فبقدر ما يزداد أحدهما ينقص الآخر.

أما المقام الثاني: وهو أن الضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب، فالأمر فيه ظاهر لأن الإنسان إذا عظم إلفه بهذه الجسمانيات ونسي بالكلية أحواله الروحانيات، فإذا مات فقد فارق المحبوب والمعشوق، ودخل ديارًا ليس له بأهل تلك الديار إلف وليس لعينه قوة مطالعة أنوار تلك الديار، فكأنه فارق المحبوب ووصل إلى المكروه، فكان لا محالة في أعظم العناء والبلاء، فثبت أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله. وثبت أن الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب، وهذا بيان في غاية الكمال.

ثم قال تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني أن السبب الأول لحصول ذلك الضلال هو نسيان يوم الحساب، لأنه لو كان متذكرًا ليوم الحساب لما أعرض عن إعداد الزاد ليوم المعاد، ولما صار مستغرقًا في هذه اللذات الفاسدة.

روي عن بعض خلفاء بني مروان أنه قال: لعمر بن عبد العزيز هل سمعت ما بلغنا أن الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية؟ فقال: يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الأنبياء؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقوله تعالى: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم: ٨].

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: احتج الجبائي بهذه الآية على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقًا لأعمال العباد قال: لأنها مشتملة على الكفر والفسق وكلها أباطيل. فلما بين تعالى أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً دل هذا على أنه تعالى لم يخلق أعمال العباد. ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ [الحجر: ٨٥] وعند المجبرة أنه خلق الكافر لأجل أن يكفر والكفر باطل، وقد خلق الباطل، ثم أكد تعالى ذلك بأن قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ أي كل من قال بهذا القول فهو كافر، فهذا تصريح بأن مذهب المجبرة عين الكفر، واحتج أصحابنا رحمهم الله بأن هذه الآية تدل على كونه تعالى خالقًا لأعمال العباد فقالوا هذه الآية تدل على كونه تعالى خالقًا لكل ما بين السموات والأرض، وأعمال العباد حاصلة بين السماء والأرض، فوجب أن يكون الله تعالى خالقًا لها.

المسألة الثانية: هذه الآية دالة على صحة القول بالحشر والنشر والقيامة، وذلك لأنه تعالى خلق الخلق في هذا العالم، فإما أن يقال: إنه خلقهم للإضرار أو للإنفاع أو لا للإنفاع ولا للإضرار، والأول باطل لأن ذلك لا يليق بالرحيم الكريم، والثالث أيضًا باطل لأن هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين، فلم يبق إلا أن يقال إنه خلقهم للإنفاع، فنقول وذلك الإنفاع، إما أن يكون في حياة الدنيا أو في حياة الآخرة، والأول باطل لأن منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة، وتحمل المضار الكثيرة للمنفعة القليلة لا يليق بالحكمة، ولما بطل هذا القسم ثبت القول بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيوية، وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة، واعلم أن هذا الدليل يمكن تقريره من وجوه كثيرة، وقد لخصناها في أول سورة يونس بالاستقصاء، فلا سبيل إلى التكرير فثبت بما ذكرنا أنه تعالى ما خلق السماء والأرض وما بينهما باطلاً وإذا لم يكن خلقهما باطلاً كان القول بالحشر والنشر لازمًا، وأن كل من أنكر القول بالحشر والنشر كان شاكًا في حكمة الله في خلق السماء والأرض، وهذا هو المراد من قوله: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ولما بين الله تعالى على سبيل الإجمال أن إنكار الحشر والنشر يوجب الشك في حكمة الله تعالى بين ذلك على سبيل التفصيل، فقال: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ وتقريره أنا نرى في الدنيا من أطاع الله واحترز عن معصيته في الفقر والزمانة وأنواع البلاء، ونرى الكفرة والفساق في الراحة والغبطة، فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد فحينئذ يكون حال المطيع أدون من حال العاصي، وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم، وإذا كان ذلك قادحًا في الحكمة، ثبت أن إنكار الحشر والنشر يوجب إنكار حكمة الله.

ثم قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قالت المعتزلة: دلت الآية على أنه تعالى إنما أنزل هذا القرآن لأجل الخير والرحمة والهداية، وهذا يفيد أمرين أحدهما: أن أفعال الله معللة برعاية المصالح، والثاني: أنه تعالى أراد الإيمان والخير والطاعة من الكل بخلاف قول من يقول: إنه أراد الكفر من الكافر.

المسألة الثانية: في تقرير نظم هذه الآيات فنقول، لسائل أن يسأل فيقول: إنه تعالى حكى في أول السورة عن المستهزئين من الكفار، أنهم بالغوا في إنكار البعث والقيامة، وقالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك لم يذكر الجواب، بل قال: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص: ١٧] ومعلوم أنه لا تعلق لذكر داود عليه السلام بأن القول بالقيامة حق، ثم إنه تعالى أطنب في شرح قصة داود، ثم أتبعه بقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ومعلوم أنه لا تعلق لمسألة إثبات حكمة الله بقصة داود، ثم لما ذكر إثبات حكمة الله

وفرع عليه إثبات أن القول بالحشر والنشر حق، ذكر بعده أن القرآن كتاب شريف فاضل كثير النفع والخير، ولا تعلق لهذا الفصل بالكلمات المتقدمة، وإذا كان كذلك كانت هذه الفصول فصولاً متباينة لا تعلق للبعض منها بالبعض، فكيف يليق بهذا الموضع وصف القرآن بكونه كتابًا شريفًا فاضلًا؟ هذا تمام السؤال والجواب أن نقول: إن العقلاء قالوا من أبلى بخصم جاهل مصر متعصب، ورآه قد خاض في ذلك التعصب والإصرار، وجب عليه أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة، لأنه كلما كان خوضه في تقريره أكثر كانت نفرته عن القبول أشد، فالطريق حينئذ أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة، وأن يخوض في كلام آخر أجنبي عن المسألة الأولى بالكلية ويطنب في ذلك الكلام الأجنبي، بحيث ينسى ذلك المتعصب تلك المسألة الأولى، فإذا اشتغل خاطره بهذا الكلام الأجنبي ونسي المسألة الأولى، فحينئذ يدرج في أثناء الكلام في هذا الفصل الأجنبي مقدمة مناسبة لذلك المطلوب الأول، فإن ذلك المتعصب يسلم هذه المقدمة، فإذا سلمها، فحينئذ يتمسك بها في إثبات المطلوب الأول، وحينئذ يصير ذلك الخصم المتعصب منقطعًا مفحمًا، إذا عرفت هذا فنقول إن الكفار بلغوا في إنكار الحشر والنشر والقيامة إلى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] فقال يا محمد اقطع الكلام معهم في هذه المسألة، واشرع في كلام آخر أجنبي بالكلية عن هذه المسألة، وهي قصة داود عليه السلام، فإن من المعلوم أنه لا تعلق لهذه القصة بمسألة الحشر والنشر، ثم إنه تعالى أطنب في شرح تلك القصة، ثم قال في آخر القصة: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦] وكل من سمع هذا قال: نعم ما فعل حيث أمره بالحكم بالحق، ثم كأنه تعالى قال: وأنا لا آمرك بالحق فقط، بل أنا مع أني رب العالمين لا أفعل إلا بالحق، ولا أقضي بالباطل، فهنا الخصم يقول: نعم ما فعل حيث لم يقض إلا بالحق، فعند هذا يقال: لما سلمت أن حكم الله يجب أن يكون بالحق لا بالباطل، لزمك أن تسلم صحة القول بالحشر والنشر، لأنه لو لم يحصل ذلك لزم أن يكون الكافر راجحًا على المسلم في إيصال الخيرات إليه، وذلك ضد الحكمة وعين الباطل، فبهذا الطريق اللطيف أورد الله تعالى الإلزام القاطع على منكري الحشر والنشر إيرادًا لا يمكنهم الخلاص عنه، فصار ذلك الخصم الذي بلغ في إنكار المعاد إلى حد الاستهزاء مفحمًا ملزمًا بهذا الطريق، ولما ذكر الله تعالى هذه الطريقة الدقيقة في الإلزام في القرآن، لا جرم وصف القرآن بالكمال والفضل، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فإن من لم يتدبر ولم يتأمل ولم يساعده التوفيق الإلهي لم يقف على هذه الأسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم، حيث يراه في ظاهر الحال مقرونًا بسوء الترتيب، وهو في الحقيقة مشتمل على أكمل جهات الترتيب، فهذا ما حضرنا في تفسير هذه الآيات، وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

واعلم أن هذا هو القصة الثانية وقوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾.

فيه مباحث:

الأول: نقول المخصوص بالمدح في ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ محذوف، فقيل هو سليمان، وقيل داود، والأول أولى لأنه أقرب المذكورين، ولأنه قال بعده ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ولا يجوز أن يكون المراد هو داود، لأن وصفه بهذا المعنى قد تقدم في الآية المتقدمة حيث قال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧] فلو قلنا لفظ الأواب ههنا أيضًا صفة داود لزم التكرار، ولو قلنا إنه صفة لسليمان لزم كون الابن شبيهًا لأبيه في صفات الكمال في الفضيلة، فكان هذا أولى.

الثاني: أنه قال أولاً ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ ثم قال بعده ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وهذه الكلمة للتعليل، فهذا يدل على أنه إنما كان ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ لأنه كان أوابًا، فيلزم أن كل من كان كثير الرجوع إلى الله تعالى في أكثر الأوقات وفي أكثر المهمات كان موصوفًا بأنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه، لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، ورأس المعارف ورئيسها معرفة الله تعالى، ورأس الطاعات ورئيسها الاعتراف بأنه لا يتم شيء من الخيرات إلا بإعانة الله تعالى، ومن كان كذلك كان كثير الرجوع إلى الله تعالى فكان أوابًا، فثبت أن كل من كان أوابًا وجب أن يكون ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾.

أما قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ ففيه وجوه الأول: التقدير ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ هو إذ كان من أعماله أنه فعل كذا، الثاني: أنه ابتداء كلام. والتقدير اذكر يا محمد إذ عرض عليه كذا وكذا، والعشي هو من حين العصر إلى آخر النهار عرض الخيل عليه لينظر إليها ويقف على كيفية أحوالها، والصافنات الجياد الخيل وصفت بوصفين:

الصفة الأولى: الصافنات، قال صاحب (الصحاح): الصافن الذي يصفن قدميه، وفي الحديث «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَهُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قُمْنَا صُفُونًا» أي قمنا صافنين أقدامنا، وأقول على كلا التقديرين فالصفون صفة دالة على فضيلة الفرس.

والصفة الثانية: للخيل في هذه الآية الجياد، قال المبرد: والجياد جمع جواد وهو الشديد الجري، كما أن الجواد من الناس هو السريع البذل، فالمقصود وصفها بالفضيلة والكمال حالتي وقوفها وحركتها، أما حال وقوفها فوصفها بالصفون، وأما حال حركتها فوصفها بالجودة، يعني أنها إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال، فإذا جرت كانت سراعًا في

جريها، فإذا طَلبت لحقت، وإذا طُلبت لم تلحق، ثم قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ وفي تفسير هذه اللفظة وجوه الأول: أن يضمن أحببت معنى فعل يتعدى بعن، كأنه قيل أحببت حب الخير عن ذكر ربي، والثاني: أن أحببت بمعنى ألزمت، والمعنى أني ألزمت حب الخيل عن ذكر ربي، أي عن كتاب ربي وهو التوراة، لأن ارتباط الخيل كما أنه في القرآن ممدوح فكذلك في التوراة ممدوح، والثالث: أن الإنسان قد يحب شيئًا لكنه يحب أن لا يحبه كالمريض الذي يشتهي ما يزيد في مرضه، والأب الذي يحب ولده الرديء، وأما من أحب شيئًا، وأحب أن يحبه كان ذلك غاية المحبة فقوله: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ بمعنى أحببت حبي لهذه الخيل.

ثم قال: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ بمعنى أن هذه المحبة الشديدة إنما حصلت عن ذكر الله وأمره لا عن الشهوة والهوى، وهذا الوجه أظهر الوجوه.

ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أقول الضمير في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾، وفي قوله: ﴿رُدُّوهَا﴾ يحتمل أن يكون كل واحد منهما عائدًا إلى الشمس، لأنه جرى ذكر ما له تعلق بها وهو العشي ويحتمل أن يكون كل واحد منهما عائدًا إلى الصافنات، ويحتمل أن يكون الأول متعلقًا بالشمس والثاني بالصافنات، ويحتمل أن يكون بالعكس من ذلك، فهذه احتمالات أربعة لا مزيد عليها فالأول: أن يعود الضميران معًا إلى الصافنات، كأنه قال حتى توارت الصافنات بالحجاب ردوا الصافنات علي، والاحتمال الثاني: أن يكون الضميران معًا عائدين إلى الشمس كأنه قال حتى توارت الشمس بالحجاب ردوا الشمس، وروي أنه ﷺ لما اشتغل بالخيل فاتته صلاة العصر، فسأل الله أن يرد الشمس فقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ إشارة إلى طلب رد الشمس، وهذا الاحتمال عندي بعيد والذي يدل عليه وجوه الأول: أن الصافنات مذكورة تصريحًا، والشمس غير مذكورة وعود الضمير إلى المذكور أولى من عوده إلى المقدر، الثاني: أنه قال: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ وظاهر هذا اللفظ يدل على أن سليمان عليه السلام كان يقول: إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي. وكان يعيد هذه الكلمات إلى أن توارت بالحجاب، فلو قلنا المراد حتى توارت الصافنات بالحجاب كان معناه أنه حين وقع بصره عليها حال جريها كان يقول هذه الكلمة إلى أن غابت عن عينه وذلك مناسب، ولو قلنا المراد حتى توارت الشمس بالحجاب كان معناه أنه كان يعيد عين هذه الكلمة من وقت العصر إلى وقت المغرب، وهذا في غاية البعد، الثالث: أنا لو حكمنا بعود الضمير في قوله حتى توارت إلى الشمس وحملنا اللفظ على أنه ترك صلاة العصر كان هذا منافيًا لقوله: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ فإن تلك المحبة لو كانت عن ذكر الله لما نسي الصلاة ولما ترك ذكر الله، الرابع: أنه بتقدير أنه عليه السلام بقي مشغولاً بتلك الخيل حتى غربت الشمس وفاتت صلاة العصر؟، فكان ذلك ذنبًا عظيمًا وجرمًا قويًا، فالأليق بهذه الحالة التضرع والبكاء والمبالغة في إظهار التوبة، فأما أن يقول على سبيل التهور والعظمة لإله العالم ورب العالمين: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ بمثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الأدب

عقيب ذلك الجرم العظيم، فهذا لا يصدر عن أبعد الناس عن الخير، فكيف يجوز إسناده إلى الرسول المطهر المكرم!، الخامس: أن القادر على تحريك الأفلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب أن يقول ردها علي ولا يقول ردوها علي، فإن قالوا إنما ذكر صيغة الجمع للتنبيه على تعظيم المخاطب فنقول قوله: ﴿رُدُّوهَا﴾ لفظ مشعر بأعظم أنواع الإهانة فكيف يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم، السادس: أن الشمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهدًا لكل أهل الدنيا ولو كان الأمر كذلك لتوفرت الدواعي على نقله وإظهاره، وحيث لم يقل أحد ذلك علمنا فساده، السابع: أنه تعالى قال: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ ثم قال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وعود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى، وأقرب المذكورين هو الصافنات الجياد، وأما العشي فأبعدهما فكان عود ذلك الضمير إلى الصافنات أولى، فثبت بما ذكرنا أن حمل قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ على تواري الشمس وأن حمل قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ على أن المراد منه طلب أن يرد الله الشمس بعد غروبها كلام في غاية البعد عن النظم.

ثم قال تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ أي فجعل سليمان عليه السلام يمسح سوقها وأعناقها، قال الأكثرون معناه أنه مسح السيف بسوقها وأعناقها أي قطعها، قالوا إنه عليه السلام لما فاتته صلاة العصر بسبب اشتغاله بالنظر إلى تلك الخيل استردها وعقر سوقها وأعناقها تقربًا إلى الله تعالى، وعندي أن هذا أيضًا بعيد، ويدل عليه وجوه الأول: أنه لو كان معنى مسح السوق والأعناق قطعها لكان معنى قوله: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] قطعها، وهذا مما لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح رأسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق، أما إذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم ألبتة من المسح العقر والذبح، الثاني: القائلون لهذا القول جمعوا على سليمان عليه السلام أنواعًا من الأفعال المذمومة فأولها: ترك الصلاة، وثانيها: أنه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا إلى حيث نسي الصلاة، وقال ﷺ: «**حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ**»(١) وثالثها: أنه بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والإنابة ألبتة، ورابعها: أنه خاطب رب العالمين بقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ وهذه كلمة لا يذكرها الرجل الحصيف إلا مع الخادم الخسيس، وخامسها: أنه أتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها وأعناقها، وروي عن النبي ﷺ «**نَهَى عَنْ ذَبْحِ الْحَيَوَانِ إِلاَّ لِمَأْكَلِهِ**» فهذه أنواع من الكبائر نسبوها إلى سليمان عليه السلام مع أن لفظ القرآن لم يدل على شيء منها، وسادسها: أن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٧] وأن الكفار لما بلغوا في السفاهة إلى هذا الحد قال الله تعالى لمحمد ﷺ: اصبر يا محمد على سفاهتهم ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ وذكر قصة داود، ثم ذكر عقيبها قصة سليمان، وكان التقدير أنه تعالى قال لمحمد عليه السلام: اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان، وهذا الكلام إنما يكون لائقًا لو قلنا إن

(١) تقدم.

سليمان عليه السلام أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة، وصبر على طاعة الله، وأعرض عن الشهوات واللذات، فأما لو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه القصة لائقًا بهذا الموضع، فثبت أن كتاب الله تعالى ينادي على هذه الأقوال الفاسدة بالرد والإفساد والإبطال بل التفسير المطابق للحق لألفاظ القرآن، والصواب أن نقول: إن رباط الخيل كان مندوبًا إليه في دينهم كما أنه كذلك في دين محمد ﷺ ثم إن سليمان عليه السلام احتاج إلى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس، وإنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي، ثم إنه عليه السلام أمر بإعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره، ثم أمر الرائضين بأن يردوا تلك الخيل إليه فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها، والغرض من ذلك المسح أمور الأول: تشريفًا لها وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو، الثاني: أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يتضع إلى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه، الثالث: أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض، فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقًا مطابقًا موافقًا، ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والمحذورات، وأقول: أنا شديد التعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع أن العقل والنقل يردها، وليس لهم في إثباتها شبهة فضلًا عن حجة، فإن قيل: فالجمهور فسروا الآية بذلك الوجه، فما قولك فيه؟ فنقول: لنا ههنا مقامان:

المقام الأول: أن ندعي أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها، وقد ظهر والحمد لله أن الأمر كما ذكرناه، وظهوره لا يرتاب العاقل فيه.

المقام الثاني: أن يقال هب أن لفظ الآية لا يدل عليه إلا أنه كلام ذكره الناس، فما قولك فيه وجوابنا أن الدلالة الكثيرة قامت على عصمة الأنبياء عليهم السلام، ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية، فكيف الحكايات عن أقوام لا يبالى بهم ولا يلتفت إلى أقوالهم، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

اعلم أن هذه الآية شرح واقعة ثانية لسليمان عليه السلام واختلفوا في المراد من قوله: ﴿وَلَقَدْ

فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ ولأهل الحشو والرواية فيه قول، ولأهل العلم والتحقيق قول آخر، أما قول أهل الحشو فذكروا فيه حكايات:

الرواية الأولى: قالوا: إن سليمان بلغه خبر مدينة في البحر فخرج إليها بجنوده تحمله الريح فأخذها وقتل ملكها، وأخذ بنتًا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت فأحبها وكانت تبكي أبدًا على أبيها فأمر سليمان الشيطان فمثل لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تذهب إلى تلك الصورة بكرة وعشيًا مع جواريها يسجدن لها، فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة، ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش الرماد فجلس عليه تائبًا إلى الله تعالى، وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يومًا، فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان، وقال: يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان فأتى عليه الطير والجن والإنس، وتغيرت هيئة سليمان فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته، فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه، ثم أخذ يخدم السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحالة أربعين يومًا عدد ما عبد الوثن في بيته، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان، فقلن: ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة، وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدًا لله، ورجع إليه ملكه وأخذ ذلك الشيطان وأدخله في صخرة وألقاها في البحر.

والرواية الثانية للحشوية: أن تلك المرأة لما أقدمت على عبادة تلك الصورة افتتن سليمان وكان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها، فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك فتب إلى الله.

والرواية الثالثة: لَهُمْ قالوا: إن سليمان قال لبعض الشياطين: كيف تفتنون الناس؟ فقال: أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه، ثم ذكر الحكاية إلى آخرها.

إذا عرفت هذه الروايات فهؤلاء قالوا المراد من قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أن الله تعالى ابتلاه وقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيه.

والرواية الرابعة: أنه كان سبب فتنته احتجابه عن الناس ثلاثة أيام فسلب ملكه وألقي على سريره شيطان عقوبة له.

واعلم أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه الأول: أن الشيطان لو قدر على أن يتشبه بالصورة والخلقة بالأنبياء، فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع، فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك بل كانوا

شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال، ومعلوم أن ذلك يبطل الدين بالكلية، الثاني: أن الشيطان لو قدر على أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد، وحينئذ وجب أن يقتلهم وأن يمزق تصانيفهم وأن يخرب ديارهم، ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلأن يبطل مثله في حق أكابر الأنبياء أولى، والثالث: كيف يليق بحكمة الله وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان؟ ولا شك أنه قبيح، الرابع: لو قلنا إن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه، وإن لم يأذن فيه ألبتة فالذنب على تلك المرأة، فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه؟ فأما الوجوه التي ذكرها أهل التحقيق في هذا الباب فأشياء:

الأول: أن فتنة سليمان أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش صار مسلطًا علينا مثل أبيه فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يربيه في السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته إذ ألقي ذلك الولد ميتًا على كرسيه فتنبه على خطيئته في أنه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه وأناب.

الثاني: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**قَالَ سُلَيمَانُ لأَطُوفَنَّ اللَّيلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةٍ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ فَلَمْ تَحْمَلْ إِلاَّ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ فَجِيءَ بِهِ عَلَى كُرْسِيِّهِ فَوُضِعَ فِي حِجْرِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا كُلُّهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ**»[(١)] فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾.

الثالث: قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ منه ﴿جَسَدًا﴾ وذلك لشدة المرض. والعرب تقول في الضعيف إنه لحم على وضم وجسم بلا روح ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي رجع إلى حال الصحة، فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة ألبتة إلى حمله على تلك الوجوه الركيكة.

الرابع: أقول: لا يبعد أيضًا أن يقال إنه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف أو توقع بلاء من بعض الجهات عليه، وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي، ثم إنه أزال الله عنه ذلك الخوف، وأعاد إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب.

أما قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ فاعلم أن الذين حملوا الكلام المتقدم على صدور الزلة منه تمسكوا بهذه الآية، فإنه لولا تقدم الذنب لما طلب المغفرة، ويمكن أن يجاب عنه بأن الإنسان لا ينفك ألبتة عن ترك الأفضل والأولى، وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفرة لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولأنهم أبدًا في مقام هضم النفس، وإظهار الذلة والخضوع، كما قال ﷺ:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (الأيمان)، باب: (كيف كانت يمين النبي ﷺ) (١١/ ٥٣٣)، حديث رقم (٦٦٣٩) من طريق شعيب. . . به، ومسلم في كتاب (الأيمان)، باب: (الاستثناء) (٣/ ٢٣/ ١٢٧٥) من طريق سفيان. . . به، جميعًا عن أبي الزناد. . . به.

«إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً»[(١)] ولا يبعد أن يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ دلت هذه الآية على أنه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا، لأن سليمان طلب المغفرة أولاً ثم بعده طلب المملكة. وأيضًا الآية تدل على أن طلب المغفرة من الله تعالى سبب لانفتاح أبواب الخيرات في الدنيا، لأن سليمان طلب المغفرة أولاً ثم توسل به إلى طلب المملكة، ونوح عليه السلام هكذا فعل أيضًا لأنه تعالى حكى عنه أنه قال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢] فإن قيل قوله عليه السلام: ﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ مشعر بالحسد، والجواب عنه أن القائلين بأن الشيطان استولى على مملكته قالوا: معنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ﴾، هو أن يعطيه الله ملكًا لا تقدر الشياطين أن يقوموا مقامه ألبتة، فأما المنكرون لذلك فقد أجابوا عنه من وجوه الأول: أن الملك هو القدرة فكان المراد أقدرني على أشياء لا يقدر عليها غيري ألبتة، ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي. والدليل على صحة هذا الكلام أنه تعالى قال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ فكون الريح جاريًا بأمره قدرة عجيبة وملك عجيب، ولا شك أنه معجزة دالة على نبوته فكان قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ هو هذا المعنى لأن شرط المعجزة أن لا يقدر غيره على معارضتها، فقوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ يعني لا يقدر أحد على معارضته، والوجه الثاني: في الجواب أنه عليه السلام لما مرض ثم عاد إلى الصحة عرف أن خيرات الدنيا صائرة إلى الغير بإرث أو بسبب آخر، فسأل ربه ملكًا لا يمكن أن ينتقل منه إلى غيره، وذلك الذي سأله بقوله: ﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ أي ملكًا لا يمكن أن ينتقل عني إلى غيري، الوجه الثالث في الجواب: أن الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها أشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها، فكأنه قال: يا إلهي أعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية، حتى أحترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي أكمل وأفضل، الوجه الرابع: من الناس من يقول إن الاحتراز عن لذات الدنيا عسر صعب، لأن هذه اللذات حاضرة وسعادات الآخرة نسيئة، والنقد يصعب بيعه بالنسيئة، فقال سليمان: أعطني يا رب مملكة تكون أعظم الممالك الممكنة للبشر، حتى أني أبقى مع تلك القدرة الكاملة في غاية الاحتراز عنها ليظهر للخلق أن حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى، الوجه الخامس: أن من لم يقدر على الدنيا يبقى ملتفت القلب إليها فيظن أن فيها سعادات عظيمة وخيرات نافعة، فقال سليمان: يا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الذكر)، باب: (استحباب الاستغفار والاستكثار فيه) (٤/ ٢٠٧٥/ ٤١)، وأبو داود في كتاب (الصلاة)، باب: (في الاستغفار) (٢/ ٦٥٤)، حديث رقم (١٥١٥)، وأحمد في (مسنده) (٤/ ٢١١)، جميعًا من طريق حماد... به.

رب العزة أعطني أعظم الممالك حتى يقف الناس على كمال حالها، فحينئذ يظهر للعقل أنه ليس فيها فائدة وحينئذ يعرض القلب عنها ولا يلتفت إليها، وأشتغل بالعبودية ساكن النفس غير مشغول القلب بعلائق الدنيا، ثم قال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ رخاء أي رخوة لينة وهي من الرخاوة والريح إذا كانت لينة لا تزعزع ولا تمتنع عليه كانت طيبة، فإن قيل أليس أنه تعالى قال في آية أخرى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأنبياء: ٨١] قلنا: الجواب من وجهين:

الأول: لا منافاة بين الآيتين فإن المراد أن تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة إلا أنها لما جرت بأمره كانت لذيذة طيبة فكانت رخاء.

والوجه الثاني: من الجواب أن تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة أخرى ولا منافاة بين الأمرين وقوله تعالى: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي قصد وأراد، وحكى الأصمعي عن العرب أنهم يقولون: أصاب الصواب فأخطأ الجواب. وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما، فقال أين تصيبان؟ فقالا: هذا مطلوبنا. وبالجملة فالمقصود أنه تعالى جعل الريح مسخرة له حتى صارت تجري بأمره على وفق إرادته، ثم قال: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾، قال صاحب (الكشاف): ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطف على الريح و﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدل من ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾، ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على قوله: ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ، وقوله: ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ يقال قرنهم في الحبال والتشديد للكثرة ﴿ٱلْأَصْفَادِ﴾ الأغلال واحدها صفد والصفد العطية أيضًا، قال النابغة[1]:

وَلَـمْ أُعَـرِّضْ أَبَيْـتَ اللَّعْـنَ بِـالصَّفَـدِ

فعلى هذا الصفد القيد فكل من شددته شدًّا وثيقًا فقد صفدته، وكل من أعطيته عطاء جزيلاً فقد أصفدته، وههنا بحث، وهو أن هذه الآيات دالة على أن الشياطين لها قوة عظيمة، وبسبب تلك القوة قدروا على بناء الأبنية القوية التي لا يقدر عليها البشر، وقدروا على الغوص في البحار، واحتاج سليمان عليه السلام إلى قيدهم، ولقائل أن يقول: إن هذه الشياطين إما أن تكون أجسادهم كثيفة أو لطيفة، فإن كان الأول وجب أن يراهم من كان صحيح الحاسة، إذ لو جاز أن لا نراهم مع كثافة أجسادهم، فليجز أن تكون بحضرتنا جبال عالية وأصوات هائلة ولا نراها ولا نسمعها، وذلك دخول في السفسطة، وإن كان الثاني وهو أن أجسادهم ليست كثيفة، بل لطيفة رقيقة، فمثل هذا يمتنع أن يكون موصوفًا بالقوة الشديدة، وأيضًا لزم أن تتفرق أجسادهم وأن تتمزق بسبب الرياح القوية وأن يموتوا في الحال، وذلك يمنع من وصفهم ببناء الأبنية القوية، وأيضًا الجن والشياطين إن كانوا موصوفين بهذه القوة والشدة، فلم لا يقتلون العلماء والزهاد في زماننا؟ ولم لا يخربون ديار الناس؟ مع أن المسلمين مبالغون في إظهار لعنهم وعداوتهم. وحيث لم يحس شيء من ذلك، علمنا أن القول بإثبات الجن والشياطين ضعيف.

---

(١) تقدم ترجمة النابغة.

واعلم أن أصحابنا يجوزون أن تكون أجسامهم كثيفة مع أنا لا نراها، وأيضًا لا يبعد أن يقال أجسامهم لطيفة بمعنى عدم اللون، ولكنها صلبة بمعنى أنها لا تقبل التفرق والتمزق. وأما الجبائي فقد سلم أنها كانت كثيفة الأجسام، وزعم أن الناس كانوا يشاهدونهم في زمن سليمان، ثم إنه لما توفي سليمان عليه السلام، أمات الله أولئك الجن والشياطين، وخلق نوعًا آخر من الجن والشياطين تكون أجسامهم في غاية الرقة، ولا يكون لهم شيء من القوة، والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس إلا من هذا الجنس.

ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ وفيه قولان الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب، أي ليس عليك حرج فيما أعطيت وفيما أمسكت، الثاني: أن هذا في أمر الشياطين خاصة، والمعنى هؤلاء الشياطين المسخرون عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين فحل عنه، واحبس من شئت منهم في العمل بغير حساب.

ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به على سليمان في الدنيا، أردفه بإنعامه عليه في الآخرة، فقال: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ وقد سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٤٤﴾

اعلم أن هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة، واعلم أن داود وسليمان كانا ممن أفاض الله عليهما أصناف الآلاء والنعماء، وأيوب كان ممن خصه الله تعالى بأنواع البلاء، والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار، كأن الله تعالى قال: يا محمد اصبر على سفاهة قومك فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ومالاً وجاهًا من داود وسليمان عليهما السلام، وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيوب، فتأمل في أحوال هؤلاء لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد، وأن العاقل لا بد له من الصبر على المكاره.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال صاحب (الكشاف): أيوب عطف بيان، وإذ بدل اشتمال منه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾ أي بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب، وقرئ: ﴿بِنُصۡبٖ﴾ بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وفتحها وضمها، فالنُّصْب والنَّصَب، كالرُّشْد والرَّشَد، والعدم والعدم، والسقم والسقم، والنصب على أصل المصدر، والنصب

تثقيل نصب، والمعنى واحد، وهو التعب والمشقة والعذاب والألم.

واعلم أنه كان قد حصل عنده نوعان من المكروه: الغم الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات، والألم الشديد في الجسم ولما حصل هذان النوعان لا جرم، ذكر الله تعالى لفظين وهما النصب والعذاب.

المسألة الثانية: للناس في هذا الموضع قولان الأول: أن الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه إنما حصلت بفعل الشيطان، الثاني: أنها إنما حصلت بفعل الله، والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة، وإلقاء الخواطر الفاسدة.

وأما القول الأول: فتقريره ما روي أن إبليس سأل ربه، فقال: هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني؟ فقال الله: نعم عبدي أيوب، فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى إبليس عيانًا ولا يلتفت إليه، فقال: يا رب إنه قد امتنع علي فسلطني على ماله، وكان يجيئه ويقول له: هلك من مالك كذا وكذا، فيقول: الله أعطى والله أخذ، ثم يحمد الله، فقال: يا رب إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده، فجاء وزلزل الدار فهلك أولاده بالكلية، فجاءه وأخبره به فلم يلتفت إليه، فقال: يا رب لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده، فأذن فيه، فنفخ في جلد أيوب، وحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه، فمكث في ذلك البلاء سنين، حتى صار بحيث استقذره أهل بلده، فخرج إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد، فجاء الشيطان إلى امرأته، وقال: لو أن زوجك استعان بي لخلصته من هذا البلاء، فذكرت المرأة ذلك لزوجها، فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة، وعند هذه الواقعة قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ وَعَذَابٍ﴾ فأجاب الله دعاءه، وأوحى إليه أن ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ فأظهر الله من تحت رجله عينًا باردة طيبة فاغتسل منها، فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه، ورد عليه أهله وماله.

والقول الثاني: أن الشيطان لا قدرة له ألبتة على إيقاع الناس في الأمراض والآلام، والدليل عليه وجوه الأول: أنا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان، فلعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان، ولعل كل ما حصل عندنا من الخيرات والسعادات، فقد حصل بفعل الشيطان، وحينئذٍ لا يكون لنا سبيل إلى أن نعرف أن معطي الحياة والموت والصحة والسقم، هو الله تعالى، الثاني: أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الأنبياء والأولياء، ولم لا يخرب دورهم، ولم لا يقتل أولادهم، الثالث: أنه تعالى حكى عن الشيطان أنه قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر إلا على إلقاء الوساوس والخواطر الفاسدة، وذلك يدل على قول من يقول إن الشيطان هو الذي ألقاه في تلك الأمراض والآفات، فإن قال قائل: لم لا يجوز أن يقال إن الفاعل لهذه الأحوال هو الله تعالى لكن على وفق التماس الشيطان؟ قلنا: فإذا كان لا بد من الاعتراف بأن خالق تلك الآلام والأسقام هو الله تعالى، فأي فائدة في جعل الشيطان واسطة في

ذلك؟ بل الحق أن المراد من قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ أنه بسبب إلقاء الوساوس الفاسدة والخواطر الباطنة كان يلقيه في أنواع العذاب والعناء، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أن تلك الوساوس كيف كانت وذكروا فيه وجوهًا الأول: أن علته كانت شديدة الألم، ثم طالت مدة تلك العلة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته، ولم يبق له شيء من الأموال ألبتة، وامرأته كانت تخدم الناس وتحصل له قدر القوت، ثم بلغت نفرة الناس عنه إلى أن منعوا امرأته من الدخول عليهم ومن الاشتغال بخدمتهم، والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت، وكان يحتال في دفع تلك الوساوس، فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع إلى الله، وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ لأنه كلما كانت تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أشد. الثاني: أنها لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان وكان يقنطه من ربه ويزين له أن يجزع فخاف من تأكد خاطر القنوط في قلبه فتضرع إلى الله تعالى وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، الثالث: قيل إن الشيطان لما قال لامرأته: لو أطاعني زوجك أزلت عنه هذه الآفات، فذكرت المرأة له ذلك، فغلب على ظنه أن الشيطان طمع في دينه فشق ذلك عليه فتضرع إلى الله تعالى وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، الرابع: روي عن النبي ﷺ: «**أَنَّهُ بَقِيَ أَيُّوبُ فِي الْبَلَاءِ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى رَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلاَّ رَجُلَيْنِ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَتَى بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلَوْلاَهُ مَا وَقَعَ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَلَاءِ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: لاَ أَدْرِي مَا تَقُولاَنِ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ تَعَالَى فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأَنْفِرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلاَّ فِي الْحَقِّ**»، الخامس: قيل: إن امرأته كانت تخدم الناس فتأخذ منهم قدر القوت وتجيء به إلى أيوب، فاتفق أنهم ما استخدموها ألبتة وطلب بعض النساء منها قطع إحدى ذؤابتيها على أن تعطيها قدر القوت ففعلت، ثم في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذؤابة، وكان أيوب عليه السلام إذا أراد أن يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة، فلما لم يجد الذؤابة وقعت الخواطر المؤذية في قلبه واشتد غمه، فعند ذلك قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾. السادس: قال في بعض الأيام: يا رب لقد علمت ما اجتمع علي أمران إلا آثرت طاعتك، ولما أعطيتني المال كنت للأرامل قيمًا، ولابن السبيل معينًا، ولليتامى أبًا! فنودي من غمامة يا أيوب ممن كان ذلك التوفيق؟ فأخذ أيوب التراب ووضعه على رأسه، وقال: منك يا رب ثم خاف من الخاطر الأول فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ وقد ذكروا أقوالاً أخرى، والله أعلم بحقيقة الحال، وسمعت بعض اليهود يقول: إن لموسى بن عمران عليه السلام كتابًا مفردًا في واقعة أيوب، وحاصل ذلك الكتاب أن أيوب كان رجلاً كثير الطاعة لله تعالى مواظبًا على العبادة، مبالغًا في التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله، ثم إنه وقع في البلاء الشديد والعناء العظيم، فهل كان ذلك لحكمة أم لا؟ فإن كان ذلك لحكمة فمن المعلوم أنه ما أتى بجرم في الزمان السابق حتى يجعل ذلك العذاب في مقابلة

ذلك الجرم، وإن كان ذلك لكثرة الثواب فالإله الحكيم الرحيم قادر على إيصال كل خير ومنفعة إليه من غير توسط تلك الآلام الطويلة والأسقام الكريهة، وحينئذٍ لا يبقى في تلك الأمراض والآفات فائدة، وهذه كلمات ظاهرة جلية وهي دالة على أن أفعال ذي الجلال منزهة عن التعليل بالمصالح والمفاسد، والحق الصريح أنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

المسألة الثالثة: لفظ الآية يدل على أن ذلك النصب والعذاب إنما حصل من الشيطان ثم ذلك العذاب على القول الأول عبارة عما حصل في بدنه من الأمراض، وعلى القول الثاني عبارة عن الأحزان الحاصلة في قلبه بسبب إلقاء الوساوس، وعلى التقديرين فيلزم إثبات الفعل للشيطان، وأجاب أصحابنا رحمهم الله بأنا لا ننكر إثبات الفعل للشيطان لكنا نقول فعل العبد مخلوق لله تعالى على التفصيل المعلوم.

أما قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ فالمعنى أنه لما شكى من الشيطان، فكأنه سأل ربه أن يزيل عنه تلك البلية فأجابه الله إليه بأن قال له: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ والركض هو الدفع القوي بالرجل، ومنه ركضك الفرس، والتقدير قلنا له: اركض برجلك، قيل: إنه ضرب رجله تلك الأرض فنبعت عين فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي هذا ماء تغتسل به فيبرأ باطنك، وظاهر اللفظ يدل على أنه نبعت له عين واحدة من الماء اغتسل فيه وشرب منه. والمفسرون قالوا: نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه بإذن الله، وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها.

ثم قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ فقد قيل: هُمْ عين أهله وزيادة مثلهم، وقيل: غيرهم مثلهم، والأول أولى لأنه هو الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة، ثم اختلفوا فقال بعضهم: معناه أزلنا عنهم السقم فعادوا أصحاء، وقال بعضهم: بل حضروا عنده بعد أن غابوا عنه واجتمعوا بعد أن تفرقوا. وقال بعضهم: بل تمكن منهم وتمكنوا منه فيما يتصل بالعشرة وبالخدمة.

أما قوله: ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فالأقرب أنه تعالى متعه بصحته وبماله وقواه حتى كثر نسله وصار أهله ضعف ما كان وأضعاف ذلك، وقال الحسن رحمه الله: المراد بهبة الأهل أنه تعالى أحياهم بعد أن هلكوا.

ثم قال: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي إنما فعلنا كل هذه الأفعال على سبيل الفضل والرحمة، لا على سبيل اللزوم.

ثم قال: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يعني سلطنا البلاء عليه أولاً فصبر ثم أزلنا عنه البلاء وأوصلناه إلى الآلاء والنعماء، تنبيهًا لأولي الألباب على أن من صبر ظفر، والمقصود منه التنبيه على ما وقع ابتداء الكلام به وهو قوله لمحمد: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾[ص: ١٧] وقالت المعتزلة: قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يعني إنما فعلناها لهذه الأغراض

والمقاصد، وذلك يدل على أن أفعال الله وأحكامه معللة بالأغراض والمصالح والكلام في هذا الباب قد مر غير مرة.

أما قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ فهو معطوف على ﴿ٱرْكُضْ﴾ والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. واعلم أن هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه، وفي الخبر أنه حلف على أهله، ثم اختلفوا في السبب الذي لأجله حلف عليها، ويبعد ما قيل إنها رغبته في طاعة الشيطان، ويبعد أيضًا ما روي أنها قطعت الذوائب عن رأسها لأن المضطر إلى الطعام يباح له ذلك بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات، وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه ليضربنها مائة إذا برئ، ولما كانت حسنة الخدمة له لا جرم حلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها، وهذه الرخصة باقية، وعن النبي ﷺ أنه أتى بمجذم خبث بأمة فقال: «خُذُوا عِثْكَالاً فِيهِ مِائَةُ شِمْرَاخٍ فَاضْرِبُوهُ بِهِ ضَرْبَةً» (١).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ فإن قيل: كيف وجده صابرًا وقد شكى إليه، والجواب من وجوه الأول: أنه شكى من الشيطان إليه وما شكى منه إلى أحد، الثاني: أن الألم حين كان على الجسد لم يذكر شيئًا فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع، الثالث: أن الشيطان عدو، والشكاية من العدو إلى الحبيب لا تقدح في الصبر، ثم قال: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وهذا يدل على أن تشريف نعم العبد، إنما حصل لكونه أوابًا، وسمعت بعضهم قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ في حق سليمان عليه السلام تارة، وفي حق أيوب عليه السلام أخرى عظم الغم في قلوب أمة محمد ﷺ وقالوا: إن قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ في حق سليمان تشريف عظيم، فإن احتجنا إلى اتفاق مملكة مثل مملكة سليمان حتى نجد هذا التشريف لم نقدر عليه، وإن احتجنا إلى تحمل بلاء مثل أيوب لم نقدر عليه، فكيف السبيل إلى تحصيله؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠] والمراد أنك إن لم تكن ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ فأنا ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٠] وإن كان منك الفضول، فمني الفضل، وإن كان منك التقصير، فمني الرحمة والتيسير.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

في الآية مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن كثير: (عبدنا) على الواحد وهي قراءة ابن عباس، ويقول إن قوله:

(١) تقدم.

(عبدنا) تشريف عظيم، فوجب أن يكون هذا التشريف مخصوصًا بأعظم الناس المذكورين في هذه الآية وهو إبراهيم وقرأ الباقون: ﴿عِبَٰدَنَآ﴾ قالوا لأن غير إبراهيم من الأنبياء قد أجري عليه هذا الوصف فجاء في عيسى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩] وفي أيوب: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤] وفي نوح: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] فمن قرأ (عبدنا) جعل إبراهيم وحده عطف بيان له، ثم عطف ذريته على (عبدنا) وهي إسحاق ويعقوب، ومن قرأ ﴿عِبَٰدَنَآ﴾ جعل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عطف بيان لعبادنا.

المسألة الثانية: تقدير الآية كأنه تعالى قال: فاصبر على ما يقولون واذكر عبادنا داود إلى أن قال: واذكر عبادنا إبراهيم أي واذكر يا محمد صبر إبراهيم حين ألقي في النار، وصبر إسحاق للذبح، وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره. ثم قال: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾، واعلم أن اليد آلة لأكثر الأعمال والبصر آلة لأقوى الإدراكات، فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر. إذا عرفت هذا فنقول: النفس الناطقة الإنسانية لها قوتان عاملة وعالمة، أما القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها طاعة الله، وأما القوة العالمة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله، وما سوى هذين القسمين من الأعمال والمعارف فكالعبث والباطل، فقوله: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ إشارة إلى هاتين الحالتين.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: قوله: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ قرئ بالتنوين والإضافة فمن نون كان التقدير أخلصناهم أي جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وهي ذكرى الدار، ومن قرأ بالإضافة فالمعنى بما خلص من ذكرى الدار، يعني أن ذكرى الدار قد تكون لله وقد تكون لغير الله، فالمعنى إنا أخلصناهم بسبب ما خلص من هذا الذكر.

المسألة الثانية: في ذكرى الدار وجوه الأول: المراد أنهم استغرقوا في ذكرى الدار الآخرة وبلغوا في هذا الذكر إلى حيث نسوا الدنيا، الثاني: المراد حصول الذكر الجليل الرفيع لهم في الدار الآخرة، الثالث: المراد أنه تعالى أبقى لهم الذكر الجميل في الدنيا وقبل دعاءهم في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ أي المختارين من أبناء جنسهم والأخياء جمع خير أو خير على التخفيف كأموات في جمع ميت أو ميت، واحتج العلماء بهذه الآية في إثبات عصمة الأنبياء قالوا، لأنه تعالى حكم عليهم بكونهم أخيارًا على الإطلاق، وهذا يعم حصول الخيرية في جميع الأفعال والصفات بدليل صحة الاستثناء وبدليل دفع الإجمال.

ثم قال: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ وهم قوم آخرون من الأنبياء تحملوا الشدائد في دين الله، وقد ذكرنا الكلام في شرح هذه الأسماء وفي صفات هؤلاء الأنبياء في

سورة الأنبياء وفي سورة الأنعام، فلا فائدة في الإعادة، وههنا آخر الكلام في قصص الأنبياء في هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

اعلم أن في قوله: ﴿ذِكْرٌ﴾ وجهين الأول: أنه تعالى إنما شرح ذكر أحوال هؤلاء الأنبياء عليهم السلام لأجل أن يصبر محمد عليه السلام على تحمل سفاهة قومه فلما تمم بيان هذا الطريق وأراد أن يذكر عقيبه طريقًا آخر يوجب الصبر على سفاهة الجهال، وأراد أن يميز أحد البابين عن الآخر، لا جرم قال: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾، ثم شرع في تقرير الباب الثاني فقال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما أن المصنف إذا تمم كلامًا قال: هذا باب، ثم شرع في باب آخر، وإذا فرغ الكاتب من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر قال: هذا وقد كان كيت وكيت، والدليل عليه أنما لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يردفه بذكر أهل النار قال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ [ص: ٥٥]الوجه الثاني في التأويل: أن المراد هذا شرف وذكر جميل لهؤلاء الأنبياء عليهم السلام يذكرون به أبدًا، والأول هو الصحيح.

أما قوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

فاعلم أنه تعالى لما حكى عن كفار قريش سفاهتهم على النبي ﷺبأن وصفوه بأنه ساحر كذاب، وقالوا له على سبيل الاستهزاء ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]فعند هذا أمر محمدًا بالصبر على تلك السفاهة، وبين أن ذلك الصبر لازم من وجهين الأول: أنه تعالى لما بين أن الأنبياء المتقدمين صبروا على المكاره والشدائد، فيجب عليك أن تقتدي بهم في هذا المعنى، الثاني: أنه تعالى بين في هذه الآية أن من أطاع الله كان له من الثواب كذا وكذا، ومن خالفه كان له من العقاب كذا وكذا، وكل ذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى، وهذا نظم حسن وترتيب لطيف.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ المآب المرجع. واحتج القائلون بقدم الأرواح بهذه الآية، وبكل آية تشتمل على لفظ الرجوع، ووجه الاستدلال أن لفظ الرجوع إنما يصدق لو كانت هذه الأرواح موجودة قبل الأجساد، وكانت في حضرة جلال الله ثم تعلقت بالأبدان، فعند انفصالها عن الأبدان يسمى ذلك رجوعًا وجوابه: أن هذا إن دل فإنما يدل على أن الأرواح كانت موجودة قبل الأبدان، ولا يدل على قدم الأرواح.

ثم قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ وهو بدل من قوله: ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ثم قال: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا في تأويل هذا اللفظ وجوهًا الأول: قال الفراء: معناه مفتحة لهم

أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفًا من الإضافة، تقول العرب: مررت برجل حسن الوجه، فالألف واللام في الوجه بدل من الإضافة، والثاني: قال الزجاج: المعنى: (مفتحة لهم الأبواب) منها، الثالث: قال صاحب (الكشاف): ﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ بدل من الضمير، وتقديره مفتحة هي الأبواب، كقولك: ضرب زيد اليد والرجل، وهو من بدل الاشتمال.

المسألة الثانية: قرئ: (جنات عدن مفتحة) بالرفع على تقدير أن يكون قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ مبتدأ و﴿مُّفَتَّحَةً﴾ خبره، وكلاهما خبر مبتدأ محذوف، أي هو (جناتُ عَدنٍ مُفتَّحةٌ لهم).

المسألة الثالثة: اعلم أنه تعالى وصف من أحوال أهل الجنة في هذه الآية أشياء الأول: أحوال مساكنهم، فقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ يدل على أمرين أحدهما: كونها جنات وبساتين والثاني: كونها دائمة آمنة من الانقضاء.

وفي قوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ وجوه الأول: أن يكون المعنى أن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام، فيدخل كذلك محفوفًا بالملائكة على أعز حال وأجمل هيئة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. الثاني: أن تلك الأبواب كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم، وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم، الثالث: المراد من هذا الفتح، وصف تلك المساكن بالسعة، ومسافرة العيون فيها، ومشاهدة الأحوال اللذيذة الطيبة.

ثم قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا﴾.

وفيه مباحث:

البحث الأول: أنه تعالى ذكر في هذه الآية كونهم متكئين في الجنة، وذكر في سائر الآيات كيفية ذلك الاتكاء، فقال في آية: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦] وقال في آية أخرى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

البحث الثاني: قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ حال قدمت على العامل فيها وهو قوله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ والمعنى يدعون في الجنات ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ ثم قال: ﴿بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ والمعنى بألوان الفاكهة وألوان الشراب، والتقدير بفاكهة كثيرة وشراب كثير، والسبب في ذكر هذا المعنى أن ديار العرب حارة قليلة الفواكه والأشربة، فرغبهم الله تعالى فيه.

ولما بين تعالى أمر المسكن وأمر المأكول والمشروب ذكر عقيبه أمر المنكوح، فقال: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ وقد سبق تفسيره في سورة والصافات، وبالجملة فالمعنى كونهن قاصرات عن غيرهم مقصورات القلب على محبتهم، وقوله: ﴿أَتْرَابٌ﴾ أي على سن واحد، ويحتمل كون الجواري أترابًا، ويحتمل كونهن أترابًا للأزواج، قال القفال: والسبب في اعتبار هذه الصفة، أنهن لما تشابهن في الصفة والسن والحلية كان الميل إليهن على السوية، وذلك يقتضي عدم الغيرة.

ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني أن الله تعالى وعد المتقين بالثواب الموصوف بهذه الصفة، ثم إنه تعالى أخبر عن دوام الثواب فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

اعلم أنه تعالى لما وصف ثواب المتقين، وصف بعده عقاب الطاغين، ليكون الوعيد مذكورًا عقيب الوعد، والترهيب عقيب الترغيب.

واعلم أنه تعالى ذكر من أحوال النار أنواعًا فالأول: مرجعهم ومآبهم، فقال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ وهذا في مقابلة قوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٩] فبين تعالى أن حال الطاغين مضاد لحال المتقين، واختلفوا في المراد بالطاغين، فأكثر المفسرين حملوه على الكفار، وقال الجبائي: إنه محمول على أصحاب الكبائر سواء كانوا كفارًا أو لم يكونوا كذلك، واحتج الأولون بوجوه الأول: أن قوله: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ يقتضي أن يكون مآبهم شرًّا من مآب غيرهم، وذلك لا يليق إلا بالكفار، الثاني: أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ وذلك لا يليق إلا بالكفار، لأن الفاسق لا يتخذ المؤمن سخريًا، الثالث: أنه اسم ذم، والاسم المطلق محمول على الكامل، والكامل في الطغيان هو الكافر، واحتج الجبائي على صحة قوله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] وهذا يدل على أن الوصف بالطغيان قد يحصل في حق صاحب الكبيرة، ولأن كل من تجاوز عن تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى، إذا عرفت هذا فنقول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: المعنى أن الذين طغوا وكذبوا رسلي لهم شر مآب، أي شر مرجع ومصير، ثم قال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ والمعنى أنه تعالى لما حكم بأن الطاغين لهم شر مآب فسره بقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ ثم قال: ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ وهو كقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] شبه الله ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم.

ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: فيه وجهان الأول: أنه على التقديم والتأخير، والتقدير هذا حميم وغساق

فليذوقوه، الثاني: أن يكون التقدير جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه، ثم يبتدئ فيقول: حميم وغساق.

المسألة الثانية: الغساق بالتخفيف والتشديد فيه وجوه الأول: أنه الذي يغسق من صديد أهل النار، يقال: غسقت العين إذا سال دمعها. وقال ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجتمع فيسقونه، الثاني: قيل الحميم يحرق بحره، والغساق يحرق ببرده، وذكر الأزهري: أن الغاسق البارد، ولهذا قيل لليل غاسق لأنه أبرد من النهار، الثالث: أن الغساق المنتن حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة في المشرق لأنتنت أهل المغرب، ولو قطرت منه قطرة في المغرب لأنتنت أهل المشرق، الرابع: قال كعب: الغساق عين في جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمة من عقرب وحية.

المسألة الثالثة: قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم غساق بتشديد السين حيث كان والباقون بالتخفيف، قال أبو علي الفارسي الاختيار التخفيف لأنه إذا شدد لم يخل من أن يكون اسمًا أو صفة، فإن كان اسمًا فالأسماء لم تجئ على هذا الوزن إلا قليلاً، وإن كان صفة فقد أقيم مقام الموصوف والأصل أن لا يجوز ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ أبو عمرو (وأُخَرُ) بضم الألف على جمع أخرى أي أصناف أخر من العذاب، وهو قراءة مجاهد، والباقون (آخَرُ) على الواحد أي عذاب آخر، أما على قراءة الأولى فقوله: (وأُخَرُ) أي ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق، أي من مثله في الشدة والفظاعة، أزواج أي أجناس، وأما على القراءة الثانية فالتقدير وعذاب أو مذوق آخر، وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبًا أو صفة للثلاثة وهم: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾. قال صاحب (الكشاف): وقرئ (من شِكْلِه) بالكسر وهي لغة، وأما الغنج فبالكسر لا غير.

واعلم أنه تعالى لما وصف مسكن الطاغين ومأكولهم حكى أحوالهم الذين كانوا أحباء لهم في الدنيا أولاً، ثم مع الذين كانوا أعداء لهم في الدنيا ثانيًا، أما الأول: فهو قوله: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾ واعلم أن هذا حكاية كلام رؤساء أهل النار يقوله بعضهم لبعض بدليل أن ما حكى بعد هذا من أقوال الأتباع وهو قوله: ﴿قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ﴾، وقيل: إن قوله: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾ كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم، وقوله: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ كلام الرؤساء، وقوله: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾ أي هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار كما كانوا قد اقتحموا معكم في الجهل والضلال، ومعنى اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم، والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها، والقحمة الشدة.

وقوله تعالى: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ دعاء منهم على أتباعهم، يقول الرجل لمن يدعو له: مرحبًا، أي

أتيت رحبًا في البلاد لا ضيقًا أو رحبت بلادك رحبًا، ثم يدخل عليه كلمة لا في دعاء السوء، وقوله: ﴿بِهِمْ﴾ بيان للمدعو عليهم أنهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] قالوا أي الأتباع: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ يريدون أن الدعاء الذي دعوتم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به، وعللوا ذلك بقولهم: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ والضمير للعذاب أو لصليهم، فإن قيل: ما معنى تقديمهم العذاب لهم؟ قلنا الذي أوجب التقديم هو عمل السوء قال تعالى: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨١، ١٨٢] إلا أن الرؤساء لما كانوا هم السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل: أنتم قدمتموه لنا، فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم، والضمير في قوله: ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾ كناية عن الطغيان الذي دل عليه قوله: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ وقوله: ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي: بئس المستقر والمسكن جهنم، ثم قالت الأتباع: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي مضاعفًا ومعناه ذا ضعف ونظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الأعراف: ٣٨] وكذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨] فإن قيل كل مقدار يفرض من العذاب فإن كان بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفًا، وإن كان زائدًا عليه كان ظالمًا وإنه لا يجوز. قلنا: المراد منه قوله عليه السلام: «وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١) والمعنى أنه يكون أحد القسمين عذاب الضلال، والثاني عذاب الإضلال، والله أعلم.

وهاهنا آخر شرح أحوال الكفار مع الذين كانوا أحبابًا لهم في الدنيا، وأما شرح أحوالهم مع الذين كانوا أعداء لهم في الدنيا فهو قوله: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ يعني أن الكفار إذا نظروا إلى جوانب جهنم فحينئذ يقولون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه بهم وسموهم من الأشرار، إما بمعنى الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى، أو لأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارًا ثم قالوا: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي (من الأشرار اتخذناهم) بوصل ألف ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ والباقون بفتحها على الاستفهام، قال أبو عبيد: وبالوصل يقرأ لأن الاستفهام متقدم في قوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾، ولأن المشركين لا يشكون في اتخاذهم المؤمنين في الدنيا سخريًا، لأنه تعالى قد أخبر عنهم بذلك في قوله: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ [المؤمنون: ١١٠] فكيف يحسن أن يستفهموا عن شيء علموه؟ أجاب الفراء عنه بأن قال: هذا من الاستفهام الذي معناه التعجيب والتوبيخ، ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشيء المعلوم، أما

(١) تقدم.

وجه قول من ألحق الهمزة للاستفهام أنه لا بد من المصير إليه ليعادل قوله: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ بأم في قوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ﴾ فإن قيل: فما الجملة المعادلة لقوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ على القراءة الأولى؟ قلنا: إنها محذوفة والمعنى المقصودون هم أم زاغت عنهم الأبصار.

المسألة الثانية: قرأ نافع (سخريا) بضم السين والباقون بكسرها، وقيل هما بمعنى واحد وقيل بالكسر هو الهزء وبالضم هو التذليل والتسخير.

المسألة الثالثة: اختلفوا في نظم الآية على قولين بناء على القراءتين المذكورتين أما القراءة على سبيل الإخبار فالتقدير ما لنا لا نراهم حاضرين لأجل أنهم لحقارتهم تركوا، أو لأجل أنهم زاغت عنهم الأبصار، ووقع التعبير عن حقارتهم بقولهم: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ وأما القراءة على سبيل الاستفهام، فالتقدير لأجل أنا قد اتخذناهم سخريًا وما كانوا كذلك فلم يدخلوا النار، أم لأجل أنه زاغت عنهم الأبصار، واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم هذه المناظرة قال: إن ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد وأن يتكلموا به، ثم بين أن الذي حكيناه عنهم ما هو، فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ وإنما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصمًا لأن قول الرؤساء: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ وقول الأتباع ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ من باب الخصومة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٦٦ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾

اعلم أنه تعالى لما حكى في أول السورة أن محمدًا ﷺ لما دعا الناس إلى أنه لا إله إلا إله واحد، وإلى أنه رسول مبين من عند الله، وإلى أن القول بالقيامة حق، فأولئك الكفار أظهروا السفاهة وقالوا إنه ساحر كذاب واستهزءوا بقوله، ثم إنه تعالى ذكر قصص الأنبياء لوجهين الأول: ليصير ذلك حاملاً لمحمد ﷺ على التأسي بالأنبياء عليهم السلام في الصبر على سفاهة القوم، والثاني: ليصير ذلك رادعًا للكفار على الإصرار على الكفر والسفاهة وداعيًا إلى قبول الإيمان، ولما تمم الله تعالى هذه البيانات عاد إلى تقرير المطالب المذكورة في أول السورة وهي تقدير التوحيد والنبوة والبعث، فقال: قل يا محمد: إنما أنا منذر ولا بد من الإقرار بأنه ما من إله إلا الله الواحد القهار، فإن الترتيب الصحيح أن نذكر شبهات الخصوم أولاً ويجاب عنها ثم نذكر عقيبها الدلائل الدالة على صحة المطلوب، فكذا ههنا أجاب الله تعالى عن شبهتهم ونبه على فساد كلماتهم، ثم ذكر عقيبه ما يدل على صحة هذه المطالب، لأن إزالة ما لا ينبغي مقدمة على إثبات ما ينبغي، وغسل اللوح من النقوش الفاسدة مقدم على كتب النقوش الصحيحة فيه، ومن نظر في هذا الترتيب اعترف بأن الكلام من أول السورة إلى آخرها قد جاء على أحسن وجوه الترتيب والنظم.

أما قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ﴾ يعني أبلغ أحوال عقاب من أنكر التوحيد والنبوة والمعاد، وأحوال ثواب من أقرَّ بها، وكما بدأ في أول السورة بأدلة التوحيد حيث حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص: ٥] فكذلك بدأ هاهنا بتقرير التوحيد فقال: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ وفي هذه الكلمة إشارة إلى الدليل الدال على كونه منزهًا عن الشريك والنظير، وبيانه أن الذي يجعل شريكًا له في الإلهية، إما أن يكون موجودًا قادرًا على الإطلاق على التصرف في العالم أو لا يكون كذلك، بل يكون جمادًا عاجزًا.

والأول: باطل لأنه لو كان شريكه قادرًا على الإطلاق لم يكن هو قادرًا قاهرًا، لأن بتقدير أن يريد هو شيئًا ويريد شريكه ضد ذلك الشيء لم يكن حصول أحد الأمرين أولى من الآخر، فيفضي إلى اندفاع كل واحد منهما بالآخر، وحينئذ لا يكون قادرًا قاهرًا بل كان عاجزًا ضعيفًا، والعاجز لا يصلح للإلهية، فقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ إشارة إلى أن كونه قهارًا يدل على كونه واحدًا.

وأما الثاني: وهو أن يقال إن الذي جعل شريكًا له لا يقدر على شيء ألبتة مثل هذه الأوثان، فهذا أيضًا فاسد لأن صريح العقل يحكم بأن عبادة الإله القادر القاهر أولى من عبادة الجماد الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا، فقوله: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ يدل على هذه الدلائل، واعلم أن كونه سبحانه قهارًا مشعر بالترهيب والتخويف، فلما ذكر ذلك أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ فكونه ربًّا مشعر بالتربية والإحسان والكرم والجود، وكونه غفارًا مشعر بالترغيب، وهذا الموجود هو الذي تجب عبادته، لأنه هو الذي يخشى عقابه ويرجى فضله وثوابه. ونذكر طريقة أخرى في تفسير هذه الآيات، فنقول: إنه تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع خمسة الواحد والقهار والرب والعزيز والغفار، أما كونه واحدًا فهو الذي وقع الخلاف فيه بين أهل الحق وبين المشركين واستدل تعالى على كونه واحدًا بكونه قهارًا وقد بينا وجه هذه الدلالة إلا أن كونه قهارًا وإن دل على إثبات الوحدانية إلا أنه يوجب الخوف الشديد فأردفه تعالى بذكر صفات ثلاثة دالة على الرحمة والفضل والكرم.

أولها: كونه ربًّا للسموات والأرض وما بينهما وهذا إنما تتم معرفته بالنظر في آثار حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة، وذلك بحر لا ساحل له فإذا تأملت في آثار حكمته ورحمته في خلق هذه الأشياء عرفت حينئذ تربيته للكل وذلك يفيد الرجاء العظيم.

وثانيها: كونه عزيزًا والفائدة في ذكره أن لقائل أن يقول: هب أنه رب ومربي وكريم إلا أنه غير قادر على كل المقدورات، فأجاب عنه بأنه عزيز أي قادر على كل الممكنات فهو يغلب الكل ولا يغلبه شيء.

وثالثها: كونه غفارًا والفائدة في ذكره أن لقائل أن يقول: هب أنه رب ومحسن ولكنه يكون كذلك في حق المطيعين المخلصين في العبادة، فأجاب عنه بأن من بقي على الكفر سبعين سنة ثم تاب فإني أزيل اسمه عن ديوان المذنبين وأستر عليه بفضلي ورحمتي جميع ذنوبه وأوصله إلى درجات الأبرار، واعلم أنه تعالى لما بين ذلك قال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ وهذا النبأ العظيم يحتمل وجوهًا فيمكن أن يكون المراد أن القول بأن الإله واحد نبأ عظيم، ويمكن أن يقال المراد أن القول بالنبوة نبأ عظيم، ويمكن أن يقال المراد أن القول بإثبات الحشر والنشر والقيامة نبأ عظيم، وذلك لأن هذه المطالب الثلاثة كانت مذكورة في أول السورة ولأجلها أنجز الكلام إلى كل ما سبق ذكره، ويمكن أيضًا أن يكون المراد كون القرآن معجزًا لأن هذا أيضًا قد تقدم ذكره في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]وهؤلاء الأقوام أعرضوا عنه على ما قال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

واعلم أن قوله: ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ترغيب في النظر والاستدلال ومنع من التقليد، لأن هذه المطالب مطالب شريفة عالية، فإن بتقدير أن يكون الإنسان فيها على الحق يفوز بأعظم أبواب السعادة، وبتقدير أن يكون الإنسان فيها على الباطل وقع في أعظم أبواب الشقاوة فكانت هذه المباحث أنباء عظيمة ومطالب عالية بهية، وصريح العقل يوجب على الإنسان أن يأتي فيها بالاحتياط التام وأن لا يكتفي بالمساهلة والمسامحة.

أما قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فاعلم أنه تعالى رغب المكلفين في الاحتياط في هذه المسائل الأربعة، وبالغ في ذلك الترغيب من وجوه: الأول: أن كل واحد منها نبأ عظيم، والنبأ العظيم يجب الاحتياط فيه، الثاني: أن الملأ الأعلى اختصموا وأحسن ما قيل فيه أنه تعالى لما قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]والمعنى أنهم قالوا: أي فائدة في خلق البشر مع أنهم يشتغلون بقضاء الشهوة، وهو المراد من قوله: ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وبإمضاء الغضب وهو المراد من قوله: ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وتقرير هذا الجواب، والله أعلم، أن يقال إن المخلوقات بحسب القسمة العقلية على أقسام أربعة: أحدها: الذين حصل لهم العقل والحكمة، ولم تحصل لهم النفس والشهوة وهم الملائكة فقط، ثانيها: الذين حصل لهم النفس والشهوة، ولم يحصل لهم العلم والحكمة وهي البهائم، وثالثها: الأشياء الخالية عن القسمين، وهي الجمادات، وبقي في التقسيم قسم رابع: وهو الذي حصل فيه الأمران وهو الإنسان والمقصود من تخليق الإنسان ليس هو الجهل والتقليد والتكبر والتمرد فإن كل ذلك صفات البهائم والسباع بل المقصود من تخليقه ظهور العلم والحكمة والطاعة، فقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن هذا النوع من المخلوقات، وإن حصلت فيه الشهوة الداعية إلى الفساد والغضب الحامل له على

سفك الدماء، لكن حصل فيه العقل الذي يدعوه إلى المعرفة والمحبة والطاعة والخدمة، وإذا ثبت أنه تعالى إنما أجاب الملائكة بهذا الجواب وجب على الإنسان أن يسعى في تحصيل هذه الصفات، وأن يجتهد في اكتسابها، وأن يحترز عن طريقة الجهل والتقليد والإصرار والتكبر، وإذا كان كذلك فكل من وقف على كيفية هذه الواقعة صار وقوفه عليها داعيًا له إلى الجد والاجتهاد في اكتساب المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة زاجرًا له عن أضدادها ومقابلاتها، فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذا الكلام في هذا المقام. فإن قيل: الملائكة لا يجوز أن يقال إنهم اختصموا بسبب قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] فإن المخاصمة مع الله كفر، قلنا لا شك أنه جرى هناك سؤال وجواب، وذلك يشابه المخاصمة والمناظرة والمشابهة علة لجواز المجاز، فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه، ولما أمر الله تعالى محمدًا ﷺ لم يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز أمره أن يقول: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني أنا ما عرفت هذه المخاصمة إلا بالوحي، وإنما أوحى الله إليّ هذه القصة لأنذركم بها ولتصير هذه القصة حاملة لكم على الإخلاص في الطاعة والاحتراز عن الجهل والتقليد.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

اعلم أن المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر، وذلك لأن إبليس إنما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر، والكفار إنما نازعوا محمدًا عليه السلام بسبب الحسد والكبر، فالله تعالى ذكر هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرًا لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين والحاصل أنه تعالى رغب المكلفين في النظر والاستدلال، ومنعهم عن الإصرار والتقليد وذكر في تقريره أمورًا أربعة أولها: أنه نبأ عظيم فيجب الاحتياط فيه، والثاني: أن قصة سؤال الملائكة عن الحكمة في تخليق البشر يدل على أن الحكمة الأصلية في تخليق آدم هو المعرفة والطاعة لا الجهل والتكبر، الثالث: أن إبليس إنما خاصم آدم عليه السلام لأجل الحسد

والكبر فيجب على العاقل أن يحترز عنهما، فهذا هو وجه النظم في هذه الآيات، واعلم أن هذه القصة قد تقدم شرحها في سور كثيرة، فلا فائدة في الإعادة إلا ما لا بد منه.

وفيها مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ **سؤالات:**

الأول: أن هذا النظم إنما يصح لو أمكن خلق البشر لا من الطين، كما إذا قيل أنا متخذ سوارًا من ذهب، فهذا إنما يستقيم لو أمكن اتخاذه من الفضة.

الثاني: ذكر هاهنا أنه خلق البشر من طين، وفي سائر الآيات ذكر أنه خلقه من سائر الأشياء كقوله تعالى في آدم إنه خلقه من تراب وكقوله: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] وكقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

الثالث: أن هذه الآية تدل على أنه تعالى لما أخبر الملائكة بأنه خلق بشرًا من طين، لم يقولوا شيئًا، وفي الآية الأخرى وهي التي قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] بين أنهم أوردوا السؤال والجواب فبينهما تناقض، والجواب عن الأول أن التقدير كأنه سبحانه وصف لهم أولاً أن البشر شخص جامع للقوة البهيمية والسبعية والشيطانية والملكية، فلما قال: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ فكأنه قال ذلك الشخص المستجمع لتلك الصفات، إنما أخلقه من الطين، والجواب عن الثاني أن المادة البعيدة هو التراب، وأقرب منه الطين، وأقرب منه الحمأ المسنون، وأقرب منه الصلصال فثبت أنه لا منافاة بين الكل، والجواب عن الثالث أنه في الآية المذكورة في سورة البقرة بين لهم أنه يخلق في الأرض خليفة، وبالآية المذكورة ههنا بين أن ذلك الخليفة بشر مخلوق من الطين.

المسألة الثانية: قال ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وهذا يدل على أن تخليق البشر لا يتم إلا بأمرين التسوية أولاً، ثم نفخ الروح ثانيًا، وهذا حق لأن الإنسان مركب من جسد ونفس.

أما الجسد فإنه إنما يتولد من المني، والمني إنما يتولد من دم الطمث وهو إنما يتولد من الأخلاط الأربعة، وهي إنما تتولد من الأركان الأربعة، ولا بد في حصول هذه التسوية من رعاية مقدار مخصوص لكل واحد منها، ومن رعاية كيفية امتزاجاتها وتركيباتها، ومن رعاية المدة التي في مثلها حصل ذلك المزاج الذي لأجله يحصل الاستعداد لقبول النفس الناطقة.

وأما النفس فإليها الإشارة بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ ولما أضاف الروح إلى نفسه دل على أنه جوهر شريف علوي قدسي، وذهبت الحلولية إلى أن كلمة (مِنْ) تدل على التبعيض، وهذا يوهم أن الروح جزء من أجزاء الله تعالى، وهذا غاية الفساد، لأن كل ما له جزء وكل، فهو مركب وممكن الوجود لذاته ومحدث.

وأما كيفية نفخ الروح، فاعلم أن الأقرب أن جوهر النفس عبارة عن أجسام شفافة نورانية، علوية العنصر، قدسية الجوهر، وهي تسري في البدن سريان الضوء في الهواء، وسريان النار في

الفحم، فهذا القدر معلوم. أما كيفية ذلك النفخ فمما لا يعلمه إلا الله تعالى.

المسألة الثالثة: الفاء في قوله: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ تدل على أنه كما تم نفخ الروح في الجسد توجه أمر الله عليهم بالسجود، وأما أن المأمور بذلك السجود ملائكة الأرض، أو دخل فيه ملائكة السموات مثل جبريل وميكائيل، والروح الأعظم المذكور في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] ففيه مباحث عميقة. وقال بعض الصوفية: الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم، هم القوى النباتية والحيوانية الحسية والحركية، فإنها في بدن الإنسان خوادم النفس الناطقة، وإبليس الذي لم يسجد هو القوة الوهمية التي هي المنازعة لجوهر العقل، والكلام فيه طويل. وأما بقية المسائل وهي: كيفية سجود الملائكة لآدم، وأن ذلك هل يدل على كونه أفضل من الملائكة أم لا، وأن إبليس هل كان من الملائكة أم لا، وأنه هل كان كافرًا، أصليًا أم لا، فكل ذلك تقدم في سورة البقرة وغيرها.

المسألة الرابعة: احتج من أثبت الأعضاء والجوارح لله تعالى بقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ في إثبات يدين لله تعالى، بأن قالوا: ظاهر الآية يدل عليه، فوجب المصير إليه، والآيات الكثيرة واردة على وفق هذه الآية، فوجب القطع به.

واعلم أن الدلائل الدالة على نفي كونه تعالى جسمًا مركبًا من الأجزاء والأعضاء، قد سبقت إلا أنا نذكر ههنا نكتًا جارية مجرى الإلزامات الظاهرة فالأول: أن من قال: إنه مركب من الأعضاء والأجزاء، فإما أن يثبت الأعضاء التي ورد ذكرها في القرآن ولا يزيد عليها، وإما أن يزيد عليها، فإن كان الأول لزمه إثبات صورة لا يمكن أن يزاد عليها في القبح، لأنه يلزمه إثبات وجه بحيث لا يوجد منه إلا مجرد رقعة الوجه لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ويلزمه أن يثبت في تلك الرقعة عيونًا كثيرة لقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وأن يثبت جنبًا واحدًا لقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] وأن يثبت على ذلك الجنب أيدي كثيرة لقوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١] وبتقدير أن يكون له يدان فإنه يجب أن يكون كلاهما على جانب واحد لقوله ﷺ: «**الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ**» وأن يثبت له ساقًا واحدًا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] فيكون الحاصل من هذه الصورة، مجرد رقعة الوجه ويكون عليها عيون كثيرة، وجنب واحد ويكون عليه أيد كثيرة وساق واحد، ومعلوم أن هذه الصورة أقبح الصور، ولو كان هذا عبدًا لم يرغب أحد في شرائه، فكيف يقول العاقل إن رب العالمين موصوف بهذه الصورة.

وأما القسم الثاني: وهو أن لا يقتصر على الأعضاء المذكورة في القرآن، بل يزيد وينقص على وفق التأويلات، فحينئذ يبطل مذهبه في الحمل على مجرد الظواهر، ولا بد له من قبول دلائل العقل.

الحجة الثانية: في إبطال قولهم إنهم إذا أثبتوا الأعضاء لله تعالى، فإن أثبتوا له عضو الرجل فهو

رجل وأن أثبتوا له عضو النساء فهو أنثى، وإن نفوهما فهو خصي أو عنين، وتعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

الحجة الثالثة: أنه في ذاته سبحانه وتعالى، إما أن يكون جسمًا صلبًا لا ينغمز ألبتة، فيكون حجرًا صلبًا، وإما أن يكون قابلاً للانغماز، فيكون لينًا قابلاً للتفرق والتمزق. وتعالى الله عن ذلك.

الحجة الرابعة: أنه إن كان بحيث لا يمكنه أن يتحرك عن مكانه، كان كالزمن المعقد العاجز، وإن كان بحيث يمكنه أن يتحرك عن مكانه، كان محلاً للتغيرات، فدخل تحت قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

الحجة الخامسة: إن كان لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتحرك كان كالميت، وإن كان يفعل هذه الأشياء، كان إنسانًا كثير التهمة محتاجًا إلى الأكل والشرب والوقاع وذلك باطل.

الحجة السادسة: أنهم يقولون إنه ينزل كل ليلة من العرش إلى السماء الدنيا، فنقول لهم حين نزوله: هل يبقى مدبرًا للعرش ويبقى مدبرًا للسماء الدنيا حين كان على العرش، وحينئذ لا يبقى في النزول فائدة، وإن لم يبق مدبرًا للعرش فعند نزوله يصير معزولاً عن إلهية العرش والسموات.

الحجة السابعة: أنهم يقولون إنه تعالى أعظم من العرش، وإن العرش لا نسبة لعظمته إلى عظمة الكرسي، وعلى هذا الترتيب حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فإذا كان كذلك كانت السماء الدنيا بالنسبة إلى عظمة الله كالذرة بالنسبة إلى البحر، فإذا نزل فإما أن يقال إن الإله يصير صغيرًا بحيث تسعه السماء الدنيا، وإما أن يقال إن السماء الدنيا تصير أعظم من العرش، وكل ذلك باطل.

الحجة الثامنة: ثبت أن العالم كرة، فإن كان فوق بالنسبة إلى قوم كان تحت بالنسبة إلى قوم آخرين وذلك باطل، وإن كان فوق بالنسبة إلى الكل، فحينئذ يكون جسمًا محيطًا بهذا العالم من كل الجوانب، فيكون إله العالم على هذا القول فلكًا من الأفلاك.

الحجة التاسعة: لما كانت الأرض كرة، وكانت السموات كرات، فكل ساعة تفرض الساعات فإنها تكون ثلث الليل في حق أقوام معينين من سكان كرة العوارض، فلو نزل من العرش في ثلث الليل وجب أن يبقى أبدًا نازلاً عن العرش، وأن لا يرجع إلى العرش ألبتة.

الحجة العاشرة: أنا إنما زيفنا إلهية الشمس والقمر لثلاثة أنواع من العيوب أولها: كونه مؤلفًا من الأجزاء والأبعاض، وثانيها: كونه محدودًا متناهيًا، وثالثها: كونه موصوفًا بالحركة والسكون والطلوع والغروب، فإذا كان إله المشبهة مؤلفًا من الأعضاء والأجزاء كان مركبًا، فإذا كان العرش كان محدودًا متناهيًا، وإن كان ينزل من العرش ويرجع إليه كان موصوفًا بالحركة والسكون، فهذه الصفات الثلاثة إن كانت منافية للإلهية وجب تنزيه الإله عنها بأسرها، وذلك

يبطل قول المشبهة، وإن لم تكن منافية للإلهية فحينئذ لا يقدر أحد على الطعن في إلهية الشمس والقمر.

الحجة الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ولفظ الأحد مبالغة في الوحدة، وذلك ينافي كونه مركبًا من الأجزاء والأبعاض.

الحجة الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] ولو كان مركبًا من الأجزاء والأبعاض لكان محتاجًا إليها وذلك يمنع من كونه غنيًّا على الإطلاق، فثبت بهذه الوجوه أن القول بإثبات الأعضاء والأجزاء لله محال، ولما ثبت بالدلائل اليقينية وجوب تنزيه الله تعالى، عن هذه الأعضاء، فنقول ذكر العلماء في لفظ اليد وجوهًا الأول: أن اليد عبارة عن القدرة تقول العرب: ما لي بهذا الأمر من يد، أي من قوة وطاقة، قال تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَا ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] الثاني: اليد عبارة عن النعمة يقال: أيادي فلان في حق فلان ظاهرة، والمراد النعم والمراد باليدين النعم الظاهرة والباطنة أو نعم الدين والدنيا، الثالث: أن لفظ اليد قد يزاد للتأكيد كقول القائل لمن جنى باللسان، هذا ما كسبت يداك وكقوله تعالى: ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧].

ولقائل أن يقول: حمل اليد على القدرة ههنا غير جائز، ويدل عليه وجوه الأول: أن ظاهر الآية يقتضي إثبات اليدين، فلو كانت اليد عبارة عن القدرة لزم إثبات قدرتين لله وهو باطل، والثاني: أن الآية تقتضي أن كون آدم مخلوقًا باليدين يوجب فضيلته وكونه مسجودًا للملائكة، فلو كانت اليد عبارة عن القدرة لكان آدم مخلوقًا بالقدرة، لكن جميع الأشياء مخلوقة بقدرة الله تعالى فكما أن آدم عليه السلام مخلوق بيد الله تعالى، فكذلك إبليس مخلوق بيد الله تعالى، وعلى تقدير أن تكون اليد عبارة عن القدرة، لم تكن هذه العلة علة لكون آدم مسجودًا لإبليس أولى من أن يكون إبليس مسجودًا لآدم، وحينئذٍ يختل نظم الآية ويبطل، الثالث: أنه جاء في الحديث أنه ﷺ قال: «كِلْتَا يَدَيْهِ يُمْنَى»[(١)] ومعلوم أن هذا الوصف لا يليق بالقدرة.

وأما التأويل الثاني: وهو حمل اليدين على النعمتين فهو أيضًا باطل لوجوه الأول: أن نعم الله تعالى كثيرة كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وظاهر الآية يدل على أن اليد لا تزيد على الاثنتين الثاني: لو كانت اليد عبارة عن النعمة فنقول النعمة مخلوقة لله فحينئذٍ لا يكون آدم مخلوقًا لله تعالى بل يكون مخلوقًا لبعض المخلوقات، وذلك بأن يكون سببًا لمزيد النقصان أولى من أن يكون سببًا لمزيد الكمال، الثالث: لو كانت اليد عبارة عن النعمة لكان

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم في كتاب (الإمارة)، باب: (فضيلة الإمام العادل) (٣/ ١٨/ ١٤٥٨)، والنسائي في كتاب (آداب القضاة)، باب: (فضل الحاكم العادل في حُكمه) (٤/ ٦٠٣)، حديث رقم (٥٣٩٤)، وأحمد في (مسنده) (٢/ ١٦٠)، حديث رقم (٦٤٩٢)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، والحميدي في (مسنده) (٢/ ٢٦٨)، حديث رقم (٥٨٨)، جميعًا عن عمرو بن أوس... به.

قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] معناه تبارك الذي بنعمته الملك ولكان قوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] معناه بنعمتك الخير ولكان قوله: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] معناه نعمتاه مبسوطتان، ومعلوم أن كل ذلك فاسد.

وأما التأويل الثالث: وهو قوله: إن لفظ اليد قد يذكر زيادة لأجل التأكيد، فنقول: لفظ اليد قد يستعمل في حق من يكون هذا العضو حاصلاً له وفي حق من لا يكون هذا العضو حاصلاً في حقه، أما الأول: فكقولهم في حق من جنى بلسانه: هذا ما كسبت يداك، والسبب في هذا أن محل القدرة هو اليد فأطلق اسم اليد على القدرة، وعلى هذا التقدير فيصير المراد من لفظ اليد القدرة، وقد تقدم إبطال هذا الوجه، وأما الثاني: فكقوله ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] وقوله: (بين يدي الساعة) إلا أنا نقول هذا المجاز بهذا اللفظ مذكور والمجاز لا يقاس عليه ولا يكون مطردًا، فلا جرم لا يجوز أن يقال إن هذا المعنى إنما حصل بيد العذاب وبيد الساعة، ونحن نسلم أن قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] قد يجوز أن يراد به التأكيد والصلة، أما المذكور في هذه الآية ليس هذا اللفظ بل قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ وإن كان القياس في المجازات باطلاً فقد سقط كلامكم بالكلية، فهذا منتهى البحث في هذا الباب.

والذي تلخص عندي في هذا الباب أن السلطان العظيم لا يقدر على عمل شيء بيده إلا إذا كانت غاية عنايته مصروفة إلى ذلك العمل، فإذا كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد أمكن جعله مجازًا عنه عند قيام الدلائل القاهرة. فهذا ما لخصناه في هذا الباب، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ فالمعنى: أستكبرت الآن أم كنت أبدًا من المتكبرين العالين، فأجاب إبليس بقوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ فالمعنى أني لو كنت مساويًا له في الشرف لكان يقبح أمري بسجودي له فكيف وأنا خير منه، ثم بين كونه خيرًا منه بأن أصله من النار والنار أشرف من الطين، فصح أن أصله خير من أصل آدم ومن كان أصله خيرًا من أصله فهو خير منه فهذه مقدمات ثلاثة:

المقدمة الأولى: أن إبليس مخلوق من النار، يدل عليه قوله تعالى حكاية عنه: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

المقدمة الثانية: أن النار أفضل من الطين ويدل عليه وجوه الأول: أن الأجرام الفلكية أشرف من الأجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من الفلك والأرض أبعدها عنه فوجب كون النار أفضل من الأرض، الثاني: أن النار خليفة الشمس والقمر في إضاءة هذا العالم عند غيبتهما والشمس والقمر أشرف من الأرض، فخليفتهما في الإضاءة أفضل من الأرض، الثالث: أن الكيفية الفاعلة الأصلية، إما الحرارة أو البرودة والحرارة أفضل من البرودة لأن الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت، الرابع: الأرض كثيفة والنار لطيفة واللطافة أشرف من الكثافة، الخامس: النار مشرقة والأرض مظلمة والنور خير من الظلمة، السادس: النار خفيفة تشبه الروح

والأرض ثقيلة تشبه الجسد والروح أفضل من الجسد فالنار أفضل من الأرض ولذلك فإن الأطباء أطبقوا على أن العنصرين الثقيلين أعون على تركيب الأجساد وأن العنصرين الخفيفين أعون على تولد الأرواح، السابع: النار صاعدة والأرض هابطة والصاعد أفضل من الهابط، الثامن: أن أول بروج الفلك هو الحمل لأنه هو الذي يبدأ من نقطة الاستواء الشمالي، ثم إن الحمل على طبيعة النار وأشرف أعضاء الحيوان والقلب والروح وهما على طبيعة النار وأخس أعضاء الحيوان هو العظم وهو بارد يابس أرضي، التاسع: أن الأجسام الأرضية كلما كانت أشد نورانية ومشابهة بالنار كانت أشرف وكلما كانت أكثر غبرة وكثافة وكدورة ومشابهة بالأرض كانت أخس، مثاله الأجسام الشبيهة بالنار الذهب والياقوت والأحجار الصافية النورانية ومثاله أيضًا من الثياب الإبريسم وما يتخذ منه، وأما أن كل ما كان أكثر أرضية وغبرة فهو أخس فالأمر ظاهر، العاشر: أن القوة الباصرة قوة في غاية الشرف والجلالة ولا يتم عملها إلا بالشعاع وهو جسم شبيه بالنار، الحادي عشر: أن أشرف أجسام العالم الجسماني هو الشمس ولا شك أنه شبيه بالنار في صورته وطبيعته وأثره، الثاني عشر: أن النضج والهضم والحياة لا تتم إلا بالحرارة ولولا قوة الحرارة لما تم المزاج وتولدت المركبات، الثالث عشر: أن أقوى العناصر الأربعة في قوة الفعل هو النار وأكملها في قوة الانفعال هو الأرض والفعل فضل من الانفعال فالنار أفضل من الأرض. أما القائلون بتفضيل الأرض على النار فذكروا أيضًا وجوهًا، الأول: أن الأرض أمين مصلح فإذا أودعتها حبة ردتها إليك شجرة مثمرة والنار خائنة تفسد كل ما أسلمته إليها، الثاني: أن الحس البصري أثنى على النار فليستمع ما يقوله الحس اللمسي، الثالث: أن الأرض مستولية على النار فإنها تطفئ النار، وأما النار فإنها لا تؤثر في الأرض الخالصة.

وأما المقدمة الثالثة: فهي أن من كان أصله خيرًا من أصله فهو خير منه، فاعلم أن هذه المقدمة كاذبة جدًّا وذلك لأن أصل الرماد النار وأصل البساتين النزهة والأشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة أن الأشجار المثمرة خير من الرماد، وأيضًا فهب أن اعتبار هذه الجهة يوجب الفضيلة إلا أن هذا يمكن أن يصير معارضًا بجهة أخرى توجب الرجحان مثل إنسان نسيب عار عن كل الفضائل فإن نسبه يوجب رجحانه، إلا أن الذي لا يكون نسيبًا قد يكون كثير العلم والزهد فيكون هو أفضل من ذلك النسيب بدرجات لا حد لها، فالمقدمة الكاذبة في القياس الذي ذكره إبليس هو هذه المقدمة، فإن قال قائل: هب أن إبليس أخطأ في هذا القياس لكن كيف لزمه الكفر من تلك المخالفة؟ وبيان هذا السؤال من وجوه:

الأول: أن قوله: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ أمر والأمر لا يقتضي الوجوب بل الندب ومخالفة الندب لا توجب العصيان فضلاً عن الكفر، وأيضًا فالذين يقولون: إن الأمر للوجوب، فهم لا ينكرون كونه محتملاً للندب احتمالاً ظاهرًا ومع قيام هذا الاحتمال الظاهر كيف يلزم العصيان فضلاً عن الكفر.

الثاني: هب أنه للوجوب إلا أن إبليس ما كان من الملائكة فأمر الملائكة بسجود آدم لا يدخل فيه إبليس.

الثالث: هب أنه يتناوله إلا أن تخصيص العام بالقياس جائز فخصص نفسه عن عموم ذلك الأمر بالقياس، الرابع: هب أنه لم يسجد مع علمه بأنه كان مأمورًا به إلا أن هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر؟ الجواب: هب أن صيغة الأمر لا تدل على الوجوب ولكن يجوز أن ينضم إليها من القرائن ما يدل على الوجوب، وههنا حصلت تلك القرائن وهي قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ فلما أتى إبليس بقياسه الفاسد دل ذلك على أنه إنما ذكر ذلك القياس ليتوسل به إلى القدح في أمر الله وتكليفه وذلك يوجب الكفر. إذا عرفت هذا فنقول: إن إبليس لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

واعلم أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف وههنا الحكم بكونه رجيمًا ورد عقيب ما حكى عنه أنه خصص النص بالقياس، فهذا يدل على أن تخصيص النص بالقياس يوجب هذا الحكم، وقوله: ﴿مِنْهَا﴾ أي من الجنة أو من السموات، والرجيم المرجوم وفيه قولان:

القول الأول: أنه مجاز عن الطرد، لأن الظاهر أن من طرد فقد يرمى بالحجارة وهو الرجم فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد فإن قالوا الطرد هو اللعن فلو حملنا قوله: ﴿رَجِيمٌ﴾ على الطرد لكان قوله بعد ذلك: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ﴾ تكرارًا والجواب من وجهين الأول: أنا نحمل الرجم على الطرد من الجنة أو من السموات ونحمل اللعن على الطرد من رحمة الله، والثاني: أنا نحمل الرجم على الطرد ونحمل قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ على أن ذلك الطرد يمتد إلى آخر القيامة فيكون هذا فائدة زائدة ولا يكون تكريرًا.

والقول الثاني: في تفسير الرجيم أن نحمله على الحقيقة وهو كون الشياطين مرجومين بالشهب، والله أعلم. فإن قيل: كلمة (إلى) لانتهاء الغاية فقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يقتضي انقطاع تلك اللعنة عند مجيء يوم الدين، أجاب صاحب (الكشاف) بأن اللعنة باقية عليه في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة جعل مع اللعنة أنواع من العذاب تصير اللعنة مع حضورها منسية.

واعلم أن إبليس لما صار ملعونًا قال: ﴿فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قيل: إنما طلب الإنظار إلى يوم يبعثون لأجل أن يتخلص من الموت لأنه إذا نظر إلى يوم البعث لم يمت قبل يوم البعث وعند مجيء يوم البعث لا يموت أيضًا فحينئذ يتخلص من الموت فقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ ومعناه إنك من المنظرين إلى يوم يعلمه الله ولا يعلمه أحد سواه، فقال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ وهو قسم بعزة الله وسلطانه ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فههنا أضاف الإغواء إلى نفسه وهو على مذهب القدر وقال مرة أخرى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[الحجر: ٣٩] فأضاف الإغواء إلى الله على ما هو مذهب الجبر وهذا يدل على أنه متحير في هذه المسألة.

وأما قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ .

ففيه فوائد:

الفائدة الأولى: قيل: غرض إبليس من ذكره هذا الاستثناء أن لا يقع في كلامه الكذب لأنه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى أنه يغوي الكل لكان يظهر كذبه حين يعجز عن إغواء عباد الله الصالحين، فكأن إبليس قال: إنما ذكرت هذا الاستثناء لئلا يقع الكذب في هذا الكلام، وعن هذا يقال: إن الكذب شيء يستنكف منه إبليس فكيف يليق بالمسلم الإقدام عليه؟ فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]؟ قلنا: إن إبليس لم يقل إني لم أقصد إغواء عباد الله الصالحين بل قال لأغوينهم وهو وإن كان يقصد الإغواء إلا أنه لا يغويهم.

الفائدة الثانية: هذه الآية تدل على أن إبليس لا يغوي عباد الله المخلصين، وقال تعالى في صفة يوسف: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]فنصل من مجموع هاتين الآيتين أن إبليس ما أغوى يوسف عليه السلام، وذلك يدل على كذب الحشوية فيما ينسبون إلى يوسف عليه السلام من القبائح.

واعلم أن إبليس لما ذكر هذا الكلام قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ عاصم وحمزة ﴿فَالْحَقُّ﴾ بالرفع ﴿وَالْحَقَّ﴾ بالنصب، والباقون بالنصب فيهما؛ أما الرفع فتقديره فالحق قسمي، وأما النصب فعلى القسم، أي فبالحق، كقولك والله لأفعلن. وأما قوله: ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ انتصب قوله: ﴿وَالْحَقَّ﴾ بقوله: ﴿أَقُولُ﴾.

المسألة الثانية: قوله: ﴿مِنكَ﴾ أي من جنسك، وهم الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم، فإن قيل قوله: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد لماذا؟ قلنا: يحتمل أن يؤكد به الضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾، أو الكاف في ﴿مِنكَ﴾ مع من تبعك، ومعناه لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين لا أترك منهم أحدًا.

المسألة الثالثة: احتج أصحابنا بهذه الآية في مسألة أن الكل بقضاء الله من وجوه الأول: أنه تعالى قال في حق إبليس: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فهذا إخبار من الله تعالى بأنه لا يؤمن، فلو آمن لانقلب خبر الله الصدق كذبًا وهو محال، فكان صدور الإيمان منه محالاً مع أنه أمر به، والثاني: أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فالله تعالى علم منه أنه يغويهم، وسمع منه هذه الدعوى، وكان قادرًا على منعه عن ذلك، والقادر على المنع إذا لم يمنع كان راضيًا به، فإن قالوا: لعل ذلك المنع مفسد، قلنا: هذا قول فاسد، لأن ذلك المنع

يخلص إبليس عن الإضلال، ويخلص بني آدم عن الضلال، وهذا عين المصلحة، الثالث: أنه تعالى أخبر أنه يملأ جهنم من الكفرة، فلو لم يكفروا لزم الكذب والجهل في حق الله تعالى، الرابع: أنه لو أراد أن لا يكفر الكافر لوجب أن يبقى الأنبياء والصالحين، وأن يميت إبليس والشياطين، وحيث قلب الأمر علمنا أنه فاسد، الخامس: أن تكليف أولئك الكفار بالإيمان، يقتضي تكليفهم بالإيمان بهذه الآيات التي هي دالة على أنهم لا يؤمنون ألبتة، وحينئذ يلزم أن يصيروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون ألبتة، وذلك تكليف بما لا يطاق، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ۝٨٨﴾

اعلم أن الله تعالى ختم هذه السورة بهذه الخاتمة الشريفة، وذلك لأنه تعالى ذكر طرقًا كثيرة دالة على وجوب الاحتياط في طلب الدين، ثم قال عند الختم: هذا الذي أدعو الناس إليه يجب أن ينظر في حال الداعي، وفي حال الدعوة ليظهر أنه حق أو باطل؛ أما الداعي وهو أنا فأنا لا أسألكم على هذه الدعوة أجرًا ومالاً، ومن الظاهر أن الكذاب لا ينقطع طمعه عن طلب المال ألبتة، وكان من الظاهر أنه ﷺ كان بعيدًا عن الدنيا عديم الرغبة فيها، وأما كيفية الدعوة فقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، والمفسرون ذكروا فيه وجوهًا، والذي يغلب على الظن أن المراد أن هذا الذي أدعوكم إليه دين ليس يحتاج في معرفة صحته إلى التكلفات الكثيرة، بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته، فإني أدعوكم إلى الإقرار بوجود الله أولاً، ثم أدعوكم ثانيًا إلى تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق به، يقوي ذلك قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وأمثاله، ثم أدعوكم ثالثًا إلى الإقرار بكونه موصوفًا بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة، ثم أدعوكم رابعًا إلى الإقرار بكونه منزهًا عن الشركاء والأضداد، ثم أدعوكم خامسًا إلى الامتناع عن عبادة هذه الأوثان، التي هي جمادات خسيسة ولا منفعة في عبادتها ولا مضرة في الإعراض عنها، ثم أدعوكم سابعًا إلى الإقرار بالبعث والقيامة: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] ثم أدعوكم ثامنًا إلى الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة، فهذه الأصول الثمانية، هي الأصول القوية المعتبرة في دين الله تعالى، ودين محمد ﷺ وبدائه العقول، وأوائل الأفكار شاهدة بصحة هذه الأصول الثمانية، فثبت أني لست من المتكلفين في الشريعة التي أدعو الخلق إليها، بل كل عقل سليم وطبع مستقيم، فإنه يشهد بصحتها وجلالتها، وبعدها عن الباطل والفساد وهو المراد من قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾. ولما بين هذه المقدمات قال: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ والمعنى أنكم إن أصررتم على الجهل والتقليد، وأبيتم قبول هذه البيانات التي ذكرناها، فستعلمون بعد حين أنكم كنتم مصيبين في هذا الإعراض أو مخطئين، وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا مزيد عليه في التخويف والترهيب، والله أعلم.

قال المصنف رحمة الله عليه: تم تفسير هذه السورة يوم الخميس في آخر الثلاثاء الثاني من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة، والحمد لله على آلائه ونعمائه، والصلاة على المطهرين من عباده في أرضه وسمائه، والمدح والثناء كما يليق بصفاته وأسمائه، والتعظيم التام لأنبيائه وأوليائه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

سورة صٓ

مكيةٌ في قول الجميع[١]، وهي ستٌّ وثمانون آية. وقيل: ثمان وثمانون آية[٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿صٓۚ﴾ قراءةُ العامة «صٓ» بجزم الدال على الوقف؛ لأنه حرفٌ من حروف الهجاء مثل: «الم» و«المر». وقرأ أبيّ بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق ونصر بن عاصم: «صادِ» بكسر الدال بغير تنوين[٣]. ولقراءته مذهبان: أحدهما: أنه من صادَى يُصادي إذا عارض، ومنه «فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى» [عبس:٦] أي: تعرَّض. والمصاداة المعارضة، ومنه الصَّدَى: وهو ما يُعارض الصوت في الأماكن الخالية.

فالمعنى: صادِ القرآنَ بعملك؛ أي: عارضه بعملك وقابله به، فاعمل بأوامره، وانتهِ عن نواهيه.

النحاس[٤]: وهذا المذهب يُروى عن الحسن أنه فسَّر به قراءته روايةً صحيحةً عنه[٥]، أن المعنى: أُتْله وتعرَّض لقراءته. والمذهب الآخرُ أن تكونَ الدالُ مكسورةً لالتقاء الساكنين. وقرأ عيسى بن عمر «صادَ» بفتح الدال[٦] مثله: «قافَ» و«نونَ» بفتح

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٧، وزاد المسير ٧/ ٩٦ .

(٢) ذكرهما السيوطي في الإتقان ١/ ٢١٤.

(٣) القراءات الشاذة ص١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠ .

(٤) في إعراب القرآن ٣/ ٤٤٩ .

(٥) في النسخ: وعنه، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس، وقول الحسن أخرجه الطبري ٢٠/ ٥ .

(٦) القراءات الشاذة ص١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠ .

آخرها. وله في ذلك ثلاثةُ مذاهب: أحدهنَّ أن يكون بمعنى: اتْلُ صادَ[١]. والثاني: أن يكون فُتِحَ لالتقاء الساكنين، واختار الفتحَ للإتباع، ولأنه أخفُّ الحركات. والثالث: أن يكون منصوباً على القَسَم بغير حرف؛ كقولك: اللهَ لأفعلنَّ، وقيل: نُصب على الإغراء.

وقيل: معناه: صادَ محمدٌ قلوب الخَلْق واستمالها حتى آمنوا به[٢].

وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً: «صادٍ» بكسر الدال والتنوين على أن يكون مخفوضاً على حذف حرف القسَم، وهذا بعيدٌ، وإن كان سيبويه قد أجاز مثلَه. ويجوز أن يكون مشبهاً بما لا يتمكن من الأصوات وغيرها[٣].

وقرأ هارونُ الأعور ومحمد بن السَّمَيْفَع: «صادُ» و«قافُ»[٤] [ق:١] و«نونُ»[٥] [القلم:١] بضمِّ آخرِهن؛ لأنه المعروفُ بالبناء في غالب الحال، نحو: منذُ وقط وقبلُ وبعدُ.

و«صَ» إذا جعلته اسماً للسورة لم ينصرف؛ كما أنك إذا سمَّيتَ مؤنثاً بمذكر لا ينصرف وإن قلَّتْ حروفه[٦].

وقال ابن عباس وجابر بن عبد الله وقد سُئلا عن «صَ» فقالا: لا ندري ما هي[٧]. وقال عكرمة: سأل نافعُ بن الأزرق ابنَ عباس عن «صَ» فقال: «صَ» كان بحراً بمكة، وكان عليه عرشُ الرحمن إذ لا ليل ولا نهار.

وقال سعيد بن جُبير: «صَ» بحر يُحيي اللهُ به الموتى بين النَّفختين[٨].

---

(١) قوله: صاد، ليس في (م).
(٢) زاد المسير ٧/ ٩٧.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥١.
(٤) القراءات الشاذة ص١٢٩ و١٤٤ ونسبها للحسن.
(٥) زاد المسير ٨/ ٣٢٦، وستأتي في موضعها.
(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٠.
(٧) أخرجه عبد بن حُميد كما في الدر المنثور ٥/ ٢٩٦.
(٨) أورد هذا الخبر والذي قبله الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ١٦١، ثم قال: الله أعلم بصحة هذين =

وقال الضحاك: معناه: صدق الله[١]. وعنه: أن «صَ» قسمٌ أقسم اللهُ به، وهو من أسمائه تعالى. وقاله السدي، ورُوي عن ابن عباس[٢]. وقال محمد بن كعب: هو مفتاحُ أسماء[٣] الله تعالى: صمدٌ، وصانعُ المصنوعات، وصادقُ الوعد.

وقال قتادة: هو اسمٌ من أسماء الرحمن. وعنه أنه اسمٌ من أسماء القرآن. وقال مجاهد: هو فاتحة السورة[٤].

وقيل: هو مما استأثر اللهُ تعالى بعلمه، وهو معنى القول الأوّل. وقد تقدَّم جميعُ هذا في «البقرة»[٥].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ خفض بواو القسم، والواو بدل من الباء[٦]؛ أقسم بالقرآن تنبيهاً على جلالة قدره؛ فإنَّ فيه بيانَ كل شيء، وشفاءً لما في الصدور، ومعجزةً للنبيِّ ﷺ.

﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ خفض على النعت، وعلامة خفضه الياء، وهو اسم معتلٌّ، والأصل فيه: ذَوَي على فَعَل[٧].

قال ابن عباس: ومقاتل: معنى «ذِي الذِّكْرِ»: ذي البيان[٨]. الضحاك: ذي

= الخبرين. ونافع بن الأزرق من رؤوس الخوارج له أسئلة عن ابن عباس أخرج الطبراني بعضها في المعجم الكبير. لسان الميزان ٦/ ١٤٤ - ١٤٥ .

(١) أخرجه الطبري ٢٠/ ٧ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/ ٦ .

(٣) في النسخ الخطية: اسم، والمثبت من (م) .

(٤) هذه الأقوال في معاني القرآن للنحاس ٦/ ٧٣ .

(٥) ١/ ٢٣٧ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٠ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) النكت والعيون ٥/ ٧٥، وزاد المسير ٧/ ٩٨ عن قتادة، وفيهما وفي تفسير الطبري ٢٠/ ٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩١ أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: معناه: ذي الشرف .

الشرف[1]، أي: مَن آمنَ به كان شرفاً له في الدارين؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] أي: شرفكم. وأيضاً القرآنُ شريفٌ في نفسه، لإعجازه واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره.

وقيل: «ذِي الذِّكْرِ» أي: فيه ذِكرُ ما يُحتاج إليه من أمر الدين. وقيل: «ذِي الذِّكْرِ» أي: فيه ذكرُ أسماء الله وتمجيده[2]. وقيل: أي: ذي الموعظة والذِّكر.

وجوابُ القسم محذوفٌ. واختلف فيه على أوجه: فقيل جوابُ القسم «صَ»؛ لأن معناه: حقّ، فهي جواب لقوله: «وَالْقُرآنِ» كما تقول: حقّاً واللهِ، نزل واللهِ، وجب واللهِ؛ فيكون الوقفُ من هذا الوجه على قوله: «وَالْقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ» حسَناً، وعلى «في عِزَّةٍ وَشِقَاق» تماماً؛ قاله ابن الأنباري[3]. وحكى معناه الثعلبي عن الفراء[4].

وقيل: الجواب ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ لأن «بل» نفيٌ لأمر سبقَ وإثباتٌ لغيره؛ قاله القتبيّ[5]؛ فكأنه قال: «والقرآنِ ذي الذِّكْرِ بَل الذين كَفَرُوا في عِزَّة وشِقاق» عن قَبول الحقّ وعداوة لمحمد ﷺ. أو «وَالْقُرْآنِ ذي الذِّكْرِ» ما الأمرُ كما يقولون من أنك ساحرٌ كذَّاب؛ لأنهم يعرفونك بالصِّدق والأمانة، بل هم في تكبُّر عن قَبول الحقّ. وهو كقوله: ﴿قٓ ۚ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۞ بَلْ عَجِبُوٓا﴾ [ق: ١-٢].

وقيل: الجواب «كَمْ أَهْلَكْنا» كأنه قال: والقرآنِ، لَكَمْ أهلكنا؛ فلما تأخَّرت «كَمْ» حُذفت اللام منها؛ كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ثم قال: «قَدْ أَفْلَحَ» أي: لقد

---

(١) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما كما ذكرنا في التعليق السابق، وفي المصادر أن الضحاك قال: معناه: ذي التذكير.

(٢) مجمع البيان ٢٣/ ٩٦ بنحوه.

(٣) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٦٠ .

(٤) في معاني القرآن ٢/ ٣٩٦ .

(٥) في تأويل مشكل القرآن ص٤٠٨ بنحوه.

أفلحَ. قال المهدوي: وهذا مذهبُ الفراء[١].

ابن الأنباري[٢]: فمن هذا الوجه لا يتمّ الوقف على قوله: «في عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ».

وقال الأخفش[٣]: جواب القسم ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٤] ونحو منه قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧] وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾ [الطارق: ١ و٤]. ابن الأنباري[٤]: وهذا قبيحٌ؛ لأن الكلامَ قد طال فيما بينهما وكَثُرت الآياتُ والقصص.

وقال الكسائي[٥]: جوابُ القسم قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦٤]. ابن الأنباري[٦]: وهذا أقبحُ من الأوّل؛ لأن الكلامَ أشدُّ طولاً فيما بين القسم وجوابِه.

وقيل: الجواب قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. وقال قتادة: الجوابُ محذوفٌ تقديره «وَالقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ» لَتُبعثُنَّ، ونحوه.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ﴾ أي: في تكبُّر وامتناع من قَبول الحق؛ كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] والعِزَّة عند العرب: الغَلَبة والقَهْر. يقال: مَن عَزَّ بَزَّ[٧]؛ يعني: مَن غَلَب سَلَب. ومنه: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أراد: غَلَبني.

وقال جرير:

---

(١) في معاني القرآن ٢/ ٣٩٧، وينظر زاد المسير ٧/ ٩٩ .

(٢) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٦٠ .

(٣) في معاني القرآن ٢// ٦٧٠ .

(٤) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٦٠ .

(٥) ذكره عنه البغوي في تفسيره ٤/ ٤٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٩٩ .

(٦) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٦١ .

(٧) ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٣٠٧، والزمخشري في المستقصى ٢/ ٣٥٧ .

يَعُزُّ على الطريق بِمَنْكِبيهِ كما ابتَرَكَ الخلِيعُ على القِداحِ[(١)]

أراد: يغلب. ﴿وَشِقَاقٍ﴾ أي: في إظهارِ خلافٍ ومُباينة. وهو من الشَّق، كأنّ هذا في شَقّ وذلك في شَقّ. وقد مضى في «البقرة» مستوفى[(٢)].

قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: من قومٍ كانوا أمنعَ من هؤلاء. و«كم» لفظة التكثير ﴿فَنَادَوا﴾ أي: بالاستغاثة والتوبة. والنِّداء رفع الصوت، ومنه الخبر: «أَلْقِه على بلالٍ، فإنه أَنْدى منك صوتاً»[(٣)] أي: أرفع.

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قال الحسن: نادَوْا بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل. النحاس[(٤)]: وهذا تفسيرٌ منه لقوله عز وجل: «ولات حين مَناصٍ» فأما إسرائيل فروى عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس «ولاتَ حين مَناص» قال: ليس بحين نَزْو ولا فِرار؛ قال: ضُبِط القومُ جميعاً[(٥)].

قال الكلبي: كانوا إذ قاتلوا فاضطُرُّوا قال بعضهم لبعض: مناص؛ أي: عليكم بالفِرار والهزيمة، فلما أتاهم العذابُ قالوا: مناص؛ فقال الله عز وجل: «ولاتَ حين مَناص».

قال القشيري: وعلى هذا فالتقدير: فنادَوا: مَناص، فحذف لدلالة بقيةِ الكلام عليه؛ أي: ليس الوقتُ وقتَ ما تُنادون به. وفي هذا نوع تحكُّم؛ إذْ يَبْعُدُ أن يقال: كلُّ مَن هلك من القرون كانوا يقولون: مناص عند الاضطرار.

وقيل: المعنى «ولاتَ حين مَناص» أي: لا خلاص، وهو نصب بوقوع «لا» عليه. قال القشيري: وفيه نظر؛ لأنه لا معنى على هذا للواو في «ولاتَ حينَ مَناصٍ».

---

(١) ديوان جرير ١/٨٨.

(٢) ٢/٤١٩.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٤٧٨)، وأبو داود (٤٩٩) من حديث عبد الله بن زيد ﷺ.

(٤) في إعراب القرآن ٣/ ٤٥٠، وما قبله منه.

(٥) أخرجه الطبري ٢٠/١٣. والنَّزو: الوثوب. اللسان (نزو).

وقال الجُرجاني[١]: أي: فنادَوا حين لا مناص، أي: ساعةَ لا مَنْجى ولا فوت. فلما قدَّم «لا» وأخَّر «حين» اقتضى ذلك الواو، كما يقتضي الحال إذا جعل ابتداء وخبراً؛ مثل قولك: جاء زيد راكباً؛ فإذا جعلتَه مبتدأ وخبراً اقتضى الواو مثل: جاءني زيد وهو راكب فـ «حين» ظرف لقوله: «فَنَادَوْا». والمَناص بمعنى التأخّر والفرار والخَلاص؛ أي: نادَوا لطلب الخَلاص في وقتٍ لا يكون لهم فيه خلاص. قال الفرّاء:

أَمِنْ ذكر ليلى إذ نأتك تَنُوصُ[٢]

يقال: ناص عن قِرْنه يَنُوص نَوْصاً ومَناصاً، أي: فَرَّ وراغ. النحاس[٣]: ويقال: ناص ينوص إذا تقدَّم.

قلت: فعلى هذا يكون من الأضداد، والنَّوْص الحمار الوحشيّ. واستناص، أي: تأخَّر؛ قاله الجوهري[٤].

وتكلَّم النحويون في «ولاتَ حينَ» وفي الوقف عليه، وكثَّر فيه أبو عُبيد[٥] القاسم ابن سلَّام في كتاب «القراءات» وكلُّ ما جاء به إلا يسيراً مردودٌ. فقال سيبويه[٦]: «لات» مُشبَّهة بليس والاسم فيها مضمر؛ أي: ليست أحيانُنا حينَ مناص. وحكَى أن من العرب من يرفع بها فيقول: ولات حِينُ مناص. وحكَى أن الرفعَ قليلٌ، ويكون

(١) ذكره عنه السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٣٥٦.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (نوص)، وما بعده منه، والبيت في ديوان امرئ القيس ص١٧٧، وفيه سلمى، بدل: ليلى. وعجزه: فتقصُرُ عنها خطوة أو تبوصُ.

(٣) إعراب القرآن ٣/ ٤٥٠.

(٤) في الصحاح (نوص).

(٥) في (م): أبو عبيدة، وهو خطأ.

(٦) في الكتاب ١/ ٥٧ – ٥٨، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٥١، وما قبله وما بعده منه.

الخبرُ محذوفاً، كما كان الاسم محذوفاً في النصب؛ أي: ولات حينُ مناصٍ لنا. والوقفُ عليها عند سيبويه والفراء[١] «ولات» بالتاء، ثم تبتدئ «حينَ مَنَاص» وهو قولُ ابن كيسان والزجاج[٢]. قال أبو الحسن بن كيسان: والقول كما قال سيبويه؛ لأنه شبَّهها بليس، فكما يقال: ليست، يقال: لات. والوقوف عليها عند الكسائي بالهاء: ولاهْ. وهو قول المبرد محمد بن يزيد. وحكى عنه علي بن سليمان أن الحُجَّة في ذلك أنها [لا] دخلتْ عليها الهاء لتأنيث الكلمة، كما يقال: ثُمَّة ورُبَّة[٣].

وقال القشيري: وقد يقال: ثُمَّتْ بمعنى: ثُمَّ، ورُبَّتْ بمعنى: رُبَّ؛ فكأنهم زادوا في «لا» هاء، فقالوا: لاه، كما قالوا في ثُمَّ: ثُمَّهْ، عند الوصل صارت تاء.

وقال الثعلبي: وقال أهل اللغة: و«لاتَ حينَ» مفتوحتان كأنهما كلمة واحدة، وإنما هي «لا» زِيدتْ فيها التاء نحو: رُبَّ ورُبَّتْ، وثُمَّ وثُمَّتْ. قال أبو زُبيد الطائي:

طَـلَـبُـوا صُـلْـحَـنـا ولَاتَ أَوَانٍ ... فـأَجَـبْـنَـا أنْ لـيـس حـيـنَ بـقَـاءِ

وقال آخر:

تـذكَّـر حُـبَّ لـيـلـى لَاتَ حِـيـنـا ... وأمسى الشَّيْبُ قد قَطَعَ القَرِينا[٤]

ومِن العرب من يخفض بها؛ وأنشد الفراء:

فَـلَـتَـعْـرِفَـنَّ خَـلَائـقـاً مَـشْـمُـولَـةً ... ولـتَـنْـدَمَـنَّ ولَاتَ سـاعـةِ مَـنْـدَمِ[٥]

وكان الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والأخفش[٦] يذهبون إلى أن «ولاتَ

---

(١) في معاني القرآن ٢/ ٣٩٨ .

(٢) في معاني القرآن ٤/ ٣٢٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥١ ، وما بين حاصرتين منه.

(٤) البيتان في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧ - ٣٩٨، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٣، والخزانة ٤/ ١٦٩، والبيت الثاني غير منسوب.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧، والذي فيه قوله: ولات ساعةِ مندم. ثم قال الفراء: ولا أحفظ صدره. والبيت بتمامه في الخزانة ٤/ ١٧٤ وقوله: مشمولة، أي: مشؤومة، وأخلاق سوء، كما في الخزانة.

(٦) في معاني القرآن ٢/ ٦٧٠ .

حينَ» التاء منقطعة من حين، ويقولون: معناها: وليست. وكذلك هو في المصاحف الجُدُدِ والعُتُقِ بقطع التاء من حين. وإلى هذا كان يذهب أبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثنَّى(١).

وقال أبو عُبيد القاسم بن سلّام: الوقفُ عندي على هذا الحرف «ولا»، والابتداء «تَحِينَ مَناص» فتكون التاء مع حين. وقال بعضهم: «لات» ثم يبتدئ فيقول: «حين مناص». قال المهدوي: وذكر أبو عُبيد أن التاء في المصحف متصلة بحين، وهو غلطٌ عند النحويين، وهو خلافُ قول المفسرين. ومن حُجَّة أبي عُبيد أن قال: إنَّا لم نجد العربَ تزيد هذه التاء إلا في حين وأوان والآن؛ وأنشد لأبي وَجْزَةَ السعديّ:

العاطفُون تَحِينَ مامِنْ عاطِف والمُطْعِمون زَمانَ أيْنَ المُطْعِمُ(٢)

وأنشد لأبي زُبيد الطائي:

طلبوا صُلحنا ولاتَ أوانٍ فأجبنا أنْ ليس حين بقاءِ(٣)

فأدخل التاء في أوان. قال أبو عُبيد: ومِن إدخالهم التاء في الآن حديثُ ابن عمر وسأله رجلٌ عن عثمان بن عفان ﷺ، فذكر مَناقِبَه ثم قال: اذهبْ بها تَلَانَ معك(٤).

وكذلك قول الشاعر:

نَوِّلِي قَبلَ نأْيِ دَارِي جُمَانا وصِلِينا كما زَعمْتِ تَلانا(٥)

قال أبو عُبيد: ثم مع هذا كلِّه إني تعمَّدت النظر في الذي يقال له: الإمام ـ مصحف عثمان ـ فوجدتُ التاءَ مُتَّصلة مع حين قد كُتِبت: تحين.

---

(١) في مجاز القرآن ٢/١٧٦ .

(٢) سلف ١/٤٧٨ .

(٣) سلف قريباً. وينظر الكلام السالف في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥١ - ٤٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، والدر المصون ٩/ ٣٤٧ - ٣٤٩ .

(٤) أخرجه أحمد (٥٧٧٢)، والبخاري (٣٦٩٨) بلفظ: اذهب بها الآن معك. وأورده بلفظ المصنف ابن الأثير في النهاية (تلن).

(٥) نسب في اللسان (تلن) لجميل بن معمر، ونسب في الخزانة ٤/ ١٧٩ لابن الأحمر.

قال أبو جعفر النحاس[١]: أما البيت الأول الذي أنشده لأبي وَجْزة فرواه العلماء باللغة على أربعة أوجه، كلُّها على خِلاف ما أنشده؛ وفي أحدها تقديران؛ رواه أبو العباس محمد بن يزيد:

العاطِفونَ ولاتَ ما مِن عاطِف

والرواية الثانية:

العاطِفونَ ولَاتَ حِينِ تَعاطُفٍ

والرواية الثالثة رواها ابن كَيْسان:

العاطِفونَةَ حِينَ ما مِن عاطِف

جعلها هاءً في الوقف وتاءً في الإدراج، وزعم أنها لِبَيان الحركة شُبِّهت بهاء التأنيث.

الرواية الرابعة:

العاطِفونهُ حِين ما مِن عاطِفٍ

وفي هذه الرواية تقديران؛ أحدهما ـ وهو مذهب إسماعيل بن إسحاق ـ أن الهاء في موضع نصب؛ كما تقول: الضاربون زيداً، فإذا كَنَيت قلت: الضاربوه. وأجاز سيبويه في الشعر: الضاربونهُ، فجاء إسماعيل بالبيت[٢] على مذهب سيبويه في إجازته مثلَه. والتقدير الآخر: العاطفونَهْ، على أن الهاء لِبَيان الحركة، كما تقول: مَرَّ بنا المُسلمونَهْ، في الوقف، ثم أُجريت في الوصل مُجراها في الوقف؛ كما قرأ أهلُ المدينة: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾[٣] [الحاقة: ٢٨-٢٩].

---

(١) في إعراب القرآن ٣/ ٤٥٣ .

(٢) في (م): بالتأنيث، والمثبت من (د) و(ز)، وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٣، والكلام منه، والعبارة ساقطة في (ظ) و(ف).

(٣) قرأ حمزة بحذف الهاءين في الوصل، والباقون بإثباتها في الحالين. التيسير ص٢١٤ .

وأما البيت الثاني فلا حُجَّة له فيه؛ لأنه يُوقف عليه: ولاتَ أوان، غيرَ أن فيه شيئاً مُشكلاً؛ لأنه يُروى: ولات أوانٍ؛ بالخفض، وإنما يقع ما بعد لات مرفوعاً أو منصوباً. وإنْ كان قد رُوي عن عيسى بن عمر أنه قرأ: «ولاتِ حينِ مناص» [بكسر التاء من لات والنون من حين، فإن الثبت عنه أنه قرأ: «ولاتِ حينَ مناص»][1] فبني «لاتِ» على الكسر، ونصبَ «حينَ».

فأما: ولاتَ أوانٍ، ففيه تقديران؛ قال الأخفش[2]: فيه مُضمر، أي: ولات حين أوان. قال النحاس[3]: وهذا القول بيِّنُ الخطأ. والتقدير الآخر عن أبي إسحاق[4] قال: تقديره: ولات أوانِنا فحذف المضاف إليه فوجب ألا يعرب، وكسره لالتقاء الساكنين[5]. وأنشده محمد بن يزيد: ولات أوانُ، بالرفع.

وأما البيت الثالث فبيتٌ مولّد لا يعرف قائله[6] ولا تَصِحُّ به حُجَّة. على أن محمد ابن يزيد رواه: كما زعمتِ الآن. وقال غيره: المعنى: كما زعمتِ أنتِ الآن. فأسقط الهمزةَ من أنت والنون.

وأما احتجاجُه بحديث ابن عمر، لما ذكَر للرجل مناقبَ عثمان فقال له: اذهَبْ بها تَلَانَ إلى أصحابك، فلا حُجَّةَ فيه؛ لأن المُحدِّث إنما يروي هذا على المعنى. والدليلُ على هذا أن مجاهداً يروي عن ابن عمر هذا الحديثَ وقال فيه: اذهب فاجهد

(١) القراءات الشاذة ص١٣٩، وما بين حاصرتين من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٣، والكلام منه.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٦٧٠.

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٤٥٤، وما قبله منه.

(٤) هو الزجاج، وقوله في معاني القرآن ٤/ ٣٢٠ - ٣٢١.

(٥) يعني: لما حذف المضاف إليه عوض من المضاف إليه تنويناً، والنون كانت في التقدير ساكنة كسكون ذال «إذ»، فلما لقيها التنوين ساكناً كسرت النون لالتقاء الساكنين، كما كسرت الذال من «إذ» لالتقاء الساكنين. سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٠٩.

(٦) نسبه في اللسان (تلن) لجميل بن معمر، وفي الخزانة ٤/ ١٧٩ لابن الأحمر، وقد ذكرناه عند تخريج البيت.

جهدك[١]. ورواه آخر: اذهب بها الآن معك[٢].

وأما احتجاجُه بأنه وجدَها في الإمام «تَحِينَ». فلا حُجَّةَ فيه؛ لأن معنى الإمام أنه إمامُ المصاحف، فإنْ كان مُخالفاً لها فليس بإمام لها، وفي المصاحف كلِّها «ولاتَ» فلو لم يكن في هذا إلا هذا الاحتجاج لكان مُقنعاً. وجمعُ مناصٍ مناوص.

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ «أن» في موضع نصب، والمعنى: من أن جاءهم[٣]. قيل: هو مُتَّصل بقوله: ﴿فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ أي: في عِزَّة وشِقاق وعَجِبوا، وقوله: «كم أَهْلَكْنا» مُعترِض. وقيل: لا، بل هذا ابتداءُ كلام، أي: ومِن جَهْلهم أنهم أظهروا التعجُّبَ مِن أنْ جاءهم منذرٌ منهم.

﴿فقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ﴾ أي: يجيء بالكلام المُموَّه الذي يخدعُ به الناس؛ وقيل: يُفرِّق بسحره بين الوالد وولده والرجلِ وزوجته ﴿كَذَّابٌ﴾ أي: في دعوى النبوّة.

قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ مفعولان، أي: صيَّر الآلهةَ إلهاً واحداً. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ أي: عجيب. وقرأ السُّلمي: «عُجَّابٌ» بالتشديد[٤]. والعُجَاب والعُجَّاب والعَجَب سواء. وقد فرّق الخليل بين عَجِيب وعُجَاب فقال: العَجِيب العَجَب، والعُجَاب الذي قد تجاوز حدَّ العَجَب، والطويل الذي فيه طول، والطُّوال، الذي قد تجاوز حدَّ الطُّول[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٤) من طريق سعد بن عبيدة، وابن حبان (٦٩٠٩) من طريق حبيب بن أبي مليكة كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما. ولم نقف عليه من طريق مجاهد

(٢) أخرجه أحمد (٥٧٧٢)، والبخاري (٣٦٩٨).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٤ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٧٨ بنحوه.

وقال الجوهري(١) : العَجِيب الأمرُ الذي يُتعجَّب منه، وكذلك العُجَاب بالضم، والعُجَّاب بالتشديد أكثرُ منه، وكذلك الأُعجوبة.

وقال مقاتل: «عُجَّابٌ» لغةُ أزد شنوءة(٢).

وروى سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءت قريش إليه، وجاء النبيُّ ﷺ، وعند رأس أبي طالب مجلسُ رجل، فقام أبو جهل كي يمنعَه، قال: وشكَوْه إلى أبي طالب، فقال: يا بنَ أخي ما تُريد من قومك؟ فقال: «يا عم، إنما أُريدُ منهم كلمةً تذلُّ لهم بها العربُ، وتُؤدِّي إليهم بها الجزيةَ العَجَمُ» فقال: وما هي؟ قال: «لا إله إلا الله» قال: فقالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ قال: فنزل فيهم القرآن: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ . بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ حتى بلغ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ خرَّجه الترمذي أيضاً بمعناه. وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح(٣).

وقيل: لما أسلمَ عمرُ بن الخطاب ﷺ شقَّ على قريش إسلامُه فاجتمعوا إلى أبي طالب وقالوا: اقضِ بيننا وبين ابنِ أخيك. فأرسل أبو طالب إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا ابنَ أخي، هؤلاء قومُك يسألونك ذا السَّواء(٤)، فلا تَمِلْ كلَّ الميل على قومك. قال: «وماذا يسألونني»؟ قالوا: ارفضنا وارفض ذِكْرَ آلهتنا وندعك وإلهكَ. فقال النبيُّ ﷺ: «أَتُعطونني كلمةً واحدةً وتَمْلِكون بها العربَ، وتَدينُ لكم بها العَجَم» فقال أبو جهل: لله أبوك، لَنُعطِينَّكَها وعشرَ أمثالها. فقال النبيُّ ﷺ: «قولوا: لا إله إلا لله»؟ فنفروا من ذلك وقاموا، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ فكيف يَسَعُ الخَلْقَ كلَّهم إلهٌ واحد. فأنزل اللهُ فيهم هذه الآياتِ إلى قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الآية:١٢](٥).

---

(١) في الصحاح (عجب).

(٢) ذكره الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ١٦٦ .

(٣) سنن الترمذي (٣٢٣٢)، وليس في مطبوعه قوله: صحيح. وأخرجه أحمد (٢٠٠٨)، والواحدي في أسباب النزول ص٣٨ . وفي إسناده يحيى بن عمارة، أو ابن عباد، أو عباد، مجهول، تفرَّد بالرواية عنه الأعمش فيما قاله الذهبي في الميزان ٤/ ٣٩٩ .

(٤) في (م): يسألونك السواء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٣٨٧، والبغوي في تفسيره ص٤/ ٤٨ .

قوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ «الملأ» الأشراف، والانطلاقُ الذَّهابُ بسرعة؛ أي: انطلق هؤلاء الكافرون من عند الرسول عليه الصلاة والسلام يقول بعضُهم لبعض: «أن امْشُو» أي: امضُوا على ما كنتُم عليه، ولا تدخلوا في دينه ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾. وقيل: هو إشارة إلى مَشْيِهم إلى أبي طالب في مرضه كما سبق.

وفي رواية محمد بن إسحاق أنهم أبو جهل بن هشام، وشيبةُ وعُتبة ابنا[1] ربيعة ابن عبد شمس، وأميّة بن خلف، والعاص بن وائل، وأبو مُعيط؛ جاؤوا إلى أبي طالب فقالوا: أنت سيدُنا وأنصفُنا في أنفسنا، فاكْفِنا أَمْرَ ابنِ أخيك وسُفهاءَ معه، فقد تركوا آلهتَنا وطَعَنوا في ديننا؛ فأرسل أبو طالب إلى النبيِّ ﷺ فقال له: إنَّ قومَك يدعونك إلى السَّواء والنَّصَفَة. فقال النبيُّ ﷺ: «إنما أدعوهم إلى كلمةٍ واحدة» فقال أبو جهل: وعشراً. قال: «تقولون: لا إله إلا اللهُ» فقاموا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ الآيات[2].

«أَنِ امْشُوا»، «أن» في موضع نصب، والمعنى: بأن امشُوا. وقيل: «أن» بمعنى أي؛ أي: «وانْطَلَقَ المَلأُ منهم» أي: امشُوا؛ وهذا تفسيرُ انطلاقهم، لا أنهم تكلَّموا بهذا اللَّفظ.

وقيل: المعنى: انطلق الأشرافُ منهم فقالوا للعوامّ: ﴿امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ أي: على عبادةِ آلهتكم «إنَّ هذا» أي: هذا الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام

(١) في (م): أبناء.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٤ - ٤٥٥، وينظر السيرة النبوية ١/ ٢٦٤ - ٢٦٥، وقصة ذهاب كفار قريش إلى أبي طالب سلفت قريباً.

﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أي: يُرادُ بأهل الأرض من زوالِ نعم قومٍ وغِيَر تنزِل بهم[١].

وقيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ كلمة تحذير؛ أي: إنما يُريد محمدٌ بما يقول الانقيادَ له لِيعلوَ علينا، ونكونَ له أتباعاً، فيتحكَّمَ فينا بما يُريد، فاحذروا أن تُطيعوه.

وقال مقاتل: إنَّ عمرَ لما أسلمَ وقَوِي به الإسلامُ شقَّ ذلك على قريش فقالوا: إنَّ إسلامَ عمر في قوّة الإسلام لَشيء يُراد[٢].

قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس والقُرظيّ وقتادة ومقاتل والكلبيّ والسُّديّ: يَعنون مِلَّةَ عيسى النصرانية، وهي آخرُ الملل. والنصارى يجعلون مع الله إلهاً. وقال مجاهد وقتادة أيضاً: يَعنون مِلَّة قريش. وقال الحسن: ماسَمعنا أنَّ هذا يكون في آخر الزمان. وقيل: أي: ماسمعنا من أهل الكتاب أن محمداً رسولٌ حقٌّ[٣].

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ أي: كذب وتخرُّص؛ عن ابن عباس وغيره[٤]. يقال: خَلَقَ واختلق، أي: ابتدع. وخلقَ اللهُ عزّ وجلّ الخَلْق من هذا؛ أي: ابتدعَهم على غيرِ مثال[٥].

قوله تعالى: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ هو استفهامُ إنكار، والذِّكر هاهنا القرآنُ؛ أنكروا اختصاصَه بالوَحْي من بينهم؛ فقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ أي: من وحيي، وهو القرآن. أي: قد عَلِموا أنك لم تَزَلْ صَدُوقاً فيما بينهم، وإنما شكُّوا فيما أنزلتُه عليك هل هو من عندي أمْ لا.

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ أي: إنما اغتَرُّوا بِطُول الإمهال، ولو ذاقوا عذابي على

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٥ . وقوله: غِيَر: في القاموس (غير): غِيَر الدهر: أحداثه المتغيرة.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٧٩ . وفيه:.. فقالوا: إن إسلام عمر فيه قوة للإسلام وشيء يُراد

(٣) هذه الأقوال في النكت والعيون ٥/ ٧٩، وتفسير البغوي ٤/ ٤٩، وأقوال ابن عباس ﷺ والقرظي والسدي ومجاهد وقتادة أخرجها الطبري ٢٠/ ٢٢ - ٢٣ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٢٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٥ .

الشِّرك لَزال عنهم الشَّكُّ، ولمَا قالوا ذلك؛ ولكن لا ينفع الإيمانُ حينئذ[١]. و«لَمَّا» بمعنى لم، وما زائدةٌ، كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠] و﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ قيل: أمْ لهم هذا فيمنعوا محمداً عليه الصلاة والسلام مما أنعمَ اللهُ عز وجل به عليه من النبوة[٢]. و«أَمْ» قد تَرِدُ بمعنى التقريع إذا كان الكلام مُتَّصلاً بكلام قبلَه؛ كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ١-٣].

وقد قيل: إن قوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ مُتَّصلٌ بقوله: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ فالمعنى: أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُرسل مَن يشاء؛ لأنَّ خزائنَ السماوات والأرض له[٣]، ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: فإنْ ادَّعَوْا ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ أي: فَلْيصعدوا إلى السماوات، وليمنعوا الملائكةَ من إنزالِ الوحي على محمد. يقال: رَقِيَ يَرْقَى وارتقى، إذا صَعِدَ. ورَقَى يَرقي رَقْياً، مثل: رَمَى يرمي رَمْياً، من الرُّقْية[٤].

قال الربيع بن أنس: الأسبابُ أرقُّ من الشَّعر وأشدُّ من الحديد، ولكن لا تُرى. والسَّبب في اللغة: كل ما يُوصَل به إلى المَطلوب من حبلٍ أو غيره[٥].

وقيل: الأسباب: أبوابُ السماوات التي تنزلُ الملائكةُ منها؛ قاله مجاهد وقتادة. قال زهير:

ولَو رَامَ أسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ[٦]

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٦ بنحوه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٥ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٨١ بنحوه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٥ .

(٥) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٨ ، وفيه : أدقّ، بدل: أرق.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٨٢ - ٨٣، والبيت سلف ٣/ ٩ ، وقول مجاهد وقتادة أخرجه الطبري ٢٠/ ٢٧ .

وقيل: الأسبابُ السماواتُ نفسُها؛ أي: فيصعدوا سماءً سماءً. وقال السُّدي: «في الأسبابِ» في الفَضْل والدين. وقيل: أي: فَلْيعلوا في أسبابِ القوَّة إنْ ظنُّوا أنها مانعة. وهو معنى قول أبي عُبيدة[١]. وقيل: الأسبابُ الحبال؛ يعني: إنْ وجدوا حبلاً أو سبباً يصعدون فيه إلى السماء فَلْيرتقوا؛ وهذا أمرُ توبيخ وتعجيز[٢].

ثم وعدَ نبيَّه ﷺ النصرَ عليهم فقال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ «ما» صِلةٌ، وتقديره: هم جند، فـ «جُندٌ» خبرُ ابتداء محذوف. ﴿مَهْزُومٌ﴾ أي: مقموعٌ ذليلٌ قد انقطعتْ حُجَّتهم لأنهم لا يَصلون إلى أن يقولوا: هذا لنا. ويقال: تهزَّمت القِربة، إذا انكسرت، وهزمتُ الجيش: كسرته[٣]. والكلام مرتبطٌ بما قبل، أي: ﴿بَلِ الذين كَفَرُوا في عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ وهم جندٌ من الأحزاب مهزومون، فلا تَغُمُّك عِزَّتُهم وشِقاقهم، فإني أهزمُ جمعَهم وأَسلُبُ عِزَّهم. وهذا تأنيسٌ للنبي ﷺ، وقد فُعِل بهم هذا في يوم بدر.

قال قتادة: وعدَ اللهُ أنه سَيهزمهم وهم بمكة، فجاء تأويلُها يومَ بَدْر[٤].

و«هنالك» إشارةٌ لِبدر، وهو موضعُ تحزُّبِهم لِقتال محمد ﷺ. وقيل: المرادُ بالأحزاب الذين أَتَوا المدينةَ وتحزَّبوا على النبيِّ ﷺ. وقد مضى ذلك في «الأحزاب»[٥]. والأحزابُ الجندُ، كما يقال: جندٌ من قبائلَ شتَّى. وقيل: أراد بالأحزاب القُرونَ الماضية من الكُفَّار[٦]. أي: هؤلاء جندٌ على طريقةِ أولئك؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة:٢٤٩] أي: على ديني ومذهبي.وقال الفراء[٧]: المعنى: هم جندٌ مغلوب؛ أي: ممنوعٌ عن أن يَصعَدَ إلى السماء. وقال القتبي: يعني: أنهم جندٌ لهذه الآلهة مهزومٌ، فهم لايقدرون على أن

(١) النكت والعيون ٥/ ٧٩.
(٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٧٢ بنحوه.
(٣) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٨٣.
(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٢٩.
(٥) ١٧/ ٧٠ وما بعدها.
(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٩، وزاد المسير ٧/ ١٠٤ - ١٠٥.
(٧) في معاني القرآن ٢/ ٣٩٩، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٥٦.

يدَّعوا الشيء من آلهتم، ولا لأنفسهم شيئاً من خزائن رحمة الله، ولا مِن ملك السماوات والأرض[١].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ذكرها تعزيةً للنبي ﷺ وتسليةً له[٢]؛ أي: هؤلاء من قومك يا محمد جندٌ من الأحزاب المتقدِّمين الذين تحزَّبوا على أنبيائهم، وقد كانوا أقوى من هؤلاء فأُهلكوا.

وذكر الله تعالى القوم بلفظ التأنيث، واختلف أهلُ العربية في ذلك على قولين: أحدهما: أنه قد يجوز فيه التذكيرُ والتأنيث. الثاني: أنه مذكَّر اللفظ، لا يجوز تأنيثه، إلا أن يقع المعنى على العشيرة والقبيلة، فيغلبُ في اللفظ حكمُ المعنى المُضمَر تنبيهاً عليه؛ كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ ولم يقل: ذكَرها؛ لأنه لما كان المُضمَرُ فيه مذكَّراً ذكَّره، وإنْ كان اللفظُ مُقتضياً للتأنيث[٣].

ووصف فرعون بأنه ذو الأوتاد. وقد اختُلف في تأويل ذلك؛ فقال ابن عباس: المعنى: ذو البِناء المُحكَم. وقال الضحاك: كان كثيرَ البُنيان، والبُنيان يُسمَّى أوتاداً. وعن ابن عباس أيضاً وقتادة وعطاء: أنه كانت له أوتادٌ وأرسان وملاعبُ يُلْعَب له عليها. وعن الضحاك أيضاً: ذو القوَّة والبَطْش. وقال الكلبي ومقاتل: كان يُعذِّب الناس بالأوتاد، وكان إذا غَضِبَ على أحدٍ مدَّه مُستلقياً بين أربعة أوتاد في الأرض، ويُرسل عليه العقاربَ والحيَّاتِ حتى يموت. وقيل: كان يشبح المُعذَّب بين أربع

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٢٧٣، والعبارة فيه: .. لأنهم لا يقدرون أن يدَّعوا لآلهتهم شيئاً من هذا، ولا لأنفسهم.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٩ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٨٠ .

سَوارٍ، كلُّ طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وَتِد من حديد ويتركُه حتى يموت. وقيل: ذو الأوتاد، أي: ذو الجنود الكثيرة، فَسُمِّيت الجنودُ أوتاداً؛ لأنهم يُقوُّون أمرَه كما يُقوِّي الوَتِدُ البيت[١].

وقال ابن قتيبة: العربُ تقول: هم في عزٍّ ثابت الأوتاد، يُريدون: دائماً شديداً. وأصلُ هذا أن البيتَ من بيوت الشَّعر إنما يَثبُتُ ويقوم بالأوتاد. قال الأسود بن يَعْفُر:

ولقد غَنَوْا فيها بأنعَمِ عِيْشَةٍ   في ظلِّ مُلْكٍ ثابت الأوتادِ[٢]

وواحدُ الأوتاد وَتِد، بالكسر، وبالفتح لغة. وقال الأصمعي: يقال: وَتِدٌ واتدٌ، كما يقال: شُغلٌ شاغل. وأنشد:

لاقَتْ على الماءِ جُذَيْلاً وَاتِدا   ولم يكن يُخْلِفُها المَوَاعِدا[٣]

قال: شبَّه الرجلَ بالجِذْل.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ﴾ أي: الغيضة[٤]. وقد مضى ذِكرُها في «الشعراء»[٥].

وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر: «لَيْكَةَ» بفتح اللام والتاء من غير همز. وهمز الباقون وكسروا التاء[٦]. وقد تقدَّم هذا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ أي: هم الموصوفون بالقوّة والكَثْرة، كقولك: فلانٌ هو الرجل.

﴿إِن كُلٌّ﴾ بمعنى: ما كلٌّ ﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي: فنزلَ بهم العذابُ لذلك التكذيب.

---

(١) هذه الأقوال في تفسير البغوي ٤/ ٤٩ - ٥٠، وزاد المسير ٧/ ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) غريب القرآن ص٣٧٧. والبيت في المفضليات ص٢١٧

(٣) نسبه في اللسان (وتد) لأبي محمد الفقعسي، والكلام من الصحاح (وتد).

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٣١ عن السدي.

(٥) ١٣/ ١٣٤.

(٦) السبعة ص٤٧٣، والتيسير ص١٦٦.

وأثبتَ يعقوبُ الياء في «عَذَابِي» و«عِقَابِي» في الحالين، وحذفَها الباقون في الحالين(١). ونظيرُ هذه الآيةِ قولُه عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [غافر: ٣٠-٣١] فسمَّى هذه الأُمَمَ أحزاباً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ «يَنْظُرُ» بمعنى ينتظر؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾(٢) [الحديد: ١٣]. «هؤلاء» يعني كُفَّار مكة. «إلَّا صَيْحَةً واحدةً» أي: نفخة القيامة. أي: ما ينتظرون بعد ما أُصيبوا ببدر إلا صيحةَ القيامة. وقيل: ما ينتظرُ أحياؤهم الآن إلا الصيحةَ التي هي النَّفخة في الصُّور، كما قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾(٣) [يس: ٤٩-٥٠]، وهذا إخبارٌ عن قُرب القِيامة والموت. وقيل: أي: ما ينتظر كُفَّارُ آخر هذه الأمة المُتديِّنين بدين أولئك إلا صيحةً واحدة، وهي النَّفخة. وقال عبد الله بن عمرو: لم تكن صيحةٌ في السماء إلا بغضبٍ من الله عزَّ وجلَّ على أهل الأرض(٤).

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ أي: من ترداد؛ عن ابن عباس. مجاهد: ما لها رجوع. قتادة: مالها من مثنوية. السدِّي: مالها من إفاقة(٥).

وقرأ حمزة والكسائي: «ما لها مِنْ فُواقٍ» بضم الفاء. الباقون بالفتح(٦). الجوهري(٧): والفَواق والفُواق ما بين الحَلْبتين من الوقت؛ لأنها تُحلَب، ثم تُترَك

(١) النشر ٢/ ١٨٢ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٧ .

(٣) تفسير الرازي ٢٦/ ١٨٢ بنحوه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٧ . وفي مطبوعه: عبد الله بن عمر.

(٥) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٠/ ٣٤ - ٣٥، وقوله: ما لها من مثنوية، ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٥٠ عن الضحاك، ثم قال: أي: صَرْفٌ وردٌّ.

(٦) السبعة ص٥٥٢ ، والتيسير ص١٨٧ .

(٧) الصحاح (فوق).

سُويعة يرضَعها الفَصيل لِتَدِرَّ، ثم تُحلَب. يقال: ما أقام عنده إلا فُوَاقاً؛ وفي الحديث: «العِيادةُ قَدْر فُواق الناقة»(١). وقوله تعالى: «مالها مِنْ فَوَاق» يقرأ بالفتح والضم، أي: مالها من نظرة وراحة وإفاقة. والفِيقة، بالكسر: اسمُ اللبن الذي يجتمع بين الحَلْبتين؛ صارت الواو ياءً لِكسر ما قَبْلَها؛ قال الأعشى يَصِفُ بقرةً:

حتى إذا فِيقَةٌ في ضَرعِها اجتمعتْ ... جاءتْ لِتُرضِع شِقَّ النَّفْسِ لو رَضَعا(٢)

والجمع فِيَق، ثم أفواق، مثل: شِبر وأشبار، ثم أفاويق. قال ابن هَمَّام السَّلُوليّ:

وذَمُّوا لنا الدنيا وهم يَرْضَعُونها ... أَفَاوِيقَ حتى ما يَدُرُّ لها ثُعْلُ(٣)

والأفاويق أيضاً ما اجتمع في السحاب من ماء، فهو يمطر ساعةً بعد ساعة. وأفاقت الناقةُ إفاقةً، أي: اجتمعت الفِيقة في ضرعها؛ فهي مُفِيقٌ ومُفِيقَةٌ ـ عن أبي عمرو ـ والجمع مفاويق.

وقال الفرّاء وأبو عُبيدة وغيرهما: «مِنْ فَوَاقٍ» بفتح الفاء، أي: راحة لا يُفيقون فيها، كما يُفيق المريضُ والمَغْشيّ عليه. و«مِنْ فُواقٍ» بضم الفاء من انتظار(٤). وقد تقدَّم أنهما بمعنىً، وهو ما بين الحَلْبتين.

قلت: والمعنى المُراد أنها مُمتدَّة لا تقطيع فيها. وروى أبو هريرة قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ ونحن في طائفة من أصحابه، الحديثَ، وفيه «يأمر اللهُ عزَّ وجلَّ إسرافيلَ بالنَّفخة الأُولى، فيقول: انفُخْ نَفْخةَ الفَزَع، فيفزَعُ أهلُ السماوات وأهلُ الأرض إلا مَن شاء الله، ويأمره فيمدُّها ويُديمها يُطوّلها يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾» وذكر الحديثَ، خَرَّجه علي بن مَعْبد وغيره

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٢٢٢)، في إسناده مندل بن علي أبو عبد الله العنزي الكوفي، ضعَّفه أحمد كما في تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٢، وأورد الحديث السيوطي في الجامع الصغير ٤/ ٣٩٦ (فيض القدير) ورمز لصحته.

(٢) ديوان الأعشى ص١٥٥ .

(٣) الكامل للمبرد ١/ ٧٧، وسمط اللالئ ٣/ ٩٢٣ . والثُّعل: خِلْفٌ زائد صغير في أخلاف الناقة، وضرع الشاة، لا يدرّ. اللسان (ثعل).

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٠ ـ وليس فيه هذا التفريق ـ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٧٩ .

كما ذكرناه في كتاب «التذكرة»[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قال مجاهد: عذابَنا. وكذا قال قتادة: نصيبنا من العذاب. الحسن: نصيبنا من الجنة لِنتنعَّم به في الدنيا. وقاله سعيد بن جُبير[٢]. ومعروف في اللغة أن يقال للنصيب: قِطّ، وللكتاب المكتوب بالجائزة قطّ[٣]. قال الفراء[٤]: القِطُّ في كلام العرب: الحظُّ والنصيب. ومنه قيل للصكّ: قِطّ. وقال أبو عُبيدة والكسائي: القِطُّ الكتاب بالجوائز[٥]. والجمع القطوط؛ قال الأعشى:

ولا الـمَـلِـكُ الـنُّـعـمـانُ يـومَ لَـقِـيـتُـهُ ... بِـغِـبْـطـتـهِ يُـعـطـي الـقُـطـوطَ وَيَـأْفِـقُ[٦]

يعني كتب الجوائز. ويروى: بإمَّتهِ، بدل: بغبطته، أي: بنعمته وحاله الجليلة، ويأفِق يصلحُ. ويقال: في جمع قِطّ أيضاً: قِطَطة، وفي القليل: أَقطّ وأقطاط. ذكره النحاس[٧].

وقال السدي: سألوا أن يُمَثَّلَ لهم منازلَهم من الجنةِ ليعلموا حقيقةَ ما يُوعَدون به. وقال إسماعيل بن أبي خالد: المعنى: عجِّل لنا أرزاقَنا[٨]. وقيل: معناه: عجِّل لنا ما يَكفينا؛ من قولهم: قَطْني؛ أي: يَكفيني. وقيل: إنهم قالوا ذلك استعجالاً

(١) ص١٧٣، والحديث أخرجه مطولاً إسحاق بن راهويه في مسنده (١٠)، والطبري ٢٠/ ٣٣، وهو حديث ضعيف، وسلف قسم منه ١٦/ ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٠/ ٣٧ - ٣٨ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٧ .

(٤) في معاني القرآن ٢/ ٤٠٠ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٥١، وقول أبي عُبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٧٩ .

(٦) ديون الأعشى ص٢٦٩ . وفيه، بإمَّته، بدل: بنعمته. وذكره برواية المصنف ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦ .

(٧) في إعراب القرآن ٣/ ٤٥٧ . وما قبله منه.

(٨) أخرجهما الطبري ٢٠/ ٣٨ - ٣٩ .

لِكُتبهم التي يُعطَوْنها بأيمانهم وشَمائلهم حين تُلي عليهم بذلك القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠]، وأصلُ القِطِّ القَطُّ، وهو القَطْع، ومنه: قَطَّ القلمَ؛ فالقِطُّ اسمٌ للقطعة من الشيء، كالقَسْم والقِسْم، فأُطلق على النصيب والكتاب والرِّزق لِقَطْعه عن غيره، إلا أنه في الكتاب أكثرُ استعمالاً وأقوى حقيقةً. قال أميةُ بن أبي الصَّلْت:

قَومٌ لهم ساحةُ العِراقِ وما يُجْبَى إليه والقِطُّ والقَلَمُ[(١)]

﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: قبلَ يومِ القيامة في الدنيا إنْ كان الأمرُ كما يقول محمد. وكلُّ هذا استهزاءٌ منهم.

قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أمرَ نبيَّه ﷺ بالصبر لما استهزؤوا به. وهذه منسوخةٌ بآية السيف[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ لَمَّا ذكر من أخبار الكفار وشِقاقهم وتقريعهم بإهلاك القُرون مِن قبلهم، أَمَر نبيَّه عليه الصلاة والسلام بالصبر على أذاهم، وسلَّاه بكلِّ ما تقدَّم ذِكْره. ثم أخذ في ذكر داودَ وقصص الأنبياء؛ لِيتسلَّى بصبر مَن صَبَر منهم؛ ولِيعلمَ أن له في الآخرة أضعافَ ما أُعطِيَهُ داودُ وغيره من الأنبياء.

وقيل: المعنى: اصبِرْ على قولهم، واذكُر لهم أقاصيصَ الأنبياء؛ لتكون برهاناً على صحة نبوَّتك.

«ذا الأيْدِ» ذا القوَّة في العبادة. وكان يصومُ يوماً ويُفطر يوماً، وذلك أشدُّ الصوم

---

(١) ديوان أمية بن أبي الصَّلت ص١٢٨، وروايته فيه:

قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والقط والقلم

وذكره كرواية المصنف الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٨٣.

(٢) ذكره مكي في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٣٩١، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١١٠.

وأفضلُه؛ وكان يُصلّي نصفَ الليل، وكان لا يفرُّ إذا لاقى العدوّ[١]، وكان قويّاً في الدعاء إلى الله تعالى. وقوله: «عَبْدَنا» إظهاراً لِشَرَفِهِ بهذه الإضافة. ويقال: الأيْد والآدُ، كما تقول: العيب والعاب[٢]. قال:

لـم يَـكُ يَـنْـآد فَـأَمْـسَـى انْـآدا[٣]

ومنه: رجلٌ أيِّدٌ، أي: قويّ. وتأيَّدَ الشيء تقوَّى، قال الشاعر:

إذَا الـقـوسُ وَتَّـرهَـا أَيِّـدٌ رَمَـى فَـأَصـابَ الـكُـلـى وَالـذُّرا[٤]

يقول: إذا الله وَتَّر القوس التي في السحاب رَمَى كُلى الإبل وأَسْنِمَتَها بالشحم. يعني من النبات الذي يكون من المطر.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ قال الضحاك: أي: توّاب. وعن غيره: أنه كلَّما ذكَر ذَنْبه أو خطَر على باله استغفر منه؛ كما قال النبي ﷺ: «إني لأستغفرُ اللهَ في اليومِ والليلة مئةَ مرة»[٥]. ويقال: آبَ يؤوب، إذا رَجَع، كما قال:

وكـلُّ ذي غَـيْـبَـةٍ يـؤوبُ وغـائـبُ الـمـوت لايـؤوبُ[٦]

فكان داودُ رجَّاعاً إلى طاعة الله ورِضاه في كلِّ أمرٍ، فهو أهلٌ لأن يُقتدَى به.

---

(١) أخرج البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «.. أحبُّ الصيام إلى الله صيامُ داود، وكان ينامُ نصفَ الليل، ويقوم ثُلثَه، وينام سُدسَه، ويصوم يوماً ويُفطر يوماً»، وفي رواية عند البخاري (٣٤١٩)، ومسلم (١١٥٩) (١٨٧): «.. ولا يَفِرُّ إذا لاقى». وهو في مسند أحمد (٦٤٧٧).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٨.

(٣) الرجز للعجاج كما في إصلاح المنطق ص١٠٧، وقبله: مِن أن تبدَّلتُ بآدي آدا. ولم نقف عليه في ديوانه.

(٤) في (م): الذُّوا، والبيت في مجالس ثعلب ص٤٤٧ والصحاح (أيد) والكلام منه.

(٥) أخرجه أحمد (١٧٨٤٨)، ومسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغرّ المزني ﷺ، وأوله: «إنه لَيُغَانُ على قلبي..» وسلف ٢/ ١١٧.

(٦) قائله عَبيد بن الأبرص، وهو في ديوانه ص٢٦. والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٨.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ «يُسَبِّحْنَ» في موضع نصب على الحال[١]. ذكر تعالى ما آتاه من البرهان والمُعجزة، وهو تسبيحُ الجبال معه. قال مقاتل: كان داودُ إذا ذكَر الله جلَّ وعزَّ ذكَرت الجبالُ معه، وكان يفقهُ تسبيحَ الجبال. وقال ابن عباس: «يُسَبِّحْنَ» يُصلِّين. وإنما يكون هذا معجزةً إذا رآه الناس وعَرَفوه. وقال محمد بن إسحاق: أُوتي داودُ من حُسن الصوت ما يكون له في الجبال دَويٌّ حَسَن، وما تصغَى لحسنه [الطير] وتُصوِّت معه، فهذا تسبيحُ الجبال والطير.

وقيل: سخَّرها اللهُ عز وجل لِتَسيرَ معه، فذلك تسبيحُها، لأنها دالَّةٌ على تنزيهِ الله عن شبه المخلوقين[٢]. وقد مضى القولُ في هذا في «سبأ»[٣] وفي «سبحان» عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الآية: ٤٤] وأنَّ ذلك تسبيحُ مَقَال على الصحيح من الأقوال. والله أعلم.

﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ الإشراقُ أيضاً ابيضاضُ الشمس بعد طُلوعها. يقال: شَرَقَت الشمسُ، إذا طَلَعت، وأَشرقَتْ، إذا أضاءت[٤]. فكان داودُ يُسبِّح إثرَ صلاتهِ عند طُلوع الشمس وعند غُروبها.

الثانية: روي عن ابن عباس أنه قال: كنت أمرُّ بهذه الآية ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ولا أدري ماهي، حتى حدَّثتني أُمُّ هانئ أن رسولَ الله ﷺ دخلَ عليها، فدعا بِوَضوء فتوضأ، ثم صلَّى صلاةَ الضُّحى، وقال: «يا أُمَّ هانئ، هذه صلاةُ الإشراق»[٥]. وقال

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٨ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) ١٧/ ٢٦٠ وما بعدها.

(٤) الصحاح (شرق) .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤/ ٤٠٦، والبغوي في تفسيره ٤/ ٥١ . وفي إسناده حجَّاج بن نُصير وأبو بكر الهذلي وكلاهما ضعيف. ميزان الاعتدال ١/ ٤٦٥ و ٤/ ٤٩٧، ومجمع الزوائد ٢/ ٢٣٨ و٧/ ٩٩ .

عكرمة: قال ابن عباس: كان في نفسي شيء من صلاة الضُّحى حتى وجدتُها في القرآن ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾[١]. قال عكرمة: وكان ابن عباس لا يُصلِّي صلاة الضُّحى، ثم صلَّاها بعد[٢].

وروي أن كعب الأحبار قال لابن عباس: إني أَجِدُ في كُتُبِ اللهِ صلاةً بعدَ طُلوع الشمس هي صلاة الأوَّابين. فقال ابن عباس: وأنا أوجدك في القرآن ذلك في قصة داود ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾.

الثالثة: صلاةُ الضحى نافلةٌ مستحبة، وهي في الغَداة بإزاء العصر في العَشيّ، لا ينبغي أن تُصلَّى حتى تبيضَّ الشمسُ طالعةً؛ ويرتفع كَدَرُها؛ وتُشرق بنورها؛ كما لا تُصلَّى العصر إذا اصفرَّتِ الشمس[٣]. وفي «صحيح» مسلم عن زيد بن أَرْقَم، أن رسولَ الله ﷺ قال: «صلاةُ الأوَّابين حين تَرْمَضُ الفِصالُ»[٤].

الفِصال والفُصلان جمع فَصيل، وهو الذي يُفطَم من الرضاعة من الإبل. والرَّمضاء شِدَّةُ الحر في الأرض. وخصَّ الفِصال هنا بالذِّكر؛ لأنها هي التي تَرْمَض قبلَ انتهاء شدَّة الحرّ التي تَرْمَض به[٥] أمهاتُها لِقلَّة جَلَدها، وذلك يكون في الضُّحى أو بعده بقليل، وهو الوقتُ المتوسط بين طلوع الشمس وزوالها[٦].

قال[٧] القاضي أبو بكر بن العربي[٨]: ومن الناس من يُبادر بها قبلَ ذلك

---

(١) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد كما في الدر المنثور ٥/ ٢٩٨ .

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٥/ ٢٩٨ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦١٣ .

(٤) صحيح مسلم (٧٤٨)، وهو في مسند أحمد (١٩٢٧٠)، وفي هامش (ز) حاشية نصها: تَرْمَض بفتح التاء والميم، يقال: رَمِض يرمَض، كعلم يعلم، والرمضاء: الرَّمْل الذي اشتدت حرارته بالشمس، أي: حين تحترق أخفاف الفصال، وهي الصغار من أولاد الإبل، جمع فَصيل، من شدة حرّ الرمل، والأواب، المطيع، وقيل: الراجع إلى الطاعة. قاله النووي. اهـ [في شرح مسلم ٦/ ٣٠]

(٥) في (م): بها.

(٦) المفهم ٢/ ٣٥٩ .

(٧) في (م) و(د) و(ظ): قاله.

(٨) في أحكام القرآن ٤/ ١٦١٣ .

استعجالاً، لأجل شُغله فيخسر عملَه؛ لأنه يُصلِّيها في الوقت المَنْهي عنه، ويأتي بعملٍ هو عليه لا له.

الرابعة: روى الترمذي من حديث أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صلَّى الضُّحى ثنتي عشرةَ ركعةً بنى اللهُ له قصراً مِن ذَهَبٍ في الجنة» قال: حديث غريب(١).

وفي «صحيح» مسلم: عن أبي ذرٍّ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «يُصبح على كلِّ سُلَامَى من أحدِكم صدقةٌ، فكلُّ تسبيحةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وكلُّ تكبيرةٍ صَدَقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن المنكر صدقةٌ، ويُجزئ من ذلك ركعتان يَركَعهما من الضُّحى»(٢).

وفي الترمذي: عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ حافَظَ على شَفْعةِ الضُّحى غُفر له ذنوبُه وإنْ كانت مثلَ زَبَد البحر»(٣).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: «أَوصاني خليلي بثلاث لا أدعُهُنَّ حتى أموتَ: صومِ ثلاثةِ أيام من كلِّ شهر، وصلاةِ الضُّحى، ونومٍ على وتر» لفظ البخاري(٤). وقال مسلم: «وركعتي الضحى»(٥). وخرَّجه من حديث أبي الدرداء كما خرَّجه البخاري من حديث أبي هريرة(٦).

وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ أقلَّ الضحى ركعتان وأكثرَه ثنتا عشرة. والله أعلم.

وأصل السُّلامى ـ بضم السين ـ عظامُ الأصابع والأكُفّ والأرجل، ثم استُعمل في سائر عظام الجسد وَمفَاصله(٧).

---

(١) سنن الترمذي، وفي إسناده موسى بن فلان بن أنس بن مالك، ويقال: موسى بن حمزة. قال الحافظ ابن حجر في التقريب: مجهول.

(٢) صحيح مسلم (٧٢٠)، وأخرجه أحمد (٢١٤٧٥).

(٣) سنن الترمذي (٤٧٦)، وفي إسناده نهَّاس بن قَهْم، ضعفه الحافظ ابن حجر في التقريب.

(٤) رقم (١١٧٨).

(٥) رقم (٧٢١)، وهو في مسند أحمد (٧٦٧١).

(٦) صحيح مسلم (٧٢٢)، وهو في مسند أحمد (٢٧٤٨١).

(٧) المفهم ٢/ ٣٦٠.

وروي من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنه خُلِقَ كلُّ إنسان من بني آدمَ على ستين وثلاث مئة مَفْصِل، فمن كبَّر اللهَ، وحَمِدَ اللهَ، وهلَّل اللهَ، وسبَّح الله، واستغفرَ اللهَ، وعَزَلَ حجراً عن طريق الناس أو شوكةً أو عظماً عن طريق الناس، وأَمَرَ بمعروف، أو نَهَى عن مُنكر عَدَدَ تلك الستين والثلاث مئة سُلامَى فإنه يمشي يومئذ وقد زَحْزحَ نفسَه عن النار» قال أبو تَوْبة: وربما قال: «يُمْسي» كذا خرجه مسلم[١].

وقوله: «ويُجزئ من ذلك ركعتان» أي: يكفي من هذه الصَّدَقات عن هذه الأعضاء ركعتان. وذلك أن الصلاةَ عملٌ بجميع أعضاء الجسد؛ فإذا صلَّى فقد قام كلُّ عضو بوظيفته التي عليه في الأصل. والله أعلم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ معطوف على الجبال. قال الفراء[٣]: ولو قرئ: «والطَّيْرُ محشورةٌ» لجاز[٤]؛ لأنه لم يظهر الفعل.

قال ابن عباس: كان داودُ عليه السلام إذا سبَّح جاوبَتْه الجبال واجتمعت إليه الطيرُ فسبَّحتْ معه. فاجتماعها إليه حَشْرُها[٥]. فالمعنى: وسخَّرنا الطيرَ مجموعة إليه لِتُسبِّح الله معه. وقيل: أي: وسخَّرنا الريح لِتَحْشُرَ الطيورَ إليه لِتسبِّح معه، أو أمرنا الملائكةَ تحشر الطيور.

---

(١) في صحيحه (١٠٠٧).

(٢) المفهم ٢/٣٦١.

(٣) في معاني القرآن ٢/٤٠١، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤٥٩، وما قبله منه.

(٤) قرأ بها إبراهيم بن أبي عبلة كما في القراءات الشاذة ص١٢٩.

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن ٢/٤٠١، والطبري في تفسيره ٢٠/٤٥، ولم ينسباه لأحد.

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ﴾ أي: لداود ﴿أَوَّابٌ﴾ أي: مطيع؛ أي: تأتيه وتُسبِّحُ معه. وقيل: الهاء لله عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أي: قوَّيناه حتى ثَبَتَ. قيل: بالهيبة وإلقاء الرُّعب منه في القُلوب. وقيل: بِكَثْرة الجنود. وقيل: بالتأييد والنَّصر. وهذا اختيارُ ابن العربي[1]، فلا ينفع الجيشَ الكثيرَ التفافُه على غيرِ منصور وغير مُعانٍ.

وقال ابن عباس ﷺ: كان داودُ أشدَّ مُلوك الأرض سلطاناً. كان يحرسُ محرابَه كلَّ ليلة نَيِّفٌ وثلاثون ألف رجل، فإذا أصبح قيل: ارجعوا فقد رضي عنكم نبيُّ الله[2].

والمُلْك عبارة عن كَثْرة المِلْك، فقد يكون للرجلِ مِلك ولكن لا يكون مَلِكاً حتى يكثرَ ذلك؛ فلو مَلَكَ الرجلُ داراً وامرأة لم يكن مَلِكاً حتى يكون له خادمٌ يَكفيه مؤنةَ التصرف في المنافع التي يفتقر إليها لضرورة[3] الآدمية[4]. وقد مضى هذا المعنى في «براءة»[5] وحقيقةُ الملك في «النمل» مستوفًى.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ **فيه مسألتان:**

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: النبوَّة؛ قاله السدي. مجاهد: العَدْل. أبو العالية: العلم بكتاب الله تعالى. قتادة: السنة. شُريح: العلم والفقه.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي وقتادة: يعني: الفَصْلَ في القضاء. وهو قول ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل. وقال ابن عباس: بيانُ الكلام. عليّ ابن أبي طالب: هو البيِّنة على المدَّعي واليمينُ على مَن أنكر. وقاله شُرَيح والشعبي

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٦١٤، وما بعده منه.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٥١ مختصراً.

(٣) في (د) و(م): لضرورته، وفي (ز): لضروريّة، والمثبت من (ظ).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦١٤.

(٥) ١٠/ ٢٥٠ .

وقتادة أيضاً. وقال أبو موسى الأشعري والشعبي أيضاً: هو قوله: أما بعد، وهو أول مَن تكلَّم بها[١].

وقيل: «فَصْل الخِطاب» البيان الفاصلُ بين الحقّ والباطل. وقيل: هو الإيجازُ بجعل المعنى الكثير في اللَّفظِ القليل[٢]. والمعنى في هذه الأقوال متقاربٌ. وقولُ عليّ ﷺ يجمعه؛ لأن مدارَ الحُكم عليه في القضاء ما عدا قول أبي موسى.

الثانية: قال القاضي أبو بكر بن العربي[٣]: فأما علمُ القضاء فَلَعَمْرُ إلهِك إنه لَنوعٌ من العلم مجرد، وفصلٌ منه مؤكَّد، غير معرفة الأحكام والبصر بالحلال والحرام؛ ففي الحديث: «أقضاكم عليٌّ، وأعلمُكم بالحلال والحرام معاذُ بن جبل»[٤]. وقد يكون الرجلُ بصيراً بأحكام الأفعال، عارفاً بالحلال والحرام، ولا يقوم بفصل القضاء.

يُروَى أن عليَّ بن أبي طالب ﷺ قال: لما بعثني رسولُ الله ﷺ إلى اليمن حَفَرَ قومٌ زُبْيَةً للأسد، فوقع فيها الأسدُ وازدحم الناسُ على الزُّبية فوقع فيها رجلٌ وتعلَّق بآخر، وتعلَّق الآخَرُ بآخر، حتى صاروا أربعةً، فجرحهم الأسدُ فيها فَهَلكوا، وحمل القومُ السلاحَ وكاد يكون بينهم قتال؛ قال: فأتيتُهم فقلت: أتقتلون مئتي رجل من أجل أربعة أناس؟! تعالوا أَقْضِ بينَكم بقضاء؛ فإنْ رَضِيتموه فهو قضاء بينكم، وإنْ أَبيتُم رفعتُم ذلك إلى رسول الله ﷺ فهو أحقُّ بالقضاء. فجعل للأوّل رُبُعَ الدِّيَة، وجعل للثاني ثُلثَ الدِّيَة، وجعل للثالث نصفَ الدِّيَة، وجعل للرابع الدِّيَة، وجعل الدِّيَاتِ على من حَفَر الزُّبْيَةَ على قبائل الأربعة؛ فَسَخِطَ بعضُهم ورضي بعضهم، ثم قدموا

(١) هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٠/ ٤٨ - ٥١، والنكت والعيون ٥/ ٨٤، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦١٥.

(٣) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦١٥ - ١٦١٦.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٥٤) من حديث أنس ﷺ مطولاً، ولفظه: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر،.. وأقضاهم عليّ.. وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل..» الحديث. وأخرجه أحمد (١٢٩٠٤)، والترمذي (٣٧٩١) دون ذكر علي ﷺ.

على رسول الله ﷺ فقصُّوا عليه القصة؛ فقال: «أنا أقضي بينكم» فقال قائل: إن عليّاً قد قضي بيننا. فأخبروه بما قضي عليّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «القضاءُ كما قَضَى عليٌّ» في رواية: فأمضى رسولُ الله ﷺ قضاءَ عليّ[1].

وكذلك يُروَى في المعرفة بالقضاء أن أبا حنيفة جاء إليه رجلٌ فقال: إن ابن أبي ليلى ـ وكان قاضياً بالكوفة ـ جلد امرأةً مجنونة قالت لرجل: يا ابن الزانيين حدَّين في المسجد وهي قائمة. فقال: أخطأ من ستة أوجه.

قال ابن العربي[2]: وهذا الذي قاله أبو حنيفة بالبديهة لا يُدركه أحدٌ بالروية إلا العلماء، فأما قضيةُ عليٍّ فلا يُدركها الشادي، ولا يلحقها بعد التمرُّن في الأحكام إلا العاكف المُتمادي. وتحقيقُها أن هؤلاء الأربعة مقتولون[3] خطأً بالتدافع على الحُفرة من الحاضرين عليها، فلهم الدّيَات على مَن حَفَر[4] على وجه الخطأ، بَيْد أن الأوّل مقتولٌ بالمُدافَعة قاتلُ ثلاثةٍ بالمُجاذَبة، فله الدِّيةُ بما قُتِل، وعليه ثلاثةُ أرباع الدية بالثلاثة الذين قتلهم. وأما الثاني فله ثلثُ الدِّيَة وعليه الثُّلثان بالاثنين اللذين قَتَلَهما بالمُجاذبة. وأما الثالث فله نصفُ الدِّية وعليه النصف؛ لأنه قتل واحداً بالمُجاذبة، فوقعت المحاصَّة، وغَرِمت العواقلُ هذا التقدير بعد القصاص[5] الجاري فيه. وهذا من بديع الاستنباط.

وأما أبو حنيفة فإنه نَظَر إلى المعاني المتعلقة فرآها ستة: الأوّل: أن المجنون

(١) أخرجه أحمد (١٣١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١١١. وفي إسناده حنش بن المعتمر الكناني، قال البخاري: يتكلمون في حديثه، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن حبان: لا يُحتج به، يتفرد عن علي بأشياء. ميزان الاعتدال ١/ ٦١٩.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٦١٥ - ١٦١٦، وما قبله منه.

(٣) في النسخ الخطية: المقتولون، وفي (م): المقتولين، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي.

(٤) في النسخ: حضر، والمثبت من أحكام القرآن.

(٥) في النسخ الخطية ونسخة من أحكام القرآن لابن العربي: القضاء، والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

لا حدَّ عليه؛ لأن الجُنون يُسقِطُ التكليف. وهذا إذا كان القذفُ في حالة الجنون، وأما إذا كان يجنُّ مرةً ويُفيق أُخرى فإنه يُحَدُّ بالقذف في حالة إفاقته.

والثاني: قولها: يا ابن الزانيين، فجلدها حدَّين لكل أبٍ حدٌّ، فإنما خطَّأه أبو حنيفة [فيه بناءً][1] على مذهبه في أن حدَّ القذف يتداخل، لأنه عنده حقُّ اللهِ[2] تعالى كحدِّ الخمر والزنى. وأما الشافعي ومالك فإنهما يَرَيان أن الحدَّ بالقذف حقٌّ للآدمي، فيتعدَّد بتعدُّد المقذوف.

الثالث: أنه جَلَد بغير مطالبة المقذوف، ولا تجوز إقامةُ حدّ القذف بإجماعٍ من الأمة إلا بعد المُطالبة بإقامته ممن يقول: إنه حق الله تعالى، ومن يقول: إنه حقُّ الآدمي. وبهذا المعنى وقع الاحتجاج لمن يرى أنه حقٌّ للآدميّ؛ إذْ لو كان حقّاً لله لمَا توقّف على المطالبة كحدِّ الزِّنى.

الرابع: أنه والَى بين الحَدَّين، ومَن وجب عليه حدَّان لم يُوالَ بينهما، بل يُحَدُّ لأحدِهما ثم يُترَكُ حتى يندمِلَ الضرب، ثم يقام عليه الحدُّ الآخر.

الخامس: أنه حدَّها قائمةً، ولا تُحَدُّ المرأةُ إلا جالسةً مستورة؛ قال بعض الناس: في زنبيل.

السادس: أنه أقام الحدَّ في المسجد، ولا تُقام الحدود فيه إجماعاً. وفي القضاء[3] في المسجد والتعزيز فيه خلافٌ.

قال القاضي: فهذا هو فصلُ الخِطاب وعلم القضاء الذي وقعت الإشارةُ إليه على أحد التأويلات في الحديث المرويّ «أقضاكم عليّ»[4]. وأما مَن قال: إنه الإيجاز فذلك للعرب دون العَجَم، ولمحمد ﷺ دون العرب؛ وقد بيَّن هذا بقوله: «وأُوتيتُ

---

(١) ما بين حاصرتين من أحكام القرآن لابن العربي.
(٢) في أحكام لقرآن لابن العربي: حقٌّ لله.
(٣) في أحكام القرآن لابن العربي: القصاص.
(٤) سلف أول المسألة.

جوامِعَ الكَلِم»[١].

وأما من قال: إنه قوله: أمَّا بعد؛ فكان النبيُّ ﷺ يقول في خُطبته: «أما بعد»[٢].

ويُروى أن أوّل من قالها في الجاهلية سحبان بن وائل، وهو أوّلُ من آمنَ بالبعث، وأوّل من توكَّأ على عصا، وعُمِّر مئة وثمانين سنة. ولو صحَّ أن داود عليه السلام قالها، لم يكن ذلك منه بالعربية على هذا النَّظم، وإنما كان بلسانه. والله أعلم[٣].

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

فيه أربع وعشرون مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ «الخَصْمُ» يقع على الواحد والاثنين والجماعة[٤]؛ لأن أصلَه المصدر. قال الشاعر:

وَخَصْمٍ غِضَابٍ يَنْفُضُونَ لِحَاهُمُ ... كنفضِ البَرَاذينِ العِرابِ المَخَالِيا[٥]

(١) سلف ١٢/ ٢٩٥.

(٢) ثمة عدة أحاديث في أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: «أما بعد» منها حديث الكسوف، هو عند البخاري (٩٢٢)، ومسلم (٩٠٥). وقد ترجم له البخاري: باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد. وترجم في موضع آخر من صحيحه (١٠٦١): باب: قول الإمام في خطبة الكسوف: أما بعد.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦١٧.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٩٤.

(٥) قائله الراعي النميري، وهو في ديوانه ص٢٩١.

النحاس[١]: ولا خلاف بين أهل التفسير أنه يُراد به هاهنا مَلَكان.

وقيل: «تَسَوَّرُوا» وإن كانا[٢] اثنين حملاً على الخَصْم، إذ كان بلفظ الجمع ومضارعاً له، مثل الرَّكْب والصَّحْب. تقديره للاثنين: ذوا خَصْم، وللجماعة: ذوو خَصْم.

ومعنى: «تَسَوَّرُوا المِحرابَ» أَتَوْه مِن أعلى سُوره. يقال: تسوَّر الحائطَ: تسلَّقه، والسُّور: حائطُ المدينة، وهو بغير همز، وكذلك السُّوَرُ جمع سورةٍ، مثل: بُسْرَة وبُسَر، وهي كلُّ منزلة من البناء. ومنه سورةُ القرآن؛ لأنها منزلةٌ بعد منزلةٍ مقطوعة عن الأُخرى[٣]. وقد مضى في مقدّمة الكتاب بيانُ هذا[٤]. وقول النابغة:

ألم تَرَ أنَّ اللَّه أَعْطاكَ سُورَةً   تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذب[٥]

يريد شرفاً ومنزلة. فأما السؤر بالهمز، فهو بقيةُ الطعام في الإناء. ابن العربي[٦]: والسُّؤر: الوليمة بالفارسي. وفي الحديث: أن النبيَّ ﷺ قال يومَ الأحزاب: «إنَّ جابراً قد صنع لكم سؤراً فحيَّ هلا بكم»[٧].

والمحراب هنا الغُرفة؛ لأنهم تسوَّروا عليه فيها؛ قاله يحيى بن سلام. وقال أبو عُبيدة[٨]: إنه صَدْر المَجْلس، ومنه محرابُ المسجد. وقد مضى القولُ فيه في غير موضع[٩].

---

(١) في معاني القرآن ٦/ ٩٤.
(٢) في (ظ): كانوا، وفي (م): كان.
(٣) الصحاح (سور).
(٤) ١/ ١٠٦.
(٥) ديوان النابغة ص١٨، وسلف ١/ ١٠٦.
(٦) في أحكام القرآن ٤/ ١٩١٨، وما قبله منه.
(٧) أخرجه البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩) مطولاً من حديث جابر ﷺ، وأخرجه أحمد بنحوه مطولاً (١٥٠٢٨).
(٨) في مجاز القرآن ٢/ ١٨٠ بنحوه، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٨٥، وما قبله منه، وقول يحيى بن سلام فيه: إنه المسجد.
(٩) ٥/ ١٠٧ و١٣/ ٢٢٨.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ جاءت «إِذْ» مرتين؛ لأنهما فِعْلان. وزَعَم الفرّاء[١] أن إحداهما بمعنى لمَّا. وقول آخر أن تكون الثانيةُ مع ما بعدها تبييناً لما قبلَها.

قيل: إنهما كانا إنسيين؛ قاله النقَّاش. وقيل: مَلَكَين؛ قاله جماعة. وعيَّنهما جماعة، فقالوا: إنهما جبريلُ وميكائيل[٢]. وقيل: مَلَكَين في صورةِ إنسيَّين بعثهما اللهُ إليه في يوم عبادته. فمنعهما الحرسُ الدخول، فتسوَّروا المحراب عليه، فما شعر وهو في الصلاة إلا وهما بين يدَيْه جالسين؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي: عَلَوْا ونزلُوا عليه من فوق المحراب؛ قاله سفيان الثوري وغيره[٣].

وسببُ ذلك ما حكاه ابن عباس أن داود عليه السلام حدَّث نفسَه إن ابتُلي أن يعتصم. فقيل له: إنك ستُبتلى وتَعْلَمُ اليومَ الذي تُبتلَى فيه فَخُذْ حِذرك. فأخذ الزبور ودخل المحرابَ، ومنع من الدخول عليه، فبينا هو يقرأ الزبورَ إذ جاء طائرٌ كأحسن ما يكون من الطير، فجعل يَدرُج بين يديه. فهمَّ أن يتناولَه بيده، فاستدرج حتى وقعَ في كَوَّة المحراب، فدنا منه لِيأخُذَه فطار، فاطلع لِيُبصِرَه فأشرفَ على امرأة تغتسل، فلما رأته غطَّت جسدَها بشعرها. قال السدّي: فوقعت في قلبه.

قال ابن عباس: وكان زوجها غازياً في سبيل الله وهو أوريا بن حنان، فكتب داودُ إلى أمير الغُزاة أن يجعل زوجَها في حَمَلَةِ التابوت، وكان حَمَلَةُ التابوت إما أن يَفتح اللهُ عليهم أو يُقتلوا، فقدَّمه فيهم فقتل، فلما انقضت عِدَّتها خطبها داود، واشترطت عليه إن ولدتْ غلاماً أن يكون الخليفةَ بعده، وكتبت عليه بذلك كتاباً، وأشهدتْ عليه خمسين رجلاً من بني إسرائيل، فلم تستقرَّ نفسُه حتى ولدتْ سليمانَ وشَبَّ، وتسوَّر الملكان وكان من شأنهما ما قصَّ اللهُ في كتابه. ذكره الماوردي وغيره.

---

(١) في معاني القرآن ٢/ ٤٠١ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٥٩، وما قبله منه.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦١٩ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٥٣ ، وزاد المسير ٧/ ١١٥ .

ولا يصح[١].

قال ابن العربي[٢]: وهو أمثلُ ما رُوي في ذلك.

قلت: ورواه مرفوعاً بمعناه الترمذيُّ الحكيم في «نوادر الأصول» عن يزيدَ الرَّقاشيِّ، سمع أنس بن مالك يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ داودَ النبيَّ عليه السلام حين نظرَ إلى المرأة فهمَّ بها قطع على بني إسرائيل بَعْثاً، وأوصى صاحبَ البَعْث فقال: إذا حضر العدوُّ قَرِّب فلاناً، وسمَّاه، قال: فقرَّبه بين يدي التابوت. قال: وكان ذلك التابوتُ في ذلك الزمان يُستنصَر به، فمن قُدِّم بين يدي التابوت لم يرجعْ حتى يُقتلَ أو ينهزمَ عنه الجيش الذي يُقاتله، فقُدِّم، فَقُتِل زوجُ المرأة، ونزل المَلَكان على داود، فقصَّا عليه القصّة»[٣].

وقال سعيد عن قتادة: كتبَ إلى زوجها وذلك في حصار عَمَّان مدينة بلقاء أن يأخذوا بحلقة الباب، وفيه الموت الأحمر، فتقدَّم فقتل.

وقال الثعلبي[٤]: قال قومٌ من العلماء: إنما امتحنَ اللهُ داودَ بالخطيئة؛ لأنه تمنَّى يوماً على ربِّه منزلةَ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأله أن يمتحنه نحوَ ما امتحنهم، ويُعطيه نحو ما أَعطاهم. وكان داودُ قد قسمَ الدهرَ ثلاثةَ أيام، يومٌ يقضي فيه بين الناس، ويومٌ يخلو فيه بعبادة ربِّه، ويومٌ يخلو فيه بنسائه وأشغاله.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٨٥ - ٨٦، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢، وزاد المسير ٧/ ١١٥. وينظر قول الحافظ ابن كثير الذي سنذكره في التعليق بعد التالي.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢٢.

(٣) أخرجه الطبري ٢٠/ ٧٤، وابن أبي حاتم والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، فيما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٠٠ وضعَّف إسناده. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/ ٦٠: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرَّقَاشي عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة. اهـ.

(٤) في عرائس المجالس ص٢٨١ - ٢٨٣، والكلام إلى نهاية المسألة فيه، وفي تفسير البغوي ٤/ ٥٢ - ٥٣ بنحوه.

وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فَضْلَ إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فقال: يا رب، إنَّ الخيرَ كلَّه قد ذهب به آبائي؛ فأوحى الله تعالى إليه: إنهم ابتُلوا ببلايا لم يُبتَلَ بها غيرُهم فصبروا عليها؛ ابتُلي إبراهيمُ بنمروذ، وبالنار، وبذبح ابنه، وابتُليَ إسحاقُ بالذبح، وابتُلي يعقوبُ بالحزن على يوسف وذهاب بصره، ولم تُبتَلَ أنت بشيء من ذلك. فقال داود عليه السلام: فابتلني بمثل ما ابتليتهم، وأَعطني مثلَ ما أَعطيتَهم، فأوحى الله تعالى إليه: إنك مُبتلىً في شهر كذا في يوم الجمعة. فلما كان ذلك اليوم دخلَ محرابَه، وأغلق بابَه، وجعل يُصلّي ويقرأ الزبور. فبينا هو كذلك إذ مثلَ له الشيطانُ في صورة حمامة من ذهب، فيها من كلّ لون حَسَن، فوقف بين رجليه، فمدَّ يدَه لِيأخُذَها فيدفعها لابنٍ له صغير، فطارتْ غيرَ بعيد، ولم تُؤيسه من نفسها، فامتدَّ إليها لِيأخُذَها فتنحَّت، فتبعها فطارتْ حتى وقعتْ في كَوَّة، فذهب لِيأخُذَها فطارت، ونظرُ داودَ يرتفع في إثرها ليبعثَ إليها من يأخذُها، فنظر امرأةً في بستان على شَطِّ بركة تغتسل؛ قاله الكلبي.

وقال السُّدي[1]: تغتسل عُريانة على سطحٍ لها؛ فرأى أجملَ النساء خَلْقاً، فأبصرت ظِلَّه فنفضتْ شعرَها فغطَّى بَدَنَها، فزاده إعجاباً بها. وكان زوجُها أوريا بن حنان في غزوة مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود، فكتب داودُ إلى أيوبَ أن ابعثْ بأوريا إلى مكان كذا وكذا، وقَدِّمه قبلَ التابوت، وكان مَن قُدِّم قبل التابوت لا يَحِلُّ له أن يرجعَ وراءه حتى يفتحَ اللهُ عليه أو يستشهد. فقدَّمه ففتح له، فكتب إلى داود يُخبره بذلك.

قال الكلبي: وكان أوريا سيفَ الله في أرضه في زمان داود، وكان إذا ضربَ ضربةً وكبَّر كبَّر جبريلُ عن يمينه وميكائيلُ عن شماله، وكبَّرت ملائكةُ السماء بتكبيره حتى ينتهي ذلك إلى العرش، فتُكبِّر ملائكةُ العرش بتكبيره. قال: وكان سيوفُ الله ثلاثة؛ كالب بن يوفنا في زمن موسى، وأوريا في زمن داود، وحمزة بن عبد المطَّلب

---

(١) أخرجه الطبري ٢٠/٦٦.

في زمن رسول الله ﷺ[(١)].

فلما كتب أيوبُ إلى داود يُخبره أن الله قد فتح على أوريا كتبَ داودُ إليه: أن ابعثه في بَعْثِ كذا وقدِّمه قبل التابوت؛ ففتح الله عليه، فقُتل في الثالثة شهيداً. فتزوَّج داودُ تلك المرأةَ حين انقضت عِدَّتها. فهي أُمُّ سليمان بن داود.

وقيل: سببُ امتحان داود عليه السلام أن نَفْسَه حدَّثته أنه يُطيق قطعَ يومٍ بغير مُقارفة شيء.

قال الحسن: إن داود جزَّأ الدهر أربعةَ أجزاء؛ جُزءاً لنسائه، وجُزءاً للعبادة، وجُزءاً لبني إسرائيل يُذاكرونه ويُذاكرهم ويبكونه ويبكيهم، ويوماً للقضاء. فتذاكروا هل يمرُّ على الإنسان يومٌ لا يُصيب فيه ذنباً؟ فأضمر داودُ أنه يُطيق ذلك؛ فأغلق البابَ على نفسه يومَ عبادته، وأمر ألا يدخل عليه أحد، وأكبَّ على قراءة الزبور، فوقعت حمامةٌ من ذهب بين يديه. وذكر نحو ما تقدَّم.

قال علماؤنا: وفي هذا دليل، وهي:

الثانية: على أنه ليس على الحاكم أن ينتصب للناس كلَّ يوم، وأنه ليس للإنسان أن يترك وطءَ نسائه وإن كان مشغولاً بالعبادة. وقد مضَى هذا المعنى في «النساء». وحَكَم كعبٌ بذلك في زمن عمرَ بمحضره رضي الله عنهما[(٢)]. وقد قال عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو[(٣)]: «إنّ لِزوجِكَ عليك حقّاً» الحديث.

وقال الحسن أيضاً ومجاهد: إن داودَ عليه السلام قال لبني إسرائيلَ حين استُخلِفَ: والله لأَعْدِلَنَّ بينكم، ولم يَسْتَثْنِ فابتُلي بهذا.

وقال أبو بكر الورَّاق: كان داودُ كثيرَ العبادة فأُعجب بعمله، وقال: هل في

---

(١) الذي في الصحيح أن خالد بن الوليد ﷺ هو من سمَّاه رسول الله ﷺ سيفاً من سيوف الله. أخرجه البخاري (٣٧٥٧) من حديث أنس ﷺ، وأحمد (٤٣) من حديث أبي بكر ﷺ.

(٢) سلف ٦/ ٣٦ - ٣٧.

(٣) في (م) عمر، والحديث أرجه أحمد (٦٨٦٧)، والبخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩).

الأرض أحدٌ يعمل كعملي. فأتاه جبريل(١)؛ فقال: إنَّ الله تعالى يقول لك: أُعجِبْتَ بعبادتك، والعُجب يأكلُ العبادة كما تأكل النارُ الحَطَبَ، فإنْ أُعجبتَ ثانية وَكَلْتُكَ إلى نفسك. قال: يا رب، كِلْني إلى نفسي سنةً. قال: إنَّ ذلك لَكثير. قال: فشهراً. قال: إنَّ ذلك لكثير. قال: فيوماً. قال: إنَّ ذلك لَكثير. قال: يا ربِّ، فَكِلْني إلى نفسي ساعةً. قال: فشأنك بها. فوكل الأحراسَ، ولَبِسَ الصُّوفَ، ودخل المحرابَ، ووضع الزَّبور بين يديه؛ فبينما هو في عبادته إذ وقع الطائرُ بين يديه، فكان من أمرِ المرأة ما كان.

وقال سفيان الثوري: قال داود ذاتَ يوم: يا ربِّ، ما مِنْ يوم إلا ومِن آل داود لك فيه صائم، وما مِنْ ليلةٍ إلا ومِن آل داود لك فيها قائم. فأوحى الله إليه: يا داودُ، منك ذلك أو مني؟ وعِزَّتي لأَكِلَنَّك إلى نفسك. قال: يا رب، اعفُ عنِّي. قال: أَكِلُكَ إلى نفسك سنةً. قال: لا بِعزَّتك. قال: فشهراً. قال: لا بِعزَّتك. قال: فأُسبوعاً. قال: لا بِعزَّتك. قال: فيوماً. قال: لا بعزَّتك. قال: فساعة قال: لا بعزَّتك. قال: فلحظةً. فقال له الشيطان: وما قدرُ لحظة. قال: كِلْني إلى نفسي لحظةً. فَوَكَلَهُ اللهُ إلى نفسه لحظةً. وقيل له: هي في يوم كذا في وقت كذا. فلما جاء ذلك اليومُ جعله للعبادة، ووكل الأحراسَ حول مكانه. قيل: أربعة آلاف. وقيل: ثلاثين ألفاً، أو ثلاثة وثلاثين ألفاً. وخلا بعبادة ربِّه، ونشر الزبور بين يديه، فجاءت الحمامةُ فوقعت له، فكان من أمره في لحظته مع المرأة ما كان. وأرسلَ اللهُ عزّ وجلّ إليه المَلَكين بعد ولادة سليمان، وضَرَبا له المثل بالنِّعاج؛ فلما سمع المَثَلَ ذكَر خطيئته فخرَّ ساجداً أربعين ليلةً على ما يأتي.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنهما أتياه ليلاً في غير وقت دخول الخصوم. وقيل: لِدخولهم عليه بغير إذنه. وقيل: لأنهم تسوَّروا عليه المحراب ولم يأتوه من الباب(٢).

---

(١) في النسخ: فأوحى الله إليه جبريل، والمثبت من عرائس المجالس ص٢٨٣ ، والكلام منه.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤ ، وزاد المسير ٧/ ١١٨ بنحوه.

قال ابن العربي[١]: وكان محرابُ داودَ عليه السلام من الامتناع بالارتفاع، بحيث لا يَرتقي إليه آدميٌّ بحيلة إلا أن يُقيم إليه أياماً أو أشهراً بحسب طاقته، مع أعوانٍ يَكثُر عَدَدُهم، وآلاتٍ جمَّة مختلفة الأنواع. ولو قلنا: إنه يوصَل إليه من باب المحراب لما قال الله تعالى مُخبراً عن ذلك: ﴿تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ إذ لا يقال: تسوَّر المحرابَ والغُرفةَ لمن طلع إليها مِن دَرَجِها، وجاءها مِن أسفلها إلا أن يكون ذلك مَجازاً؛ وإذا شاهدت الكَوَّة التي يقال: إنه دخل منها الخَصْمان علمت قطعاً أنهما مَلَكان؛ لأنها من العُلُوّ بحيث لا ينالها إلا عُلويّ.

قال الثعلبي: وقد قيل: كان المُتسوِّران أخوين من بني إسرائيل لأب وأم. فلما قضى داوُد بينهما بقضية قال له مَلَك من الملائكة: فهلا قضيتَ بذلك على نفسكَ يا داود. قال الثعلبي: والأول أحسنُ؛ أنهما كانا مَلَكين نَبَّها داودَ على ما فَعَل.

قلت: وعلى هذا أكثرُ أهل التأويل. فإن قيل: كيف يجوز أن يقول الملكان: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وذلك كَذِبٌ، والملائكة عن مثله مُنزَّهون. فالجواب عنه أنه لابد في الكلام من تقدير؛ فكأنهما قالا: قَدِّرنا كأننا خَصْمان بَغَى بعضُنا على بعض فاحكُم بيننا بالحق، وعلى ذلك يُحمل قولُهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ لأن ذلك وإن كان بصورة الخبر فالمرادُ إيرادُه على طريق التقديرِ لينبّه داود على ما فعل؛ والله أعلم[٢].

الرابعة: إن قيل: لِم فَزِعَ داودُ وهو نبيٌّ، وقد قَوِيتْ نفسُه بالنبوّة، واطمأنَّتْ بالوحي، ووَثِقَتْ بما آتاه الله من المنزلة، وأظهر على يديه من الآيات، وكان من الشجاعة في غاية المكانة؟! قيل له: ذلك سبيل الأنبياء قبلَه، لم يأمنوا القتل والأذِية، ومنهما كان يخاف. ألا ترى إلى موسى وهارون عليهما السلام كيف قالا: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] فقال الله عز وجل: ﴿لَا تَخَافَآ﴾. وقالت الرُّسل

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٦١٩ .

(٢) أحكام القرآن للكيا ٤/ ٣٦٠ .

للوط: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠] ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١] وكذا قال الملكان هنا: «لَا تَخَفْ»[١].

قال محمد بن إسحاق: بعث اللهُ إليه مَلَكين يختصمان إليه وهو في محرابه مثلاً ضربه اللهُ له ولأوريا، فرآهما واقفين على رأسه؛ فقال: ما أدخلكما عليّ؟ قالا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فجئناك لِتقضيَ بيننا.

الخامسة: قال ابن العربي[٢]: فإنْ قيل: كيف لم يأمُرْ بإخراجهما إذ قد علم مَطْلبهما، وهلّا[٣] أدَّبهما وقد دخلا عليه بغير إذن؟ فالجواب عليه من أربعة أوجه:

الأوّل: أنَّا لم نعلمْ كيفيةَ شَرْعه في الحجاب والإذن، فيكون الجوابُ بحسب تلك الأحكام، وقد كان ذلك في ابتداء شَرْعنا مُهملاً في هذه الأحكام، حتى أوضحها اللهُ تعالى بالبَيان.

الثاني: أنَّا لو نزَّلنا الجواب على أحكام الحجاب، لاحتملَ أن يكون الفزعُ الطارئ عليه أذهله عما كان يجبُ في ذلك له.

الثالث: أنه أراد أن يَستوفيَ كلامهما الذي دخلا له حتى يعلمَ آخرَ الأمر منه، ويرى هل يَحتمِلُ التقحُّم فيه بغير إذن أمْ لا؟ وهل يقترِن بذلك عذرٌ لهما أن لا يكون لهما عذرٌ فيه؟ فكان من آخرِ الحال ما انكشف أنه بلاءٌ ومحنة، وَمَثَلٌ[٤] ضربه اللهُ في القصة، وأدبٌ وقع على دعوى العِصمة.

الرابع: أنه يحتملُ أن يكون في مسجد ولا إذنَ في المسجد لأحد إذ لا حَجْرَ فيه على أحد.

قلت: وقولٌ خامس ذكره القشيري؛ وهو أنهما قالا: لمَّا لم يَأذنْ لنا المُوكَّلون بالحجاب، توصَّلنا إلى الدخول بالتَّسُّور، وخفنا أن يتفاقمَ الأمرُ بيننا. فَقَبِلَ داودُ

---

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٦١٩ بنحوه.

(٢) أحكام القرآن ٤/١٦١٩ - ١٦٢٠.

(٣) في النسخ الخطية: ولا، والمثبت من (م).

(٤) في النسخ الخطية: مثلاً، والمثبت من (م).

عُذْرَهم، وأَصغى إلى قولهم.

السادسة: قوله تعالى: «خَصْمانِ» إن قيل: كيف قال: «خَصْمانِ» وقبلَ هذا: «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْراب» فقيل: لأن الاثنين جمع؛ قال الخليل: كما تقول: نحن فعلنا إذا كنتما اثنين. وقال الكسائي: جمع لما كان خبراً، فلما انقضى الخبرُ وجاءت المُخاطبة، خبَّر الاثنان عن أنفسهما فقالا: خَصْمان.

وقال الزجاج[١]: المعنى: نحن خَصْمان. وقال غيره: القولُ محذوف؛ أي: يقول خَصْمانِ بَغَى بعضُنا على بعض. قال الكسائي: ولو كان بغى بعضُهما على بعض لجاز.

الماوردي[٢]: وكانا مَلَكين، ولم يكونا خَصْمين ولا باغيين، ولا يتأتّى منهما كَذِب؛ وتقديرُ كلامهما ما تقول: إنْ أتاك خَصْمان قالا: بغى بعضُنا على بعض.

وقيل: أي: نحن فريقان من الخصوم بغَى بعضنا على بعض.

وعلى هذا يحتمل أن تكون الخُصومةُ بين اثنين ومع كلِّ واحد جمع. ويحتملُ أن يكون لكلِّ واحد من هذا الفريق خُصومةٌ مع واحد[٣] من الفريق الآخر، فحضروا الخُصوماتِ، ولكن ابتدأ منهم اثنان، فعرفَ داودُ بذِكْر النكاح القصة. وأغنى ذلك عن التعرُّض للخُصومات الأُخَر.

والبَغْي التعدِّي والخُروج عن الواجب. يقال: بغى الجُرْح إذا أفرطَ وَجَعُه وترامَى إلى ما يَفحُشُ، ومنه: بَغَتِ المرأةُ إذا أَتَتِ الفاحشةَ.

السابعة: قوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ؛ قاله السُّدّي[٤]. وحكى أبو عبيد: شَطَطت عليه، وأشططتُ، أي: جُرت. وفي حديث تميم الداريّ:

---

(١) في معاني القرآن ٤/ ٣٢٦ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٥٩ - ٤٦٠ ، وما قبله وما بعده منه.

(٢) في النكت والعيون ٥/ ٨٦ .

(٣) في (م): كل واحد.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٨٦ .

إنكَ لشَاطِّي. أي: جائر عليَّ في الحُكم[(١)].

وقال قتادة: لا تَمِلْ. الأخفش: لا تُسرِف[(٢)]. وقيل: لا تُفرط. والمعنى متقارب.

والأصلُ فيه البُعد، من شَطَّتِ الدارُ، أي: بَعُدَتْ؛ شَطَّتِ الدار تَشِطُّ وتَشُطُّ شطّاً وشطوطاً: بَعُدَتْ. وأشطَّ في القضية، أي: جار، وأَشطَّ في السَّوْم واشتط، أي: أبعد، وأشطُّوا في طلبي، أي: أمعنوا. قال أبو عمرو: الشَّطَطُ مجاوزةُ القَدْر في كلِّ شيء. وفي الحديث: لها مهرُ مِثْلِها لا وَكْسَ ولا شَطَط[(٣)]. أي: لا نُقصان ولا زيادة[(٤)]. وفي التنزيل: ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] أي: جوراً من القول وبُعداً عن الحق.

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: أَرشدنا إلى قَصْدِ السبيل.

الثامنة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ أي: قال المَلَك الذي تكلَّم عن أوريا «إِنَّ هذا أَخي» أي: على ديني، وأشار إلى المُدَّعى عليه. وقيل: أخي، أي: صاحبي[(٥)] «له تِسْعٌ وتِسعون نَعْجةٌ».

وقرأ الحسن: «تَسْعٌ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً» بفتح التاء فيهما، وهي لغةٌ شاذة، وهي الصحيحة من قراءة الحسن؛ قاله النحاس[(٦)]. والعرب تَكْني عن المرأة بالنعجة والشاة؛ لِمَا هي عليه من السكون والمَعْجَزة وضَعْف الجانب. وقد يُكْنَى عنها بالبقرة

---

(١) الصحاح (شطط)، وقول أبي عبيد في غريب الحديث ٤/ ٣٠٨، وقول تميم الداري ﷺ ذكره أبو عبيد، وابن الأثير في النهاية (شطط). وقصته: أن رجلاً كلَّمه في كثرة العبادة، فقال: أرأيت إن كنتُ مؤمناً ضعيفاً وأنت مؤمن قويّ، إنك لشاطِّي حتى أحمل قوتك على ضعفي، فلا أستطيع فأنبتّ.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٨٦.

(٣) هذا قول ابن مسعود ﷺ في رجل تزوج امرأة لم يفرض لها ولم يدخل بها حتى مات. وسلف ٤/ ١٥٩.

(٤) الصحاح (شطط).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٨٧.

(٦) إعراب القرآن ٣/ ٤٦٠، وقراءة الحسن في القراءات الشاذة ص ١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣١.

والحِجر(١) والناقة؛ لأنَّ الكلَّ مَرْكوب. قال ابن عون:

أنـا أبـوهـنَّ ثـلاثٌ هُـنَّـهْ رابـعـةٌ فـي الـبـيـت صُـغْـرا هُـنَّـهْ
ونـعـجـتـي خـمـسـاً تُـوفِّـيـهـنَّـهْ ألَا فـتـىً سـمـحٌ يُـغـذِّيـهـنَّـهْ
طَـيّ الـنَّـقَـا فـي الـجـوع يَـطْـوِيـهـنَّـهْ ويـلُ الـرَّغـيـفِ ويـلَـهُ مِـنْـهُـنَّـهْ(٢)

وقال عنترة:

يـا شـاةَ مـا قَـنَـصٍ لِـمـن حَـلَّـتْ لـه حَـرُمـتْ عـلـيَّ وَلـيـتَـهـا لـم تَـحْـرُمِ
فَـبَـعَـثْـتُ جـاريـتـي فـقـلـتُ لـهـا اذْهَـبـي فـتَـجَـسَّـسِـي أخـبـارَهـا لـي واعْـلَـمـي
قـالـت رأيـتُ مِـنَ الأعـادي غِـرَّةً والـشَّـاةُ مُـمْـكِـنَـةٌ لـمـن هـو مُـرْتَـمِ
فـكـأنَّـمـا الـتَـفَـتَـتْ بِـجـيـدِ جَـدايـةٍ رَشـأٍ مِـنَ الـغِـزْلانِ حُـرٍّ أرْثَـمِ(٣)

وقال آخر:

فـرَمَـيْـتُ غَـفْـلَـةَ عَـيْـنِـهِ عـن شَـاتـهِ فـأَصَـبْـتُ حَـبَّـةَ قَـلْـبِـهـا وطِـحَـالَـهـا(٤)

وهذا من أحسنِ التعريض حيث كَنَى بالنِّعاج عن النساء. قال الحسين بن الفَضْل: هذا من المَلَكين تعريضٌ وتنبيهٌ كقولهم: ضربَ زيدٌ عمراً، وما كان ضربٌ ولا نعاج على التحقيق، كأنه قال: نحن خَصْمان هذه حالُنا(٥). قال أبو جعفر النحاس: وأحسنُ ما قيل في هذا: أنَّ المعنى: يقول خصمان بغَى بعضُنا على بعض، على جهة المسألة؛ كما تقول: رجلٌ يقول لامرأته كذا؛ ما يجب عليه؟(٦)

---

(١) في (د) و(ظ) و(م): والحجرة، والمثبت من (ز)، وهو الموافق لأحكام القرآن لابن العربي، والكلام منه ٤/ ١٦٢٠ ، والحِجْر: الأنثى من الخيل، اللسان (حجر).

(٢) أورد البيتان الأول والثاني الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ١٨٠ .

(٣) ديوان عنترة ص ٢٨ . الجداية: الغزال. والرشأ: الظبي إذا قوي ومشى مع أمه. القاموس (جدي) و(رشأ).

(٤) قائله الأعشى، وهو في ديوانه ص ٧٧ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٥٤ بنحوه.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٩٥ .

قلت: وقد تأوَّل المُزنيّ صاحبُ الشافعي هذه الآيةَ وقولَه ﷺ في حديث ابن شهاب الذي خرَّجه «الموطأ» وغيره: «هو لكَ يا عبدُ بن زَمْعَة[1]» على نحو هذا؛ قال المُزني: يحتمِل هذا الحديثُ عندي ـ والله أعلم ـ أن يكون النبيُّ ﷺ أجاب عن المسألة فأعلمهم بالحُكم أنَّ هذا يكون إذا ادَّعى صاحبُ فراش وصاحبُ زِنى، لا أنه قَبِلَ على عُتبة قولَ أخيه سعد، ولا على زَمْعَة قولَ ابنه: إنه ولدُ زنى، لأن كلَّ واحد منهما أَخبرَ عن غيره. وقد أجمع المسلمون أنه لا يقبل إقرار أحدٍ على غيره. وقد ذكر الله سبحانه في كتابه مثلَ ذلك في قصة داود والملائكة؛ إذ دخلوا عليه فَفَزِعَ منهم، قالوا: لا تَخَفْ خَصْمان، ولم يكونوا خَصْمين، ولا كان لواحد منهم تسعٌ وتسعون نَعْجة، ولكنهم كلَّموه على المسألة لِيعرِفَ بها ما أرادوا تعريفَه. فيحتمِل أن يكون النبي ﷺ حكم في هذه القصة على المسألة، وإنْ لم يكن أحدٌ يُؤنسني على هذا التأويل في الحديث، فإنه عندي صحيح[2]. والله أعلم.

التاسعة: قال النحاس[3]: وفي قراءة ابن مسعود: «إنَّ هذا أَخِي كان له تِسْعٌ وتسعونَ نعجةً أُنْثَى[4]» و«كان» هنا مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فأما قوله: «أنثى» فهو تأكيد، كما يقال: هو رجلٌ ذكرٌ، وهو تأكيد. وقيل: لمَّا كان يقال: هذه مئةُ نعجة وإنْ كان فيها من الذكور شيءٌ يسير، جاز أن يقال: أُنثى ليعلم أنه لا ذَكَرَ فيها. وفي التفسير: له تسع وتسعون امرأة.

قال ابن العربي[5]: إنْ كان جميعهن أحراراً فذلك شَرْعُه، وإن كنَّ إماءً فذلك شرعُنا. والظاهرُ أن شرع مَن تقدَّم قبلنا لم يكن محصوراً بعدد، وإنما الحصر في

---

(١) الموطأ ٢/ ٧٣٩ ، وأخرجه أحمد (٢٤٠٨٦)، والبخاري (٢٠٥٣) ومسلم (١٤٥٧) مطولاً، وفيه قصة.

(٢) التمهيد ٨/ ١٨٦ .

(٣) معاني القرآن ٦/ ٩٧ - ٩٨ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٣٠ .

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢٠ .

شريعة محمد ﷺ، لِضَعْفِ الأبدان وقلّة الأعمار.

وقال القشيري: ويجوز أن يقال: لم يكن له هذا العدد بعينه، ولكن المقصود ضرب مثل، كما تقول: لو جئتني مئةَ مرة لم أقضِ حاجتَك، أي: مراراً كثيرة.

قال ابن العربي[١]: قال بعض المفسرين: لم يكن لداود مئة امرأة، وإنما ذكر التسعة والتسعين مثلاً؛ المعنى: هذا غنيٌّ عن الزوجة وأنا مُفتقِرٌ إليها. وهذا فاسدٌ من وجهين: أحدهما: أن العدول عن الظاهر بغير دليل لا معنى له، ولا دليل يدلُّ على أن شرعَ من قبلنا كان مقصوراً من النساءِ على ما في شرعنا. الثاني: أنه روى البخاري وغيره أن سليمانَ قال: «لأطوفنَّ الليلةَ على مئة امرأة تَلِدُ كلُّ امرأة غلاماً يُقاتل في سبيل الله، ونَسِيَ أن يقول: إن شاء الله»[٢]. وهذا نصٌّ.

العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي: امرأة واحدة: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: انزل لي عنها حتى أَكْفُلَها، وقال ابن عباس: أَعطنيها. وعنه: تحوَّل لي عنها. وقاله ابن مسعود. وقال أبو العالية: ضُمَّها إليَّ حتى أَكْفُلَها. وقال ابن كيسان: اجعلها كِفْلي ونصيبي، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: غلبني. قال الضحاك: إنْ تكلَّم كان أفصحَ مني، وإن حارب كان أبطشَ مني[٣].

يقال: عزّه يَعُزُّه ـ بضم العين في المستقبل ـ عَزّاً: غلبه. وفي المثل: مَنْ عَزَّ بَزَّ؛ أي: من غَلَبَ سَلَب. والاسمُ العِزَّة، وهي القوّة والغَلَبة[٤]. قال الشاعر:

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ تُجاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجناحُ[٥]

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢١ .

(٢) صحيح البخاري (٥٢٤٢)، وأخرجه أحمد (٧٧١٥)، ومسلم (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) هذه الأقوال في المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠ ، والنكت والعيون ٥/ ٨٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٥٤ .

(٤) الصحاح (عزز). والمثل: من عزَّ بزَّ. سلف ١٨/ ١٢٥ .

(٥) اختلف في قائله، فقيل: مجنون ليلى، وقيل: نُصَيب بن رباح، وقيل: توبه بن الحُميِّر. ينظر ديوان مجنون ليلى ص ٩٠ ، وشعر نُصيب بن رباح ص٧٤ ، والكامل للمبرد ٢/ ٩٢٩ ، وشرح ديوان الحماسة البصرية ٣/ ١٥١ .

وقرأ عبدُ الله بن مسعود وعُبيد بن عُمير: «وعَازَّني في الخطَابِ»[١] أي: غالبني؛ من المُعَازَّة، وهي المغالبة؛ عازَّه، أي: غالبه.

قال ابن العربي[٢]: واختُلف في سبب الغَلَبة؛ فقيل: معناه: غلبني ببيانه. وقيل: غَلَبني بسلطانه؛ لأنه لمَّا سأله لم يستطِعْ خِلافَه.

كان ببلادنا أميرٌ يقال له: سير بن أبي بكر[٣]، فكلَّمته في أن يسأل لي رجلاً حاجة، فقال لي: أما علمتَ أنَّ طلبَ السلطان للحاجة غَصْبٌ لها. فقلت: أما إذا كان عَدْلاً فلا. فعجبتُ من عُجمته وحفظه لما تمثَّل به وفِطنته، كما عَجِبَ من جوابي له واستغربه.

الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ قال النحاس[٤]: فيقال: إن هذه كانت خطيئةَ داود عليه السلام؛ لأنه قال: لقد ظَلمك من غير تثبُّت بينة، ولا إقرار من الخَصْم؛ هل كان هذا كذا أو لم يكن. فهذا قول. وسيأتي بيانُه في المسألة بعد هذا، وهو حسنٌ إن شاء الله تعالى.

قال أبو جعفر النحاس[٥]: فأما قولُ العلماء الذين لا يُدفَع قولُهم؛ منهم عبد الله ابن مسعود وابن عباس، فإنهم قالوا: ما زاد داودُ صلى الله على نبينا وعليه على أن قال للرجل: اِنزل لي عن امرأتك. قال أبو جعفر: فعاتبه اللهُ عزّ وجلّ على ذلك ونبَّهه عليه، وليس هذا بكبير من المعاصي، ومَن تخطَّى إلى غير هذا فإنما يأتي بما لا يصحُّ عن عالم، ويلحقه فيه إثمٌ عظيم. كذا قال في كتاب «إعراب القرآن».

وقال: في كتاب «معاني القرآن»[٦] له بمثله. قال ﷺ: قد جاءت أخبارٌ وقصصٌ في أمر داود عليه السلام وأوريا، وأكثرها لا يصحُ! ولا يتصل إسنادُه، ولا ينبغي أن

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، ونسبها في القراءات الشاذة ص ١٣٠ لمسروق وأبي وائل والحسن.
(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢١ .
(٣) أحد أمراء السلطان يوسف بن تاشفين. نفح الطيب ٤/ ٣٧٣ .
(٤) في إعراب القرآن ٣/ ٤٦١ .
(٥) المصدر السابق.
(٦) ٦/ ٩٨ - ١٠١ وما بين حاصرتين الآتي منه.

يُجترأ على مثلها إلا بعد المعرفة بصحتها. وأصحُّ ما روي في ذلك ما رواه مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: ما زاد دوادُ عليه السلام على أن قال: «أكفِلْنِيها» أي: إنزل لي عنها. وروى المِنهال عن سعيد بن جُبير [عن ابن عباس] قال: ما زاد داود ﷺ على أن قال: «أَكْفِلْنِيها» أي: تحوَّل لي عنها وضُمَّها إليَّ[١].

قال أبو جعفر: فهذا أجلُّ ما رُوي في هذا، والمعنى عليه: أن داود عليه السلام سأل أُوريا أن يُطلِّق امرأته كما يسأل الرجلُ الرجلَ أن يَبيعه جاريتَه، فنبَّهه الله عز وجل على ذلك، وعاتبه لمَّا كان نبيّاً وكان له تسعٌ وتسعون أنكر عليه أن يتشاغل بالدنيا بالتزيُّد منها، فأما غير هذا فلا ينبغي الاجتراءُ عليه.

قال ابن العربي[٢]: وأما قولهم: إنها لمَّا أعجبته أمرَ بتقديم زوجها للقَتْل في سبيل الله، فهذا باطلٌ قطعاً؛ فإن داود ﷺ لم يكن لِيُريقَ دمَه في غَرَضِ نَفْسه، وإنما كان من الأمر أن داود قال لبعض أصحابه: اِنْزِلْ لي عن أهلك، وعَزَمَ عليه في ذلك، كما يطلبُ الرجلُ من الرجل الحاجة برغبةٍ صادقة؛ كانت في الأهل أو في المال. وقد قال سعدُ[٣] بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف حين آخى رسولُ الله ﷺ بينهما: إنَّ لي زوجتين أَنزِلُ لك عن أحسنهما؛ فقال له: بارك الله لك في أهلك[٤]. وما يجوز فِعلُه ابتداءً يجوز طَلَبُه، وليس في القرآن أن ذلك كان، ولا أنه تزوَّجها بعد زَوال عِصْمةِ الرجل عنها، ولا ولادتها لسليمان، فعمن يُروَى هذا ويُسنَد؟! وعلى مَن في نَقْله يُعتمَد، وليس يَأْثُره عن الثِّقات الأَثْبات أحدٌ.

أما أن في سورة «الأحزاب» نكتةً تدلُّ على أن داودَ قد صارت له المرأةُ زوجةً،

---

(١) أخرجهما الطبري ٢٠/ ٥٩ .

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢٤ -١٦٢٥ .

(٣) في (م) سعيد، وهو خطأ.

(٤) أخرجه أحمد (١٣١٢٣)، والبخاري (٣٧٨١) من حديث أنس ﷺ.

وذلك قوله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الآية:٣٨] يعني في أحد الأقوال تزويج داود المرأة التي نظر إليها، كما تزوَّج النبي ﷺ زينبَ بنت جحش[١]؛ إلا أن تزويج زينب كان من غير سؤال للزوج في فِراق، بل أمره بالتمسُّك بزوجته، وكان تزويجُ داود للمرأة بسؤال زوجها فراقَها. فكانت هذه المَنْقَبة لمحمد ﷺ على داودَ مُضافةً إلى مَناقبه العَلِيَّة ﷺ.

ولكن قد قيل: إن معنى ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ تزويج الأنبياء بغير صَداق مَنْ وهبتْ نفسَها لهم من النساء بغير صَداق. وقيل: أراد بقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ أن الأنبياءَ صلواتُ الله عليهم فُرِضَ لهم ما يمتثلونه في النكاح وغيره. وهذا أصحُّ الأقوال.

وقد روى المفسرون أن داود عليه السلام نكح مئةَ امرأة؛ وهذا نصُّ القرآن. ورُوي أن سليمانَ كانت له ثلاث مئة امرأة وسبع مئة جارية؛ وربُّك أعلم[٢].

وذكر الكيا الطبري في «أحكامه»[٣] في قول الله عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ الآية: ذكر المُحقِّقون الذين يَرون تنزيهَ الأنبياء عليهم السلام عن الكبائر أن داودَ عليه السلام كان قد أقدمَ على خِطبة امرأة قد خَطَبها غيرُه، يقال: هو أوريا؛ فمال القومُ إلى تزويجها من داودَ راغبين فيه، وزاهدين في الخاطب الأوّل، ولم يكن بذلك داود عليه السلام عارفاً، وقد كان يُمكنه أن يعرف ذلك فيعدل عن هذه الرغبة، وعن الخِطبة بها، فلم يفعل ذلك، من حيث أُعجِبَ بها إمّا وصفاً أو مشاهدةً على غير تَعَمُّد؛ وقد كان لداود عليه السلام من النساء العَدَدُ الكثير، وذلك الخاطبُ لا امرأةَ له، فنبَّهه الله تعالى على ما فعل بما كان مِن تسوُّر المَلَكين، وما أورداه من التمثيل على وجه التعريض؛ لكي يَفهمَ من ذلك موقعَ العَتْب فيعدل عن

(١) سلف ١٤/ ١٨٩ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٢٥ .

(٣) ٤/ ٣٥٩ - ٣٦٠ .

هذه الطريقة، ويستغفر ربَّه من هذه الصغيرة.

الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ فيه الفتوى في النازلة بعد السماع من أحد الخَصْمين، وقبلَ أن يسمع من الآخر بظاهر هذا القول. قال ابن العربي(١): وهذا مما لا يجوز عند أحد، ولا في مِلَّة من الملل، ولا يمكن ذلك للبشر. وإنما تقديرُ الكلام أن أحد الخَصْمين ادَّعى والآخر سلَّم في الدعوى، فوقعت بعد ذلك الفتوى. وقد قال النبي ﷺ: «إذا جلسَ إليك الخَصْمان فلا تَقْضِ لأحدِهما حتى تسمعَ من الآخر»(٢).

وقيل: إن داودَ عليه السلام لم يَقْضِ للآخر حتى اعترف صاحبه بذلك. وقيل تقديره: لقد ظَلَمك إنْ كان كذلك. والله أعلمُ بتعيين ما يمكن من هذه الوجوه.

قلت: ذكر هذين الوجهين القشيري والماورديّ(٣) وغيرهما. قال القشيري: وقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ مِن غير أن يسمعَ كلامَ الخَصْم مُشكل؛ فيمكن أن يقال: إنما قال هذا بعد مُراجعة الخَصْم الآخر وبعد اعترافه. وقد رُوي هذا وإنْ لم تَثبُتْ روايتهُ، فهذا معلومٌ من قرائن الحال. أو أراد: لقد ظَلمك إنْ كان الأمرُ على ما تقول، فسكَّته بهذا وصبَّره إلى أن يسألَ خَصْمَه. قال: ويَحتمِلُ أن يقال: كان من شَرْعهم التعويلُ على قول المُدَّعي عند سُكوت المُدَّعى عليه إذا لم يظهر منه إنكارٌ بالقول.

وقال الحَليمي أبو عبد الله في كتاب «منهاج الدين»(٤) له: ومما جاء في شكر النعمة المنتظرة إذا حضرت، أو كانت خافيةً فظهرت السجودُ لله عزّ وجلّ. قال: والأصل في ذلك قولُه عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَحُسْنَ

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢٥ ، وما قبله منه.

(٢) أخرجه أحمد (٨٨٢)، وأبو داود (٣٥٨٢)، والترمذي (١٣٣١) وقد قال النبي ﷺ ذلك لعليٍّ ﷺ لما بعثه قاضياً إلى اليمن.

(٣) في النكت والعيون ٥/ ٨٧ - ٨٨ .

(٤) ٢/ ٥٥١ - ٥٥٢ .

مَئَابٍ﴾، أخبر الله عزّ وجلّ عن داود عليه السلام: أنه سمع قولَ المُتظلِّم من الخَصْمين، ولم يُخبَر عنه أنه سأل الآخر، إنما حُكي أنه ظَلَمه، فكان ظاهرُ ذلك أنه رأى في المُتكلِّم مخائلَ الضَّعْف والهَضيمة، فحمل أمره على أنه مظلومٌ كما يقول، ودعاهُ ذلك إلى ألّا يسألَ الخَصْمَ؛ فقال له مستعجلاً: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ مع إمكان أنه لو سأله لكان يقول: كانت لي مئة نعجة ولاشيء لهذا، فسرق مني هذه النعجة، فلما وجدتُها عنده قلت له: ارْدُدْها، وما قلت له: أكفلنيها، وعلم أني مُرافعه إليك، فجرَّني قبل أن أجرَّه، وجاءك مُتظلِّماً مني[1] قبل أن أُحضره، لِتَظُنَّ أنه هو المُحِقُّ وأني أنا الظالم. ولما تكلَّم داود بما حملته العَجَلة عليه، عَلِمَ أن الله عزّ وجلّ خلّاه ونفسَه في ذلك الوقت، وهو الفتنةُ التي ذكرها[2]، وأن ذلك لم يكن إلا عن تقصير منه، فاستغفر ربَّه وخرَّ راكعاً لله تعالى شُكراً على أن عَصَمهُ، بأن اقتصر على تظليم المَشْكُوِّ، ولم يَزِدْهُ على ذلك شيئاً من انتهارٍ أو ضرب أو غيرهما، مما يَليق بمن تصوَّر في القلب أنه ظالم، فغفر اللهُ له، ثم أقبلَ عليه يُعاتبه؛ فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] فَبانَ بما اقتصَّه[3] الله تعالى من هذه الموعظة التي توخّاه بها بعد المغفرة أن خطيئته إنما كانت التقصيرَ في الحكم، والمُبادرةَ إلى تظليم مَن لم يَثْبُتْ عنده ظُلمه.

ثم جاء عن ابن عباس أنه قال: سجدَها داودُ شكراً، وسجدها النبيُّ ﷺ اتّباعاً[4]، فثبت أن السجودَ للشُّكر سنةٌ متواترةٌ عن الأنبياء صلوات الله عليهم.

﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ أي: بسؤاله نعجتَك؛ فأضاف المصدر إلى المفعول، وألقى الهاء من السؤال، وهو كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت:٤٩] أي: مِن دعائه الخير.

---

(١) في (م): من.

(٢) في (د) و(م): ذكرناها، والمثبت موافق للمنهاج.

(٣) في (م): بما قصَّه.

(٤) أخرجه النسائي في المجتبى ٢/١٥٩ بلفظ: أن النبي ﷺ سجد في «صٓ» وقال: سجدها داود توبة، ونسجدها شكراً.

الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ يقال: خلِيط وخُلطاء، ولا يقال: طويل وطُولاء، لِثِقَل الحركة في الواو[١]. وفيه وجهان: أحدهما: أنهما الأصحاب. الثاني: أنهما الشُّركاء[٢].

قلت: إطلاقُ الخُلَطاء على الشُّركاء فيه بُعْد، وقد اختلف العلماءُ في صفة الخُلَطاء، فقال أكثر العلماء: هو أن يأتي كلٌّ واحد بغنمه فيجمعها[٣] راعٍ واحدٌ والدَّلو والمَراح. وقال طاوس وعطاء: لا يكون الخُلطاء إلا الشُّركاء. وهذا خلاف الخبر؛ وهو قوله ﷺ: «لا يُجْمَع بين مُفْتَرِق ولا يُفَرَّق بين مُجتمع خشيةَ الصدقة، وما كان مِن خليطين فإنَّهما يتراجعان بينهما بالسَّوِيَّة»[٤]، ورُوي: فإنهما يترادَّان الفَضْل[٥]. ولا موضع لترادِّ الفَضْل بين الشُّركاء؛ فاعلمه.

وأحكامُ الخُلْطة مذكورةٌ في كتب الفقه. ومالك وأصحابه وجمعٌ من العلماء لا يرون [الصدقة][٦] على مَن ليس في حصَّته ما تجب فيه الزكاة. وقال الربيع واللَّيث وجمع من العلماء منهم الشافعي: إذا كان في جميعها ما تجب فيه الزكاة أُخذت منها الزكاة. قال مالك: وإن أخذ المُصَدِّق بهذا ترادُّوا بينهم للاختلاف في ذلك. وتكون كحكم حاكم اختلف فيه.

الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يتعدَّى ويظلم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنهم لا يظلمون أحداً. ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يعني الصالحين، أي: وقليل هم، فـ «ما» زائدة. وقيل: بمعنى: الذين، وتقديره: وقليلٌ الذين هم[٧]. وسمع

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦١.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٨٨.

(٣) في (م): فيجمعهما.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٥٠)، وسلف ٤/ ٣٩٩.

(٥) لم نقف على هذه الرواية، وذكره مالك في الموطأ ١/ ٢٦٣ من قوله.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة ليست في النسخ.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٨٨.

عمرُ ﷺ رجلاً يقول في دعائه: اللهمَّ اجعلني من عبادك القليل. فقال له عمر: ما هذا الدعاء؟.فقال: أردتُ قولَ الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ فقال عمر: كلُّ الناس أفقهُ منك يا عمر[1].

الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أي: ابتليناه. و«ظَنَّ» معناه أيقن. قال أبو عمرو والفراء: ظنَّ بمعنى أيقن، إلا أن الفراء شرحه بأنه لا يجوز في المُعاين أن يكون الظن إلا بمعنى اليقين[2]. والقراءة «فَتَنَّاهُ» بتشديد النون دون التاء. وقرأ عمر بن الخطاب ﷺ: «فتَّنّاه» بتشديد التاء والنون على المبالغة، وقرأ قتادة وعُبيد بن عمير وابن السَّمَيْفَع: «فَتَنَاهُ» بتخفيفهما. ورواه علي بن نَصْر عن أبي عمرو، والمُراد به المَلَكان اللذان دخلا على داود عليه السلام[3].

السادسة عشرة: قيل: لما قضَى داودُ بينهما في المسجد، نظر أحدُهما إلى صاحبه فضحك، فلم يَفْطُنْ داود؛ فأحبَّا أن يعرِفهما، فَصَعِدا إلى السماء حِيالَ وجهه، فعلم داودُ عليه السلام أن الله تعالى ابتلاه بذلك، ونبَّهه على ما ابتلاه.

قلت: وليس في القرآن ما يدلُّ على القضاء في المسجد إلا هذه الآية، وبها استدلَّ من قال بجواز القضاء في المسجد، ولو كان ذلك لا يجوز كما قال الشافعي لَمَا أقرَّهم داود على ذلك. ويقول: انصرفا إلى موضع القضاء. وكان النبيُّ ﷺ والخلفاء يقضُون في المسجد[4]، وقد قال مالك: القضاء في المسجد من الأمر

---

(١) سلف ١٤/ ٢٧٧ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦١ ، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٤ .

(٣) المحرر الوجيز ٤/٥٠١ ، والقراءتان في القراءات الشاذة ص ١٣٠ ، والمحتسب ٢/ ٢٣٢ .

(٤) ترجم البخاري قبل الحديث (٧١٦٥): باب من قضى ولا عَنَ في المسجد، ولا عن عمر عند منبر النبي ﷺ وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد، وقضى مروان على زيد بن ثابت باليمين عند المنبر، وكان الحسن وزُرارة بن أوفى يقضيان في الرحبة خارجاً من المسجد. ثم ترجم بعده: باب: من حكم في المسجد حتى إذا أتى على حدٌّ أمر أن يخرج من المسجد فَيُقام، وذكر حديث أبي هريرة ﷺ في الرجل الذي قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، إني زنيت،... فلما شهد على نفسه أربعاً، قال: «أبِكَ جنون»؟! قال: لا، قال: «اذهبوا فارجموه».

القديم. يعني في أكثر الأمور. ولا بأس أن يَجلِسَ في رحبته؛ لِيصل إليه الضعيفُ والمُشرك والحائض، ولا يُقيم فيه الحدود؛ ولا بأس بخفيف الأدب. وقد قال أشهب: يقضي في منزله وأين أحبَّ[١].

السابعة عشرة: قال مالك رحمه الله: وكان الخلفاءُ يَقضُون بأنفسهم، وأوّل من استقضى معاوية[٢]. قال مالك: وينبغي للقُضاة مُشاورة العلماء. وقال عمر بن عبد العزيز: لا يستقضي حتى يكون عالماً بآثار مَن مضى، مستشيراً لذوي الرأي، حليماً نَزِهاً. قال: ويكون ورعاً. قال مالك: وينبغي أن يكون متيقظاً كثيرَ التحذُّر من الحِيل، وأن يكون عالماً بالشروط، عارفاً بما لا بُدَّ له منه من العربية؛ فإن الأحكامَ تختلف باختلاف العباراتِ والدعاوى والإقرارات والشهادات والشروط التي تتضمَّن حقوقَ المحكوم له. وينبغي له أن يقول قبلَ إنجاز الحكم للمطلوب: أبَقِيتْ لك حُجَّةٌ؟ فإن قال: لا، حَكَمَ عليه، ولا يقبل منه حُجَّةً بعد إنفاذ حكمه إلا أن يأتي بما له وجهٌ أو بيِّنة. وأحكامُ القضاء والقُضاة فيما لهم وعليهم مذكورةٌ في غير هذا الموضع.

الثامنة عشرة: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ اختلف المفسرون في الذنب الذي استغفر منه على أقوال ستة:

الأوّل: أنه نَظَر إلى المرأة حتى شَبِعَ منها. قال سعيد بن جُبير: إنما كانت فتنته النَّظرة. قال أبو إسحاق[٣]: ولم يتعمَّدْ داودُ النظر إلى المرأة، لكنه عاودَ النظر إليها، فصارت الأُولى له والثانية عليه.

الثاني: أنه أغزى زوجَها في حَمَلَةِ التابوت.

الثالث: أنه نوى إنْ مات زوجُها أن يتزوَّجها.

الرابع: أن أوريا كان خطب تلك المرأةَ، فلما غاب خطَبها داودُ، فَزُوِّجت منه

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٦٢٦ بنحوه.

(٢) التمهيد ١١/٩٧ .

(٣) هو الثعلبي، وقوله في عرائس المجالس ص ٢٨٤، وقول سعيد بن جبير الذي قبله منه.

لجلالته، فاغتمَّ لذلك أوريا، فَعَتَبَ اللهُ على داود إذْ لم يتركها لخاطبها، وقد كان عنده تسعٌ وتسعون امرأة.

الخامس: أنه لم يَجزعْ على قتل أوريا، كما كان يجزع على من هَلَكَ من الجند، ثم تزوّج امرأته، فعاتبه الله تعالى على ذلك؛ لأن ذنوبَ الأنبياء وإن صَغُرتْ فهي عظيمةٌ عند الله.

السادس: أنه حَكَم لأحد الخَصْمين قبلَ أن يسمعَ من الآخر.

قال القاضي ابن العربي[1]: أما قولُ مَن قال: إنه حَكَم لأحدِ الخَصْمين قبل أن يسمعَ من الآخر، فلا يجوز على الأنبياء، وكذلك تعريضُ زوجها للقتل. وأما من قال: إنه نَظَر إليها حتى شَبِعَ، فلا يجوز ذلك عندي بحال؛ لأن طُموحَ النظر لا يَليق بالأولياء المتجرِّدين للعبادة، فكيف بالأنبياء الذين هم وسائطُ الله المُكاشَفون بالغيب.

وحكى السديّ عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: لو سمعتُ رجلاً يذكر أن داود عليه السلام قارفَ من تلك المرأة محرَّماً لَجلدته ستين ومئة؛ لأن حدَّ الناسِ ثمانون وحدَّ الأنبياء ستون ومئة. ذكره الماوردي[2] والثعلبي أيضاً.

قال الثعلبي[3]: وقال الحارث الأعور[4] عن عليّ: مَن حدَّث بحديث داود على ما تَرويه القُصَّاص مُعتقِداً جلدته حدَّين؛ لِعظم ما ارتكب برمي مَن قد رَفَع اللهُ محلَّه، وارتضاه من خَلْقه رحمةً للعالمين، وحُجَّة للمجتهدين.

قال ابن العربي[5]: وهذا مما لم يَصِحَّ عن عليّ. فإن قيل: فما حُكمه عندكم؟

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢٦ -١٦٢٧ ، وما قبله منه بنحوه.

(٢) في النكت والعيون ٥/ ٨٩ .

(٣) عرائس المجالس ص ٢٨٤ .

(٤) هو الحارث بن عبد الله الهَمْداني، صاحب علي ﷺ، كذَّبه الشعبي في رأيه، ورُمي بالرفض، وفي حديثه ضعف. تقريب التهذيب ص ٨٦.

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢٧ .

قلنا: أما مَن قال: إن نبيًّا زنى، فإنه يُقتل، وأما مَن نَسب إليه ما دون ذلك من النظر والمُلامسة، فقد اختلف الناس في ذلك؛ فإنْ صمَّم أحدٌ على ذلك فيه ونَسبه إليه قتلته، فإنه يُناقض التعزير المأمور به. فأما قولهم: إنه وقع بصرُه على امرأة تغتسل عُريانةً، فلما رأته أسبلتْ شعرَها فسترتْ جسدَها، فهذا لا حرجَ عليه فيه بإجماع من الأمة؛ لأن النظرةَ الأُولى تَكشِفُ المنظور إليه ولا يأثم الناظرُ بها، فأما النظرة الثانية فلا أصلَ لها[1].

وأما قولهم: إنه [نوى] إن مات زوجُها تزوَّجها فلا شيء فيه إذْ لم يُعرِّضْهُ للموت. وأما قولهم: إنه خَطَب على خِطبة أوريا فباطلٌ يَردُّه القرآن والآثار التفسيرية كلُّها.

وقد روى أشهبُ عن مالك قال: بلغني أن تلك الحمامةَ أَتَتْ فوقعتْ قريباً من داود عليه السلام وهي مِن ذَهبٍ، فلما رآها أعجبته فقام لِيأخُذَها فكانت قُربَ يده، ثم صنع مثلَ ذلك مرتين، ثم طارت واتَّبعها ببصره فوقعتْ عينُه على تلك المرأة وهي تغتسل ولها شعرٌ طويل؛ فبلغني أنه أقام أربعين ليلة ساجداً حتى نبت العُشب من دموع عينيه.

قال ابن العربي[2]: وأما قولُ المفسرين: إن الطائرَ درج عنده فهمَّ بأخذه واتَّبعه فهذا لا يُناقض العبادة؛ لأنه مُباحٌ فِعْلُه، لاسيما وهو حلالٌ، وطلبُ الحلال فريضة، وإنما اتَّبع الطيرَ لذاته لا لجماله، فإنه لا منفعةَ له فيه، وإنما ذِكْرهم لحسن الطائر خرقٌ[3] في الجهالة. أما أنه روي أنه كان طائراً من ذهب فاتَّبعه لِيأخُذَه؛ لأنه من فضل الله سبحانه وتعالى كما روي في الصحيح: «إنَّ أيوبَ عليه السلام كان يغتسلُ عُرياناً، فخرَّ عليه رِجْلٌ من جراد [من ذهب] فجعل يَحثي منه ويجعلُ في ثَوْبه؛ فقال الله تعالى له: «يا أيوبُ، ألم أكن أَغنيتُكَ؟» قال: «بلى يا رب، ولكنْ لا غِنى لي عن

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٢٤ .

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢٤ و١٦٢٧ ، وما قبله وما بين حاصرتين السالف منه.

(٣) في أحكام القرآن: حذق.

بركتك»[١].

وقال القشيري: فهمَّ داودُ بأنْ يأخذَه لِيدفعه إلى ابن له صغير، فطار ووقع على كَوَّة البيت؛ وقاله الثعلبي أيضاً، وقد تقدّم[٢].

التاسعة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ أي: خرَّ ساجدًا، وقد يُعبَّر عن السجود بالركوع. قال الشاعر:

فخرَّ على وَجهِه راكِعاً ... وتابَ إلى اللهِ مِنْ كُلِّ ذنب[٣]

قال ابن العربي[٤]: لا خلافَ بين العلماء أن المُرادَ بالركوع هاهنا السجود؛ فإن السجودَ هو المَيْل، والركوع هو الانحناء، وأحدُهما يدخل[٥] على الآخر، ولكنه قد يختصُّ كلٌّ واحد بهيئته، ثم جاء هذا على تسمية أحدِهما بالآخر، فَسُمِّي السجود ركوعاً.

وقال المهدوي: وكان ركوعهم سجوداً. وقيل: بل كان سجودُهم ركوعاً. وقال مقاتل: فوقع من ركوعه ساجداً لله عزّ وجلّ. أي: لما أحسَّ بالأمر قام إلى الصلاة، ثم وقع من الركوع إلى السجود؛ لاشتمالهما جميعاً على الانحناء.

﴿وَأَنَابَ﴾ أي: تاب من خطيئته ورَجَعَ إلى الله.

وقال الحسين بن الفضل: سألني عبدُ الله بن طاهر ـ وهو الوالي ـ عن قولِ الله عز وجل: «وَخَرَّ رَاكعاً» فهل يقال للراكع: خَرَّ؟. قلت: لا. قال: فما معنى الآية؟ قلت: معناها: فخرَّ بعد أن كان راكعاً، أي: سَجَدَ[٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٨١٥٩)، والبخاري (٣٣٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وما بين حاصرتين منهما، وسلف ٤/ ٤٨٣ .

(٢) ١٥/ ١٦٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٨٩ .

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢٧ .

(٥) في أحكام القرآن: يدلّ.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٥٧ ، وعبد الله بن طاهر: هو أبو العباس، الأمير العادل، حاكم خراسان وما وراء النهر، مات سنة (٢٣٠ هـ) السير ١٠/ ٦٨٤ .

الموفية عشرين: واختُلف في سجدة داودَ هل هي من عزائم السجودِ المأمور به في القرآن أم لا؟ فروى أبو سعيد الخُدري أن النبيَّ ﷺ قرأ على المنبر: «ص والقرآنِ ذِي الذِّكْر» فلما بلغَ السجدةَ نزلَ فسجدَ وسَجَدَ الناسُ معه، فلما كان يومٌ آخرُ قرأ بها فتَشَزَّنَ الناسُ للسجود، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنها توبةُ نبيٍّ، ولكني رأيتُكم تَشَزَّنتم للسجود» ونزلَ وسجدَ. وهذا لفظ أبي داود(١).

وفي البخاري وغيره: عن ابن عباس أنه قال: «صَ» ليست من عزائم القرآن، وقد رأيتُ النبيَّ ﷺ يسجدُ فيها(٢).

وقد رُوي من طريق عن ابن مسعود أنه قال: «صَ» توبةُ نبيٍّ، ولا يُسجد فيها؛ وعن ابن عباس أنها توبةُ نبيٍّ ونبيُّكم ممن أُمِرَ أن يَقتديَ به(٣).

قال ابن العربي(٤)؛ والذي عندي أنها ليست موضعَ سجود، ولكن النبيَّ ﷺ سجدَ فيها فسجدنا بالاقتداء به. ومعنى السجود أن داودَ سجدَ خاضعاً لِربِّه، مُعترفاً بذنبه، تائباً من خطيئته؛ فإذا سجدَ أحدٌ فيها فَلْيسجد بهذه النِّيَّة، فلعلَّ الله أن يغفرَ له بحرمة داودَ الذي اتَّبعه، وسواء قلنا: إن شَرْعَ من قبلنا شرعٌ لنا أم لا؟ فإن هذا أمرٌ مشروع في كلِّ أمة لكلِّ أحد. والله أعلم.

الحادية والعشرون: قال ابن خُوَيْز مَنْداد: قوله: «وخَرَّ راكِعاً وأَنَابَ» فيه دلالةٌ على أن السجودَ للشُّكر مُفرداً لا يجوز؛ لأنه ذَكر معه الركوع؛ وإنما الذي يجوز أن يأتي بركعتين شكراً، فأمَّا سجدةٌ مفردةٌ فلا؛ وذلك أن البِشاراتِ كانت تأتي رسولَ الله ﷺ والأئمة بعده، فلم يُنقَلْ عن أحدٍ منهم أنه سجد شُكراً، ولو كان ذلك مفعولاً لهم لَنُقِلَ نقلاً متظاهراً لحاجة العامة إلى جوازه وكونه قُربة.

---

(١) في السنن (١٤١٠). والتشزُّن: التأهُّب والتهيّؤ للشيء. النهاية (شزن).

(٢) صحيح البخاري (١٠٦٩)، وهو في مسند أحمد (٣٣٨٧).

(٣) أخرجهما البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣١٩.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٢٨ ، وما قبله منه.

قلت: وفي «سنن» ابن ماجه: عن عبد الله بن أبي أوفَى أن رسولَ الله ﷺ صلَّى يومَ بُشِّرَ برأس أبي جهل ركعتين(١). وخرَّج من حديث أبي بَكْرةَ أن النبيَّ ﷺ كان إذا أتاه أمرٌ يَسُرُّه ـ أو يُسَرُّ به ـ خرَّ ساجداً شكراً لله(٢). وهذا قول الإمام الشافعي وغيره.

الثانية والعشرون: روى الترمذي وغيره ـ واللفظ للغير ـ: أن رجلاً من الأنصار على عهدِ رسول الله ﷺ كان يُصلِّي من الليل يستتر بشجرة وهو يقرأ: «صَ والقرآنِ ذِي الذِّكْرِ» فلما بلغ السجدةَ سجدَ وسجدت معه الشجرة، فسمعها وهي تقول: اللهمَّ أَعْظِمْ لي بهذه السجدة أجراً، وارزُقني بها شُكراً(٣).

قلت: خرَّج ابن ماجه في «سننه» عن ابن عباس قال: كنتُ عند النبيّ ﷺ، فأتاه رجلٌ فقال: إني رأيتُ البارحة فيما يرى النائم كأني أُصلِّي إلى أصل شجرة، فقرأت السجدةَ [فسجدتُ] فسجدتِ الشجرةُ لِسُجودي، فسمعتها تقول: اللهمَّ احطُطْ بها عني وِزْراً، واكتُبْ لي بها أجراً، واجعلها لي عندك ذُخراً. قال ابن عباس: فرأيتُ رسولَ الله ﷺ قرأ: «السجدة» فسجدَ، فسمعتُه يقول في سجوده مثلَ الذي أخبره الرجلُ عن قول الشجرة(٤).

ذكره الثعلبي عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، رأيتُني في النوم كأني تحت شجرة والشجرةُ تقرأ «صَ» فلما بلغتِ السجدةَ سجدَتْ فيها، فسمعتُها

(١) سنن ابن ماجه (١٣٩١)، وفي إسناده سلمة بن رجاء عن الشعثاء، وسلمة قال فيه ابن عدي: حدَّث بأحاديث لا يتابع عليها، وعدَّ منها هذا الحديث. ميزان الاعتدال ٤/ ١٨٩ . والشعثاء ـ وهي بنت عبد الله، الأسدية الكوفية ـ قال الحافظ ابن حجر في التقريب ص ٦٦٦ : لا تُعرف.

(٢) سنن ابن ماجه (١٣٩٤)، وأخرجه أبو داود (٢٧٧٤)، والترمذي (١٥٧٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث بكار بن عبد العزيز، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، رَأَوْا سجدة الشكر.

(٣) سنن الترمذي (٥٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٢٨ ، وينظر الحديث التالي.

(٤) سنن ابن ماجه (١٠٥٣)، وما بين حاصرتين منه.

تقول في سجودها: اللهمَّ اكتُبْ لي بها أجراً، وحُطَّ عني بها وزراً، وارزقني بها شُكراً، وتقبَّلها مني كما تقبَّلت من عبدك داودَ سجدتَه. فقال لي النبيّ ﷺ: «أفَسجدْتَ أنت يا أبا سعيد» فقلت: لا والله يا رسولَ الله. فقال: «لقد كنتَ أحقَّ بالسُّجود من الشجرة» ثم قرأ النبيّ ﷺ «صَ» حتى بلغ السجدةَ فسجد، ثم قال مثلَ ما قالت الشجرة[١].

الثالثة والعشرون: قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي: فغفرنا له ذَنْبه. قال ابن الأنباري[٢]: «فغفرنا له ذلك» تامٌّ، ثم تبتدئ: «وإن له» وقال القشيري: ويجوز الوقف على «فغفرنا له» ثم تبتدئ «ذلك وإنَّ له» كقوله: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ [ص:٥٥] أي: الأمر ذلك.

وقال عطاء الخُراساني وغيره: إنَّ داودَ سجدَ أربعين يوماً حتى نبتَ المَرْعَى حولَ وجهه وغمر رأسَه، فَنُودي: أجائعٌ فَتُطعَم، وأعارٍ فَتُكْسَى؛ فنَحَبَ نحبةً هاج المَرْعى من حرِّ جوفه، فَغُفِر له وسُتِرَ[٣] بها.فقال: يا رب، هذا ذنبي فيما بيني وبينك قد غَفَرْتَه، وكيف بفلان وكذا وكذا رجلاً من بني إسرائيل، تركت أولادهم أيتاماً، ونساءهم أرامل؟ قال: يا داود، لا يُجاوزني يومَ القيامة ظلمٌ، أُمَكِّنه منك ثم أستوهِبُك منه بثواب الجنة. قال: يا ربِّ، هكذا تكون المغفرة الهَنيئة[٤]. ثم قيل: يا داود، ارفَعْ رأسَك. فذهب لِيَرفَعَ رأسَه فإذا به قد نَشِبَ في الأرض، فأتاه جبريلُ فاقتلعه عن وجه الأرض كما يُقتلَع من الشجرة صَمْغها. رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر[٥] عن عطاء.

قال الوليد: وأخبرني مُنِير بن الزبير[٦]، قال: فَلَزِقَ مواضعُ مساجده على الأرض

---

(١) عرائس المجالس ص ٢٨٧ .

(٢) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٦٢ .

(٣) في نوادر الأصول ص ١٨٨ (والكلام منه): وبُشِّر.

(٤) في (م): الهيِّنة، والمثبت موافق لنوادر الأصول.

(٥) هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي، الشامي. تهذيب التهذيب ٢/ ٥٦٦ .

(٦) الشامي، أبو ذر الأزدي، قال ابن حبان: يأتي عن الثقات بالمعضلات، لا تحل الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار. تهذيب التهذيب ٤/ ١٦٤ .

من فَروة وجهه ما شاء الله. قال الوليد: قال ابن لهيعة: فكان يقول في سجوده: سبحانك هذا شرابي دموعي، وهذا طعامي في رماد بين يدي. وفي رواية: إنه سجدَ أربعين يوماً لا يرفع رأسَه إلا للصلاة المكتوبة، فبكى حتى نبتَ العُشْب من دموعه[(١)].

وروي مرفوعاً من حديث أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: «إنَّ داودَ مَكَثَ أربعين ليلةً ساجداً حتى نبت العُشْبُ من دموعه على رأسه، وأكلتِ الأرضُ من جبينه وهو يقول في سجوده: يا ربّ، داودُ زلَّ زلَّةً بَعُدَ بها ما بين المشرق والمغرب، ربِّ، إن لم ترحَمْ ضَعْفَ داود وتغفِرْ ذَنْبَه جعلت ذَنْبَه حديثاً في الخَلْق من بعده، فقال له جبريل بعد أربعين سنة: يا داود، إن اللهَ قد غَفَرَ لك الهَمَّ الذي هممتَ به»[(٢)].

وقال وهب: إنَّ داودَ عليه السلام نُودي: إني قد غفرتُ لك. فلم يرفع رأسَه حتى جاءه جبريل فقال: لِمَ لا ترفع رأسَك وربُّك قد غَفَرَ لك؟ قال: يا رب، كيف وأنت لا تظلم أحداً. فقال الله لجبريل: اذهَبْ إلى داودَ فقل له يذهب إلى قبر أوريا فَيتحلَّل منه، فأنا أُسْمِعُه نداءَه[(٣)]. فلبس داودُ المُسوحَ، وجلس عند قبر أوريا، ونادى: يا أوريا، فقال: لبيك، من هذا الذي قطعَ عليَّ لَذَّتي وأيقظني؟ فقال: أنا أخوك داودُ، أسألك أن تجعلني في حِلٍّ، فإني عرَّضتك للقتل؛ قال: عرَّضتني للجنة، فأنت في حِلّ.

وقال الحسن وغيره: كان داودُ عليه السلام بعد الخطيئة لا يُجالس إلا الخاطئين، ويقول: تعالوا إلى داود الخَطَّاء، ولا يشربُ شراباً إلا مزجَه بدموع عينيه. وكان يجعل خبزَ الشعير اليابس في قَصْعة، فلا يزال يبكي حتى يبتلَّ بدموعه، وكان

---

(١) هذه الأخبار من الإسرائيليات، وأوردها بنحوها الطبري ٢٠/ ٦٨ وما بعدها، والثعلبي في عرائس المجالس ص ٢٨٤ وما بعدها، والبغوي ٤/ ٥٥ وما بعدها. وسنذكر أقوال العلماء في ردّ هذه الأخبار ص٢٠٣-٢٠٤ من هذا الجزء، ينظر ثمة.

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/ ٧٤ ، والثعلبي في عرائس المجالس ص ٢٨٤ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٥٥ ، من حديث أنس ﷺ، وسلف قسم منه ١٨/ ١٥٨ ، وهو حديث ضعيف، كما ذكرنا سابقاً.

(٣) في النسخ الخطية: نداءك.

يَذُرُّ عليه الرماد والملح فيأكل ويقول: هذا أكلُ الخاطئين. وكان قبل الخطيئة يقومُ نصف الليل ويصومُ نصفَ الدَّهر، ثم صام بعده الدهرَ كلَّه وقام الليل كلَّه. وقال: يا رب، اجعلْ خطيئتي في كفِّي، فصارت خطيئته منقوشةً في كفِّه. فكان لا يبسطُها لطعام ولا شرابٍ ولا شيء إلا رآها فأبْكته، وإنْ كان ليُؤتى بالقَدَح ثُلثاه ماء، فإذا تناوله أبصرَ خطيئته فما يضعه عن شَفَته حتى يفيضَ من دموعه(١).وروى الوليد بن مسلم: حدَّثني أبو عمرو الأوزاعي أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثلُ عيني داودَ مثلُ القِرْبتين تَنْطُفان، ولقد خدَّد الدموع في وجه داود خديدَ الماء في الأرض»(٢).

قال الوليد: وحدَّثنا عثمانُ بن أبي العاتكة أنه كان من قول داود إذ هو خُلُوٌّ من الخطيئة شدَّة قوله في الخطَّائين أن كان يقول: اللهمَّ لا تغفِرْ للخطَّائين. ثم صار إلى أن يقول: اللهمَّ ربِّ اغفر للخاطئين لكي تغفرَ لداود معهم؛ سبحان خالق النور. إلهي، خرجتُ أسأل أطباءَ عبادك أن يداووا خطيئتي فكلُّهم عليك يَدُلُّني. إلهي، أخطأتُ خطيئةً قد خِفتُ أن تجعل حصادَها عذابَك يومَ القيامة إنْ لم تغفرها؛ سبحان خالق النور. إلهي، إذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت الأرضُ بِرَحْبها عليَّ، وإذا ذكرتُ رحمتَك ارتدَّ إليَّ روحي.

وفي الخبر: أن داودَ عليه السلام كان إذا علا المنبر رفع يمينه فاستقبلَ بها الناسَ لِيُريهم نَقْشَ خطيئته؛ فكان يُنادي: إلهي، إذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت عليَّ الأرض بِرَحْبها، وإذا ذكرتُ رحمتك ارتدَّ إليَّ روحي؛ ربِّ اغفِرْ للخاطئين كي تغفر لداود معهم. وكان يقعدُ على سبعة أفرشة من اللِّيف محشوَّة بالرماد، فكانت تستنقع دموعه تحت رجليه حتى تَنْفذَ من الأفرشة كلِّها.

وكان إذا كان يومُ نَوْحه نادى مُناديه في الطُّرق والأسواق والأودية والشِّعاب وعلى رؤوس الجبال وأفواه الغيران: ألا إنَّ هذا يومُ نَوْحِ داود، فمن أراد أن يبكيَ على ذنبه فليأتِ داودَ فيسعده؛ فيهبط السُّياح من الغيران والأودية، وترتجُّ الأصواتُ

---

(١) عرائس المجالس ص ٢٨٨ .

(٢) أورده الحكيم في نوادره ص ١٨٨ ، والبغوي في تفسيره ٥٨/٤ ، وإسناده هكذا معضل.

حولَ منبره، والوحوش والسِّباع والطير عُكَّفٌ؛ وبنو إسرائيل حول منبره؛ فإذا أخذ في العَويل والنَّوح، وأثارت الحرقات منابعَ دموعه، صارت الجماعة ضجةً واحدة نوحاً وبكاء، حتى يموت حول منبره بَشَرٌ كثير في مثل ذلك اليوم[(١)].

ومات داود عليه السلام فيما قيل يوم السبت فجأة[(٢)]. أتاه مَلَك الموت وهو يصعَدُ في محرابه وينزل؛ فقال: جئتُ لأقْبِضَ روحك. فقال: دعني حتى أنزلَ أو أرتقي. فقال: مالي إلى ذلك سبيل؛ نَفِدَت الأيامُ والشهور والسُّنون والآثار والأرزاق، فما أنت بمُؤثر بعدها أثراً. قال: فسجد داودُ على مَرْقاة من الدَّرج فقبضَ نفسَه على تلك الحال. وكان بينه وبين موسى عليهما السلام خمسُ مئة وتسعٌ وتسعون سنة. وقيل: تسع وسبعون.

وعاش مئةَ سنة، وأوصى إلى ابنه سليمان بالخلافة[(٣)].

الرابعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قال محمد بن كعب ومحمد بن قيس: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ قُربة بعد المغفرة. ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قالا: والله، إن أوَّل من يشربُ الكأسَ يومَ القيامة داود[(٤)]. وقال مجاهد عن عبد الله ابن عمر: الزُّلفى الدنوُّ من الله عز وجل يوم القيامة[(٥)].

وعن مجاهد: يُبعث داودُ يومَ القيامة وخطيئته منقوشةٌ في يده، فإذا رأى أهاويلَ يوم القيامة لم يجد منها محرزاً إلا أن يلجأ إلى رحمة الله تعالى. قال: ثم يرى خطيئته فيقلق، فيقال له: هاهنا؛ ثم يرى فيقلق، فيقال له: هاهنا، ثم يرى فيقلق، فيقال له:

---

(١) عرائس المجالس ص ٢٨٧ - ٢٨٨، ونوادر الأصول ص ١٨٨، وتفسير البغوي ٤/ ٥٨. وهذه الأخبار من الإسرائيليات، ينظر ما سنذكره في ردِّها ص٢٠٣-٢٠٤ من هذا الجزء.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٣ من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) عرائس المجالس ص ٢٩٤.

(٤) عرائس المجالس ص ٢٨٧.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦١.

هاهنا؛ فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ذكره الترمذي الحكيم. قال: حدّثنا الفضل بن محمد، قال: حدّثنا عبد الملك بن الأصبغ قال: حدّثنا الوليد بن مسلم، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمد الفزاري، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن مجاهد فذكره[١].

قال الترمذي: ولقد كنت أمُرُّ زماناً طويلاً بهذه الآيات فلا ينكشفُ لي المُراد والمعنى من قوله: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص:١٦] والقِطّ الصحيفة في اللغة؛ وذلك أن رسولَ الله ﷺ تلا عليهم: «﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾» [الحاقة:١٩]: وقال لهم «إنكم سَتجدون هذا كلَّه في صَحائفكم تُعطَوْنَها بشمائلكم»[٢] قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: صحيفتنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾، قال الله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص:١٧]، فقصَّ قصةَ خطيئته إلى مُنتهاها، فكنت أقول: أمره بالصبر على ما قالوا، وأمره بذكر داود، فأي شيء أُريدَ من هذا الذِّكر؟ وكيف اتَّصل هذا بذاك؟ فلا أَقِفُ على شيء يسكن قلبي عليه، حتى هداني اللهُ له يوماً فأُلْهِمتُه؛ أن هؤلاء أنكروا قولَ أنهم يُعطَوْن كُتبهم بشمائلهم، فيها ذنوبهم وخطاياهم استهزاءً بأمر الله؛ وقالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ فأوجعه ذلك من استهزائهم، فأمره بالصبر على مَقالتهم، وأن يذكر عبدَه داودَ؛ سأل تعجيلَ خطيئته أن يراها منقوشةً في كفِّه، فنزل به ما نزل من أنه كان إذا رآها اضطرب وامتلأ القَدَح من دموعه، وكان إذا رآها بكى حتى تَنفُذَ سبعة أفرشة من اللِّيف مَحشوة بالرَّماد، فإنما سألها بعد المغفرة وبعد ضَمان تَبِعَة الخَصْم، وأن الله تبارك وتعالى اسمه يستوهبه منه، وهو حبيبه ووَلِيُّه وصَفِيُّه؛ فرؤية نَقْش الخطيئة بصورتها مع هذه المرتبة صَنعت به هكذا، فكيف كان يحلّ بأعداء الله وبِعُصاته من خَلْقه وأهل خِزْيه، لو عُجّلت لهم صحائفهم فنظروا إلى صورة تلك الخطايا التي عملوها على الكفر والجُحود، وماذا يَحُلُّ بهم إذا نظروا إليها

(١) وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/٢٩٧ من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم، به بنحوه.
(٢) لم نقف عليه.

في تلك الصحائف، وقد أخبر الله عنهم فقال: ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف:٤٩]، فداود صلوات الله عليه مع المغفرة والبُشرى والعطف لم يقم لرؤية صورتها. وقد روينا في الحديث: إذا رآها يومَ القيامة منقوشةً في كفِّه قَلِقَ حتى يقال له: هاهنا، ثم يرى فيقلق، ثم يقال له: هاهنا، ثم يرى فيقلق، حتى يقرب فيسكن[١].

قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ملَّكناك لِتأمُر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فتخلُفَ مَن كان قبلكَ من الأنبياء والأئمة الصالحين[٢]. وقد مضى في «البقرة» القولُ في الخليفة وأحكامه مستوفى[٣]، والحمد لله.

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل. وهو أمرٌ على الوجوب وقد ارتبط هذا بما قبله، وذلك أن الذي عُوتب عليه داودُ طلبُه المرأةَ مِن زوجها وليس ذلك بعدل[٤]. فقيل له بعد هذا: فاحكُمْ بين الناس بالعَدْل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ أي: لا تَقْتَدِ بهواك المُخالف لأمر الله ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن طريق الجنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يَحيدون عنها ويتركونها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في النار ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ أي: بما تركوا من سلوك طريق الله؛ فقوله: «نَسُوا» أي: تركوا الإيمان به، أو تركوا العملَ به فصاروا كالنَّاسين. ثم قيل: هذا لداود لمَّا

---

(١) سلف قريباً بنحوه من قول مجاهد.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦١ .

(٣) ١/ ٣٩٥ وما بعدها.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٢٩ .

أكرمه الله بالنبوَّة. وقيل: بعد أن تاب عليه وغَفَر خطيئته.

الثالثة: الأصل في الأقضية قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾، وقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩]، وقوله تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ الآية [المائدة:٨]. وقد تقدَّم الكلامُ فيه.

الرابعة: قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: إن ارتفع لك الخَصْمان فكان لك في أحدِهما هوىً، فلا تشتهِ في نفسك الحقَّ له لِيَفْلُجَ[1] على صاحبه، فإنْ فعلتَ محوتُ اسمك من نبوَّتي، ثم لا تكون خليفتي ولا أهلَ كرامتي[2].

فدلَّ هذا على بيان وجوب الحكم بالحقّ، وألّا يميلَ إلى أحد الخَصْمين لِقَرابةٍ أو رجاء نَفْع، أو سبب يقتضي المَيْل من صُحبة أو صداقة، أو غيرهما[3].

وقال ابن عباس: إنما ابتُلي سليمانُ بن داود عليهما السلام، لأنه تقدَّم إليه خَصْمان فَهَوِيَ أن يكون الحقُّ لأحدهما[4].

وقال عبد العزيز بن أبي روّاد: بلغني أن قاضياً كان في زمن بني إسرائيل بلغ من اجتهاده أن طلبَ إلى ربِّه أن يجعل بينه وبينه عَلَماً، إذا هو قضى بالحقّ عَرَفَ ذلك؛ وإذا هو قصَّر عَرَفَ ذلك، فقيل له: ادخل منزلك، ثم مُدَّ يدكَ في جدارك، ثم انظر حيث تبلغُ أصابعك من الجدار فاخطُطْ عندها خطّاً؛ فإذا أنت قمتَ من مجلس القضاء، فارجع إلى ذلك الخطّ فامدُدْ يدكَ إليه، فإنك متى ما كنتَ على الحقّ فإنك

(١) الفَلْج: الظَّفَر والفوز. القاموس (فلج).

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي كما في الدر المنثور ٥/ ٣٠٦ .

(٣) أحكام القرآن للكيا ٣/ ٣٦١ .

(٤) نوادر الأصول ص١٨٧ بنحوه.

ستبلغه، وإن قصَّرت عن الحق قصَّر بك، فكان يغدو إلى القضاء وهو مجتهد، فكان لا يقضي إلا بحقّ، وإذا قام من مَجْلسه وفرغَ لم يَذُقْ طعاماً ولا شراباً، ولم يُفْضِ إلى أهله بشيء من الأمور حتى يأتي ذلك الخطّ، فإذا بلغه حَمِدَ الله وأفضى إلى كلّ ما أحلَّ الله له من أهل أو مَطْعم أو مَشْرب. فلما كان ذاتَ يوم وهو في مجلس القضاء، أقبل إليه رجلان يُريدانه، فوقع في نفسه أنهما يُريدان أن يختصما إليه، وكان أحدُهما له صديقاً وخِدْناً، فتحرَّك قلبه عليه محبةَ أن يكون الحقُّ له فيقضيَ له، فلما أن تكلَّما دار الحقُّ على صاحبه فقضَى عليه، فلما قام من مَجْلسه ذهب إلى خطّه كما كان يذهب كلَّ يوم، فمدَّ يده إلى الخطّ فإذا الخطُّ قد ذهب وتشمَّر إلى السَّقف، وإذا هو لا يبلغه فخرَّ ساجداً وهو يقول: يا ربّ شيئاً لم أتعمَّدْه ولم أُرِده، فَبيِّنْه لي. فقيل له: أتحسبنَّ أن الله تعالى لم يطَّلع على خيانة قلبك، حيث أحببتَ أن يكون الحقُّ لِصديقك فتقضيَ[1] له به، قد أردته وأحببتَه، ولكن الله قد ردَّ الحقَّ إلى أهله وأنت كاره.

وعن ليث قال: تقدَّم إلى عمر بن الخطاب خَصْمان فأقامهما، ثم عادا فأقامهما، ثم عادا فَفَصَلَ بينهما، فقيل له في ذلك، فقال: تقدَّما إليَّ فَوَجَدتُ لأحدهما ما لم أَجِدْ لصاحبه، فكَرِهتُ أن أفصل بينهما على ذلك، ثم عادا فَوَجَدتُ بعضَ ذلك له، ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلتُ بينهما[2].

وقال الشعبي: كان بين عمر وأُبَيٍّ خُصومةٌ، فتقاضيا إلى زيد بن ثابت، فلما دخلا عليه أشار لعمر إلى وسادته، فقال عمر: هذا أَوَّلُ جَوْرك؛ أجلسني وإيَّاه مَجْلساً واحداً؛ فجلسا بين يديه[3].

الخامسة: هذه الآيةُ تمنعُ من حُكم الحاكم بعلمه؛ لأن الحُكَّام لو مُكِّنوا أن

---

(١) في (م): لتقضي.

(٢) ذكر هذا الخبر والذي قبله الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٣) أخرجه ابن شبّه في تاريخ المدينة المنورة ٢/ ٧٥٥ .

يحكموا بعلمهم، لم يشأ أحدُهم إذا أراد أن يحفظَ وليَّه ويُهْلِكَ عدوَّه إلا ادَّعى عِلْمَه فيما حكم به. ونحو ذلك رُوي عن جماعة من الصحابة منهم أبو بكر؛ قال: لو رأيتُ رجلاً على حدٍّ من حدود الله، ما أخذْتُه حتى يشهدَ على ذلك غيري[١].

وروي أن امرأةً جاءت إلى عمرَ فقالت له: احكُمْ لي على فلان بكذا، فإنك تعلمُ ما لي عنده. فقال لها: إنْ أردتِ أن أشهدَ لك فنعم، وأما الحُكم فلا[٢]. وفي «صحيح» مسلم: عن ابن عباس: أن رسولَ الله ﷺ قضَى بيمين وشاهِد[٣]. ورُوي عن النبي ﷺ أنه اشترى فرساً فجحده البائع، فلم يَحكُمْ عليه بعلمه وقال: «مَنْ يَشْهَد لي» فقام خُزيمةُ فَشَهِدَ فحكم. خرَّج الحديثَ أبو داود وغيره، وقد مضى في «البقرة»[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ أي: هَزْلاً ولَعِباً. أي: ما خلقناهما إلا لأمرٍ صحيح، وهو الدلالة على قُدرتنا. ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: حُسبان الذين كفروا أن الله خَلَقَهما باطلاً.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ثم وبَّخهم فقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والميم صِلة تقديره: أنجعلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٤٤ من قول الزهري عن أبي بكر ﷺ.

(٢) لم نقف عليه، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٥٣٨ عن الضحاك قال: اختصم رجلان إلى عمر ابن الخطاب ادَّعيا شهادته، فقال لهما عمر: إن شئتما شَهِدتُ ولم أقضِ بينكما، وإن شئتما قضيت ولم أشهد.

(٣) صحيح مسلم (١٧١٢)، وأخرجه أحمد (٢٢٢٤).

(٤) ٤/ ٤٦٢، والحديث أخرجه أحمد (٢١٨٨٣)، وأبو داود (٣٦٠٧).

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ فكان في هذا ردٌّ على المُرجئة؛ لأنهم يقولون: يجوز أن يكون المُفسد كالصالح أو أرفعَ درجةً منه. وبعده أيضاً: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ أي: أنَجعل أصحابَ محمد عليه الصلاة والسلام كالكفار؛ قاله ابن عباس. وقيل: هو عامٌّ في المسلمين المتقين والفُجّار الكافرين، وهو أحسن، وهو ردٌّ على مُنكري البعث الذين جعلوا مصيرَ المُطيع والعاصي إلى شيء واحد[1].

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي: هذا كتاب ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ يا محمد ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾ أي: لِيتدبروا، فأُدغمت التاء في الدال. وفي هذا دليلٌ على وجوب معرفة معاني القرآن، ودليلٌ على أن الترتيلَ أفضلُ من الهَذِّ؛ إذ لا يَصِحُّ التدبُّر مع الهَذّ[2]، على ما بيَّناه في كتاب «التذكار». وقال الحسن: تدبُّر آيات الله اتّباعُها[3].

وقراءة العامة: «لِيَدَّبَّرُوا». وقرأ أبو جعفر وشيبة: «لِتَدَبَّرُوا» بتاء وتخفيف الدال[4]، وهي قراءة عليّ ﷺ[5]، والأصلُ: لِتَتَدبَّروا، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أصحابُ العقول، واحدُها لُبٌّ، وقد جمع على أَلُبّ، كما جمع بُؤسٌ على أبؤس، ونُعْم على أنْعُم؛ قال أبو طالب:

قـلـبـي إلـيـه مُـشـرِفُ الأَلُـبِّ

وربما أظهروا التضعيف في ضرورة الشعر؛ قال الكُمَيت:

إلـيـكـم ذوِي آلِ الـنَّـبـيّ تَـطَـلَّـعَـتْ　　نَـوازِعُ مـن قـلـبـي ظِـمـاءٌ وَأَلْـبُـبُ[6]

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٢ بنحوه دون قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٣ بنحوه. والهذّ: سرعة القراءة. القاموس (هذذ).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٦٠ .

(٤) قراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦١ .

(٥) القراءات الشاذة ص١٣٠ .

(٦) لم نقف عليه في ديوانه، وهو في الصحاح (لبب). والكلام منه.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ لما ذكرَ داودَ ذكَرَ سليمان. و«أوَّابٌ» معناه مُطيع. ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ يعني الخيل، جمع جواد للفرس إذا كان شديدَ الحُضْر[١]؛ كما يقال للإنسان: جواد، إذا كان كثيرَ العَطِيَّة غزيرَها؛ يقال: قومٌ أجواد وخيلٌ جِياد[٢]، جاد الرجلِ بماله يجود جُوداً، فهو جواد، وقومٌ جُود مثال: قَذَال وقُذُل، وإنما سكنت الواو لأنها حرف عِلَّة، وأجواد وأجاوِد وجُوداء، وكذلك امرأةٌ جَوَاد، ونسوة جُود مثل: نَوارٍ ونُور، قال الشاعر:

صَناعٌ بإشْفاها حَصانٌ بِشَكْرِها   جَوادٌ بِقُوتِ البَطْنِ والعِرْقُ زاخِرُ[٣]

وتقول: سِرنا عُقْبةً جَوَاداً، وعُقْبتين جَوَادين، وعُقَباً جِياداً. وجاد الفرس، أي: صار رائعاً يجود جُودة ـ بالضم ـ فهو جَواد للذَّكر والأُنثى، من خيلٍ جِياد وأجياد وأجاويد.

وقيل: إنها الطِّوال الأعناق، مأخوذٌ من الجِيد وهو العُنق؛ لأن طُولَ الأعناق [في] الخيل من صفات فَرَاهتها[٤].

وفي «الصَّافِنات» أيضاً وجهان: أحدهما أن صُفونها قيامُها. قال القتبي والفراء:

---

(١) الحُضر: ارتفاع الفرس في عَدْوه. القاموس (حضر).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٢ .

(٣) قائله أبو شهاب الهذلي، كما في الصحاح (جود) والكلام الذي قبله والذي بعده منه، وقوله: صَناع بإشفاها: قال ابن السكيت: امرأة صَناع: إذا كانت رقيقة اليدين تُسوِّي الأشافي وتَخرِزُ الدِّلاء وتفريها، وامرأة صَناع: حاذقة بالعمل. والإشْفى: المِثْقَب. والشُّكْر: الفرج. وقوله: العرق زاخر: أي: تجود بِقُوتها عند الجوع وهيجان الدم والطبائع. اللسان (صنع) و(شفي) و(شكر) و(جود).

(٤) النكت والعيون ٥/ ٩٢ .

الصافن في كلام العرب الواقفُ من الخيل أو غيرها[١]. ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ سرَّه أن يقومَ له الرجالُ صفوناً فَلْيتبَوَّأْ مَقْعَدَه من النار»[٢] أي: يُديمون له القيام؛ حكاه قُطرب أيضاً وأنشد قول النابغة:

لـنـا قُـبَّـةٌ مَـضْـروبـةٌ بِـفـنـائـهـا ... عِتاقُ المَهارى والجِيَاد الصَّوَافن[٣]

وهذا قول قتادة. الثاني: أن صُفونها رَفْعُ إحدى اليدين على طرف الحافر حتى يقومَ على ثلاث؛ كما قال الشاعر:

أَلِـفَ الـصُّـفـونَ فـمـا يَـزَالُ كَـأَنَّـهُ ... مِمَّا يقومُ على الثَّلاثِ كَسِيرا[٤]

وقال عمرو بن كُلْثوم:

تَـركْـنـا الـخـيـل عـاكِـفَـةً عـلـيـهِ ... مُـقَـلَّـدَةً أعِـنَّـتَـهَـا صُـفـونـا[٥]

وهذا قول مجاهد[٦]. قال الكلبي: غزا سليمانُ أهلَ دمشق ونَصِيبين فأصابَ منهم ألفَ فرس. وقال مقاتل: وَرِثَ سليمانُ من أبيه داودَ ألفَ فرس، وكان أبوه أصابها من العمالقة. وقال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجتْ من البحر لها أجنحة[٧]. وقاله الضحاك. وأنها كانت خيلاً أُخرجت لسليمان من البحر منقوشة ذاتَ أجنحة.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٥، وغريب القرآن للقتبي ص٣٧٩، وعبارة الفراء: وقد رأيت العرب تجعل الصافن القائمَ على ثلاث أو على غير ثلاث، وأشعارهم تدل على أنها القيام خاصة.

(٢) نقله المصنف بهذا اللفظ عن الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٩١، وما بعده منه. قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٤٢: لم أجده هكذا. اهـ وقال ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٥: هذا حديث موضوع. اهـ. وأخرج الترمذي (٢٧٥٥) من حديث معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن يَتمثَّل له الرجال قياماً فَلْيتبوَّأ مقعده من النار».

(٣) ليس في ديوانه المطبوع، ونسبه له الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٩١، وأبو حيان في البحر ٧/ ٣٨٨.

(٤) لم نقف على قائله، وهو في النكت والعيون ٥/ ٩٢، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣٠.

(٥) معلقة عمرو بن كلثوم بشرح ابن كيسان ص٦٠.

(٦) تفسير مجاهد ٢/ ٥٤٩، وأخرج الطبري ٢٠/ ٨٢.

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٦٠، ومجمع البيان ٢٣/ ١١٣.

ابن زيد: أخرج الشيطانُ لسليمان الخيل من البحر من مُروج البحر، وكانت لها أجنحة. وكذلك قال عليٌّ ﷺ: كانت عشرين فرساً ذواتِ أجنحة. وقيل: كانت مئةَ فرس. وفي الخبر عن إبراهيم التيمي: أنها كانت عشرين ألفاً[١]، فالله أعلم.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ يعني بالخير الخيل، والعربُ تُسميها كذلك، وتُعاقِب بين الراء واللام؛ فتقول: انهملَتِ العين، وانهمرَتْ، وخَتلتُ وخَترتُ، إذا خَدَعْتَ[٢]. قال الفراء[٣]: الخيرُ في كلام العرب والخيلُ واحد. النحاس[٤]: في الحديث: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[٥] فكأنها سُمِّيت خيراً لهذا. وفي الحديث: لما وفد زيدُ الخيل على النبي ﷺ، قال له: «أنت زيدُ الخير»[٦] وهو زيدُ بن مُهَلهِل الشاعر.

وقيل: إنما سُمِّيت خيراً لما فيها من المنافع. وفي الخبر: إن الله تعالى عَرَضَ على آدم جميعَ الدوابِّ، وقيل له: اختر منها واحداً فاختار الفرس؛ فقيل له: اخترتَ عِزَّك؛ فصار اسمه الخير من هذا الوجه. وسُمِّي خيلاً؛ لأنها موسومةٌ بالعزّ. وسُمِّي فرساً لأنه يفترس مسافاتِ الجو افتراسَ الأسد وثباناً، ويقطعها كالالتهام بيديه على كل شيء خبطاً وتناولاً. وسمِّي عربيًّا لأنه جِيء به من بعد آدم لإسماعيل جزاءً عن رفع قواعد البيت، وإسماعيلُ عربيٌّ فصارت له نِحْلةً من الله؛ فسمِّي عربيًّا[٧].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٦٠ ، وزاد المسير ٧/ ١٢٨ ، ونسبا قول علي ﷺ لإبراهيم التيمي، وقولَ إبراهيم التيمي لعكرمة. قال أبو حيان في البحر ٧/ ٣٩٧ : وقد اختلفوا في عدد هذه الخيل على أقوال متكاذبة سوَّدوا الورق بذكرها.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٦٠ بنحوه.

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٤٠٥ .

(٤) معاني القرآن ٦/ ١٠٩-١١٠ ، وقول الفراء الذي قبله منه.

(٥) أخرجه البخاري (٨٩٩)، ومسلم (٤٤٢)، وسلف ٣/ ٢٤١ .

(٦) ذكره ابن حجر في الإصابة ٤/ ٦٨-٦٩ ، وذكر أن ابن شاهين رواه من طريق بشير مولى بني هاشم، وأخرجه ابن عدي في ترجمة بشير وضعَّفه. وسلف ٧/ ٢٩٨ .

(٧) سلف ٥/ ٥١ .

و«حُبَّ» مفعول في قول الفراء[١]. والمعنى: إني آثرتُ حُبَّ الخير. وغيره يُقدِّره مصدراً أُضيفَ إلى المفعول؛ أي: أحببت الخير حبًّا فألهاني عن ذِكْر ربي. وقيل: إن معنى «أَحْبَبْتُ» قعدتُ وتأخَّرتُ، من قولهم: أحَبَّ البعيرُ، إذا برك وتأخَّر. وأحبَّ فلانٌ، أي: طأطأ رأسه. قال أبو زيد: يقال: بعير مُحِبٌّ، وقد أحبَّ إحباباً، وهو أن يُصيبه مرضٌ أو كَسْرٌ فلا يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت. وقال ثعلب: يقال أيضاً للبعير الحسير: مُحِبٌّ[٢]؛ فالمعنى: قعدتُ عن ذكر ربي. و«حُبَّ» على هذا مفعول له. وذكر أبو الفتح الهَمْداني في كتاب «التبيان»: أحببتُ بمعنى لَزِمت؛ من قوله:

مِـثْـلَ بـعـيـرِ الـسَّـوْءِ إذْ أحَـبَّـا[٣]

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ يعني الشمس، كناية عن غير مذكور؛ مثل قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] أي: على ظهر الأرض؛ وتقول العرب: هاجت باردةً، أي: هاجت الريحُ باردة. وقال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] أي: بلغت النفس الحلقوم. وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] ولم يتقدَّم للنار ذِكْر. وقال الزجاج[٤]: إنما يجوز الإضمارُ إذا جرى ذِكْر الشيء أو دليلُ الذكر، وقد جرى هاهنا الدليل، وهو قوله: «بِالعَشِيِّ». والعشيُّ ما بعد الزوال، والتواري الاستتارُ عن الأبصار، والحِجاب جبلٌ أخضرُ محيطٌ بالخلائق؛ قاله قتادة وكعب. وقيل: هو جبلُ قاف. وقيل: جبلٌ دون قاف. والحجابُ الليلُ؛ سُمِّي حجاباً لأنه يستُر ما فيه[٥].

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٤٠٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٦٣.

(٢) الصحاح (حبب).

(٣) الكشاف ٣/ ٣٧٣. والرجز لأبي محمد الفقعسي كما في اللسان (حبب) وقبله: حُلْتُ عليه بالقفيل ضرباً. والقفيل: السوط.

(٤) في معاني القرآن ٤/ ٣٣١.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٩٣ بنحوه، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٦٠.

وقيل: «حتَّى تَوارَتْ» أي: الخيل في المسابقة. وذلك أن سليمانَ كان له ميدانٌ مستديرٌ يُسابق فيه بين الخيل، حتى توارى(١) عنه وتغيبَ عن عينه في المسابقة؛ لأن الشمس لم يَجْرِ لها ذِكْر.

وذكر النحاس أن سليمانَ عليه السلام كان في صلاة، فجيء إليه بخيل لِتُعرض عليه قد غُنمت فأشار بيده، لأنه كان يُصلِّي حتى توارت الخيل، وسترتها جُدر الاصطبلات، فلما فرغَ من صلاته قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ أي: فأقبل يمسحها مسحاً. وفي معناه قولان: أحدُهما أنه أقبل يمسحُ سُوقَها وأعناقها بيده إكراماً منه لها، ولِيرى أن الجليلَ لا يقبحُ أن يفعل مثلَ هذا بخيله. وقال قائلُ هذا القول: كيف يقتلها؟ وفي ذلك إفسادُ المال ومعاقبةُ مَنْ لا ذنبَ له. وقيل: المَسْح هاهنا هو القَطْع، أُذِن له في قَتْلها(٢).

قال الحسن والكلبي ومقاتل: صلَّى سليمانُ الصلاةَ الأُولى وقعد على كرسيه وهي تُعرَض عليه، وكانت ألفَ فرس؛ فَعُرِضَ عليه منها تسع مئة فتنبَّه لصلاة العصر، فإذا الشمسُ قد غربت وفاتت الصلاة، ولم يُعلَم بذلك هيبةً له، فاغتمَّ فقال: «رُدُّوها عليَّ» فَرُدَّت، فعقرها بالسيف قُربةً لله وبقي منها مئة، فما في أيدي الناس من الخيل العِتاق اليوم فهي من نَسْل تلك الخيل(٣).

وقال القشيري: وقيل: ما كان في ذلك الوقت صلاةُ الظهر ولا صلاة العصر، بل كانت الصلاة نافلةً فَشُغِلَ عنها. وكان سليمانُ عليه السلام رجلاً مَهيباً، فلم يُذكِّره أحدٌ ما نسي من الفرض أو النفل، وظنُّوا التأخُّر مباحاً(٤)، فتذكَّر سليمانُ تلك الصلاةَ الفائتة، وقال على سبيل التلهُّف: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ أي: عن الصلاة، وأمر بردِّ الأفراس إليه، وأمر بضرب عَراقيبها وأعناقها، ولم يكن ذلك

---

(١) في (م): توارت.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٣ .

(٣) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤ : وهذا بعيد. وينظر النكت والعيون ٥/ ٩٤ .

(٤) زاد المسير ٧/ ١٢٩ بنحوه.

معاقبةً للأفراس؛ إذْ ذَبْح البهائم جائزٌ إذا كانت مأكولةً، بل عاقب نَفْسَه حتى لا تَشْغَلَه الخيلُ بعد ذلك عن الصلاة[١]. ولعله عَرْقَبها لِيذبحها فحبسها بالعرقبة عن النِّفار، ثم ذبحها في الحال لِيتصدَّق بلحمها؛ أو لأن ذلك كان مباحاً في شرعه فأتلفها لمَّا شغلته عن ذكر الله، حتى يقطع عن نفسه ما يشغله عن الله، فأثنى اللهُ عليه بهذا، وبيَّن أنه أثابه بأن سخَّرَ له الريح، فكان يقطع عليها من المسافة في يومٍ ما يقطع مثلَه على الخيل في شهرين غُدوًّا ورَواحاً[٢].

وقد قيل: إن الهاء في قوله: «رُدُّوها عليَّ» للشمس لا للخيل. قال ابن عباس: سألت عليًا عن هذه الآية فقال: ما بلغك فيها؟ فقلت: سمعتُ كعباً يقول: إن سليمان لما اشتغل بعرض الأفراس حتى توارت الشمسُ بالحجاب وفاتته الصلاةُ، قال: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي: آثرتُ حُبَّ الخير عن ذِكْرِ رَبِّي، الآية ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ يعني الأفراس، وكانت أربعَ عشرةَ؛ فضرب سُوقَها وأعناقَها بالسيف، وأن الله سلبه مُلكه أربعةَ عشرَ يوماً؛ لأنه ظلم الخيل. فقال علي بن أبي طالب: كذب كعب؛ لكن سليمان اشتغل بعرض الأفراس للجهاد حتى توارت؛ أي: غربت الشمسُ بالحجاب؛ فقال بأمر الله للملائكة المُوكَّلين بالشمس: «رُدُّوها» يعني الشمس، فَرَدُّوها حتى صلَّى العصر في وقتها، وأن أنبياءَ الله لا يَظْلِمون؛ لأنهم معصومون[٣].

قلت: الأكثر في التفسير أن التي توارت بالحجاب هي الشمس، وتركها لِدَلالة السامع عليها بما ذُكر مما يرتبط بها ويتعلَّق بذِكْرِها، حسب ما تقدَّم بيانه. وكثيراً ما يُضمرون الشمس؛ قال لبيد:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٩٤ بنحوه.

(٢) زاد المسير ٧/ ١٣٢ بنحوه.

(٣) مجمع البيان ٢٣/ ١١٣ . قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٢٢٢ : أورد هذا الأثر جماعة ساكتين عليه جازمين بقولهم: «قال ابن عباس: قلت لعلي» وهذا لا يثبت عن ابن عباس ولا عن غيره، والثابت عن جمهور أهل العلم بالتفسير من الصحابة ومن بعدهم أن الضمير المؤنث في قوله: «ردوها» للخيل، والله أعلم.

حتى إذا أَلْقَتْ يَداً في كافِرٍ ... وأجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغورِ ظَلامُها[(١)]

والهاء في «رُدُّوها» للخيل. ومَسْحُها؛ قال الزهري وابن كيسان: كان يمسح سُوقَها وأعناقَها، ويكشف الغبارَ عنها حُبًّا لها[(٢)]. وقاله الحسن وقتادة وابن عباس[(٣)].

وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ رُئيَ وهو يمسحُ فرسَه بردائه. وقال: «إني عُوتبتُ الليلةَ في الخيل»، خرّجه «الموطأ» عن يحيى بن سعيد مُرسلاً[(٤)]. وهو في غير «الموطأ» مسندٌ متصلٌ عن مالك عن يحيى بن سعيد عن أنس[(٥)]. وقد مضى في «الأنفال» قوله عليه الصلاة والسلام: «وامسحوا بنواصيها وأَكْفالها»[(٦)].

وروى ابن وهب عن مالك أنه مسحَ أعناقَها وسُوقها بالسيوف[(٧)].

قلت: وقد استدلَّ الشِّبلي وغيره من الصوفية في تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان هذا. وهو استدلالٌ فاسد؛ لأنه لا يجوز أن يُنسب إلى نبيٍّ معصوم أن فَعَل الفساد. والمفسرون اختلفوا في معنى الآية؛ فمنهم من قال: مسحَ على أعناقها وسُوقها إكراماً لها وقال: أنتِ في سبيل الله؛ فهذا إصلاح. ومنهم من قال: عَرْقبها ثم ذبحها، وذَبْحُ الخيل وأكلُ لحمها جائز. وقد مضى في «النحل» بيانه[(٨)]. وعلى هذا فما فَعَل شيئاً عليه فيه جُناح.

---

(١) ديوان لبيد ص٣١٦. قال شارحه: كافر: ليل ساتر. عورات الثغور: مواضع المخافة منها.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٦١.

(٣) أخرج أقوالهم الطبري ٢٠/ ٨٦-٨٧، لكن قول الحسن وقتادة عنده وفي تفسير البغوي ٤/ ٦١، والنكت والعيون ٥/ ٩٣ أنه عقرها وضرب سوقها وأعناقها.

(٤) الموطأ ١/ ٤٦٨.

(٥) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢٤/ ١٠٠. وقال: وقد رُوي عن مالك مسنداً عن يحيى بن سعيد عن أنس، ولا يصح.

(٦) ١٠/ ٥٨، والحديث أخرجه أحمد (١٩٠٣٢) وهو ضعيف.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٣٦.

(٨) ١٢/ ٢٨١ وما بعدها.

فأما إفسادُ ثوب صحيح لا لغرض صحيح فإنه لا يجوز. ومن الجائز أن يكون في شريعة سليمان جوازُ ما فعل، ولا يكون في شرعنا.

وقد قيل: إنما فعل بالخيل ما فعل بإباحة الله جلّ وعزّ له ذلك. وقد قيل: إنَّ مَسْحه إيّاها: وَسَمَها بالكَيِّ وجَعَلَها في سبيل الله؛ فالله أعلم. وقد ضُعِّف هذا القول من حيث إن السُّوق ليست بمحلٍّ للوسم بحال[1].

وقد يقال للكيِّ على الساق: عِلاطٌ، وعلى العُنق وِثاق. والذي في «الصحاح» للجوهري[2]: عَلَط البعيرَ عَلْطاً، كواه في عُنقه بسمة العِلاَط. والعِلاطان جانبا العُنق.

قلت: ومَن قال: إن الهاء في «رُدُّوها» ترجع للشمس، فذلك من معجزاته. وقد اتَّفق مثلُ ذلك لنبينا ﷺ؛ خرَّج الطحاوي في «مشكل الحديث» عن أسماء بنت عُمَيْس من طريقين أن النبي ﷺ كان يُوحَى إليه ورأسه في حِجْر عليّ، فلم يُصَلِّ العصر حتى غربت الشمس؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «أصليتَ يا علي» قال: لا. فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهمَّ إنه كان في طاعتك وطاعةِ رسولك فارْدُدْ عليه الشمس» قالت أسماء: فرأيتُها غربَتْ، ثم رأيتها بعد ما غربَتْ طلعَتْ على الجبال والأرض، وذلك بالصَّهْباء في خيبر. قال الطحاوي: وهذان الحديثان ثابتان، ورواتُهما ثِقات[3].

قلت: وضعَّف أبو الفرج ابن الجوزي هذا الحديث[4] فقال: وغلوُّ الرافضة في حُبِّ عليٍّ عليه السلام حملهم على أن وضعوا أحاديثَ كثيرةً في فضائله؛ منها أن

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٣٧ .

(٢) الصحاح (علط).

(٣) شرح مشكل الآثار (١٠٦٧) و(١٠٦٨)، وليس فيه قول الطحاوي: وهذان الحديثان ثابتان، ونقله المصنف عن الطحاوي بواسطة القاضي عياض في الشفا ١/ ٥٤٨-٥٤٩ وينظر التعليق التالي.

(٤) الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٢٦٦ ، وقال: هذا حديث موضوع بلا شك... ونقل ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ٣٧٩ عن الذهبي في تلخيص الموضوعات أن أسانيد هذا الحديث ساقطة ليست بصحيحة. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٢٢٢ : وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في «الموضوعات» وكذا ابن تيمية في كتاب «الرد على الروافض» في زعم وضعه، والله أعلم.

الشمسَ غابت ففاتَتْ علياً عليه السلام العصر فَرُدَّت له الشمس، وهذا من حيث النقلُ محال، ومن حيث المعنى، فإن الوقتَ قد فات وعَوْدُها طلوعٌ مُتجدِّد لا يردُّ الوقت.

ومن قال: إن الهاء ترجِعُ إلى الخيل، وأنها كانت تبعدُ عن عين سليمان في السباق، ففيه دليلٌ على المسابقة بالخيل، وهو أمرٌ مشروع. وقد مضى القولُ فيه في «يوسف»(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ قيل: فُتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة، وملك بعد الفتنة عشرين سنة؛ ذكر الزمخشري(٢).

و«فَتَنَّا» أي: ابتلينا وعاقبنا. وسببُ ذلك ما رواه سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: اختصم إلى سليمان عليه السلام فريقان؛ أحدُهما من أهل جرادة امرأة سليمان؛ وكان يُحبها، فهوى أن يقع القضاءُ لهم، ثم قضى بينهما بالحق، فأصابه الذي أصابه عقوبةً لذلك الهوى.

وقال سعيد بن المسيَّب: إن سليمان عليه السلام احتجب عن الناس ثلاثةَ أيام لا يقضي بين أحد، ولا يُنصف مظلوماً من ظالم؛ فأوحى الله تعالى إليه: إني لم أستخلفك لِتحتجبَ عن عبادي، ولكن لِتقضيَ بينهم وتُنصف مظلومَهم(٣).

(١) ١١/ ٢٨١ وما بعدها.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٣٤ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٩٤-٩٥ .

وقال شَهْر بن حَوْشَب ووهب بن مُنبِّه: إن سليمانَ عليه السلام سبى بنتَ ملكٍ غَزاهُ في البحر، في جزيرة من جزائر البحر يقال لها: صيدون. فأُلقيت عليه محبتُها وهي تُعرض عنه، لا تنظر إليه إلا شَزْراً، ولا تُكلمه إلا نَزْراً، وكان لا يرقأُ لها دمعٌ حزناً على أبيها، وكانت في غايةٍ من الجمال، ثم إنها سألته أن يصنعَ لها تِمثالاً على صورة أبيها حتى تنظرَ إليه، فأمر فَصُنِعَ لها، فعظَّمته وسجدَتْ له، وسجدت معها جواريها، وصار صنماً معبوداً في داره وهو لا يعلم، حتى مضت أربعون ليلة، وفشى خبره في بني إسرائيل، وعلم به سليمانُ فكسره، وحرقه ثم ذراه في البحر[١].

وقيل: إن سليمانَ لما أصاب ابنةَ ملك صيدون ـ واسمها جرادة، فيما ذكر الزمخشري[٢] ـ أُعجب بها، فعرض عليها الإسلام فأبَتْ، فخوَّفها فقالت: اقتلني ولا أُسلم، فتزوَّجها وهي مُشركة، فكانت تعبدُ صنماً لها من ياقوت أربعين يوماً في خُفية من سليمان؛ إلى أن أسلمتْ، فَعُوقِبَ سليمانُ بزوال مُلكه أربعين يوماً[٣].

وقال كعب الأحبار: إنه لمَّا ظلم الخيل بالقتل سُلب مُلكه.

وقال الحسن: إنه قارب بعضَ نسائه في شيء من حيض أو غيره[٤]. وقيل: إنه أُمِرَ ألاّ يتزوَّج امرأة إلا من بني إسرائيل، فتزوَّج امرأةً من غيرهم، فَعُوقب على ذلك؛ والله أعلم[٥].

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قيل: شيطان في قول أكثرِ أهل التفسير؛ ألقى اللهُ شبهَ سليمان عليه السلام عليه، واسمه صخر بن عمير صاحب البحر، وهو

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٩٥، وتفسير البغوي ٤/ ٦١.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٤.

(٣) عرائس المجالس ص٣٢٧.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٩٤.

(٥) عرائس المجالس ص٣٢٧. وهذه الأخبار من الإسرائيليات، وينظر ما سنذكره من الردّ عليها في آخر القصة.

الذي دلَّ سليمان على الماس حين أمر سليمان ببناء بيت المقدس[١]، فصوتت الحجارة لمَّا صُنعت بالحديد، فأخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة والفصوص وغيرها ولا تصوت.

قال ابن عباس: كان مارداً لا يقوى عليه جميع الشياطين، ولم يزل يحتال حتى ظَفِرَ بخاتم سليمان بن داود، وكان سليمان لا يدخل الكَنيف بخاتمه، فجاء صخر في صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأةٍ من نساء سليمان أمِّ ولدٍ له يقال لها: الأمينة؛ قاله شَهْرٌ ووهب.

وقال ابن عباس وابن جبير: اسمها جرادة. فقام أربعين يوماً على مُلك سليمانَ وسليمانُ هارب، حتى ردَّ الله عليه الخاتم والمُلْك.

وقال سعيد بن المسيَّب: كان سليمان قد وضع خاتمه تحت فراشه، فأخذه الشيطان من تحته. وقال مجاهد: أخذه الشيطان من يدِ سليمان؛ لأن سليمان سأل الشيطان ـ وكان أسمه آصف ـ: كيف تُضِلُّون الناس؟ فقال له الشيطان: أعطني خاتمك حتى أُخبرك. فأعطاه خاتمه، فلما أخذ الشيطانُ الخاتم جلس على كرسيِّ سليمان، مُتَشبِّهاً بصورته، داخلاً عل نسائه، يقضي بغير الحقّ، ويأمر بغير الصواب.

واختلف في إصابته لنساء سليمان، فَحُكي عن ابن عباس ووهب بن منبّه: أنه كان يأتيهنّ في حيضهنّ[٢]. وقال مجاهد: مُنِعَ من إتيانهنَّ. وزال عن سليمانَ مُلكه، فخرج هارباً إلى ساحل البحر يتضيَّف الناس؛ ويحمل سموكَ الصيادين بالأجر، وإذا أخبر الناسَ أنه سليمان أكذبوه. قال قتادة[٣]: ثم إن سليمانَ بعد أن استنكر بنو إسرائيل حُكم الشيطان أخذ حُوتة من صياد. قيل: إنه استطعمها. وقال ابن عباس: أخذها أُجرةً في حمل حوت. وقيل: إن سليمان صادها، فلما شقَّ بطنها وجد خاتمه فيها،

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٤.

(٢) هذا من أقبح الإسرائيليات التي ذُكرت في قصة سيدنا سليمان عليه السلام، كما ذكر الألوسي في روح المعاني ٢٣/١٩٩ ،وقال: الله أكبر، هذا بهتان عظيم، وخطب جسيم.

(٣) كذا في (ز) و(ظ) و(م)، وفي (د): قاله قتادة، غير أن سياق الكلام في النكت والعيون ٥/ ٩٦-٩٧ (وعنه نقل المصنف) لا يدل أنه من كلام قتادة.

وذلك بعد أربعين يوماً من زوال مُلكه: وهي عدد الأيام التي عُبِدَ الصنم في داره، وإنما وجد الخاتم في بطن الحوت؛ لأن الشيطانَ الذي أخذه ألقاه في البحر[١].

وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: بينما سليمان على شاطئ البحر وهو يَعبثُ بخاتمه، إذ سقط منه في البحر، وكان مُلكه في خاتمه[٢].

وقال جابر بن عبد الله: قال النبي ﷺ: «كان نقشُ خاتم سليمان بن داود: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله»[٣].

وحكى يحيى بن أبي عمرو السيباني[٤] أن سليمان وجد خاتمه بِعَسْقَلان، فمشى منها إلى بيت المقدس تواضعاً لله تعالى. قال ابن عباس وغيره: ثم إن سليمان لما ردَّ الله عليه مُلكه، أخذ صخراً الذي أخذ خاتمه، ونقر له صخرةً وأدخله فيها، وسدَّ عليه بأخرى وأوثقها بالحديد والرصاص، وختم عليها بخاتمه وألقاها في البحر؛ وقال: هذا مَحْبِسُكَ إلى يوم القيامة[٥].

وقال علي ﷺ: لما أخذ سليمانُ الخاتم، أقبلتْ إليه الشياطين والجن والإنس والطير والوحش والريح، وهرب الشيطانُ الذي خلف في أهله، فأتى جزيرةً في البحر، فبعث إليه الشياطينُ فقالوا: لا نقدر عليه، ولكنه يَرِد علينا في الجزيرة في كل سبعة أيام يوماً، ولا نقدِرُ عليه حتى يسكر. قال: فنزح سليمان ماءها، وجعل فيها خمراً، فجاء يومَ وُروده فإذا هو بالخمر، فقال: والله، إنك لشرابٌ طَيِّب إلا أنكِ

---

(١) النكت والعيون ٥/٩٦-٩٧ ، وهذه الأخبار من الإسرائيليات، وينظر ما سنذكره من الرد عليها آخر القصة.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/٣١٦ .

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٤/١٣٦٨ ، وفي إسناده شيخ بن أبي خالد، قال ابن عدي: أحاديثه مناكير. وقال الذهبي في الميزان ٢/٢٨٦ : متهم بالوضع، وذكر هذا الحديث وعدَّه من أباطيله.

(٤) في النسخ: الشيباني، وهو خطأ، والمثبت من تقريب التهذيب والأنساب ٧/ ٢١٤ قال الحافظ ابن حجر: وهو أبو زرعة الحمصي، ثقة، روايته عن الصحابة مرسلة، مات سنة (١٤٨هـ) أو بعدها.

(٥) النكت والعيون ٥/٩٨ .

تُطيشين الحليم، وتُزيدين الجاهل جهلاً. ثم عَطِشَ عطشاً شديداً، ثم أتاها[١] فقال مثلَ مَقَالته، ثم شربها، فغلبت على عقله؛ فأرَوه الخاتم فقال: سمعاً وطاعة. فأتَوا به سليمانَ فأوثقه وبعث به إلى جبل، فذكروا أنه جبل الدخان، فقالوا: إنَّ الدخان الذي ترون من نَفَسه، والماء الذي يخرج من الجبل من بَوْله[٢].

وقال مجاهد: اسم ذلك الشيطان آصف. وقال السُّدي: اسمه حبقيق؛ فالله أعلم[٣].

وقد ضُعِّفَ هذا القول من حيث إن الشيطان لا يَتصوَّر بصورة الأنبياء، ثم من المُحال أن يلتبس على أهل مملكة سليمان الشيطانُ بسليمان حتى يظنُّوا أنهم مع نبيهم في حقّ، وهم مع الشيطان في باطل.

وقيل: إن الجسد وَلَدٌ وُلِدَ لسليمان، وأنه لما وُلد اجتمعت الشياطين؛ وقال بعضهم لبعض: إنْ عاش له ابن لم ننفكَّ مما نحن فيه من البلاء والسُّخرة، فتعالَوا نقتل ولده أو نُخبِّله. فعلم سليمانُ بذلك فأمر الريحَ حتى حملته إلى السَّحاب، وغدا ابنه في السحاب خوفاً من مَضَرَّة الشياطين، فعاقبه الله بخوفه من الشياطين، فلم يشعر إلا وقد وقع على كرسيه ميتاً. قال معناه الشعبي. فهو الجسد الذي قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾[٤].

وحكى النقاش وغيره: إنَّ أكثر ما وَطِئ سليمان جواريه طلباً للولد، فَوُلد له نصفُ إنسان، فهو كان الجسد المُلقى على كرسيه جاءت به القابلة فألقته هناك[٥].

---

(١) في (م): أتاه.

(٢) هذا الكلام لا يُعوَّل عليه، ولا يخفى على القارئ بطلانه.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٩٧ ، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٠/ ٨٩ ، والمشهور أن آصف اسم الرجل الذي عنده علم من الكتاب. كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٤٥٩ .

(٤) عرائس المجالس ص٣٢٧-٣٢٨ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٩٦ . والعبارة فيه: إنه أكثر من وطء جواريه طلباً للولد... وسلف قريباً أن أكثر =

وفي «صحيح» البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال سليمانُ: لأَطُوفنَّ الليلةَ على تسعين امرأةً كلُّهن تأتي بفارس يُجاهد في سبيل الله؛ فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يَقُلْ: إنْ شاء الله، فطاف عليهنَّ جميعاً، فلم تحمل منهنَّ إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءتْ بشِقِّ رجل، وايمُ الذي نفسُ محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»(١).

وقيل: إن الجسد هو آصف بن برخيا الصدّيق كاتب سليمان، وذلك أن سليمان لما فُتِنَ سقط الخاتم من يده وكان فيه مُلكه، فأعاده إلى يده فسقط، فأيقن بالفتنة؛ فقال له آصف: إنك مفتون، ولذلك لا يتماسك في يدك، فَفِرَّ إلى الله تعالى تائباً من ذلك، وأنا أقومُ مقامك في عالمك إلى أن يتوب اللهُ عليك، ولك من حين فُتنت أربعةَ عشرَ يوماً. فَفَرَّ سليمانُ هارباً إلى ربه، وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت، وكان عنده علمٌ من الكتاب. وقام آصفُ في ملك سليمان وعياله، يسير بسيره ويعمل بعمله، إلى أن رَجَعَ سليمان إلى منزله تائباً إلى الله تعالى، وردَّ الله عليه مُلكه؛ فأقام آصفُ في مَجْلسه، وجلس على كرسيه وأخذ الخاتم(٢).

وقيل: إنَّ الجسد كان سليمانَ نَفْسَه؛ وذلك أنه مرض مرضاً شديداً حتى صار جسداً. وقد يُوصف به المريض المُضنى، فيقال: كالجسد المُلقى(٣).

= المفسرين قالوا: الجسد الملقى شيطان، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٤٦١ : وهو المعتمد، والنقاش صاحب مناكير.

(١) صحيح البخاري (٦٦٣٩)، وصحيح مسلم (١٦٥٤)، وسلف ١٨/ ١٦٦ .

(٢) عرائس المجالس ص٣٢٧ .

(٣) هذه القصص التي ذكرها المفسرون في قصة سيدنا سليمان عليه السلام كلها من الإسرائيليات فيما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/ ٦٨-٦٩ وقد ذكر الكثير منها، وقال فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس ـ إن صح عنه ـ من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في السياق منكرات أشدُّها ذكر النساء.. وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف.. وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب.

وذكر أبو حيان في البحر ٧/ ٣٩٧ أنها من وضع اليهود والزنادقة، وأنه لا يحل نقلها، ويجب براءة =

صفة كرسيّ سليمان ومُلكه

روي عن ابن عباس قال: كان سليمانُ يُوضع له ستُّ مئة كرسيّ، ثم يجيء أشراف الناس فيجلسون مما يَليه، ثم يأتي أشرافُ الجن فيجلسون مما يلي الإنس، ثم يدعو الطير فَتُظِلُّهم، ثم يدعو الريح فَتُقِلُّهم، وتسير بالغَداة الواحدة مسيرة شهر[١].

وقال وهب وكعب وغيرهما: إن سليمان عليه السلام لما مَلَك بعد أبيه، أمر باتِّخاذ كرسيٍّ لِيجلسَ عليه للقضاء، وأمر أن يُعمل بَديعاً مَهولاً بحيث إذا رآه مُبطِلٌ أو شاهدُ زور ارتدع وتهيَّب؛ فأمر أن يُعمل من أنياب الفيلة مُفصَّصة بالدُّرِّ والياقوت والزبرجد، وأن يُحَفَّ بنخيل الذهب؛ فَحُفَّ بأربع نَخَلات من ذهب، شماريخها الياقوت الأحمر والزُّمُرُّد الأخضر، على رأس نخلتين منهما طاووسان من ذهب، وعلى رأس نخلتين نسران من ذهب بعضها مقابلٌ لبعض، وجعلوا من جنبي الكرسيّ أسدين من ذهب، على رأس كل واحد منهما عمودٌ من الزُّمُرُّد الأخضر. وقد عقدوا على النخلات أشجارَ كروم من الذهب الأحمر؛ واتخذوا عناقيدَها من الياقوت الأحمر، بحيث أظلَّ عريش الكروم النخلَ والكرسي.

وكان سليمان عليه السلام إذا أراد صُعودَه وضع قدميه على الدرجة السُّفلى، فيستدير الكرسيّ كلُّه بما فيه دورانَ الرَّحى المُسرعة، وتنشر تلك النُّسور والطواويس أجنحتَها، ويبسط الأسدان أيديَهما، ويضربان الأرض بأذنابهما. وكذلك يُفعل في كل درجة يَصْعَدها سليمان، فإذا استوى بأعلاه أخذ النَّسران اللذان على النخلتين تاجَ سليمان فوضعاه على رأسه، ثم يستدير الكرسي بما فيه، ويدور معه النَّسران

= الأنبياء منها، وقال: لم يُبيِّن الله الفتنة ما هي ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان، ويستحيل عقلاً وجود بعض ما ذكروه، كتمثل الشيطان بصورة نبي حتى يلتبس أمره عند الناس، ويعتقدون أن ذلك المتصور هو النبي، ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبي، وإنما هذه مقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية، نسأل الله سلامة أذهاننا وعقولنا منها. قال الدكتور أبو شهبة في كتابه الإسرائيليات في التفسير ص٢٧٤ : وأيُّ مُلك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه، ويزولان بزواله.. وإذا كان خاتم سليمان عليه السلام بهذه المثابة، فكيف يُغفِل الله شأنَه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية؟!!..

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١١/ ٥٣٦ ، وفيه: ست مئة ألف كرسي.

والطاووسان والأسدان، مائلان برؤوسهما إلى سليمان، وينضحن عليه من أجوافهن المِسْك والعنبر، ثم تُناوله حمامةٌ من ذهب قائمةٌ على عمود من أعمدة الجواهر فوق الكرسي التوراة، فيفتحها سليمان عليه السلام ويقرؤُها على الناس ويدعوهم إلى فَصْل القضاء.

قالوا: ويجلس عظماءُ بني إسرائيل على كراسي الذهب المُفصَّصة بالجواهر، وهي ألفُ كرسيّ عن يمينه، ويجلس عظماءُ الجن على كراسي الفضة عن يساره، وهي ألفُ كرسيّ، ثم تحفُّ بهم الطير تُظِلُّهم، ويتقدَّم الناسُ لفصل القضاء. فإذا تقدَّمت الشهود للشهادات، دار الكرسيّ بما فيه وعليه دورانَ الرَّحى المُسرعة، ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما، وينشر النَّسران والطاووسان أجنحتهما، فتفزع الشهود فلا يشهدون إلا بالحق.

وقيل: إن الذي كان يدور بذلك الكرسيّ تِنِّين من ذهب، ذلك الكرسيُّ عليه، وهو عظيم مما عمله له صخر الجنيّ؛ فإذا أحسَّتْ بدورانه تلك النسور والأسد والطواويس التي في أسفل الكرسيّ إلى أعلاه دُرْن معه، فإذا وقفن وقَفْن كلُّهن على رأس سليمان وهو جالس، ثم ينضحن جميعاً على رأسه ما في أجوافهنّ من المسك والعنبر. فلما توفي سليمانُ بعث بُختَنصَّر فأخذ الكرسيّ، فحمله إلى أنطاكية، فأراد أن يصعدَ إليه، ولم يكن له علم كيف يصعد إليه؛ فلما وضع رِجْلَه ضرب الأسدُ رِجْلَه فكسرها، وكان سليمان إذا صَعِدَ وضع قدميه جميعاً. ومات بُخْتَنصَّر، وحُمل الكرسيّ إلى بيت المقدس، فلم يستطع قطّ مَلِكٌ أن يجلسَ عليه، ولكن لم يدرِ أحدٌ عاقبة أمره، ولعله رُفع[1].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رَجَعَ إلى الله وتاب. وقد تقدّم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ أي: اغفِرْ لي ذنبي ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ

(١) أورده ابن كثير في تفسيره ٧/ ٦٩-٧٠ وعزاه لابن أبي حاتم، وقال: هو غريب جداً.

﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ يقال: كيف أقدم سليمانُ على طلب الدنيا، مع ذمِّها من الله تعالى، وبُغضه لها، وحقارتها لديه؟. فالجواب أن ذلك محمولٌ عند العلماء على أداء حقوق الله تعالى وسياسةِ مُلْكه[١]، وترتيب منازل خَلْقه، وإقامةِ حدوده، والمحافظة على رسومه، وتعظيم شعائره، وظُهور عبادته، ولُزوم طاعته، ونَظْم قانون الحُكم النافذ عليهم منه، وتحقيق الوعود في أنه يعلم ما لا يعلم أحدٌ من خلقه حَسَبَ ما صرَّح بذلك لملائكته فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وحُوشي سليمان عليه السلام أن يكون سؤاله طلباً لنفس الدنيا؛ لأنه هو والأنبياء أزهدُ خلق الله فيها، وإنما سأل مملكتها لله، كما سأل نوحٌ دمارَها وهلاكَها لله؛ فكانا محمودين مُجابين إلى ذلك، فأُجيب نوحٌ فأُهْلِكَ من عليها، وأُعطي سليمان المملكة.

وقد قيل: إن ذلك كان بأمرٍ من الله جلّ وعزّ على الصِّفة التي علم الله أنه لا يضبطه إلا هو وحده دون سائر عباده، أو أراد أن يقول: مُلكاً عظيماً فقال: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾[٢]، وهذا فيه نظر. والأوّل أصح.

ثم قال له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾، قال الحسن: ما من أحد إلا ولله عليه تبعةٌ في نِعَمِهِ غيرَ سليمان بن داود عليه السلام، فإنه قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ الآية[٣].

قلت: وهذا يردُّ ما روي في الخبر: إنَّ آخرَ الأنبياء دخولاً[٤] الجنةَ سليمانُ بن داود عليه السلام لمكان مُلكه في الدنيا. وفي بعض الأخبار: يدخل الجنةَ بعد الأنبياء بأربعين خريفاً؛ ذكره صاحب «القوت» وهو حديث لا أصل له؛ لأنه سبحانه إذا كان عطاؤه لا تبعةَ فيه؛ لأنه من طريق المِنَّة، فكيف يكون آخرَ الأنبياء دخولاً الجنة، وهو

---

(١) الكلام بمعناه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٣٧ .

(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٥ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٠٠ .

(٤) في (م): دخول.

سبحانه يقول: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾. وفي الصحيح: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة، فتعجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوته» الحديث[1]، وقد تقدَّم، فجعلَ له من قَبْلِ السؤال حاجةً مقْضيَّةً، فلذلك لم تكن عليه تَبِعة.

ومعنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ أي: أن يسأله. فكأنه سأل منعَ السؤال بعده، حتى لا يتعلَّق به أملُ أحد، ولم يسأل منع الإجابة. وقيل: إنَّ سُؤالَه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده؛ ليكون محلَّه وكرامته من الله ظاهراً في خلق السماوات والأرض؛ فإن الأنبياء عليهم السلام لهم تنافُسٌ في المحلّ عنده، فكلٌّ يُحِبُّ أن تكون له خُصوصيةٌ يستدلُّ بها على محلِّه عنده، ولهذا لما أخذ النبيُّ ﷺ العِفْريت الذي أراد أن يقطعَ عليه صلاته وأمكنه اللهُ منه، أراد رَبْطه، ثم تذكَّر قولَ أخيه سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فردَّه خاسِئاً[2].

فلو أُعطي أحدٌ بعدَه مِثْلَه ذهبت الخُصوصية، فكأنه كَرِهَ ﷺ أن يُزاحمه في تلك الخُصوصية، بعد أن عَلِمَ أنه شيء هو الذي خُصَّ به من سخرة الشياطين، وأنه أُجيب إلى ألا يكون لأحدٍ بعده. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ أي: لَيِّنة مع قوّتها وشِدَّتها حتى لا تضرَّ بأحد، وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه. وكان موكبه فيما رُوي فرسخاً في فرسخ، مئة درجة بعضُها فوق بعض، كلُّ درجة صنفٌ من الناس، وهو في أعلى درجة مع جواريه وحَشَمه وخَدَمه؛ صلوات الله وسلامه عليه.

وذكر أبو نعيم الحافظ قال: حدّثنا أحمد بن جعفر، قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال حدّثنا أحمد بن محمد بن أيوب، قال: حدّثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن وهب بن مُنبِّه، قال: حدَّثني أبي قال: كان لسليمان بن داود عليه السلام ألفُ بيت أعلاه قواريرُ وأسفله حديد، فركب الريح يوماً فمرَّ بحَرَّاث،

---

(١) أخرجه أحمد (٧٧١٤)، ومسلم (١٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٦٩)، والبخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وسلف ٩/ ١٨٩ .

فنظر إليه الحرَّاث فقال: لقد أُوتي آلُ داود مُلكاً عظيماً، فحملت الريح كلامَه فألقته في أُذن سليمان، قال: فنزل حتى أتى الحرَّاث فقال: إني سمعتُ قولك، وإنما مشيتُ إليك لئلا تتمنَّى ما لا تَقدِرُ عليه؛ لَتَسبيحةٌ واحدة يقبلُها الله منك خيرٌ مما أُوتي آل داود. فقال الحرَّاث: أذهبَ اللهُ هَمَّك كما أذهبتَ هَمِّي[١].

قوله تعالى: ﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾ أي: أراد؛ قاله مجاهد[٢]. والعرب تقول: أصاب الصوابَ، وأخطأ الجواب. أي: أراد الصوابَ، وأخطأ الجواب؛ قاله ابن الأعرابي[٣]. وقال الشاعر:

أَصَابَ الكلامَ فلم يَستطِعْ فأخْطا الجوابَ لَدَى المفصلِ[٤]

وقيل: أصاب أراد بلغة حِمْير[٥]. وقال قتادة: هو بلسان هَجَر. وقيل: «حَيْثُ أَصَابَ» حيثما[٦] قصد، وهو مأخوذٌ من إصابة السَّهم الغرضَ المقصود[٧]. ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾ أي: وسخَّرنا له الشياطين، وما سُخِّرت لأحدٍ قبلَه. «كُلَّ بَنَّاءٍ» بدل من الشياطين، أي: كل بنَّاء منهم، فهم يبنون له ما يشاء. قال:

إلاَّ سليمانَ إذ قال الإلهُ له قُمْ في البريَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَدِ
وَخَيِّسِ الجِنَّ إني قد أذِنْتُ لهم يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ[٨]

«وغَوَّاص» يعني: في البحر يستخرجون له الدُّرّ. فسليمانُ أوَّل من استُخرِجَ له اللؤلؤ من البحر[٩].

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٥٩ .
(٢) أخرجه الطبري ٢٠/ ٩٧ .
(٣) ياقوتة الصراط ص٤٤٠ وينظر النكت والعيون ٥/ ٩٩ .
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦ .
(٥) عرائس المجالس ص٢٩٥ .
(٦) في (م): حينما.
(٧) النكت والعيون ٥/ ٩٩ .
(٨) البيتان للنابغة الذبياني، وهما في ديوانه ص٣٣ ، وقد سلفا ١٧/ ٢٦٧ ، والبيت الأول سلف ١٢/ ٧ .
(٩) النكت والعيون ٣/ ٤٦١ .

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ أي: وسخَّرنا له مردةَ الشياطين حتى قرنهم في سلاسل الحديد وقيود الحديد؛ قاله قتادة. السُّدّي: الأغلال[1]. ابن عباس: في وثاق. ومنه قال الشاعر:

فـآبُـوا بـالـنِّـهَـاب وبـالـسَّـبـايـا وأُبـنـا بـالـمـلـوك مُـصَـفَّـدِيـنـا[2]

قال يحيى بن سلاّم: ولم يكن يفعل ذلك إلا بكُفَّارهم، فإذا آمنوا أطلقهم ولم يُسخِّرهم[3].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ الإشارةُ بهذا إلى المُلك، أي: هذا الملك عطاؤنا، فأَعْطِ مَن شئتَ أو امنع مَن شئتَ، لا حسابَ عليك؛ عن الحسن والضحاك وغيرهما[4].

قال الحسن: ما أنعم اللهُ على أحدٍ نعمةً إلا عليه فيها تبعة إلا سليمان عليه السلام؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[5].

وقال قتادة: الإشارة في قوله تعالى: «هَذَا عَطَاؤُنَا» إلى ما أُعطيه من القوّة على الجماع، وكانت له ثلاث مئة امرأة وسبع مئة سُرِّيّة، وكان في ظهره ماء مئة رجل؛ رواه عكرمة عن ابن عباس[6]. ومعناه في البخاري[7]. وعلى هذا «فَامْنُنْ» من المنيّ؛ يقال: أمْنَى يُمني، ومَنَى يَمني لغتان، فإذا أمرتَ من أمنى قلت: أمْنِ؛ ويقال من

(١) أخرجهما الطبري ٢٠/ ٩٨-٩٩ .

(٢) قائله عمرو بن كلثوم، وهو في معلقته ص١٠٠ (بشرح ابن كيسان).

(٣) النكت والعيون ٥/ ٩٩ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٩٩.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٩٩ ، وسلف ١٨/ ٢٠٦ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٠/ ١٠٠ . قال أبو حيان في البحر ٧/ ٣٩٩ : ولعله لا يصح عن ابن عباس؛ لأنه لم يجرِ هنا ذكر النساء ولا ما أوتي من القدرة على ذلك.

(٧) يُشير إلى حديث: «قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة.....» وهو في صحيح البخاري (٦٦٣٩)، وسلف ١٨/ ٢٠٣ .

مَنَى يَمْني في الأمر: امنِ، فإذا جئتَ بنون الفعل نون الخفيفة قلتَ: امْنِنْ. ومن ذهب به المِنّة قال: مَنَّ عليه؛ فإذا أخرجه مُخرجَ الأمر أبرزَ النونين؛ لأنه كان مضاعفاً فقال: امنُنْ. فيُروى في الخبر أنه سخَّر له الشياطين، فمن شاء مَنَّ عليه بالعِتْق والتخلية، ومَنْ شاء أمْسكه؛ قاله قتادة والسُّدي[١]. وعلى ما روى عكرمةُ عن ابن عباس: أي: جامِعْ مَنْ شئتَ من نسائك، واترك جِماعَ مَنْ شئتَ منهنَّ لا حسابَ عليك[٢]. ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أي: إنْ أنعمنا عليه في الدنيا فله عندنا في الآخرة قُربةٌ وحُسْنُ مَرْجع.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ أمرٌ للنبي ﷺ بالاقتداء بهم في الصبر على المَكاره. «أيُّوبَ» بدل.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ وقرأ عيسى بن عمر: «إنّي» بكسر الهمزة، أي: قال. قال الفراء[٣]: وأجمعت القُرَّاء على أن قرؤوا: «بِنُصْبٍ» بضم النون والتخفيف. النحاس: وهذا غلطٌ وبعده مُناقضة وغلطٌ أيضاً؛ لأنه قال: أجمعت القُرَّاء على هذا، وحكى بعده أنهم ذكروا عن يزيدَ بن القعقاع أنه قرأ: «بِنَصَب» بفتح النون والصاد، فَغَلِطَ على أبي جعفر، وإنما قرأ أبو جعفر: «بِنُصُب» بضم النون والصاد[٤]؛ كذا حكاه أبو عُبيد وغيره، وهو مَرْوي عن الحسن[٥].

---

(١) أخرجه الطبري ٢٠/ ١٠٢.

(٢) ذكره الطبري ٢٠/ ١٠٣ ولم ينسبه لأحد.

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٤٠٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس ٣/ ٤٦٥، وما قبله منه، وقراءة عيسى ابن عمر في المحرر الوجيز أيضاً ٤/ ٥٠٧.

(٤) النشر ٢/ ٣٦١.

(٥) القراءات الشاذة ص١٣٠.

فأما «بِنَصَب» فقراءة عاصم الجحدريّ ويعقوب الحضرميّ[١]. وقد رُويت هذه القراءة عن الحسن. وقد حكي «بِنَصْب» بفتح النون وسكون الصاد عن أبي جعفر. وهذا كلُّه عند أكثر النحويين بمعنى النَّصَبِ؛ فَنُصْب ونَصَب كَحُزْن وحَزَن.

وقد يجوز أن يكون نُصْب جمع نَصَب كوَثَن ووُثْن. ويجوز أن يكون نُصْب بمعنى نُصُب حُذفت منه الضَّمة، فأما ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] فقيل: إنه جمع نصاب. وقال أبو عُبيدة[٢] وغيره: النُّصْبُ الشرّ والبلاء. والنّصَب التَّعب والإعياء.

وقد قيل في معنى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ أي: ما يلحقه من وسوسته لا غير. والله أعلم. ذكره النحاس[٣].

وقيل: إن النُّصْب ما أصابه في بدنه، والعذاب ما أصابه في ماله[٤]؛ وفيه بُعْد.

وقال المفسرون: إن أيوبَ كان رُوميًّا من البَثَنِيَّة[٥]، وكُنيته أبو عبد الله، في قول الواقدي؛ اصطفاه الله بالنبوّة، وآتاه جملةً عظيمةً من الثروة في أنواع الأموال والأولاد. وكان شاكراً لِأَنعُم الله، مُواسياً لعباد الله، بَرّاً رحيماً. ولم يُؤمن به إلا ثلاثةُ نفر. وكان لإبليس موقفٌ من السماء السابعة في يوم من الأيام، فوقف به إبليس على عادته؛ فقال الله له، أو قيل له عنه: أَقَدَرْتَ من عبدي أيوبَ على شيء؟! فقال: يا رب، وكيف أقدِرُ منه على شيء، وقد ابتليتَهُ بالمال والعافية، فلو ابتليتَه بالبلاء والفقر ونزعْتَ منه ما أعطيتَه لحال عن حاله، ولَخرج عن طاعتك. قال الله: قد سلَّطتك على أهله وماله.

---

(١) النشر ٢/ ٣٦١.

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ١٨٤.

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٤٦٥.

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٠١ عن السدي.

(٥) قال ابن إسحاق ـ كما في روح المعاني ٢٣/ ٢٠٥ ـ: الصحيح أنه كان من بني إسرائيل. والبَثَنِيَّة: ناحية من نواحي دمشق. معجم البلدان ١/ ٣٣٨.

فانحطَّ عدوُّ الله فجمع عفاريتَ الجن، فأعلمهم، وقال قائل منهم: أكون إعصاراً فيه نارٌ أُهلِكُ مالَه فكان؛ فجاء أيوبَ في صورة قَيِّم ماله فأعلمه بما جرى؛ فقال: الحمد لله، هو أعطاه وهو مَنَعه. ثم جاء قصرَه بأهله وولده، فاحتمل القصر من نواحيه حتى ألقاه على أهله وولده، ثم جاء إليه وأعلمه فألقى التراب على رأسه، وصَعِدَ إبليس إلى السماء، فسبقته توبةُ أيوب.

قال: يارب سلِّطني على بدنه. قال: قد سلَّطتك على بدنه إلا على لسانه وقلبه وبصره، فنفخ في جسده نفخة اشتعل [منها] فصار في جسده ثآليلُ، فحكَّها بأظفاره حتى دَمِيتْ، ثم بالفَخَّار حتى تساقط لحمه. وقال عند ذلك: «مَسَّنِيَ الشيطانُ». ولم يخلص إلى شيء من حشوة البطن؛ لأنه لا بقاءَ للنَّفْس إلا بها، فهو يأكل ويشرب، فمكث كذلك ثلاثَ سنين.

فلما غلبه أيوبُ اعترض لامرأته في هيئةٍ أعظمَ من هيئة بني آدم في القدر والجمال، وقال لها: أنا إلهُ الأرض، وأنا الذي صنعتُ بصاحبكِ ما صنعت، ولو سجدتِ لي سجدةً واحدة لَرَدَدْتُ عليه أهلَه[١] ومالَه وهم عندي. وعرض لها في بطن الوادي ذلك كلَّه في صورته؛ أي: أظهره لها، فأخبرت أيوبَ، فأقسم أن يضربها إنْ عافاه الله[٢].

وذكروا كلاماً طويلاً في [سبب بلائه و][٣] مراجعته لِرَبِّه وتبرُّمه من البلاء الذي نزل به، وأن النَّفرَ الثلاثةَ الذين آمنوا به نَهَوْهُ عن ذلك واعترضوا عليه؛ وقيل: استعان به مظلومٌ فلم ينصره، فابتُلي بسبب ذلك. وقيل: استضاف يوماً الناس فمنع فقيراً الدخولَ، فابتُليَ بذلك. وقيل: كان أيوبُ يغزو مَلِكاً، وكان له غنم في ولايته، فداهنه

---

(١) في النسخ الخطية: حاله، والمثبت من (م).

(٢) أخرجه الطبري ١٦/ ٣٣٤ وما بعدها عن وهب بن منبه، وما بين حاصرتين منه، وسلفت قصة أيوب عليه السلام ١٤/ ٢٥٦ وما بعدها، وذكرنا ثمة أن ما ورد من أخبار في مرضه المنفر كلها من الإسرائيليات، وسيذكر المصنف قريباً ردَّ ابن العربي على هذا الخبر.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، وقد أضافها محققو (م).

لأجلها بترك غزوه فابتُلي[١]. وقيل: كان الناس يتعدّون امرأته، ويقولون: نخشى العَدْوى، وكانوا يستقذرونها؛ فلهذا قال: «مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ».

وامرأته ليا بنت يعقوب. وكان أيوب في زمن يعقوب وكانت أمه ابنةَ لوط[٢]. وقيل: كانت زوجةُ أيوب رحمةَ بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام. ذكر القولين الطبري رحمه الله[٣].

قال ابن العربي: ما ذكره المفسرون من أن إبليسَ كان له مكان في السماء السابعة يوماً من العام فقولٌ باطل؛ لأنه أُهبط منها بلعنة وسخطٍ إلى الأرض، فكيف يرقَى إلى محلِّ الرِّضا، ويجول في مقامات الأنبياء، ويخترق السماواتِ العُلى، ويعلو إلى السماء السابعة إلى منازل الأنبياء، فَيقِفُ موقفَ الخليل؟! إن هذا لخطبٌ من الجهالة عظيم.

وأما قولهم: إن الله تعالى قال له: هل قدرتَ من عبدي أيوب على شي فباطلٌ قطعاً؛ لأن الله عز وجل لا يُكلِّم الكفار الذين هم من جند إبليس الملعون؛ فكيف يُكلِّم من تَوَلَّى إضلالَهم؟!.

وأما قولهم: إن الله قال: قد سلَّطتك على ماله وولده، فذلك مُمكن في القُدرة، ولكنه بعيدٌ في هذه القصة. وكذلك قولهم: إنه نفخَ في جسده حين سلَّطه عليه، فهو أبعدُ، والباري سبحانه قادرٌ على أن يخلقَ ذلك كلَّه من غير أن يكون للشيطان فيه كَسْبٌ حتى تَقَرَّ له ـ لعنةُ الله عليه ـ عينٌ بالتمكُّن من الأنبياء في أموالهم وأهليهم وأنفسهم.

وأما قولهم: إنه قال لزوجته: أنا إله الأرض، ولو تركتِ ذكرَ الله وسجدتِ أنتِ لي لَعافيته، فاعلموا، وإنكم لَتعلمون أنه لو عرضَ لأحدكم وبه ألمٌ، وقال هذا الكلام

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٦.

(٢) النكت والعيون ٥/ ١٠١.

(٣) التعريف والإعلام للسهيلي ص١٥٠.

ما جاز عنده أن يكون إلهاً في الأرض، وأنه يسجد له، وأنه يُعافي من البلاء، فكيف أن تستريبَ زوجةُ نبيٍّ؟! ولو كانت زوجةَ سواديّ أو فَدْم[١] بربريّ ما ساغ ذلك عندها.

وأما تصويرُه الأموالَ والأهلَ في وادٍ للمرأة، فذلك ما لا يقدر عليه إبليسُ بحال، ولا هو في طريق السِّحر، فيقال: إنه من جنسه.

ولو تُصُوّر لَعلمت المرأة أنه سحرٌ كما نعلمه نحن، وهي فوقَنا في المعرفة بذلك؛ فإنه لم يخلُ زمان قطّ من السِّحرِ وحديثه وجَرْيه بين الناس وتصويره.

قال القاضي: والذي جرَّأهم على ذلك وتذرَّعوا به إلى ذِكْر هذا قولُه تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ فلما رَأَوْه وقد شكا مَسَّ الشيطان أضافوا إليه من رأيهم ما سبق من التفسير في هذه الأقوال.

وليس الأمرُ كما زعموا والأفعال كلُّها خيرها وشرها، في إيمانها وكفرها، طاعتها وعصيانها، خالقها هو الله لا شريكَ له في خلقه، ولا في خلق شيء غيرها، ولكن الشرَّ لا يُنسب إليه ذِكراً، وإن كان موجوداً منه خَلْقاً؛ أدباً أدَّبنا به، وتحميداً علَّمناه، وكان من ذِكْر محمد ﷺ لربه به قوله من جملته: «والخيرُ في يديكَ، والشرُّ ليس إليك»[٢] على هذا المعنى. ومنه قول إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ وقال الفتى للكليم: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣].

وأما قولهم: إنه استعان به مظلومٌ فلم ينصره، فمن لنا بصحة هذا القول. ولا يخلو أن يكون قادراً على نصره، فلا يحلّ لأحدٍ تركُه فَيُلام على أنه عصى وهو مُنزَّه عن ذلك. أو كان عاجزاً فلا شيء عليه في ذلك، وكذلك قولهم: إنه منع فقيراً من الدخول؛ إن كان علم به فهو باطلٌ عليه، وإن لم يعلم به فلا شيء عليه فيه.

---

(١) الفَدْم من الناس: العَيِيُّ عن الحُجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم. اللسان (فدم).

(٢) أخرجه أحمد (٧٢٩)، ومسلم (٧٧١)، وسلف مطولاً ٩/ ١٤٠ .

وأما قولهم: إن داهن على غَنَمه الملكَ الكافر، فلا تقل: داهن، ولكن قل: دارَى. ودفعُ الكافر والظالم عن النفس أو المال بالمال جائز؛ نعم وبحسن الكلام.

قال ابن العربي القاضي أبو بكر ﷺ: ولم يصحَّ عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين؛ الأولى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] والثانية في «صَ» ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

وأما النبي ﷺ فلم يصحّ عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «بينا أيوبُ يغتسلُ إذ خَرَّ عليه رِجلٌ مِن جرادٍ من ذَهَب» الحديث[١].

وإذ لم يصحَّ عنه فيه قرآن ولا سُنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يُوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أيِّ لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضةٌ عند العلماء على البَتات؛ فأعرِضْ عن سُطورها بصرك، واصممْ عن سماعها أُذنيك، فإنها لا تُعطي فِكْرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادَك إلا خبالاً.

وفي الصحيح ـ واللفظ للبخاري ـ أن ابن عباس قال: يا معشرَ المسلمين، تسألون أهلَ الكتاب وكتابكم الذي أُنزِلَ على نبيكم أحدثُ الأخبار بالله، تقرؤونه مَحْضاً لم يُشَبْ، وقد حدَّثكم أن أهل الكتاب قد بدَّلوا من كتب الله وغيَّروا وكتبوا بأيديهم الكتب؛ فقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩] ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا والله، ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أُنزل عليكم[٢]. وقد أنكر النبي ﷺ في حديث «الموطأ» على عمر قراءتَه التوراة[٣].

قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ الرَّكْض الدَّفع بالرجل. يقال: رَكَض الدابةَ ورَكَض ثوبه برجله. وقال المبرّد: الرَّكْض التحريك؛ ولهذا قال الأصمعي: يقال: رُكِضَت

(١) سلف ٤/ ٤٨٣ و١٥/ ١٨٢ .

(٢) صحيح البخاري (٧٥٢٣). وقوله: لم يُشَب، أي: لم يُخالطه غيره

(٣) أخرجه أحمد (١٥١٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه، وفي إسناده مجالد بن سعيد، وهو ضعيف، كما في التقريب. ولم نقف عليه في الموطأ. .

الدابّة. ولا يقال: رَكَضَت هي؛ لأن الركضَ إنما هو تحريكُ راكبها رجليه ولا فعلَ لها في ذلك. وحكى سيبويه: رَكَضتُ الدابةَ، فركضتْ، مثل: جَبرتُ العظم فَجبَر، وحزنته فحزن؛ وفي الكلام إضمار: أي: قلنا له: «ارْكُضْ» قاله الكسائي[١]. وهذا لمَّا عافاه الله.

﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي: فَركَضَ فنبعتْ عينُ ماء فاغتسل به، فذهب الداءُ من ظاهره، ثم شرب منه فذهب الداءُ من باطنه.

وقال قتادة: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها: الجابية، فاغتسل من إحداهما، فأذهب اللهُ تعالى ظاهرَ دائه، وشَرِبَ من الأُخرى، فأذهب الله تعالى باطنَ دائه. ونحوه عن الحسن[٢] ومقاتل؛ قال مقاتل: نَبعتْ عينٌ حارّة واغتسل فيها، فخرج صحيحاً، ثم نبعت عينٌ أُخرى فشرب منها ماءً عذباً. وقيل: أُمر بالرَّكض بالرجل لِيتناثرَ عنه كلُّ داء في جسده.

والمغتسَلُ الماء الذي يُغتسَل به؛ قاله القتبي[٣]. وقيل: إنه الموضع الذي يُغتسل فيه؛ قاله مقاتل[٤].

الجوهري[٥]: واغتسلت بالماء، والغَسُول: الماء الذي يُغتسَل به، وكذلك المُغتَسَل، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ والمُغتسل أيضاً: الذي يُغتسل فيه، والمَغْسِل والمَغْسَل بكسر السين وفتحها: مَغْسِل الموتى، والجمع المغاسل.

واختُلف كم بقي أيوبُ في البلاء؛ فقال ابن عباس: سبع سنين وسبعة أشهر

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٥ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ١٠٢ ، وقول الحسن أخرجه الطبري ١٦/ ٣٦٤ مطولاً.

(٣) في غريب القرآن ص٣٨٠ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٠٢ .

(٥) الصحاح (غسل).

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ٢٢/ ٢٠٧ عن مقاتل.

وسبعة أيام وسبع ساعات[١]. وقال وهب بن منبِّه: أصاب أيوبَ البلاءُ سبعَ سنين، وتُرك يوسف في السجن سبع سنين، وعُذِّب بُخْتَنصَّر وحُوِّل في السباع سبع سنين. ذكره أبو نعيم[٢]. وقيل: عشر سنين. وقيل: ثمانَ عشرةَ سنة. رواه أنس مرفوعاً فيما ذكر الماوردي[٣].

قلت: وذكره ابن المبارك؛ أخبرنا يونس بن يزيد، عن عُقَيل عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً أيوب وما أصابه من البلاء، وذكر أن البلاء الذي أصابه كان به ثمانَ عشرةَ سنة[٤]. وذكر الحديث القشيري. وقيل: أربعين سنة.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ تقدّم في «الأنبياء» الكلامُ فيه[٥]. ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: نعمة منا. ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: عبرةً لذوي العقول.

قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

فيها سبع مسائل:

الأولى: كان أيوبُ حلف في مرضه أن يضربَ امرأته مئة جلدة؛ وفي سبب ذلك أربعة أقوال:

أحدها: ما حكاه ابن عباس أن إبليسَ لَقِيَها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب؛ فقال: أُداويه على أنه إذا بَرِئ قال: أنتَ شفيتَني، لا أُريد جزاءً سواه. قالت: نعم، فأشارتْ على أيوب بذلك فحلف لَيضرِبَنَّها. وقال: وَيْحَكِ ذلك الشيطان.

الثاني: ما حكاه سعيد بن المسيَّب، أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز، فخاف خيانتَها فحلف لَيضرِبَنَّها.

---

(١) في الحلية ٤/ ٥٣.

(٢) في النكت والعيون ٥/ ١٠٢. والحديث سلف تخريجه ١٤/ ٢٦٠، وذكرنا ثمة أن الحافظ ابن كثير قال: وهذا رَفْعُه غريب جداً، والأشبه أن يكون موقوفاً.

(٣) الزهد لابن المبارك (١٧٩) (زوائد نعيم)، وهو مرسل، وسلف مطولاً ١٤/ ٢٦٠ ينظر الكلام عليه ثمة.

(٤) ١٤/ ٢٦١ وما بعدها.

الثالث: ما حكاه يحيى بن سلاّم وغيره: أن الشيطان أغواها أن تحمل أيوبَ على أن يذبح سخلةً تقرُّباً إليه وأنه يبرأ؛ فذكرتْ ذلك له، فحلف لَيضْرِبنَّها إنْ عُوفي مئةً[١].

و[الرابع] قيل: باعت ذوائبها برغيفين إذ لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوبُ يتعلَّق بها إذا أراد القيام، فلهذا حلف لَيضْرِبَنّها[٢]. فلما شفاه الله أمره أن يأخُذَ ضِغْثاً فيضرب به، فأخذ شماريخ قدر مئة، فضربها ضربةً واحدة. وقيل: الضِّغث قبضةُ حشيش مختلطة الرَّطب باليابس. وقال ابن عباس: إنه إثكال النخل الجامع بشماريخه[٣].

الثانية: تضمَّنت هذه الآيةُ جوازَ ضرب الرجل امرأته تأديباً. وذلك أن امرأة أيوبَ أخطأت فحلف لَيضْرِبنَّها مئة، فأمره الله تعالى أن يضربها بعُثكول من عثاكيل النخل. وهذا لا يجوز في الحدود. إنما أمره الله بذلك لئلا يضرب امرأته فوقَ حدِّ الأدب. وذلك أنه ليس للزوج أن يضرب امرأته فوقَ حدِّ الأدب؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «واضْرِبُوهُنَّ ضرباً غير مُبَرِّح» على ما تقدَّم في «النساء» بيانه[٤].

الثالثة: واختلف العلماء في هذا الحكم هل هو عامٌّ أو خاصٌّ بأيوب وحده؛ فروي عن مجاهد أنه عام للناس. ذكره ابن العربي[٥].

وحُكي عن القشيري أن ذلك خاص بأيوب.

وحكى المهدوي عن عطاء بن أبي رباح أنه ذهب إلى أن ذلك حُكْمٌ باقٍ، وأنه إذا ضرب بمئة قضيب ونحوه ضربة واحدة بَرَّ. ورُوي نحوه عن الشافعي[٦]. ورُوي نحوه

---

(١) النكت والعيون ٥/ ١٠٣ .

(٢) ذكره ابن العربي بنحوه في أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٩ ، وسلف ١٤/ ٢٥٩ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٠٣ .

(٤) ٦/ ٢٨٦ ، والحديث أخرجه مسلم (١٢١٨) مطولاً جداً من حديث جابر ﷺ.

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٤٠ .

(٦) ذكره الكيا في أحكام القرآن ٤/ ٣٦١ . وقع في (د) و(ز): وروى نحوه عنه الشافعي، وفي (م): وروى نحوه الشافعي، والمثبت من (ظ).

عن النبي ﷺ في المُقْعَد الذي حملت منه الوليدة، وأَمَر أن يُضْرَبَ بعُثكول فيه مئة شمراخ ضربةً واحدة[(١)].

وقال القشيري: وقيل لعطاء: هل يُعمل بهذا اليوم؟ فقال: ما أُنزل القرآنُ إلا لِيُعْمَلَ به ويُتَّبع.

ابن العربي[(٢)]: ورُوي عن عطاء أنها لأيوبَ خاصَّة. وكذلك روى أبو زيد عن ابن القاسم عن مالك: من حلف لَيضربنَّ عبدَه مئةً، فجمعها، فضربه بها ضربةً واحدة لم يبرَّ. قال بعض علمائنا: يريد مالك قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي: إن ذلك منسوخٌ بشريعتنا.

قال ابن المنذر[(٣)]: وقد روينا عن عليٍّ أنه جلد الوليدَ بن عقبة بسوط له طرفان أربعين جلدة[(٤)]. وأنكر مالك هذا وتلا قول الله عز وجل: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] وهذا مذهبُ أصحاب الرأي. وقد احتجَّ الشافعي لقوله بحديث، وقد تُكلِّم في إسناده؛ والله أعلم.

قلت: الحديث الذي احتجَّ به الشافعي خرجه أبو داود في «سننه»[(٥)] قال: حدثنا أحمد بن سعيد الهَمْداني، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو أُمامةَ بن سهل بن حُنَيْف أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، أنه اشتكى رجلٌ منهم حتى أُضْنِي، فعاد جِلدةً على عظم، فدخلت عليه جاريةٌ لبعضهم فهش لها، فوقع عليها، فلما دخل عليه رجالُ قومه يَعودونه أخبرهم

---

(١) سيأتي قريباً بتمامه.

(٢) أحكام القرآن ٤/ ١٦٤٠ .

(٣) في الإشراف ٢/ ٢٨-٢٩ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٣٥٤٤) بهذا اللفظ، وأصله عند مسلم (١٧٠٧)، وليس فيه أنه جلده بسوط له طرفان.

(٥) الحديث (٤٤٧٢). وأخرجه أحمد (٢١٩٣٥)، والنسائي في الكبرى (٧٢٦٨) من حديث سعيد بن سعد ابن عبادة رضي الله عنهما.

بذلك وقال: استفتوا لي رسولَ الله ﷺ؛ فإني قد وقعتُ على جاريةٍ دَخلتْ عليَّ. فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، وقالوا: ما رأينا بأحد من الناس من الضُّرِّ مثلَ الذي هو به؛ لو حملناه إليك لَتفسَّخَتْ عِظامُه، ما هو إلا جلدٌ على عَظْم؛ فأمر رسولُ الله ﷺ أن يأخذوا له مئة شمراخ فيضربوه بها ضربةً واحدة.

قال الشافعي: إذا حلف لَيضربنَّ فلاناً مئة جلدة، أو ضرباً شديداً، ولم يقل: ضرباً شديداً، ولم ينوِ ذلك بقلبه يكفيه مثلُ هذا الضرب المذكور في الآية ولا يحنَث[١].

قال ابن المنذر[٢]: وإذا حلف الرجل: لَيضربنَّ عبده مئةً فضربه ضرباً خفيفاً، فهو بارٌّ عند الشافعي وأبي ثور وأصحاب الرأي. وقال مالك: ليس الضربُ إلا الضربَ الذي يُؤلم.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ دليلٌ على أن الاستثناء في اليمين لا يرفع حُكماً إذا كان مُتراخياً. وقد مضى القول فيه في «المائدة»[٣] يقال: حَنِثَ في يمينه يَحنَثُ، إذا لم يَبَرَّ بها. وعند الكوفيين الواو مقحمة، أي: فاضرِبْ لا تحنَثْ.

الخامسة: قال ابن العربي[٤]: قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ يدلُّ على أحد وجهين: إما أن يكون أنه لم يكن في شرعهم كفارةٌ، وإنما كان البرّ والحِنْث. والثاني: أن يكون صَدَرَ منه نذرٌ لا يمين، وإذا كان النذر مُعيَّنًا فلا كفارةَ فيه عند مالك وأبي حنيفة. وقال الشافعي: في كل نذر كفارة.

قلت: قوله: إنه لم يكن في شرعهم كفارة ليس بصحيح؛ فإن أيوبَ عليه السلام لما بقي في البلاء ثمانَ عشرةَ سنة، كما في حديث ابن شهاب: قال له صاحباه: لقد أذنبتَ ذنباً ما أظنُّ أحداً بلغه. فقال أيوب ﷺ: ما أدري ما تقولان، غير أنَّ ربي عز

---

(١) الأم ٧/ ٧٣.

(٢) في الإشراف ١/ ٤٧٣.

(٣) ٨/ ١٥١.

(٤) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٤٠.

وجل يعلم أني كنتُ أَمُرُّ على الرجلين يتزاعمان، فكلٌّ يحلف بالله، أو على النَّفر يتزاعمون، فأنقلب إلى أهلي، فأُكفِّر عن أيمانهم إرادةَ ألاّ يأثم أحدٌ يذكره، ولا يذكره إلا بحقّ فنادى ربَّه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وذكر الحديث[١]. فقد أفادك هذا الحديث أن الكفارة كانت من شرع أيوب، وأن من كفَّر عن غيره بغير إذْنه فقد قام بالواجب عنه وسقطت عنه الكفارة.

السادسة: استدلَّ بعض جُهَّال المتزهِّدة؛ وطَغَام المتصوِّفة بقوله تعالى لأيوب: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ على جواز الرَّقْص.

قال أبو الفرج الجوزي[٢]: وهذا احتجاجٌ بارد؛ لأنه لو كان أُمِرَ بضرب الرِّجل فرحاً كان لهم فيه شُبهة، وإنما أُمِرَ بضرب الرِّجل لِينبَعَ الماء.

قال ابن عَقيل: أين الدلالة في مُبتلًى أُمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لِينبَعَ الماءُ إعجازاً من الرَّقص؟!، ولئن جاز أن يكون تحريكُ رِجْل قد أنحلها تحكُّم الهوامّ دلالة على جواز الرقص في الإسلام، جاز أن يُجعلَ قولُه سبحانه لموسى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ دلالةً على ضرب الجماد[٣] بالقُضبان! نعوذ بالله من التلاعب بالشَّرع.

وقد احتجَّ بعضُ قاصِريهم بأنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعليّ: «أنت منّي وأنا منك» فحَجَلَ، وقال لجعفر: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي» فَحَجل، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» فَحَجل[٤].

ومنهم من احتجَّ بأنَّ الحبشة زَفَنت والنبي ﷺ ينظر إليهم[٥]. والجواب ـ أما

(١) سلف مطولاً ١٤/ ٢٦٠ ، ينظر الكلام عليه ثمة، وسلف مختصراً ص٢١٧ من هذا الجزء.

(٢) في تلبيس إبليس ص٢٤٩ .

(٣) في (د) و(ز): المخاد، وفي (م): المحاد، والمثبت من تلبيس إبليس.

(٤) أخرجه أحمد (٧٧٠) و(٨٥٧) من حديث علي ﷺ، وإسناده حسن دون ذكر الحجل، فقد تفرد بذكره هانئ بن هانئ، ومثله لا يحتمل تفرده.

(٥) أخرجه أحمد (٢٤٨٥٤)، وبنحوه البخاري (٤٥٤)، ومسلم (٨٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الحَجْل فهو نوع من المشي يُفعَل عند الفرح، فأين هو والرقص؟!، وكذلك زَفْن الحبشة نوعٌ من المشي يُفعل عند اللِّقاء للحرب.

السابعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ أي: على البلاء. ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: توَّاب رجَّاع مُطيع. وسُئل سفيان عن عبدين ابتُلي أحدُهما فصبر، وأُنعم على الآخر فشكر؛ فقال: كلاهما سواء؛ لأن الله تعالى أثنى على عبدين، أحدهما صابر والآخر شاكر ثناءً واحداً؛ فقال في وصف أيوب: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وقال في وصف سليمان: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[1] [ص: ٣٠].

قلت: وقد ردَّ هذا الكلامَ صاحبُ «القوت»[2] واستدلَّ بقصة أيوب في تفضيل الفقير على الغنيّ وذكر كلاماً كثيراً شيَّد به كلامَه، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع من كتاب «منهج العباد ومَحجَّة السالكين والزُّهاد»، وخَفِيَ عليه أن أيوب عليه السلام كان أحدَ الأغنياء من الأنبياء قبل البلاء وبعده، وإنما ابتُلي بذهاب ماله وولده وعظيم الداء في جسده، وكذلك الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه صبروا على ما به امتُحِنوا وفُتِنوا. فأيوب عليه السلام دخل في البلاء على صفة، فخرج منه كما دخل فيه، وما تغيَّر منه حال ولا مقال، فقد اجتمع[3] مع أيوب في المعنى المقصود، وهو عدمُ التغيُّر الذي يفضل فيه بعضَ الناس بعضاً. وبهذا الاعتبار يكون الغنيُّ الشاكر والفقير الصابر سواء. وهو كما قال سفيان. والله أعلم.

وفي حديث ابن شهاب عن النبي ﷺ: «إنَّ أيوبَ خرج لِمَا كان يخرج إليه من حاجته فأوحى الله إليه: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فاغتسل، فأعاد اللهُ لحمه وشعره وبَشَره على أحسن ما كان، ثم شَرِبَ، فأذهب الله كلَّ ما كان في جوفه من ألَمٍ أو ضَعْف، وأنزل اللهُ عليه ثوبين من السماء أبيضين فائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، ثم أقبل يمشي إلى منزله ورَاثَ[4] على امرأته، فأقبلتْ حتى لقيته، وهي لا تعرفه،

---

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب ١/ ٢٠٢ ونسبه لبعض القدماء.

(٢) ١/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) يعني سليمان عليه السلام.

(٤) أي: أبطأ. القاموس (ريث).

فسلَّمتْ عليه وقالت: أي يرحمك الله، هل رأيتَ هذا الرجل المُبتلَى؟ قال: من هو؟ قالت: نبيُّ الله أيوب، أما والله، ما رأيتُ أحداً قط أشبهَ به منك إذ كان صحيحاً. قال: فإني أيوبُ، وأخذ ضِغْثاً فضربها به».

فزعم ابن شهاب أن ذلك الضِّغْث كان ثُماماً[(١)]. وردَّ الله إليه أهله ومِثْلَهم معهم، فأقبلت سحابةٌ حتى سَجَلتْ في أَنْدَرِ[(٢)] قمحِهِ ذهباً حتى امتلأ، وأقبلت سحابةٌ أُخرى إلى أَنْدَر شعيره وقطانيه[(٣)]، فسَجَلت فيه وَرِقاً حتى امتلأ[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وقرأ ابن عباس: «عَبْدَنا» بإسناد صحيح؛ رواه ابن عُيَينة عن عمرو عن عطاء عنه[(٥)]، وهي قراءةُ مجاهد وحُميد وابن مُحَيْصن وابن كثير[(٦)]؛ فعلى هذه القراءة يكون «إبراهيم» بدلاً من «عبدنا» و﴿وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطف. والقراءة بالجمع أبين، وهي اختيار أبي عُبيد وأبي حاتم، ويكون «إبراهيم» وما بعده على البدل.

النحاس[(٧)]: وشرحُ هذا من العربية أنك إذا قلت: رأيتُ أصحابَنا زيداً وعمراً وخالداً، فزيد وعمرو وخالد بدل، وهم الأصحاب، وإذا قلت: رأيتُ صاحبنا زيداً

---

(١) الثُّمام: عشب من الفصيلة النجيلية. المعجم الوسيط (ثمم).

(٢) الأندر: البيدر. القاموس (ندر). وسجل الماءَ: صبَّه صبًّا متصلاً. المعجم الوسيط (سجل).

(٣) القطاني: الحبوب التي تدخر كالحِمَّص والعدس والباقلا.. معجم متن اللغة (قطن).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٧٩) (زوائد نعيم)، وسلف قسم منه ١٤/ ٢٦٠ ، ينظر تتمة تخريجه ثمة.

(٥) أخرجه الطبري ٢٠/ ١١٤ .

(٦) السبعة ص٥٥٤ ، والتيسير ص١٨٨ .

(٧) إعراب القرآن ٣/ ٤٦٦ ، وينظر ما قبله فيه.

وعمراً وخالداً، فزيدٌ وحدَه بدل، وهو صاحبنا، وعمرو وخالد[١] عطف على صاحبنا وليسا بداخلين في المصاحبة إلا بدليلٍ غيرِ هذا، غير أنه قد علم أن قوله: ﴿وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ داخل في العبودية.

وقد استدلَّ بهذه الآية من قال: إن الذبيح إسحاق لا إسماعيل[٢]، وهو الصحيح[٣] على ما ذكرناه في كتاب «الإعلام بمولد النبي عليه السلام».

﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ قال النحاس[٤]: أما «الأبْصَار» فمتفقٌ على تأويلها أنها البصائر في الدين والعلم. وأما «الأيدي» فمختلفٌ في تأويلها؛ فأهلُ التفسير يقولون: إنها القوّة في الدين. وقوم يقولون: «الأيدي» جمعُ يد، وهي النعمة؛ أي: هم أصحاب النِّعم؛ أي: الذين أنعم الله عز وجل عليهم. وقيل: هم أصحاب النِّعم والإحسان؛ لأنهم قد أحسنوا وقدّموا خيراً. وهذا اختيارُ الطبري.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ أي: الذين اصطفاهم من الأدناس واختارهم لرسالته. ومُصطفَين جمع مصطفى، والأصلُ مصتفي، وقد مضى في «البقرة» عند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية: ١٣٢] «والأخيار» جمع خَيِّر.

وقرأ الأعمش وعبد الوارث والحسن وعيسى الثقفي: «أُولي الأيدِ» بغير ياء في الوصل والوقف[٥] على معنى أُولي القوّة في طاعة الله. ويجوز أن يكون كمعنى قراءة الجماعة، وحُذفت الياء تخفيفاً[٦].

---

(١) في النسخ: وزيد وعمرو، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩ ، وقال: هذا ضعيف كله.

(٣) هذا رأي المصنف رحمه الله، والصواب أن الذبيح إسماعيل عليه السلام، وهو الصحيح المقطوع به فيما ذكره الحافظ ابن كثير وغيره، وسلفت هذه المسألة مطولة ١٨/ ٦١ وما بعدها، فينظر أقوال العلماء فيها ثمة.

(٤) في إعراب القرآن ٣/ ٤٦٧ .

(٥) القراءات الشاذة ص١٣٠ ، والمحتسب ٢/ ٢٣٣ .

(٦) تفسير الطبري ٢٠/ ١١٦ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[١] قراءة العامة «بِخَالِصَةٍ» منونة، وهي اختيار أبي عُبيد وأبي حاتم. وقرأ نافع وشيبة وأبو جعفر وهشام عن ابن عامر: «بخالصةِ ذِكرى الدَّارِ» بالإضافة[٢]، فمن نوَّن خالصة فـ«ذِكْرَى الدَّار» بدل منها؛ التقدير: إنا أخلصناهم بأن يذكروا الدار الآخرة ويتأهَّبوا لها، ويرغبوا فيها ويُرَغِّبوا الناس فيها.

ويجوز أن يكون «خَالِصَةٍ» مصدراً لخلص و «ذِكْرَى» في موضع رفع بأنها فاعله، والمعنى: أخلصناهم بأن خلصتْ لهم ذكرى الدار؛ أي: تذكير الدار الآخرة.

ويجوز أن يكون «خالصة» مصدراً لأخلصَتْ، فحذفت الزيادة، فيكون «ذِكْرَى» على هذا في موضع نصب، التقدير: بأن أخلصوا ذكرى الدار.

والدار يجوز أن يُراد بها الدنيا؛ أي: ليتذكَّروا الدنيا ويزهَدوا فيها، ولتخلص لهم بالثناء الحسن عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠] ويجوز أن يراد بها الدار الآخرة وتذكير الخلق بها. ومن أضاف خالصة إلى الدار فهي مصدر بمعنى الإخلاص، والذكرى مفعول به أُضيف إليه المصدر؛ أي: بإخلاصهم ذكرى الدار. ويجوز أن يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل والخالصة مصدر بمعنى الخلوص؛ أي: بأن خلصت لهم ذكرى الدار، وهي الدار الآخرة أو الدنيا على ما تقدّم[٣].

وقال ابن زيد: معنى أخلصناهم، أي: بذكر الآخرة؛ أي: يذكرون الآخرة ويرغبون فيها ويزهدون في الدنيا. وقال مجاهد: المعنى: إنا أخلصناهم بأن ذكرنا الجنة لهم[٤].

---

(١) هذه الآية قبل الآية السابقة لكن المصنف رحمه الله ذكر تفسيرها آخراً!
(٢) قراءة نافع وهشام عن ابن عامر في السبعة ص٥٥٤ ، والتيسير ص١٨٨ .
(٣) هذا الكلام بنحوه في الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ٢٣١-٢٣٢ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩ .
(٤) أخرجهما بنحوهما الطبري ٢٠/ ١١٨ .

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ مضى ذكر اليسع في «الأنعام»[١] وذكر ذي الكفل في «الأنبياء»[٢].

﴿وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ أي: ممن اختير للنبوّة. ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ﴾ بمعنى هذا ذكر جميل في الدنيا وشرف يُذكَرون به في الدنيا أبداً.

﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ أي: لهم مع هذا الذِّكر الجميل في الدنيا حسنُ المَرْجع في القيامة. ثم بيّن ذلك بقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ والعَدْن في اللغة الإقامة؛ يقال: عَدَنَ بالمكان إذا أقام. وقال عبد الله بن عمرو[٣]: وجنة عَدْن قصر في الجنة له خمسةُ آلاف باب على كل باب خمسةُ آلاف خَيْرة[٤]، لا يدخله إلا نبيّ أو صِدِّيق أو شهيد.

﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ حال ﴿لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ رفعت الأبوابُ لأنه اسم ما لم يُسمَّ فاعله. قال الزجاج[٥]: أي: مفتحة لهم الأبواب منها. وقال الفرّاء: مفتحة لهم أبوابها. وأجاز الفرّاء[٦]: «مُفَتَّحَةً لهم الأبوابَ» بالنصب. قال الفرّاء: أي: مفتحة الأبوابِ، ثم جئت بالتنوين فنصبت. وأنشد هو وسيبويه:

---

(١) ٨/٤٤٨-٤٥٠.

(٢) ١٤/٢٦٣-٢٦٤.

(٣) في (د) و(ز) و(م): عمر، والمثبت من (ظ)، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٦٨.

(٤) في (م): حِبَرة، وهو خطأ. والخيرة: يعني ذات خير، والجمع: خيرات، والمراد الحور العين. وسلف الخبر ١٢/٥٩-٦٠ والله أعلم بصحته.

(٥) في معاني القرآن ٤/٣٣٧.

(٦) في معاني القرآن ٢/٤٠٨، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس ٣/٤٦٨، والكلام منه.

ونـأخـذُ بـعـدهُ بِـذِنَـابِ عَـيْـشٍ أجَبَّ الـظَّـهْـرَ لـيـس لـه سَـنَـام[١]

وإنما قال: «مُفَتَّحَةً» ولم يقل: مفتوحة؛ لأنها تُفتح لهم بالأمر لا بالمس. قال الحسن: تُكلَّم: انفتحي فتنفتح، انغلقي فتنغلق[٢]. وقيل: تَفْتحُ لهم الملائكةُ الأبواب.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ هو حال قُدمت على العامل فيها، وهو قوله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ أي: يَدْعُون في الجنات مُتكئين فيها[٣]. ﴿بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾ أي: بألوان الفواكه ﴿وَشَرَابٖ﴾ أي: وشراب كثير، فحذف لدلالة الكلام عليه.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: على أزواجهنَّ، لا ينظرن إلى غيرهم، وقد مضى في «الصافات»[٤]. ﴿أَتْرَابٌ﴾ أي: على سِنّ واحد، وميلاد امرأة واحدة، وقد تساوَيْن في الحُسن والشَّباب، بنات ثلاث وثلاثين سنة[٥]. قال ابن عباس: يُريد الآدميات[٦]. و«أتْرَابٌ» جمع تِرْب، وهو نعت لقاصرات؛ لأن «قَاصِرَاتُ» نكرة وإن كان مضافاً إلى المعرفة. والدليل على ذلك أن الألف واللام يدخلانه كما قال:

مِن القاصِراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ مـن الـذَّرِّ فـوقَ الإتْـبِ مـنـهـا لأَثَّـرا[٧]

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: هذا الجزاءُ الذي وُعِدتم به.

---

(١) قائله النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص١١٠ ، وفيه: ونُمسِك، بدل: ونأخذ، وسلف ١٠/ ١٢٩ ، وهو في الكتاب ١/ ١٩٦ .

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ١٢٢ .

(٣) تفسير الرازي ٢٦/ ٢١٩ .

(٤) في الصفحة ٣٣ من هذا الجزء.

(٥) النكت والعيون ٥/ ١٠٦ عن يحيى بن سلام.

(٦) ذكره الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٢١٤ .

(٧) قائله امرؤ القيس، وسلف ص٣٤ من هذا الجزء، وينظر شرحه ثمة، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٨ .

وقراءة العامة بالتاء، أي: ما تُوعدون أيها المؤمنون. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو ويعقوب بالياء على الخبر(١) - وهي قراءة السُّلمي واختيار أبي عُبيد وأبي حاتم - لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ فهو خبر. «لِيومِ الحسابِ» أي: في يوم الحساب، قال الأعشى:

المُهِينينَ مَا لَهُمْ لِزمانِ السَّـ ـوءِ حتى إذا أفاق أفاقوا(٢)

أي: في زمان السوء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ دليلٌ على أن نعيمَ الجنة دائمٌ لا ينقطع؛ كما قال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] وقال: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت:٨].

قوله تعالى ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ لما ذَكر ما للمتقين ذَكَر ما للطَّاغين. قال الزجاج(٣): «هذا» خبر ابتداء محذوف، أي: الأمرُ هذا، فيوقف على «هذا». قال ابن الأنباري(٤): «هذا» وقف حسن، ثم تبتدئ «وإنَّ لِلطَّاغينَ» وهم الذين كذَّبوا الرُّسل. ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ أي: مُنقلَب يصيرون إليه. ثم بيّن ذلك بقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي: بئس ما مهَّدوا لأنفسهم، أو بئس الفراش لهم. ومنه مَهْد الصبيّ. وقيل: فيه حذف، أي: بئس موضع المهاد. وقيل: أي: هذا الذي وصفتَ لهؤلاء المتقين، ثم قال: وإن للطاغين لَشرُّ مَرْجعٍ، فيوقف على «هذا» أيضاً.

---

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص٥٥٥، والتيسير ص١٨٨.

(٢) ديوان الأعشى ص٢٦٣.

(٣) في معاني القرآن ٤/٣٣٨.

(٤) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/٨٦٣.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ «هذا» في موضع رفع بالابتداء وخبره «حَمِيمٌ» على التقديم والتأخير؛ أي: هذا حميم وغسَّاق فليذوقوه. ولا يُوقَف على «فَلْيَذُوقُوهُ» ويجوز أن يكون «هذا» في موضع رفع بالابتداء و«فَلْيَذُوقُوهُ» في موضع الخبر، ودخلت الفاء للتنبيه الذي في «هذا» فيوقف على «فَلْيَذُوقُوهُ» ويرتفع «حَمِيمٌ» على تقدير: هذا حميم.

قال النحاس[(١)]: ويجوز أن يكون المعنى: الأمر هذا، وحميم وغسَّاق إذا لم تجعلهما خبراً، فَرفْعُهما على معنى: هو حميم وغسّاق. والفرّاء[(٢)] يرفعهما بمعنى: منه حميم ومنه غسَّاق، وأنشدَ:

حتّى إذا ما أَضَاءَ الصُّبْحُ في غَلَسٍ ... وغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ ومَحْصُودُ[(٣)]

وقال آخر:

لها مَتَاعٌ وأَعْوانٌ غَدَوْنَ بِهِ ... قِتْبٌ وغَرْب إذا ما أُفْرِغَ انْسَحَقا[(٤)]

ويجوز أن يكون «هَذا» في موضع نصب بإضمار فعل يُفسِّره «فَلْيَذُوقُوهُ» كما تقول: زيداً اضربه. والنصب في هذا أولى[(٥)]، فيوقف على «فَلْيَذُوقُوهُ» وتبتدئ «حَمِيمٌ وغَسَّاقٌ» على تقدير: الأمر حميم وغسَّاق[(٦)].

وقراءةُ أهل المدينة وأهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين في «وغَسَاق». وقرأ يحيى بن وثَّاب والأعمش وحمزة والكسائي: «وغسَّاق» بالتشديد[(٧)]، وهما لغتان

---

(١) في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٩ ، وينظر ما قبله فيه وفي مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٢٧ .

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٤١٠ .

(٣) وذكره الطبري في تفسيره ٢٠/ ١٢٦ دون نسبة.

(٤) قائله زهير، وهو في ديوانه ص٦٧ (برواية الشنتمري) وسلف ٥/ ٢١٠ قال شارحه الشنتمري. قوله: لها متاع، أي: لهذه الناقة التي يُستقى عليها، وقوله: قِتْب وغَرْبٌ تبيين للمتاع، والقِتْب: أداة السانية، والغرب: الدلو العظيمة.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٤٦٩-٤٧٠ .

(٦) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٢١ بنحوه.

(٧) وقرأ بها عاصم في رواية حفص وخلف. السبعة ص٥٥٥ ، والتيسير ص١٨٨ ، والنشر ٢/ ٣٦١ .

بمعنى واحد في قول الأخفش(١). وقيل: معناهما مختلف؛ فمن خفّف فهو اسمٌ مثل: عَذاب وجَواب وصوَاب، ومَن شدَّد قال: هو اسمُ فاعل نُقل إلى فعّال للمبالغة، نحو ضرّاب وقتّال، وهو فعّال من غَسَق يَغسِق، فهو غسّاق وغاسِق.

قال ابن عباس: هو الزمهرير يُخوِّفهم ببرده. وقال مجاهد ومقاتل: هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده. وقال غيرهما: إنه يحرق ببرده كما يحرق الحميم بحرِّه.

وقال عبد الله بن عمرو: هو قيحٌ غليظٌ لو وقع منه شيء بالمشرق لأنتن مَنْ في المغرب، ولو وقع منه شيء في المغرب لأنتنَ مَنْ في المشرق.

وقال قتادة: هو ما يسيل من فروج الزُّناة ومن نَتْن لحوم الكفرة وجلودهم من الصديد والقيح والنَّتْن(٢).

وقال محمد بن كعب: هو عُصارة أهل النار. وهذا القول أشبه باللغة؛ يقال: غَسَق الجرح يغسِق غسقاً إذا خرج منه ماء أصفر؛ قال الشاعر:

إذا ما تَذَكَّرْتُ الحياةَ وطِيبَها ... إليَّ جَرَى دَمْعٌ من العين(٣) غاسِقُ

أي: بارد. ويقال: ليل غاسق؛ لأنه أبرد من النهار. وقال السدّي: الغسّاق الذي يسيل من أعينهم ودموعهم يُسقَوْنه مع الحميم(٤). وقال ابن زيد: الحميم دموعُ أعينهم، يُجمع في حياض النار فيُسقَوْنه، والصديد الذي يخرج من جُلودهم. والاختيار على هذا «وغَسّاق» حتى يكون مثل سيّال(٥).

وقال كعب: الغسّاق عين في جهنم يسيل إليها سُمُّ كلِّ ذي حُمَةٍ من عقرب

---

(١) نقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ١٠٧ .

(٢) هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٠/ ١٢٨-١٣٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٠ .

(٣) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): الليل، والمثبت من (ف)، والبيت لعمران بن حِطّان، ذكره أبو بكر الأنباري في الأضداد ص٥ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ١٢٨ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٦/ ١٢٩ .

وحيةٍ[١]. وقيل: هو مأخوذٌ من الظُّلمة والسواد. والغَسَقُ أوّل ظُلمة الليل، وقد غَسَقَ الليلُ يغسِق، إذا أظلم[٢].

وفي الترمذي[٣] من حديث أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ قال: «لو أن دَلْواً من غَسَّاق يُهَرَاق في الدنيا لأنتنَ أهلُ الدنيا».

قلت: وهذا أشبه على الاشتقاق الأوّل كما بينا، إلا أنه يحتمل أن يكون الغسَّاق مع سيلانه أسودَ مُظلماً فيصحّ الاشتقاقان. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾ قرأ أبو عمرو: «وَأُخَرُ» جمع أُخرى مثل الكبرى والكُبَر. الباقون: «وَآخَرُ» مفرد مذكر[٤]. وأنكر أبو عمرو «وَآخَرُ» لقوله تعالى: «أزواج» أي: لا يُخبر بواحد عن جماعة. وأنكر عاصم الجحدري: «وأُخَرُ» قال: ولو كانت «وَأُخَرُ» لكان: من شكلها.

وكلا الردَّين لا يلزم، والقراءتان صحيحتان.

«وآخَرُ» أي: وعذابٌ آخَرُ سوى الحميم والغسَّاق[٥]. «مِنْ شَكْلِهِ» قال قتادة: من نحوه. قال ابن مسعود: هو الزمهرير[٦].

وارتفع «وآخرُ» بالابتداء و«أَزْوَاجٌ» مبتدأ ثانٍ و«مِنْ شَكْلِهِ» خبره، والجملة خبر «آخر». ويجوز أن يكون «وآخر» مبتدأ والخبر مُضمَر دلَّ عليه «هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ» لأن فيه دليلاً على أنه لهم، فكأنه قال: ولهم آخر، ويكون «مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ» صفةً لآخر، فالمبتدأ متخصص بالصفة و«أَزْوَاجٌ» مرفوع بالظرف[٧].

---

(١) النكت والعيون ٥/١٠٦ .

(٢) الصحاح (غسق).

(٣) الحديث (٢٥٨٤).

(٤) السبعة ص٥٥٥ ، والتيسير ص١٨٨ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٦/ ١٣٠ .

(٦) أخرجهما الطبري ٢٠/ ١٣١-١٣٢ .

(٧) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٢٨ بنحوه.

ومن قرأ: «وَأُخَرُ» أراد: وأنواعٌ من العذاب أُخَرُ، ومن جمع ـ وهو يريد الزمهرير ـ فعلى أنه جعل الزمهرير أجناساً فجمع لاختلاف الأجناس. أو على أنه جعل لكل جزء منه زمهريراً، ثم جمع كما قالوا: شابَتْ مفارقُه. أو على أنه جمع، لِمَا في الكلام من الدلالة على جواز الجمع؛ لأنه جعل الزمهرير الذي هو نهاية البرد بإزاء الجمع في قوله: «هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ»، والضمير في «شَكْلِهِ» يجوز أن يعود على الحميم أو الغسّاق. أو على معنى: «وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ» ما ذكرنا. ورفع «أُخَرُ» على قراءة الجمع بالابتداء، و«مِنْ شَكْلِهِ» صفةٌ له، وفيه ذِكْر يعود على المبتدأ، و«أَزْوَاجٌ» خبر المبتدأ. ولا يجوز أن يُحمل على تقدير: ولهم أُخَر. و«مِنْ شَكْلِهِ» صفة لأخر، و«أَزْوَاجٌ» مرتفعة بالظرف كما جاز في الإفراد؛ لأن الصفة لا ضمير فيها من حيث ارتفع «أَزْوَاجٌ» بالظرف، ولا ضمير في الظرف، والهاء في «شَكْله» لا تعود على أُخَر لأنه جمع، والضمير[1] مفرد؛ قاله أبو علي[2]. و«أَزْوَاجٌ» أي: أصناف وألوان من العذاب. وقال يعقوب: الشَّكْل بالفتح: المِثل، وبالكسر: الدَّلّ[3].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ قال ابن عباس: هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة: «هَذَا فَوْجٌ» يعني الأتباع، والفوج الجماعة، «مقْتَحِمٌ معَكُمْ» أي: دخل النار معكم؛ فقالت السادة: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي: لا اتَّسعت منازلهم في النار. والرُّحب السَّعة[4]، ومنه رحبة المسجد وغيره. وهو في مذهب الدعاء، فلذلك نصب؛ قال النابغة:

لا مَرْحَباً بِغَدٍ ولا أهْلاً بِهِ   إنْ كانَ تَفْرِيقُ الأحِبَّةِ في غَدِ[5].

---

(١) من قوله: بالظرف، ولا ضمير.. إلى هنا سقط من (م).

(٢) في الحجة ٦/ ٨٠، وينظر اللام السالف فيه وفي مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٠.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٦/ ١٣١. والدَّلُّ: غُنْج المرأة. الصحاح (دلل).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٦٧.

(٥) ديوان النابغة الذبياني ص٣٨.

قال أبو عبيدة[١]: العرب تقول: لا مرحباً بك؛ أي: لا رَحُبَتْ عليك الأرض ولا اتَّسعت.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ قيل: هو من قول القادة، أي: إنهم صالوا النار كما صَلَيناها. وقيل: هو من قول الملائكة متصل بقولهم: «هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ»، و« قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ» هو من قول الأتباع[٢].

وحكى النقَّاش أن الفوج الأوّل قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر، والفوج الثاني أتباعهم ببدر[٣].

والظاهر من الآية أنها عامَّة في كل تابع ومتبوع.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي: دعوتمونا إلى العصيان ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ لنا ولكم. ﴿قَالُوا۟﴾ يعني الأتباع ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ قال الفراء: من سوّغ[٤] لنا هذا وسَنَّه. وقال غيره: مَن قدَّم لنا هذا العذابَ بدعائه إيَّانا إلى المعاصي ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ [أي: عذاباً بكفره][٥] وعذاباً بدعائه إيانا فصار ذلك ضعفاً.

وقال ابن مسعود: معنى عذاباً ضعفاً في النار الحيات والأفاعي[٦]. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾[٧] [الأعراف:٣٨].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني أكابر المشركين ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ

(١) في مجاز القرآن ٢/ ١٨٦ .

(٢) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٥١١ ، وتفسير الرازي ٢٦/ ٢٢٢ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٠٨ .

(٤) في معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٠ (والكلام منه): شرع.

(٥) ما بين حاصرتين من إعراب القرآن للنحاس.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٦٨ .

(٧) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٢٢ .

﴿ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ قال ابن عباس: يريدون أصحابَ محمد ﷺ؛ يقول أبو جهل: أين بلال، أين صُهَيْب، أين عَمّار[١]. أولئك في الفردوس. واعجباً لأبي جهل! مسكين؛ أسلم ابنُه عكرمة، وابنته جُوَيرية، وأسلمتْ أُمُّه، وأسلم أخوه، وكفر هو؛ قال:

ونـوراً أضـاءَ الأرضَ شَـرْقـاً ومَـغْـربـاً ... ومـوضـعُ رِجلـي مِـنْـهُ أسْـوَدُ مُـظْلِـمُ[٢]

﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ قال مجاهد: أتَّخذناهم سخرياً في الدنيا فأخطأنا ﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ فلم نعلم مكانَهم. قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا؛ اتَّخذوهم سخرياً، وزاغت عنهم أبصارهم في الدنيا مَحْقَرةً لهم.

وقيل: معنى «أمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبصَارُ» أي: أهم معنا في النار فلا نراهم[٣]؟. وكان ابن كثير والأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائي يقرؤون: «مِنَ الأشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ» بحذف الألف في الوصل. وكان أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر يقرؤون: «أَتَّخَذْنَاهُمْ» بقطع الألف على الاستفهام[٤]، وسقطت ألف الوصل؛ لأنه قد استُغني عنها؛ فمن قرأ بحذف الألف لم يقف على «الأشْرَارِ» لأن «اتَّخَذْنَاهُمْ» حال. وقال النحاس[٥] والسجستاني: هو نعتٌ لرجال. قال ابن الأنباري[٦]: وهذا خطأ؛ لأن النعت لا يكون ماضياً ولا مستقبلاً. ومن قرأ: «أَتَّخذناهم» بقطع الألف وقف على «الأشْرَارِ».

قال الفراء[٧]: والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب، «أمْ زاغت عنهم الأبصار»؛ إذا قرأتَ بالاستفهام كانت أم للتسوية، وإذا قرأتَ بغير الاستفهام فهي بمعنى بل.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٠/ ١٣٦ بنحوه من قول مجاهد.

(٢) قائله البحتري، وهو في ديوانه ٣/ ١٩٧٦، وفيه: وبدر، بدل: ونوراً.

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٠٩.

(٤) السبعة ص٥٥٦، والتيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦٢، وقراءة ابن كثير المتواترة عنه بقطع الألف.

(٥) في إعراب القرآن ٣/ ٤٧١. وينظر ما قبله فيه.

(٦) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٦٤-٨٦٥، وما قبله منه.

(٧) في معاني القرآن ٢/ ٤١١، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس ٣/ ٤٧١.

وقرأ أبو جعفر ونافع وشيبة والمفضَّل وهبيرة ويحيى والأعمش وحمزة والكسائي: «سُخْرِيًّا» بضم السين. الباقون بالكسر[١]. قال أبو عبيدة[٢]: من كسر جعله من الهُزْء، ومن ضم جعله من التسخير. وقد تقدم[٣].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ «لَحَقٌّ» خبر إنَّ و«تَخَاصُمُ» خبر مبتدأ محذوف بمعنى: هو تخاصم. ويجوز أن يكون بدلاً من حق. ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر. ويجوز أن يكون بدلاً من ذلك على الموضع[٤]. أي: إن تخاصم أهل النار في النار لحقٌّ. يعني قولهم: «لَا مَرْحَبًا بِكُمْ» الآية، وشبهه من قول أهل النار.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ أي: مخوفٌ عقابَ الله لمن عصاه، وقد تقدّم. ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ أي: معبود. ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ الذي لا شريك له ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ بالرفع على النعت، وإن نصبت الأول نصبته. ويجوز رفع الأول ونصب ما بعده على المدح[٥]. «والْعَزِيزُ» معناه المنيع الذي لا مثل له. «الغَفَّارُ» السَّتَّار لذنوب خَلْقه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ أي: وقل لهم يا محمد: «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» أي: ما أُنذركم به من الحساب والثواب والعقاب خبرٌ عظيم القدر، فلا ينبغي أن يُستخفَّ به.

---

(١) السبعة ص٥٥٦ ، والتيسير ص١٦٠ ، والنشر ٢/ ٣٢٩ .

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ١٨٧ .

(٣) ١٥/ ٩٤ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧١ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٢٩ .

(٥) وهذا يجوز في غير التلاوة، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٢ .

قال معناه قتادة[١]. نظيره قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ . عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١-٢]. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني القرآن الذي أنبأتكم[٢] به خبر جليل[٣]. وقيل: عظيم المنفعة ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ الملأ الأعلى هم الملائكة في قول ابن عباس والسّدي اختصموا في أمر آدم حين خُلق فـ ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وقال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[٤] [ص: ٧٦].

وفي هذا بيانٌ أن محمداً ﷺ أخبر عن قصة آدم وغيره، وذلك لا يُتصوَّر إلا بتأييد إلهي؛ فقد قامت المُعجزة على صِدقه، فما بالهم أعرضوا عن تدبُّر القرآن ليعرفوا صِدْقه؛ ولهذا وصل قوله بقوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ . أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

وقولٌ ثانٍ رواه أبو الأشهب عن الحسن قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سألني ربي فقال: يا محمد، فِيم اختصم الملأ الأعلى، قلت: في الكفارات والدرجات قال: وما الكفارات، قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السَّبَرات والتعقيب في المساجد بانتظار الصلاة بعد الصلاة قال: وما الدرجات؟ قلت: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاةُ بالليل والناسُ نِيام»[٥] خرجه الترمذي بمعناه عن ابن عباس، وقال فيه: حديث غريب، وعن معاذ بن جبل أيضاً وقال: حديث حسن صحيح[٦]. وقد كتبناه بكماله في كتاب «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٥٤ .

(٢) في (د) و(م): أنباكم.

(٣) أخرجه الطبري ٢٠/ ١٤٠-١٤١ عن مجاهد والسدي وشريح، وذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة الطبرسي في مجمع البيان ٢٣/ ١٣١ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ١٤٢ بنحوه.

(٥) نقله المصنف من النكت والعيون ٥/ ١١٠ ، وهو هكذا مرسل، وينظر ما بعده. وأبو الأشهب: هو جعفر بن حيان العطاردي البصري، مات سنة (١٦٥هـ). تهذيب التهذيب ١/ ٣٠٣ . وقوله: السَّبَرات: جمع سَبْرة، وهي شدة البرد. النهاية (سبر).

(٦) سنن الترمذي (٣٢٣٤) و(٣٢٣٥)، والحديثان في مسند أحمد (٣٤٨٤) و(٢٢١٠٩). قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣٤ : أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة. وينظر تتمة تخريجه والكلام عليه في مسند أحمد.

وأوضحنا إشكاله والحمد لله.

وقد مضى في «يس» القولُ في المشي إلى المساجد، وأن الخُطَا تُكفّر السيئات، وترفع الدرجات[١].

وقيل: الملأ الأعلى الملائكة، والضمير في «يَخْتَصِمُونَ» لفرقتين. يعني قول من قال منهم: الملائكة بنات الله، [ومن قال: آلهة تعبد]. وقيل: الملأ الأعلى هاهنا قريش؛ يعني اختصامهم فيما بينهم سِرّاً، فأطلع الله نبيَّه على ذلك[٢].

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إن يُوحى إليَّ إلا الإنذار، وقرأ أبو جعفر ابن القعقاع: «إلاَّ إِنَّمَا» بكسر الهمزة[٣]؛ لأن الوحيَ قولٌ، كأنه قال: يقال لي: إنما أنت نذيرٌ مبين، ومَن فتحها جعلها في موضع رفع؛ لأنها اسمُ ما لم يُسمَّ فاعلُه. قال الفراء[٤]: كأنك قلت: ما يُوحَى إليَّ إلا الإنذار، النحاس[٥]: ويجوز أن تكون في موضع نصب بمعنى: إلا لأنما. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ «إِذْ» من صلة «يَخْتَصِمُونَ» المعنى: ما كان لي من علم بالملأ الأعلى حين يختصمون حين ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾.

وقيل: «إِذْ قال» بدل من «إِذْ يَخْتَصِمُونَ»[٦]، و«يَخْتَصِمُونَ» يتعلّق بمحذوف؛ لأن

---

(١) ١٧/ ٤٢٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٣-٥١٤، وما بين حاصرتين منه بنحوه.

(٣) النشر ٢/ ٣٦٢.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٤١٢.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٤٧٢.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤.

المعنى: ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقتَ اختصامهم.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ «إذا» تردُّ الماضي إلى المستقبل؛ لأنها تُشبه حروفَ الشرط وجوابُها كجوابه[1]؛ أي: خلقته.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ أي: من الروح الذي أَمْلكه ولا يَمْلكه غيري. فهذا معنى الإضافة، وقد مضى هذا المعنى مجوَّداً في «النساء» في قوله في عيسى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: ١٧١].

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ نصب على الحال. وهذا سجودُ تحية لا سجودَ عبادة. وقد مضى في «البقرة»[2].

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ أي: امتثلوا الأمر وسجدوا له خضوعاً له وتعظيماً لله بتعظيمه ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أَنِفَ من السجود له جهلاً بأنَّ السجودَ له طاعةٌ لله، والأَنَفَة من طاعة الله استكباراً كُفرٌ، ولذلك كان من الكافرين باستكباره عن أمر الله تعالى. وقد مضى الكلامُ في هذا في «البقرة» مستوفى[3].

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾ أي: صرفك وصَدَّك ﴿أَن تَسْجُدَ﴾ أي: عن أنْ تسجد ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ أضاف خَلْقه إلى نفسه تكريماً له، وإن كان خالقَ كل شيء،

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٢ .

(٢) ١/ ٤٣٦ .

(٣) ١/ ٤٤١ .

وهذا كما أضاف إلى نفسه الرُّوح والبيت والناقة والمساجد؛ فخاطب الخلق[١] بما يعرفونه في تعاملهم، فإنَّ الرئيس من المخلوقين لا يُباشر شيئاً بيده إلا على سبيل الإعظام والتكرُّم، فَذِكْر اليد هنا بمعنى هذا.

قال مجاهد: اليد هاهنا بمعنى التأكيد[٢] والصلة؛ مجازه: لِمَا خلقتُ أنا، كقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] أي: يبقى ربك. وقيل: التشبيه في اليد في خلق الله تعالى دليلٌ على أنه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة؛ وإنما هما صِفتان من صفات ذاته تعالى. وقيل: أراد باليد القدرة[٣]، يقال: ما لي بهذا الأمر يدٌ. وما لي بالحِمْل الثقيل يَدَانِ. ويدلُّ عليه أن الخَلْقَ لا يقع إلا بالقدرة بالإجماع. وقال الشاعر:

تَحمَّلْتُ مِن عَفْرَاءَ[٤] ما ليس لي بِهِ ... ولا لـلـجِـبـالِ الـرّاسِـيـاتِ يَـدَانِ

وقيل: «لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» لما خلقت بغير واسطة.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي: عن السجود ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي: المُتكبرين على ربِّك.

وقرأ محمد بن صالح، عن شِبْل، عن ابن كثير وأهل مكة: «بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ» موصولة الألف على الخبر[٥]، وتكون أم منقطعة بمعنى: بل، مثل: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» وشبهه. ومن استفهم: «أم» معادلة لهمزة الاستفهام، وهو تقرير وتوبيخ[٦]. أي: استكبرتَ بنفسك حين أبيتَ عن السجود لآدم، أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت لهذا[٧].

---

(١) في (م): الناس.

(٢) في (م): التأكد.

(٣) مذهب السلف أن صفة اليد ثابتة لله سبحانه، فَنُثبت ما أثبته الله لنفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل. وينظر الكلام السالف بمعناه في الأسماء والصفات ٢/ ١٢٧ .

(٤) في النسخ الخطية: دلفاء، والمثبت من المصادر، والبيت لعروة بن حزام، وعفراء ابنة عمه. الخزانة ٣/ ٢١٥ و٣٧٨ ، والنكت والعيون ٥/ ١١١ .

(٥) ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص٥٥٦ ، وهي غير المشهورة عن ابن كثير.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٥ بنحوه.

(٧) زاد المسير ٧/ ١٥٧ .

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ قال الفرّاء: من العرب من يقول: أنا أخيرُ منه وأشرُّ منه؛ وهذا هو الأصل إلا أنه حذف منه[1] لكثرة الاستعمال.

﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فَضَّل النارَ على الطين، وهذا جهلٌ منه؛ لأن الجواهر متجانسةٌ، فقاسَ فأخطأ القياس. وقد مضى في «الأعراف» بيانه[2].

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ يعني من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي: مرجومٌ بالكواكب والشُّهب[3] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ﴾ أي: طردي وإبعادي من رحمتي ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تعريفٌ بإصراره على الكُفر؛ لأن اللَّعنَ منقطعٌ حينئذ، ثم بدخوله النار يظهر تحقيق اللعن، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أراد الملعون ألا يموت، فلم يُجَبْ إلى ذلك، وأُخِّر إلى الوقت المعلوم، وهو يوم يموت الخلقُ فيه، فَأُخِّر إليه تهاوناً به.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لما طرده بسبب آدم حلفَ بِعزَّة الله أنه يُضِلُّ بني آدم بتزيين الشهوات وإدخال الشُّبَه عليهم، فمعنى: «لَأُغْوِيَنَّهُمْ»: لأستدعِيَنَّهم إلى المعاصي، وقد عَلِمَ أنه لا يَصِلُ إلا إلى الوسوسة، ولا يُفسد إلا مَن كان لا يصلحُ لو لم يوسوسه[4]؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: الذين أخلصتَهم لعبادتك، وعَصَمتَهم مني. وقد مضى في «الحجر» بيانه[5].

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ هذه قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة

---

(١) يعني: حُذفت منه الألف كما في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٣ . وسقطت لفظة «منه» من (م).

(٢) ٩/ ١٦٥ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٣ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) ١٢/ ٢١٢ .

والكسائي. وقرأ ابن عباس ومجاهد وعاصم والأعمش وحمزة برفع الأول[١]. وأجاز الفرّاء[٢] فيه الخفض[٣]. ولا اختلاف في الثاني في أنه منصوبٌ بـ«أقول» ونُصِبَ الأوّل على الإغراء، أي: فاتَّبِعوا الحقَّ، واستمعوا الحق، والثاني: بإيقاع القول عليه. وقيل: هو بمعنى أُحِقُّ الحَقَّ، أي: أفعله[٤].

قال أبو علي[٥]: الحقّ الأوّل منصوبٌ بفعل مضمر، أي: يُحِقُّ اللهُ الحقَّ، أو على القسم وحُذف حرف الجر كما تقول: اللهِ لأفعلنَّ، ومجازه: قال: فبالحقِّ، وهو الله تعالى أقسم بنفسه. و«الحَقَّ أَقُولُ» جملة اعترضت بين القسم والمُقسم عليه، وهو توكيد القصة، وإذا جعل الحقّ منصوباً بإضمار فعل كان «لأملأنّ» على إرادة القسم.

وقد أجاز الفرّاء[٦] وأبو عُبيد أن يكون الحق منصوباً بمعنى حقّاً «لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ» وذلك عند جماعة من النحويين خطأ؛ لا يجوز: زيداً لأضربنّ؛ لأن ما بعد اللام مقطوعٌ مما قبلها فلا يعمل فيه. والتقدير على قولهما: لأملأنَّ جهنم حقًّا. ومن رفع «الحقّ» رفعه بالابتداء؛ أي: فأنا الحقُّ، أو الحقُّ مني. رُويا جميعاً عن مجاهد. ويجوز أن يكون التقدير: هذا الحقُّ.

وقول ثالث على مذهب سيبويه والفراء أن معنى: فالحقّ لأملأن جهنم بمعنى: فالحق أن أملأ جهنم.

وفي الخفض قولان ـ وهي قراءة ابن السَّمَيْفَع وطلحة بن مُصَرِّف ـ: أحدهما أنه

(١) السبعة ص٥٥٧ ، والتيسير ص١٨٨ ، والنشر ٢/ ٣٦٢ ، وقراءة الأعمش وابن عباس رضي الله عنهما في القراءات الشاذة ص١٣٠ .

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٤١٣ بنحوه، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٧٤ ، وما قبله منه.

(٣) ذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٣٠ أن عيسى بن عمر قرأ: فالحقِّ والحقِّ، بالجر فيهما. قال ابن خالويه: الصواب أن يخفض الثانية، لأن القسم يكون بالواو ولا يكون بالفاء.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٤ .

(٥) في الحجة ٦/ ٨٧-٨٨ .

(٦) في معاني القرآن ٢/ ٤١٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٧٤ ، والكلام منه.

على حذف حرف القسم. هذا قول الفراء قال: كما يقول: اللهِ لأفعلنّ. وقد أجاز مثل هذا سيبويه وغلطه فيه أبو العباس ولم يُجز الخفض؛ لأن حروف الخفض لا تُضمر، والقول الآخر: أن تكون الفاء بدلاً من واو القسم؛ كما أنشدوا:

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ(١)

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ أي: من نفسك وذريَّتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ من بني آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: من جُعْل على تبليغ الوحي، وكنَى به عن غير مذكور. وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ﴾ [ص: ٨].

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: لا أتكلَّف ولا أتخرَّص ما لم أُؤمر به.

وروى مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: من سُئل عما لم يعلم فليقل: لا أعلم، ولا يتكلَّف؛ فإن قوله: لا أعلم عِلمٌ، وقد قال الله عز وجل لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾(٢). وعن رسول الله ﷺ: «لِلْمُتَكلِّفِ ثلاثُ علامات: يُنازِع مَن فوقَه، ويَتَعاطى ما لا يُنال، ويقولُ ما لا يَعلم»(٣).

---

(١) الكلام في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٤، والبيت لامرئ القيس، وهو من معلقته ينظر شرح القصائد السبع للنحاس ١/ ١٢، وعجزه: فألهيتُها عن ذي تمائم مُحْوِل. ورواية الديوان ص١٢: ومرضعاً، وهي كذلك في (د) و(ز) و(ظ)، بدل: ومرضع. ومُغيَل، بدل: مُحْوِل. والمُغيَل: المُرضَع وأمه حبلى. والمُحْوِل: الذي أتى عليه الحول، وينظر تحصيل عين الذهب للأعلم ص٢٩٩. قال النحاس في شرح القصائد السبع: وخفض «فمثلِك» على معنى: رُبَّ مثلِك، والعربُ تبدل من «رُبَّ» الواو، وتُبدل من الواو الفاء لاشتراكهما في العطف.

(٢) بنحوه ضمن حديث طويل أخرجه أحمد (٤١٠٤)، والبخاري (٤٨٢٢)، ومسلم (٢٧٩٨)، ونقله المصنف عن النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٧٤.

(٣) أخرجه الثعلبي. فيما ذكره الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٤٢. من طريق محمد بن عون. . . وذكر إسناده إلى سلمة بن نفيل ﷺ مرفوعاً. ومحمد بن عون، قال النسائي: متروك، وقال البخاري: منكر الحديث. الميزان ٣/ ٦٧٦، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٤٧ من قول وهب بن منبه، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٠٦٤) من قول أرطاة بن المنذر.

وروى الدَّارَقُطْني من حديث نافع عن ابن عمر قال: خرج رسولُ الله ﷺ في بعض أسفاره، فسار ليلاً فمروا على رجل جالس عند مَقْرَاة له، فقال له عمر: يا صاحب المَقْرَاة، أوَ لَغت السِّباع الليلة في مَقْرَاتك؟ فقال له النبي ﷺ: «يا صاحبَ المَقْرَاة، لا تُخبره، هذا مُتكلِّف، لها ما حملتْ في بطونها، ولنا ما بقي شرابٌ وطَهُور»[١].

وفي «الموطأ» عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أن عمر بن الخطاب خرج في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى وَردوا حوضاً، فقال عمرو بن العاص: يا صاحب الحوض، هل تَرِدُ حوضَك السِّباع؟ فقال عمر: يا صاحب الحوض، لا تُخبرنا، فإنا نَرِدُ على السِّباع وتَرِدُ علينا[٢]. وقد مضى القول في المياه في سورة «الفرقان»[٣].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ يعني القرآن ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ من الجن والإنس.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ أي: نبأ الذِّكر - وهو القرآن - أنه حقٌّ «بعد حِين» قال قتادة: بعد الموت[٤]. وقاله الزجاج[٥]. وقال ابن عباس وعكرمة وابن زيد: يعني يوم القيامة[٦].

وقال الفراء[٧]: بعد الموت وقبله. أي: لتظهر لكم حقيقةُ ما أقول: «بعدَ حِين» أي: في المستأنف، أي: إذا أخذتكم سيوفُ المسلمين. قال السُّدي: وذلك يومَ بدر. وكان الحسن يقول: يابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين[٨].

(١) سنن الدارقطني (٣٤). والمقراة: الحوض الذي يجتمع فيه الماء. النهاية (قري).
(٢) الموطأ ١/ ٢٣-٢٤ .
(٣) ١٣/ ٤٥ .
(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ١٥١ .
(٥) في معاني القرآن ٤/ ٣٤٢ .
(٦) أخرجه الطبري ٢٠/ ١٥٢ عن ابن زيد.
(٧) في معاني القرآن ٢/ ٤١٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٧٤ .
(٨) النكت والعيون ٥/ ١١٢ ، وقول الحسن في تفسير الطبري ٢٠/ ١٥١ .

وسُئل عكرمة عمن حلف: لَيصنعنَّ كذا إلى حين. قال: إنَّ من الحين ما لا تُدركه كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ ومنه ما تُدركه؛ كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ من صِرام النخل إلى طُلوعه ستة أشهر. وقد مضى القولُ في هذا في «البقرة» و«إبراهيم»(١) والحمد لله.

---

(١) ١/ ٤٧٧ و ١٢/ ١٣٥، وقول عكرمة سلف ١٢/ ١٣٦.

سُورَةُ صٓ

مَكِّيَّةٌ، وآيُها سِتٌّ أو ثمانٌ وثمانونَ(١)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿صٓ﴾ وقُرِئَ بالكسرِ(٢) لالتقاءِ السَّاكِنَيْنِ، وقيل: لأنَّه أمرٌ مِن المُصادَّاةِ بمعنى المعارَضَةِ، ومنه: الصَّدَى فإنَّه يُعارِضُ الصَّوتَ الأوَّلَ؛ أي: عارِضِ القُرآنَ بعَمَلِكَ.

وبالفَتحِ لذلك(٣)، أو لحَذفِ حرفِ القَسمِ وإيصالِ فعلِهِ إليه(٤)، أو إضمارِه والفَتْحِ في مَوضِعِ الجرِّ فإنَّها غيرُ مَصروفَةٍ(٥) لأنَّها عَلَمُ السُّورَةِ.

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٤)، وفيه: «خمس وثمانون في البَصْري، وهو عدد عاصم الجحدري، وست في عدد المدنيين والمكي والشامي، وثمان في الكوفي، اختلافُها ثلاث آيات...».

(٢) بكسر الدال: قرأ أبيٌّ بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق وأبو السمال وابن أبي عبلة ونصر بن عاصم، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، و«البحر» (١٨/ ٢٢٨).

(٣) قرأ بها عيسى الثقفي ومحبوب عن أبي عمرو وفرقة. انظر المصادر السابقة.

(٤) بحذفِ حرف القسَم وإيصَال فِعله كقَولهم: (اللهَ لأفعلنَّ) بالنَّصب. انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٨١).

وقوله: «بالكسر» أو «بالفتح» يعني أن الحركة بنائية، وقوله: «بالنصب» يدل على أن الحركة إعرابية مع منع الصرف. انظر: «حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج٢/ و٣١١ب).

(٥) أي: بإضْمارِ حَرْف القَسم كقَولهم: (اللهِ لأفعلنَّ) بالجرِّ، والفتحُ في موضع الجرّ هنا للمنع من =

وبالجرِّ والتنوينِ[1] على تأويلِ الكتابِ.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ الواوُ للقَسَمِ إن جُعِلَ (ص) اسمًا للحرفِ، أو مَذكورًا للتَّحدِّي[2]، أو الرَّمزِ بكَلامٍ مثل: صَدَقَ مُحمَّدٌ، أو للسُّورةِ خبرًا لِمَحذوفٍ، أو لفظِ الأمرِ[3]، وللعطفِ إنْ جُعِلَ مُقسَمًا به، والجوابُ مَحذوفٌ دلَّ عليه ما في (ص) مِن الدَّلالةِ على التَّحدِّي، أو الأمرِ بالمعادلَةِ[4]؛ أي: إنَّه لَمُعجِزٌ، أو لَواجِبٌ العملُ به، أو: إنَّ مُحمَّدًا لَصادِقٌ، أو قولُه[5]: (٢) ـ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾؛ أي: ما كفرَ بهِ مَن كفرَ لخللٍ وجدَهُ فيهِ، بل الذين كفرُوا به ﴿فِى عِزَّةٍ﴾؛ أي: استكبارٍ عن الحقِّ ﴿وَشِقَاقٍ﴾: خلافٍ للهِ ولِرَسولِه، ولذلك كَفَرُوا به.

وعَلى الأوَّلَينِ الإضرابُ أيضًا مِن الجوابِ المُقدَّرِ، ولكن مِن حَيثُ إشعارُهُ بذلك.

= الصرف. انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٨١ ـ ٣٨٢).

والفرق بين الحذف والإضمار: أن المحذوفَ متروكٌ أصلاً، فلا يكون فيما يقوم مقامه أثرٌ منه، والمضمرُ بخلافه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٦٠٤).

(١) قرأ بها ابن أبي إسحاق في رواية. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٠٢)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩١)، و«البحر» (١٨/ ٢٢٨).

(٢) قوله: (أو مذكوراً للتحدّي) هكذا هو في النسخ، وقال الشهاب في «الحاشية» (٧/ ٢٩٤): في النسخ الصحيحة بدون «أو»، ووقع في نسخة بها فقيل: الأولى طرحها.

(٣) قوله: «خبراً لمحذوف»؛ أي: هذه صاد، «أو لفظ الأمر» بمعنى: عارضه بعملك. المصدر السابق.

(٤) قوله: «أو الأمر بالمعادلة»؛ أي: مقابلة علمه بالقرآن بعمله بما فيه، من قولهم: هو عدله وعديله؛ أي نظيره ومقابِلُه، وهو معطوف على الدلالة. المصدر السابق.

(٥) «أو قوله» عطف على «ما في ﴿صٓ﴾». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٦٠٤).

والمرادُ بالذِّكرِ: العِظَةُ، أو الشَّرفُ، أو الشُّهرَةُ[1]، أو ذكرُ ما يُحتَاجُ اليه في الدِّينِ مِن العَقائِدِ والشَّرائعِ والمَواعيدِ، والتَّنكيرُ في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ للدَّلالةِ على شِدَّتِهما.

وقرئ: في (غِرَّةٍ)[2]؛ أي: غفلةٍ عمَّا يجبُ عليهِم النَّظرُ فيه.

(٣) - ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ وعيدٌ لَهُم على كُفرِهم به استكبارًا وشِقاقًا.

﴿فَنَادَوا﴾ استغاثةً، أو توبةً واستغفارًا[3].

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾؛ أي: ليسَ الحينُ حينَ مَناصٍ، و(لا) هي المشبَّهَةُ بـ(ليس) زِيدَتْ عليها تاءُ التَّأنيثِ للتَّأكيدِ كما زِيدَت على (رُبَّ) و(ثمَّ)، وخُصَّت بلزومِ الأحيانِ وحذفِ أحدِ المعمولَيْنِ.

وقيل: هيَ النَّافيَةُ للجِنسِ؛ أي: ولا حينَ مناصٍ لهم.

وقيل: للفعلِ[4]، والنَّصبُ بإضمارِهِ؛ أي: ولا أرى حينَ مناصٍ.

وقُرِئَ بالرَّفعِ[5] على أنَّه اسمٌ، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ؛ أي: ليسَ حينُ مناصٍ حاصِلًا لهم، أو: لا حينُ مناصٍ كائنٌ لهم.

وبالكسرِ[6] كقولِهِ:

---

(١) في نسخة الفاروقي: «والشهرة».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩ - ١٣٠) عن حماد بن الزبرقان.

(٣) في نسخة الخيالي: «استغاثة وتوبة واستغفارًا».

(٤) «وقيل: للفعل» عطف على «للجنس». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٦٠٥).

(٥) أي: برفع ﴿حِينَ﴾ ذكرها الأخفش في «معاني القرآن» (٢/ ٤٩٢) عن بعضهم، ولم يسمهم، وعزاها الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٤) إلى بعض نحويي أهل البصرة.

(٦) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٢)، و«البحر» (١٨/ ٢٣١)، عن عيسى بن عمر. وقيدها أبو حيان بكسر التاء من (لات) مع جر النون من (حين). وستأتي القراءة بكسر التاء.

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَاتَ حِينِ بَقَاءِ[١]

إمَّا لأنَّ (لاتَ) تجرُّ الأحيانَ كما أنَّ (لَوْلَا) تجرُّ الضَّمائرِ في نحوِ قوله:

لَوْلَاكِ هذا العَامَ لَمْ أَحْجُجِ[٢]

أو لأنَّ «أوانٍ» شُبِّهَ بـ(إذ) لأنَّه مَقطوعٌ عن الإضافةِ؛ إذ أصلُهُ: أوان صلحٍ، ثمَّ حُمِلَ عليه (مناص) تنزيلًا لِمَا أُضيفَ إليه الظَّرفُ منزلتَهُ لِمَا بينَهُمَا مِن الاتِّحادِ؛ إذ أصلُه: (حينَ مَناصِهِم) ثمَّ بُنِيَ الحينُ لإضافتِه إلى غيرِ متمكنٍ[٣].

و(لاتِ) بالكسرِ كجَيْرِ[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٨)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٩٢)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٨٣)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ١٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٢٠)، و«الأصول في النحو» (٢/ ١٤٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٠٤)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٠٣)، و«الخصائص» (٢/ ٣٧٩)، و«مجمع الأمثال» (١/ ٤٣٣)، و«الكشاف» (٧/ ٣٨٤)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٢)، و«البحر» (١٨/ ٢٣١)، و«الخزانة» للبغدادي (٤/ ١٩١)، وفي جميع المصادر عدا «الكشاف» و«البحر»: «أن ليس حين بقاء».

قال الجاربردي في «الحاشية على الكشاف» (ج٢/ و٣١٢أ): أي: ولات أوانَ صلح، والشاهد في البيت كسر «أوانٍ». وقال السيوطي في «شرح شواهد المغني» (٢/ ٦٤١): قوله: «طلبوا»؛ أي: طلب هؤلاء القوم صلحنا والحال أن الأوان ليس أوان الصلح، فقلنا لهم: ليس الحين بقاء الصلح، فحذف اسم ليس وأبقى الخبر و«أنْ» في البيت تفسيرية.

(٢) عجز بيت لابن أبي ربيعة، وهو في «ديوانه» (ص: ٩٢)، و«شرح المفصل» (٢/ ٣٤٠) لابن يعيش، وصدره:

أَوْمَتْ بعينيها من الهودج

(٣) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «متمكن» بدل: «غير متمكن».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٢)، و«البحر» (١٨/ ٢٣١)، عن عيسى بن عمر.

وتقفُ الكوفيَّةُ عليها بالهاءِ كالأسماءِ، والبصريَّةُ بالتَّاءِ كالأفعالِ.

وقيل: إنَّ التَّاءَ مزيدةٌ على ﴿حِينَ﴾ لاتِّصالِها به في الإمامِ[١]، ولا يَرِدُ عليه أنَّ خطَّ المُصحَفِ خارجٌ عن القياسِ، إذ مثلُهُ لم يُعهَد فيه، والأصلُ اعتبارُهُ إلَّا فيمَا خَصَّهُ الدَّليلُ، ولقولِه:

العَاطِفُونَ تَحِينَ لا[٢] مِنْ عَاطِفٍ وَالمُطْعِمُونَ زَمَانَ مَا مِنْ مُطْعِمِ[٣]

والمناصُ: المنجا، مِن ناصَهُ يَنُوصُهُ: إذا فاتَهُ.

(٤) - ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾: بشرٌ مِثْلُهُم، أو أُمِّيٌّ مِن عِدادِهِم.

﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وُضِعَ فيه الظَّاهرُ موضِعَ الضَّميرِ غضبًا عليهم وذمًّا لَهُم، وإشعارًا بأنَّ كُفْرَهُم جَسَّرَهُم على هذا القولِ: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ﴾ فيما يُظهِرُهُ من مُعجزةٍ ﴿كَذَّابٌ﴾ فيما يقولُ على اللهِ.

(٥) - ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ بأَنْ جعلَ الألوهيَّةَ التي كانَتْ لهم لِواحِدٍ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾: بليغٌ في العجبِ، فإنَّهُ خلافُ ما أطبقَ عليه آباؤُنا وما نُشاهِدُه مِن أنَّ الواحِدَ لا يَفِي علمُهُ وقُدرتُهُ بالأشياءِ الكثيرةِ.

---

(١) أي: (ولا تحين)، وفي هامش نسخة التفتازاني: «أي في مصحف عثمان».

(٢) في نسخة الخيالي: «ما».

(٣) البيت لأبي وجزة السعدي، وهو في «العين» للخليل (٨/ ٣٦٩)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٢٧٨)، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (١/ ١٨٤)، و«الصحاح» (مادة: حين)، و«تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٤٥٨)، «المخصص» لابن سيده (٥/ ٨٢). وفي «اللسان» (مادة: ليت): قال ابن بري: صواب إنشاده:

العاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عاطِفٍ والمُنْعِمُونَ زَمانَ أَيْنَ المُنْعِمُ
واللَّاحِفُونَ جِفانَهُمْ قَمْعَ الذُّرَى والمُطْعِمُونَ زَمانَ أَيْنَ المُطْعِمُ

وقُرِئَ: مُشدَّدًا[١] وهو أبلَغُ ككُرَام وكُرَّامِ.

رُوِيَ أنَّهُ لَمَّا أسلمَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ شقَّ ذلك على قُريشٍ، فأتوا أبا طالبٍ وقالوا: أنتَ شيخُنَا وكبيرُنَا، وقد عَلِمْتَ ما فعلَ هؤلاءِ السُّفهاءُ، وإنَّا جئناكَ لتقضيَ بينَنا وبينَ ابنِ أخيكَ، فاستحضرَ رسولَ اللهِ ﷺ وقال: هؤلاءِ قَومُكَ يَسألُونَكَ السَّواءَ[٢]، فَلا تَمِلْ كُلَّ الميلِ عليهِمْ، فقالَ عليهِ السَّلامُ: «ماذا يَسألونَنِي» قالوا: ارفُضْنَا وارفُضْ ذِكرَ آلِهَتِنا ونَدَعَكَ وإلهكَ، فقال: «أرأَيْتُم إنْ أَعْطَيْتُكُم ما سَأَلْتُم أَوَمُعْطِيَّ[٣] أنتُمْ كلمةً واحدةً تَملِكُونَ بها العربَ ويَدينُ لَكُم بها العجمُ» قالوا: نَعَم، وعشرًا! فقال: «قولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ» فقامُوا وقالُوا ذلك[٤].

(٦) ـ ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾: وانطلقَ أَشرافُ قُريشٍ مِن مَجلسِ أبي طَالبٍ بعدما بكَّتَهُم رَسولُ اللهِ ﷺ ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ قائلينَ بعضُهُم لبعضٍ: ﴿ٱمۡشُواْ﴾، ﴿وَٱصۡبِرُواْ﴾: واثبتُوا، ﴿عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾: على عِبادَتِها، فلا يَنفَعُكُم مُكالَمَتُه.

و(أنْ) هي المُفسِّرَةُ؛ لأنَّ الانطلاقَ عن مجلسِ التَّقاوُلِ يُشعِرُ بالقَوْلِ.

وقيل: المرادُ بالانطلاقِ: الاندِفَاعُ في القَولِ، و﴿ٱمۡشُواْ﴾ مِن مَشَتِ المرأةُ: إذا كَثُرَت وِلادَتُها، ومنه: الماشِيَةُ؛ أي: اجتمِعُوا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٨)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، عن السلمي، وزاد ابن خالويه نسبتها لعلي رضي الله عنه.

(٢) في نسخة التفتازاني والخيالي وهامش نسخة الفاروقي: «السؤال».

(٣) في نسخة التفتازاني والخيالي والفاروقي: «أمعطيَّ».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٠٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧١٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٨٦) مِن حديثِ ابن عبَّاسٍ قال: مَرِضَ أبو طالبٍ فجاءَتْهُ قُرَيشٌ وجاءَه النبيُّ ﷺ... فذكرَ الحديثَ نحوه.

وقُرِئَ: بغيرِ (أن)[1]، وقُرِئَ: (يمشونَ أَنِ اصبِرُوا)[2].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾: إنَّ هذا الأمرَ لشيءٌ مِن رَيبِ الزَّمانِ[3] يُرادُ بنا فلا مَرَدَّ له.

أو: إن هذا الذي يدَّعيهِ مِن التَّوحيدِ، أو يقصدُهُ مِن الرِّئاسَةِ والتَّرفُّعِ على العربِ والعجمِ، لشَيْءٌ يُتَمنَّى ويريدُه كلُّ أحدٍ.

أو: إن دينكُم لشيء يُطلَبُ ليُؤخَذَ مِنْكُم.

(٧) ـ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: بالذي[4] يقولُه ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: في المِلَّةِ التي أدرَكْنا عليهَا آباءَنا، أو في مِلَّةِ عيسى التي هيَ آخرُ المِلَلِ فإنَّ النَّصارَى يثلِّثونَ.

ويجوزُ أن تكونَ حالًا مِن ﴿هَٰذَا﴾؛ أي: ما سَمِعْنَا مِن أَهلِ الكتابِ ولا الكُهَّانِ بالتَّوحيدِ كائنًا في الملَّةِ المترقَّبَةِ ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾: كذبٌ اختلقَهُ.

(٨) ـ ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ إنكارٌ لاختصاصِهِ بالوَحيِ وهو مثلُهُم أَوْ أَدْوَنُ مِنْهُم في الشَّرَفِ والرِّئَاسَةِ؛ كقَوْلِهِم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وأمثالُ ذلك دليلٌ على أنَّ مبدأَ تكذيبِهِم لم يَكُن إلا الحسدَ، وقُصورَ النَّظرِ على الحُطامِ الدُّنيويِّ.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾: مِن القُرآنِ أو الوحيِ؛ لِمَيلِهِم إلى التَّقليدِ وإعراضِهِم عن الدَّليلِ، وليسَ في عَقِيدَتِهِم ما يَبتُّونَ بهِ مِن قَولِهِم: ﴿هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٨٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٩)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٢١)، و«الكشاف» (٧/ ٣٨٩)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) كتب تحتها في نسخة الفاروقي: «نوائب الدهر».

(٤) في نسخة التفتازاني: «الذي».

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾: بل لَمْ يَذُوقُوا عذابي بعدُ فإذا ذاقُوهُ زالَ شَكُّهُم، والمعنى: أنَّهُم لا يُصدِّقُونَ به حتَّى يَمسَّهُم العَذابُ فيُلجِئَهُم إلى تَصديقِهِ.

(٩) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾: بَـلْ أَعِنْدَهُـم خَزائِـنُ رَحمَتِه وفي تَصرُّفِهِـم حتـى يُصيبُـوا بهـا مَـن شَـاؤُوا ويصرفُوهَـا عمَّـن شَـاؤوا فيَتخيَّـرُوا للنبوَّةِ بعـضَ صَناديدِهِم؟

والمعنى: أنَّ النُّبوَّةَ عَطِيَّةٌ مِن اللهِ يَتفضَّلُ بها على مَن يشاءُ مِن عِبادِهِ لا مانعَ لَهُ فإنَّهُ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾؛ أي: الغالبُ الذي لا يُغلَبُ ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾: الذي لهُ أَنْ يهبَ كُلَّ ما يَشاءُ لِمَن يَشاءُ، ثمَّ رَشَّحَ ذلك فقال:

(١٠) ـ ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كأنَّه لَمَّا أنكرَ عليهم التَّصرُّفَ في نبوَّتِهِ بأنْ ليسَ عِندَهُم خزائنُ رَحمَتِه التي لا نهايةَ لها، أردفَ ذلك بأنَّه ليسَ لَهم مدخلٌ فـي أمرِ هذا العالمِ الجِسمَانِيِّ الذي هو جزءٌ يَسيرٌ[1] مِن خَزائنِهِ، فمِنْ أينَ لَهُم أن يَتصرَّفُوا فيها؟

﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ جوابُ شَرطٍ مَحذوفٍ؛ أي: إن كانَ لهم ذلك فليَصْعَدُوا في المَعارجِ التي يُتوصَّلُ بها إلى العَرْشِ حتَّى يَسْتَوُوا عليه ويُدبِّرُوا أَمْرَ العالَمِ، فيُنْزِلونَ الوحيَ إلى مَن يَستصوِبُونَ، وهو غايةُ التَّهكُّمِ بهم. والسَّببُ في الأصلِ هو الوصلَةُ.

وقيل: المرادُ بالأسبابِ: السَّماواتُ؛ لأنَّها أَسبابُ الحوادثِ السُّفلِيَّةِ.

(١١) ـ ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ أي: هُـمْ جُنـدٌ مَـا مِـن الكُفَّـارِ المُتَحزِّبيـنَ علـى الرَّسـولِ مهـزومٌ مَكسـورٌ عمَّـا قريـبٍ، فمِـنْ أيـنَ لَهُـم التَّدابيـرُ

---

(١) في نسخة الفاروقي: «الذي هو خزانة يسيرة».

الإلهيَّةُ والتَّصرُّفُ في الأمورِ الرَّبَّانيَّةِ؟: فلا تكترثْ بما[١] يقولونَ، و﴿مَّا﴾ مَزيدَةٌ للتَّقليلِ، كقولك: أكلتُ شيئًا ما.

وقيل: للتَّعظيمِ على الهزءِ، وهو لا يُلائِمُ ما بعدَهُ.

و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى حيثُ وضعُوا فيه أنفُسَهُم من الانتدابِ لِمثلِ هذا القَوْلِ.

(١٢) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾: ذو المُلْكِ الثَّابتِ بالأوتادِ، كقولِه:

وَلَقَدْ غنَوا فِيهَا بَأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... فـي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ[٢]

مأخوذٌ مِن ثَباتِ البيتِ المطنَّبِ بأوتادِه.

أو: ذو الجموعِ الكثيرةِ، سُمُّوا بذلك لأنَّ بعضَهُم يشدُّ بعضًا كالوتدِ يشدُّ البِناءَ.

وقيل: نصَبَ أربعَ سَوارٍ، وكان يمدُّ يَدَي المعذَّبِ ورِجلَيْهِ إليها ويضربُ عليهَا أوتادًا ويتركُه حتى يموتَ.

(١٣) ـ ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: وأصحابَ الغَيْضَةِ، وهم قومُ شُعَيبٍ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿لَيْكَةِ﴾[٣].

﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ يعني: المُتحزِّبينَ على الرُّسلِ، الذين جُعِلَ الجندُ المَهزومُ مِنْهُم.

(١٤) ـ ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ بيانٌ لِمَا أُسنِدَ إليهم مِن التَّكذيبِ على الإبهامِ مُشتمِلٌ على أنواعٍ مِن التَّأكيدِ ليَكونَ تَسجيلًا على استحقاقِهِم للعذابِ، ولذلك رتَّبَ

---

(١) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «لما».

(٢) للأسود بن يعفر النهشلي، انظر: «ديوانه» (ص: ٢٧)، و«المفضليات» (ص: ٢١٥ ـ ٢١٧).

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٦٦).

عليهِ ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ وهو إمَّا مُقابلَةُ الجَمعِ بالجَمعِ، أو جعلُ تَكذيبِ الواحدِ مِنْهُم تكذيبَ جميعِهِم.

(١٥) ـ ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: وما ينتظرُ قومُكَ أو الأحزابُ، فإنَّهُم كالحضورِ لاستحضارِهِم بالذِّكرِ، أو حضورِهِم في علمِ اللهِ.

﴿إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي النَّفخَةُ ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ مِن تَوقُّفٍ مِقدارَ فَواقٍ، وهو ما بينَ الحَلبتَيْنِ، أو رجوعٍ وتَردادٍ فإنَّه فيه[1] يرجعُ اللبنُ إلى الضَّرعِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ بالضَّمِّ، وهما لُغتانِ[2].

(١٦) ـ ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾: قِسطَنَا مِن العَذابِ الذي تُوْعِدُنا به، أو الجنةِ التي تُعَدُّ للمُؤمنينَ، وهو مِن قطَّهُ: إذا قطعَهُ، ويقالُ لصحيفَةِ الجائزَةِ: (قِطٌّ) لأنَّها قِطعَةٌ مِن القرطاسِ، وقد فُسِّرَ بها؛ أي: عَجِّلْ لنا صحيفةَ أَعمالِنَا ننظُرْ فيها ﴿قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ استعجَلُوا[3] ذلك استِهزاءً.

(١٧) ـ ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾: واذكُرْ لَهُم قِصَّتَه تعظيمًا للمَعصِيَةِ في أَعيُنِهِم، فإنَّه مع عُلوِّ شأنِهِ واختصاصِهِ بعَظائمِ النِّعَمِ والمكرُماتِ لَمَّا أتى بصغيرةٍ نزلَ عن منزلَتِه ووبَّخَهُ الملائكةُ بالتَّمثيلِ والتَّعريضِ، حتَّى تَفطَّنَ فاستغفرَ ربَّهُ وأنابَ، فمَا الظَّنُّ بالكفرَةِ وأهلِ الطُّغيانِ؟

أو: تذكَّرْ قِصَّتَه وصُنْ نَفسَكَ أن تَزِلَّ فيلقاكَ ما لَقِيَهُ مِن المعاتبَةِ على إهمالِهِ عنانَ نَفسِهِ أدنى إهمالٍ.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «فإنه ساعة».

(٢) وقراءة الباقين بفتح الفاء، انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٣) في نسخة الفاروقي: «استعملوا».

﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾: ذا القُوَّةِ، يقال: فُلانٌ أَيِّدٌ وذو أَيْدٍ وآدٍ وإيادٍ، بمعنًى.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رجَّاعٌ إلى مرضاةِ[1] اللهِ، وهو تعليلٌ لـ﴿ٱلۡأَيۡدِ﴾ دليلٌ على أنَّ المرادَ بِهِ القُوَّةُ في الدِّينِ، وكانَ يَصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا ويقومُ نِصفَ الليلِ.

(١٨) ـ ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾ قد مرَّ تَفسيرُهُ، و﴿يُسَبِّحۡنَ﴾ حالٌ وُضِعَ مَوضِعَ: مُسبِّحَاتٍ؛ لاستحضارِ الحالِ الماضيةِ، والدلالةِ على تَجدُّدِ التَّسبيحِ حالًا بعدَ حالٍ.

﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾: ووقتَ الإشراقِ، وهو حينَ تُشرِقُ الشَّمسُ؛ أي: تُضيءُ ويَصْفُو شُعاعُها، وهو وَقتُ الضُّحَى، وأمَّا شُروقُها فطُلُوعُها، يقال: شَرَقَتِ الشَّمسُ ولَمَّا تُشْرِقْ.

وعَن أمِّ هانـئٍ: أنَّـه عليـهِ السَّـلامُ صلَّـى صـلاةَ الضُّحَى وقـال: «هـذهِ صَلاةُ الإشـراقِ»[2].

---

(١) في نسخة التفتازاني: «إلى رحمة».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٠٦)، كلهم من رواية حجاج بن نصير، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن ابن عباس: حدثتني أم هانئ. وإسناده ضعيف جدًّا، أبو بكر الهذلي متروك، وحجاج بن نصير ضعيف.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٦٨٧٣) من وجه آخر عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس: (كان لا يصلي الضحى حتى أدخلناه على أم هانئ فقلت لها: أخبري ابن عباس، قالت: دخل رسول الله ﷺ في بيتي فصلى صلاة الضحى ثمان ركعات. قال: فخرج ابن عباس وهو يقول: هذه صلاة الإشراق. قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٢): هذا موقوف وهو أصح. قلت: ورواه بنحو رواية الحاكم الحميدي في «مسنده» (٣٣٣)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢١١٦).

قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٢٣٦): ولهم في صلاة الضحى كلام طويل والحق سنيتها، =

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: ما عَرَفْتُ صَلاةَ الضُّحَى إلَّا بهذهِ الآيةِ[١].

(١٩) ـ ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗ﴾ إليهِ مِن كلِّ جانبٍ، وإنَّما لم يُراعِ المُطابقةَ بينَ الحالَيْنِ لأنَّ الحشرَ جُملَةً أدلُّ على القُدرَةِ مِنه مُدرَّجًا.

وقُرِئَ: (والطَّيْرُ مَحشورَةٌ) بالابتداءِ والخبرِ[٢].

﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: كلُّ واحدٍ مِن الجبالِ والطَّيرِ لأَجلِ تَسبيحِهِ رَجَّاعٌ إلى التَّسبيحِ، والفرقُ بينَهُ وبينَ ما قبلَه: أنَّه يَدلُّ على الموافقةِ في التَّسبيحِ، وهذا على المداومةِ عليها، أو كلٌّ مِنْهُما ومِن داودَ مُرَجِّعٌ للهِ التَّسبيحَ.

(٢٠) ـ ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾: وقوَّيْناهُ بالهيبةِ، وبالنُّصرَةِ وكثرةِ الجُنودِ. وقُرِئَ بالتَّشديدِ للمُبالغَةِ[٣].

وقيل: إنَّ رَجُلًا ادَّعى بقرةً على آخرَ، وعَجَز عن البَيانِ، فأُوْحي إليه: أنِ اقتُل المُدَّعَى عليه، فأعلمَهُ فقال: صدقتَ، إنِّي قتلتُ أَباهُ غيلةً وأخذتُ البقرةَ، فعَظُمَتْ بذلكَ هيبَتُه[٤].

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: النبوَّةَ، أو: كمالَ العلمِ وإتقانَ العَمَلِ.

﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾: وفصلَ الخِصامِ بتَمييزِ الحقِّ عن الباطلِ، أو الكلامَ الملخَّصَ

= وقد ورد فيها كما قال الشيخ ولي الدين ابن العراقي أحاديث كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبري: إنها بلغت مبلغ التواتر، ومن ذلك حديث أم هانىء الذي في الصحيحين. قلت: رواه البخاري (١١٠٣)، ومسلم (٣٣٦) عقب الحديث (٧١٩).

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٨٣٢) (٧/ ١٧٣).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن إبراهيم بن أبي عبلة.

(٣) أي: (شدَّدنا)، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن إبراهيم بن أبي عبلة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما بأتم من هذا.

الذي ينبِّهُ المخاطَبَ على المقصودِ مِن غَيرِ التباسٍ، فيُراعي فيه مظانَّ الفَصْلِ والوَصْلِ، والعطفِ والاستئنافِ، والإضمارِ والإظهارِ، والحَذفِ والتكرارِ، ونَحوِها، وإنَّما سُمِّيَ بِهِ (أمَّا بعدُ) لأنَّه يَفصِلُ المقصودَ عمَّا سبقَ مُقدِّمَةً له مِن الحمدِ والصَّلاةِ.

وقيل: هو الخطابُ القصدُ الذي ليسَ فيه اختصارٌ مُخِلٌّ ولا إشباعٌ مُمِلٌّ، كما جاءَ في وَصفِ كلامِ الرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ: «فصلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ»[1].

(٢١) ـ ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ استفهامٌ مَعناه التَّعجيبُ والتَّشويقُ إلى استماعِهِ، والخصمُ في الأصلِ مصدرٌ ولذلك أُطلِقَ للجَمعِ.

﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾: إذ تصعَّدوا سورَ الغرفَةِ، (تفعَّلَ) مِن السُّورِ كتَسنَّمَ مِن السَّنامِ.

و﴿إِذۡ﴾ مُتعلِّقٌ بمَحذوفٍ؛ أي: نبأُ تحاكُمِ الخصمِ إذ تَسوَّرُوا، أو بالنبأ على أنَّ المرادَ به: الواقعُ في عهدِ داودَ، وأن إسنادَ (أتى) إليه على حَذفِ مُضافٍ؛ أي: قصَّةَ نبأِ الخَصمِ.

أو بـ﴿ٱلۡخَصۡمِ﴾ لِمَا فيه مِن مَعنى الفعلِ لا بـ(أتى) لأنَّ إتيانَهُ الرَّسولَ لم يَكُن حينئذٍ.

---

(١) قطعة من خبر أم معبد في وصف النبي ﷺ، رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٣٠)، والطبري في «المنتخب من ذيل المذيل» (ص: ٧٥ ـ ٧٦)، من حديث أبي معبد الخزاعي زوج أم معبد.
ورواه ابن طيفور في «بلاغات النساء» (ص: ٤٨)، والطبري في «المنتخب من ذيل المذيل» (ص: ٧٣ ـ ٧٤)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (١١٤٠)، والآجري في «الشريعة» (١٠٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٣٦٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٧٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٢٦٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٧٨)، وغيرهم، من حديث حبيش بن خالد رضي الله عنه وهو أخو أم معبد.

و﴿إِذْ﴾ الثَّانيةُ في: (٢٢) - ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ بدلٌ مِن الأولى، أو ظرفٌ لـ﴿تَسَوَّرُوا۟﴾.

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنَّهم نزلُوا عليه مِن فوقٍ في يومِ الاحتجابِ والحرسُ على البابِ لا يتركونَ مَن يدخلُ عليهِ، فإنَّهُ كانَ عليه السَّلامُ جزَّأ زمانَهُ يومًا للعبادةِ ويَوْمًا للقَضاءِ ويَوْمًا للوَعظِ ويَوْمًا للاشتِغَالِ بخاصَّتِهِ، فتسوَّرَ عليه ملائكةٌ على صورِ إنسانٍ في يومِ الخَلوَةِ.

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾: نحنُ فَوْجانِ مُتخاصِمَانِ، على تسميَةِ مُصاحبِ الخصمِ خَصْمًا ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وهو على الفَرْضِ وقصدِ التَّعريضِ إن كانوا مَلائِكَةً وهو المَشهورُ.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: ولا تَجُرْ في الحُكومَةِ.

وقُرِئَ: (ولا تَشْطُط)[1]؛ أي: ولا تَبعُدْ عن الحقِّ، و: (ولا تُشَطِّطْ)[2]، و: (ولا تُشَاطِطْ)[3]، والكلُّ مِن مَعنى الشَّطَطِ، وهو مجاوزَةُ الحدِّ.

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾؛ أي: إلى وسطه وهو العَدلُ.

(٢٣) - ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ بالدِّينِ أو الصُّحبَةِ ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ هي الأُنثى مِن الضَّأنِ، وقد يُكنَى بها عن المرأةِ، والكنايةُ والتَّمثيلُ فيما يُساقُ للتَّعريضِ أبلَغُ في المقصودِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣١)، عن أبي رجاء وأبي حيوة وقتادة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن قتادة.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن زر بن حبيش.

وقُرِئَ: (تَسعٌ وتَسعونَ) بفتحِ التَّاءِ[1]، و: (نِعجَةٌ) بكسرِ النُّونِ[2].

وقرأ حَفصٌ بفَتحِ ياءِ ﴿لِيَ نَعۡجَةٌ﴾[3].

﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾: مَلِّكْنيهَا، وحقيقَتُه: اجعَلْنِي أكفُلُها كما أكفُلُ ما تحتَ يدي.

وقيل: اجعَلْها كِفْلِي: نَصيبِي.

﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾: وغلبَنِي في مُخاطبَتِه إيَّايَ محاجَّةً بأَنْ جاءَ بحِجَاجٍ لم أقدِرْ ردَّهُ، أو في مُغالبَتِه إيَّايَ في الخِطبَةِ، يقال: خطبتُ المرأةَ وخَطَبَها هو، فخاطَبَنِي خِطَابًا حيثُ زَوَّجَهَا دُوني.

وقُرِئَ: (وعازَّنِي)[4]؛ أي: غالبَنِي، و: (وعَزَنِي)[5] على تخفيفٍ غريبٍ.

(٢٤) - ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ جوابُ قسمٍ مَحذوفٍ قُصِدَ به المبالغةُ في إنكارِ فعلِ خَليطِهِ وتهجينِ طمَعِه، ولعلَّهُ قال ذلك بعدَ اعترافِه، أو على تَقديرِ صِدْقِ المُدَّعِي، والسُّؤالُ مصدرٌ مُضافٌ إلى مَفعولِهِ، وتَعدِيَتُه إلى مَفعولٍ آخرَ بـ(إلى) لتَضمُّنِه مَعنى الإضافَةِ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾: الشُّركاءِ الذين خَلَطُوا أموالَهُم، جمعُ خَليطٍ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣١)، عن الحسن بخلاف وابن مسعود.

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٣١) عن الحسن والأعرج.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٣).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن مسروق وأبي وائل شقيق بن سلمة والضحاك والحسن.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣١)، عن طلحة وأبي حيوة.

﴿لَيَبْغِي﴾: ليتعدَّى. وقُرِئَ بفتحِ الياءِ[1] على تقديرِ النُّونِ الخَفيفَةِ وحذفِها كقوله:

اضْـرِبَ عَنْـكَ الهُمُـومَ طَارِقَهَـا[2]

وبحذفِ اليَاءِ اكتفاءً بالكَسْرِ[3].

﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾؛ أي: وهُـمْ قَلِيلٌ، و﴿ما﴾ مَزيدةٌ للإبهامِ والتَّعجُّبِ مِن قِلَّتِهِم.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾: أَيْقـنَ وعَلِـمَ ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: ابتلَيْنَـاهُ بالذَّنـبِ، أو: امتحنَّـاهُ بتلك الحُكومَـةِ: هـل[4] يتنبَّـهُ بها؟

﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لذَنبِه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾: ساجِدًا، عـلى تَسمِيَةِ السُّجودِ رُكوعًا لأنَّه مبدؤهُ، أو خرَّ للسُّجودِ راكِعًا؛ أي: مُصلِّيًا كأنَّه أحرمَ بركعَتَي الاستِغفارِ.

---

(١) أي التي في آخره. انظر: «الكشاف» (٧/ ٤١٤)، و«البحر» (١٨/ ٢٥٥) دون نسبة.

(٢) صدر بيت نسب لطرفة في «الصحاح» (مادة: قنس).

وفي «النوادر» لأبي زيد (ص: ١٦٥) عن أبي حاتم: أنشدني الأخفش بيتًا مصنوعًا لطرفة، فذكره.

قلت: وليس في «ديوان طرفة»، وهو دون نسبة في «الجمل» للخليل (ص: ٢٥٧)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٨٥٢)، و«العقد» لابن عبد ربه (٦/ ٢٠٣)، و«البارع» للقالي (ص: ٤٧٦)، و«الصحاح» (مادة: نون)، و«أساس البلاغة» (مادة: قنس)، وذكره ابن جني في «سر صناعة الإعراب» (١/ ٩٧) وقال: مدفوع مصنوع عند عامة أصحابنا، ولا رواية تثبت به. وعجزه:

ضَرْبَـك بالسـيفِ قَوْنَـسَ الفـرسِ

قال الطيبي: أي: اضربَنْ، فحذفت النون الخفيفة، و«طارقها»: بدل من «الهمومَ» بدل البعض، و«قونس» موضع ناصية الفرس؛ أي: ادفع طوارق الهموم عن نفسك عند غشيانها كما يضرب قونس الفرس عند الإقبال.

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٤١٤)، و«البحر» (١٨/ ٢٥٥) دون نسبة.

(٤) في نسخة الفاروقي: «كي».

﴿وَأَنَابَ﴾: ورجعَ إلى اللهِ بالتَّوبَةِ، وأقصَى ما في هذه الآية: الإشعارُ بأنَّه عليهِ السَّلامُ ودَّ أَنْ يكونَ له ما لغيرِهِ، وكانَ له أمثالُه، فنبَّهَهُ اللهُ تَعالى بهذه القَضِيَّةِ فاستغفرَ وأنابَ عنه.

وما رُوِيَ أنَّ بصرَهُ وقعَ على امرأةِ رجلٍ يقال له: أُورِيَا، فعَشِقَها، وسَعى حتى تَزوَّجَها وولَدَتْ مِنهُ سُليمانَ عليهِ السَّلامُ، إِنْ صَحَّ[1]، فلعلَّهُ خطبَ مَخطوبَتَهُ أو استَنْزَلَهُ عن زَوْجَتِهِ، وكان ذلك مُعتادًا فيما بينَهُم، وقد واسَى الأنصارُ المُهاجِرينَ بهذا المعنى.

وما قيلَ: إنَّـهُ أرسلَ أُورِيَا إلى الجِهادِ مِرارًا وأمرَ أَنْ يقدَّمَ حتَّى قُتِلَ فتزوَّجَها، هُراءٌ وافتِراءٌ[2].

ولذلك قالَ عَلِيٌّ رضي اللهُ عنه: مَن حَدَّثَ بحديثِ داودَ على ما يرويهِ القُصَّاصُ جَلَدْتُه مئةً وستِّينَ[3].

---

(١) ولم يصح، فإنه من أكاذيب أهل الكتاب الذين دأبوا على الطعن في أنبيائهم، فلا حاجة إلى ما سيأتي من تأويل. وانظر التعليق الآتي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤ ـ ٦٧) عن ابن عباس بإسناد ضعيف جدًّا، وعن السدي، وليس في هذا ما يصح، قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه. ثم قال: فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يردَّ علمها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً.

وقال القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ١٦٣): وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نصَّ اللهُ تعالى عليه قولُه: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٤ ـ ٢٥]، وقولُه فيه: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٨) عن علي رضي الله عنه من طريق الحارث الأعور، وذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٥٧)، وقال: وهذا مما لا يصح عنه.

وقيل: إنَّ قومًا قَصدُوا أن يقتلوهُ فتَسوَّرُوا المحرابَ ودَخلُوا عليه، فوَجَدُوا عندَهُ أَقْوامًا فتَصنَّعوا بهذا التَّحاكُمِ فعَلِمَ غرضَهُم، وقصدَ أَنْ يَنتَقِمَ مِنهم، فظنَّ أَنَّ ذلك ابتلاءٌ مِن اللهِ لهُ فاستَغْفر ربَّهُ ممَّا هَمَّ به وأَنابَ.

(٢٥) ـ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: مـا استغفرَ عنهُ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: لقُربَةً بعدَ المغفرةِ ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجعٍ فـي الجنَّةِ.

(٢٦) ـ ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾: استَخْلَفناكَ على المُلْكِ فيها، أو: جعلناكَ خَليفَةً ممَّن قبلكَ مِن الأنبياءِ القائمينَ بالحقِّ.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾: بحُكمِ اللهِ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾: ما تَهوَى النَّفسُ، وهو يؤيِّدُ ما قيلَ: إنَّ ذنبَهُ المبادرةُ إلى تصديقِ المُدَّعِي وتظليمِ الآخَرِ قبلَ مَسألتِهِ[1].

---

(١) وقد ذهب إلى هذا بعض كبار الأئمة، منهم ابن حزم في «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٤) فذكر أن ما جاء في الآية لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود، ثم قال: (وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية، ومن قال: إنهم كانوا ملائكة معرِّضين بأمر النساء، فقد كذب على الله عز وجل وقوَّله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذَّب الله عز وجل، وَأقر على نَفسه الخبيثة أنه كذَّب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ فقال هو: لم يكونوا قطّ خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قطّ لأحدهما تسع وتسْعُونَ نعجة، ولا كان للآخر نعجةٌ واحِدَةٌ، ولا قال له: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾... ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردةُ، وتالله إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستورَ عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرِّضَ زوجها للقتل عمداً ليتزوجها، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه، هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى، فكيف برسول الله داود الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه، لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف إلى أفعاله...) إلى آخر ما قال.

وممن ذهب إلى ذلك أيضاً إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري كما نقل عنه أبو حفص النسفي =

﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دلائلِه التي نَصبَها على الحقِّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾: بسببِ نِسيانِهم، وهو ضَلالُهم عن السَّبيلِ، فإنَّ تذكُّرَهُ يَقتضي مُلازمةَ الحقِّ ومُخالفةَ الهوى.

(٢٧) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾: خَلْقًا باطلًا لا حكمةَ فيه.

أو: ذَوِي باطلٍ، بمعنى: مُبطِلِينَ عابِثينَ؛ كقولِه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

أو: للباطلِ الذي هو مُتابعةُ الهوى، بل للحقِّ الذي هو مُقتضى الدَّليلِ مِن التَّوحيدِ والتَّدرُّعِ بالشَّرعِ كقولِه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] على وَضعِهِ مَوضِعَ المصدَرِ مثلَ هنيئًا.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الإشارةُ إلى خَلقِها باطلًا، والظَّنُّ بمَعنى المَظنونِ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بسببِ هذا الظَّنِّ.

= في كتابه «التيسير في التفسير» عند هذه الآية أنه قال: القصةُ على ظاهرها، والخصمان كانا مِن الإنس، وقعَتْ لهما هذه الخصومة على الحقيقةِ، فاستعجلا في الوصول إلى نبي الله بالتَّسَوُّر في المحراب، ولم ينتظِرا خروجه ولا إذْنَ الحُجّاب، وكان هذا مِن سوء الأدب، فاستنكرَه داود عليه السلام وتسخَّطَ عليهما، ثم مالَ قلبُه إلى المدَّعي لترقيقه في الكلام، فعجَّلَ في الحُكْم قبلَ مسألة الخَصْم، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، فكان ذلك زلَّةً منه؛ إذ كان الواجب عليه الاحتمالَ منهما، وأنْ لا يُعجِّلَ في القضاء، وقولُه تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: أي: وقَعَ له في غالب الظَّنِّ أنَّه أخطأَ فيما فعَلَ، وأنما قد فتنّاه بذلك ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾، وقولُه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ دليلٌ أيضاً على ما قلناه، فإنَّ قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكور قبله ـ وهو ما ذُكِر في الآية ـ دون شيء آخر، وكذلك ما بعده: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ يؤيِّدُ هذا، وإذا كان ما ذكَرْناه جائزاً ولم يَرِدْ خبرٌ عمَّنْ يجب تقليده بخلافه، كان لزوم الظاهر أولى مِن غيره، ولم يثبُتْ خبرٌ بأنَّ الخصمين كانا ملَكَين، ولا أنه كان من داود عليه السلام ما ذكَرَه أهل الروايات مِن قصة تلك المرأة.

(٢٨) - ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿أَمْ﴾ مُنقَطِعَةٌ والاستفهامُ فيها لإنكارِ التَّسوِيَةِ بينَ الحِزْبَيْنِ التي هي مِن لَوازمِ خَلقِهَا باطلًا؛ ليدلَّ على نفيهِ، وكذا التي في قولِه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ كأنَّه أنكرَ التَّسوِيَةَ أَوَّلًا بينَ المُؤمنينَ والكافرينَ، ثمَّ بينَ المُتَّقينَ مِن المؤمنينَ والمجرمينَ مِنْهُم.

ويجوزُ أَنْ يكونَ تكريرًا للإنكارِ الأَوَّلِ باعتبارِ وَصْفَينِ آخَرينَ يمنعانِ التَّسوِيَةَ مِن الحَكيمِ الرَّحيمِ.

والآيةُ تدلُّ على صِحَّةِ القَوْلِ بالحشرِ، فإنَّ التَّفاضُلَ بينَهُما إمَّا أَنْ يكونَ في الدُّنيَا والغالبُ فيها عكسُ ما تَقتَضِي الحِكمَةُ فيه، أو في غيرِهَا وذلك يَستَدعِي أن يكونَ لهم حَالٌ أُخرى يُجازَوْنَ فيها.

(٢٩) - ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾: نفَّاعٌ، وقُرِئَ بالنَّصبِ على الحالِ[١].

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾: ليتفكَّرُوا فيها فيعرفُوا ما يَدْبُرُ ظاهِرَها مِن التَّأويلاتِ الصَّحيحَةِ والمعاني المُستنبطَةِ، وقُرِئَ: (ليَتَدَبَّرُوا)[٢] على الأصلِ، و: ﴿لِتَدَبَّرُوا﴾[٣]؛ أي: أنتَ وعُلَماءُ أُمَّتِكَ.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ولِيتَّعِظَ به ذَوُو العُقولِ السَّليمَةِ، أو ليَستَحْضِرُوا ما هوَ كالمَرْكُوزِ في عُقُولِهِم مِن فَرْطِ تَمكُّنِهِم مِن مَعرِفَتِه بما نصبَ عليهِ من الدَّلائلِ، فإنَّ

---

(١) أي: (مباركاً). انظر: «الكشاف» (٧/ ٤٢٠)، و«البحر» (١٨/ ٢٦٠) دون نسبة.

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ٤٢٠) دون نسبة، و«البحر» (١٨/ ٢٦٠) عن علي، ووقعت في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن علي لكن برسم القراءة الآتية.

(٣) وهي قراءة أبي جعفر كما في «النشر» (٢/ ٣٦١)، ورويت عن عاصم في غير المشهور عنه، انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٢).

الكُتبَ الإلهيَّةَ بيانٌ لِمَا لا يُعرَفُ إلَّا مِن الشَّرعِ، وإرشادٌ إلى ما لا يستقلُّ به العَقلُ، ولعلَّ التَّدبُّرَ للمَعلومِ[1] الأوَّلِ والتَّذكُّرَ للثَّاني.

(٣٠) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾؛ أي: نِعْـمَ العَبـدُ سُـليمانُ، إذ مـا بعـدَهُ تَعليـلٌ للمَـدحِ، وهـو مَن حالـه ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رَجَّـاعٌ إلـى اللهِ بالتَّوبـةِ، أو إلى التَّسـبيحِ مرجِّـعٌ له.

(٣١) ـ ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ ظرفٌ لـ﴿أَوَّابٌ﴾، أو لـ﴿نِعْمَ﴾، والضَّميرُ لـ﴿سُلَيْمَـٰنَ﴾ عندَ الجُمهورِ.

﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: بعدَ الظُّهرِ ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ﴾ الصافِنُ مِن الخَيْلِ: الذي يقومُ على طَرفِ سُنْبُكِ يدٍ أو رِجْلٍ، وهو من الصِّفاتِ المَحمودةِ في الخيلِ لا يكادُ يكونُ إلا في العِرَابِ الخُلَّصِ.

﴿ٱلْجِيَادُ﴾: جمعُ جَوادٍ أو جَوْدٍ، وهو الذي يُسرِعُ في جَرْيِه، وقيل: الذي يجودُ في الرَّكضِ.

وقيل: جمعُ جيِّدٍ.

رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ غَزا دِمشق ونَصِيبينَ وأصابَ ألفَ فَرسٍ[2].

وقيل: أصابَها أبوهُ مِن العمالِقَةِ فورِثَها منه، فاستَعْرَضَها فلم تَزَلْ تُعرَضُ عليهِ حتَّى غَرَبتِ الشَّمسُ وغَفَلَ عن العَصْرِ، أو عن وِرْدٍ كان له، فاغتَمَّ لَمَّا فاتَهُ فاستردَّها فعَقَرَها تقرُّبًا للهِ[3].

---

(١) في نسخة الفاروقي: «للقسم».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٢٦) عن الكلبي.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٤). وفي القول بالعقر نظر سيأتي.

(٣٢) ـ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ أصلُ ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ أنْ يُعدَّى بـ(على) لأنَّه بمَعنى: آثرتُ، لكِنْ لَمَّا أُنيبَ منابَ: أَنَبْتُ، عُدِّيَ تعدِيَتَه.

وقيل: هو بمَعنى: تَقاعَدْتُ، مِن قولِه:

مثـلَ بعيـرِ السُّـوءِ إذْ أحَبَّـا[١]

أي: برك.

و﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ مفعولٌ لـه، والخيـرُ: المالُ الكثيـرُ، والمُرادُ بـه: الخيلُ التي شَغلَتْه، ويحتمِلُ أنَّـه سَمَّاهَا خَيْرًا لتَعلُّقِ الخيرِ بهـا، قال عليـهِ السَّـلامُ: «الخَيْلُ مَعقـودٌ بنَواصيهَـا الخيرُ إلـى يـومِ القِيامَةِ»[٢].

وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو بفتحِ الياءِ[٣].

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾؛ أي: غَرَبتِ الشَّمسُ، شَبَّه غُروبَها بتَواري المُخبَّأةِ بحِجابِها، وإضمارُها من غيرِ ذكرٍ لدَلالَةِ (العَشِيِّ) عليهَا.

(٣٣) ـ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ الضَّميرُ لـ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾، ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا﴾: فأخذَ يمسحُ السَّيفَ مَسْحًا ﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾؛ أي: بسُوقِهَا وأَعناقِها يقطعُها، مِن قولِهِم: مَسحَ عِلاوَتَهُ: إذا ضربَ عُنقَهُ.

---

(١) الرجز دون نسبة في «الأصمعيات» (ص: ١٦٣)، و«المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١١٧)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٦٥)، و«المحتسب» (١/ ١٦٤)، و«الصحاح» (مادة: حبب وقفل)، وقبله:

قُمـت إليـهِ بالقَفيـلِ ضَربَـا

قال الجوهري: القفيل: السوط. والإحباب: البُروكُ، والإِحْبابُ في الإبل كالحِرانِ في الخيل.

(٢) رواه البخاري (٢٨٤٩)، ومسلم (١٨٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٧).

وقيل: جعلَ يمسَحُ بيدِهِ أعناقَها وسُوقَها حُبًّا لها[١].

وعن ابنِ كَثيرٍ: ﴿بالسُّؤْقِ﴾ على همزِ الواوِ لضَمَّةِ ما قبلَها كمُؤْقنٍ، وعَن أبي عَمرٍو: ﴿بالسُّؤُوقِ﴾[٢]، وقُرِئَ: (بالسَّاقِ)[٣] اكتفاءً بالواحدِ عن الجمعِ لِأَمْنِ الإلباسِ.

(٣٤) ـ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ أظهرُ ما قيلَ فيه: ما رُوِيَ مَرفوعًا أنَّه قال: «لأطوفَنَّ على سبعينَ امرأةً تأتي كلُّ واحدَةٍ بفارسٍ يُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ، ولم يَقُل: (إنْ شاءَ اللهُ)، فطافَ عليهِنَّ فلَمْ تَحمِلْ إلا امرأةٌ جاءَتْ بشِقِّ رَجُلٍ، فوالذي نفسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ لو قالَ: (إنْ شاءَ اللهُ) لجاهَدُوا فُرسانًا»[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبًّا لها. ورجحه الطبري فقال: وهذا القول الذي ذكرنا عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله لم يكن ـ إن شاء الله ـ ليُعذبَ حيواناً بالعرقبة، ويُهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها في اشتغاله بالنظر إليها.

(٢) كلا الوجهين مروي عن ابن كثير من غير طريق البزي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٣٨). ولم يذكر في «التيسير» (ص: ١٦٨) سوى الأولى عن قنبل.

(٣) انظر: «البحر» (١٨/ ٢٦٤) عن زيد بن علي.

(٤) رواه البخاري (٢٨١٩)، مسلم (١٦٥٤)، ولفظ البخاري: «مئة امرأة، أو تسع وتسعين»، وفي رواية (٣٤٢٤) بلفظ: «سبعين» وفيه: «قال شعيب وابن أبي الزناد: «تسعين» وهو أصح».

وعدم قوله: إن شاء الله؛ قال ابن حجر في (فتح الباري) (٦/ ٤٦١): أي: بلسانه، لا أنه أبى أن يفوض إلى الله، بل كان ذلك ثابتاً في قلبه، لكنه اكتفى بذلك أولاً ونسي أن يجريه على لسانه.

قلت: وليس في الحديث ذكر الآية، لكن المفسرين حملوا هذه الآية عليه، فقالوا: إن هذا هو الجسد الذي أخبر الله سبحانه وتعالى عنه. وهو أظهر ما قيل في تفسير فتنته عليه السلام كما قال المصنف وغيره.

وقيـل: ولـدَ لهُ ابـنٌ فاجتمعتِ الشَّـياطينُ على قتلِـهِ، فعَلِمَ ذلك، فـكانَ يغدوهُ فـي السَّـحابِ فما شـعرَ بـه إلَّا أَنْ أُلقِيَ علـى كُرسِـيِّهِ مَيِّتًا، فتَنبَّـهَ على خطئِهِ بـأَنْ لَمْ يَتـوكَّلْ على اللهِ[1].

قيل: إنَّه غزَا صيدونَ مِن الجزائرِ فقتلَ مَلِكَها وأصابَ ابنتَهُ جرادةَ فأحبَّهَا، وكان لا يرقَأُ دمعُها جَزَعًا على أبيها، فأمرَ الشَّياطينَ فمَثَّلُوا لها صُورَتَهُ فكانت تغدو إليها وتروحُ مَع وَلائِدِها يسجُدْنَ لها كعَادَتِهنَّ في ملكِهِ، فأخبرهُ آصفُ فكسرَ الصورَةَ وضربَ المرأَةَ وخرجَ إلى الفلاةِ باكِيًا[2] مُتضرِّعًا، وكانَتْ لهُ أمُّ ولدٍ اسمُها أمينةُ إذا دخلَ للطَّهارةِ أعطاها خاتمَهُ، وكان ملكهُ فيه، فأعطاهَا يومًا فتمثَّلَ لها بصُورَتِه شيطانٌ اسمُهُ صَخْرٌ وأخذَ الخاتمَ فتَختَّمَ بهِ وجلسَ على كُرسِيِّهِ، فاجتمعَ عليه الخلقُ ونفذَ حكمُهُ في كلِّ شيءٍ إلَّا في نِسائِه، وغيَّرَ سليمانَ عن هيئتِه، فأتاها لطلبِ الخاتمِ فطَرَدَتْه، فعرفَ أنَّ الخطيئةَ قد أدركَتْهُ، وكانَ يدورُ على البيوتِ يَتكفَّفُ حتى مَضى أربعونَ يومًا عددَ ما عُبِدَتِ الصَّورَةُ في بيتِهِ، فطارَ الشَّيطانُ وقذفَ الخاتمَ في البَحرِ، فابتلَعَهُ سمكةٌ فوقعَتْ في يدِهِ فبقرَ بطنَهَا فوجدَ الخاتمَ فتَختَّمَ به وخرَّ ساجدًا، وعادَ إليه الملكُ، فعَلى هذا الجسدُ صَخْرٌ سُمِّيَ به وهو جسمٌ لا رُوحَ فيه؛ لأنَّه كان مُتمَثِّلًا

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٦)، عن الشعبي.
وذكره الطبرسي من الإمامية في «مجمع البيان» (٢٣/ ١١٤) عن أبي عبد الله، وهو جعفر الصادق.
وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٢٨٧): ورواه بعضهم عن أبي هريرة على وجه لا يَشُك في وضعه إلا مَن يَشُك في عصمة الأنبياء عليهم السلام.
وقال ابن حزم في «الفصل في الملل» (٤/ ١٥): وهذه كلها خرافات مَوْضُوعَة مكذوبة لم يَصح إسنادها قطّ.

(٢) في نسخة الفاروقي: «تائباً».

بما لم يَكُن كذلك، والخطيئةُ تغافُلُه عن حالِ أهلِهِ؛ لأنَّ اتِّخاذَ التَّماثيلِ كانَ جائزًا حينئذٍ، وسُجودُ الصُّورةِ بغيرِ عِلمِهِ لا يَضرُّهُ[١].

(٣٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾: لا يَتسهَّلُ له ولا يكونُ؛ ليكونَ مُعجِزَةً لي مناسِبةً لحالي، أو لا يَنبَغِي لأحدٍ أن يسلبَهُ منِّي بعدَ هذه السلبةِ، أو لا يَصِحُّ لأحدٍ مِن بَعدي لعَظَمتِه؛ كقولِكَ: لِفُلانٍ ما ليسَ لأحدٍ مِن الفَضلِ والمالِ، على إرادةِ وَصفِ المُلْكِ بالعَظَمةِ[٢]، لا أن لا يُعطَى أحدٌ مثلَهُ فيكون منافسةً.

وتقديمُ الاستغفارِ على الاستيهابِ لِمَزيدِ اهتمامِهِ بأَمرِ الدِّينِ، ووُجوبِ تَقديمِ ما يَجعلُ الدُّعاءَ بصدَدِ الإجابةِ.

وقرأَ نافِعٌ وأبو عَمرٍو بفتحِ الياءِ[٣].

---

(١) ذكره مطولًا الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٢ ـ ٥٤٧) عن وهب بن منبه، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩١) عن السدي، وهو من خرافات بني إسرائيل كما نبَّهنا سابقاً في (سورة سبأ).

قال ابن حزم في «الفصل في الملل» (٤/ ١٥): معنى قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: آتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته... فهذه فتنة الله تعالى لسليمان إنما هي اختباره حتَّى ظهر فضله فقط، وما عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود وأشباههم، وأما الجسد الملقى على كرسيه فقد أصاب الله تعالى به ما أراد نؤمن بهذا كما هو، ونقول: صدق الله عز وَجل كلٌّ مِن عند الله رَبِّنا، ولو جاء نصٌّ صحيح في القرآن أَو عن رسول الله ﷺ بتفسير هذا الجسد ما هو لقلنا به، فإذا لم يَأْتِ بتفسيره ما هو نصٌّ ولا خبر صحيح فلا يحل لأحد القول بالظَّنِّ الذي هو أكذب الحديث في ذلك، فيكون كاذبًا على الله عز وَجل، إِلَّا أننا لا نشك الْبَتَّةَ في بطلان قول من قال: إنه كانَ جنيًّا تَصَوَّر بصورته، بل نقطع على أنه كذب، واللهُ تعالى لا يهتك ستر رسوله ﷺ هذا الهتك، وكذلك نبعد قَول من قال: إنه كانَ ولداً له أَرْسله إِلى السَّحاب ليربيَه، فسليمان عَلَيْهِ السَّلَام كانَ أعلمَ من أن يُربي ابْنه بغيرِ ما طبع الله عز وَجل بِنْيَةَ البشر عليه من اللَّبن والطَّعَام، وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يَصح إسنادها قطّ.

(٢) في نسخة الفاروقي: «بالعظم».

(٣) أي: في ﴿بَعْدِىٓ﴾. انظر: «السبعة» (٥٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾: المُعطي ما تشاءُ لِمَن تَشاءُ.

(٣٦) ـ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾: فذلَّلْناهَا لِطاعَتِه إجابةً لدَعْوَتِه. وقُرِئَ: ﴿الرِّياح﴾[1].

﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾: لينةً، مِن الرَّخاوةِ لا تُزَعْزِعُ، أو: لا تخالفُ إرادتَهُ كالمَأمورِ المُنقادِ.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أرادَ، مِن قَولِهم: (أصابَ الصَّوابَ فأخطأَ الجوابَ).

(٣٧) ـ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلرِّيحَ﴾، ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ بدلٌ منه.

(٣٨) ـ ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ عَطفٌ على ﴿كُلَّ﴾ كأنَّه فصَلَ الشَّياطينَ إلى: عمَلَةٍ استعملَهُم في الأعمالِ الشَّاقَّةِ كالبِناءِ والغَوْصِ، ومَرَدةٍ قرنَ بعضَهُم مع بعضٍ في السَّلاسلِ لِيَكفُّوا عن الشرِّ، ولعلَّ أجسامَهُم شَفَّافةٌ صلبةٌ، فلا تُرى ويمكنُ تَقييدُها.

هذا والأقربُ: أنَّ المرادَ تمثيلُ كفِّهِم عن الشُّرورِ بالإقرانِ في الصَّفَدِ وهو القيدُ، وسُمِّيَ به العطاءُ؛ لأنَّه يَرتَبِطُ بالمُنعَمِ عليه، وفرَّقُوا بين فِعْلَيهِمَا، فقالوا صَفَدَهُ: قَيَّدَهُ، وأَصْفَدَهُ: أعطاهُ، عكس: وَعَدَ وأَوْعَدَ، وفي ذلك نكتةٌ.

(٣٩) ـ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾؛ أي: هذا الذي أعطيناكَ مِن الملكِ والبسطَةِ والتَّسلُّطِ على ما لم نُسلِّطْ به غيرَكَ عَطاؤُنا ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾: فأعطِ[2] مَن شِئتَ وامنَعْ مَن شِئتَ.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حالٌ مِن المُستكِنِّ في الأمرِ؛ أي: غيرَ مُحاسَبٍ على مَنِّه وإمساكِه؛ لتَفويضِ التَّصرُّفِ فيه إليكَ، أو من العَطاءِ، أو صلةٌ له وما بينَهُما اعتراضٌ، والمعنى: إنَّه عطاءٌ جَمٌّ لا يَكادُ يُمكِنُ حَصرُهُ.

---

(١) هي قراءة أبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٢٢٣).

(٢) في نسخة الخيالي: «فأعطه».

وقيل: الإشارةُ إلى تَسخيرِ الشَّياطين، والمرادُ بالمنِّ والإمساكِ: إطلاقُهُم وإبقاؤهُم في القيدِ.

(٤٠) ـ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ في الآخرةِ مع ما له مِن المُلكِ العَظيمِ في الدُّنيَا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ هو الجنَّةُ.

(٤١) ـ ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ هو ابنُ عيصَ بنِ إسحاقَ، وامرأتُه ليَّا بنتُ يعقوبَ.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ بدلٌ مِن ﴿عَبْدَنَآ﴾، و﴿أَيُّوبَ﴾ عطفُ بيانٍ له: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ﴾: بأنِّي مَسَّني. وقرأ حمزَةُ بإسكانِ الياءِ وإسقاطِها مِن الوَصلِ[١].

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾: بتَعَبٍ، ﴿وَعَذَابٍ﴾: أَلَمٍ، وهو حكايَةٌ لكَلامِهِ الذي ناداه له، ولولا هي لقالَ: إنَّه مَسَّهُ، والإسنادُ إلى الشَّيطانِ:

إمَّا: لأنَّ اللهَ مَسَّه بذلك لِمَا فعلَ بوسوستِهِ كما قيلَ: إنَّه أعجبَ بكثرَةِ مالِهِ.

أو: استغاثَهُ مَظلومٌ فلم يُغِثه.

أو: كانَتْ مواشيهِ في ناحيَةِ ملكٍ كافرٍ فداهَنَهُ ولم يغزُه[٢].

أو: لسُؤالِهِ امتحانًا لصَبرِهِ فيكونُ اعترافًا بالذَّنبِ.

أو: مراعاةً للأدبِ.

أو: لأنَّهُ وسوسَ إلى أتباعِهِ حتَّى رَفضوهُ وأخرَجُوهُ مِن دِيارِهِم.

أو: لأنَّ المرادَ مِن النُّصْبِ والعذابِ ما كان يُوَسوِسُ إليه في مرضِهِ مِن عِظَمِ البلاءِ والقنوطِ من الرَّحمةِ ويغريهِ على الجزعِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٢).

(٢) ذكر الأقوال الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٥٩)، الأول بدون نسبة، وعزى الثاني إلى وهب، والثالث إلى الكلبي.

وقرأ يَعقوبُ بفتحِ النُّونِ على المصدرِ[١].

وقُرِئَ بفَتحتينِ ـ وهو لغَةٌ كالرُّشدِ والرَّشَدِ ـ وبضَمَّتينِ للتَّثقيلِ[٢].

(٤٢) ـ ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ حكايةٌ لِمَا أُجيبَ به؛ أي: اضرِبْ برجلِكَ الأرضَ ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾؛ أي: فضَرَبَها فنبَعَتْ عينٌ فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌ﴾؛ أي: ماءٌ تغتسلُ بهِ وتَشرَبُ منه فيبرأ باطنُكَ وظاهِرُكَ.

وقيل: نبعَتْ عينانِ حارَّةٌ وباردَةٌ فاغتسلَ مِن الحارَّةِ وشربَ مِن الأُخرى.

(٤٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ بأَنْ جَمعناهُم عليه بعدَ تفرُّقِهِم، أو أحيَيْناهُم بعدَ مَوتِهم.

وقيل: وَهَبْنا له مثلَهُم.

﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ حتَّى كان له ضعفُ ما كانَ.

﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: لرَحْمَتنا عليه ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وتذكيرًا لهم لِيَنتظِرُوا الفرجَ بالصَّبرِ واللَّجأِ إلى اللهِ فيما يحيقُ بهم.

(٤٤) ـ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ عطفٌ على ﴿ٱرْكُضْ﴾. والضِّغثُ: الحزمَةُ الصَّغيرةُ من الحَشيشِ ونحوه.

﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ رُوِيَ أنَّ زوجتَهُ ليَّا بنتَ يعقوبَ ـ وقيل: رحمةَ بنتَ أفرائيمَ بنِ يوسُفَ ـ ذهبَتْ لحاجَةٍ فأبطأَتْ، فحلفَ إن بَرِئَ ضَرَبها مئةَ ضربَةٍ، فحلَّلَ اللهُ يمينَهُ بذلك، وهي رخصَةٌ باقيَةٌ في الحدودِ.

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ فيما أصابَهُ في النَّفسِ والأهلِ والمالِ، ولا يُخلُّ به شكواهُ

---

(١) بفتح النون وإسكان الباء قرأ بها أبو حيوة وهبيرة. انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٨).

(٢) بفتحهما يعقوب، وبضمهما أبو جعفر، والباقون بضم فسكون، انظر: «النشر» (٢/ ٣٦١).

إلى اللهِ مِن الشَّيطانِ، فإنَّه لا يُسمَّى جَزَعًا كتَمنِّي العافيَةِ وطلبِ الشِّفاءِ، مع أنه قالَ ذلك خِيفَةَ أَنْ يَفتِنَهُ أو قومَهُ في الدِّينِ[1].

﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ أيُّوبُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ يُقْبِلُ بشراشرِه على اللهِ.

(٤٥) ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿عَبْدَنا﴾[2] على وضعِ الجنسِ مَوضِعَ الجمعِ، أو على أنَّ ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وحدَهُ ـ لِمَزيدِ شَرَفِهِ ـ عطفُ بيانٍ له، و﴿إسحاقَ ويَعقوبَ﴾ عطفٌ عليه.

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: أولي القوَّةِ في الطَّاعةِ والبَصيرةِ في الدِّينِ.

أو: أولي الأعمالِ الجليلَةِ والعُلومِ الشَّريفَةِ، فعبَّرَ بالأيدي عن الأعمالِ لأنَّ أكثرَهَا بمُباشرَتِها، وبالأبصارِ عن المعارفِ لأنَّها أَقْوى مَبادئِها، وفيه تعريضٌ بالبَطلَةِ الجُهَّالِ أنَّهُم كالزَّمْنَى والعُماةِ[3].

(٤٦) ـ ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾: جَعَلناهُم خالصينَ لنا بخَصلَةٍ خالِصَةٍ لا شَوْبَ فيها هي ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: تُذَكِّرُهم الآخرةَ دائمًا، فإنَّ خُلوصَهُم في الطَّاعةِ[4] بسببِها، وذلك لأنَّ مطمحَ نظَرِهم فيما يأتونَ ويَذَرونَ جوارُ اللهِ والفوزُ بلقائِه، وذلك في الآخرةِ، وإطلاقُ ﴿ٱلدَّارِ﴾ للإشعارِ بأنَّها الدَّارُ الحقيقيَّةُ والدُّنيا مَعبرٌ.

---

(١) وفيها خلاف: هل هي باقية أم لا؟ انظر: «المغني» لابن قدامة (١٠/ ٦١).

(٢) وقراءة الباقين بالجمع، انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

(٣) في نسخة الفاروقي: «العماة» بدون واو.

(٤) في نسخة التفتازاني: «للطاعة».

وأضافَ نافِعٌ وهِشامٌ ﴿بخالصةِ﴾ إلى ﴿ذِكۡرَى﴾[١] للبَيانِ، أو لأنَّه مَصدَرٌ بمَعنى الخلوصِ فأُضِيفَ إلى فاعلِه.

(٤٧) - ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾: لَمِنَ المُختارينَ من أمثالِهم المُصْطَفَينَ[٢] عليهِم في الخيرِ، جمعُ خَيْرٍ كشَرٍّ وأشرارٍ.

وقيل: جمعُ خَيِّرٍ أو خَيْرٍ على تخفيفهِ؛ كأمواتٍ في جمع مَيِّتٍ أو مَيْتٍ.

(٤٨) - ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ﴾ هو ابنُ أخطوبَ، استخلَفَهُ إلياسُ[٣] على بني إسرائيلَ ثم استُنبِئَ، واللامُ فيه كما في قولِه:

رَأَيْتُ الوَلِيدَ بنَ اليَزِيدِ مُبَارَكًا[٤]

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿واللَّيسَعَ﴾[٥] تشبيهًا بالمنقولِ من (ليسع) مِن اللَّسْعِ.

﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِ﴾ ابنُ عمِّ يسَعَ، أو بشرُ بنُ أيوبَ.

واختُلِفَ في نبوَّتِه ولقبِه، فقيل: فرَّ إليه مئةُ نبيٍّ مِن بني إسرائيلَ مِن القتلِ فآواهُم وكفلَهُم[٦].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤) عن نافع وحده، و«التيسير» (ص: ١٨٨) عن نافع وهشام، وهو موافق للنشر (٢/ ٣٦١).

(٢) في نسخة الفاروقي: «لمن المختارين من أبناء جنسهم المفضلين».

(٣) في نسخة الفاروقي: «الناس» وفي الهامش كالمثبت نسخة.

(٤) البيت لابن ميادة، وهو في «ديوانه» (ص: ٨١)، وذكره عنه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٣/ ١٢٤)، وابن جني في «سر صناعة الإعراب» (٢/ ١٢٠). ونسب للأخطل كما في «الفائق» للزمخشري (٣/ ٢٨٨)، ولجرير كما في «اللسان» (مادة: وسع). وعجزه:

شديدًا بأعباء الخلافة كاهلُه

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٠٤).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٨).

وقيل: كفلَ بعملِ رَجُلٍ صالحٍ كان يُصلِّي كلَّ يومٍ مئةَ صلاةٍ[١].

﴿وَكُلٌّ﴾؛ أي: وكُلُّهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى ما تَقدَّمَ مِن أُمورِهم ﴿ذِكْرٌ﴾: شرفٌ لهم، أو: نوعٌ مِن الذِّكرِ وهو القرآنُ، ثمَّ شرعَ في بيانِ ما أَعَدَّ لهم ولأمثالِهم فقال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجعٍ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ عطفُ بيانٍ لِـ(حسنَ مآبٍ)، وهو من الأعلامِ الغالبَةِ؛ كقوله[٢]: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١] وانتصبَ عنها ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ على الحالِ، والعامِلُ فيها ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مِن مَعنى الفعلِ.

وقُرِئَتا مَرفُوعتينِ[٣] على الابتداءِ والخبرِ، أو أَنَّهُما خبرانِ لِمَحذوفٍ.

(٥١) ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ حالانِ مُتعاقبانِ أو مُتداخلانِ من الضَّميرِ في ﴿لَهُمُ﴾ لا مِـن (المتَّقِينَ) للفصلِ، والأظهَرُ أنَّ ﴿يَدْعُونَ﴾ استئنافٌ لِبيانِ حالِهم فيها، و﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حالٌ مِن ضَميرِه، والاقتصارُ على الفاكهَةِ للإشعارِ بأنَّ مَطاعِمَهُم لِمَحضِ التَّلذُّذِ، فإنَّ التَّغذِّيَ للتَّحلُّلِ ولا تَحلُّلَ ثَمَّةَ.

(٥٢) ـ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ لا يَنظرونَ إلى غيرِ أزواجِهنَّ ﴿أَتْرَابٌ﴾: لِداتٌ لهم؛ فإنَّ التَّحابَّ بين الأقرانِ أثبَتُ، أو بعضُهنَّ لِبَعضٍ لا عجوزَ فيهنَّ ولا صَبيَّةَ، واشتقاقُهُ مِن التُّرابِ فإنَّه يمسُّهُم في وقتٍ واحدٍ.

(٥٣) ـ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: لأجلِهِ؛ فإنَّ الحسابَ عِلَّةُ الوُصولِ[٤] إلى الجزاءِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٢) عن أبي موسى الأشعري.

(٢) في نسخة الفاروقي: «لقوله».

(٣) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٩) عن أبي حيوة.

(٤) في نسخة التفتازاني: «للوصول».

وقرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو بالياءِ ليُوافِقَ ما قبلَه[١].

(٥٤ ـ ٥٦) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾: انقطاعٍ.

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: الأمرُ هذا، أو: هذا كما ذُكِرَ، أو: خُذْ هذا.

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ﴾ إعرابُه ما سبقَ، ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حالٌ مِن ﴿جَهَنَّمَ﴾.

﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المهدُ، أو المُفترَشُ، مُستَعارٌ مِن فراشِ النَّائمِ، والمخصوصُ بالذَّمِّ مَحذوفٌ وهو: جهنمُ، كقولِه: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١].

(٥٧) ـ ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾؛ أي: ليَذُوقُوا هذا فلْيَذُوقوه، أو: العذابُ هذا فليَذوقُوه، ويجوزُ أَنْ يكونَ مُبتدأً خبرُه: ﴿حميمٌ وغَسَاقٌ﴾ وهو على الأوَّلَيْنِ خبرُ مَحذوفٍ؛ أي: هو حميمٌ، والغَسَاقُ: ما يَغْسِقُ مِن صديدِ أهلِ النَّارِ، مِن غَسَقَتِ العَيْنُ: إذا سالَ دَمْعُها.

وقرأَ حَفْصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ بتشديدِ السِّينِ[٢].

(٥٨) ـ ﴿وَءَاخَرُ﴾؛ أي: مَذوقٌ، أو عذابُ آخرُ.

وقرأَ البَصريَّانِ: ﴿وأُخَرُ﴾[٣]؛ أي: ومذوقاتٌ ـ أو: أنواعُ عذابٍ ـ أُخَرُ.

﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: من مثلِ هذا المذوقِ أو العذابِ في الشدَّةِ، وتوحيدُ الضَّميرِ على أنَّه لِمَا ذُكِرَ، أو للشَّرابِ الشَّاملِ للحَميمِ والغَسَّاقِ، أو للغَساقِ.

وقُرِئَ بالكسرِ وهي لُغَةٌ[٤].

---

(١) والباقون بالتاء، انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٣) انظر: «النشر» (٢/ ٣٦١).

(٤) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٩) عن مجاهد.

﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أجناسٌ، خبرٌ لـ(آخَرُ)، أو صفةٌ له، أو للثَّلاثَةِ، أو مرتفعٌ بالجارِّ والخبرُ محذوفٌ مثل: لهم.

(٥٩) ـ ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ حكايةُ ما يُقالُ لرُؤَساءِ الطَّاغينَ إذا دخلوا النَّارَ واقتحمَها معَهُم فوجٌ تَبِعَهُم في الضَّلالِ، والاقتحامُ: رُكوبُ الشدَّةِ والدُّخولُ فيها.

﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ دعاءٌ مِن المتبوعينَ على أتباعِهِم، أو صِفَةٌ لـ﴿فَوْجٌ﴾، أو حالٌ؛ أي: مقولًا فيهم لا مَرْحَبًا؛ أي: ما أتوا رُحبًا وسَعَةً.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾: داخلونَ النَّارَ بأعمالهم مثلنا.

(٦٠) ـ ﴿قَالُوا﴾؛ أي: الأتباعُ للرُّؤساءِ: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾: بل أَنتُمْ أَحَقُّ بما قُلْتُم أو قيلَ لنا؛ لضَلالِكُم وإضلالِكُم كما قالوا: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾: قَدَّمْتُم العذابَ أو الصُّليَّ لنا بإغوائِنا وإغرائِنا على ما قَدَّمْتُم مِن العَقائدِ الزَّائغَةِ والأعمالِ القَبيحَةِ.

﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾: فبِئسَ المَقرُّ جهنَّمُ.

(٦١) ـ ﴿قَالُوا﴾؛ أي: الأتباعُ أيضًا: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾: مُضاعفًا؛ أي: ذا ضعفٍ، وذلك أنْ يزيدَ على عذابِه مثلَهُ فيصيرَ ضِعفَيْنِ كقولِه: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الأحزاب: ٦٨].

(٦٢) ـ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الطَّاغونَ: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ يعنونَ فُقراءَ المُسلمينَ الذين يَسترذِلُونَهُم ويَسخَرُونَ بهم.

(٦٣) ـ ﴿اتَّخَذْنَاهُم سِخْرِيًّا﴾ صِفَةُ أُخرى لـ﴿رِجَالًا﴾، وقرأَ الحجازِيَّانِ وابنُ عامرٍ وعاصمٌ بهمزةِ الاستفهامِ[1] على أنَّه إنكارٌ على أنفُسِهِم وتأنيبٌ لها في الاستسخارِ مِنْهُم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).

وقرأ نافعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿سُخريًّا﴾ بالضَّمِّ[١]، وقد سبقَ مثلُه في (المؤمنينَ).

﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مالَتْ ﴿عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ فلا نراهُم، و﴿أَمْ﴾ مُعادِلَةٌ لـ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ﴾ على أنَّ المرادَ نفْيُ رُؤيَتِهِم لغَيبَتِهِم؛ كأنَّهُم قالوا: ليسُوا هاهنا أم زاغَتْ عَنْهُم أبصارُنا.

أو لـ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ على القِراءةِ الثَّانيةِ بمعنى: أيَّ الأمرينِ فعلنا بهم الاستسخارَ مِنْهُم أم تحقيرَهُم؛ فإنَّ زيغَ الأبصارِ كنايةٌ عنه على مَعنى إنكارِهِما على أنفُسِهم.

أو منقطعةٌ، والمرادُ: الدلالةُ على أنَّ استرذالَهُم والاستسخارَ منهم كانَ لزَيْغِ أَبصارِهِم وقصورِ أنظارِهِم على رثاثَةِ حَالِهِم.

(٦٤) ـ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الذي حَكَينا عَنْهُم ﴿لَحَقٌّ﴾ لا بُدَّ أن يتكلَّمُوا به، ثم بيَّن ما هو فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وهو بدلٌ مِن (حق) أو خبرُ مَحذوفٍ.

وقُرِئَ بالنَّصبِ[٢] على البدلِ مِن ﴿ذَٰلِكَ﴾.

(٦٥) ـ ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ للمُشركينَ: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ أُنذِرُكُم عذابَ اللهِ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ الذي لا يقبلُ الشَّرِكَةَ والكثرةَ في ذاتِه ﴿الْقَهَّارُ﴾ لكلِّ شيءٍ.

(٦٦) ـ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ منه خَلقُها وإليهِ أمرُها ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلَبُ إذا عاقبَ ﴿الْغَفَّارُ﴾ الذي يَغفِرُ ما يَشاءُ مِن الذُّنوبِ لِمَن يَشاءُ.

وفي هذه الأوصافِ تَقريرٌ للتَّوحيدِ ووَعدٌ ووَعيدٌ للمُوَحِّدينَ والمُشركينَ، وتثنيةُ ما يشعِرُ بالوعيدِ وتقديمُه لأنَّ المدَّعى هو الإنذارُ.

---

(١) وقراءة الباقين الكسر، انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) أي: (تخاصمَ). انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥١٢)، و«البحر» (١٨/ ٢٩٠)، عن ابن أبي عبلة.

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿قُلْ هُوَ﴾؛ أي: ما أنبأْتُكُم به من أَنِّي نَذيرٌ مِن عُقوبَةِ مَن هذه صِفَتُه، وأَنَّه واحِدٌ في ألوهيَّتِه، وقيل: ما بعدَهُ مِن نبأِ آدمَ.

﴿نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ لتَمادي غَفْلَتِكُم فإنَّ العاقلَ لا يُعرِضُ عن مثلِه كيفَ وقَدْ قامَتْ عليه الحُجَجُ الواضحَةُ، أمَّا على التوحيدِ فما مرَّ، وأمَّا على النبوَّةِ فقوله:

(٦٩) ـ ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فإنَّ إخبارَهُ عن تَقاوُلِ الملائكةِ وما جَرى بينَهُم على ما وَرَدتْ في الكتبِ المُتقدِّمَةِ مِن غيرِ سَماعٍ ومُطالعَةِ كتابٍ لا يُتصوَّرُ إلا بالوَحْيِ، وإذ مُتعَلِّقٌ بـ﴿عِلْمٍ﴾ أو محذوفٍ إذ التَّقديرُ: مِن علمٍ بكَلامِ الملأِ الأعلى.

(٧٠) ـ ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: لأنَّما، كأنَّه لَمَّا جوَّزَ أنَّ الوحيَ يأتيهِ بيَّنَ بذلك ما هو المقصودُ به تحقيقًا لقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ ويجوزُ أَنْ يرتفعَ بإسنادِ ﴿يُوحَىٰٓ﴾ إليه.

وقُرِئَ: ﴿إنَّما﴾ بالكسرِ[1] على الحكايَةِ.

(٧١) ـ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ بدلٌ مِن ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ مُبيِّنٌ لـه؛ فإنَّ القصَّةَ التي دخلَتْ (إذ) عليها مُشْتَمِلَةٌ على تقاوُلِ الملائكةِ وإبليسَ في خلقِ آدمَ واستحقاقِهِ للخِلافَةِ والسُّجودِ على ما مرَّ في (البَقرةِ)، غيرَ أنَّها اختُصِرَت اكتفاءً بذلك واقتصارًا على ما هو المقصودُ منها، وهو إنذارُ المشركينَ على استكبارِهِم على النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ بمثلِ ما حاقَ بإبليس على استكبارِهِ على آدمَ.

هذا ومِن الجائزِ أَنْ تكونَ مُقاوَلَةُ اللهِ إيَّاهُم بواسطةِ مَلَكٍ، وأَنْ يُفسَّرَ الملأُ الأعلى بما يعمُّ اللهَ والملائكةَ.

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٢).

(٧٢) ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ عدَّلْتُ خِلْقتَهُ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾: وأحيَيتُهُ بنفخِ الرُّوحِ فيه، وإضافَتُه إلى نفسِهِ لشَرَفِهِ وطَهارَتِه.

﴿فَقَعُوا لَهُۥ﴾: فخِرُّوا له ﴿سَٰجِدِينَ﴾ تكرمَةً وتَبجيلًا له، وقد مرَّ الكلامُ فيه في (البقرةِ).

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾: تعظَّمَ، ﴿وَكَانَ﴾ وصارَ ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ باستكبارِهِ عن أمرِ اللهِ واستكبارِهِ عن المُطاوعَةِ، أو كانَ مِنْهُم في علمِ اللهِ.

(٧٥) ـ ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾: خلَقْتُه بنفسي مِن غيرِ تَوسُّطِ كأبٍ وأُمٍّ، والتَّثنيَةُ لِمَا في خلقِه مِن مَزيدِ القُدرَةِ واختلافِ الفعلِ. وقُرِئَ على التَّوحيدِ[1].

وترتيبُ الإنكارِ عليه للإشعارِ بأَنَّهُ المستدعي للتَّعظيمِ، أو بأَنَّه الذي تشبَّثَ به في تركِه، وهو لا يصلحُ مَانعاً؛ إذ للسَّيدِ أن يستخدمَ بعضَ عَبيدِهِ لبَعْضٍ سِيَّمَا وله مزيدُ اختِصاصٍ.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾: تكبَّرْتَ مِن غيرِ استِحقاقٍ، أو كنتَ ممَّنْ عَلا واستحقَّ التَّفوُّقَ.

وقيل: أستكبرتَ الآنَ أم لم تزَلْ كنتَ مِن المستكبرينَ.

وقرئَ: (اسْتَكْبَرْتَ) بحذفِ الهمزةِ[2] لدَلالةِ ﴿أَمْ﴾ عليها، أو بمَعنى الإخبارِ.

(٧٦) ـ ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ إبداءٌ للمَانعِ، وقوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ دليلٌ عليه، وقَد سبقَ الكَلامُ فيه.

---

(١) أي: (بيَدِي). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١) عن الجحدري.

(٢) هي رواية عن ابن كثير، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١).

(٧٧) ـ ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾: مِن الجنَّةِ، أو السَّماءِ، أو مِن الصُّورَةِ المَلَكيَّةِ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرودٌ مِن الرَّحمَةِ ومحلِّ الكرامَةِ.

(٧٨ ـ ٨١) ـ ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ مرَّ بيانُه في (الحِجْر).

(٨٢ ـ ٨٣) ـ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾: فبسُلْطانِكَ وقَهرِكَ ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: الذين أخلصَهُم اللهُ لِطاعَتِه وعَصمَهُم مِن الضَّلالةِ، أو: أخلَصُوا قلوبَهُم للهِ على اختلافِ القِراءَتين.

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿قال فالْحَقَّ والْحَقَّ أَقولُ﴾؛ أي: فأُحِقُّ الحقَّ وأقولُه.

وقيل: الحقُّ الأوَّلُ اسمُ اللهِ تَعالى ونصبُه بحذفِ حَرفِ القسمِ كقولِه:

إنَّ عَلَيْـــكَ اللهَ أَنْ تُبَايِعَـــا[1]

وجوابُه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ وما بينَهُمَا اعتِراضٌ، وهو على الأوَّلِ جَوابُ مَحذوفٍ، والجملةُ تَفسيرٌ لـ﴿الحقَّ﴾ المقولِ.

وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ برفعِ الأوَّلِ على الابتداءِ[2]؛ أي: الحقُّ يميني أو قسمِي، أو الخبرِ؛ أي: أنا الحقُّ.

---

(١) تمامُه:

تُؤخَـذُ كَرْهًـا أَوْ تَجِـيءُ طَائِعَـا

ورد دون نسبة في «الكتاب» (١/ ١٥٦)، و«المقتضب» (٢/ ٦٣)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (٢/ ٤٨)، و«الحجة» للفارسي (٥/ ٣٥٠)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٥/ ٢٠٣) وعندهم جميعاً: «إن عليَّ الله». المبايعة: البيعة والطاعة للسلطان، و«تُؤخَذ» بدل من «تبَايع»، قاله البغدادي، قال: وهذا البيت قلما خلا عنه كتاب نحوي ومع شهرته لا يعلم قائله، وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

وقُرِئَا مَرفُوعَيْنِ[١] على حذفِ الضَّميرِ مِن ﴿أَقولُ﴾ كقولِه:

كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ[٢]

ومَجرورَيْنِ[٣] على إضمارِ حَرفِ القَسَمِ في الأوَّلِ، وحكايةِ لَفظِ المُقسَمِ به في الثَّاني للتَّوكيدِ، وهو سائغٌ فيه إذا شاركَ الأوَّلَ[٤].

وبرفعِ الأوَّلِ وجَرِّهِ ونصبِ الثَّاني[٥]، وتخريجُه على ما ذكَرْنا.

والضَّميرُ في ﴿مِنْهُمْ﴾ للنَّاسِ إذ الكلامُ فيهم، والمرادُ بـ﴿مِنكَ﴾: من جنسِكَ؛ ليَتناولَ الشَّياطينَ، وقيل: للثَّقَلينِ[٦]، و﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيدٌ له أو للضَّميرَيْنِ[٧].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١) عن الأعمش وابن عباس.

(٢) لَأبِي النَّجْمِ، وأَوَّلُه:

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنْبًا..................

انظر: «ديوان أبي النجم» (ص: ١٣٢)، و«الكتاب» (١/ ٨٥ و١٣٧)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤٠ و٢٤٢) (٢/ ٩٥)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٨٤)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٥)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٣٥٩).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١) عن عيسى بن عمر.

(٤) أي: إذا كان مثلَه لفظاً ومعنًى ساغت الحكايةُ فيه كما هنا، وهو حسن؛ لأنه تأكيد على تأكيد؛ إذ القسم في نفسه مؤكد. انظر: «حاشية الخفاجي».

(٥) برفع الأول مع نصب الثاني قراءة سبعية تقدم تخريجها قريباً، وبجر الأول مع نصب الثاني نسبها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٨٣) لابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو رجاء، ومعاذ القارئ، والأعمش.

(٦) قوله: «وقيل: للثقلين» عطفٌ على «للناس».

(٧) «أو للضميرين»؛ أي: ضمير ﴿مِنكَ﴾ وضمير ﴿مِنْهُمْ﴾.

(٨٦) ـ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: على القُـرآنِ، أو تبليـغِ الوَحْـيِ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: المُتصنِّعيـنَ بمـا لسـتُ مِـن أَهلِـهِ علـى مـا عَرَفْتُـم مِن حالـي فأنتحلَ النبـوَّةَ وأتقـوَّلَ القُرآنَ.

(٨٧) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: للثَّقَلينِ.

(٨٨) ـ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ وهو ما فيهِ مِن الوَعدِ والوعيدِ، أو: صدقَهُ بإتيان[1] ذلك.

﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾: بعدَ الموتِ، أو يومَ القيامةِ، أو عندَ ظُهورِ الإسلامِ، وفيهِ تَهديدٌ.

عن النبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ «ص» كانَ له بوزنِ كُلِّ جبلٍ سَخَّرَه اللهُ لداودَ عشرُ حَسَناتٍ، وعصمَهُ أن يُصِرَّ على ذنبٍ صَغيرٍ أو كبيرٍ»[2].

***

---

(١) في نسخة الفاروقي: «بإثبات».

(٢) رواه الثعلبي في (تفسيره) (٨/ ١٧٥) (ط: دار إحياء التراث)، والواحدي في (الوسيط) (٣/ ٥٣٧)، وهو قطعة من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه الموضوع، وقد تقدم الكلام عليه مراراً.

سورة ص(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١ ﴾ .

﴿ صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ الآية، هذه السورةُ مكيةٌ بلا خلاف. ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه لمّا ذكر عن الكفار [٤٧٦/ أ] أنهم كانوا يقولون ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦٨ ﴾ [الصافات] لأخلصنا(٢) العبادةَ لله تعالى، وأخبر أنهم أتاهم الذكر، فكفروا به، فبدأ هذه السورةَ بالقسم بالقرآن ذي الذِّكْرِ الذي جاءهم، وأخبر عنهم أنهم كافرونَ به وأنهم في تَعَزُّزٍ ومشاقَّةٍ للرسولِ الذي جاء به. ثم ذكر مَنْ أهلكَ من القرونِ التي شاقَّت الرُّسُلَ ليتَّعظوا بذلك.

---

(١) مكية وهي ثمان وثمانون آية.

(٢) ق: ذكر.. لأخلصوا.

وروي[١] أنه لمّا مرض أبو طالب، جاءت قريش ورسولُ الله ﷺ عند[٢] رأس أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهلٍ كي يمنعه، وشكوه إلى أبي طالب فقال: يا بن أخي، ما تريدُ من قومك؟. فقال: يا عمّ إنما أُريدُ منهم كلمةً تَذِلُّ بها لهم العربُ وتُؤدي إليهم الجزية بها العجمُ. قال: وما الكلمة؟. قال: كلمة واحدة. قال: وما هي؟. قال: لا إله إلا الله. قال: فقاموا وقالوا: جعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً. قال: فنزل فيهم القرآن «ص والقرآن ذي الذكر» حتى بلغ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص]. وجوابُ القسم فيه أقوالٌ ضعيفة ذكرت في «البحر»[٣].

وينبغي أن يقدر هنا ما أثبت جواباً للقرآن حين أقسم به، وذلك في قوله تعالى ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [يس] فيكون التقدير هنا: ص والقرآن ذي الذكر إنك لمن المرسلين. ويقوّي هذا التقديرَ ذِكْرُ النذارة هنا في قوله ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ وقال هناك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا ۝٦﴾ [يس] فالرسالة تتضمنُ النذارةَ والبشارة.

و«بل» للانتقال من هذا القسم والمُقْسَمِ عليه إلى حال تعزُّزِ الكفار ومشاقّتهم في قبولِ رسالتكَ وامتثالِ ما جئتَ به واعتراف بالحق.

و«كم» خبرية مفعولة بـ«أهلكنا» أي: كثيراً أهلكنا.

﴿فَنَادَواْ﴾ أي: استغاثوا، أو نادوا بالتوبة، ورفعوا أصواتهم، يقال: فلان أندى صوتاً أي: أرفع، وذلك بعد معاينةِ العذاب.

---

(١) انظر السيرة النبوية ٢: ٥٨.

(٢) ق: وعند.

(٣) انظر ٧: ٣٨٣.

﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ على قول سيبويه[١] عملت عملَ ليس واسمها محذوفٌ تقديره: ولات الحينُ حينَ فوتٍ ولا فرار.

وعلى قول الأخفش تكون «حين» اسم لات، عملتْ عملَ إنَّ، نصبت الاسمَ ورفعت الخبرَ، والخبرُ محذوفٌ تقديره: ولات حين مناص لهم، أي: كائن لهم. والمناص: المنجى والفوت؛ يقال: ناصه ينوصه إذا فاته. وقال الفرّاء[٢]: النّوص: التأخُّر، يقال: ناص عن قِرنه ينوصُ نوصاً ومناصاً إذا فرَّ وزاغ.

والضمير في «وعجبوا» عائد على الكفار، أي: استغربوا مجيءَ رسولٍ من أنفسهم.

و﴿عُجَابٌ﴾ بناء مبالغة كرجلٍ طُوال وسُراع في طويل وسريع.

والذين قالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ قال ابن عباس: صناديد قريش وهم ستة وعشرون رجلاً.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ الظاهر انطلاقهم عن مجلس أبي طالب حين اجتمعوا والرسول عليه [٤٧٦/ب] السلام عنده، وشكوه على ما تقدم[٣] في سببِ النزول. ويكون ثَمّ محذوفٌ تقديرهُ: يتحاورون أن امشوا، وتكون «أن» مفسّرة لذلك المحذوف.

و﴿ٱمْشُوا۟﴾ أمرٌ بالمشي وهو نقلُ الأقدامِ عن ذلك المجلس.

---

(١) انظر الكتاب ١ : ٦٠.

(٢) معاني القرآن ٢ : ٣٩٧. وليس فيه إلا: النّوص: التأخر.

(٣) ق: وشكوه عاما تقدم.

﴿وَٱصۡبِرُواْ﴾ أمرٌ بالصبر على الآلهة، أي: على عبادتها والتَّمسُّكِ بها.

والإشارة بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إلى ظهورِ محمدٍ ﷺ وعُلُوِّهِ بالنبوة. ﴿لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ أي: يراد منّا الانقيادَ إليه أو يريده الله ويحكم بإمضائه، فليس فيه إلا الصبر.

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ أي: بتوحيد المعبود وهو الله تعالى.

﴿فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: ملّة النصارى لأن فيها التثليثَ ولا تُوحِّد.

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ أي: افتعال وكذب.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ أنكروا أنْ يختص بالشرفِ من بين أشرافهم، وينزل عليه الكتابُ من بينهم. وهذا الإنكارُ هو ناشئٌ عن حَسَدٍ عظيم، انطوتْ عليه صدورهم، فنطقتْ[1] به ألسنتهم.

﴿بَل هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ أي: من القرآن الذي أنزلته على رسولي يرتابون فيه. والإخبار بأنهم في شكٍّ يقتضي كذبهم في قولهم «إن هذا إلا اختلاق».

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ أي: بعدُ، فإذا ذاقوه، عرفوا أنَّ ما جاءَ به حقٌّ وزالَ عنهم الشَّكُّ. ونفى الذوقَ بلمّا، وهي تقتضي النفيَ إلى زمانِ الإخبار.

و﴿عَذَابِ﴾ مضاف إلى ياء[2] المتكلم وحُذفت. وتُحذف كثيراً في الفواصل كقوله ﴿أَهَٰنَنِ ١٦﴾ [الفجر].

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ﴾ أي: ليسوا متصرّفين في خزائنِ الرحمةِ، فيعطوا

(١) ق: فأنطقت.

(٢) ق: الياء.

ما شاؤوا لِمَنْ شاؤوا، ويَمْنَعُوا مَنْ شاؤوا ما شاؤوا، ويصطفوا[١] للرسالة مَنْ أرادوا، وإنما يملكها ويتصرفُ فيها العزيز الذي لا يُغالَبُ، الوهابُ ما شاءَ لمن شاء.

لمّا استفهم استفهامَ إنكارٍ في قوله ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ وكان ذلك دليلاً على انتفاءِ تصرُّفهم في خزائنِ رحمةِ الله تعالى، أتى الإنكارُ والتوبيخُ بانتفاء ما هو أعمُّ فقال ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك.

﴿فَلْيَرْتَقُوا۟﴾ أي: أَلَهُمْ شيءٌ من ذلك فليصعدوا في الأسبابِ الموصِلَةِ إلى السماءِ والمعارجِ التي يُتوصَلُ بها إلى تدبيرِ العالم، فيضعوا[٢] الرسالةَ فيمن اختاروا.

ثم صَغَّرهم وحَقَّرهم وأخبرَ بما يؤولُ إليه أمرهم من الهزيمةِ والخيبةِ [فقال ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾]. قيل: وما زائدة، ويجوز أنْ تكون صفةً أُريدَ بها[٣] التعظيم على سبيل الهُزْءِ بهم أو التحقير؛ لأنّ «ما» الصفة تشتملُ على هذين المعنيين. و«هنالك» ظرف مكان يُشارُ به للبعيد. والظاهر أنه يُشار به للمكانِ الذين تفاوضوا فيه مع رسولِ الله ﷺ بتلك الكلمات السابقة، وهو مكة، فيكون ذلك إخباراً بالغيب [٤٧٧/ أ] عن هزيمتهم بمكة يوم الفتح، فالمعنى أنهم يصيرون مهزومين بمكة يوم الفتح.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ

(١) ق: فيعطون.. ويمنعون.. ويصطفون الرسالة.

(٢) ق: فيضعون.

(٣) ق: به.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾.

و﴿ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ أي: صاحب الأوتاد، وأصله من ثباتِ البيتِ المطنَّب بأوتادِه، قال الأفوه الأَوْدي(١): [من البسيط]

والبيت لا يُبتنى إلا على عمد ... ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ

فاستعير لثبات(٢) العزِّ والملك واستقامة الأمر.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ الآية، «وما ينظر» أي: ما ينتظر. «هؤلاء» إشارةٌ إلى كفار(٣) قريش ومَنْ جرى مجراهم. والصيحةُ: ما نالهم من قتلٍ وأسرٍ وغلبة، كما تقول: صاح فيهم الدهرُ. والفواق: بضم الفاء وفتحها، الزمانُ الذي ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع. والمعنى من زمانٍ يسيرٍ قَدْرَ ما بين الحلبتين يستريحون فيه من العذاب.

﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ قال أبو عبيدة والكسائي: [القطّ]: الكتاب بالجوائز. وقال ابن عباس: «قِطَّنا» نصيبنا من الجنة لنتنعَّمَ به في الدنيا.

ومعنى ﴿قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: الذي تزعمون(٤) أنه واقع في العالم إذ هم

---

(١) ديوانه ص١٠.

(٢) ق: لبيان.

(٣) ق: الكفار.

(٤) ق: يزعمون.

كفَرةٌ لا يؤمنون بالبعث.

ولما كانت مقالتهم تقتضي الاستخفافَ، أمَرَ تعالى نبيَّهُ عليه السلام بالصبرِ على أذاهم، وذكرَ قصصاً للأنبياء عليهم السلام داود وسليمان وأيوب وغيرهم، وما عَرَضَ لهم، فصبروا حتى فرَّجَ الله تعالى عنهم، وصارتْ عاقبتهم أحسن عاقبة. فكذلك أنتَ تصبرُ، ويؤولُ أمرك إلى أحسنِ مآلٍ.

﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذا القُوَّةِ في الدين والشرع. وفي ذلك تأنيسٌ للرسولِ عليه السلام بالظَّفَرِ بأعدائهِ كما أظفرَ داودَ بالأعداء وقتل داود جالوت. والأوَّاب: الراجعُ إلى طاعة الله تعالى.

«والإشراق» مصدر أشرق أي: صَفَتْ وأضاءت، وشرقت بمعنى طلعت.

﴿وَشَدَدْنَا﴾ تقدم الكلامُ عليه[1].

«وفصل الخطاب» قال ابن عباس: القضاء بين الناس بالحقِّ وإصابته وفهمه.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ
مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ
أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ
أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ
وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا
تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا

(١) انظر تفسير الآية ٣٥ من القصص.

نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ مجيء مثل هذا الاستفهام إنما يكونُ لغرابةِ ما يجيء معه من القصص كقوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾ [طه] فيتهيأ المخاطَبُ بهذا الاستفهام لما يأتي بعده، ويصغي لذلك. و«الخصم» مصدر ينطلقُ على الواحد والجمع.

﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ روي أنَّ الله تعالى بعثَ إليه ملكين في صورةِ إنسانين، فطلبا أنْ يدخلا عليه، فوجداه في يومِ عبادته، فمنعهما الحُرَّاسُ فتسوَّرا[1] عليه المحرابَ، فلم يَشْعُرْ إلا وهما بين يديهِ جالسان. تسوّر الحائط والسور: تسنَّمه، والبعير: علا أعلاه.

قال ابن عباس: جزَّأ أيامَهُ أربعةَ أجزاء: يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخواص أمرِه ويوماً لجميعِ بني إسرائيل فَيَعِظُهم ويبكيهم، فجاؤوه [٤٧٧/ب] في غيرِ يومِ القضاء، ففزِعَ منهم، لأنهم نَزلُوا عليه من فوق، وفي يوم الاحتجابِ، والحرس حوله لا يتركون مَنْ يدخل عليه، فخاف أنْ يُؤذُوه وكان ذلك ليلاً، وكان كُلٌّ واحدٍ منهما آخذاً برأس صاحبه. ولمّا أدركوا منه الفزعَ «قالوا لا تخف» أي: لسنا مِمَّنْ جاء إلاّ لأجلِ التحاكم. «خصمان» يحتمل أن يكون هذا موصولاً بقولهما «لا تخف» بادرا بإخبار ما جاءا إليه، ويحتمل أن يكون سألهم: ما أمْرُكم؟ فقالوا: خصمان. أي: نحن

(١) ق: فتسوروا.

خصمان. «بغى» أي: جار بعضنا على بعض كما قال الشاعر[١]:

ولكن الفتى حَمْلَ ابن بدر   بغى والبغيُ مَرْتَعُهُ وخيمُ

وفي أَمْرِهما له ونهيهما بعضُ فظاظةٍ على الحكام، حملَ على ذلك ما هما فيه من التخاصم والتشاجرِ، فاستدعيا عَدْلَهُ من غير ارتيابٍ [بأنه] يحكمُ بالعدل. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ مِن أشطَّ رباعياً. و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ وسطُ طريقِ الحق لا ميل فيه من هنا ولا هنا. والظاهر أنهم كانوا جماعةً فلذلك أتى بضمير الجمع، فإنْ كان المتحاكمان اثنين فيكون قد جاء معهما غيرهما[٢] على جهةِ المعاضدةِ والمؤانسة.

و«أخي» بدل. والأُخُوَّةُ هنا مستعارةٌ إذ هما مَلَكان لمّا ظهرا في صورةِ إنسانين، تكلّما[٣] بالأخوّة، ومجازها أنها أُخُوَّةٌ في الدين والإيمان.

﴿تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾ وكنّى بالنعجةِ عن الزوجةِ، والعربُ تذكر ذلك كثيراً في شعرها، وقال الشاعر[٤]: **[من الطويل]**

أغادي الصَّبوح عند هرٍّ وفَرْتنى   وليداً وهل أفنى شبابيَ غيرُ هِرّْ
همـا نعجتـان مـن نعـاج تَبـالـةٍ   لدى جؤذُرَيْن أو كبعض دُمى هَكِرْ

هرّ: عَلَمٌ لامرأةٍ، وفرتنى كذلك، وتبالة: مكان فيه النعاج الحسان. ودمى: جمع دمية وهي صور الرخام. وهكر: موضع فيه هذه الصور.

(١) البيت لقيس بن زهير في العقد ٦: ١٩.
(٢) ق: معهم غيرهم.
(٣) ق: فكلما.
(٤) هو امرؤ القيس، والبيتان في ديوانه ص١١٠.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: رُدَّها في كفالتي. وقال ابن كيسان: اجعلها كفلي، أي: نصيبي. وكفل يتعدَّى لواحدٍ ولاثنين بالتضعيفِ والهمزة؛ فمن التضعيفِ قراءة من قرأ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران] بالتشديد ونَصْب «زكريا»، وبالهمزة كقوله[1] «أكفلنيها» فالنون للوقاية والياء المفعول الأول و«ها» المفعول الثاني. والفصيح اتصاله، ولو كان في غير القرآنِ لجازَ أنْ يجيءَ منفصلاً فكان يكون: أكفلني إياها، والأحسن الاتصال. «وعزني» أي: غلبني، ومضارعه يَعُزُّ بضم العين.

وروي أنَّ داود عليه السلام لمّا سمع كلام الشاكي قال للآخر: ما تقولُ؟ فأقرَّ. فقال له: لئن لم ترجع للحقِّ لأكسرنَّ الذي فيه عيناكَ. وقال للثاني: لقد ظلمكَ. فتبسَّما عند ذلك وذهبا [ولم يرهما] لحينه.

و«بسؤال» مصدر أُضيف إلى المفعولِ، وهو على حذفِ مضافٍ والتقدير: [٤٧٨/أ] بسؤالِ ضَمِّ نعجتكَ إلى نِعاجِه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الظاهر أنه من كلامِ داود عليه السلام. و«الخلطاء» جمع خليط وهو الرفيق، قال الشاعر[2]: [من البسيط]

إنَّ الخليطَ أجدَّ البينَ فافترقا ... وعُلِّقَ القلبُ من أسماءَ ما عَلِقا

«وقليل» خبر مقدم. و«ما» زائدة تُفيدُ معنى التعظيمِ والتَّعجيبِ. و«هم» مبتدأ.

﴿وَظَنَّ دَاوُدُ﴾ لمّا كان الظَّنُّ الغالبُ يقاربُ العِلْمَ استعيرَ له، ومعناه: وعَلِمَ داودُ، وأيقنَ أنَّا ابتليناهُ بمحاكمةِ [الخصمين].

---

(١) ق: لقوله.

(٢) البيت لزهير في ديوانه ص٣٣.

﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا﴾ حال. والخرور: الهُوِيُّ إلى الأرضِ. فإما أنه عبَّرَ بالركوع عن السجود، وإما أنه[1] ذكرَ أول أحوالِ الخرور أي: راكعاً ليسجد، وخرَّ ساجداً ورجع إلى الله تعالى غفرَ له ذلك الظنَّ ولذلك أشار بقوله «فغفرنا له ذلك». ولم يتقدم سوى قوله «وظن داود أنما فتناه» ويعلم قطعاً أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية، «فيضلك» منصوب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي. والفاعل في «فيضلك» ضمير الهوى أو ضمير المصدر المفهوم من قوله «ولا تتبع». «بما نسوا» ما مصدرية تقديره: بنسيانهم.

ثم ذكر ما بينَ المؤمنِ عاملِ الصالحاتِ[2] والمُفْسِدِ من التَّباينِ وأنهما ليسا سِيَّيْن[3]. وقابلَ الصلاحَ بالفسادِ، والتقوى بالفجور. والاستفهامُ بـ«أم» في الموضعين استفهامُ إنكارٍ، والمعنى أنه لا يستوي عندَ الله مَنْ أصلحَ ومَنْ أفسدَ، ولا مَن اتّقى ومَنْ فجرَ.

ولمّا انتفت[4] التسويةُ بَيَّنَ ما يصلح به لمتبّعه السعادة الأبدية وهو كتاب الله فقال ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾. وارتفاعهُ على إضمارِ مبتدأ أي: هذا كتابٌ. وقرىء: مباركاً، على الحالِ اللازمةِ لأنَّ البركةَ لا تفارقه. واللام في «ليدبروا» لامُ كَيْ. وأسند التدبيرَ إلى الجميع وهو التفكُّر في الآياتِ والتأمُّلُ الذي يُفْضِي بصاحبِهِ إلى النظر في عواقبِ الأشياء. وأسند التذكُّرَ إلى أولي العقولِ لأنَّ ذا العقلِ فيه ما يهديه إلى الحقِّ وهو عقله، فلا يحتاجُ إلا إلى ما يذكِّرُه فيتذكَّرُ.

---

(١) ق: أن.

(٢) ق: للصالحات.

(٣) مِثْلين (متماثلان) القاموس.

(٤) ق: انفت.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾.

﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ المخصوصُ بالمدحِ محذوفٌ تقديرُهُ: نِعْمَ العبدُ هو، أي: سليمان عليه السلام.

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ﴾ قال الجمهور: عُرضت عليه الخيلُ تركها أبوهُ له، فأُجريتْ بين يديه عَشيًّا فتشاغلَ بِحُسْنِها وجَرْيِها ومَحَبَّتها عن ذكرٍ له فقال: رُدُّوها، فطفق يضربُ أعناقها وعراقيبها بالسيفِ لمّا كانت سببَ الذُّهولِ عن ذلك الذكر، فأبدله اللهُ تعالى أسرعَ منها: الريح. والصافنُ من الخيل: الذي يرفع إحدى يديه ويقفُ على طرف سُنْبُكِه[1]، وقد يفعل ذلك برجله وهي علامةُ الفراهة، وأنشد الزّجاج[2]: [من الكامل]

أَلِفَ الصُّفونَ فلا يزالُ كأنه ممّا يقومُ على الثلاث كَسِيرا

وقال أبو عبيدة: الصافنُ: الذي يجمع يديه ويسوِّيهما. وأما الذي يقف على طرفِ السُّنْبك فهو المتخيِّمُ. و«الجياد» جمع جواد وهو الفرس.

---

(١) السنبك: طرف الحافر.

(٢) البيت في أمالي ابن الشجري ١: ٥٦، وهو من شواهد المغني ١: ٣١٨، وانظر شرح أبيات المغني ٥: ٣٠١.

وانتصب «حب [٤٧٨/ب] الخير» على أنه مفعول به لتضمُّن[١] «أحببت» معنى آثرت.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «توارت» للشمس وإن[٢] لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ لدلالة العشيِّ عليها. و«حتى» غاية لما قبلها، فالمعنى: داومتُ حُبَّ الخيرِ ذاهلاً عن ذِكْرِ ربي.

و«فطفق» من أفعال المقاربة للشروع في الفعل، وحُذِفَ خبرها لدلالة المصدر عليه، أي: فطفقَ يمسحُ مَسْحاً، يمسح أعرافها وسوقها محبةً لها.

وقال ابن عباس: ﴿مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ لم يكن بالسيفِ بل بيديه تكريماً لها ومحبّةً. والباء في «بالسوق» زائدة كهي في قوله ﴿وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ[٣] ۝٦﴾[المائدة].

وحكى سيبويه[٤]: مسحتُ برأسه ورأسه، بمعنى واحد. وقرىء: بالسوق، على وزن فُعْل وهو جمع ساق. وقرىء بهمزة بعدها واو: بالسؤوق على وزن فعول.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ أي: ابتلينا سليمان. ذكر المفسرون أشياءَ لا يصحُّ نقلها، وأقربُ ما قيل فيه أنَّ المرادَ بالفتنةِ كونه لم يستثن في الحديث [الذي] قال فيه: لأطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأة كُلٌّ واحدةٍ تأتي بفارسٍ يجاهدُ في سبيل الله. ولم يقل: إنْ شاء الله. فطاف عليهنَّ فلم تحملْ إلا امرأةٌ واحدة وجاءت

---

(١) ق: التضمّن.

(٢) ق: فإن.

(٣) ق: فامسحوا.

(٤) انظر الكتاب ١: ٩٢.

بشقِّ رجلٍ. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو قال: إنْ شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»[(١)].

فالمرادُ بقوله ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ هو هذا، والجسدُ المُلْقى هو المولود شق رجل. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: بعد امتحانِنَا إياهُ دوام الإنابة والرجوع.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ هذا دأبُ الأنبياء والصالحين من طلب المغفرة من الله تعالى هضماً للنفس وإظهاراً للذّلة والخشوع وطلباً للترقّي في المقامات. والظاهر أنه طلبَ مُلْكاً زائداً على الممالكِ زيادةً خارقةً للعادةِ بالغة حَدَّ الإعجازِ، ليكون ذلكَ دليلاً على نُبوَّتِه عليه السلام. ولمّا بالغ[(٢)] في صِفَةِ هذا المُلْكِ الذي طلبه، أتى[(٣)] في صفته تعالى باللفظ الدالِّ على المبالغة فقال ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ أي: الكثير الهبات لا يتعاظمُ عنده هبةٌ.

ولمّا طلب الهبة التي اختصَّ بها، وهبه وأعطاه ما ذكر تعالى من قوله ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾. «تجري» جملة [حالية] أي: جارية. «رخاء» أي: لَيِّنَةً مشتقة من الرخاوة. ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصدَ وأراد.

«الشياطين» معطوف على «الريح» و«كل بناء وغواص» بدل. وأتي بِبُنْيَةِ المبالغةِ كما قال ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ]. وقال النابغة[(٤)]: [من البسيط]

(١) رواه البخاري ٣: ١٠٣٨، ومسلم ٣: ١٢٧٦ من حديث أبي هريرة.

(٢) ق: بلغ.

(٣) ق: أي.

(٤) ديوانه ص١٣.

إلَّا سليمـانَ إذْ قـال الإلـهُ لـه ... قُمْ في البريَّةِ فاحدُدْها عن الفَنَدِ
وخَيِّسِ الجن(١) إني قد أذنتُ لهم ... يبنـون تـدمـرَ بـالصُّفَّـاحِ والعَمَـدِ

والمعطوف على العام عام فالتقدير: وكل غوّاص، أي: في البحر يستخرجون له الحلية، وهو أول مَن استخرجَ الدرَّ.

«وآخرين» عطف على «كل» فهو داخلٌ في البدل إذْ هو بدلُ كلٍّ من كلٍّ بدل التفصيل، أي: من الجنِّ وهم المَرَدة. سَخَّرهم له حتى قرنهم في الأصفادِ لكفرهم وقال النابغة في ذلك(٢): [من البسيط]

[٤٧٩/أ] فمن أطاعكَ فانفعه بطاعته ... كمـا أطاعـكَ وادْلُلـه على الرَّشَـدِ
ومَـنْ عَصَـاكَ فعـاقبـه معـاقبـةً ... تنهى الظلومَ ولا تقعد على ضَمَدِ

و﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ تقدّم الكلامُ عليه في إبراهيم(٣).

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا ﴾ إشارةٌ لما أعطاهُ الله تعالى من الملك الضخم، وتسخيرِ الجنِّ والإنسِ والطير، وأمره بأن يَمُنَّ على مَنْ يشاء ويمسك عَمَّنْ يشاء. وَقَفَهُ على قَدْرِ النعمة، ثم أباحَ له التَّصرُّفَ فيها بمشيئته، وهو تعالى قد علم أنه لا يتصرفُ إلا بطاعة الله تعالى. و«بغير حساب» في موضع الحال من «عطاؤنا» تقديره: كائناً بغير حساب.

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى

(١) ق: وجيش الجند.
(٢) ديوانه ص١٣-١٤.
(٣) انظر تفسير الآية ٤٩ من إبراهيم.

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ
أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ
أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ[1] إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ الآية، و«أيوب» عطف بيان أو بدل من «عبدنا». النُّصْب والنَّصَب كالرُّشْد والرَّشَد، وهو التعب والمشقة. والعذاب: الألم. والظاهر أنه تعالى ابتلى أيوبَ عليه السلام في جسدِهِ وأهلِهِ ومالِهِ على ما رُوِيَ في الأخبار.

وروى أنس عن النبيِّ ﷺ[2] أنَّ أيوبَ بقي في محنته ثماني عشرة سنة، يتساقطُ لحمه حتى مَلَّهُ العالم ولم يصبر عليه إلا امرأته.

ولم يُبَيِّنْ لنا تعالى السببَ المقتضي لعلَّته. وأما إسناده المسَّ إلى الشيطان فسببُ ذلك أنه كان يعوده ثلاثةٌ من المؤمنين، فارتدَّ أحدهم فسأل عنه فقيل: ألقى إليه الشيطانُ أنَّ الله لا يبتلي الأنبياءَ والصالحين، فحينئذ قال «مسني الشيطان»، نَزَّلَ - لشفقتِهِ على المؤمنين - مَسَّ الشيطانِ ذلك المؤمنَ حتى ارتدَّ، [منزلةَ] مَسِّه لنفسِه، لأنَّ [المؤمنَ] الخيِّرَ يتألَّمُ برجوعِ المؤمنِ الخيِّرِ[3] إلى الكفر.

وفي الكلامِ حَذْفٌ تقديرُه: فاستجبنا له وقلنا له: اركض برجلك. فركض فنبعتْ عينٌ، فقلنا له: هذا مُغْتَسلٌ باردٌ وشرابٌ فيه شفاؤك، فاغتسل فَبَرأ[4]

---

(١) ق: وأيوب.

(٢) انظر الفتح الرّباني ٢٠: ٧٩، والقرطبي ١٥: ٢٠٨.

(٣) ق: الخير المؤمن.

(٤) برىء من المرض بُرءاً بالضم. وأهل الحجاز يقولون: بَرَأَ بَرْءاً بالفتح.

ووهبنا له. ويدلُّ[١] على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ قيل: وهبه[٢] مَنْ كان حيًّا منهم وعافاه من الأسقامِ وأرغدَ لهم العيشَ، فتناسَلُوا حتى تَضاعفَ عددهم وصار مثلهم. و«رحمة» و«ذكرى» مفعولان لهما، أي: أن الهبة كانت لرحمتنا إياه وليتذكر أربابُ العقولِ ما يحصلُ للصابرِ من الخيرِ وما يؤولُ إليه من الأجر.

وفي الكلامِ حذفٌ تقديرُه: وكان حَلَفَ ليضربنَّ امرأتَهُ مئةَ ضربةٍ لسببٍ جرى منها - وكانت محسنةً له - فجعلنا له خلاصاً من يمينه بقولنا[٣] ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾. قال ابن عباس: الضِغث: عثكال النخل.

ومحصولُ أقوالهم هو تَمَثُّلُ الشيطانِ لها في صورةِ ناصحٍ أو مداوٍ وعرض لها بشفاءِ أيوب على يديه على شرطٍ لا يمكن وقوعه. فذكَرَتْ ذلك له، فعلم أنَّ الذي عَرَضَ لها[٤] هو الشيطان، وغَضِبَ لعرضها ذلكَ عليه، فحلفَ فَحلَّلَ اللهُ تعالى يمينَهُ بأهونِ شيءٍ عليه وعليها، لِحُسْنِ خدمتها إياهُ ورضاه عنها.

وقرىء: عبادنا، وعبدنا.

﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي﴾ لمّا كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غُلِّبَتْ، فقيل في كُلِّ [٤٧٩/ب] عمل: هذا مما عَمِلَتْ أيديهم.

و«الأبصار» عبارة عن البصائر التي يبصرون بها الحقائقَ وينظرونَ بنورِ الله

---

(١) ق: يدلّ.

(٢) ق: أوهبه.

(٣) ق: بقوله.

(٤) ق: له.

تعالى.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ أي: جعلناهم لنا خالصين.

وقرىء: بخالصةِ، بالتنوين وبغير تنوين بالإضافة. و﴿ٱلدَّارِ﴾ دار الآخرة.

﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ الآية، لما كان ما يذكره نوعاً من أنواعِ التنزيل قال «هذا ذكر» كأنه فَصَلَ بين ما قبله وما بعده. ألا ترى أنه لمّا ذكرَ أهلَ الجنةِ، وأعقبه بذكرِ أهلِ النارِ قال ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [ص].

وقال الزمخشريُّ[1]: «جنات» معرفة لقوله ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿٦١﴾﴾ [مريم]. وانتصابها[2] على أنها عطف بيان «لحسن مآب». و«مفتحة» حال والعامل فيها ما في «المتّقين» من معنى الفعل. وفي «مفتحة» ضمير الجنّات، و«الأبواب» بدل من الضمير تقديره: مفتّحة هي الأبواب، كقولهم ضَرْب زيد اليد والرِّجْل وهو من بدل الاشتمال انتهى.

ولا يتعيَّن أنْ تكون «جنات عدن» معرفة بالدليل الذي استدلَّ به، وهو قوله ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي ﴿٦١﴾﴾ [مريم]، لأنه اعتقد أن «التي» صفة لـ«جنات عدن». ولا يتعيّن ما ذكره إذ يجوز أن تكون «التي» بدلاً من «جنات عدن»، ألا ترى أن الذي والتي وجموعهما تُستعملُ استعمالَ الأسماء، فتلي العوامل،

(١) الكشاف ٣: ٣٧٨.

(٢) ق: وانتصب بها.

فلا يلزم أنْ تكون صفةً.

وأما انتصابها على أنها عطف بيان، فلا يجوز، لأنَّ للنحويِّين في ذلك مذهبين:

أحدهما: أنَّ ذلك لا يكونُ إلاَّ في المعارف، فلا يكون عطفُ البيانِ إلا تابعاً لمعرفة وهو مذهبُ البصريين.

والثاني: أنه يجوز أن يكون في النكرات، فيكون عطف البيان تابعاً لنكرةٍ، كما تكونُ المعرفة فيه تابعةً[1] لمعرفة، وهذا مذهب الكوفيين، وتبعهم الفارسي.

وأما تَخَالُفها في التنكيرِ والتعريفِ فلم يذهبْ إليه أحدٌ سوى هذا المصنِّف، وقد أجاز ذلك في قوله تعالى ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۝٩٧﴾ [آل عمران] فأعربه عطف بيان تابعاً لنكره وهو «آيات بينات» و«مقام إبراهيم» معرفة.

وقد رددنا عليه ذلك في موضعه في آل عمران[2].

وأما قوله: وفي «مفتّحة» ضمير الجنّات، فجمهور النحويين أعربوا «الأبواب» مفعولاً لم يُسَمَّ فاعلُه مرفوعاً بـ«مفتَّحة».

وجاء أبو علي فقال: إذا كان كذلك لم يكن في ذلك ضميرٌ يعود على «جنات عدن» من الحال إن أعرب «مفتّحة» حالاً[3]، أو من النعت إنْ أعرب نعتاً لـ«جنات عدن» فقال: في «مفتّحة» ضمير يعود على الجنات حتى ترتبط

(١) ق: تابعاً.
(٢) انظر تفسير الآية ٩٧ من آل عمران.
(٣) ق: حال.

الحال بصاحبها أو النعت بمنعوته، و«الأبواب» بدل.

وقال من أعرب «الأبواب» مفعولاً[١] لم يُسَمَّ فاعله: العائدُ على الجناتِ محذوفٌ تقديرُه: الأبواب منها.

وألزم أبو علي أنَّ البدل في مثل هذا لا بدَّ فيه من الضمير، إمَّا ملفوظاً به، أو مقدَّراً.

وإذا كان الكلامُ محتاجاً إلى تقدير [٤٨٠/أ] واحد، كان أولى مما يحتاج إلى تقديرين.

وأما الكوفيون فالرابطُ عندهم هو أل، لقيامهِ مقامَ الضميرِ، فكأنه قال: مفتَّحة لهم أبوابها.

وأما قوله: وهو من بدلِ الاشتمالِ، فإنْ عنى بقوله «وهو» قوله: اليد والرجل، فهو وهمٌ، وإنما هو بدلُ بعضٍ من كُلٍّ، وإنْ عنى «الأبواب» فقد[٢] يصحّ، لأنَّ أبوابَ الجنّاتِ ليست بعضاً من الجنَّات، وأما تشبيهه ما قدّره من قوله: مفتَّحة هي الأبواب، بقولهم: ضرب زيد اليد والرّجل - فوجْهُه أنَّ «الأبواب» بدل من ذلك الضمير المستكنِّ، كما أنَّ اليد والرّجل بدلٌ من الظاهر الذي هو زيد.

وقال أبو إسحاق وتبعه ابن عطيّة: «مفتّحة» نعتٌ لـ«جنات عدن». وقال الحوفي: «مفتّحة» حال والعاملُ فيها محذوفٌ يدلُّ عليه المعنى تقديره: يدخلونها.

﴿أَتۡرَابٌ﴾ أي: أمثال على سِنٍّ واحدة.

---

(١) ق: مفعول.

(٢) ق: هو.

﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا
فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا
مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ
ٱلۡقَرَارُ ٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا
نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ إِنَّ
ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦ ﴾ .

«هذا» مبتدأ. و«حميم» خبره. و«فليذوقوه» جملة اعتراض.

وقرىء: وغَسَّاق، بتخفيف السين وتشديدها، فإن كانت صفة فتكون ممّا حذف موصوفها، وإن كانت[1] اسماً ففعَّال قليلٌ في الأسماء كالفيّاد وهو ذكَرُ البوم.

وقرىء: وآخر، على الإفراد. وأُخر، على الجمع.

﴿مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾ أي: من شكل العذاب. ﴿أَزۡوَٰجٌ﴾ أي: أصناف.

والظاهر أن قوله ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾ من قول رؤسائهم بعضهم لبعض. والفوجُ: الجمعُ الكثير. «مقتحم معكم» أي: النار وهم الأتباع. ثم دَعَوْا عليهم بقولهم «لا مرحباً بهم» لأنّ الرئيسَ إذا رأى الخسيسَ قد قُرِنَ معه في العذابِ ساءه ذلك حيث وقع التساوي في العذابِ ولم يكن هو السالم من العذاب. و«مرحباً» معناه: أتيت رحباً وسعة لا ضيقاً.

(١) ق: كان، في الموضعين.

﴿قَالُوا﴾ أي: الفوج. ﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ ردٌّ على الرؤساء ما دَعَوْا[1] به عليهم. ثم ذكروا أنَّ ما وقعوا فيه من العذابِ وصَلْيِ النَّارِ إنما هو بما ألقيتم إلينا، وزَيَّنتُموه من الكفر، فكأنكم قَدَّمتم لنا العذابَ والصَّلي.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ روي أنَّ القائلينَ من كفّار عصر الرسول عليه السلام وهم[2] أبو جهل وأمية بن خلف وأصحابُ القليب، والذين لم يروهم عمّار وصهيب وسلمان ومَنْ جرى مجراهم.

وقرىء: أتخذناهم، بهمزة الاستفهام لتقرير أنفسهم على هذا على جهةِ التوبيخِ لها والأسف، أي: اتَّخذناهم سخرياً. وقرىء بوصل الهمزة على أنه خبر، ثم أضربوا عن هذا واستفهموا فقالوا: أزاغت عنهم أبصارنا وهم فيها؟. فنَفَوْا أوّلاً ما يدلُّ على كونهم ليسوا معهم، ثم جَوَّزُوا أنْ يكونوا معهم ولكن أبصارهم لم ترهم.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: التفاوض الذي حكيناه عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ أي: ثابتٌ واقعٌ لا بُدَّ أنْ يجري بينهم. و﴿تَخَاصُمُ﴾ بدل من «الحقّ».

﴿[قُلْ] إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ أي: قل يا محمد: إنما أنا منذر المشركين عذابَ الله، وأنه لا إلهَ إلاّ الله [٤٨٠/ب] لا ندَّ له ولا شريكَ له وهو الواحدُ القهار لكلِّ شيءٍ وأنه مالكُ العالم علوه وسفله.

«العزيز» الذي لا يُغالَبُ. «الغفار» لمن تابَ وآمنَ به واتَّبعَ دينه.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ

---

(١) ق: فادعوا.

(٢) ق: وهو.

يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾.

«قل هو نبأ عظيم» الآية، ما قَصَّهُ الله تعالى من مناظرةِ أهلِ النار ومقاولاتِ الأتباعِ مع السادات، لأنه من أحوال البعث، وقريشٌ كانت تنكرُ البعثَ والحساب والعقاب، وهم مُعْرِضُونَ عن ذلك.

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أمرَ نبيَّهُ عليه السلام بأنْ يقول: ما كان لي من علمٍ باختصامِ الملأ الأعلى. واختصامُهم هو في آدم وذرِّيتهِ في جَعْلِهم في الأرض.

ثم قال: ﴿إِن يُوحَىٰٓ﴾ إلى آخره، فنفى أنْ يكونَ عِلْمُ ذلك من غير جهةِ الوحي الإلهي(١).

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾.

---

(١) ق: إلهي.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ تقدّم الكلامُ عليه[١] والبشرُ هو آدمُ عليه السلام. وذكر هنا أنَّ خلقه ﴿مِّن طِينٍ﴾، وفي آل عمران ﴿مِن تُرَابٍ ۝٥٩﴾، وفي الحجر ﴿مِن صَلْصَٰلٍ ۝٢٦﴾، وفي الأنبياء ﴿مِنْ عَجَلٍ ۝٣٧﴾. ولا منافاة؛ ذكر المادةَ البعيدةَ وهي[٢] التراب، ثم ما يليه وهو الطّين، ثم ما يليه وهو الحمأ المسنون، ثم المادة الأخيرة تلي الحمأ وهي[٣] الصلصال. والاستثناء في جميع هذه الأيات يدلُّ على أنه لم يسجد؛ فتارة أكَّدَ بالنفي المحض، وتارة ذكر إباءه عن السجود وهو الأنَفَة من ذلك، وتارة نَصَّ على أنَّ ذلك الامتناع كان سببه الاستكبار[٤].

﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أي: ممّن علوتَ وفُقْتَ. فأجاب أنه من العالين حيث قال ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾.

قال ابن عطية: وذهب كثيرٌ من النحويين إلى أن «أم» لا تكون معادلةً للألفِ مع اختلاف الفعلين، وإنما تكون معادلة إذا دخلتا على فِعْلٍ واحد كقولك: أزيد قام أم عمرو، وقولك: أقام زيد أم عمرو؟. فإذا اختلف الفِعلان كهذه الآية فليست معادلة. ومعنى الآية: أَحَدَثَ لكَ الاستكبارُ الآنَ أم كنتَ قديماً مِمَّنْ لا يليق[٥] أن يُكَلَّفَ مثل هذا لعلوِّ مكانك، وهذا على جهةِ التوبيخ انتهى.

هذا الذي ذكره عن كثيرٍ من النحويين مذهبٌ غير صحيح.

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٠من البقرة.

(٢) ق: وهو.

(٣) ق: وهو.

(٤) انظر مثلاً على التوالي: الأعراف: ١١، ١٢ والبقرة: ٣٤.

(٥) ق: ممكن لا تليق.

قال سيبويه[1]: وتقول أضربت زيداً أم قتلته؟ فالبدءُ هنا بالفعلِ أحسنُ، لأنك إنما تسألُ عن أحدهما لا تدري أيُّهما كان، ولا تسأل عن موضع أحدهما، كأنك قلت: أي ذلك كان؟ انتهى.

فعادل بأم الألف مع اختلاف الفعلين.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ﴾ قرىء بالنصب وبالرفع. وهو قَسَم جوابهُ ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾. ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراض بين القَسَمِ وجوابِهِ. والمعنى: وأقولُ الحق. وإذا رفعنا «فالحقّ» مبتدأ خبره محذوفٌ وتقديره: فالحقُّ يميني. وإذا نصبنا فعلى إسقاطِ حرفِ الجر، تقديره: أُقْسِمُ بالحقِّ.

قال ابن عطيّة: أما الأول فرفع على الابتداء، وخبره في قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ لأن المعنى: أن أملأ. انتهى.

هذا ليس بشيء، لأن ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب قسم [٤٨١/أ] ويجب أن يكون جملة، فلا يتقدَّرْ بمفردٍ، وأيضاً ليس مصدراً مُقَدَّراً بحرفِ مصدري والفعل، حتّى ينحلّ إليهما، ولكنَّه لمَّا صحَّ له إسناد ما قَدَّر إلى المبتدأ، حكم أنه خبر.

و«منهم» بدل مِن «مَن» في قوله ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾. و﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للمتّبِع والمتَّبَع.

﴿عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: المُتَصَنِّعين المتحلِّين بما ليسوا من أهله.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: من الله. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ الثقلين الإنس والجن.

---

(١) الكتاب ٣: ١٧١.

﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ أي: عاقبة خبره وما ترتَّبَ عليه لمن آمن به ومَنْ أعرض عنه.

﴿بَعۡدَ حِينِۭ﴾ قال ابن عباس: هو يوم القيامة.

سورة ﴿صٓ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾.

المفردات «لَاتَ»: هي «لا» أُلحقت التاءُ، كما أُلحقت في «ثُمَّ» و«رُبَّ»، فقالوا: «ثُمَّت» و«رُبَّت» وهي تعمل عَمَلَ «ليس» في مذهب سِيبويه، وعَمل «إنَّ» في مذهب الأَخْفش(١)، فإنِ ارتفعَ ما بَعْدَها، فعلى الابتداء عندَه، ولها أحكامٌ ذُكرت في علم النَّحو، ويأتي شيءٌ منها هنا عندَ ذِكْر القراءاتِ التي فيها.

والمَنَاص: المَنْجَا والفَوت، يقال: نَاصَه يَنُوصُه: إذا فَاتَهُ.

وقال الفَرَّاء: النَّوصُ: التأخُّر، يقال: نَاصَ عن قَرْنِه يَنُوص نوصاً ومَنَاصاً، أي: فرَّ وراغ، وأنشد لامرئ القيس:

(١) ينظر كتاب سيبويه ١/ ٥٧-٥٨، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٠.

أَمِـنْ ذِكْـرِ سـلـمـى أَنْ نـأتْـكَ تَـنُـوصُ[١]

واسْتَنَاصَ: طَلَبَ المَنَاصَ، قال حارثة بنُ بدر:

غَـمْـرُ الـجِـراءِ إذا قَـصَـرْتُ عِـنَـانَـهُ بيَدي استناصَ ورَامَ جَرْيَ المِسْحَلِ[٢]

وقال الجوهريُّ: استناص: تأخَّر. وقال النَّحَّاسُ: نَاصَ يَنُوص: تقدَّم[٣].

الوَتِد معروف، وكَسْرُ التاء أَشْهَر مِن فتحها، ويقال: وَتِدٌ واتدٌ، كما يقال: شُغْلٌ شَاغِلٌ، قاله الأصمعيُّ، وأنشد:

لاقَـت عـلـى الـمـاءِ جُـذَيْـلاً وَاتِـدا ولـم يـكـن يُـخْـلِـفُـهـا الـمَـوَاعِـدَا[٤]

وقالوا: وَدٌّ، فأدغموا[٥]، قال الشاعر:

تُـخْـرِجُ الـوَدَّ إذا مـا أَشْـجَـذَتْ وتُـوارِيْـهِ إذا مـا تَـشْـتَـكِـرْ[٦]

وقالوا فيه: وَتّ، فأدغموا بإبدال الدَّالِ تاءً، وفيه قَلْبُ الثاني للأوَّل، وهو قليلٌ.

* * *

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٧، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧، والصحاح (نوص)، وصدر البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٧٧، وعجزه:

فـتـقـصـر عـنـهـا خـطـوة أو تـبـوص

(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٩، والبيت في العين ٧/ ١٦٠، واللسان (نوص)، ومعنى: غمر الجراء: كثير الجري، والمِسْحَل: الحمار الوحشي. لسان العرب (سحل).

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٧، وكلام الجوهري في الصحاح (نوص)، وكلام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٣/ ٤٥٠.

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣٩، والكلام من الصحاح (وتد)، والرجز في جمهرة اللغة والمحكم (جذل)، وأساس البلاغة ولسان العرب (وتد) ونُسبَ لأبي محمد عبد الله بن ربعي الفقعسي، والشطر الأول منه في تهذيب اللغة ١٤/ ١٤٨ (وتد)، والجُذَيل: المنتصب الذي لا يبرح مكانه، مشبَّه بالجِذْل، وهو أصل الشجرة. جمهرة اللغة (جذل).

(٥) ينظر كتاب سيبويه ٤/ ٤٨٢، والأصول في النحو لابن السراج ٣/ ٤٣٢، وهي لغة بني تميم.

(٦) القائل امرؤ القيس، والبيت في ديوانه ص ١٤٤، ومعنى أشجذت: أقلعت وسكنت، وقوله: تشتكر: أي: تحتفل ويكثر مطرها، يعني أن وَتِد الخِباء يبدو عند سكون هذه الديمة ـ المطر الدائم ـ ويَخْفَى ويستتر عند احتفال مطرها وكثرته.

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم
مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ
كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟
وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا
ٱخْتِلَـٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨ أَمْ
عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟
فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ
وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا
كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾.

التفسير

هذه السُّورة مكِّيَّة، ومناسبتها لآخِرِ ما قَبْلَها أنَّه لمَّا ذَكَر عن الكفَّار أنَّهم كانوا يقولون: «لو أنَّ عندنا ذكراً مِن الأوَّلين» لأخلصوا العبادةَ لله، وأخبر أنَّهم أتاهم الذِّكْرُ فكفروا به = بَدَأَ في هذه السُّورة بالقَسَم بالقُرآن ذي الذِّكْر الذي جاءَهم وأخبر عنهم أنَّهم كافرون به، وأنَّهم في تعزُّز ومشاقَّة للرسول الذي جاءَ به، ثمَّ ذَكَر مَن أهلكَ مِن القُرون التي شاقَّت الرُّسُل؛ ليتَّعظوا.

وروي أنَّه لَمَا مرضَ أبو طالب جاءَت قريش ورسول الله ﷺ، وعند رأسِ أبي طالب مجلسُ رجلٍ، فقام أبو جهل كي يَمنعه، وشَكَوه إلى أبي طالب، فقال: يا ابنَ أخي ما تريد مِن قومِك؟ فقال: «يا عَمّ إنَّما أُريد منهم كلمةً تذلُّ لهم بها العربُ، وتُؤَدِّي إليهم الجزيةَ بها العَجَمُ» قال: وما الكلمة؟ قال: «كلمةٌ واحدةٌ»، قال: وما هي؟ قال: «لا إلهَ إلَّا اللهُ». قال: فقاموا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾؟! قال: فنزَلَ فيهم القرآنُ: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ حتى بلغ ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ﴾[1].

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٣، وأسباب النزول للواحدي ص ٣٨٦ من حديث ابن عباس، وأخرجه عنه الترمذي (٣٢٣٢)، وقال عنه: حديث حسن. وهو عند أحمد (٢٠٠٨)، والطبري ٢٣/ ١٩، وفي إسناده: يحيى بن عمارة ـ أو: ابن عباد، أو: عباد ـ مجهول، تفرَّد بالرواية عنه الأعمش. ميزان الاعتدال الترجمة (٩٠٦٣).

قرأ الجمهور: صَاذْ، بسكونِ الدَّال، وقرأ أُبَيّ والحسن وابنُ أبي إسحاق وأبو السَّمَّال وابنُ أبي عبلة ونَصْر بنُ عاصم: صَادِ، بكَسْر الدَّالِ[(١)]، والظاهر أنَّه كَسْرٌ لالتقاءِ الساكِنَيْن، وهو حرفٌ مِن حروف المعجم: نحو: ﴿قٓ﴾ [ق:١] و﴿نٓ﴾ [القلم:١].

وقال الحسن: هو أَمْرٌ مِن صادَى، أي: عارَضَ، ومنه: الصَّدَى، وهو ما يُعارِض الصوتَ في الأماكن الصُّلْبة الخالية مِن الأجسام، أي: عارِض بعَمَلِك القرآنَ، وعنه أيضاً: صادَيْتُ: حادَثْتُ، أي: حادِث[(٢)]، وهو قريبٌ مِن القول الأوَّل.

وقرأ عيسى ومحبوب عن أبي عَمرو وفرقة: «صادَ» بفتح الدَّالِ، وكذا قرأ: «قافَ» و«نونَ»، بفتح الفاء والنون؛ فقيل: الفَتْح لالتقاء الساكنين؛ طلباً للتخفيف، وقيل: انتصبَ على أنَّه مُقسَمٌ به، حُذفَ منه حرفُ القَسَم نحو قوله: اللهِ لأَفْعَلَنَّ[(٣)].

وهو اسمٌ للسورة، وامتَنَع مِن الصَّرْف؛ للعَلَميَّة والتأنيث، وقد صَرَفها مَن قرأ: «صادٍ» بالجرِّ والتنوين، على تأويلِ الكتاب والتنزيل، وهو ابنُ أبي إسحاق في روايةٍ[(٤)].

وقرأ الحسن أيضاً: «صادُ» بضمِّ الدَّالِ، فإن كان اسماً للسورة، فخبرُ مبتدأ محذوف، أي: هذه صادُ، وهي قراءةُ ابنِ السَّمَيْفَع وهارون الأعور، وقَرَآ: «قافُ»، و«نونُ» بضمِّ الفاءِ والنونِ[(٥)].

وقيل: هو حرفٌ دالٌّ على معنًى مِن فِعْلٍ أو مِن اسمٍ؛ فقال الضحاك: معناه: صَدَقَ اللهُ، وقال محمد بنُ كعب: مفتاحُ أَسماءِ اللهِ: صَمَدٌ، صَادِقُ الوَعْدِ، صَانِعُ

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وزاد المسير ٧/ ٩٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢١، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢١، وقول الحسن عند الطبري ٢٠/ ٥.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢١-١٢٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥١.

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٢، والقراءات الشاذة ص ١٢٩ و١٤٤.

المصنوعات، وقيل: معناه: صَدَقَ محمَّد[1].

قال ابنُ عباس وابنُ جبير والسُّدِّيُّ: «ذي الذِّكر»: ذي الشَّرَف الباقي المُخلَّد، وقال قتادة والضحاك: ذي التذكرة للناسِ والهدايةِ لهم، وقيل: «ذي الذِّكْر» للأُمَم والقصص والغُيوب والشرائع[2].

وجوابُ القَسَم قيل: مذكورٌ، فقال الكوفيون والزَّجَّاج: هو قوله: «إنَّ ذلك لحقٌّ تخاصُمُ أهلِ النَّار» [الآية:٦٤]، وقال الفَرَّاء: لا نَجده مستقيماً في العربيَّة؛ لتأخُّره جدًّا عن قوله: «والقرآنِ».

وقال الأخفش: هو «إنْ كلٌّ إلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» [الآية:١٤]، وقال قوم: «كم أهلكنا» [الآية:٣] وحذفت اللام ـ أي: لَكَمْ ـ لمَّا طَالَ الكلامُ، كما حُذفت في ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾ [الآية:١] ثم قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ [الآية:٩] حكاه الفَرَّاء وثَعْلَبُ[3]، وهذه الأقوالُ يَجب اطِّراحُها.

وقيل: هو صاد، إذ معناه: صَدَقَ محمَّدٌ، أو صَدَقَ اللهُ، وكون: صاد، جوابَ القَسَم، قاله الفرَّاء وثَعلب[4]، وهذا مبنيٌّ على تقدُّم جوابِ القَسَم واعتقادِ أنَّ الصادَ تدلُّ على ما ذَكَروه.

وقيل: الجواب محذوفٌ، فقدَّره الحَوفيُّ: لقد جاءَكم الحَقُّ، ونحوه، والزمخشريُّ: إنَّه لَمُعْجِز[5]، وابنُ عطيَّة: ما الأَمْرُ كما يزعمون، ونحو هذا مِن التقدير، ونَقَلَ أنَّ قتادة والطبريَّ قالا: هو محذوف قَبْلَ «بل»، قال: وهو الصحيح[6]، وقدَّره ما ذكرنا عنه، وينبغي أَنْ يُقدّر هنا ما أثبت جواباً للقرآن حينَ

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٥، والنكت والعيون ٥/ ٧٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢٢-١٢٣، وقول الضحاك عند الطبري ٢٠/ ٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٨-٩.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٥، والقرطبي ١٨/ ١٢٤-١٢٥، وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣١٩، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧، وللأخفش ٢/ ٦٧٠، والوقف والابتدا للأنباري ٢/ ٨٦٠-٨٦١.

(٤) زاد المسير ٧/ ٩٨، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٩٦-٣٩٧.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٩.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢.

أقسَمَ به، وذلك في قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣] فيكون التقدير: هنا: صٓ والقرآن ذي الذكر، إنك لمن المرسلين، ويُقوِّي هذا التقديرَ ذِكْرُ النِّذارة هنا في قوله: «وعَجبوا أنْ جاءَهم منذرٌ منهم»، وقال هناك: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ [يس: ٦] فالرسالة تتضمَّن النِّذارة والبِشارة، و«بل» للانتقال مِن هذا القَسَم والمُقْسَم عليه إلى حال تعزّز الكفَّار ومشاقّتهم في قَبول رسالتِك، وامتثالِ ما جئتَ به، واعتراف بالحقّ.

وقرأ حمَّاد بنُ الزِّبْرِقان، وسَورة عن الكسائيِّ، وميمونة عن أبي جعفر، والجَحْدَريّ مِن طريق العقيلي: «في غِرَّة» بالغين المعجمة والراء[١]، أي: في غَفْلَة ومشاقَّة.

«قَبْلهم» أي: مِن قَبْل هؤلاء ذَوي المَنَعة الشديدة والشِّقاق، وهذا وعيدٌ لهم.

«فَنَادَوا» أي: استَغَاثوا ونَادَوا بالتوبة، قاله الحسن[٢]، أو: رَفَعوا أصواتهم، يقال: فلانٌ أَنْدَى صوتاً، أي: أَرْفَعُ، وذلك بعد معاينةِ العذاب، فلم يَكُ وقت نَفْعٍ.

وقرأ الجمهور: «وَلَاتَ حِيْنَ» بفتح التاء ونَصْب النون، فعلى قولِ سيبويه[٣] عَمِلَت عمل «ليس» واسمها محذوف، تقديره: ولاتَ الحينُ حينَ فوتٍ ولا فرارٍ، وعلى قول الأخفش يكون «حين» اسمَ «لات» عَمِلَت عَمَل «إنَّ» نَصبت الاسم، ورَفَعت الخبر، والخبر محذوف، تقديره: [٤]«ولاتَ حينَ مناصٍ» أي: لهم، أي: كائن لهم، وعنه قولٌ آخَر أنَّ «حين» منصوب بفعل محذوف، تقديره[٤]: «ولات» أرى «حينَ مَنَاص»[٥].

---

(١) ينظر الكشاف ٣/ ٣٥٩، وزاد المسير ٧/ ٩٩، والقراءة في القراءات الشاذَّة ص ٥٥ و١٢٩، وسلف الكلام عن حماد عند تفسير الآية (١١٤) من سورة التوبة، وعن تصحيفه للقراءة، فلتنظر ثمَّة.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٩.

(٣) ينظر الكتاب ١/ ٥٨-٦٠.

(٤-٤) زيادة من (د٣) و(يه).

(٥) ينظر الكشاف ٣/ ٣٥٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥١ وما بعدها.

وقرأ أبو السَّمَّال: «ولاتُ حينُ» بضمِّ التاء ورَفْعِ النون[١]، فعلى قولِ سيبويه «حين» مسمَّاه اسم «لات»، والخبر محذوف، وعلى قولِ الأخفش مبتدأ، والخبر محذوف.

وقرأ عيسى بنُ عمر: «ولاتِ حينِ» بكسر التاء، وجَرِّ النون[٢] بعد «لات»، وتَخريجه مُشكِلٌ، وقد تمحَّل الزمخشريُّ في تخريج الجَرِّ في قوله:

طَلَبوا صُلْحَنا وَلاتَ أَوَانٍ فأَجَبْنا أَنْ لات حينَ بقاءِ[٣]

قال: شُبّه: أوان بـ «إذٍ» في قوله:

.... وأنتَ إذٍ صحيحُ[٤]

في أنَّه زمانٌ قُطعَ منه المضافُ إليه وعُوِّض التنوين لأنَّ الأصلَ: ولاتَ أوانَ صُلْحٍ.

فإن قلت: فما تقول في «حينَ مناص»، والمضاف إليه قائم؟

قلت: نُزِّلَ قَطْعُ المضاف إليه من «مناص» ـ لأنَّ أصله: حينَ مناصِهم ـ منزلةَ قَطْعِهِ مِن «حين» لاتحاد المضاف والمضاف إليه، وجُعل تنوينه عِوَضاً مِن الضمير المحذوف، ثم بُنِيَ الحين؛ لكونه مضافاً إلى غير متمكّن. انتهى هذا التمحُّل.

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٢٩.

(٢) ينظر الكشاف ٣/ ٣٥٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٣١، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٢٩.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٥٩، وعزا البيت فيه لأبي زبيد حرملة بن المنذر الطائي، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٨، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٢، ومحاضرات الأدباء ٣/ ٣٤٩، وخزانة الأدب ٤/ ١٦٩.

(٤) وتمامه:

نهيتُكَ عن طِلابِكَ أمَّ عمرٍو بعاقبةٍ وأنتَ إذٍ صحيحُ

والبيت لأبي ذؤيب، وهو في ديوان الهذليين ١/ ٦٨، والخصائص لابن جنّي ٢/ ٣٧٦، وخزانة الأدب ٦/ ٥٣٩، والشاعر يخاطب قلبَه بأنَّه نَصَحه أن ينثني عن حبِّ هذه المرأة وألَّا يتورَّط فيه فيصعب الخلوص من مشاقِّه، وقد كان ذلك في الوقت الذي يسهل عليه فيه الخروج منه.

والذي ظَهَرَ لي في تخريج هذه القراءة الشاذَّة والبيتِ النادرِ في جَرِّ ما بَعْدَ «لات»: أنَّ الجَرَّ هو على إضمار «مِن» كأنَّه قال: لات مِن حينِ مناصٍ، ولات مِن أوانِ صُلْح، كما جَرُّوا بها في قولهم: على كم جِذْعِ بيتك، أي: مِن جِذْعٍ، في أصحِّ القولين، وكما قالوا: ألَا رَجُلٍ جَزَاهُ اللهُ خيراً، يريدون: ألَا مِن رَجُلٍ، ويكون موضع: مِن حين مناص، رَفْعاً على أنَّه اسمُ «لات» بمعنى «ليس»، كما تقول: ليسَ مِن رَجُلٍ قائماً، والخبرُ محذوف، وهذا على قول سيبويه، أو على أنَّه مبتدأٌ والخبر محذوف، على قول الأخفش.

وقال بعضهم: ومِن العرب مَن يَخفض بـ «لات»، وأنشد الفرَّاء:

وَلَـتَـنْـدَمَـنَّ وَلاتَ سـاعـةِ مَـنْـدَمِ[1]

وخرَّج الأخفش: ولاتَ أوانٍ، على إضمار: «حين»، أي: ولاتَ حينَ أوانٍ، حذفَ «حين» وأبقى: أوان، على جَرِّه. وقال أبو إسحاق: ولات أوانِنا، فحذفَ المضاف إليه، فوَجَب أنْ لا يُعرَب، وكَسره لالتقاء الساكنَيْن[2].

وهذا هو الوجه الذي قرَّره الزمخشريُّ أَخَذَهُ مِن أبي إسحاق الزجَّاج، وأَنْشَده المُبرِّد: ولات أَوَانٌ، بالرفع[3].

وعن عيسى: «ولات حينُ» بالرفع «مناصَ» بالفتح[4]، قال صاحب «اللوامح»: فإنْ صحَّ ذلك فلعلَّه بَنَى «حين» على الضَّمِّ، فيكون في الكلام تقديم وتأخير، وأَجراه مُجرى «قَبْل» و«بَعْد» في الغاية، وبَنَى «مناص» على الفتح مع «لات»، على

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٨، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٩٧، وورد فيه طرف البيت هكذا: ولات ساعةِ مندم. ثم قال بعده: ولا أحفظ صدره. والبيت بتمامه في تفسير القرطبي، وخزانة الأدب ٤/ ١٧٤، وصدره:

فَـلَـتـعـرِفـنَّ خـلائـقـاً مـشـمـولـةً

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣١، وكلام الأخفش في كتابه معاني القرآن ٢/ ٦٧٠، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٤، وكلام أبي إسحاق الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٢٠-٣٢١.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣١، وينظر أيضاً معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٠.

(٤) أورد القراءةَ ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢ هكذا: وقرأ بعض الناس: «لات حينُ» برفع النون من «حين» على إضمار الخبر.

تقدير: لات مناص حين، لكن «لا» إنَّما تعمل في النكرات في اتِّصالها بهنَّ دونَ أَنْ يَفصل بينهما ظرفٌ أو غيره، وقد يَجوز أن يَكون لذلك معنًى لا أعرفه. انتهى.

وقرأ عيسى أيضاً: «ولاتِ» بكسر التاء، و«حينَ» بنصبِ النون[1]، وتقدَّم تخريجُ نصبِ «حين».

و«لات» رُوي فيها فتحُ التاء وضمُّها وكَسْرُها، والوقفُ عليها بالتاء قولُ سيبويه والفرَّاء وابنِ كيسَان والزَّجَّاج، ووَقَفَ الكسائيُّ والمُبرِّد بالهاء، وقومٌ على «لا»، وزَعَموا أنَّ التاءَ زِيدت في «حين»، واختاره أبو عبيد، وذَكَر أنَّه رآه في الإمام[2] مخلوطاً تاؤه بـ «حين»[3]، وكيف يَصنَعُ بقوله: ولاتَ ساعةِ مَنْدَم، ولاتَ أوانٍ[4].

وقال الكلبيُّ: كانوا إذا قاتلوا فاضْطُرُّوا، قال بعضُهم لبعض: مَنَاص، أي: عليكم بالفِرار، فلمَّا أَتَاهم العذابُ قالوا: مناص، فقال اللهُ: «ولاتَ حينَ مناص»[5].

قال القشيريُّ: فعلى هذا يكون التقدير: فنَادوا مناص، فحذفَ؛ لدلالة ما بَعْدَه عليه، أي: ليس الوقتُ وقتَ ندائكم به، وفيه نوع تهكُّم، إذ كلُّ مَن هَلَك مِن القرون يقول: مناص، عند الاضطرار[6]. انتهى.

وقال الجرجانيُّ: أي: فنَادَوا حين لا مَنَاص، أي: ساعةَ لا مَنْجا ولا فوت، فلمَّا قدَّم «لا» وأخَّر «حين» اقتضى ذلك الواو، كما يقتضي الحال إذا جعل ابتداءً

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٣، والكشاف ٣/ ٣٥٩، وزاد المسير ٧/ ١٠٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢٨-١٢٩.

(٢) يعني: مصحف عثمان.

(٣) يعني: «ولا تحين»، تنظر المصادر الآنفة الذكر، وينظر أيضاً كتاب سيبويه ١/ ٥٧-٥٨، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٨، وللزجاج ٤/ ٣٢٠، وتفسير الطبري ٢٠/ ١٥-١٧، وكلام أبي عبيد في كتابه «القراءات» كما ذكر ذلك القرطبي ١٨/ ١٢٧.

(٤) تقدم تخريج البيتين قريباً.

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٦، وما بعده منه أيضاً، وينظر تفسير السمرقندي ٣/ ١٢٩، والنكت والعيون ٥/ ٧٨.

(٦) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٦.

وخبراً، مِثْل: جاءَ زيدٌ راكباً، ثـم تقول: جاء زيدٌ وهو راكبٌ، فـ «حين» ظرفٌ لقوله: «فنَادَوا»[١]. انتهى.

وكون أصلِ هذه الجملة: فنادوا حينَ لا مَنَاص، وأنَّ «حين» ظرفٌ لقوله: «فنادوا» = دعوى أعجميَّةٌ مخالفةٌ لنَظْم القرآنِ، والمعنى على نَظْمه في غاية الوضوح، والجملة في موضع الحال، أي: فنَادوا وهم لات حينَ مناص، أي: لهم.

ولمَّا أَخبر تعالى عن الكفَّار أنَّهم في «عِزَّة وشِقاق» أَردفه بما صَدَرَ عنهم مِن كلماتهم الفاسدة مِن نسبتهم إليه السِّحْرَ والكذبَ، ووضع الظاهر موضعَ المضمر في قوله: «قال الكافرون» أي: وقالوا تنبيهاً على الصفة التي أَوجبت لهم العَجَب حين نَسَبوا مَن جاء بالهدى والتوحيد إلى السِّحْر والكذب: «أَجَعل الآلهةَ إلهاً واحداً»، قالوا: كيف يكون إلهٌ واحد يَرزقُ الجميعَ ويَنظر في كلِّ أمورهم، و«جعل» بمعنى «صيَّر» في القول والدَّعوى والزَّعْم، وذِكْر عَجَبهم ممَّا لا يعجب منه، والضمير في «وعجبوا» لهم، أي: استغربوا مَجِيءَ رسولٍ مِن أنفسِهم.

وقرأ الجمهور: «عُجَاب» وهو بناءُ مبالغة، كرَجُلٍ طُوال وسُراع، في: طَويل وسَريع، وقرأ عليٌّ والسُّلَميُّ وعيسى وابنُ مقسم بشدِّ الجيم[٢]، وقالوا: رجل كُرَّام، وطعامٌ طُيَّاب، وهو أبلغ مِن فُعَال المخفَّف، وقال مقاتل: «عُجَّاب» لغةُ أزدِ شَنُوءَة[٣].

والذين قالوا: «أَجَعَل الآلهةَ إلهاً واحداً» قال ابنُ عباس: صناديدُ قريش، وهم ستَّةٌ وعشرون.

«وانْطَلَقَ المَلأُ منهم» الظاهر انطلاقُهم عن مجلسِ أبي طالب حين اجْتَمعوا هم والرَّسول عندَه وشَكَوه، على ما تقدَّم في سبب النزول، ويكون ثَمَّ محذوف، تقديرهُ يَتَحاورون «أَنِ امشوا»، وتكون «أَنْ» مفسِّرة لذلك المحذوف، و«امشوا» أَمْرٌ بالمشي وهو نَقْلُ الأقدام عن ذلك المجلس.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أي: «عُجَّابٌ»، المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٨، والقرطبي ١٨/ ١٣٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣٣.

وقال الزمخشريُّ: و«أَنْ» بمعنى «أي» لأنَّ المنطلقين عن مجلس التقاول لابُدَّ لهم مِن أَنْ يتكلَّموا ويَتفاوضوا فيما جَرَى لهم، فكان انطلاقهم مضمَّناً معنى القولِ[١].

والأَمْرُ بالمشي لا يُراد به نَقْلُ الخُطا، إنَّما معناه أنَّ بعضَهم أَمَرَ بعضاً، وقيل: أَمَرَ الأشرافُ أَتْبَاعَهم وعَوَامَّهم.

ويجوز أن تكون «أَنْ» مصدريَّة، أي: وانْطَلَقوا بقولهم: «امْشُوا»، وقيل: الانطلاق هنا الاندفاعُ في القول والكلام، و«أَنْ» مُفسِّرة على هذا، والأَمْرُ بالمشي لا يُراد به نَقْلُ الخُطَا، إنَّما معناه: سِيْرُوا على طريقتكم ودُوموا على سيرتكم، وقيل: «امشوا» دعاءٌ بكَسْب الماشية، قيل: وهو ضعيفٌ؛ لأنَّه كان يَلزم أَنْ تكون الأَلِفُ مقطوعةً؛ لأنَّه إنَّما يُقال: أَمْشَى الرَّجُلُ، إذا صار صاحبَ ماشية، وأيضاً فهذا المعنى غيرُ متمكّن في الآية[٢].

وقال الزمخشريُّ: ويَجوز أنَّهم قالوا: «امْشُوا» أي: اكْثُرُوا واجْتَمِعُوا، مِن: مَشَتِ المرأةُ: إذا كَثُرت وِلَادَتُها، ومنه: الماشية للتفاؤل[٣]. انتهى.

وأَمَرُوا بالصَّبر على الآلهة، أي: على عبادتِها والتمسُّك بها، والإشارة بقوله: «إنَّ هذا» أي: ظهورَ محمَّدٍ ﷺ وعُلوَّه بالنبوَّة «لشيءٌ يُراد» أي: يُراد منَّا الانقياد إليه، أو يُريده اللهُ ويَحكُم بإمضائه، فليس فيه إلَّا الصبر، أو «إنَّ هذا» الأَمْرَ «لشيءٌ» مِن نوائب الدَّهْر «يُراد» مِنَّا، فلا انفكاكَ عنه، أو إنَّ دينَكم «لشيءٌ يُراد» أي: يُطلَب ليُؤخَذ منكم وتُغلَبوا عليه، احتمالات أربعة.

وقال القَفَّال: هذه كلمة تُذكَر للتهديد والتخويفِ، المعنى أنَّه ليس غَرَضُه مِن هذا القولِ تقريرَ الدِّين، وإنَّما غَرَضه أَنْ يَسْتَولي علينا فيَحكم في أموالِنا وأولادِنا بما يُريد[٤].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٦٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٣-٤٩٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٠.
(٤) تفسير الرازي ٢٦/ ١٧٨.

«ما سمعنا بهذا في المِلَّة الآخِرَة» قال ابنُ عبَّاس ومجاهد ومحمد بنُ كعب ومقاتل: مِلَّة النصارى؛ لأنَّ فيها التثليثَ ولا تُوَحِّد. وقال مجاهد وقتادة: مِلَّة العرب؛ قريش ونِحْلتها[1].

وقال الفرَّاء والزجَّاج: مِلَّة اليهود والنصرانيَّة[2]؛ أشركت اليهودُ بعُزَير، وثَلَّثت النصارى.

وقيل: «في المِلَّة الآخِرَة» التي كنَّا نَسمع أنَّها تكون في آخِرِ الزمان، وذلك أنَّه قَبْلَ المَبعث كان الناس يَستشعرون خروجَ نبيٍّ وحدوثَ مِلَّةٍ ودِيْنٍ، ويدلُّ على صحَّة هذا ما رُوِيَ مِن أقوالِ الأحْبار أُولي الصَّوَامِع، وما رُوِيَ عن الكُهَّان؛ شق وسطيح وغيرِهما وما كانت بنو إسرائيل تَعتقد مِن أنَّه يكون منهم[3].

وقيل: «في المِلَّة» في موضع الحال من «هذا»، أي: «ما سمعنا بهذا» كائناً «في الملَّة الآخِرَة» أي: لم نَسمع مِن أهلِ الكتاب ولا الكُهَّان أنَّه يَحدُث في الملَّة الآخِرَة توحيدُ اللهِ، «إن هذا إلَّا اختِلاق» أي: افتِعال وكَذِب[4]، «أأُنزِل عليه الذِّكْرُ مِن بيننا» أنكروا أنْ يَختصَّ بالشَّرَف مِن بينِ أَشرافهم ويَنزل عليه الكتاب مِن بينهم، وهذا الإنكار هو ناشئٌ عن حَسَد عظيم انْطَوت عليه صدورُهم، فنَطَقت به ألسنتُهم.

«بل هم في شكٍّ مِن ذِكْري» أي: مِن القرآن الذي أنزلته على رسولي، يَرتابون فيه، والإخبار بأنَّهم «في شَكٍّ» يقتضي كَذبَهم في قولهم: «إنْ هذا إلَّا اختلاق». «بل لمَّا يذوقوا عذاب» أي: بَعْدُ، فإذا ذَاقُوه عَرفوا أنَّ ما جاءَ به حقٌّ وزَالَ عنهم الشَّكُّ.

«أم عندَهم خزائنُ رحمةِ ربِّك» أي: ليسوا مُتَصرِّفين في خزائنِ الرحمة؛ فيُعطونَ ما شاؤوا لمن شاؤوا، ويَمنعون مَن شاؤوا ما شاؤوا، ويَصْطَفون للرسالة

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٨، والبغوي ٤/ ٤٩، والنكت والعيون ٥/ ٧٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٣٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٢٢-٢٣.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٩، وللزجاج ٤/ ٣٢٢.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٤.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٦١.

مَن أَرادوا، وإنَّما يَملكها ويَتصرَّف فيها «العزيز» الذي لا يُغالب «الوهَّاب» مَا شاءَ لِمَن شاءَ.

لمَّا استفهم استفهامَ إنكارٍ في قوله: «أم عندَهم خزائنُ رحمةِ ربِّك» وكان ذلك دليلاً على انتفاءِ تصرُّفهم في خزائنِ رحمةِ الله، أتَى الإنكارُ والتوبيخ بانتفاءِ ما هو أعمُّ، فقال: «أَمْ لهم ملكُ السماوات والأرض» أي: ليس لهم شيءٌ مِن ذلك.

«فليرتقوا» أي: أَلَهم شيءٌ مِن ذلك فليَصعدوا في الأسباب المُوصِلَة إلى السماء والمعارج التي يتوصَّل بها إلى تدبيرِ العالَم فيَضعون الرسالةَ فيمَن اختارُوا، ثمَّ صَغَّرهم وحقَّرهم فأَخبر بما يَؤُول إليه أَمْرُهم مِن الهزيمة والخَيْبَة.

قيل: و«ما» زائدة، ويجوز أنْ تكون صفةً أُريدَ به التعظيمُ على سبيل الهُزْءِ بهم أو التحقير؛ لأنَّ «ما» الصفة تستعمل على هذَيْن المعنيَيْن، و«هنالك» ظرفُ مكان يُشَار به للبعيد، والظاهر أنَّه يُشَار به للمكان الذي تَفَاوضوا فيه مع رسولِ الله ﷺ بتلك الكلمات السابقة، وهو مكَّة، فيكون ذلك إخباراً بالغيب عن هَزيمتهم بمكَّة يومَ الفتح، فالمعنى أنَّهم يَصيرون مهزومين بمكَّة يومَ الفتح.

وقيل: «هنالك» إشارةٌ إلى الارْتِقاء في الأسباب، أي: هؤلاء القوم إن رَامُوا ذلكَ جندٌ مهزوم، وقيل: أُشيرَ بـ«هنالك» إلى جملة الأصنام وعَضْدِها[1]، أي: هم جندٌ مهزوم في هذه السبيل.

وقال مجاهد وقتادة: الإشارة إلى يوم بَدْرٍ، وكان غَيبًا أَعْلَمَ اللهُ به على لسانِ رسوله، وقيل: الإشارة إلى حَصْرِ عامِ الخندق بالمدينة[2].

وقال الزمخشريُّ: و«هنالك» إشارةٌ إلى حيث وَضَعوا فيه أنفسَهم مِن الانتداب لِمثْل ذلك القولِ العظيم، مِن قولهم لِمَن يُندَب لأَمْرٍ ليس مِن أهله: لستَ هنالك[3]. انتهى.

---

(١) العَضْدُ: الناصِر والمُعِين، وهم عَضْدِي وأعضادِي. القاموس (عضد).

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٥، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٩، والقرطبي ١٨/ ١٣٧، وخبر مجاهد وقتادة عند الطبريّ ٢٠/ ٢٩.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٢.

و«هنالك» يحتمل أنْ يكون في موضع الصفة لـ «جُند» أي: كائنٌ هنالك، ويحتمل أنْ يكون متعلِّقاً بـ «مهزوم»، و«جند» خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هم «جندٌ»، و«مهزومٌ» خبره.

وقال أبو البقاء: «جُنْدٌ» مبتدأ، و«ما» زائدة، و«هنالك» نعت، و«مهزوم» الخبر[١]. انتهى. وفيه بُعْدٌ؛ لِتَفَلُّتِه عن الكلام الذي قَبْلَه.

ومعنى: «مِن الأحزاب» مِن جملة الأحزاب الذين تعصَّبوا في الباطل وكَذَّبوا الرُّسُلَ.

ولمَّا ذَكَر تعالى أنَّه أهلكَ قَبْلَ قريش قروناً كثيرةً لمَّا كذَّبوا رُسُلَهم، سَرَدَ منهم هنا مَن لهم تعلُّق بعرفانه، و«ذُو الأَوتاد» أي: صاحبُ الأوتاد، وأصله مِن ثَبَات البيتِ المُطَنَّب بأوتادِه[٢]، قال الأَفْوَه الأَوْدِي:

والبيتُ لا يُبْتَنى إلَّا على عَمَدٍ ... ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ[٣]

فاستعيرَ لثبات العزِّ والملكِ واستقامَةِ الأَمْرِ، كما قال الأسود:

في ظلِّ مَلْكٍ ثابتِ الأوتادِ

قاله الزمخشريُّ وأَخَذَه مِن كلامِ غيره[٤].

وقال ابنُ عباس وقتادة وعطاء: كانت له أَوتاد وخُشُب يُلعَب له بها وعليها. وقال السُّدِّيُّ: كان يَقتُل الناسَ بالأوتاد ويَسْمُرهم في الأرض بها. وقال الضحاك: أَراد المبانيَ العظيمة الثابتة، وقيل: عبارة عن كَثْرَة أَخْبِيته وعِظَمِ عساكره[٥].

---

(١) الإملاء ٢/ ٢٠٩.

(٢) الطُّنُب: حبلٌ طويل يُشَدُّ به سُرادق البيت، أو الوتدُ. القاموس (طنب).

(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٢، والبيت في العِقْد لابن عبد ربِّه ١/ ٩، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ص٥١، وأمالي القالي ٢/ ٢٢٤، والحماسة البصرية ٢/ ٦٩، والأفوه: صلاءة بن عمرو.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٦٢، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٩، وصدر البيت:

ولقد غَنَوْا فيها بأَنْعَمِ عِيْشَةٍ

وهو في غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٧، والمفضليات ص ٢١٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٥، وأَثَر ابنِ عباس وقتادة والسدي والضحاك عند الطبري ٢٠/ ٣٠.

وقيل: كان يشْبَح المعذَّب بين أربعِ سوارٍ، كلُّ طَرَف مِن أطرافه إلى ساريةٍ مَضْرُوب فيها وَتِد مِن حديد ويَتركه حتى يموتَ. ورُويَ معناه عن الحسن ومجاهد[١].

وقيل: كان يمدُّه بينَ أربعةِ أوتاد في الأرض، ويُرسِل عليه العقارِبَ والحيَّات، وقيل: يَشدُّهم بأربعةِ أوتاد، ثم يَرفَعُ صخرةً فتُلقى عليه فَتَشدَخه، وقاله ابنُ مسعود وابنُ عبَّاس في رواية عطيَّة[٢].

«الأوتاد»: الجنود يَشُدُّون ملْكَه، كما يُقوّي الوَتِدُ الشَّيءَ، وقيل: بَنَى مَناراً يَذبَح عليه الناس، قاله ابنُ جبير[٣].

«أولئك الأحزاب» أي: الذين تحزَّبوا على أنبيائهم كما تحزَّبت قريش على رسول الله ﷺ، والظاهر أنَّ الإشارةَ بـ «أولئك» إلى أَقْرَب مذكور، وهم «قوم نوح»، ومَن عُطفَ عليهم، وفيه تفخيمٌ لشَأْنهم وإعلاءٌ لهم على مَن تحزَّب على رسول الله ﷺ، أي: هؤلاء العظماء لمَّا كَذَّبوا عُوقبوا فكذلك أنتم.

«إنْ كُلٌّ إلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فحقَّ عِقَابِ» فوجب عِقَابهم، كذَّبت قومُ نوح نوحاً فأُغرقوا، وقومُ هود فأُهلكوا بالرِّيح، وفرعونُ فأُغرق، وثمودُ بالصَّيْحة، وقومُ لوطٍ بالخَسْف، والأيْكَة بعذاب الظُّلَّة، ومعنى «إنْ كُلٌّ» ما كلٌّ مِن قومِ نوح فمَن بَعْدَه «فحقَّ عقاب» أي: وجب عقابُهم، فكذلك يحِقُّ عليكم أيُّها المكذبون بالرُّسُل.

وقال الزمخشريُّ: «أولئك الأحزاب» قَصَدَ بهذه الإشارةِ الإعلامَ بأَنَّ الأحزابَ الذين جعلَ الجند المهزوم هم هم، وأنَّهم الذين وُجدَ منهم التكذيب، ولقد ذَكَر تكذيبَهم أوَّلاً في الجملة الخبريَّة على وَجْه الإبهام، ثمَّ جاء بالجملة الاستثنائيَّة فأَوضحه فيها، بأنَّ كلَّ واحدٍ مِن الأحزاب كذَّب كلَّ الرسل؛ لأنَّهم إذا كذَّبوا واحداً منهم فقد كذَّبوهم جميعاً، وفي تكريرِ التكذيب وإيضاحِه بَعْدَ إبهامِه والتنويعِ في تكريره بالجملة الخبريَّة أوَّلاً، وبالاستثنائية ثانياً، وما في الاستثنائيَّة مِن الوَضْع

(١) الكشاف ٣/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٣٨-١٣٩، وينظر زاد المسير ٧/ ١٠٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٩-٢٥٠، وزاد المسير ٧/ ١٠٥-١٠٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٣٨-١٣٩.
(٣) زاد المسير ٧/ ١٠٦ دون عزوٍ.

على وَجْه التوكيد والتخصيص = أنواعٌ مِن المبالغة المُسَجَّلة عليهم باستحقاقِ أَشَدِّ العذاب وأبلغه، ثم قال: «فحقَّ عقابِ» أي: فوجبَ لذلك أنْ أُعاقبَهم حقَّ عقابهم[1]. انتهى.

❁ ❁ ❁

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ
ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ
مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ
ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ
دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا
وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ
رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا
جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا
بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ
ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ
عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ
بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ
كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾
وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ
وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٦٢-٣٦٣.

الفُواق بضمِّ الفاء وفتحِها: الزمانُ الذي ما بينَ حَلْبَتَي الحالب ورَضْعَتي الرَّاضع، وفي الحديث: «العيادةُ قَدْرَ فواق الناقة»[1]. المفردات

وأَفَاقَتِ الناقةُ إفاقةً: اجْتَمعت الفِيْقَة في ضَرْعها، فهي مُفِيْقٌ ومُفِيْقَةٌ، عن أبي عمرو، والفِيْقَة: اللَّبَن الذي يَجتمع بين الحَلْبَتين، ويُجمَع على: أفواق، وأفاويق جَمْع الجَمْع.

وقال أبو عبيدة والفرَّاء ومُؤَرِّج: الفَواق بالفتحِ: الإفاقة والاستراحة[2].

القِطُّ، قال الفرَّاء: الحَظُّ والنصيب، ومنه قيل للصَّكِّ: القِط، وقال أبو عبيدة والكسائيُّ: القِطُّ: الكتابُ بالجوائز، قال الأعشى:

ولا المَلِكُ النُّعمانُ يومَ لَقِيتُهُ بِغِبْطَتِهِ يُعطي القُطوطَ ويَأْفِقُ[3]

ويُروَى: بإمَّتِه، أي: بنعمته، ويَأْفِق: يُصْلِح، وهو في الكتاب أكثرُ استعمالاً، قال أميَّة بنُ أبي الصَّلْت:

قومٌ لهم ساحةُ أرضُ العراقِ وما يُجْبَى إليهم بها والقِطُّ والقَلَمُ[4]

---

(١) تفسر القرطبي ١٨/ ١٤٠-١٤١، والحديث عند البيهقي في شعب الإيمان (٩٢٢٢) من حديث أنس ﷺ، وفي إسناده: أبو عبد الله مندل بن علي العنزي الكوفي، ضعَّفه أحمد كما في تهذيب التهذيب، وأورد الحديث السيوطي في الجامع الصغير (٤/ ٣٩٦ فيض القدير)، ورمز لصحته.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وتفسير الرازي ٢٦/ ١٨٢-١٨٣، والقرطبي ١٨/ ١٤١، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ١٧٩، وكلام الفراء في معاني القرآن ٢/ ٤٠٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٠، والبيت في ديوان الأعشى ص ٢٦٩، وفيه: بإمَّته، بدل: بغبطته. وهي المشار إليها بعد رواية البيت أعلاه.

(٤) كذا ورد البيت في النسخ، ولم نقف عليه هكذا عند غيره، ونقله عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٣٦٤، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٣٨٧، وهو من البحر البسيط، والبيت في ديوان أمية ص ١٢٨، وروايته فيه هكذا:

قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والقط والقلم

وهو من البحر المنسرح، وأورده هكذا أيضاً ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٤٧، وأورده الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ٨٣ لكن بلفظ: يجبى إليه، بدل: ساروا جميعاً، ونَقَله عنه =

ويُجمَع أيضاً على: قِطَطَة، وفي القليل: أقطّ وأقطاط.

تَسَوَّر الحائطَ والسُّورَ ـ وتَسَنَّمه ـ والبعيرَ: عَلَا أعلاه، والسُّور: حائط المدينة، وهو غير مهموز.

الشَّطَط: مجاوَزَةُ الحَدّ وتَخطّي الحقّ، وقال أبو عبيد: شَطَطتُ على فلانٍ وأَشْططتُ: جُرْتُ في الحُكْم[1].

التِّسْعُ: رُتْبَةٌ مِن العدد معروفة، وكَسْرُ التاء أشهر مِن الفتح.

النَّعْجَة: الأُنثى مِن بَقَر الوَحْش ومِن الضأن، ويُكنَى بها عن المرأة[2]، قال الشاعر:

هُما نَعْجَتانِ مِن نِعَاجِ تَبَالةٍ ... لدى جُؤذَرَيْنِ أو كبعضِ دُمَى هَكِرْ

وقال ابنُ عَون:

أَنَا أَبوهنَّ ثلاثٌ هُنَّهْ ... رابعةٌ في البيت صُغْراهُنَّهْ

ونَعجَتي خمساً تُوفِّيهنَّهْ ... إلَّا فتًى سَجْحٌ يُغَذِّيهُنَّهْ[3]

عَزَّه: غَلَبه، يَعُزُّهُ عَزًّا، وفي المَثَل: مَن عَزَّ بَزَّ، أي: مَن غَلَبَ سَلَبَ، وقال الشاعر:

= القرطبيُّ ١٨/١٤٣، ومع الإشارة إلى أنه ورد في النسخ الخطية للبحر ـ عدا (د٣) و(يه) ـ والمطبوع: والعَلَم، بدل: والقلم.

(١) تفسير القرطبي ١٨/١٦٢-١٦٣، وقول أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ٤/٣٠٨، وينظر الصحاح (شطط).

(٢) المحرر الوجيز ٤/٤٩٩-٥٠٠، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١١٠، وتبالة: موضع تألفه الوحوش، والجُؤذر: وَلَد البقرة، وهَكِر: مدينة باليمن. والشاعر يُشبّه جاريتين له بالنِّعاج أو بالدُّمى.

(٣) أورد البيتين القرطبي ١٨/١٦٤، وزاد عليهما بيتاً ثالثاً، وهو:

لَهيَ النَّقَا في الجوع يطويهنَّهْ ... ويلُ الرغيفِ ويلَهُ مِنهُنَّهْ

ولم نقف عليهما عند غيره ممَّن سبقه، وأوردهما الآلوسي في روح المعاني ٢٣/٢٤٧، مع الإشارة إلى أنّه ورد في القرطبي: سمح، بدل: سجح، واختلفت النُّسخ في البحر في شكل هذه الكلمة.

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَت تُجَاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجَناحُ[(١)]

الصافِن مِن الخيل: الذي يَرفَعُ إحدى يَدَيه ويَقف على طَرَفِ سُنْبُكِه[(٢)]، وقد يفعل ذلك بِرِجْله، وهي علامةُ الفَراهَة، وأنشد الزجَّاج:

أَلِفَ الصُّفُونَ فما يَزالُ كأنَّهُ مِمَّا يَقومُ على الثلاثِ كَسِيرا[(٣)]

وقال أبو عُبَيْدة: الصَّافِن: الذي يَجمع يديه ويُسوِّيهما، وأمَّا الذي يَقِفُ على طَرَف السُّنْبُكِ فهو المتخيِّم[(٤)].

وقال القُتَبيُّ: الصافِنُ: الواقفُ في الخيل وغيرِها، وفي الحديث: «مَن سرَّه أَنْ يقومَ الناس له صفوناً، فليَتبوَّأ مقعدَه مِن النار» أي: يديمون له القيامَ[(٥)]، حكاه قطرب، وأنشد للنابغة:

لَنَا قُبَّةٌ مَضْروبةٌ بفِنائها عِتاقُ المَهارى والجِيَاد الصَّوَافِن[(٦)]

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٦٦، وينظر الصحاح (عزز)، والمثل ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٣٠٧، والزمخشري في المستقصى ٢/ ٣٥٧، والبيت اختلف في قائله، فقيل: مجنون ليلى، وقيل: نُصيب بن رباح، وقيل: توبة بن الحُمَيِّر. ينظر ديوان مجنون ليلى ص ٩٠، وشعر نُصيب ص ٧٤، والكامل للمبرِّد ٢/ ٩٢٩، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣/ ١٥١، وسمط اللآلي ٢/ ٦٩٦، وورد في الكامل عن قائل البيت: أحسبه توبة بن الحميِّر، قال أبو الحسن: يقال إنه لمجنون بني عامر، وهو الصواب.

(٢) السُّنْبُك: طَرَف الحافر وجانباه من قُدُم، وجمعه: سنابك. اللسان (سنبك).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٣، والبيت في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣٠، والنكت والعيون ٥/ ٩٢، واللسان (صفن)، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٩١، ولم نقف على قائله.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٣، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ١٨٢، وورد فيهما: فهو مُخِيم، بدل: فهو المتخيم. ولعلَّ ما ورد عندهما هو الصواب، ينظر لسان العرب (خيم).

(٥) زاد المسير ٧/ ١٢٧-١٢٨، والنكت والعيون ٥/ ٩١، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٦٩، والقرطبي ١٨/ ١٩٠-١٩١، والحديث قال عنه ابنُ حجر في الكافي الشاف ص ١٤٢: لم أجده هكذا. اهـ. وقال ابنُ العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٦٥٣: هذا حديث موضوع. اهـ. وأخرج أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥) عن معاوية أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من سَرَّهُ أن يتمثَّل له الرجال قياماً فليتبوَّأ مقعده من النار».

(٦) النكت والعيون ٥/ ٩١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٩١، والبيت أورده أيضاً أبو البقاء هبة الله بن نما الحلي في كتابه المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، فصل في الرهائن، والبيت يَمدح فيه النعمانَ، وورد فيه: له، بدل: لنا، ولم نقف على البيت في ديوان النابغة المطبوع.

وقال الفرَّاء: على هذا رأيتُ العربَ وأشعارَهم تدلُّ على أنَّه القيام خاصَّة[١].

جادَ الفَرَسُ: صَارَ رَابِضاً، يَجود جُودة ـ بالضم ـ فهو جَوَاد، للذَّكر والأُنثى مِن خيلٍ جيادٍ وأَجواد وأَجاويد، وقيل: الطِّوال الأعناق مِن الجِيد، وهو العُنُق، إذ هي مِن صفات فراهتها[٢]، وقيل: الجِياد جَمْع: جَود، كثَوب وثِياب.

الرخاء: اللَّيِّنة، مشتقة مِن الرّخاوة.

* * *

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ
ٱلۡحِسَابِ ١٦ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ
مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ
ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ
دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا
وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ
رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥﴾.

«وما يَنظر» أي: يَنتظر، «هؤلاء» إشارة إلى كُفَّار قريش، والإشارة بـ«هؤلاء» مقوِّية أنَّ الإشارةَ بـ«أولئك» هي للذين يَلونها مِن قومِ نوح وما عُطف عليه، وقال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون إشارةً إلى جميعِ الأحزاب؛ لاستحضارهم بالذِّكر، أو لأنَّهم كالحضور عندَ الله[٣]. انتهى. وفيه بُعْدٌ.

وهذا إخبارٌ منه تعالى صَدَّقه الوجودُ، والصَّيْحَة ما نَالَهم مِن قَتْلٍ وأَسْرٍ وغَلَبة، كما تقول: صَاح فيهم الدَّهْرُ، وقال قتادة: تَوعَّدهم بصيحةِ القيامة والنَّفْخ في

---

(١) زاد المسير ٧/ ١٢٧، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٠٥.
(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٠، والنكت والعيون ٥/ ٩٢.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٣.

الصُّور، وقيل: بصيحةٍ يَهلكون بها في الدنيا[١]، فالقول الأوَّل فيه الانتظارُ مِن الرسول لشيءٍ مُعيَّن فيهم، وعلى هذَيْن القولَيْن هم بمَدْرَج عقوبةٍ وتَحتَ أَمْرٍ خَطِرٍ ما يَنتظرون فيه إلا الهلكة.

وقرأ الجمهور: «مِن فَواق» بفتح الفاء، والسُّلَميُّ وابنُ وثاب والأعمش وحمزة والكسائيُّ وطلحة: بضمِّها[٢]، فقيل: هما بمعنًى واحد، كقُصَاص الشَّعَر وقَصاصه، وقال ابنُ زيد والسُّدِّيُّ: بالفتح: إفاقة[٣]، مِن: أفاق واسْتَرَاح، كجَواب مِن: أجاب.

قال ابنُ عباس: «مِن فواق» مِن ترداد. وقال مجاهد: مِن رجوع[٤].

«عَجِّل لنا قِطَّنا» نصيبنا مِن الجنَّة؛ لنتنعَّم به في الدنيا، قاله الحسن وقتادة وابنُ جبير[٥]. وقال قتادة أيضاً ومجاهد: نَصِيبنا مِن العذاب[٦]. وقال أبو العالية والكلبيُّ: صُحُفنا بإيماننا. وقال السُّدِّيُّ: المعنى: أَرِنا منازلَنا مِن الجنَّة حتى نتابعَك[٧]. وعلى كلِّ قول فإنَّما قالوا ذلك على سبيلِ الاستخفاف والاستهزاء.

ومعنى: «قَبْلَ يومِ الحساب» أي: الذي تَزعمون أنَّه واقعٌ في العالَم، إذ هم كفرةٌ لا يُؤمنون بالبَعْث.

ولمَّا كانت مقالتهم تقتضي الاستخفافَ أَمَرَ تعالى نبيَّه بالصَّبْر على أَذَاهُم، وذَكَر قصصاً للأنبياء داود وسليمان وأيوب وغيرهم وما عَرَض لهم، فصَبروا حتى فرَّج الله

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٥، وقول قتادة عند الطبري ٢٠/ ٣٣ بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٠، والقرطبي ١٨/ ١٤٠، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٥٥٢، والتيسير ص ١٨٧، وهي أيضاً قراءة خَلَف، ينظر النشر ٢/ ٣٦١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وأخرجه عنهما الطبري ٢٠/ ٣٥.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٨٢، وزاد المسير ٧/ ١٠٨، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٣٤.

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٢ عن الحسن وابن جبير، وزاد المسير ٧/ ١٠٨ عن ابن جبير والسديّ، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٣٨-٣٩.

(٦) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٤٢، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٣٧-٣٨.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وقول السدي عند الطبري ٢٠/ ٣٨.

عنهم، وصارت عاقبتهم أحسنَ عاقبة، فكذلك أنتَ تَصبِر ويَؤول أَمْرُك إلى أحسنِ مآلٍ وتَبلغ ما تُريد مِن إقامة دينِك وإماتة الضلال.

وقيل: «اصْبِر على ما يقولون» وعَظِّم أَمْرَ مخالفتهم لله في أعينهم، وذَكِّرهم بقصَّة داود وما عرضَ له، وهو قد أُوتيَ النبوَّة والملكَ، فما الظَّنّ بكم مع كفركِم وعصيانِكم. انتهى. وهو مُلتَقَط مِن كلامِ الزمخشريّ مع تغييرِ بعض ألفاظٍ لا تُناسِبُ مَنْصِبَ النبوَّة[١].

وقيل: أَمَرَهُ بالصَّبر، وذكر قصص الأنبياء لتكون برهاناً على صحَّة نبوَّته، وقيل: «اصبر على ما يقولون» وحافِظ على ما كُلِّفت به مِن مصابرتِهم وتحمُّل أَذَاهم، واذْكُر «داودَ» وكرامتَه على الله، وما عَرَض له، وما لَقِي مِن عَتَبِ الله.

«ذا الأيد» أي: ذا القوَّة في الدِّين والشَّرْع والصَّدْع بأَمْر الله والطاعةِ لله، وكان مع ذلك قويًّا في بَدَنه.

والأوَّاب: الرَّجَّاع إلى طاعة الله، قاله مجاهد وابن زيد، وقالَ السُّدِّيُّ: المُسبِّح[٢]، ووَصْفُه بأنَّه أوَّاب يدلُّ على أنَّ «ذا الأَيْد» معناه: القوَّة في الدِّين، ويقال: رَجُلٌ أَيِّد، وذو أَيْدٍ، وذو آدٍ، وأيادُ كلِّ شيء: ما يتقوَّى به[٣].

و«الإشراق»: ووقتِ الإشراق، قال ثعلب: شَرَقَت الشمسُ: إذا طَلَعَت، وأشْرَقت: إذا أَضاءَت، وَصَفَت[٤]، وفي الحديث أنَّه عليه الصلاة والسلام صلَّى صلاةَ الضحى، وقال: «يا أمَّ هانئ، هذه صلاةُ الإشراق»[٥]، وفي هذين الوقتين

---

(١) ينظر الكشاف ٣/ ٣٦٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، والآثار عند الطبري ٢٠/ ٤١-٤٣.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٣، وينظر جمهرة اللغة ١/ ١٦ (أدد).
(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٥، وينظر الصحاح (شرق).
(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٥، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤/ ٤٠٦ (٩٨٦)، والثعلبي في التفسير ٥/ ٢٥١-٢٥٢، والبغوي في التفسير ٤/ ٥١، وفي إسناده: حجَّاج بن نصير وأبو بكر الهذلي، وكلاهما ضعيف. ميزان الاعتدال الترجمة (١٦٦٦) و(٩٤٢٨)، ومجمع الزوائد ٢/ ٢٣٨ و٧/ ٩٩.

كانت صلاةُ بني إسرائيل، وتقدَّم الكلامُ في تسبيح الجبال في قصَّة داودَ في سورة «الأنبياء»[١].

وأَتَى بالمضارع لا باسم الفاعل؛ دلالةً على حدوثِ التَّسبيح شيئاً بَعْدَ شيء، وحالاً بعد حالٍ، فكأنَّ السامعَ محاضِر تلكَ الجبال يَسمعها تُسبِّح، ومثله قولُ الأعشى:

لعمري لقد لاحَت عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوءِ نارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

أي: تُحرَّق شيئاً فشيئاً، ولو قال: مُحرّقة، لم يدلّ على هذا المعنى[٢].

وقرأ الجمهور: «والطيرَ مَحشورةً» بنصبهما، عطفاً على «الجبال يُسبِّحن» عَطْفَ مفعولٍ على مفعول، وحالٍ على حال، كقولك: ضَربتُ هنداً مجرَّدةً، ودَعْداً لابسةً، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة والجحدريُّ: «والطيرُ مَحْشُورةٌ» برفعهما[٣]، مبتدأً وخبراً، وجاء «محشورة» باسم المفعول؛ لأنَّه لم يَرِد أنَّها تُحشَر شيئاً فشيئاً، إذ حاشِرُها هو اللهُ تعالى، فحَشْرها جملةً واحدة أدلُّ على القدرة.

والظاهر عَوْدُ الضمير في «له» على «داود» أي: كلّ واحدٍ مِن الجبال والطير لأجل داود، أي: لأَجْلِ تسبيحه مُسبِّح؛ لأنَّها كانت ترجِّعُ بتسبيحه، ووضع الأوَّاب موضع المُسبِّح.

وقيل: الضمير عائد على الله، أي: كلّ مِن داود والجبال والطير لله «أوَّاب» أي: مُسبِّح مُرَجِّع للتسبيح.

وقرأ الجمهور: «وشَدَدْنا» مخفَّفًا، أي: قوَّينا، كقوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] والحسن وابنُ أبي عَبْلَة بشدِّ الدَّالِ[٤].

---

(١) عند تفسير الآية (٧٩) منها.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٤ دون ذِكْر صدر البيت، والبيت كاملاً في ديوان الأعشى ص ٢٧٣، واليَفَاع: المُرتَفع من كلِّ شيء. اللسان (يفع).

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧، وزاد المسير ٧/ ١١١، والقراءات الشاذة ص ١٢٩.

(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧ عن الحسن، وينظر الكشاف ٣/ ٣٦٥.

وهي عبارةٌ شاملةٌ لِمَا وَهَبَ اللهُ تعالى مِن قوَّةٍ وجُنْدٍ ونِعْمَة، فالتخصيص ببعضِ الأشياء لا يَظهر، وقال السُّدِّيُّ: بالجنود[١].

قيل: كان يَبيت حولَ محرابه أربعونَ ألفَ مُسْتَلْئِم يَحرسُونه[٢]، وهذا بعيدٌ في العادة، وقيل: بهيبةٍ قَذَفها اللهُ له في قلوب قومِه.

و«الحِكْمَة» هنا النبوَّة، أو الزَّبُور، أو الفَهْم في الدِّين، أو كلّ كلام وافقَ الحقَّ، أقوال، و«فَصْل الخطاب» قال عليٌّ والشعبيُّ: إيجابُ اليمين على المدَّعى عليه، والبينة على المُدَّعي، وقال ابنُ عباس ومجاهد والسُّدِّيُّ: القضاءُ بين الناس بالحقِّ وإصابتُه وفَهْمُه.

وقال الشعبيُّ: كلمة: أمَّا بَعْدُ، لأنَّه أوَّل مَن تكلَّم بها وفَصَلَ بين كلامين[٣]، قال الزمخشريُّ: لأنَّه يفتتح إذا تكلَّم في الأَمْرِ الذي له شأنٌ بذِكْر الله وتحميدِه، فإذا أراد أنْ يَخرج إلى الغَرَض المَسُوق إليه فَصَلَ بينه وبين ذِكْر الله بقوله: أمَّا بَعْدُ، ويجوز أنْ يُراد الخطابُ القَصْدُ الذي ليس فيه اختصار مُخِلٌّ ولا إشباعٌ مُمِلٌّ، ومنه ما جاء في صفة كلامِ رسول الله ﷺ: «فَصْلٌ لا نَذرٌ ولا هَذَر»[٤]. انتهى.

ولـمَّا كان تعالى قد كَمَّلَ نفسَ نبيِّه داود بالحكمة أَردفه ببيانِ كمالِ خَلْقه في النُّطق والعبادة، فقال: «وفَصْل الخطاب».

«وهل أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْم» لمَّا أَثنى تعالى على داودَ عليه السلام بما أَثنى، ذَكَر قصَّته هذه ليُعلِمَ أنَّ مِثْلَ قصَّته لا يُقدَح في الثناء عليه والتعظيم لقَدْرِه وإن تضمَّنت

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧، وخبر السدي عند الطبري ٢٠/ ٤٦، والحاكم ٢/ ٥٨٦-٥٨٧.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٥، والمُسْتلئم: لابِسُ عُدَّة الحرب. اللسان (سقط)، وينظر خبر السدي الآنف الذكر، وعرائس المجالس ص ٢٨٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٩-١٥٠، وعرائس المجالس ص٢٧٩، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٤٨-٥١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٣، والنكت والعيون ٥/ ٨٤، والبغوي ٤/ ٥٢.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٦٥، وخبرُ صفةِ كلامه ﷺ أخرجه الحاكم ٣/ ٩، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣/ ٣١٧ ضمن حديث طويل عن هشام بن حبيش بن خويلد ﷺ، وأورده القاضي عياض في الشفا، والشامي في سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٤٨، والنَزْر: القليل، والهَذَر: الهذيان، والمعنى: ليس بقليل فيدلَّ على عِيّ، ولا كثير فاسد. النهاية (نزر) و(هذر).

استغفاره ربَّه، وليس في الاستغفار ما يُشعِر بارتكاب أَمْرٍ يُستَغفَر منه، ومازال الاستغفارُ شعارَ الأنبياء المشهودِ لهم بالعِصْمة، ومَجيْءُ مِثْلِ هذا الاستفهام إنَّما يكون لغرابة ما يَجِيءُ معه مِن القصص، كقوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه:٩] فيتهيَّأ المخاطَب بهذا الاستفهام لِمَا يأتي بَعْدَه ويَصْغِي لذلك، وذَكَر المفسِّرون في هذه القصَّة أشياءَ لا تُناسِب مناصبَ الأنبياء، ضَرَبْنا عن ذِكْرها صَفْحاً، وتكلَّمنا على ألفاظِ الآية.

والنَّبَأ: الخَبَر، و«الخصم»: أصله مصدر، فلذلك يصلح للمفرَد والمُذَكَّر وفروعهما، وهنا جاء للجَمْع، ولذلك قال: «إذ تسوَّروا» «إذ دخلوا»، كما قال الشاعر:

وخَصْمٍ يَعُدُّونَ الذُّحُولَ كأنَّهم قُرُومٌ غَيَارَى كُلَّ أَزْهَرَ مُصْعَبِ[1]

والظاهر أنَّهم كانوا جماعةً، فلذلك أتَى بضمير الجَمْع، فإن كان المتحاكمان اثنين، فيكون قد جاءَ معهم غيرُهم على جهة المعاضَدَة والمؤانسة، ولا خلافَ أنَّهم كانوا ملائكةً، كذا قال بعضُهم[2]، وقيل: كانا أخوين مِن بني إسرائيل لأبٍ وأمٍّ، والأوَّل أشهر، وقيل: «الخَصْم» هنا اثنان، وتُجوِّزَ في العبارة فأُخبِر عنهما إخبارَ ما زاد على اثنين؛ لأنَّ معنى الجمع في التثنية، وقيل: معنى «خصمان»: فريقان، فيكون «تسوَّروا» و«دخلوا» عائداً على الخَصْم الذي هو جميع الفريقين، ويدلُّ على أنَّ «خصمان» بمعنى: فريقان، قراءةُ مَن قرأ: «بَغَى بعضُهم على بعض»[3]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩] أي: فريقان، فأمَّا «إنَّ هذا أخي» وما رُويَ أنَّه بُعثَ إليه مَلَكان، فالمعنى أنَّ التحاكمَ كان بين اثنين ولا يَمتنع أنْ يَصحبَهما غيرُهما، وأطلق على الجميع خَصْم، وعلى الفريقين خصمان؛ لأنَّ مَن جاء مع متخاصِم لمعاضدةٍ فهو في صورة خَصْمٍ فلا يَبعد أن تُطلَق عليه التسميةُ.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧-٤٩٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٦، والطبري ٢٠/ ٥٢-٥٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨٠، والبيت للبيد، وهو في شرح ديوانه ص ١٩، وورد فيه: قيام بالعراء، بدل: يعدُّون الذحول. والذَّحلُ: الثَّأرُ، والقُروم: الفحول، وأزهر: أبيض، ومصعب: لم يُركب.

(٢) ينظر النكت والعيون ٥/ ٨٦، وزاد المسير ٧/ ١١٨.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٧، ولم نقف على القراءة عند غيره.

والعاملُ في الظَّرْف ـ وهو «إذ» ـ «أَتَاكَ»، قاله الحوفيُّ، وردَّ بأنَّ إتيانَ النَّبأ رسولَ اللهِ ﷺ لا يَقَعُ إلَّا في عهدِه لا في عهدِ داود.

وقال ابنُ عطيَّة وأبو البقاء: العامل فيه «نبأ»[1]، وردَّ بما ردَّ به ما قَبْلَه، إذ النَّبَأ الواقع في عهدِ داود عليه السلام لا يصحُّ إتيانُه رسولَ الله ﷺ، وإن أردتَ بالنَبَأ القصَّةَ في نفسِها لم يكن ناصباً.

وقيل: العاملُ فيه محذوف، تقديره: «وهل أَتَاكَ نَبَأُ» تَحَاكُم «الخصم» قاله الزمخشريُّ[2]، ويَجوز أنْ ينتصبَ بـ «الخصم» لما فيه مِن معنى الفعل، و«إذ دخلوا» بدلٌ مِن «إذ» الأولى، وقيل: ينتصب بـ «تسوَّروا».

ورُويَ أنَّ اللهَ تعالى بَعَثَ إليه مَلَكين في صورة إنسانَيْن، فَطَلبا أَنْ يَدخُلا عليه، فوجداهُ في يومِ عبادته، فمَنَعهما الحَرَسُ، فتسوَّرا عليه المحرابَ، فلم يَشعُر إلَّا وهما بين يدَيْه جالسان[3].

قال ابنُ عباس: جَزَّأ زمانَه أربعةَ أجزاء؛ يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للاشتغال بخواصِّ أمورِه، ويوماً لجميع بني إسرائيل، فيَعظهم ويُبكيهم، فجاؤوه في غير يوم القضاء، ففَزِعَ منهم؛ لأنَّهم نزلوا عليه مِن فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حولَه لا يتركون مَن يَدخُل عليه[4]، فخاف أَنْ يُؤْذوه، وقيل: كان ذلك ليلاً، ويحتمل أَنْ يكون فَزَعه من أجل أَنَّ أهل مملكته قد استَهانوه حتى تَرَكَ بعضُهم الاستئذانَ، فيكون فَزَعه على فسادِ السيرة لا مِنَ الدَّاخِلين.

وقال أبو الأحوص: فَزِعَ منهم؛ لأنَّهما دَخَلا عليه وكلٌّ منهما آخِذٌ برأس صاحبِه، وقيل: فَزِعَ منهما لمَّا رَأى مِن تسوُّرهم على موضعٍ مرتفع جدًّا لا يُمكن أَنْ يُرتَقى إليه إلَّا بَعْدَ أشهر مع أعوانٍ وكثرة عددٍ، وقيل: إنَّهما قالا: لم نتوصَّل إليك إلَّا بالتسوُّر؛ لمَنْعِ الحُجَّاب، وخفنا تَفَاقُم الأَمْرِ بيننا، فقَبِلَ داود عذرَهم.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٨، والإملاء ٢/ ٢٠٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٨، وما بعده منه أيضاً.
(٣) المصدر السابق، وينظر عرائس المجالس ص ٢٨٣.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٦٨، وينظر عرائس المجالس ص ٢٨٧.

لمَّا أَدركوا منه الفَزَع «قالوا: لا تَخَف» أي: لسنا ممَّن جاءَ إلَّا لأجلِ التَّحاكم، «خصمان» يحتمل أَنْ يكون هذا موصولاً بقولهما «لا تَخَف» بادرا بإخبار ما جاءا إليه، ويحتمل أَنْ يكون سَأَلهم: ما أَمْرُكم؟ فقالوا: «خصمان»، أي: نحن «خصمان بَغَى» أي: جَارَ بعضُنا على بعض، كما قال الشاعر:

ولَكِنَّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغَى والبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيْمُ[(١)]

وقرأ أبو يزيد الجرار[(٢)] عن الكسائيّ: «خِصْمانِ» بكسر الخاء، وفي أَمْرِهم له ونَهْيِهم بعضُ فَظَاظةٍ[(٣)] على الحُكَّام، حَمَلَ على ذلك ما هم فيه مِن التخاصُم والتَّشاجُر فاسْتَدْعَوا عَدْلَه مِن غير ارتياب بأنَّه يَحكم بالحقِّ.

وقرأ الجمهور: «ولا تُشْطِطْ» مفكوكاً، مِن: أَشَطَّ، رباعيًّا، وأبو رجاء وابنُ أبي عَبْلَة وقتادة والحسن وأبو حيوة: «تَشْطُطْ» مِن: شَطَّ، ثلاثيًّا[(٤)]، وقرأ قتادة أيضاً «تُشِطَّ» مُدغماً[(٥)]، مِن: أَشَطَّ، وقرأ زِرٌّ: «تُشَاطِطْ» بضمِّ التاء، وبألفٍ على وزن تُفاعِلْ مفكوكاً[(٦)]، وعن قتادة أيضاً: «تُشَطِّطْ» مِن: شَطَّطَ[(٧)].

و«سواء الصراط»: وَسَطُ طريقِ الحقِّ، لا مَيْلَ فيه مِن هنا ولا هنا.

«إنَّ هذا أخي» هو قول المدَّعي منهما، و«أخي» عطفُ بيانٍ عند ابنِ عطيَّة،

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩، والبيت لقيس بن زهير العبسي، وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٤٢٩، والتعازي والمراثي ص ٢٨٢، وأمالي القالي ١/ ٢٦١، وخزانة الأدب ٨/ ٣٧٠.

(٢) في (د٣): الجزار، وفي (يه): الجزاز، وفي مطبوع البحر: الجراد، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٩، وورد فيه: أبو يزيد الخزان. ولم نقف عليه.

(٣) في (ز٢): غضاضة.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٧، والقراءات الشاذة ص ١٢٩-١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣١.

(٥) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٣٦٩، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٣٩٦.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩، وينظر الكشاف ٣/ ٣٦٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠.

(٧) ينظر الكشاف ٣/ ٣٦٨، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.

وبَدَلٌ أو خَبَر لـ «إنَّ» عند الزمخشريّ[١]، والأُخوَّة هنا مستعارةٌ، إذ هما مَلَكان، لكنَّهما لمَّا ظَهَرا في صورةِ إنسانَيْن تكلَّما بالأُخوَّة، ومجازُها أنَّها أُخوَّة في الدِّين والإيمان، أو على معنى الصُّحبة والمرافقة، أو على معنى الشَّرِكة والخُلْطَة؛ لقوله: «وإنَّ كثيراً مِن الخُلَطَاء»، وكلٌّ واحدةٍ مِن هذه الأُخوَّات تقتضي مَنْعَ الاعتداء وتَنَدُب إلى العدل.

وقرأ الجمهور: «تِسْعٌ وتِسْعُونَ» بكسر التاء فيهما، وقرأ الحسن وزيد بن عليٍّ: بفتحها فيهما[٢].

وقرأ الجمهور: «نَعْجَة» بفتح النون، والحسن وابنُ هرمز: بكسر النون[٣]، وهي لغةٌ لبعض بني تميم.

قيل: وكنَّى بالنَّعجة عن الزَّوجة، فقال: «أَكْفِلْنِيها» أي: رُدَّها في كَفَالتي، وقال ابنُ كيسان: اجْعَلْها كِفْلي، أي: نصيبي، وقال ابنُ عباس: أَعْطِنِيها، وعنه وعن ابنِ مسعود: تحوَّل لي عنها، وعن أبي العالية: ضُمَّها إليَّ حتى أَكْفَلَها[٤].

«وعَزَّني في الخطاب» قال الضَّحَّاك: إن تكلَّم كان أفصحَ منِّي، وإنْ حارب كان أبطشَ منِّي[٥].

وقال ابنُ عطيَّة: كان أوجهَ منِّي وأقوى، فإذا خاطَبْته كان كلامُه أقوى مِن كلامي، وقوَّته أعظم مِن قوَّتي.

وقال الزمخشريُّ: جاءَني بِحِجاجٍ لم أَقْدِر أَنْ أُوردَ عليه ما أَردُّه به، وأراد بالخطاب مخاطبةَ المحاجّ المُجادِل، أو أراد: خَطبتُ المرأةَ وخَطَبها هو، فخاطبني

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩، والكشاف ٣/ ٣٦٨.
(٢) أي: «تَسْعٌ وتَسْعُونَ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠ عن الحسن، وفي مجمع البيان ٢٣/ ١٠٤ عن الحسن والأعرج عبد الرحمن بن هرمز، والقراءة عنهما في المحتسب ٢/ ٢٣٢.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٧، والنكت والعيون ٥/ ٨٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٦٦، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٥٩.
(٥) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٨، والبغوي ٤/ ٥٤.

خطاباً، أي: غالَبَني في الخُطبة فغَلَبني، حيث زُوِّجها دُوني[١].

وقيل: غَلَبني بسلطانه؛ لأنَّه لمَّا سأله لم يَستطع خلافه، قال الحافظ أبو بكر بنُ العربيِّ[٢]: كان ببلادِنا أميرٌ يُقال له: سير بنُ أبي بكر[٣]، فكلَّمته في أنْ يَسأل لي رجلاً حاجةً، فقال لي: أمَا عَلِمْتَ أنَّ طَلَبَ السلطانِ للحاجةِ غَصْبٌ لها؟! فقلت: أمَّا إذا كان عَدْلاً فلا.

وقرأ أبو حيوة وطلحة: «وَعَزَنِي» بتخفيف الزاي[٤]، قال أبو الفتح: حَذَفَ الزايَ الواحدةَ تخفيفاً، كما قال أبو زُبَيْد:

أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إليه شُوسُ[٥]

ورُوِيَ كذلك عن عاصم[٦]، وقرأ عبد الله وأبو وائل ومسروق والضَّحَّاك والحسن وعبيد بنُ عمير: «وعَازَّني» بألفٍ وتشديد الزاي[٧]، أي: وغالبني.

والظاهر إبقاءُ لفظِ النَّعجة على حقيقتها؛ مِن كونِها أُنثى الضَّأن، ولا يُكنى بها عن المرأةِ ولا ضرورةَ تَدعو إلى ذلك؛ لأنَّ ذلك الإخبار كان صادراً مِن الملائكة على سبيل التصوير للمسألة والفَرَض لها مِن غير تلبُّسٍ بشيء منها، فمثَّلوا بقصَّة رجلٍ له نعجةٌ ولخليطِه تسعٌ وتسعونَ، فأراد صاحبُه تتمَّة المئة، فطَمع في نعجةِ

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٦٩.

(٢) في كتابه أحكام القرآن ٤/ ١٦٢١، وما قبله منه أيضاً، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ١٦٧.

(٣) هو أَحَدُ أمراء السلطان يوسف بن تاشفين. نفح الطيب ٤/ ٣٧٣.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، والكشاف ٣/ ٣٦٩، والقراءات الشاذة ص ١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣٢.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، وكلام أبي الفتح بن جنِّيّ في كتابه المحتسب ٢/ ٢٣٢، وصدر البيت:

خلا أنَّ العِتاقَ من المطايا

وهو في الخصائص ٢/ ٤٣٨، ورسالة الصاهل والشاحج ص ٦٤٥، وسلف، والشاهد فيه: أَحَسْنَ، يريد: أَحْسَسْنَ. الدر المصون ٩/ ٣٧٠.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠ نقلاً عن أبي حاتم، وهي رواية غير المشهورة عنه.

(٧) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٨، وزاد المسير ٧/ ١٢٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٦٧، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.

خليطِه، وأَراد انتزاعَها منه، وحاجَّه في ذلك محاجَّةَ حريصٍ على بلوغ مرادِه، ويدلُّ على ذلك قوله: «وإنَّ كثيراً مِن الخُلطاء» وهذا التصويرُ والتمثيل أبلغُ في المقصود وأدلُّ على المراد.

«قال لقد ظَلَمك بسؤالِ نَعْجَتِك إلى نعاجِهِ» ليس هذا ابتداءً مِن داود عليه السلام إثْرَ فَرَاغ لفظ المدَّعي، ولا فُتيا بظاهر كلامه قَبْلَ ظهور ما يَجب، فقيل ذلك على تقديرٍ، أي: لئن كان ما تقول «لقد ظَلَمك»، وقيل: ثَمَّ محذوف، أي: فأقرَّ المدَّعى عليه، فقال «لقد ظَلَمك»، ولكنَّه لم يَحْكِ في القرآن اعترافَ المدَّعى عليه؛ لأنَّه معلوم مِن الشرائع كلِّها، إذ لا يَحكُم الحاكمُ إلَّا بعد إجابة المدَّعى عليه.

فأمَّا ما قاله الحَلِيميُّ مِن أنَّه رَأى في المدَّعي مخايلَ الضَّعْف والهَضِيْمة، فحملَ أَمْره على أنَّه مظلوم ـ كما تقول ـ فدَعَاه ذلك إلى أَنْ لا يسأل المدَّعى عليه، فاستعجل بقوله: «لقد ظَلَمك»[1] = فقولٌ ضعيفٌ لا يُعوَّل عليه.

ورُويَ أنَّ داودَ عليه السلام لمَّا سمع كلام الشاكي قال للآخَر: ما تقول؟ فأقرَّ، فقال له: لَئِن لم تَرجِع إلى الحقِّ لأكسرنَّ الذي فيه عيناك، وقال للثاني: «لقد ظَلَمك» فتبسَّما عند ذلك وذَهَبا ولم يَرَهما لحينِه، ورُويَ أنهما ذَهَبا نحو السماء بمَرْأًى منه[2].

وأضاف المصدر إلى المفعول، وضُمِّن السؤالُ معنى الإضافة، أي: بإضافةِ نعجتِك، على سبيلِ السؤال والطَّلَب، ولذلك عدَّاه بـ «إلى».

«وإنَّ كثيراً مِن الخُلطاء ليَبغي بعضُهم على بعض» هذا مِن كلامِ داودَ، ويدلُّ على أنَّ زمانه كان فيه الظُّلْم والاعتداء كثيراً.

و«الخُلَطاء»: الشُّركاء الذين خَلَطوا أموالَهم، الواحدُ: خليطٌ، قَصَدَ داودُ بهذا الكلام الموعظةَ الحسنة والترغيبَ في إيثار عادةِ الخُلطاء الصُّلحاء الذين حكم لهم بالقلَّة، وأَنْ يُكرِّه إليهم الظُّلْم، وأَنْ يُسلِّي المظلومَ عن ما جَرَى عليه مِن خليطه، وأنَّ له في أكثرِ الخلطاء أُسوة.

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٧١، وكلام الحليمي في كتابه المنهاج في شعب الإيمان ٢/ ٥٥٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠.

وقرئ: «لَيَبْغِيَ» بفتح الياء[1]، على تقدير حذفِ النون الخفيفة، وأصله: لَيَبْغِيَنْ، كما قال:

اضْـرِبَ عـنـكَ الـهـمـومَ طـارِقَـهـا[2]

يريد: اضْرِبَنْ، ويكون على تقدير قَسَم محذوف، ذلك القَسَم وجوابُه خبر لـ «إنَّ»، وعلى قراءةِ الجمهور يكون: «لَيَبْغِي» خبراً لـ «إنَّ»، وقرئ: «لَيَبْغِ» بحذف الياء[3]، كقوله:

مـحـمَّـد تَـفْـدِ نـفـسَـك كـلُّ نَـفْـسٍ[4]

أي: تفدي، على أَحَدِ القولين.

و«قليلٌ» خبر مقدَّم، و«ما» زائدة تُفيد معنَى التعظيم والتعجيب، و«هم» مبتدأ.

«وظَنَّ دَاودُ» لمَّا كان الظَّنُّ الغالِب يُقارب العلمَ استُعير له، ومعناه: وعَلِمَ داودُ وأيقنَ أنَّا ابتليناهُ بمحاكمة الخصمَيْن، وأنكر ابنُ عطيَّة مَجِيْءَ الظَّنِّ بمعنى اليقين، وقال: لسنا نَجِده في كلام العرب، وإنَّما هو توقُّفٌ بين مُعتَقَدين غلبَ أَحدهما على الآخَر، وتُوقِعه العربُ على العِلْم الذي ليس على الحواسّ ولا له اليقين التامّ، ولكن يخلط الناسُ في هذا ويقولون: ظَنَّ، بمعنى: أيقنَ[5]، وطوَّل ابنُ عطيَّة في ذلك بما يُوقَف عليه في كتابه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧١، وما بعده منه أيضاً.

(٢) المصدر السابق، وصدر البيت المذكور نُسِبَ لطرفة بن العبد، وهو في النوادر لأبي زيد ص١٣، والخصائص ١/ ١٢٦، والعقد لابن عبد ربّه ٥/ ٣٥٦، ورسالة الصاهل والشاحج ص٤٦١، وخزانة الأدب ١١/ ٤٥٠، ولم نقف على البيت في ديوان طرفة، وعجزه:

ضَـرْبَـكَ بـالـسـيـف قـونـسَ الـفـرسِ

والقونس: عظم ناتئ بين أُذني الفرس. القاموس المحيط (قنس).

(٣) الكشاف ٣/ ٣٧١.

(٤) وعجزه:

إذا مـا خِـفْـتَ مـن أمـرٍ تـبـالا

وسلف.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠-٥٠١.

وقرأ الجمهور: «فَتَنَّاهُ»، وعمر بنُ الخطَّاب وأبو رجاء والحسن بخلاف عنه: بِشَدِّ التاء والنون[1] مبالغةً، والضَّحَّاك: «أَفْتَنَّاه»[2] كقوله:

لَئِنْ فَتَنَتْنِي لَهْيَ بالأمسِ أَفْتَنَتْ[3]

وقتادة وأبو عمرو في رواية: يُخَفِّف التاءَ والنون[4]، والألف ضميرُ الخصمين.

«فاستغفرَ ربَّه وخَرَّ راكعاً»، «راكعاً» حال، والخُرُور: الهَوِيُّ إلى الأرض، فإمَّا أنَّه عبَّر بالركوع عن السجود، وإمَّا أنَّه ذَكَر أوّلَ أحوالِ الخرور، أي: راكعاً ليَسْجُد. وقال الحسن: لأنَّه لا يكون ساجداً حتى يركعَ[5].

وقال الحسن بنُ الفَضْل: خَرَّ مِن ركوعه، أي: سَجَدَ بَعْدَ أَنْ كان راكعاً.

وقال قوم: يُقال: خَرَّ، لمَن رَكَع وإنْ لم يَنْتَهِ إلى الأرض[6].

والذي نذهب إليه ما دلَّ عليه ظاهرُ الآية مِن أنَّ المُتسوِّرين المحرابَ كانوا مِن الإنس، دَخَلوا عليه مِن غيرِ المدخل، وفي غير وقتِ جلوسه للحُكْم، وأنَّه فَزِعَ منهم ظانًّا أنَّهم يغتالونه؛ إذ كان منفرداً في محرابِه لعبادة ربِّه، فلمَّا اتَّضح له أنَّهم جاؤوا في حُكومَةٍ وبَرَزَ منهم اثنانِ للتحاكُم ـ كما قصَّ اللهُ تعالى ـ وأنَّ داودَ عليه

---

(١) أي: «فَتَّنَّاهُ»، المحرر الوجيز ٤/ ٥٠١، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠١، ووردت فيه القراءة هكذا: «افتتناه» من غير ضبط، وأوردها أيضاً الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٧١ دون عزوٍ.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٧١، وعجز البيت المذكور أعلاه:

سعيداً فأمسى قد غوى كلَّ مسلم

وهو في جمهرة اللغة ٢/ ٢٥ (تفن)، والصحاح (فتن)، ونُسبَ لأعشى همدان، وأورده أيضاً أبو بكر الأنباري في الزاهر ١/ ٤٧٢ دون نسبة، ونَسَبه ابنُ جنِّيّ في الخصائص ٣/ ٣١٥ لابن قيس.

(٤) أي: «فَتَنَاهُ»، ينظر الكشاف ٣/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٧٣، وقراءة أبي عمرو ـ برواية عبد الوهاب وعلي بن نصر ـ في السبعة ص ٥٥٣، وينظر أيضاً القراءات الشاذة ص ١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣٢.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٧١.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠١.

السلام ظَنَّ دخولَهم عليه في ذلك الوقت ومِن تلك الجهة، ابتلاءً مِن الله له أنْ يَغتالُوهُ، فلم يَقَع ما كان ظنّه، فاستغفر مِن ذلك الظَّنِّ حيث أُخلفَ ولم يكن يَقَع مظنونُه، وخرَّ ساجداً ورَجَعَ إلى الله، وأنَّه تعالى غفر له ذلك الظَّنّ، ولذلك أشار بقوله: «فغفَرنا له ذلك» ولم يتقدَّم سوى قوله: «وظَنَّ داود أنَّما فَتَنَّاه».

ويُعلَم قَطْعاً أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام معصومونَ مِن الخطايا لا يُمكن وقوعُهم في شيءٍ منها ضرورةَ أنْ لو جوَّزنا عليهم شيئاً مِن ذلك، بَطَلَت الشرائع، ولم نَثِقْ بشيءٍ ممَّا يذكرون أنَّه أوَحى اللهُ به إليهم، فما حكى اللهُ تعالى في كتابه يمرُّ على ما أراده تعالى، وما حكى القُصَّاص ممَّا فيه غَضٌّ من منصب النبوَّة، طَرَحناه، ونَحْنُ كما قال الشاعر:

ونُؤثِرُ حُكْمَ العقلِ في كلِّ شُبهةٍ إذا آثَرَ الأخبارَ جلّاسُ قُصّاص[1]

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

جَعْلُه تعالى داودَ خليفةً في الأرض يدلُّ على مكانتِه عليه السلام عندَه واصطفائِهِ، ويَدفَعُ في صَدْرِ مَن نَسَبَ إليه شيئاً ممَّا لا يَليقُ بمنصب النبوَّة.

واحتمل لفظ «خليفة» أنْ يكون معناه: تَخْلُفُ مَن تقدَّمكَ مِن الأنبياء في الدعاء

(١) لم نقف على البيت عند غيره ممَّن سبقه، وأورده عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٢٦٠.

إلى الله تعالى وإلى دينه، واحتمل أن يكون معناه[١]: أنْ يُعلِيَ قَدْرَك بجَعْلك مَلِكاً نافذَ الحُكْم، ومنه قيل: خُلَفاءُ الله في أرضِه.

واستُدلَّ مِن هذه الآية على احتياجِ الأرض إلى خليفةٍ مِن الله، ولا يَلزم ذلك مِن الآية، بل لزومه مِن جهة الشَّرْع والإجماع. قال ابنُ عطيَّة[٢]: ولا يُقال: خليفة الله إلَّا لرسوله، وأمَّا الخُلفاء، فكلُّ واحدٍ منهم خليفةُ الذي قَبْلَه، وما يَجِيْءُ في الشِّعْر مِن تسميةِ أحدِهم: خليفة الله، فذلك تجوُّزٌ، كما قال ابن قيس الرُّقَيَّات:

خليفةُ اللهِ في بَرِيَّتِهِ ... جَفَّت بذاكَ الأقلامُ والكُتُبُ[٣]

وقالت الصحابة لأبي بكر: خليفةُ رسولِ الله، وبذلك كان يُدعَى مدَّته، فلمَّا وَلِيَ عمرُ قالوا: خليفةُ خليفةِ رسولِ الله، وطال الأمْرُ ورأوا أنَّه في المستقبل [سيطول أكثر] فدَعَوه: أمير المؤمنين، وقُصِرَ هذا الاسم على الخلفاء[٤]. انتهى.

«فاحْكُم بين الناس بالحقِّ» أمْرٌ بالديمومة وتنبيهٌ لغيرِه ممَّن وَلِيَ أمورَ الناسِ، وإلَّا فمِن حيث هو معصومٌ لا يَحكُم إلَّا بالحقِّ، أُمِرَ أوَّلاً بالحُكم بالحقِّ، ولمَّا كان الهوى قد يَعْرِض لغيرِ المعصوم أُمِرَ باجتنابه، وذكرَ نتيجة اتِّباعه، وهو إضلاله عن سبيلِ الله.

و«فيُضلَّك» جوابٌ للنَّهْي، والفاعل في «فيُضلَّك» ضمير الهوى، أو ضميرُ المصدر المفهوم مِن «ولا تَتَّبع»، أي: فيُضلَّك اتِّباعُ الهوى، ولمَّا ذَكَر ما ترتَّب على اتِّباع الهوى ـ وهو الإضلال عن سبيل الله ـ ذَكر عقابَ الضَّالِّ.

وقرأ الجمهور: «يَضِلُّون» بفتح الياء؛ لأنَّهم لمَّا أضلَّهم اتِّباع الهوى صاروا ضَالِّين، وقرأ ابنُ عبَّاس والحسن ـ بخلافٍ عنهما ـ وأبو حَيْوَة: بضمِّ الياء[٥]،

---

(١) من قوله: في الدعاء... إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه).
(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٢، وما قبله منه أيضاً.
(٣) المصدر السابق، والبيت في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ٥، وورد فيه: فوق منبره، بدل: في بريته. وكذا ورد في طبقات الشعراء للجمحي ٢/ ٦٥٥، وأورده أيضاً المبرِّد في الكامل ٢/ ٨٢٩ بلفظ: ... في رعيَّته. وينظر خزانة الأدب ٧/ ٢٨٧ وما بعدها.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٢، وما ورد بين حاصرتين لم يرد في النسخ، واستدرك منه.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٢، وزاد المسير ٧/ ١٢٤، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.

وهذه القراءة أعمُّ؛ لأنَّه لا يَضِلُّ إلَّا ضَالٌّ في نفسِه، وقراءةُ الجمهور أوضح.

و«بما نَسُوا» متعلِّق بما تعلَّق به «لهم»، و«نَسُوا»: تَرَكُوا، و«يوم» يجوز أن يكون منصوباً بـ «نَسُوا»، أو بما تعلَّق به «لهم»، ويكون النسيانُ عبارةً عن ضلالهم عن سبيل الله.

وانتصب «باطلاً» على أنَّه نعتٌ لمصدر محذوف، أي: خَلْقاً باطلاً، أو على الحال، أي: مبطِلين، أو ذوي باطلٍ، أو على أنَّه مفعولٌ مِن أجله، ومعنى: «باطلاً» عَبَثاً.

«ذلك» أي: كون خَلقها باطلاً «ظَنُّ الذين كفروا» أي: مَظْنُونهم، وهؤلاء وإن كانوا مُقرِّين بأنَّ خالقَ السماواتِ والأرض هو اللهُ تعالى، فهم مِن حيث أنكروا المَعَادَ والثوابَ والعقابَ ظانُّونَ أنَّ خَلْقَ ذلك ليس بحكمةٍ، وأنَّ خَلْقَ ذلك إنَّما هو عَبَثٌ، ولذلك قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] فنبَّه على المَعَاد والرجوع إلى جزائِه، ثم ذَكَر ما بينَ المؤمنِ عامِلِ الصالحات والمُفْسِدِ مِن التَّبايُن وأنَّهما ليسا سِيَّين، وقَابَلَ الصلاحَ بالفسادِ والتقوى بالفُجور.

قال ابنُ عباس: هي عامَّةٌ في جميع المسلمين والكافرين. وقيل: في قوم مِن مشركي قريش قالوا: نحن لنا في الآخرة أعظم ممَّا لنا في الدنيا، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ. وقيل: في جماعة مِن المؤمنين والكافرين معيَّنين بارَزُوا يوم بَدر: عليّ، وحمزة، وعبيدة بن الحارث ﷺ، وعتبة، وشيبة، والوليد بنُ عتبة، وُصِفَ كُلٌّ بما ناسَبَه[١].

والاستفهام بـ «أم» في الموضعين استفهامُ إنكار، والمعنى: أنَّه لا يَستوي عند الله مَن أَصْلَح ومَن أَفْسَد، ولا مَن اتقى ومَن فَجَر، وكيف تكون التسوية بين مَن أطاع ومَن عصى، إذن كان يَبطل الجزاءُ، والجزاء لا محالةَ واقعٌ فالتسوية منتفيةٌ.

ولمَّا انتفتِ التسويةُ بَيَّنَ ما تَصلُح به لمتَّبِعه السعادةُ الأبديَّة، وهو كتاب الله تعالى، فقال: «كتاب أنزلناه» وارتفاعه على إضمار مبتدأ، أي: هذا كتاب.

---

(١) ينظر زاد المسير ٧/ ١٢٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٨٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٢.

وقرأ الجمهور: «مُبارَكٌ» على الصفة، وقُرِئ: «مباركاً» على الحال اللازمة[١]؛ لأنَّ البركةَ لا تفارقه.

وقرأ الجمهور: «لِيَدَّبَّرُوا» بياء الغيبة، وشدِّ الدالِ، وأصله: لِيَتَدبَّروا، وقرأ عليٌّ بهذا الأصل[٢].

وقرأ أبو جعفر: بتاء الخطاب وتخفيف الدَّال، وجاء كذلك عن عاصم والكسائيّ بخلاف عنهما[٣]، والأصل: لِتَتَدَبَّروا، بتاءين، فحذفت إحداهما على الخلاف الذي فيها أهيَ تاء المُضَارَعَة أم التاء التي تليها؟

واللام في «لِيَدبَّروا» لام «كي»، وأسندَ التَّدبُّر في الجميع وهو التفكُّر في الآيات والتأمُّل الذي يُفضِي بصاحبه إلى النَّظَر في عواقب الأشياءِ، وأسندَ التَّذَكُّر إلى أُولي العقول؛ لأنَّ ذا العقل فيه ما يَهديه إلى الحقِّ وهو عَقْلُه، فلا يَحتاج إلَّا إلى ما يُذكِّره فيتذكَّر.

والمخصوصُ بالمدح محذوفٌ، التقدير: «نِعْمَ العَبْدُ» هو، أي: سليمان، وقرئ: «نَعِمَ العَبْدُ» على الأصل[٤]، كما قال:

نَعِمَ السَّاعُونَ في القَومِ الشُّطُرْ[٥]

أثنى تعالى عليه؛ لكثرة رُجوعه إليه، أو لكثرةِ تَسبيحه، «إذ عُرِضَ» الناصب

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٢.
(٣) أي: «لِتَدَبَّروا»، والقراءة عند الطبري ٢٠/ ٧٩ وعزاها لأبي جعفر وعاصم، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٣ وعزاها لحفص عن عاصم، وفي كلامه هذا نظر، لأنَّ قراءة حفص عن عاصم هي كقراءة الجمهور، فلعله: الأعشى، كما سيرد عند الثعلبي، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٦٨ وعزاها لأبي جعفر وعاصم في رواية الأعشى - والبرجمي، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٨٩ وعزاها لأبي جعفر وشيبة وعليّ، والقراءة في السبعة ص ٥٥٣ عن عاصم في رواية الكسائي وحسين عن أبي بكر، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦١، وقراءة علي في القراءات الشاذة ص ١٣٠.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٧٣.
(٥) عجز بيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص ٥٨، وصدره: خالَتي والنفسُ قِدْماً أنَّهم. والشُّطُر الواحد: شطير: البعيد.

لـ «إذ» قيل: «أوَّاب»، وقيل: اذْكُر، على الاختلاف في تأويل هذه الآية.

قال الجمهور: عُرِضَت عليه آلافٌ مِن الخيل تَرَكها أبوه له، وقيل: ألفٌ واحد، فأُجْرِيت بين يديه عشاءً، فتَشَاغل بحُسْنها وجَرْيها ومحبَّتها عن ذِكْرٍ له، فقال: «رُدُّوها»، «فطَفق» يَضْرِب أعناقَها وعراقيبَها بالسَّيف؛ لما كانت سببَ الذُّهول عن ذلك الذِّكر، فأَبْدَلَهُ اللهُ أَسرعَ منها الرِّيْحَ.

وقال قوم منهم الثعلبيُّ: كانت بالناس مَجَاعَةٌ، ولحومُ الخيلِ لهم حلال، فعَقَرها لتُؤْكَلَ على سبيل القُرْبة، ونَحْرِ الهَدْي عندنا[1]. انتهى. وفي هذه القصَّة ألفاظٌ فيها غَضٌّ مِن منصب النبوَّة كَنَّيْنَا عنه.

و«الخير» في قوله: «حُبّ الخير» في هذا القول يُراد به الخيلُ، والعربُ تُسمِّي الخيلَ: الخيرَ، قاله قتادة والسُّدِّيّ، وقال الضحاك وابنُ جبير: «الخيرُ» هنا المالُ[2].

وانتصب«حُبّ الخير» قيل: على المفعول به؛ لتضمُّن «أَحببت» معنى: آثَرْتُ، قاله الفرَّاء[3]، وقيل: منصوبٌ على المصدر التشبيهيّ، أي: أَحببتُ الخيلَ حبَّ الخير، أي: حُبًّا مِثْلَ حبِّ الخيرِ.

وقيل: عُدِّي بـ «عن» مُضَمَّناً معنى فِعْلٍ يتعدَّى بها، أي: أنبْتُ حبَّ الخيرِ عن ذِكْر ربِّي، أوجعلتُ حبَّ الخير مُغْنِياً عن ذِكْر ربِّي.

وذَكَر أبو الفتح الهَمْداني في كتاب «التبيان»: أنَّ «أَحببت» بمعنى: لَزِمت، من قوله:

مِثْلَ بَعِيْرِ السَّوءِ إذْ أَحَبَّا[4]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٣، وكلام الثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ٢٦٩، وينظر أثر ابن عباس عند الطبري ٢٠/ ٨٧.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٩٢، وزاد المسير ٧/ ١٢٩، وأثر قتادة والسدي عند الطبري ٢٠/ ٨٤.

(٣) في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٠٥، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٩٣.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٧٣، ونقله عنه القرطبي ١٨/ ١٩٣، والرجز لأبي محمد الفقعسي وهو في =

وقالت فرقة: «أَحببتُ» سَقطتُ إلى الأرض، مأخوذ مِن: أَحَبَّ البعيرُ: إذا أَعْيَى وسَقط[١].

قال بعضهم: أَحَبَّ البعيرُ: بَرَك، وفلانٌ: طَأْطَأَ رَأْسَهُ، وقال أبو زيد: بَعيرٌ مُحِبٌّ، وقد أَحَبَّ إحباباً: إذا أصابه مرضٌ أو كَسْرٌ، فلا يَبرحُ مكانَه حتى يبرأَ أو يموتَ. وقال ثعلب: يُقال للبعيرِ الحَسِيْر: مُحِبٌّ، فالمعنى: قَعَدْتُ عن ذِكْرِ رَبِّي، و«حبّ الخير» على هذا مفعولٌ مِن أجله[٢].

والظاهر أنَّ الضمير في «تَوارت» عائد على «الصافنات»، أي: دَخَلَت إِصْطَبْلَاتها فهي الحِجَاب، وقيل: «حتى تَوارَت» في المسابقة بما يَحجبها عن النَّظَر، وقيل: الضميرُ للشمس وإنْ لم يَجْرِ لها ذِكْر؛ لدلالة: العَشِيّ عليها.

وقالت طائفة: عُرِضَ على سليمان الخيلُ وهو في الصلاة، فأَشار إليهم: أنِّي في صلاة، فأَزالُوها عنه حتى دَخَلت في الإِصْطَبْلَات، فقال هُوَ لمَّا فَرَغَ مِن صلاته: «إنِّي أَحببتُ حُبَّ الخير» أي: الذي عندَ الله في الآخِرَة بسبب ذِكْر ربِّي، كأنَّه يقول: فشَغَلَني ذلكَ عن رؤيةِ الخيل حتى أُدخلت إصْطَبْلَاتها «رُدُّوها عليَّ فطَفِقَ» يَمسحُ أعرافَها وسوقَها؛ محبَّة لها[٣].

وقال ابنُ عباس والزهريُّ: مَسْحُه بالسُّوق والأعناقِ لم يكن بالسَّيف، بل بيدَيْه، تكريماً لها ومَحبَّةً. ورجَّحه الطبريُّ[٤].

وقيل: بل غَسْلاً بالماء، وقال الثعلبيُّ: إنَّ هذا المَسْح كان وَسْماً في السُّوق والأَعناق، بوَسْمِ حَبْسٍ في سبيل الله[٥]. انتهى. وهذا القول هو الذي يُناسِب

= الأصمعيات ص ١٦٣، والاشتقاق ١/ ٣٩، والفصول والغايات ص ٣٤٠، واللسان (حبب)، وقبله: حُلْت عليه بالقَفِيل ضربا، والقَفِيل: السَّوط.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٣، وينظر الصحاح (حبب).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، وزاد المسير ٧/ ١٣١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٧٠، وتفسير الطبري ٢٠/ ٨٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، ولم نقف على كلام الثعلبي في تفسيره.

مناصبَ الأنبياء لا القول المنسوب للجمهور؛ فإنَّ في قصَّته ما لا يَليقُ ذِكْره بالنسبة للأنبياء.

و«حتى توارت» غاية، فالفعل يكون قَبْلَها مُتطاولاً حتى تصحَّ الغايةُ، فـ «أحببت» معناه: داومت المحبَّة.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: بِمَ اتَّصل قولُه: «رُدُّوها عليَّ»؟ قلتُ: بمحذوفٍ تقديره: قال: «رُدُّوها عليَّ» فأُضمر، وأُضْمِر ما هو جوابٌ له، كأنَّ قائلاً قال: فماذا قال سليمانُ؟ لأنَّه موضعٌ مقتضٍ للسؤال اقتضاءً ظاهراً[1].

ثم ذَكَر الزمخشريُّ لفظاً فيه غَضٌّ مِن النبوَّة، فترَكتُه، وما ذهب إليه مِن هذا الإضمار لا يحتاج إليه؛ إذِ الجملة مندرجةٌ تحت حكايةِ القول، وهو: «فقال إنِّي أَحببتُ»، فهذه الجملةُ وجملةُ «رُدُّوها عليَّ» مَحكيَّتان بـ «قال»، و«طَفِقَ» مِن أفعال المقارَبَة للشُّروع في الفعل، وحذف خبرها، لدلالة المصدر عليه، أي: فَطَفِقَ يَمسحُ مَسْحاً.

وقرأ الجمهور: «مَسْحاً»، وزيد بن عليّ: «مِسَاحاً» على وزن قتال[2].

والباءُ في «بالسُّوق» زائدة، كهي في قوله: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم﴾ [المائدة: ٦] وحكى سيبويه: مَسَحْتُ برأسِه ورأسَه[3]، بمعنًى واحد، وتقدَّم الكلام على ذلك في «المائدة».

وقرأ الجمهور: «بالسُّوق» بغيرِ همز، على وزن فُعْل، وهو جمع: سَاق، على وزن فَعَلٍ بفتح العين ـ كأَسد وأُسْد، وابنُ كثير بالهمز[4]، قال أبو عليٍّ: وهي ضعيفةٌ، لكن وجهها في القياس أنَّ الضمَّة لَمَّا كانت تَلي الواوَ قُدِّرَ أنَّها[5] عليها

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٤.

(٢) لم نقف عليها عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٣٧٧، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٤١٦.

(٣) الذي في كتاب سيبويه ١/ ٧٤: خشَّنت بصدره وصدر زيد، بمعنى: أوغرت.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، والقراءة في السبعة ص ٥٥٣، والتيسير ص ١٦٨، والنشر ٢/ ٣٣٨.

(٥) من هنا، إلى قوله الآتي: . . .الكثير الهبات لا يتعاظم عنده. ليست في (د٢).

فهُمزت، كما يفعلون بالواو المضمومة، ووَجْه هَمْزِ السُّوق مِن السماع أنَّ أبا حيَّة النميري كان يَهمزُ كلَّ واوٍ ساكنة قَبْلَها ضمَّة وكان يُنشِد:

لَحُبَّ المُؤْقِدانِ[1] إلَيَّ مُؤْسَى[2]

انتهى. وليست ضعيفةً، لأنَّ السَّاقَ فيه الهمزُ لغة، ووزنه: فُعْل بسكون العينِ، فجاءت هذه القراءةُ على هذه اللُّغة.

وقرأ ابنُ محيصن: بهمزةٍ بَعْدَها الواو[3]، ورواها بكَّار عن قُنْبُل[4].

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «بالسَّاق» مُفرَداً[5]، اكتفي به عن الجَمْع؛ لأَمْنِ اللَّبْس.

ومِن غريب القولِ أنَّ الضميرَ في «رُدُّوها» عائدٌ على الشمس[6]، وقد اختلفوا في عَدَدِ هذه الخيل على أقوالٍ مُتكاذِبة سَوَّدوا الورقَ بذِكْرِها.

«ولقد فَتَنَّا سليمانَ وألقينا على كرسيِّه جَسَدًا» نَقَلَ المفسِّرون في هذه الفِتْنَة وإلقاءِ الجَسَد أقوالاً يَجب بَراءةُ الأنبياءِ منها، يُوقَف عليها في كُتُبهم، وهي ممَّا لا يحلُّ نَقْلُها وإنَّما هيَ مِن أوضاع اليهود والزَّنادقة.

ولم يُبيِّن اللهُ الفتنةَ ما هي، ولا الجَسَدَ الذي ألقاه على كرسيِّ سليمان، وأقربُ ما قيل فيه أنَّ المرادَ بالفتنة كونه لم يَسْتَثْنِ في الحديث الذي قال فيه: لأَطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأةً، كلّ واحدةٍ تأتي بفارسٍ يُجاهِد في سبيلِ الله. ولم يَقُل: إنْ شاءَ اللهُ، فطاف عليهنَّ، فلم تَحمل إلَّا امرأةٌ واحدةٌ، وجاءت بشِقِّ رَجُلٍ، قال رسولُ الله ﷺ: «والَّذي نفسِي بيدِه، لو قال: إنْ شاءَ اللهُ، لجاهدوا في سبيلِ الله فرساناً أجمعون»[7].

---

(١) في النسخ: أحب المؤقدين. والمثبت من مصادر التخريج الآتية، وسلف.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، وكلام أبي عليّ في كتابه الحجَّة ٦/ ٦٨-٦٩، وصدر البيت لجرير، وهو في ديوانه ١/ ٢٨٨، وسلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (٤).

(٣) أي: «بالسؤوق»، المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، وأوردها أيضاً الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٧٤ ولم يَعزُها.

(٤) السبعة ص ٥٥٣-٥٥٤، والنشر ٢/ ٣٣٨.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٧٤، وما بعده منه أيضاً.

(٦) ينظر تفسير الرازي ٢٦/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٧) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة، وهو عند أحمد (٧٧١٥).

فالمراد بقوله: «ولقد فَتَنَّا سليمانَ وألقينا على كرسيِّه جَسَداً» هو هذا، والجَسَد المُلقَى هو المولودُ شِقُّ رَجُلٍ، وقال قوم: مَرِضَ سليمانُ مرضاً كالإغماء حتى صارَ على كرسيِّه جَسَداً، كأنَّه بِلَا رُوحٍ[1].

ولمَّا أَمَرَ تعالى نبيَّه عليه السلام بالصَّبْر على ما يقول كفَّار قريش وغيرهم، أَمَرَهُ بأَنْ يَذكُر مَن ابْتُلِيَ فصَبَر، فذكر قصَّة داودَ وقصَّة سليمانَ وقصَّة أيوب ليتأسَّى بهم، وذَكَر ما لهم عندَه مِن الزُّلفى والمَكَانة، فلم يَكن ليَذكُر مَن يتأسَّى به ممَّن نَسَبَ المفسِّرون إليه ما يَعظُم أنْ يتفوَّه به، ويَستحيل عقلاً وجودُ بعضِ ما ذَكَروه، كتمثُّل الشيطانِ بصورة نَبيٍّ حتى يَلتَبِس أَمْرُه عند الناس ويعتقدونَ أنَّ ذلك المتصوّر هو النبيّ ولو أمكن وجودُ هذا لم يُوثَق بإرسال نَبيٍّ، وإنَّما هذه مقالةٌ مُسترقة مِن زنادقةِ السُّوفِسْطائيَّة، نسألُ اللهَ سلامةَ أدياننا وعقولنا منها.

«ثم أَنَابَ» أي: بعد امتحانِنا إيَّاه دوام الإنابة والرُّجوع.

«قال رَبِّ اغْفِر لي» هذا أَدَبُ الأنبياء والصالحين مِن طَلَب المغفرةِ من اللهِ هضماً للنَّفس وإظهاراً للذلَّة والخُشوع، وطَلَبَاً للترقِّي في المقامات، وفي الحديث: «إنِّي لأَستغفرُ اللهَ في اليوم والليلة سبعينَ مرَّةً»[2] والاستغفارُ مقدِّمةٌ بين يدَي ما يَطلُب المستغفرُ بطَلَب الأهمِّ في دِيْنه فيترتَّب عليه أَمْرُ دنياه، كقولِ نوح فيما حكى اللهُ عنه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ الآية [نوح: ١٠-١١].

والظاهر أنَّ طَلَبه المُلْكَ كان بَعْدَ هذه المحْنَة، وذَكَر المفسِّرون أنَّه أقَام في مُلْكه عشرينَ سنةً قَبْلَ هذا الابتلاء، وأقام بَعْدَها عشرينَ سنةً، فيُمكن أنَّه كان في مُلْكٍ قَبْلَ المحنَة، ثم سَأَلَ بَعْدَها مُلْكاً مقيَّداً بالوصف الذي بَعْدَهُ، وهو كونه «لا ينبغي لأحدٍ» مِن بَعْدِه، واختلفوا في هذا القَيْدِ، فقال عطاء بنُ أبي رباح وقتادة: أي: مدَّة حياتي لا أُسْلَبُه ويَصير إلى غيري[3]. وقال ابنُ عطيَّة: إنَّما قَصَدَ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٥.
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة، وهو عند أحمد (٧٧٩٣).
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٥، وما بعده منه أيضاً، وأثر قتادة عند الطبري ٢٠/ ٩٣.

بذلك قَصْداً جائزاً؛ لأنَّ للإنسان أَنْ يَرغَبَ مِن فَضْلِ اللهِ فيما لا يَناله أَحَدٌ، لاسيَّما بحسَب المكانة والنبوَّة، وانظر إلى قوله: «لا ينبغي» إنَّما هي لفظة مُحتَملَة ليست بقَطْعٍ في أنَّه لا يُعطي اللهُ نحوَ ذلك المُلْك لأحَدٍ[1]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: كان سليمانُ عليه السلام ناشئاً في بيتِ المِلْكِ والنبوَّة ووارثاً لهما، فأراد أَنْ يَطلُبَ مِن ربِّه معجزةً، فطَلَب على حسَب إلْفِه مُلْكاً زائداً على الممالك زيادةً خارقةً للعادة بالغةً حدَّ الإعجاز؛ ليكونَ ذلك دليلاً على نبوَّته قاهراً للمبعوث إليهم، ولن تكون معجزةً حتى تَخرقَ العاداتِ، فذلك مَعْنِيُّ قوله: «لا ينبغي لأحدٍ مِن بعدي».

وقيل: كان ملكاً عظيماً، فخاف أَنْ يُعطَى مِثْلَه أحدٌ فلا يُحافظ على حدودِ الله فيه، كما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠] وقيل: ملكاً لا أُسْلَبه ولا يَقوم فيه غيري مَقامي.

ويجوز أَنْ يُقال: عَلِمَ اللهُ فيما اختصَّه به مِن ذلك الملكِ العظيم مصالحَ في الدِّين، وعَلِمَ أنَّه لا يَضْطَلع بأعبائه غيره، وأوجبت الحكمةُ استيهابَه، فأَمَرَه أَنْ يَستوهبه إيَّاه، فاستوهبه بأمرٍ مِن اللهِ على الصفة التي عَلِمَ اللهُ أنَّه لا يَضبطه عليها إلَّاهو وَحْدَهُ دونَ سائرِ عبادِه.

أو أراد أن يقول: مُلْكاً عظيماً، فقال: «لا ينبغي لأحدٍ مِن بعدي»، ولم يَقصِد بذلك إلَّا عِظَم الملكِ وسَعَته، كما تقول: لفلانٍ ما ليسَ لأحدٍ مِن الفَضْل والمال، ورُبَّما كان للناس أمثالُ ذلك، ولكنَّك تريدُ تعظيمَ ما عنده[2]. انتهى.

ولمَّا بَالغَ في صفة هذا الملكِ الذي طَلَبه، أَتَى في صفتِه تعالى باللفظ الدَّالِّ على المبالغة، فقال: «إنَّكَ أنتَ الوهَّابُ» أي: الكثيرُ الهِبَات لا يَتعاظم عندَه[3] هبة، ولمَّا طَلَب الهبةَ التي اختصَّ بطلَبَها، وَهَبه وأعطاهُ ما ذَكَر تعالى مِن قوله: «فسَخَّرنا له الرِّيْحَ».

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٥.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٥.

(٣) هنا نهاية السقط في (د٢).

وقرأ الجمهور بالإفراد، والحسن وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر: «الرِّياح» بالجمع[١]، وهو أعمُّ، لعِظَم ملكِ سليمان، وإن كان المُفرَد بمعنى الجَمْع؛ لكونه اسمَ جنس.

«تجري» يَحتمل أنْ تكونَ جملة حاليَّةً، أي: جاريةً، وأنْ تكون تفسيريَّة لقوله: «فسخَّرنا له الريح تجري بأَمْرِه» أي: لا تمتنع عليه إذا أراد جَرْيَها.

«رُخاءً» قال ابنُ عباس والحسن والضَّحَّاك: مُطِيْعَة، وقال مجاهد: طَيِّبَة[٢].

«حيث أصاب» أي: حيث قَصَدَ وأراد، حكى الزجَّاج[٣] عن العرب: أصابَ الصوابَ فأخْطَأ الجوابَ، أي: قَصَدَ، وعن رؤبة أنَّ رَجُلَين مِن أهل اللغة قَصَداه ليَسْألاه عن هذه الكلمة، فخرجَ إليهما، فقال: أين تُصِيبان؟ فقالا: هذه طِلْبَتُنا. ويقال: أصابَ اللهُ بكَ خيراً. وأنشد الثعلبيُّ:

أَصابَ الكلامَ فَلَم يَسْتَطِع ... فَأَخْطَا الجوابَ لَدَى المفصلِ[٤]

وقال وهب: «حيث أصاب» أي: أراد[٥]، قيل: ويجوز أنْ يكونَ «أصاب» دخلت فيه همزةُ التَّعْدِية، مِن صَابَ يَصُوبُ، أي: حيث وجَّه جنودَه وجَعَلهم يَصُوبونَ صَوْبَ السحاب والمَطَر.

---

(١) ينظر زاد المسير ٧/ ١٣٩، والكشاف ٣/ ٣٧٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٢٢٣.

(٢) زاد المسير ٧/ ١٤٠، وينظر النكت والعيون ٥/ ٩٩، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٩٤-٩٦.

(٣) كذا في النسخ، والذي في الكشاف ٣/ ٣٧٥ ـ والكلام منه ـ: حكى الأصمعي. وكذا ورد في تفسير السمرقندي ٣/ ١٣٧، والنكت والعيون ٥/ ٩٩، وتفسير الرازي ٢٦/ ٢١٠، والذي ورد عن الزجاج في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٦ عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أنه قال: معناه: قَصَد. وكلامه في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٣٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦، ونقله عنه القرطبي ١٨/ ٢٠٨، وكلام الثعلبي في تفسيره ٥/ ٢٧٩، ولم نقف على البيت عند غيرهم ممَّن سبقه، وأورده السمين في الدر المصون ٩/ ٣٧٩، وابن عادل في اللباب ١٦/ ٤٢٤، وورد فيهما: الجواب، بدل: الكلام. والآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٢٩٦، وورد فيه: المعضل، بدل: المفصل.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٩٨.

وقيل: «أصاب»: أراد، بلغة حِمْيَر، وقال قتادة: بلغة هَجَر[١].

«والشياطين» معطوف على «الرِّيح»، و«كلَّ بَنَّاء وغَوَّاص» بَدَلٌ، وأتى بِبُنْيَة المُبالَغة، كما قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾، الآية [١٣ من سورة سبأ]، وقال النابغة:

إلَّا سليمانَ إذْ قال الإلهُ لَهُ ... قُمْ في البَرِيَّة فاحْدُدْها عن الفَنَد
وخَيِّس الجِنَّ إنِّي قَدْ أَذِنتُ لَهُم ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ[٢]

والمعطوفُ على العامِّ عامٌّ، فالتقدير: وكلّ غَوَّاص، أي: في البحر يَستخرجونَ له الحِلْيَة، وهو أوَّل مَن اسْتَخرَجَ الدُّرَّ[٣].

«وآخَرِيْنَ» عطفٌ على «كلّ»، فهو داخل في البَدَل، إذ هو بَدَلُ كلٍّ مِن كُلّ، بَدَل التفصيل، أي: من الجِنِّ - وهم المَرَدَةَ - سَخَّرهم له حتى قَرَنهم في الأصفاد؛ لِكُفْرهم، وقال النابغة في ذلك:

فَمَن أَطَاعَكَ فانْفَعْهُ بطاعَتِهِ ... كما أَطاعَكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومَن عَصَاكَ فعاقِبْهُ مُعاقَبَةً ... تَنْهَى الظَّلومَ ولا تَقْعُد على ضَمَدِ[٤]

وتقدَّم تفسيرُ «مُقَرَّنين في الأصفاد» في أواخِر سورة «إبراهيم» عليه السلام، وأوصاف مِن مُلْكِ سليمان في سورة «النمل»[٥].

«هذا عطاؤنا» إشارة لِمَا أعطاه اللهُ تعالى مِن المُلْكِ الضَّخم وتَسخيرِ الريح والإنسِ والجِنِّ والطيرِ، وأَمَرَهُ بأَنْ يَمُنَّ على مَن يشاء ويُمسِك عن مَن يَشاء، وَقَفَهُ

(١) تفسير القرطبي ١٨/٢٠٨، والقول الأول في عرائس المجالس ص ٢٩٥، وتفسير الثعلبي ٥/٢٧٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/٢٠٨، والبيتان للنابغة الذبياني، وهما في ديوانه ص ٣٣، والفَنَد: الخطأ في الرأي والقول، وخَيِّس: ذَلِّل، والصُّفَّاح: حجارة عراض رقاق، والعَمَد: السواري من الرخام.

(٣) الكشاف ٣/٣٧٦، وينظر النكت والعيون ٣/٤٦١، وتفسير القرطبي ١٨/٢٠٨.

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٣، وهما بيتان يليان البيتين السالفين قريباً، والأبيات من قصيدة يمدح بها النعمان.

(٥) ينظر تفسير الآية (٤٩) من سورة إبراهيم، وتفسير الآية (١٦) من سورة النمل.

على قَدْر النِّعْمَة، ثمَّ أبَاح له التصرُّفَ فيها بمشيئته، وهو تعالى قد عَلِمَ أنَّه لا يَتصرَّف إلَّا بطاعة الله. قاله الحسن وغيره[(١)]، وقال قتادة: إشارة إلى ما فَعَلَه الجنُّ، أي: «فامْنُن» على مَن شئتَ منهم، وأطلِقْه مِن وثاقه وسَرِّحه مِن خدمته، أو «أمسك» أمْرَه، كما تريد، وقال ابنُ عباس: إشارة إلى ما وَهَبه مِن النِّساء وأقْدَرَهُ عليهنَّ مِن جماعِهنَّ[(٢)]. انتهى. ولعلَّه لا يصحُّ عن ابنِ عباس[(٣)]؛ لأنَّه لم يَجْرِ هنا ذِكْرُ النِّساء، ولا ما أُوتيَ مِن القُدْرة على ذلك.

و«بغير حساب» في موضع الحال مِن «عطاؤنا» أي: هذا عطاؤنا جمًّا كثيراً لا تَكاد تَقْدِر على حَصْره، ويجوز أن يكون «بغير حساب» مِن تمام «فامْنُن» أو «أَمْسِك»، أي: لا حسابَ عليك في إعطاءِ مَن شِئْتَ أو حرمانه، أو في إطلاق مَن شئتَ مِن الشياطين أو إيثاقه.

وخَتَم تعالى قصَّته بما ذكرَ في قصَّة والدِه وهو قوله: «وإنَّ له عندنا لزُلْفى وحُسْن مآب»، وقرأ الجمهور: «وحُسْنَ مَآبٍ» بالنَّصْبِ عطفاً على «لَزُلْفَى»، وقرأ الحسن وابنُ أبي عبلة: بالرَّفْع[(٤)]، ويَقفانِ على «لَزُلْفى» ويَبْتَدِآن: «وحُسْنُ مآب»، وهو مبتدأ خبرُه محذوف، تقديره: وحُسْنُ مآبٍ له.

❁ ❁ ❁

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٠٦، وتفسير القرطبي ١٨/٢٠٩ وعزاه الأخير للحسن والضحاك وغيرهما، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/٩٩.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٥٠٦، وينظر تفسير القرطبي ١٨/٢٠٩، وأثر قتادة وابنِ عباس عند الطبريّ ٢٠/١٠٠، وفي إسنادِ ابنِ عباس: سعد بن طريف الإسكاف الحَذَّاء الحنظلي الكوفي، وهو ضعيف أو متروك، تنظر ترجمته في تهذيب الكمال.

(٣) ينظر التعليق السابق.

(٤) لم نقف على القراءة عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/٣٨٠، وابنُ عادل في اللباب ١٦/٤٢٦، والآلوسي في روح المعاني ٢٣/٣٠٠.

إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾
وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ
﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا
يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا
تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ
﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ
﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ
أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ
﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ
ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ
ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ
عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ
﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾
وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾
وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾.

المفردات

الضِّغْثُ: حُزْمَةٌ صغيرةٌ مِن حشيشٍ أو رَيْحان أو قُضْبان، وقيل: القَبْضَةُ الكبيرة مِن القُضْبان، ومنه قولهم: ضِغْثٌ على إِبَّالَة[1]، والإبَّالة: الحُزْمَة مِن الحَطَب، والضِّغْث: القَبْضَةُ عليها مِن الحَطَب أيضاً، ومنه قول الشاعر:

(١) مَثَل يُضرَب لمن حَمَّلك مكروهاً ثم زادك عليه. مجمع الأمثال ١/ ٤١٩، والمستقصى ٢/ ١٤٨.

وأسفلَ منّي نَهْدَةٌ قد ربطتُها وأَلقيتُ ضِغْثاً مِن خَلًى مُتطيَّبِ[(١)]

الحِنْثُ: فِعْلُ ما حَلَفَ على تَرْكه، وتَرْكُ ما حَلَف على فِعْلِه.

الغَسَّاقُ: ما سَالَ[(٢)]، يقال: غَسَقَتِ العَيْنُ والجُرْحُ، وعن أبي عُبَيْدة أيضاً أنَّه البارِدُ المُنْتِن، بلغة التُّرْك[(٣)]، وقال الأزهريُّ: الغاسِق: البارِد، ولهذا قيل للَّيْلِ: غَاسِقٌ؛ لأنَّه أبردُ مِن النهار.

الاقْتِحام: ركوبُ الشِّدَّة والدُّخول فيها، والقَحْمَةُ: الشِّدَّةُ[(٤)].

* * *

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾.

التفسير

لمَّا أَمَرَ نبيَّه بالصَّبْر وذَكَر ابتلاءَ داود وسليمان وأثنى عليهما، ذَكَر مَن كان أشدَّ ابتلاءً منهما وأنَّه كان في غاية الصَّبْر بحيث أثنى اللهُ عليه بذلك.

و«أيوب» عطفُ بيان أو بَدَل، قال الزمخشريُّ: و«إذ» بَدَلُ اشتمالٍ منه، وقرأ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٠٨، والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٨٥ وعزاه لعوف بن الخَرِع، ونَقَله عنه الطبريُّ ٢٠/١١١.
(٢) زاد المسير ٧/١٥٠، وعزاه لأبي عبيدة، وما بعده منه أيضاً.
(٣) زاد المسير ٧/١٥٠، ونُسِبَ الكلام في مطبوعه لغير أبي عبيدة، وذلك بإضافة لفظة: [غيره] بين حاصرتين، والكلامُ نَقَله عنه ابن قتيبة بقوله: لم يكن أبو عبيدة يذهب إلى أنَّ في القرآن شيئاً من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتِّفاق يقع بين اللغتين، وكان [غيره]... إلى آخر الكلام. وكلامُ ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب ص ٤٩٦، وكذا نقله عنه الجواليقي في المعرَّب ص ٢٨٣، فالصواب عزو الكلام المذكور أعلاه لغير أبي عبيدة، والله تعالى أعلم.
(٤) الكشاف ٣/٣٧٩.

الجمهور: «أَنِّي» بفتح الهمزة، وعيسى بكسرها[1]، وجاء بضمير التَّكَلُّم؛ حكايةً لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يَحْكِ لقال: إنَّه مسَّه؛ لأنَّه غائب.

وأسندَ المسَّ إلى الشيطان، قال الزمخشريُّ: لمَّا كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وَسوس سبباً فيما مسَّه الله به مِن النَّصَب والعذابِ نَسَبَهُ إليه، وقد رَاعَى الأدبَ في ذلك حيث لم يَنْسِبْه إلى الله في دعائه، مع أنَّه فاعله ولا يَقْدِر عليه إلَّا هو، وقيل: أَراد ما كان يُوسوس به إليه في مرضه مِن تعظيم ما نزل به مِن البَلَاء، فالتَجأَ إلى الله في أَنْ يكفيه ذلك بكَشْف البلاء أو بالتوفيق في دَفْعه ورَدِّه بالصَّبْر الجميل، وذُكِرَ في سبب بلائِهِ أنَّ رجلاً استغاثَهُ على ظالم فلم يُغِثْهُ، وقيل: كانت مواشيه في ناحية مَلِكٍ كافر، فداهَنَهُ ولم يَغْزُهُ، وقيل: أُعجِبَ بكثرة ماله[2]. انتهى.

ولا يُناسِب مناصبَ الأنبياء ما ذَكَر الزمخشريُّ مِن أنَّ أيوبَ كانت منه طاعةٌ للشيطان فيما وَسوس به، وأنَّ ذلك كان سبباً لِمَا مسَّه اللهُ به مِن النُّصْب والعذاب، ولا أنَّ رجلاً استغاثه على ظالم فلم يُغثه، ولا أنَّه دَاهَنَ كافراً، ولا أنَّه أُعجبَ بكثرة ماله، وكذلك مارَوَوْا مِن أنَّ الشَّيطانَ سَلَّطه اللهُ عليه حتى أذهب أَهْلَه ومالَه، لا يُمكن أَنْ يَصِحَّ، ولا قدرةَ له على البَشَر إلَّا بإلقاءِ الوَساوس الفاسدةِ لغيرِ المعصوم.

والذي نقول أنَّه تعالى ابْتَلَى أيوبَ عليه السلام في جَسَدِه وأهلِهِ ومالِه على ما رُويَ في الأخبار، وروى أنس عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ أيوب بَقِيَ في محنته ثماني عَشْرة سنةً يَتساقط لحمُه حتى ملَّه العالَم ولم يَصبر عليه إلَّا امرأته»[3]، ولم يُبَيِّن لنا تعالى السببَ المقتضي لعلَّته.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٠٧، ونقلها عنه القرطبي ١٨/٢١٠، وأوردها أيضاً النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٦٤.

(٢) الكشاف ٣/٣٧٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٠، والمحرر الوجيز ٤/٥٠٦-٥٠٧، وتفسير القرطبي ١٨/٢١٢-٢١٥.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٥٠٧، والحديث عند أبي يعلى (٣٦١٧)، والبزار (٢٣٥٧ ـ كشف الأستار)، والطبري في تفسيره ٢٠/١٠٩-١١٠، وابن حبان (٢٨٩٨)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٥١٠-٥١١، وقال: وهذا غريب رَفْعه جدًّا، والأشبه أن يكون موقوفاً. وأورده أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٠٨، وقال: رواه أبو يعلى والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح.

وأمَّا إسنادُه المسَّ إلى الشيطان؛ فسَبَب ذلك أنَّه كان يَعوده ثلاثةٌ مِن المؤمنين، فارتدَّ أحدُهم، فسَأَل عنه، فقيل: أَلقى إليه الشيطانُ أنَّ اللهَ لا يَبتلي الأنبياءَ والصالحين، فحينئذ قال: «مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ» نزَّل لِشَفَقته على المؤمنين مسَّ الشيطانِ ذلك المؤمنَ حتى ارتدَّ مسًّا لنفسه؛ لأنَّ الخَيِّر يتألَّم برجوع الخَيِّر المؤمن إلى الكفر، ولذلك جاء بَعْدَهُ: «ارْكُض برِجْلِك» حتى يغتسلَ ويذهبَ عنه البلاءُ، فلا يرتدّ أَحَدٌ مِن المؤمنين بسبب طُول بلائِه، وتسويلِ الشيطان أنَّه تعالى لا يَبتلي الأنبياء.

وقيل: أَشار بقوله: «مَسَّني الشيطان» إلى تعريضه لامرأتِهِ وطَلَبِه أَنْ تُشْرِكَ بالله، فكأنَّه تَشكَّى هذا الأَمْرَ، وكان عليه أشدَّ مِن مَرَضه[١].

وقرأ الجمهور: «بِنُصْب» بضمِّ النون وسكونِ الصَّاد، قيل: جَمْع: نَصَب، كوَثَن ووُثْن، وأبو جعفر وشيبة، وأبو عمارة عن حفصٍ، والجعفيُّ عن أبي بكر، وأبو معاذ عن نافع: بضَّمتين[٢]، وزيد بن عليّ والحسن والسُّدِّيّ وابنُ أبي عبلة ويعقوب والجحدريُّ: بفتحتين[٣]، وأبو حيوة ويعقوب ـ في رواية ـ وهبيرة عن حفصٍ: بفتحِ النون وسكون الصاد[٤].

وقال الزمخشريُّ: النُّصْب والنَّصَب كالرُّشد والرَّشَد، والنَّصب على أصلِ المصدر، والنُّصُب تَثقيلُ: نُصْب، والمعنى واحد، وهو التَّعَب والمشقَّة، والعَذَابُ الأَلَمُ، يريد مرضَه وما كان يُقاسِي فيه مِن أنواعِ الوَصَب[٥]. انتهى.

وقال ابنُ عطيَّة، وقد ذَكَر هذه القراءاتِ: وذلك كلُّه بمعنًى واحد، معناه: المشقَّة، وكثيراً ما يُستَعمل النَّصَب في مشقَّة الإعياء، وفرَّق بعضُ الناسِ بين هذه

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، وينظر زاد المسير ٧/ ١٤٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢١٢.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٧٩، وزاد المسير ٧/ ١٤٢، وتفيسر القرطبي ١٨/ ٢١١، ورواية أبي عمارة، عن حفص، عن عاصم في السبعة ص ٥٥٤، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦١، وهي أيضاً في القراءات الشاذة ص ١٣٠ وزاد معه: الحسن.
(٣) تنظر المصادر الآنفة الذكر، وقراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٦١.
(٤) تنظر المصادر السالفة، وقراءة هبيرة، عن حفص، عن عاصم في السبعة ص ٥٥٤، ورواية أبي جعفر عند القرطبي ١٨/ ٢١١.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٧٦.

الألفاظ، والصواب أنَّها لغاتٌ بمعنًى، مِن قولهم: أَنْصَبَني الأَمْرُ[١]: إذا شقَّ عليَّ. انتهى.

وقال السُّدِّيّ: «بنصبٍ» في الجسد «وعذاب» في المال[٢]، وفي الكلام حذف، تقديره: فاسْتَجَبْنا له، وقلنا: ارْكُض برِجْلِك، فرَكَضَ فنَبَعت عينٌ، فقلنا له: «هذا مغتسلٌ باردٌ وشَرَابٌ» فيه شفاؤك، فاغْتَسَل فَبَرِئَ، «ووَهَبْنا له»، ويدلُّ على هذه المحذوفاتِ معنى الكلام وسِيَاقُه، وتقدَّم الكلام في الركض في سورة «الأنبياء»[٣]، وعن قتادة والحسن ومقاتل: كان ذلك بأرض الجَابِيَة مِن الشَّام[٤].

ومعنى: «هذا مغتسل» أي: ما تغتسل به «وشَرَابٌ» أي: ما تَشْرَبه، فبِاغْتِسَالك يَبْرَأُ ظاهرُك، وبِشُرْبِكَ يَبْرَأُ باطنُك، والظاهر أنَّ المُشار إليه كان واحداً وهو العينُ التي نَبَعَت بضَرْبه، اغتسلَ منها وشربَ، وقيل: نبعت له عينان شَرِبَ مِن إحداهما، واغتسلَ مِن الأُخرى.

وقيل: ضَرَب برِجْله اليُمنى فنَبَعت عينٌ حارَّةٌ فاغتسلَ منها، وباليسرى فنَبَعَت باردة فشَرِب منها[٥]، وهذا مخالِفٌ لظاهر قوله: «هذا مغتسلٌ باردٌ» فإنَّه يدلُّ على أنَّه ماءٌ واحدٌ.

وقيل: أُمِرَ بالرَّكْضِ بالرِّجْلِ ليتناثَرَ عنه كلُّ داءٍ بجسده. وقال القتبيُّ: المُغتَسَل: الماءُ الذي يُغتَسَل به[٦].

وقال مقاتل: هو الموضع الذي يغتسلُ فيه، وقال الحسن: رَكَضَ برِجْلِه فنَبَعَت

(١) بعدها في المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧: ونصبني.
(٢) أخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٠٧، وأخرجه أيضاً عن قتادة ٢٠/ ١٠٦.
(٣) عند تفسير الآية (١٢) و(١٣) منها.
(٤) النكت والعيون ٥/ ١٠٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، والكشاف ٣/ ٣٧٦، وتفسير النيسابوري ٢٣/ ١٠٠، عن قتادة، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٠٧، وقول الحسن في النكت والعيون ٥/ ١٠٢ لكن عن كيفية اغتساله، وقول مقاتل فيه أيضاً لكن في المراد من المغتسل، وسيأتيان قريباً. والجابية: قرية من أعمال دمشق، ثُمَّ من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران. معجم البلدان ٢/ ٩١.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، والكشاف ٣/ ٣٧٦-٣٧٧.
(٦) تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٦، وكلام القتبي في كتابه تفسير غريب القرآن ص ٣٨٠.

عينُ ماءٍ، فاغتسلَ منها، ثم مَشَى نحواً مِن أربعينَ ذراعاً، ثمَّ رَكَضَ برِجْلِه فنَبَعَت عينٌ فشربَ منها[1].

قيل: والجمهور على أنَّه رَكَضَ رَكْضَتَيْن فنَبَعَت له عينان، اغتسل من واحدة، وشَرِبَ مِن أُخرى، والجمهور على أنَّه تعالى أحيا له مَن مات مِن أهله وعافَى المرضى وجَمَعَ عليه مَن شُتِّتَ منهم.

وقيل: رَزَقَهُ أولاداً وذُرِّيَّةً قَدْرَ ذُرِّيَّته الذين هَلَكوا، ولم يَرُدَّ أهلَه الذين هَلَكوا بأعيانهم، وظاهر هذه الهبة أنَّها في الدنيا، وقيل ذلك وَعْدٌ، وتكون تلك الهبة في الآخِرة، وقيل: وَهَبَهُ مَن كان حيًّا منهم، وعافَاهُ مِن الأسقام، وأرغدَ لهم العيشَ، فتناسلوا حتى تضاعَفَ عَدَدُهم، وصار مِثْلَهم.

و«رحمة» و«ذكرى» مفعولانِ لهما، أي: إنَّ الهِبَةَ كانت لرحمتنا إيَّاه، وليتذكَّر أربابُ العقولِ ما يَحصُل للصابر مِن الخير، وما يَؤُول إليه مِن الأَجْرِ.

وفي الكلام حَذْفٌ، تقديره: وكان حَلَفَ: لَيَضْرِبَنَّ امرأتَه مئةَ ضربة؛ لسببٍ جَرَى منها، وكانت محسنةً له، فجعلنا له خلاصاً مِن يمينه بقولِنا: «وخُذْ بيدِك ضِغْثاً» قال ابنُ عباس: الضِّغْث: عِثْكال النَّخْل، وقال مجاهد: الأَثْلُ، وهو نَبْتٌ له شَوك. وقال الضَّحَّاك: حُزْمَةٌ مِن الحشيش مختلفة، وقال الأخفش: الشَّجَر الرَّطْبُ[2].

واختلفوا في السبب الذي أَوجبَ حَلِفَه، ومحصولُ أقوالِهم هو تمثُّل الشيطانِ لها في صورة ناصحٍ أو مُدَاوٍ، وعَرض لها بشفاء أيوب على يَدَيْه، على شَرْطٍ لا يُمكِن وقوعُه مِن مؤمنٍ، فذَكَرت ذلك له، فعَلِمَ أنَّ الذي عَرض لها هو الشيطان، وغَضِبَ لعَرْضِها ذلك عليه، فحَلَفَ، وقيل غير ذلك مِن الأسباب[3]، وهي

---

(١) قول مقاتل في النكت والعيون ٥/١٠٢، وقول الحسن عند ابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٤٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٦/ ٣٦٤-٣٦٥ مطوَّلاً، و٢٠/١٠٨ مختصراً.

(٢) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٠٣، والمحرر الوجيز ٤/٥٠٨، وزاد المسير ٧/ ١٤٤، وتفسير القرطبي ١٨/٢١٨، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ١١١-١١٣ مع الإشارة إلى أنَّ قولَ مجاهد: هو الأَثْلُ، أخرجه الطبريُّ ٢٠/ ١١٢ عنه، عن ابن عباس ﵄.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/٥٠٨، وزاد المسير ٧/١٤٣-١٤٤، وتفسير القرطبي ١٨/٢١٧-٢١٨، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبري ٢٠/ ١١٠ وما بعدها.

متعارضة، فحَلَّل اللهُ يمينَه بأهونِ شيءٍ عليه وعليها؛ لحُسْنِ خدمتها إيَّاه ورضاهُ عنها.

وقد وَقَعَ مِثْلُ هذه الرُّخصة في الإسلام؛ أُتيَ رسولُ الله ﷺ بمُخْدَجٍ قد خَبَثَ بأَمَةٍ، فقال: «خُذُوا عِثْكالاً فيه مئةُ شِمْرَاخٍ، فاضْرِبُوه بها ضَرْبَةً»، وقالَ بذلكَ بعضُ أهلِ العِلْم في الأَيْمان، قال: ويَجِبُ أَنْ يُصيبَ المضروبَ كلُّ واحدٍ مِن المئة إمَّا أطرافها قائمة، وإمَّا أعراضها مبسوطة، مع وجودِ صورةِ الضربة[١].

والجمهور على تَرْك القول به في الحدود وأنَّ البِرَّ في الأَيْمان لا يَقَعُ إلَّا بإتمامِ عَدَدِ الضَّرَبات[٢].

ووَصَفَ اللهُ تعالى نبيَّه أيوب بالصَّبْرِ، وقد قال: «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» فدلَّ على أنَّ الشكوى إلى الله تعالى لا تُنافي الوَصْفَ بالصَّبْر، وقد قال يعقوبُ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] على أنَّ أيوبَ عليهِ السلام طَلَب الشفاءَ خِيْفَةً على قومِه أَنْ يُوَسْوِسَ إليهم الشيطانُ أنَّه لو كان نبيًّا لم يُبْتَلَ، وتألُّفاً لقومه على الطاعة، وبَلَغَ أَمْرُه في البلاء إلى أنَّه لم يَبْقَ منه إلَّا القلب واللسان، ويُروى أنَّه قال في مناجاته: إلهي، قد علمتَ أنَّهُ لم يُخالف لساني قلبي، ولم يتبعْ قَلْبي بَصَري، ولم يَهَبْنِي[٣] ما ملكت يميني، ولم آكُل إلَّا ومعي يتيم، ولم أَبتْ شَبْعانَ ولا كاسياً ومَعي جائعٌ أو عريان، فكَشَفَ اللهُ عنه.

وقرأ ابنُ عباس وابنُ كثير وأهلُ مكَّة: «عبدنا» على الإفراد، و«إبراهيم» بَدَل

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٧، والحديث المرفوع عند أبي داود (٤٤٧٢)، والنسائي في الكبرى (٧٢٦٨)، وأحمد (٢١٩٣٥)، من حديث سعيد بن سعد بن عبادة ﷺ، ويُنظر ثمَّة تتمة تخريجه والاختلافُ بوصله وإرساله، وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ص ١٤٢، والمُخْدَج: ناقص الخَلْق. النهاية (خدج).

(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٨-٢٢٠، وأحكام القرآن للهراسي ٤/ ٣٦١، ولابن العربي ٤/ ١٦٣٩-١٦٤٠.

(٣) من الهَيْبَة، أي: لم يَخفْني. كذا ورد بهامش مخطوط الكشاف الورقة (٢٣٦)، والكلام من الكشاف ٣/ ٣٧٧.

منه، أو عطف بيان، والجمهور على الجمع[١]، وما بَعْدَهُ مِن الثلاثة بَدَل أو عطفُ بيان.

وقرأ الجمهور: «أُولي الأَيدِي» بالياء، قال ابنُ عباس ومجاهد: أي: القوَّة في طاعة الله، وقيل: إحسانهم في الدِّين، وتقدُّمهم عندَ اللهِ على عَمَلِ صِدْقٍ، فهي كالأيدي، وهو قريب مما قبله، وقيل: النِّعَم التي أَسْدَاها اللهُ إليهم مِن النُّبُوَّة والمكانة. وقيل: «الأيدي»: الجوارح المتصرِّفة في الخير، و«الأبصار» الثَّاقِبَة فيه[٢].

وقال الزمخشريُّ: لمَّا كانت أكثرُ الأعمالِ تُباشَر بالأيدي، غُلِّبت، فقيل في كلِّ عملٍ: هذا ممَّا عَملت أيديهم، وإن كان عملاً لا يتأتَّى فيه أو كان العُمَّالُ جُذَّماً لا أَيديَ لهم، وعلى ذلك وَرَدَ قولُه عزَّ وعَلَا: «أُولي الأيدي والأبصار» يريد: أُولي الأعمال والفِكر، كأنَّ الذين لا يَعملون أعمالَ الآخِرَة ولا يُجاهدون في اللهِ ولا يُفكِّرون أفكارَ ذوي الدِّيانات، ولا يَستبصرونَ، في حُكْم الزَّمْنَى الذينَ لا يَقدرونَ على إعمالِ جوارِحِهم والمَسْلُوبي العقول الذين لا استبصارَ بهم، وفيه تعريضٌ بكلِّ مَن لم يكن مِن عُمَّال اللهِ ولا مِن المُستبصرين في دِيْنِ اللهِ، وتوبيخٌ على تَرْكِهم المجاهدةَ والتأمُّلَ مع كونهم متمكِّنين منها[٣]. انتهى. وهو تكثير.

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: اليَدُ آلةٌ لأكثرِ الأعمال، والبَصَر آلةٌ لأقوى الإدراكات، فحَسُنَ التعبيرُ عن العمل باليَدِ، وعن الإدراك بالبَصَر، والنَّفْسُ الناطقةُ لها قوَّتان؛ عاملةٌ وعالِمَةٌ، فـ «أُولي الأيدي والأبصار» إشارةٌ إلى هاتين الحالتين[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٠٨، وينظر زاد المسير ٧/١٤٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٣، وقراءة ابنِ عباس أخرجها عنه الطبريُّ ٢٠/ ١١٤، وقراءة ابن كثير في السبعة ص ٥٥٤، والتيسير ص ١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦١.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٥٠٩، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ١١٤-١١٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٧٧.

(٤) تفسير الرازي ٢٦/ ٢١٦-٢١٧.

وقرأ عبد الله والحسن وعيسى والأعمش: «الأَيْدِ» بغير ياء[١]، فقيل: يُراد «الأيدي» حذفَ الياء، واجْتزأ بالكسرة عنها، ولمَّا كانت «أل» تُعاقِب التنوينَ، حُذفت الياءُ معها، كما حُذفت مع التنوينِ[٢]، وهذا تخريجٌ لا يَسوغ؛ لأنَّ حَذْفَ هذه الياء مع وجودِ «أل» ذَكَره سِيبويه في الضرائر[٣].

وقيل: «الأَيْدي» القُوَّة في طاعة الله، و«الأَبصار» عبارةٌ عن البَصَائر التي يُبصِرون بها الحقائقَ ويَنظرونَ بنورِ الله تعالى[٤].

وقال الزمخشريُّ: وتفسيره «الأَيْد» مِن التأييدِ قَلِقٌ غيرُ متمكِّن[٥]. انتهى. وإنَّما كان قَلِقاً عندَه لعَطْف «الأبصار» عليه، ولا ينبغي أنْ يقلق؛ لأنَّه فسَّر «أُولي الأيدي والأَبصار» بقوله: يُريد: أُولي الأعمالِ والفِكر.

وقرئ: «الأيادي» جَمْع الجَمْع[٦]، كأَوْطُب وأَوَاطِب[٧].

وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج ونافع وهشام: «بخالِصَةِ» بغيرِ تنوين أضيفت إلى «ذكرى»، وقرأ باقي السبعة بالتنوين، و«ذكرى» بَدَل مِن «بخالصة»[٨].

وقرأ الأعمش وطلحة: «بخالصتهم»[٩].

و«أخلصناهم» جَعَلْناهم لنا خَالِصِين، و: خَالِصَة، يَحتمل ـ وهو الأظهر ـ أن

---

(١) ينظر زاد المسير ٧/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣٣.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩.
(٣) الكتاب ٤/ ١٩٠-١٩١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٧٨.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٧٧.
(٧) الوَطْبُ: سقاءُ اللَّبن. والجمع: أوطُب، ووِطاب، وأوطاب، وجمع الجمع: أواطب. القاموس (وطب).
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٥، وقراءة نافع وهشام عن ابنِ عامر في السبعة ص ٥٥٤، والتيسير ص ١٨٨، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦١.
(٩) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩، والكشاف ٣/ ٣٧٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠ عن الأعمش.

يكون اسمَ فاعلٍ، عبّر به عن مزيّة أو رُتْبة أو خَصْلة خَالِصَة لا شوبَ فيها، ويحتمل أن يكون مصدراً كالعَاقِبة، فيكون قد حذفَ منه الفاعل، أي: أخلصناهم بأَنْ أَخْلَصُوا ذِكْرى الدَّار، فيكون «ذكرى» مفعولاً، أو: بأَنْ أخلصناهم ذِكرى الدَّار، أو يكون الفاعلُ «ذكرى»، أي: بأَنْ خَلَصَت لهم ذِكْرَى الدَّار، و«الدار» في كلِّ وَجْهٍ في موضع نَصب بـ «ذكرى»، و«ذكرى» مصدرٌ، و«الدَّار» دارُ الآخِرَة.

قال قتادة: المعنى: بأَنْ خَلَص لهم التذكيرُ بالدارِ الآخِرَة ودعاء الناس إليها وحَضّهم عليها. وقال مجاهد: خَلَصَ لهم ذِكْرُهم الدارَ الآخِرَة وخوفُهم لها، والعَمَلُ بحسَب ذلك، وقال ابنُ زيد: وَهَبْنا لهم أَفْضَلَ ما في الدَّارِ الآخِرَة، وأَخْلَصْناهم به، وأعطيناهم إيَّاه، وقال ابنُ عطيَّة: ويحتمل أنْ يُريد بالدَّار دارَ الدُّنيا، على معنى ذِكْر الثناء والتعظيم مِن الناس، والحمد الباقي الذي هو الخُلْد المَجَازِي، فتَجِيْءُ الآية في معنى قوله: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [مريم: ٥٠] وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾[١] [الصافات: ٧٨]. انتهى.

وحكى الزمخشريُّ هذا الاحتمالَ قولاً، فقال: وقيل: «ذِكْرى الدَّار»: الثناءُ الجميلُ في الدنيا، ولسانُ الصِّدْق[٢]. انتهى.

والباء في «بخالصة» باءُ السَّبَب، أي: بسبب هذه الخَصْلة، وبأنَّهم مِن أهلها، ويَعضُده قراءةُ «بخالِصَتهم»[٣].

«وإنَّهم عندنا لَمِنَ المُصْطَفَين» أي: المختارِين مِن بينِ أبناءِ جِنْسِهم «الأخيار» جمع: خَيِّر وخَيْر، كَميِّت ومَيْت وأموات، وتقدَّم الكلامُ في «اليَسَع» في سورة «الأنعام»، وذي الكفل في سورة «الأنبياء»[٤].

و«عندنا» ظرفٌ معمول لمحذوف دلَّ عليه «المُصطفين»، أي: وإنَّهم مُصْطَفونَ عندنا، أو معمول للمصطفين وإن كان بـ «أل»؛ لأنَّهم يَتَسمَّحون في الظَّرف

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ١١٧-١١٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٨.
(٣) وهي قراءة الأعمش وطلحة، كما مَرَّ تخريجها قريباً.
(٤) ينظر تفسير الآية (٨٦) من سورة الأنعام، و(٨٥) من سورة الأنبياء.

والمجرور ما لا يَتَسمَّحون في غيرهما، أو على التَّبيين، أي: أعني عندنا، ولا يَجوز أن يكون «عندنا» في موضع الخبر، ويَعني بالعنديَّة المكانة، و«لَمِنَ المصطفين» في موضع خبرٍ ثانٍ لوجودِ اللام، لا يَجوز: إنَّ زيداً قائمٌ لَمنطلق، و«كلٌّ» أي: وكلُّهم «مِن الأخيار».

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

لمَّا أَمَرَه تعالى بالصَّبْر على سفاهَةِ قومِه، وذَكَر جملةً مِن الأنبياء وأحوالِهم، ذَكَر ما يَؤُول إليه حالُ المؤمنين والكافرين مِن الجزاء، ومَقَرّ كلٍّ واحدٍ مِن الفريقين، ولمَّا كان ما يَذكُره نوعاً مِن أنواعِ التنزيل، قال: «هذا ذِكْرٌ» كأنَّه فَصَلَ بينَ ما قَبْلَه وما بَعْدَه، أَلَا ترى أنَّه لمَّا ذَكَر أهلَ الجنَّة وأعقبه بذِكْر أهلِ النار، قال: «هذا وإنَّ للطاغين»، وقال ابنُ عباس: هذا ذِكْر مَن مَضى مِن الأنبياء[1]، وقيل: «هذا ذِكْرٌ» أي: شَرَفٌ تُذكَرون به أبداً.

وقرأ الجمهور: «جنَّاتِ» بالنَّصب، وهو بَدَل، فإن كان «عَدْن» عَلَماً، فبَدَلُ معرفة مِن نكرة، وإن كان نكرةً فبَدَلُ نكرةٍ مِن نكرةٍ.

وقال الزمخشريُّ: «جنات عدن» معرفة لقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [مريم: ٦١] وانتصابُها على أنَّها عطفُ بيان لـ «حُسْن مآب»، و«مُفتَّحة» حال، والعامل فيها ما في «للمتَّقين» مِن معنى الفِعْل، وفي «مُفتَّحة» ضميرُ الجنَّات، و«الأبواب»

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٨.

بَدَل مِن الضمير، تقديره: مُفتَّحة هي الأبوابُ، كقولهم: ضُرِبَ زيدٌ اليَدُ والرِّجْلُ، وهو مِن بَدَل الاشتمال(١). انتهى.

ولا يتعيَّن أن يكون «جنَّات عَدْن» معرفة بالدليل الذي استدلَّ به، وهو قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي﴾ لأنَّه اعتقد أنَّ «التي» صفة لـ «جنَّات عَدْن»، ولا يتعيَّن ما ذَكَره؛ إذ يجوز أَنْ تكون «التي» بدلاً مِن «جنَّات عَدْن»، أَلَا ترى أنَّ «الذي» و«التي» وجموعَهما تُستَعمل استعمالَ الأسماء، فتَلِي العواملَ، فلا يَلزم أَنْ تكون صفةً.

وأمَّا انتصابُها على أنَّها عطفُ بيان، فلا يجوز؛ لأنَّ النَّحويين في ذلك على مذهبَيْن:

أحدهما: أنَّ ذلك لا يكون إلَّا في المعارف، فلا يكون عطف البيان إلَّا تابعاً لمعرفة، وهو مذهب البصريين.

والثاني: أنَّه يَجوز أَنْ يكون في النَّكِرات، فيكون عطفُ البيان تابعاً لنكرة، كما تكون المعرفةُ فيه تابعةً لمعرفة، وهذا مذهب الكوفيين، وتَبِعَهم الفارسيُّ.

وأمَّا تخالفهما في التنكير والتعريف، فلم يَذهَب إليه أَحَدٌ سوى هذا المصنِّف، وقد أَجازَ ذلك في قوله: ﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ [آل عمران:٩٧] فأَعْرَبَه عطفَ بيانٍ تابعاً لنَكِرة، وهو «آياتٌ بيِّنات»، و«مقام إبراهيم» معرفة(٢)، وقد رَدَدْنا عليه ذلك في موضعه في «آل عمران»(٣).

وأمَّا قوله: وفي «مُفتَّحة» ضمير الجنَّات؛ فجمهورُ النحويين أَعربُوا «الأبواب» مفعولاً لم يُسَمَّ فاعله، مرفوعاً بـ «مفتَّحة»، وجاء أبو عليٍّ فقال: إذا كان كذلك لم يَكن في ذلك ضميرٌ يَعودُ على «جنَّات عَدن» مِن الحال إن أعربَ «مفتَّحة» حالاً، أو مِن النَّعْت إن أعربَ نعتاً لـ «جنَّات عَدْن»، فقال: في «مفتَّحة» ضميرٌ يَعود على «الجنَّات»، حتى ترتبطَ الحالُ بصاحبها، أو النعتُ بمنعوتِه.

(١) المصدر السابق.
(٢) ينظر الكشاف ١/ ٤٤٧-٤٤٨، ونقله عنه ابنُ مالك في كتابه شرح التسهيل ٣/ ٢١٤.
(٣) عند تفسير الآية (٩٧) منها.

و«الأبواب» بَدَل، وقال مَن أعربَ «الأبواب» مفعولاً لم يُسَمَّ فاعلُه: العائدُ على الجنَّات محذوفٌ تقديره: الأبوابُ منها، وألزمَ أبو علي أنَّ البَدَل في مِثْلِ هذا لا بُدَّ فيه مِن الضمير، إمَّا ملفوظاً به، أو مُقدَّراً، وإذا كان الكلام مُحتاجاً إلى تقديرٍ واحدٍ، كان أَولى ممَّا يَحتاجُ إلى تقديرَيْن، وأمَّا الكوفيون؛ فالرابطُ عندهم هو «أل» لمقامه مقامَ الضمير، فكأنَّه قال: مفتَّحة لهم أبوابُها.

وأمَّا قوله: وهو مِن بَدَل الاشتمال، فإن عَنَى بقوله: وهو قوله: اليَد والرِّجْل، فهو وَهم، وإنَّما هو مِن بَدَل بعضٍ مِن كُلٍّ، وإن عَنَى الأبواب، فقد يَصحُّ؛ لأنَّ أبواب الجنَّات ليست بعضاً مِن الجنَّات.

وأمَّا تشبيهه ما قدَّره مِن قوله: «مفتَّحة» هي الأبواب، بقولهم: ضُرِبَ زيدٌ اليَدُ والرِّجْلُ، فوَجْهه أنَّ الأبواب بَدَل مِن ذلك الضمير المستكنّ، كما أنَّ اليَدَ والرِّجْلَ بَدَلٌ مِن الظاهر الذي هو: زيد.

وقال أبو إسحاق وتَبِعَه ابنُ عطيَّة: «مفتَّحة» نعت لـ «جنَّات عَدْن»[1].

وقال الحوفيُّ: «مفتَّحة» حالٌ، والعامل فيها محذوفٌ يدلُّ عليه المعنى، تقديره: يَدْخُلونها.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ وعبد الله بنُ رفيع وأبو حيوة: «جنَّاتُ عَدْن مُفتَّحةٌ» برَفْع التاءين[2]، مبتدأ وخبر، أو كلٌّ منهما خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو «جنَّات عَدْن» هي «مُفتَّحةٌ».

والاتِّكاء مِن هيئات أهلِ السعادة «يَدْعُونَ فيها» يدلُّ على أنَّ عندَهم مَن يَستخدمُونَه فيما يَستدعونَ، كقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان:١٩] ولمَّا كانت الفاكهةُ تَتنوَّع، وَصَفَها بالكَثْرة، وكَثْرَتُها باختلافِ أنواعِها، وكَثْرة كلِّ نوعٍ منها، ولمَّا كان الشَّرابُ نوعاً واحداً ـ وهو الخمر ـ أُفرِدَ.

---

(١) كلامُ ابنِ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥١٠، والذي في معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج ٤/ ٣٣٧: ومعنى «مفتَّحة لهم الأبواب» أي: منها. وكذا نَقَل عنه القرطبي ١٨/ ٢٢٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٨-٣٧٩ دون عزوٍ، وما بعده منه أيضاً، وأوردها أيضاً كذلك الرازي ٢٦/ ٢١٩، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠ عن عبد العزيز بن رفيع وأبي حيوة.

«وعندَهم قاصراتُ الطَّرْفِ» قال قتادة: معناه: على أزواجهنَّ[١]، «أَتْرابٌ» أي: أَمْثَالٌ على سِنٍّ واحدةٍ، وأصله في بني آدم؛ لكونِهم مَسَّ أجسادَهم الترابُ في وقتٍ واحد، والأقران أَثبتُ في التَّحابّ.

والظاهر أنَّ هذا الوصفَ هو بينهنَّ، وقيل: بينَ أزواجهنَّ، أسنانُهُنَّ كأسنانِهم، وقال ابنُ عباس: يريد الآدمِيَّات[٢]، وقال صاحب «الغنيان»: حُورٌ.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: «هذا ما يُوعَدُونَ» بياء الغيبة، إذ قَبْلَه «وعندهم»، وباقي السبعة بتاء الخطاب على الالتفات[٣]، والمعنى: هذا ما وَقَعَ به الوعدُ ليومِ الجَزَاء.

«إنَّ هذا» أي: ما ذكرَ للمتَّقين ممَّا تقدَّم «لَرِزْقُنا» دائماً، أي: لا نفادَ له.

«هذا وإنَّ للطَّاغينَ لَشَرَّ مَآبٍ» قال الزجَّاجُ: أي: الأَمْرُ هذا[٤]، وقال أبو عليٍّ: هذا للمؤمنين، وقال أبو البقاء: مبتدأٌ محذوفُ الخبر، أو خبرٌ محذوفُ المبتدأ[٥].

والطاغون هنا الكُفَّار، وقال الجُبَّائيُّ: أصحابُ الكبائر كفاراً كانوا أو لم يكونوا. وقال ابنُ عباس: المعنى: الذين طَغَوا عليَّ، وكَذَّبوا رُسُلي، لهم شَرّ مآب، أي: مَرْجِع ومَصِير[٦].

«فبئسَ المِهَاد» أي: هي.

«هذا» في موضع رَفْع مبتدأ، خبرُه «حميمٌ وغَسَّاق»، أو خبرُ مبتدأ، أي: العذاب هذا، و«حميم» خبرُ مبتدأ، أو في موضع نَصْبٍ على الاشتغال، أي: لِيَذُوقوا «هذا فلْيَذُوقوه»، و«حميم» خبرُ مبتدأ، أي: هو حميم، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبر، أي: منه «حميمٌ» ومنه «غَسَّاق»، كما قال الشاعر:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٠، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٢٣.
(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٠، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٧-٢٢٨، وقراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص ٥٥٥، والتيسير ص ١٨٨.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣٨.
(٥) ينظر الإملاء ٢/ ٢١٢.
(٦) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٢٠-٢٢١.

حتى إذا ما أَضاءَ الصُّبْحُ في غَلَسٍ وغُودرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ ومَحْصُودُ[١]

أي: منه مَلْوِيٌّ ومنه مَحْصُود، وهذه الأعاريب مَقُولة مَنْقُولة[٢].

وقيل: «هذا» مبتدأ، و«فليذوقوه» الخبر، وهذا على مذهب الأخفش في إجازته: زَيدٌ فاضْرِبه، مستَدِلًّا بقولِ الشاعر:

وقائلةٍ خولانُ فانْكِحْ فَتاتَهُم[٣]

والغَسَّاق عن ابنِ عباس: الزمهرير، وعنه أيضاً وعن عطاء وقتادة وابنِ زيد: ما يَجري مِن صَدِيدِ أهلِ النَّار، وعن كعبٍ: عينٌ في جهنَّم تسيلُ إليها حُمَةُ كلِّ ذي حُمَةٍ مِن حيَّة أو عقربٍ أو غيرهما، يُغمَسُ فيها فيتساقطُ الجِلْدُ واللَّحم عن العَظْم، وعن السُّدِّيِّ: ما يَسيلُ مِن دموعهم، وعن ابنِ عُمرَ: القَيْحُ يَسِيلُ منهم فيُسْقَونَهُ[٤].

وقرأ ابنُ أبي إسحاق وقتادة وابنُ وثَّاب وطلحة وحمزة والكسائيُّ وحفص والمُفضَّل وابنُ سعدان وهارون عن أبي عمرو: بتشديد السينِ[٥]، فإن كان صفةً فيكون ممَّا حذفَ موصوفها، وإن كان اسماً فَفَعَّال قليلٌ في الأسماء، جاء منه: الكَلَّاء، والجَبَّان، والفَيَّاد: ذَكَر البُوم، والعَقَّار، والخَطَّار[٦]، وقرأ باقي السَّبْعة: بتخفيف السين.

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٠، ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٦٩، والطبريُّ ٢٠/ ١٢٦، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٩، والبيت لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه ٢/ ١٣٦٦، قال شارحه: يقال: قد ألوى النَّبْتُ إلواءً: إذا جفَّ، ومحصود: قد حُصِدَ.

(٢) ينظر المصادر السالفة الذكر؛ وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٩-٤٧٠، والإملاء ٢/ ٢١٢، ومشكل إعراب القرآن لمكّي ٢/ ٦٢٧.

(٣) صدر بيت لم يُعرف قائله، وهو في الكتاب ١/ ١٣٩ و١٤٣، وعجزه: وأكرومةُ الحيَّين خِلْوٌ كما هيا، وسلف في سورة المائدة، عند تفسير الآية (٣٨).

(٤) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٠٦-١٠٧، وزاد المسير ٧/ ١٥٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٠-٢٣١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ١٢٧-١٢٩.

(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨١، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١١، وزاد المسير ٧/ ١٤٩-١٥٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٩، والقراءة في السبعة ص ٥٥٥، والتيسير ص ١٨٨، وهي أيضاً قراءة خَلَف ـ من العشرة ـ ينظر النشر ٢/ ٣٦١.

(٦) قال الأصمعيُّ: الكَلَّاءُ: موضعٌ تَرْفَأُ فيه السُّفُن، وهو ساحل كلِّ نهر. الصحاح (كلأ)،

وقرأ الجمهور: «وآخَرُ» على الإفراد، فقيل: مبتدأٌ خبرُه محذوف، تقديره: ولهم عذابٌ آخَرُ، وقيل: خبرُه في الجملة، لأنَّ قولَه: «أزواج» مبتدأٌ، و«من شَكْلِه» خبرُه، والجملة خبرُ «وآخَرُ»، وقيل: خبره «أزواج»، و«مِن شَكْلِه» في موضع الصِّفَة، وجاز أَنْ يُخبر بالجمع عن الواحد مِن حيث هو دَرَجات ورُتَب مِن العذاب، أو سُمّي كلّ جزءٍ مِن ذلك الآخَر باسم الكُلّ.

وقال الزمخشريُّ: «وآخَرُ» أي: وعذابٌ آخَرُ، أو: ومَذُوقٌ آخَرُ، و«أزواجٌ» صفةٌ لـ «آخَرُ» لأنَّه يَجوز أن يكون ضُرُوباً أو صفةٌ للثلاثة، وهي «حميم» و«غَسَّاق» و«آخَرُ مِن شَكْلِه»[(١)]. انتهى. وهو إعرابٌ أَخَذَهُ مِن الفرَّاء[(٢)].

وقرأ الحسن ومجاهد والجحدريُّ وابنُ جُبَير وعيسى وأبو عمرو: و«أُخَرُ» على الجَمْع[(٣)]، وهو مبتدأٌ، و«مِن شَكْلِه» في موضع الصفة، و«أزواج» خبره، أي: ومَذُوقات أُخَرُ مِن شَكْلِ هذا المَذُوق، مِن مِثْلِه في الشِّدَّة والفَظَاعة «أزواجٌ»: أجناسٌ[(٤)].

وقرأ مجاهد: «مِن شِكله» بكسر الشينِ[(٥)]، والجمهورُ: بفتحها، وهما لغتان بمعنى المِثْل والضَّرْب، وأمَّا إذا كان بمعنى الغُنْج[(٦)] فبِكَسْرِ الشينِ لا غَيْر.

= والجَبَّان والجَبَّانة: الصحراء. الصحاح (جبن)، والعَقَّار: الذي يُعنِّف بالإبل لا يَرْفُق بها. مقاييس اللغة ٤/ ٩١ (عقر)، والخَطَّار: العَطَّار. اللسان (خطر).

قال ابنُ جنّيّ في المبهج ص ٤٨ في ترجمة: وَدَّاك بن ثميل المازني: وهو فعَّال، من الودك، وأصله الصفة، ألا ترى أنَّ فعَّالاً بابه الصفة، وقلَّما يوجد في الأسماء، وفي الكتاب [يعني كتاب سيبويه ٤/ ٢٥٧] من ذلك الكَلَّاء والجَبَّان، وزاد أبو عليّ: الفَيَّاد: ذَكَر البوم، ووجدتُ أنا أيضاً: الجَيَّار، وهو السُّعَال ونحوه، والخَطَّار: لضَرْبٍ من الدُّهن الطيب، فأمَّا: السَّمَّان: لما ينقش به، فيحتمل الأمرين.

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١١، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص ٥٥٥، والتيسير ص ١٨٨، وهي أيضاً قراءة يعقوب ـ من العشرة ـ ينظر النشر ٢/ ٣٦١.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٧٩.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١١، والكشاف ٣/ ٣٧٩، وتفسير الرازي ٢٦/ ٢٢١.

(٦) في (أ) والمطبوع: الفتح، وفي (ح): القبح، وفي (ع): القيح. والمثبت من باقي النُّسخ =

وعن ابنِ مسعود: «وآخَرُ مِن شَكْلِه» هو الزَّمْهَرِير[١].

والظاهر أنَّ قولَه: «هذا فوجٌ مُقتَحمٌ معكم» مِن قول رؤسائِهم بعضِهم لبعض، والفَوْجُ: الجَمْعُ الكثير «مُقْتحم معكم» أي: النَّارَ، وهم الأَتْباع، ثمَّ دَعَوا عليهم بقولهم: «لا مَرْحَباً بهم» لأنَّ الرئيسَ إذا رَأَى الخَسِيْسَ قد قُرِنَ معه في العذاب، سَاءَهُ ذلك حيث وَقَعَ التَّساوي في العذاب، ولم يكن هو السالم مِن العذاب وأَتْباعه في العذاب.

و«مَرْحَباً» معناه: أتيتَ رُحْباً وسَعَة لا ضِيقاً، وهو منصوب بفعلٍ يَجب إضمارُه ولا دعاء، و«بهم» بيانٌ للمَدعوِّ عليهم.

وقيل: «هذا فوجٌ» مِن كلام الملائكة خَزَنَةِ النَّار، وأنَّ الدُّعاءَ على الفوج، والتعليلُ بقولِه: «إنَّهم صَالُوا النَّار» مِن كلامِهم، وقيل: «هذا فوجٌ مُقتَحم معكم» مِن كلام الملائكةِ، والدُّعاءُ على الفَوج والإخبارُ بأنَّهم «صَالُوا النار» مِن كلام الرُّؤساء المَتْبُوعين[٢].

«قالوا» أي: الفوج: «لا مَرْحباً بكم» رَدٌّ على الرُّؤساء ما دَعَوا به عليهم، ثمَّ ذكروا أنَّ ما وَقَعوا فيه مِن العذاب وصُلِّي النَّار إنَّما هو بما أَلقيتم إلينا وزَيَّنْتُموه مِن الكفر، فكأنَّكم قدَّمتم لنا العذابَ أو الصُّلِيّ.

وإذا كان «لا مرحباً بهم» مِن كلام الخَزَنة، فلم يَجِئ التركيبُ: قالوا: بل هؤلاء لا مَرْحباً بهم، بل جاء بخطاب الأَتْباع للرُّؤساء؛ لتكونَ المواجهةُ لمَن كانوا لا يَقدرونَ على مواجهتهم في الدُّنيا بقبيحٍ أَشْفَى لصدورهم، حيث تَسبَّبوا في كُفرهم، وأنكى للرُّؤساء.

= ومن الكشاف ٣/ ٣٧٩، والغُنْج والغُنُج: الشَّكل، وامرأةٌ غَنِجَة: حَسَنَةُ الدَّلِّ، وقيل: الغُنْج: مَلَاحة العينين. اللسان (غنج).

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣١، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٦٦-١٦٧، وهنَّاد في الزهد (٢٩٤)، والطبري ٢٠/ ١٣١-١٣٢.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١١، والكشاف ٣/ ٣٧٩، والنكت والعيون ٥/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٣.

«فبئسَ القَرَار» أي: النَّار، وهذه المُرَادَّةُ والدُّعاءُ، كقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨] ولم يكتفِ الأتباعُ بِرَدِّ الدُّعاء على رُؤسائهم ولا بمواجَهتهم بقولهم: «أنتم قَدَّمتُموه لنا» حتى سَألوا مِن اللهِ أنْ يَزِيْدَ رُؤساءَهم ضِعْفاً مِن النار، والمعنى: مَن حَمَلَنا على عَمل السُّوء حتى صارَ جزاءَنا النَّار «فَزِدْهُ عذاباً ضِعْفاً» كما جاء في قول الأتباع: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ﴾أي: سادَتهم ﴿ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأحزاب:٦٨] ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف:٣٨].

ولمَّا كان الرُّؤساء ضُلَّالاً في أنفسِهم، وأَضلُّوا أَتْباعَهم، ناسَبَ أنْ يَدعُوا عليهم بأنْ يَزيدهم ضِعْفاً، كما جاء: «فَعَلَيْه وِزْرُهُ ووِزْرُ مَن عَملَ بها إلى يوم القيامة»[(١)]، فعلى هذا الضمير في: «قالوا» للأَتْباع، و«مَن قَدَّم» هم الرُّؤساء، وقال ابنُ السائب: «قالوا ربَّنا»، إلى آخِرِه، قولُ جميعِ أهل النار[(٢)]، وقال الضَّحَّاك: «مَن قَدَّمَ» هو إبليس وقابيل، وقال ابنُ مسعود: الضِّعْف: حيّات وعَقَارِب.

«وقالوا» أي: أشرافُ الكُفَّار: «ما لَنَا لا نَرَى رجالاً» وهم مُسْتَضْعفُو المؤمنين الذين لا يُؤْبَهُ بهم «كُنَّا نَعُدُّهُم» في الدنيا «مِن الأشرار» أي: الأرذال الذين لا خيرَ فيهم، وليسوا على ديننا، كما قال: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود:٢٧].

ورُوِيَ أنَّ القائلينَ مِن كُفَّار عَصْرِ الرَّسولِ ﷺ هم: أبو جهل، وأُمَيَّة بنُ خَلَف، وأصحابُ القَلِيْب، والذين لم يَرَوهم: عمَّار وصُهَيب وسَلْمان، ومَن جَرى مَجراهم، قاله مجاهد وغيره[(٣)]، قيل: يَسْأَلونَ: أينَ عمَّار؟ أينَ صُهَيب؟ أينَ فلانٌ؟

(١) هكذا ورد لفظ الحديث في النسخ الخطية، وعُدِّلت لفظة: وزره، إلى: وزرها، في مطبوع البحر، ولم نقف على طرف الحديث بهذا اللفظ، ولعلَّ المصنِّفَ ـ رحمه الله تعالى ـ رواه بالمعنى، والحديث كاملاً هكذا: «مَن سنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً، كان عليه وزرها ووِزْرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيء»، وهو عند مسلم (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦) من حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ، وينظر تتمة تخريجه عند أصحاب السُّنن وغيرهم عند أحمد بالرواية رقم (١٩١٧٤).

(٢) زاد المسير ٧/ ١٥٢.

(٣) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٠٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، والكشاف ٣/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤، وأخرجه الطبري ٢٠/ ١٣٦ من قول مجاهد، وهو عند ابن سعد في =

يَعُدُّون ضعفاءَ المسلمين، فيقال لهم: أولئك في الفردوس[(١)].

وقرأ النَّحْوِيَّان وحمزة: «اتَّخَذْناهُم» وصلاً[(٢)]، فقال أبو حاتم والزمخشريُّ وابنُ عطيَّة: صِفَةٌ لرجال، قال الزمخشريُّ: مِثْل قوله: ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾. وقال ابنُ الأنباري: حال، أي: وقدِ اتَّخذناهم[(٣)].

وقرأ أبو جعفر والأعرج والحسن وقتادة وباقي السبعة: بهمزة الاستفهام، لتقرير أنفسِهم على هذا على جهة التَّوبيخ لها والأَسَف، أي: «أَتَّخَذْناهُم سخريًّا»، ولم يَكونوا كذلك.

وقرأ عبد الله وأصحابه ومجاهد والضَّحَّاك وأبو جعفر وشيبة والأعرج ونافع وحمزة والكسائيُّ: «سُخْرِيًّا» بضمِّ السين، ومعناها مِن السُّخْرة والاسْتِخدام، وقرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى وابنُ محيصن وباقي السبعة: بكسر السين[(٤)]، ومعناها المشهور مِن السِّخر وهو الهُزْء، قال الشاعر:

إنِّي أَتاني لِسانٌ لا أُسَرُّ بها ... مِنْ عَلْوُ لا كَذِبٌ فيها ولا سُخُرُ[(٥)]

وقيل: بكسرِ السين، مِن التَّسخير، و«أَمْ» إن كان «أَتَّخذناهم» استفهاماً، إمَّا

= الطبقات ٣/ ٢١٤، وأحمد في فضائل الصحابة ٢/ ٨٥٩ (١٦٠٢)، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ٢٨٣.

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤، وعزاه لابن عباس، وأخرجه الطبريُّ ٢٠/ ١٣٦ من قول مجاهد.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤، والنحويَّان: الكسائي وأبو عمرو، والقراءة في السبعة ص ٥٥٦، والتيسير ص ١٨٨، وهي أيضاً قراءة يعقوب وخَلَف ـ وهما من العشرة ـ النشر ٢/ ٣٦٢.

(٣) قول أبي حاتم ـ وهو: السجستاني ـ عند القرطبي ١٨/ ٢٣٤، حيث نقله هو عن النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٧١، وقول الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٨٠، ولم نقف على قولِ ابنِ عطية في المحرر الوجيز، وزاد النَّحَّاسُ في إعراب القرآن ٣/ ٤٧١: أبا عبيد، مع أبي حاتم، وقولُ ابنِ الأنباري في كتابه إيضاح الوقف والابتدا ٢/ ٨٦٤-٨٦٥، وفيه قول أبي حاتم أيضاً.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، وما بعده منه أيضاً، والقراءة في السبعة ص ٥٥٦، والتيسير ص١٦٠، وقرأ بالضَّمِّ أيضاً خَلَف مِن العشرة، ينظر النشر ٢/ ٣٢٩.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، والبيت لأعشى باهلة، وسلف في سورة المؤمنون، عند تفسير الآية (١٠٩) منها.

مُصَرَّحاً بهمزته، كقراءة مَن قرأ كذلك، أو مُؤَوَّلاً بالاستفهام، وحُذفت الهمزةُ للدلالة، فالظاهر أنَّها متَّصلة؛ لتقدُّم الهمزة، والمعنى: أيّ الفِعْلين فَعَلْنا بهم؛ الاستسخار منهم، أم ازْدِرَاؤهم وتحقيرهم، وأَنَّ أَبْصَارَنا كانت تَعْلُو عنهم وتقتحمهم، ويكون استفهاماً على معنى الإنكار على أنفسِهم للاستسخار والترفُّع جميعاً، وقال الحسن: كلّ ذلك قد فَعَلُوا؛ اتَّخذوهم سُخْرِيًّا، وزَاغَت عنهم أبصارُهم مُحقِّرةً لهم.

وإنْ كان «اتَّخذناهم» ليس استفهاماً، فـ «أم» منقطعة، ويجوز أَنْ تكونَ منقطعةً أيضاً مع تقدُّم الاستفهام؛ فَمَعَ عدم الاستفهام يكون كقولك: إنَّها لإبلٍ أَمْ شَاء، أي: بل أهيَ شَاء، وعلى الاستفهام[1] يكون كقولك: أَزَيْدٌ عندكَ، أَمْ عندَكَ عَمْرو؟ استفهمتَ عن زيدٍ ثمّ أضربتَ عن ذلك واستفهمتَ عن عمرٍو، فالتقدير: بل أَزَاغَت عنهم الأَبْصار؟

ويجوز أن يكون قولهم: «أَمْ زَاغَت عنهم الأَبصار» له تعلُّق بقوله: «ما لَنَا لا نَرَى رجالاً» لأنَّ الاستفهامَ أَوّلاً دلَّ على انتفاءِ رؤيتهم إيَّاهم، وذلك دليلٌ على أنَّهم ليسوا معهم في النَّار، ثمَّ أضربوا عن هذا واستَفْهَموا فقالوا: «بل زاغت عنهم الأبصار» فأوهم فيها، فنَفوا أوَّلاً ما يدلُّ على كونهم ليسوا معهم[2]، ثم جوّزوا أَنْ يكونوا معهم، ولكن أبصارهم لم تَرَهم.

«إنَّ ذلك» أي: التفاوض الذي حَكيناه عنهم «لَحَقّ» أي: ثابتٌ واقِعٌ، لا بُدَّ أَنْ يجريَ بينهم.

وقرأ الجمهور: «تَخَاصُمُ» بالرَّفْع مضافاً إلى «أَهْل»، فقال ابنُ عطيَّة: بَدَلٌ مِن «لَحَقّ»[3]. وقال الزمخشريُّ: بَيَّن ما هو فقال: هو «تَخَاصُمُ»[4]، وأجازهما الحوفيّ، وأن يكون خبراً بعد خبر.

---

(١) من قوله: فمع عدم الاستفهام... إلى هنا، ليس في مطبوع البحر، وعبارة: إنها لإبل أم شاء. سلفت في سورة النمل، عند تفسير الآية (٢٠).

(٢) من قوله: معهم في النار... إلى هنا، زيادة من (يه).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٨٠.

وقرأ ابنُ محيصن: «تَخَاصُمٌ»[١] منوّناً «أهلُ» رفعاً بالمصدر المنوَّن[٢]، ولا يُجيز ذلك الفرَّاء[٣]، ويُجيزه سيبويه والبَصْرِيُّون.

وقرأ ابنُ أبي عبلة: «تَخاصُمَ أَهْلِ» بنصب الميم وجَرِّ «أهل»[٤]، قال الزمخشريُّ: على أنَّه صفةٌ لـ «ذلك»؛ لأنَّ أسماءَ الإشارة تُوصَف بأسماءِ الأجناس[٥]. وفي كتاب «اللَّوامِح»: ولو نَصَبَ «تَخاصُم أهلِ النَّار» لجازَ على البَدَل مِن ذلك.

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «تَخَاصَمَ» فعلاً ماضياً «أَهْلُ» فاعلاً[٦].

وسمَّى تعالى تلك المفاوضةَ التي جَرَت بين رُؤَساء الكُفَّار وأَتْبَاعِهم: تخاصماً؛ لأنَّ قولَهم: «لا مَرْحباً بهم» وقولَ الأتباع: «بَلْ أنتم لا مَرحباً بكم» هو مِن باب الخصومة، فسمّى التفاوض كلَّه تخاصماً؛ لاشتماله عليه.

«قل» يا محمد «إنَّما أنا مُنْذِر» أي: مُنْذِر المشركين عذابَ الله وأنَّه لا إِلَهَ إلَّا اللهُ لا نِدَّ له ولا شريكَ، وهو الواحدُ القَهَّار لكلِّ شيء، وأنَّه مالكُ العالَم؛ عُلْوه وسُفْله، «العزيز» الذي لا يُغالَب «الغفَّار» لذنوبِ مَن آمَنَ به واتَّبع لدينه.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ

(١) من قوله: وأجازهما الحوفي... إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، ولم نقف على القراءة عند غيره ممَّن سَبَقَه، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٣٩٤، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٤٤٩.
(٣) وذكر ذلك أيضاً المصنِّفُ في كتابه ارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٦٠، والذي ورد في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٢ إعمالُ المصدر المنوَّن، حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]: إذا نوّنت في الزينة، كان وجهاً صواباً، تريد: بتزييننا الكواكبَ.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، والكشاف ٣/ ٣٨٠، وزاد المسير ٧/ ١٥٣، وزاد الأخير نسبتها إلى أبي الجوزاء وأبي الشعثاء، وأبي عمران.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٨٠، وينظر الدر المصون ٩/ ٣٩٥.
(٦) زاد المسير ٧/ ١٥٣، وزاد نسبتها إلى أبي مجلز وأبي العالية وأبي المتوكل، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠.

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ
فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن
تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾.

الضمير في قوله: «قل هو نَبأٌ» يَعود إلى ما أخبر به ﷺ مِن كونه رسولاً مُنذِراً داعياً إلى الله، وأنَّه تعالى هو المُنفَرِد بالألوهيَّة المُتَّصفُ بتلك الأوصاف مِن الوحدانيَّة والقَهْر ومُلْكِ العالَم وعِزَّته وغُفْرانه، وهو خبرٌ عظيم لا يُعرِض عن مِثْلِه إلَّا غافلٌ شديد الغَفْلَة.

وقال ابنُ عباس: النَّبأُ العظيم: القرآنُ، وقال الحسن: يوم القيامة، وقيل: قصص آدمَ والإنباءُ به مِن غير سماعٍ مِن أحَدٍ[(١)].

وقال صاحب «التحرير»: سياقُ الآية وظاهرُها أنَّه يُريد بقوله: «قُلْ هو نبأ عظيم» ما قَصَّهُ اللهُ تعالى مِن مُناظَرَة أهلِ النار ومقاولة الأَتْباع مع السَّادات؛ لأنَّه مِن أحوال البَعْث، وقريش كانت تُنكِرُ البعثَ والحساب والعِقَاب، وهم عن ذلك «مُعْرِضون»، وقوله: «ما كانَ لي مِن علم بالمَلأِ الأعلى إذ يَختصمُون» احتجاجٌ على قريش بأنَّ ما جاءَ به مِن عندِ الله لا مِن قِبَلِ نفسِه، فإنَّ مَن في الأرض مالَهُ عِلْمٌ بمَن في السماء إلَّا بإعلام اللهِ تعالى، وعِلْم المُغيَّبات لا يُوصَل إليه إلَّا بإعلام اللهِ تعالى، وعِلْمه بأحوالِ أهلِ النَّار وابتداءِ خَلْق آدمَ، لم يكن عنده عِلْم بذلك، فإخبارُه بذلك هو بإعلامِ اللهِ، والاستدلالُ بقصَّة آدمَ؛ لأنَّه أوَّلُ البَشر خُلِقَ، وبينَه وبينَ الرَّسولِ عليه السلام أزمانٌ متقادِمَة وقُرُون سالفة. انتهى. وفي آخِره بعضُ اختصارٍ.

ثم احتجَّ بصحَّة نبوَّته بأنَّ ما يُنبئُ به عن المَلأِ الأعْلَى واختصامِهم، أَمْرٌ لم يَكن له به مِن عِلْم قطُّ، ثم عَلِمَه مِن غيرِ الطريق الذي يَسْلكه المتعلِّمون، بل ذلك مستفادٌ مِن الوحي.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨١، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٦٨، والطبري ٢٠/ ١٤٠-١٤١.

و«بالمَلَإِ» متعلِّق بـ «علم»، و«إذ» منصوبٌ به، وقال الزمخشريُّ: بمحذوف؛ لأنَّ المعنى: ما كان لي مِن عِلْمٍ بكلامِ المَلَإِ الأعْلى وقتَ اختصامِهم، و«إذ قال» بَدَلٌ مِن «إذ يختصمون»[1]. انتهى.

والظاهر عَودُ الضمير في «يختصمون» على المَلَإِ الأعلى، وهم الملائكة، وأبْعَدَ مَن قال: إنَّهم قريش[2]، واختصامُ الملائكة في أمْرِ آدَمَ وذُرِّيَّته في جَعْلِهم في الأرض، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠] قاله ابنُ عباس[3]، وقال الحسن: قالوا: إنْ خَلَقَ اللهُ خَلْقاً، كُنَّا أكرمَ منه وأعْلَمَ[4].

وقيل: في الكفَّارات وغَفْرِ الذنوب؛ فإنَّ العبدَ إذا عمل حسنةً اختَلَفت الملائكةُ في قَدْرِ ثوابه في ذلك حتى يقضيَ اللهُ بما شاء، وفي الحديث: قال له ربُّه في نومه عليه السلام: فِيْمَ يَختصمونَ؟ فقلت: لا أدري. فقال: في الكفَّارات؛ وفي[5]: إسباغ الوضوء في السَّبَرات، ونَقْل الخُطَا إلى الجماعات[6].

وقال الزمخشريُّ: كانت مقاوَلَة اللهِ سبحانه بواسطة مَلَكٍ، فكأنَّ المُقاوِلَ في الحقيقة هو المَلَكُ المتوسّط، فصحَّ أنَّ التقاوُلَ بين الملائكةِ وآدمَ وإبليسَ، وهم الملأ الأعْلَى، والمرادُ بالاختصامِ التَّقاول[7].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨١.

(٢) ينظر معاني القرآن للنحاس ٦/ ١٣٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٣-٥١٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٧.

(٣) زاد المسير ٧/ ١٥٥، وعزاه أيضاً لمقاتل، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٦ وعزاه أيضاً للسدي، وأخرجه عن ابن عباس والسدي ـ وعن قتادة ـ الطبريُّ ٢٠/ ١٤٢.

(٤) زاد المسير ٧/ ١٥٥، وأخرجه عنه الطبري ١/ ٥٣٢.

(٥) في المحرر الوجيز ٤/ ٥١٣ ـ والكلام منه ـ: وهي.

(٦) الخبر أورده أيضاً الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ١١٠ وعزاه للحسن، عن النبيِّ ﷺ مرسلاً، وكذا نقله عنه القرطبيُّ ١٨/ ٢٣٦، وورد موصولاً عند الترمذي (٣٢٣٤)، وأحمد (٣٤٨٤) عن ابن عباس، وعند الترمذي (٣٢٣٥)، وأحمد (٢٢١٠٩) عن معاذ بن جبل، مرفوعاً، وقال ابنُ الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣٤: أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة. اهـ. وينظر تتمة تخريجه والكلام عليه عند أحمد، والسَّبَرات: جَمْع: سَبْرة، وهي شدَّة البَرْد. النهاية (سبر).

(٧) الكشاف ٣/ ٣٨١-٣٨٢.

وقيل: المَلَأُ الأَعْلَى: الملائكة، و«إذ يختصمون» الضميرُ فيه للعرب الكافرة، فبعضهم يقول: هيَ بناتُ اللهِ، وبعضهم: هي آلهةٌ تُعبَد، وغير ذلك مِن أقوالهم.

«إنْ يُوحَى إليَّ» أي: ما يُوحَى «إليَّ إلَّا أنَّما أَنَا نذيرٌ مبين» أي: لأنَّما أنا نذير، أي: للإنذار، حذف اللام ووصل الفِعْل، والمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله يَجوز أن يكون ضميراً يدلُّ عليه المعنى، أي: «إنْ يُوحَى إليَّ» هو، أي: ما يُوحَى إلَّا الإنذارُ، وأُقيم «إليَّ» مقامه، ويَجوز أن يكون إنَّما هو المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، أي: ما يُوحَى إليَّ إلَّا الإنذار.

وقرأ أبو جعفر: «إلَّا إنَّما» بكسر همزة «إنَّما» على الحكاية، أي: ما يُوحَى إليَّ إلَّا هذه الجملة، كأنَّه قيل له: أنتَ نذيرٌ مبينٌ، فحكى هو المعنى، وهذا كما يقول الإنسانُ: أنا عالِمٌ، فيقال له: قلتَ: إنَّكَ عالم، فيحكي المعنى[1].

وقال الزمخشريُّ: وقُرِئ: «إنَّما» بالكسر، على الحكاية، أي: إلَّا هذا القول، وهو أنْ أَقولَ لكم: «إنَّما أنا نذيرٌ مبين» ولا أدَّعي شيئاً آخر[2]. انتهى.

وفي تخريجه تعارضٌ؛ لأنَّه قال: أي: إلَّا هذا القول، فظاهره الجملة التي هي «إنَّما أنا نذيرٌ مبين» ثم قال: وهو أنْ أقولَ لكم: إنِّي نذيرٌ، فالمقام مقامُ الفاعل هو أنْ أقولَ لكم، وإني وما بَعْدَهُ في موضع نَصْبٍ، وعلى قوله: إلَّا هذا القول، يكون في موضعِ رفعٍ، فتعارضا.

وتقدَّم أنَّ «إذ قال» بَدَلٌ مِن «إذ يختصمون» هذا إذا كانت الخصومةُ في شأنِ مَن يستخلَف في الأرض، وعلى غيرِهِ من الأقوال يكون منصوباً بـ: اذكر.

ولمَّا كانت قريش خَالَفُوا الرَّسولَ عليه السلام بسبب الحَسَد والكِبْر، ذَكَر حالَ إبليسَ حيث خَالَفَ أَمْرَ اللهِ؛ بسببِ الحَسَد والكِبْر، وما آلَ إليه مِن اللَّعْنَةَ والطَّرْد مِن رحمةِ الله؛ ليزدجرَ عن ذلك مَن فيه شيءٌ منهما.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف صحَّ أنْ يقول لهم: «إنِّي خالقٌ بشراً» وما عَرَفوا ما البَشَر ولا عَهِدُوا به قَبْلُ؟

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٨١، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤، والقراءة في النشر ٢/ ٣٦٢.

قلت: وجهه أَنْ يكونَ قد قال لهم: «إنِّي خالقٌ» خَلْقاً مِن صِفَتِه كَيْتَ وكَيْت، ولكنَّه حين حَكاهُ اقتصرَ على الاسم[1]. انتهى.

والبَشَر هو آدمُ عليه السلام، وذكرَ هنا أنَّه خَلَقه مِن طينٍ، وفي «آلِ عمران»: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [الآية:٥٩]، وفي «الحِجْر»: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الآية:٢٦]، وفي الأنبياء: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ [الآية:٣٧] ولا منافاةَ؛ ذَكَر المادَّة البَعيدة وهو التراب، ثم ما يَليه وهو الطينُ، ثم ما يَليه وهو الحَمأُ المسنون، ثم المادَّة الأخيرة تلي الحَمَأَ وهو الصَّلصال[2]، وأمَّا «مِن عَجَل» فمضى تفسيره[3].

«فإذا سَوَّيته ونفختُ فيه مِن رُوحي فقَعُوا له ساجدينَ* فسَجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعونَ إلَّا إبليس» تقدَّم الكلام على هذا في «الحِجْر»[4]، وهنا: «استَكْبَرَ وكان مِن الكافرين»، وفي «البقرة»: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية:٣٤] وفي «الأعراف»: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية:١١] وفي «الحِجْر»: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية:٣١]، وفي «الإسراء»: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الآية:٦١]، وفي «الكهف»: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية:٥٠] والاستثناء في جميع هذه الآيات يدلُّ على أنَّه لم يَسجد؛ فتارةً أكد بالنفي المحض، وتارةً ذكرَ إبايَتَه عن السجود، وهو الأنَفَةُ مِن ذلك، وتارةً نصَّ على أنَّ ذلك الامتناعَ كان سَبَبه الاستكبار.

والظاهر أنَّ قوله: «وكان مِن الكافرين» أُريد به كُفْرُه ذلك الوقت، وإن لم يَكن قَبْلَه كافراً، وعَطْفُه على «اسْتَكْبَرَ» يقوِّي ذلك؛ لأنَّ الاستكبارَ عن السجود إنَّما حَصَلَ له وقتَ الأمْرِ، ويَحتمل أنْ يكون إخباراً منه؛ لسَبْقِ كُفره في الأزمنة الماضية في عِلْمِ الله.

«قال يا إبليسُ ما مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ»، وفي «الأعراف» ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الآية:١٢] فدلَّ «أَنْ تَسْجُدَ» هنا على أنَّ «لا» في «أَنْ لا تَسْجُدَ» زائدةٌ، والمعنى

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٢.
(٢) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٢٨.
(٣) عند تفسير الآية (٣٧) من سورة الأنبياء.
(٤) عند تفسير الآية (٢٦) منها.

أيضاً يَدُلُّ على ذلك لأنَّه لا يُستَفْهم إلَّا عن المانع مِن السجود، وهو استفهامُ تقريرٍ وتوبيخ، و«ما» في «لِمَا خلقتُ» استدلَّ بها مَن يُجيز إطلاقَ «ما» على آحَادِ مَن يَعقل، وأوّل بأنَّ «ما» مصدريَّة، والمصدر يُراد به المخلوقُ لا حقيقة المَصْدَر.

وقرأ الجَحْدَرِيُّ: «لَمَّا» بفتح اللام وشَدِّ الميم، «خَلَقْتُ بيَدِي» على الإفراد[1]، والجمهور على التَثْنِيَة، وقُرِئَ: «بيَدَيِّ» بكسر الياء، كقراءة: «بمُصْرِخِيِّ»[2] [إبراهيم:٢٢]، وقال تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس:٧١] بالجمع.

وكلُّها عبارةٌ عن القُدرة والقُوَّة، وعبّر باليد؛ إذ كان عند البشر معتاداً أنَّ البَطْشَ والقُوَّة باليَدِ، وذهب القاضي أبو بكر بنُ الطَّيِّب إلى أنَّ اليَدَ صفةُ ذاتٍ، قال ابنُ عطيَّة[3]: وهو قولٌ مرغوبٌ عنه.

وقرأ الجمهور: «أَسْتَكْبَرْتَ» بهمزة الاستفهام، فـ «أم» متَّصِلَة عَادَلَت الهمزة، قال ابنُ عطيَّة: وذَهَبَ كثيرٌ مِن النَّحْوِيِّين إلى أنَّ «أم» لا تكون معادلةً للألف مع اختلافِ الفِعْلَين، وإنَّما تكون معادلةً إذا دَخَلَتا على فِعْلٍ واحد، كقولك: أَزَيْدٌ قامَ أَمْ عَمْرو؟ وقولِك: أقامَ زيدٌ أم عمرو؟ فإذا اختلفَ الفِعْلان ـ كهذه الآية ـ فليست معادلةً، ومعنى الآية: أَحَدَثَ لكَ الاستكبارُ الآنَ أَمْ كنتَ قديماً ممَّن لا يَليقُ أَنْ تُكلَّفَ مِثْلَ هذا؛ لِعُلُوِّ مكانك، وهذا على جهة التوبيخ[4]. انتهى.

وهذا الذي ذَكَره عن كثيرٍ مِن النَّحْويِّين مذهبٌ غيرُ صحيح، قال سيبويه: وتقول: أَضَرَبْتَ زيداً أَمْ قَتَلْتَه؟، فالبَدْءُ هنا بالفِعْل أَحْسَنُ؛ لأَنَّكَ إنَّما تَسألُ عن

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤، وفيه أنَّ عاصماً الجحدريَّ قرأ: «لَمَّا» بفتح اللام وشَدِّ الميم، وأنَّ فرقةً قرأت: «بيدي» بفتح الياء، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠ عن الجحدري هكذا: «لما خلقت بيدِيْ» واحدة. وأوردها أيضاً الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٣٨٣ هكذا: وقُرِئ: «بيدي» على التوحيد. ولم ينسبها.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٣، وقراءة: «بِمُصْرِخِيِّ» قراءة حمزة والأعمش ويحيى بن وثَّاب، وسلفت في مكانها، فلتنظر ثَمَّة.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤-٥١٥، وما قبله منه أيضاً.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٥.

أحدِهما، لا تَدري أيّهما كان، ولا تَسألُ عن موضعِ أحدِهما، كأنَّكَ قلتَ: أيُّ ذلك كان[١]. انتهى. فعَادَلَ بـ «أم» الألفَ مع اختلافِ الفِعْلَين.

وقال الزمخشريُّ: «مِن العَالِين»: ممَّن عَلَوتَ وفُقْتَ، فأجاب بأنَّه مِن العَالِين، حيث قال: «أَنَا خيرٌ منه»، وقيل: «أَسْتَكْبَرتَ» الآنَ، أم لم تَزل مُذْ كنتَ مِن المستكبرين، ومعنى الهمزة التقرير[٢]. انتهى.

وقرأت فرقةٌ منهم ابنُ كثير وغيره: «اسْتَكْبَرْتَ» بصلةِ الألف، وهي قراءةُ أهلِ مكَّة وليست في مشهورِ ابنِ كثير[٣]، فاحتمل أَنْ تكونَ همزةُ الاستفهام حُذفَت؛ لدلالة «أم» عليها، كقوله:

بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ[٤]

واحتمل أن يكون إخباراً خَاطَبه بذلكَ على سبيل التَّقْرِيع، و«أم» تكون منقطعةً، والمعنى: بل أَنْتَ مِن العَالِين عند نفسِك؛ استخفافاً به.

«قال أَنَا خيرٌ منه خَلَقْتَني مِن نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طينٍ» تقدَّم الكلامُ على ذلك في «الأعراف»[٥].

«قال فاخرج منها» إلى قوله: «إلى يومِ الوقتِ المعلوم» تقدَّم الكلامُ على مِثْلِ ذلك في «الحِجْر»[٦]، إلَّا أنَّ هنا «لَعْنَتِي» وهناك: «اللَّعْنَة»، واللَّعْنَةُ أعمُّ، ألَا تَرَى إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩] وأمَّا بالإضافة فالعمومُ في اللَّعَنات إنَّما حَصَلَ مِن جهة أنَّ مَن عليه لَعْنَة اللهِ كانت عليه لَعْنَة كلِّ لاعِنٍ، هذا من جهة المعنى، وأمَّا اللَّفظ فيقتضي التخصيص.

---

(١) الكتاب ٣/ ١٧١.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٣.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٩، والقراءة غير المشهورة عن ابنِ كثير في السبعة ص ٥٥٦، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.
(٤) عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص ٢٠٩، وصدره: فوالله ما أدري وإني لحاسبٌ.
(٥) عند تفسير الآية (١٢) منها.
(٦) عند تفسير الآية (٣٤) منها وما بعدها.

«قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهم» أَقْسَمَ إبليسُ هنا بعزَّة الله، وقال في «الأعراف»: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ﴾ [الآية:١٦]، وفي «الحِجْر»: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ﴾ [الآية:٣٩] وتقدَّم الكلام عليهما في موضعيهما، وأنَّ مِن المفسِّرين مَن قال: إنَّ الباء في «بما أغويتني» وفي «فبما أغويتني» ليست باءَ القَسَم[1]، فإنْ كانت باءَ القَسَم، فيكون ذلك في موطِنَيْن أو وقتين، ويدلّ على أنَّها أَقْسَامٌ اختلافُ متعلَّق القَسَم، فهنا «لأُغوينَّهم»، وفي «الأعراف»: «لأقعدنَّ»، وفي «الحِجْر»: «لأُزيننَّ».

وقرأ الجمهور: «قال فالحَقَّ والحَقَّ» بنصبِهما، أمَّا الأوَّل فمُقْسَمٌ به حُذفَ منه الحرفُ، كقولك: أمانةَ اللهِ لأَقومَنَّ، والمُقْسَم عليه: «لأملأنَّ»، «والحقَّ أقول» اعتراضٌ بين القَسَم وجوابِه، قال الزمخشريُّ: ومعناه: ولا أَقولُ إلَّا الحَقّ[2]. انتهى. لأنَّ عندَه تقديم المفعول يُفيدُ الحَصْرَ.

والحَقّ المُقْسم به، إمَّا اسمُه تعالى الذي في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥] أو الذي هو نقيضُ الباطل، وقيل: «فالحَقّ» منصوبٌ على الإغراء، أي: فالزموا «الحَقَّ»، و«لأملأنَّ» جوابُ قَسَم محذوف، وقال الفَرَّاء: هو على معنى قولك: حَقًّا لا شَكَّ، ووجودُ الألفِ واللَّامِ وطَرْحُهما سواء، أي: لأَملأنَّ جهنَّم حَقًّا[3]. انتهى.

وهذا المصدر الجائي توكيداً لمضمونِ الجملة لا يَجوز تقديمُه عندَ جمهورِ النُّحاة، وذلك مخصوصٌ بالجملة التي جُزْءاها معرفتان جامدان جموداً مَحْضاً.

وقال صاحب «البسيط»: وقد يَجوز أن يكون الخبرُ نكرةً، قال: والمبتدأ يَكون ضميراً نحو: هو زَيدٌ معروفاً، وهو الحَقُّ بَيِّناً، وأَنَا الأميرُ مُفتخِراً، ويكون ظاهراً، كقولك: زيدٌ أَبوكَ عَطُوفاً، وأَخوكَ زيدٌ معروفاً. انتهى.

وقالت العرب: زيدٌ قائمٌ غيرَ ذي شَكٍّ، فجاءت الحالُ بعد جملةٍ والخبرُ نكرة، وهي حالٌ مُؤكِّدة لمضمونِ الجملةِ، وكأنَّ الفَرَّاء لم يَشترط هذا الذي ذَكَره

---

(١) ينظر تفسير الآية (١٦) من سورة الأعراف.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٤.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٣، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤١، وارتشاف الضَّرَب ٤/ ١٧٨٧.

أصحابُنا مِن كونِ المبتدأ أو الخبر معرفتين جامدين؛ لأنَّه لا فرقَ بين تأكيدِ مضمونِ الجملة الابتدائيَّة وبينَ تأكيدِ الجملة الفعليَّة، وقيل: التقدير: أُحِقُّ الحَقَّ، أي: أَفْعَله[١].

وقرأ ابنُ عبَّاس ومجاهد والأعمش: بالرَّفْع فيهما[٢]؛ فالأوَّل مبتدأٌ خبرُه محذوف، قيل: تقديره: فالحَقُّ أَنَا، وقيل: فَالحقُّ مِنِّي، وقيل: تقديره: فالحقُّ قَسَمِي، وحُذفَ كما حُذفَ في: لَعَمْرُكَ لأقومَنّ[٣]، وفي:

.... يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قاعداً[٤]

أي: لعَمْرُك قَسَمِي، و: يمينُ اللهِ قَسَمِي، وهذه الجملة هي جملةُ القَسَم، وجوابُه: «لأملأنَّ».

وأمَّا «والحقُّ أَقول» فمبتدأٌ أيضاً، خبرُه الجملةُ، وحُذفَ العائدُ، كقراءة ابنِ عامر: «وكلٌّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنى»[٥] [الحديد: ١٠].

وقال ابنُ عطيَّة: أمَّا الأوَّل فرَفْع على الابتداء، وخبرُه في قوله: «لأملأنَّ» لأنَّ المعنى: أَنْ أَمْلأَ[٦]. انتهى.

وهذا ليس بشيء؛ لأنَّ «لأَملأنَّ» جوابُ قَسَم، ويجب أن يكون جملةً، فلا يتقدَّر بمفرَد، وأيضاً ليس مصدراً مقدَّراً بحرفٍ مَصْدَريٍّ والفِعْلِ حتى يَنحلَّ إليهما، ولكنَّه لمَّا صحَّ له إسنادٌ مَا قدّر إلى المبتدأ حُكْم أنَّه خبر عنه.

---

(١) اختلفت النُّسَخ في رسم هذه العبارة؛ ففي أكثرها وردت هكذا: فالحق الحق، أي: أفعله، ولم ترد لفظة: فالحق، في (د٣) و(ب)، ولم ترد لفظة: أي، في (ت) و(ع)، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤١. ولعلَّه الصواب.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، وزاد المسير ٧/ ١٥٨، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.

(٣) ينظر الخصائص لابن جِنّي ١/ ٣٩٣، وارتشاف الضَّرَب ٤/ ١٧٦٥.

(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٣٢، وتمامه:

فقلتُ يمينُ الله أَبْرَحُ قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديكِ وأوصالي

وسلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (١٨٤) منها.

(٥) السبعة ص ٦٢٥، والتيسير ص ٢٠٨، والنشر ٢/ ٣٨٤.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٦.

وقرأ الحسن وعيسى وعبد الرحمن بنُ أبي حمَّاد عن أبي بكر بجَرِّهما[١]، ويُخرَّج على أنَّ الأوَّل مجرورٌ بواوِ القَسَم محذوفةً، تقديره: فَوَالحَقِّ، و«الحَقِّ» معطوفٌ عليه، كما تقول: واللهِ واللهِ لأقومنَّ، و«أقول» اعتراضٌ بين القَسَم وجوابه.

وقال الزمخشريُّ: «والحَقّ أقول» أي: ولا أقول إلَّا الحَقّ، على حكاية لفظ المُقسَم به، ومعناه التوكيد والتشديد، وهذا الوجهُ جائزٌ في المنصوبِ والمرفوعِ، وهو وَجْهٌ دقيقٌ حَسَنٌ[٢]. انتهى.

ومُلخَّصه أنَّه أعمل القولَ في لفظ المُقسَم به على سبيلِ الحكاية إنْ نَصْباً أو رَفْعاً أو جَرًّا.

وقرأ مجاهد والأعمش بخلاف عنهما ـ وأبان بنُ تغلب وطلحة في رواية ـ وحمزة، وعاصم عن المُفضَّل، وخَلَف والعَبسي: برَفْع «فالحقّ» ونَصْب «والحَقّ»[٣]، وتقدَّم إعرابهما.

والظاهر أنَّ قولَه: «أجمعين» تأكيدٌ للمُحدَّث عنه، والمعطوفِ عليه، وهو ضميرُ إبليس ومَن عُطف عليه، أو: ومنكَ ومِن تَابعيك أجمعين.

وأَجازَ الزمخشريُّ أَنْ يكون «أجمعين» تأكيداً للضمير الذي في «منهم» فقدَّر: لأملأنَّ جهنَّم مِن الشياطين وممَّن تَبِعهم مِن جميعِ الناس لا تفاوتَ في ذلك بين

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، والكشاف ٣/ ٣٨٤، وزاد المسير ٧/ ١٥٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤١-٢٤٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠ عن عيسى بن عمر، وقال ابن خالويه إثرها: جَعَله قَسَماً، والصواب أن يخفض الثانية؛ لأن القَسَم يكون بالواو، ولا يكون بالفاء.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٤.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، وزاد المسير ٧/ ١٥٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤١، وقراءة حمزة وعاصم في السبعة ص ٥٥٧، والتيسير ص ١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦٢ وفيه أيضاً قراءة خلف، والعبسي لعلَّه: علي بن خلف بن ذي النون الأستاذ أبو الحسن الأندلسي الإشبيلي ثم القرطبي، وُلد سنة سبع عشرة وأربع مئة، رحل وأخذ القراءات بمصر عن أحمد بن نفيس وغيره، وأقرأ بجامع قرطبة وأخذ عنه جماعة، توفي سنة (٤٩٨هـ). معرفة القراء الكبار ٢/ ٨٨٥-٨٨٦.

ناسٍ وناسٍ بَعْدَ وجودِ الاتباع منهم مِن أولادِ الأنبياء وغيرِهم[(١)]. انتهى.

والضمير في «عليه» عائد على القرآن، قاله ابنُ عباس، وقيل: على الوحي، وقيل: على الدُّعَاة إلى الله.

«وما أنَا مِن المُتكلِّفين» أي: المُتَصَنِّعين المُتحلِّين بما ليسوا مِن أهله، فأَنْتَحِلَ النبوَّةَ وأتقوَّلَ على الله.

«إنْ هو» أي: القرآن «إلَّا ذكر» أي: مِن اللهِ «للعالمين» الثَّقَلَين؛ الإنس والجِنِّ.

«ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ» أي: عاقبةَ خَبَرِهِ وما ترتَّب عليه لمن آمَنَ به ومَن أَعرض عنه «بَعْدَ حين» قال ابنُ عباس وعكرمة وابنُ زيد: يعني يومَ القيامة[(٢)]. وقال قتادة والفَرَّاء والزجَّاج: بعد الموت[(٣)]، وكان الحسن يقول: يا ابنَ آدمَ، عندَ الموت يأْتِيْكَ الخَبَرُ اليَقين[(٤)].

وقيل: المعنى: لَيَظْهَرَنَّ لكم حقيقةُ ما أقول «بَعْدَ حين» أي: في المستأنَف إذا أَخَذَتْكم سيوفُ المسلمين، وذلك يوم بدر، أشار إلى ذلك السُّدِّيُّ[(٥)].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، وزاد المسير ٧/ ١٥٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٣، وأثر ابنِ زيد عند الطبري ٢٠/ ١٥٢.

(٣) أثر قتادة عند الطبري ٢٠/ ١٥١، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٣، وللزجاج ٤/ ٣٤٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٤.

(٤) النكت والعيون ٥/ ١١٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٣، وهو عند الطبري ٢٠/ ١٥١.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٥١-١٥٢.

(٣٨) سورة ص مكية
وآياتها ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا، وقوله تعالى: ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ أي والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد، ونفع لهم في المعاش والمعاد، قال الضحّاك ﴿ ذي الذكر ﴾ كقوله تعالى: ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي تذكيركم[1]

وقال ابن عباس ﴿ ذي الذكر ﴾ ذي الشرف أي ذي الشأن والمكانة، ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف، مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار، واختلفوا في جواب هذا القسم: فقال قتادة: جوابه ﴿ بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ واختاره ابن جرير، وقيل: جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها، والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿ بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ أي إن في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿ في عزة ﴾ أي استكبار عنه وحمية، ﴿ وشقاق ﴾ أي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة، ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم فقال تعالى: ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أي من أمة مكذبة، ﴿ فنادوا ﴾ أي حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى، وليس ذلك بمُجْدٍ عنهم شيئاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴾ أي يهربون، قال التميمي: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فنادوا ولات حين مناص ﴾! قال: ليس بحين نداء ولا نزعٍ ولا فرار، وعن ابن عباس: ليس بحين مغاث، نادوا النداء حين لا ينفعهم، وأنشد: * تذكَّرَ ليلى لات حين تذكر *

وقال محمد بن كعب: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم، واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم، وقال قتادة: لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين النداء، وقال مجاهد: ﴿ فنادوا ولات حين مناص ﴾ ليس بحين فرار ولا إجابة، وعن زيد بن أسلم: ﴿ ولات حين مناص ﴾ ولا نداء في غير حين النداء، وهذه الكلمة، وهي (لات) هي (لا) التي للنفي زيدت معها التاء، كما تزاد في ثم، فيقولون: ثمت، ورب، فيقولون: ربت.

---

(١) وبه قال قتادة واختاره ابن جرير رحمه الله.

وأهل اللغة يقولون: النوص: التأخر، والبوص: التقدم، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ولات حين مناص﴾ أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب.

وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس﴾؟ الآية، وقال جل وعلا ههنا: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ أي بشر مثلهم، وقال الكافرون ﴿هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ أي أزعم أن المعبود واحد لا إلّه إلا هو؟ أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم، فلما دعاهم رسول الله ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإلّه بالوحدانية، أعظموا ذلك وتعجبوا، وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم﴾ وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين ﴿امشوا﴾ أي استمروا على دينكم، ﴿واصبروا على آلهتكم﴾، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد، وقوله تعالى ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ قال ابن جرير: إن هذا الذي يدعونا إليه محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه إليه.

(ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات)

روى ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم (أبو جهل) فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته، فبعث إليه، فجاء النبي ﷺ، فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجُل، قال: فخشي أبو جهل، لعنه الله، إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلساً قرب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي، ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال: وأكثروا عليه من القول، وتكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا عم، إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية»، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة نعم وأبيك عشراً[1]، فقالوا: وما هي؟ وقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال

(١) أي نعطيك بدل الكلمة الواحدة عشر كلمات.

ﷺ: «لا إله إلا الله»، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً! إن هذا لشيء عجاب﴾ ونزلت من هذا الموضع إلى قوله: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾[1].

وقولهم: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ أي ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة، قال مجاهد وقتادة: يعنون دين قريش، وقال السدي: يعنون النصرانية، وقال ابن عباس: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ يعني دين النصرانية، قالوا: لو كان هذا القرآن حقاً لأخبرتنا به النصارى ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ قال مجاهد: كذب، وقال ابن عباس: تخرص، وقولهم: ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾ يعني أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كما قال في الآية الأخرى: ﴿لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾، ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم، في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم، قال الله تعالى: ﴿بل لّما يذوقوا عذاب﴾ أي إنما يقولون هذا، لأنهم ما ذاقوا عذاب الله تعالى ونقمته، وسيعلمون غِبَّ ما قالوا وما كذبوا به.

ثم قال تعالى مبيناً أنه المتصرف في ملكه، الفعال لما يشاء، الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده، وأنَّ العباد لا يملكون شيئاً من الأمر وليس إليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة، ولهذا قال تعالى منكراً عليهم: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ أي العزيز الذي لا يرام جنابه، الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً * أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ الآية، كما أخبر عزّ وجلّ عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا: ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا، بل هو كذاب أشر * سيعلمون غداً من الكذاب الأشر﴾ وقوله تعالى: ﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب﴾ أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب، قال ابن عباس: يعني طرق السماء، وقال الضحاك: فليصعدوا إلى السماء السابعة، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ أي هؤلاء الجند المكذبون سيهزمون ويغلبون، ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين، وهذه الآية كقوله جلّت عظمته: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ كان ذلك يوم بدر ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد تقدمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعددة، وقوله تعالى: ﴿أولئك

---

(١) أخرجه ابن جرير ورواه أحمد والنسائي والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الأحزاب﴾ أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل، فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر، وقوله تعالى: ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾ قال زيد بن أسلم: أي ليس لها مثنوية، أي ما ينظرون ﴿إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾ أي فقد اقتربت ودنت وأزفت، وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرافيل أن يطولها، فلا يبقى أحد من أهل السماوات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عزّ وجلّ، وقوله جلّ جلاله: ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ هذا إنكار من الله تعالى على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب، فإن القِط هو الكتاب، وقيل: هو الحظ والنصيب، قال ابن عباس ومجاهد والضحّاك: سألوا تعجيل العذاب كما قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ وقيل: سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة ليلقوا ذاك في الدنيا، وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب، قال ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا، وهذا الذي قاله جيد. ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بالصبر على أذاهم، ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

يذكر تعالى عن عبده ورسوله (داود) عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيد، و (الأيد) القوة في العلم والعمل، قال ابن عباس: الأيد القوة، وقرأ ابن زيد: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ وقال مجاهد: الأيد: القوة في الطاعة. وقال قتادة: أعطي داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقهاً في الإسلام، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل، ويصوم نصف الدهر، وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله عزّ وجلّ صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى»[1] وإنه كان (أوّاباً) وهو الرّجاع إلى الله عزّ وجلّ في جميع أموره وشؤونه، وقوله تعالى: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ أي أنه تعالى سخر الجبال تسبّح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، كما قال عزّ وجلّ: ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾ وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجّع بترجيعه، إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء، فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء، ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجّع معه وتسبح تبعاً له.

ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿والطير محشورة﴾ أي محبوسة في الهواء ﴿كل له أواب﴾ أي مطيع يسبح تبعاً له، قال سعيد بن جبير وقتادة ﴿كل له أواب﴾ أي مطيع، وقوله تعالى: ﴿وشددنا ملكه﴾ أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك، قال مجاهد: كان أشد أهل الدنيا سلطاناً، وقال السدي: كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف، وقوله جل وعلا: ﴿وآتيناه الحكمة﴾ قال مجاهد: يعني الفهم والعقل والفطنة، وعنه: ﴿الحكمة﴾

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة.

العدل، وقال قتادة: كتاب الله واتباع ما فيه، وقال السدي: ﴿ الحكمة ﴾ النبوة، وقوله جلّ جلاله: ﴿ وفصل الخطاب ﴾ . قال شريح القاضي والشعبي: فصل الخطاب : الشهود والأيمان، وقال قتادة: شاهدان على المدعي أو يمين المدعى عليه، وقال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهم ذلك، وقال مجاهد أيضاً: هو الفصل في الكلام وفي الحكم، وهذا يشمل كل ذلك، وهو المراد واختاره ابن جرير، وعن أبي موسى رضي الله عنه، أول من قال: (أما بعد) داود عليه السلام، وهو فصل الخطاب، وكذا قال الشعبي: فصل الخطاب: أما بعد .

* وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً، لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة؛ فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يُرَدَّ علمها إلى الله عزّ وجلّ، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً[1]، وقوله تعالى: ﴿ ففزع منهم ﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه، وهو أشرف مكان في داره، وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب، أي احتاطا به، يسألانه عن شأنهما، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وعزّني في الخطاب ﴾ أي غلبني، يقال: عز يعز إذا قهر وغلب، وقوله: تعالى: ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ قال ابن عباس: أي اختبرناه، وقوله تعالى ﴿ وخر راكعاً ﴾ أي ساجداً، ﴿ وأناب ﴾ أي رجع وتاب ويحتمل أنه ركع أولاً ثم سجد بعد ذلك، ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ أي ما كان منه مما يقال فيه « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

وقد اختلف الأئمة في سجدة (ص) هل هي من عزائم السجود؟ على قولين: الجديد من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود، بل هي سجدة شكر؛ والدليل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: السجدة في (ص) ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها[2]،

---

(١) زعموا أن المراد بالخصم جبريل وميكائيل، وضمير الجمع في: تسوروا، يرجع إليهما، حملاً على لفظ الخصم. والنعجة: كناية عن المرأة، والمراد: أم سليمان، وكانت امرأة أوريا قبل داود، إلى آخر ما هنالك من أقوال غير صحيحة.

(٢) أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والإمام أحمد، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وروى البخاري عند تفسيرها عن العوام قال: سألت مجاهداً عن سجدة (ص) فقال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدت ؟ فقال: أوما تقرأ ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾، ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾؟ فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي بـه، فسجدها داود عليه الصلاة والسلام، فسجدها رسول الله ﷺ . وقوله تعالى: ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ أي وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عزّ وجلّ بها، وحسن مرجع، وهو الدرجات العالية في الجنة لتوبته وعدله التـام في ملكه، كما جاء في الصحيح: « المقسطون على منابر من نور، عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا » . وعن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: « إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة، وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وأن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر »[1] .

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

هذه وصية من الله عزّ وجل لولاة الأمور، أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، وقـد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب، بالوعيـد الأكيد والعذاب الشديد، روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي زرعة – وكان قد قرأ الكتاب – أن الوليد بن عبد الملك قال له: أيحاسب الخليفة فإنك قـد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت ؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال: قل في أمان الله، قلت: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ؟ إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى: ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ الآية[2]، وقال عكرمة: ﴿ لهم عذاب شديد بمـا نسوا يوم الحساب ﴾ هذا من المقـدم والمؤخر: لهم عذاب شديد يوم الحساب بمـا نسوا، وقال السدي: لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب، وهذا القول أظهر، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾

يخبر تعالى أنه مـا خلق الخلق عبثاً، وإنمـا خلقهم ليعبدوه ويوحّدوه، ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا ﴾، أي الذين لا يرون بعثاً ولا معاداً، وإنمـا يعتقدون هذه الدار فقط، ﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ أي ويل لهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة .

يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم، ثم بيَّن تعالى أنه عزّ وجلّ من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين، فقال تعالى: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض * أم نجعل المتقين كالفجار﴾ أي لا نفعل ذلك، ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع، ويعاقب فيها هذا الفاجر، وتدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل، الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى، لهذا الجزاء والمواساة، ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ أي ذوو العقول، وهي (الألباب) جمع لب وهو العقل، قال الحسن البصري: والله ما تدبره بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل[1].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود (سليمان) أي نبيــاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وورث سليمان داود﴾ أي في النبوة، وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قــد كان عنده مائة امرأة حرائر، وقوله تعالى: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عزّ وجلّ، وقوله تعالى: ﴿إذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات الجياد﴾ أي إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات، قال مجاهد: وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة، والجياد السراع[2]، وعن إبراهيم التيمي قال: كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر، فهبت الريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضي الله عنها لعب، فقال ﷺ: «ما هذا يا عائشة؟» قالت رضي الله عنها: بناتي، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال ﷺ: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت رضي الله عنها: فرس، قال رسول الله ﷺ: «ما هذا الذي عليه؟» قالت رضي الله عنها: جناحان، قال رسول الله ﷺ: «فرس له جناحان» قالت رضي الله عنها: أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لهـا أجنحة؟ قالت رضي الله عنها: فضحك ﷺ حتى رأيت نواجذه[3]. وقوله تبارك وتعالى: ﴿فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب﴾ ذكر غير واحد من السلف والمفسرين: أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع بــه أنه لم يتركها عمداً، بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر، حتى صلاها بعد الغروب؛ وذلك ثابت

(١) رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري.

(٢) وكذلك قال غير واحد من السلف.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن من حديث عائشة رضي الله عنها.

في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال: جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش، ويقول: يا رسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب، فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها»، فقال: فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب، ويحتمل أنه كان سائغاً في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال، والأول أقرب، لأنه قال بعده: ﴿ردوها عليَّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ قال الحسن البصري: لا والله لا تشغلني عن عبادة ربي آخر ما عليك، ثم أمر بها فعقرت، وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف[1]، ولهذا عوضه الله عزَّ وجلَّ ما هو خير منها، وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب، غدوها شهر ورواحها شهر، فهذا أسرع وخير من الخيل.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

يقول تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي اختبرناه بأن سلبناه الملك، ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾[2]. قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني شيطاناً، ﴿ثم أناب﴾ أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته، قال ابن جرير: وكان اسم ذلك الشيطان صخراً، وقيل: آصف، ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ قال بعضهم: معناه لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يصلح لأحد أن يسلبنيه بعدي، والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، وهذا هو ظاهر السياق من الآية، وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ، قال البخاري عند تفسير هذه الآية، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة - أو كلمة نحوها - ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾» قال روح: فرده خاسئاً. وروى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ، فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك، ثم قال، ألعنك بلعنة الله» ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله

---

(١) وروي عن ابن عباس أنه قال: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها بيده حباً لها، والأظهر قول الحسن والسدي.

(٢) رويت عدة روايات مطولة عن موضوع (فتنة سليمان) وكلها إسرائيليات، ومن أغربها وأنكرها ما رواه ابن أبي حاتم أن سليمان عليه السلام أراد أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت أحب نسائه إليه، فجاءها الشيطان بصورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي، فظنته سليمان فأعطته إياه، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين .. وكل هذه القصص لا تصح لأنها من الإسرائيليات وقد ذكرها ابن كثير وبيّن غرابتها ونكارتها، ولذلك ضربنا صفحاً عنها.

سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال ﷺ: «إن عدوّ الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أن آخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام يصلي صلاة الصبح، وأنا خلفه فقرأ، فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: «لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل»[2].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾ قال الحسن البصري: لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضباً لله عزّ وجلّ، عوّضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر، وقوله جل وعلا: ﴿حيث أصاب﴾ أي حيث أراد من البلاد، وقوله جل جلاله: ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾ أي منهم ما هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما بها من اللآلىء والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها، ﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ أي موثوقون في الأغلال والأكبال ممن تمرد وعصى، وامتنع من العمل وأبى، أو قد أساء في صنيعه واعتدى، وقوله عزّ وجلّ: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا، فأعط من شئت، واحرم من شئت، لا حساب عليك، أي مهما فعلت فهو جائز لك، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما خيّر بين أن يكون (عبداً رسولاً)، وبين أن يكون (نبياً ملكاً) يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، بلا حساب ولا جناح، اختار المنزلة الأولى بعد ما استشار جبريل عليه السلام، فقال له: تواضع فاختار المنزلة الأولى، لأنها أرفع قدراً عند الله عزّ وجلّ وأعلى منزلة في المعاد، وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضاً في الدنيا والآخرة، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا نبه تعالى أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً، فقال تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ أي في الدار الآخرة.

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله (أيوب) عليه الصلاة والسلام، وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء مرفوعاً. (٢) أخرجه الإمام أحمد وروى بعضه أبو داود في سننه.

جسده وماله وولده، حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليماً سوى قلبه، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين بـه على مرضه وما هو فيه، غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله، فكانت تخدم النـاس بالأجرة وتطعمه وتخدمه، نحواً من ثماني عشرة سنة، وقـد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا، فسلب جميع ذلك حتى رفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنها فإنها كانت لا تفارقه صباحاً ومساء إلا بسبب خدمة النـاس ثم تعود إليه قريباً، فلما طال المطال، واشتد الحال، وانتهى القدر، وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال: ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾، وفي هذه الآية الكريمة قال: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ قيل ﴿بنُصْب﴾ في بدني و ﴿عذاب﴾ في مـالي وولدي، فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين، وأمره أن يقوم من مقامه، وأن يركض الأرض برجله، ففعل، فأنبع الله تعالى عيناً وأمره أن يغتسل منها، فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى؛ ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر، فأنبع له عيناً أخرى، وأمره أن يشرب منها، فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء، وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً؛ ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾. روى ابن جرير وابن أبي حاتم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحـد في العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى، فيكشف ما به، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام: لا أدري ما تقول غير أن الله عزّ وجلّ يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله تعالى، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضاهـا أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطـأ عليها، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فاستبطأته، فالتفتت تنظر، فأقبل عليها، قـد أذهب الله ما بـه من البلاء، وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله القدير على ذلك، ما رأيت رجلاً أشبه بـه منك إذ كان صحيحاً، قال: فإني أنا هو»[1].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه، فناداه ربه عزّ وجلّ: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال عليه الصلاة والسلام: بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك»[2]، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منـا وذكرى لأولي الألباب﴾ قـال الحسن وقتادة: أحيـاهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿رحمة منا﴾ أي بـه على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته، ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ أي لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج، وقوله جلّت عظمته: ﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب بـه ولا تحنث﴾ وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قـد غضب على زوجته ووجد في أمر فعلته، وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة

---

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم بنحوه وهذا لفظ ابن جرير. (٢) أخرجه البخاري والإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً.

جلدة، فلما شفاه الله عزّ وجلّ وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب، فأفتاه الله عزّ وجلّ أن يأخذ ﴿ ضغثاً ﴾ وهو الشمراخ فيه مائة قضيب، فيضربها به ضربة واحدة، وقد برت يمينه، وخرج من حنثه ووفى بنذره، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه، ولهذا قال جلّ وعلا: ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾ أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ أي رجّاع منيب؛ ولهذا قال جلّ جلاله: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ۞ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ الآية واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الأيمان والله أعلم.

وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين: ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة، قال ابن عباس ﴿ أولي الأيدي ﴾: أولي القوة، ﴿ والأبصار ﴾: الفقه في الدين، وقال مجاهد: ﴿ أولي الأيدي ﴾ يعني القوة في طاعة الله تعالى، ﴿ والأبصار ﴾ يعني البصر في الحق، وقال قتادة والسدي: أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ قال مجاهد: أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم همٌّ غيرها، وقال مالك بن دينار: نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها، وقال سعيد بن جبير: يعني بالدار (الجنة) يقول: أخلصناها لهم بذكرهم لها، وقال ابن زيد: جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة، وقوله تعالى: ﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾ أي المختارين المجتبين الأخيار، فهم أخيار مختارون، وقوله تعالى: ﴿ واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ﴾. قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته ههنا، وقوله عزّ وجلّ ﴿ هذا ذكر ﴾ أي هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر، وقال السدي: يعني القرآن العظيم.

وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة ﴿لحسن مآب﴾ وهو المرجع والمنقلب. ثم فسره بقوله تعالى: ﴿ جنات عدن ﴾ أي جنات إقامة ﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾ والألف واللام ههنا بمعنى الإضافة، كأنه يقول مفتحة لهم أبوابها، أي إذا جاءوها فتحت لهم أبوابها، وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة

من وجوه عديدة، وقوله عزّ وجلّ: ﴿متكئين فيها﴾ قيل: متربعين على سرير تحت الحجال، ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة﴾ أي مهما طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا، ﴿وشراب﴾ أي من أي أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام ﴿بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾، ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن ﴿أتراب﴾ أي متساويات في السن والعمر، ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ أي هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدها لعباده المتقين، التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار، ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى: ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾، كقوله عزّ وجلّ: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، وكقوله تعالى: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع، وكقوله: ﴿أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾، والآيات في هذا كثيرة جداً.

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء، ثنّى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم، فقال عز وجل: ﴿هذا وإن للطاغين﴾ وهم الخارجون عن طاعة الله عزّ وجلّ، المخالفون لرسل الله صلى الله عليهم وسلم ﴿لشر مآب﴾ أي لسوء منقلب ومرجع، ثم فسره بقوله جل وعلا: ﴿جهنم يصلونها﴾ أي يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ﴿فبئس المهاد ۝ هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾، أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال عزّ وجلّ ﴿وآخر من شكله أزواج﴾ أي وأشياء من هذا القبيل، الشيء وضده يعاقبون بها، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن دلواً من غسّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا»[1]. وقال كعب الأحبار ﴿غساق﴾ عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية، وعقرب وغير ذلك فيستنقع، فيؤتى بالآدمي، فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج، وقد سقط جلده ولحمه عن العظام، ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبيه، ويجر لحمه كله كما يجر الرجل ثوبه[2]، وقال الحسن البصري ﴿وآخر من شكله أزواج﴾: ألوان من العذاب، كالزمهرير، والسموم، وشرب الحميم، وأكل الزقوم، والصعود والهويّ، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة، والجميع مما يعذبون به،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ورواه الترمذي وابن جرير.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار.

ويهانون بسببه، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ هـذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار﴾، هذا إخبـار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض، كما قال تعالى: ﴿ كلمـا دخلت أمة لعنت أختها﴾ يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون، ويكفر بعضهم ببعض، فتقول الطـائفة التي تدخـل قبـل الأخرى، إذا أقبلت مـع الخزنة من الزبانية ﴿ هـذا فوج مقتحم﴾ أي داخـل ﴿ معكم لا مرحبـاً بهم إنهم صالوا النـار﴾ أي لأنهـم من أهل جهنم، ﴿ قالوا بل أنتم لا مرحبـاً بكم﴾ أي فيقول لهم الداخلون ﴿ بل أنتم لا مرحبـاً بكم أنتم قدمتموه لنا﴾ أي أنتم دعوتمونا إلى مـا أفضى بنـا إلى هذا المصير، ﴿ فبئس القرار﴾ أي فبئس المنزل والمستقر والمصير ﴿ قالوا ربنا من قدّم لنـا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ قالت أخراهم لأولاهم ربنـا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار * قـال لكل ضعفٌ ولكن لا تعلمون﴾ أي لكل منكم عذاب بحسبه، ﴿ وقالوا ما لنـا لا نرى رجـالاً كنّا نعدهم من الأشرار * اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾؟ هذا إخبار عن الكفار في النار، أنهم يفتقدون رجـالاً كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة، وهم المؤمنون في زعمهم قـالوا: ما لنا لا نراهم معنـا في النار؟ قـال مجاهد: هذا قول أبي جهل يقول: ما لي لا أرى بلالاً وعماراً وصهيباً وفلاناً وفلاناً؟ وهذا ضرب مثل، وإلا فكل الكفار هــذا حالهم، يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخل الكفار النار، افتقدوهم فلم يجدوهم، فقـالوا: ﴿ ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخرياً﴾ أي في الدار الدنيا ﴿ أم زاغت عنهم الأبصار﴾؟ يسلّون أنفسهم بالمحال، يقولون: أو لعلهم معنا في جهنم، ولكن لم يقع بصرنا عليهم، فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العـاليات وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قـد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قالوا: نعم، فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظـالمين﴾، وقوله تعالى: ﴿ إن ذلك لحق تخـاصم أهل النـار﴾، أي إن هــذا الذي أخبرناك بـه يا محمد، من تخاصم أهـل النـار بعضهم في بعض، ولعن بعضهم لبعض، لحقٌ لا مرية فيه ولا شك.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للكفار بالله المشركين بـه المكذبين لرسوله ﴿ إنمـا أنا منذر﴾ لست كما تزعمون، ﴿ وما من إلّه إلا الله الواحد القهار﴾ أي هو وحده قـد قهر كل شيء وغلبه، ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه، ﴿ العزيز الغفار﴾ أي غفار مع عظمته وعزته، ﴿ قل هو نبأ عظيم﴾ أي خبر عظيم وشأن بليغ، وهو إرسال الله تعالى إياي إليكم، ﴿ أنتم عنه معرضون﴾ أي غافلون، قال مجاهد﴿ قل هو نبأ عظيم﴾: يعني القرآن، وقوله تعالى: ﴿ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾ أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى؟ يعني في شأن آدم عليه الصلاة والسـلام، وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه، وغير ذلك.

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ
﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ
مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ
إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن
تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة، وفي أول الأعراف، وفي سورة الحجر، وسبحان، والكهف، وههنا، وهي أن الله سبحانه وتعالى، أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام، بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته، فليسجدوا له إكراماً وإعظاماً واحتراماً وامتثالاً لأمر الله عزّ وجلّ، فامتثل الملائكة كلهم سوى إبليس ولم يكن منهم جنساً، كان من الجن[1]، فخانه طبعه وجبلته، فاستنكف عن السجود لآدم، وخاصم ربه عزّ وجل فيه، وادعى أنه خير من آدم، فإنه مخلوق من نار، وآدم خلق من طين، والنار خير من الطين في زعمه، وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى، وكفر بذلك فأبعده الله عزّ وجل، وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه، وحضرة قدسه، وسماه (إبليس) إعلاماً له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى، وقال: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين﴾، كما قال عزّ وجل: ﴿لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾ وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾، وقوله تعالى: ﴿قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾، قال السدي: هو قسم أقسم الله به، كقوله تعالى: ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾، وكقوله عزّ وجلّ: ﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً﴾.

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ
حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

---

(١) هذا الرأي وهو أن إبليس من الجن وليس من الملائكة هو الذي تطمئن إليه النفس وترتاح، وتدل عليه النصوص الشرعية كقوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾، وانظر الأدلة في كتابنا (النبوة والأنبياء) صفحة (١٢٨) =

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هـذا البلاغ ، وهذا النصح أجراً تعطوني إياه من عرض الحياة الدنيا ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى بـه ، ولا أبتغي زيادة عليه ، بل ما أمرت به أديته ، لا أزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة ، قـال مسروق : أتينا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال : يا أيها النـاس من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن يقول الرجل لمـا لا يعلم : الله أعلم ، فإن الله عزّ وجلّ قال لنبيكم ﷺ : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾[1] . وقوله تعالى : ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن ، قال ابن عباس ﴿ للعالمين ﴾ قال : الجن والإنس[2] ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ ولتعلمن نبأه ﴾ أي خبره وصدقه ﴿ بعد حين ﴾ أي عن قريب ، قال قتادة : بعد الموت ، قال عكرمة : يعني يوم القيامة ، ولا منافاة بين القولين ، فإن من مات فقد دخل في حكم القيامـة . وقال الحسن البصري : يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

[آخر تفسير سورة (ص) ، ولله الحمد والمنة]

* * *

= تحت عنوان : هل كان ابليس من الملائكة ؟

(١) أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش .

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

تفسير سورة ص

[وهى][1] مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ① بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ② كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلاتَ حِينَ مَنَاصٍ ③﴾.

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة «البقرة» بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقوله: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أى: والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد، ونفع لهم فى المعاش والمعاد.

قال الضحاك فى قوله: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾، كقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] أى: تذكيركم. وكذا قال قتادة، واختاره ابن جرير.

وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وإسماعيل بن أبى خالد، وابن عيينة، وأبو[2] حصين، وأبوصالح، والسدى[3]: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾: ذى الشرف، أى: ذى الشأن والمكانة.

ولا منافاة بين القولين، فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار.

واختلفوا فى جواب هذا القسم، فقال بعضهم: هو قوله: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٤]. وقيل قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤]، حكاهما[4] ابن جرير، وهذا الثانى فيه بعد كبير، وضعفه ابن جرير.

وقال قتادة: جوابه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، واختاره ابن جرير.

وقيل: جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها، والله أعلم.

ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العلم[5] أنه قال: جوابه «ص» بمعنى: صدق حق والقرآن ذى الذكر.

وقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ أى: إن فى هذا القرآن لذكرًا لمن يتذكر، وعبرة لمن يعتبر. وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ أى: استكبار عنه وحمية، ﴿وَشِقَاقٍ﴾ أى: مخالفة له ومعاندة ومفارقة.

ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من

---

(١) زيادة من ت، س. (٢) فى أ: «ابن». (٣) فى ت: «وخلق غيرهما».
(٤) فى س: «رواهما». (٥) فى أ: «العربية».

السماء، فقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أى: من أمة مكذبة، ﴿فَنَادَوْا﴾ أى[١]: حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله. وليس ذلك بمُجْد عنهم شيئا. كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبياء: ١٢] أى: يهربون، ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٣].

قال أبو داود الطيالسى: حدثنا شعبة، عن أبى إسحاق، عن التميمى قال: سألت ابن عباس عن قول الله: ﴿فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، قال: ليس بحين نداء، ولا نَزْو، ولا فرار[٢].

وقال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: ليس بحين مغاث.

وقال شبيب بن بشر[٣]، عن عكرمة، عن[٤] ابن عباس: نادوا النداء حين لا ينفعهم، وأنشد:

تَذَكَّر ليلى لاتَ حين تذكّرِ[٥]

وقال محمد بن كعب فى قوله: ﴿فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، يقول: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم، واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم.

وقال قتادة: لما رأوا العذاب أرادوا التوبة فى غير حين النداء.

وقال مجاهد: ﴿فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، ليس بحين فرار ولا إجابة.

وقد روى نحو هذا عن عكرمة، وسعيد بن جبير، وأبى مالك، والضحاك، وزيد بن أسلم، والحسن، وقتادة.

وعن مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، ولا نداء فى غير حين النداء.

وهذه الكلمة وهى «لات»، هى «لا» التى للنفى، زيدت معها «التاء»، كما تزاد فى «ثم»، فيقولون: «ثمت»، و«رب» فيقولون: «ربت». وهى مفصولة، والوقف عليها. ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره [ابن جرير][٦] أنها متصلة بحين: «ولا تحين مناص». والمشهور الأول. ثم قرأ الجمهور بنصب «حين»، تقديره: وليس الحين حين مناص. ومنهم من جوز النصب بها، وأنشد:

تَذَكَّر حُب ليلى لاتَ حينا ... وأَضْحَى الشَّيْبُ قد قَطَع القَرِينا[٧]

ومنهم من جوز الجر بها، وأنشد:

طَلَبُوا صُلْحَنَا ولاتَ أوانٍ ... فأجَبْنَا أن ليس حينُ بقاءِ[٨]

---

(١) فى ت: «إلى».

(٢) وقد رواه الطستى فى مسائل نافع بن الأزرق أنه سأل ابن عباس فذكره.

(٣) فى أ: «بشير». (٤) فى ت: «سئل».

(٥) البيت للأعشى، وعجزه: وقد تبت عنها والمناص بعيد.

(٦) ما بين المعقوفتين بياض فى س.

(٧) البيت فى تفسير الطبرى (٢٣/٧٧).

(٨) البيت لأبى زبيد الطائى، وهو فى تفسير الطبرى (٢٣/٧٧).

وأنشد بعضهم أيضا:

وَلاتَ سَاعةَ مَنْدَم

بخفض الساعة. وأهل اللغة يقولون: النوص: التأخر، والبوص: التقدم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أى: ليس الحين حين فرار ولا ذهاب.

﴿ **وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** (٤) **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** (٥) **وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ** (٦) **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ** (٧) **أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ** (٨) **أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ** (٩) **أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ** (١٠) **جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ** (١١) ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فى تعجبهم من بعثة الرسول بشرا، كما قال تعالى: ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ**﴾ [يونس: ٢]. وقال هاهنا: ﴿**وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ**﴾ أى: بشر مثلهم، ﴿**وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾ أى: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟! أنكر المشركون ذلك ـ قبحهم الله تعالى ـ وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم، فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم، وإفراد الله(١) بالوحدانية، أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ**﴾، وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين: ﴿ [**أَنِ**](٢) **امْشُوا**﴾ أى: استمروا على دينكم ﴿**وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ**﴾، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد.

وقوله: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**﴾ . قال ابن جرير: إن هذا الذى يدعونا(٣) إليه محمد من التوحيد لشىء يريد به الشرف عليكم، والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع، ولسنا مجيبيه إليه.

ذكر سبب نزول هذه الآيات :

قال السدى: إن أناسا من قريش اجتمعوا، فيهم: أبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، فى نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبى طالب فلنكلمه فيه، فلينصفنا منه، فليكف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه الذى يعبده؛ فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ، فيكون منا إليه شىء. فتعيرنا [به](٤) العرب، يقولون:

(١) فى ت، س، أ: «الإله».
(٢) زيادة من أ.
(٣) فى ت: «يدعوا».
(٤) زيادة من ت، س، أ.

«تركوه حتى إذا مات عنه[(١)] تناولوه». فبعثوا رجلا منهم يقال له[(٢)]: «المطلب»، فاستأذن لهم على أبى طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك. قال: أدخلهم. فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه. قال: فبعث إليه أبو طالب، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخى، هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك. قال: «يا عم، أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم؟»، قال: وإلام تدعوهم؟ قال: «أدعوهم [إلى][(٣)] أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم». فقال أبو جهل من بين القوم: ما هى وأبيك؟ لنعطينها[(٤)] وعشرة أمثالها. قال: تقولون: «لا إله إلا الله». فنفر وقال: سلنا غير هذا[(٥)]. قال: «لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى، ما سألتكم غيرها». فقاموا من عنده غضابا، وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذى أمرك[(٦)] بهذا. ﴿وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾.

رواه ابن أبى حاتم، وابن جرير، وزاد: فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قول: «لا إله إلا الله»، فأبى وقال: بل على دين الأشياخ. ونزلت: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص: ٥٦][(٧)].

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا: حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، حدثنا عباد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما مرض أبو طالب، دخل عليه رهط من قريش، فيهم أبو جهل، فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته؟ فبعث إليه، فجاء النبى ﷺ فدخل البيت، وبينهم وبين أبى طالب قدر مجلس رجل، قال: فخشى أبو جهل إن جلس إلى جنب أبى طالب أن يكون أرقّ له عليه. فوثب فجلس فى ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلسا قرب عمه، فجلس عند الباب. فقال له أبو طالب: أى ابن أخى، ما بال قومك يشكونك، يزعمون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول؟ قال: وأكثروا عليه من القول، وتكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا عم، إنى أريدهم على كلمة واحدة! يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدى إليهم بها العجم الجزية»، ففزعوا لكلمته ولقوله، وقالوا[(٨)]: كلمة واحدة! نعم وأبيك عشرا، فقالوا: وما هى؟ وقال أبو طالب: وأى كلمة هى يا ابن أخى؟ فقال: «لا إله إلا الله»، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، قال: ونزلت من[(٩)] هذا الموضع إلى قوله: ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ لفظ أبى كريب[(١٠)].

وهكذا رواه الإمام أحمد والنسائى، من حديث محمد بن عبد الله بن نُمَيْر، كلاهما عن أبى أسامة، عن الأعمش، عن عباد، غير منسوب، به نحوه[(١١)]، ورواه الترمذى، والنسائى، وابن أبى حاتم، وابن جرير أيضا، كلهم فى تفاسيرهم من حديث سفيان الثورى، عن الأعمش، عن يحيى بن عُمَارة

---

(١) فى أ: «عمه»، وكذا فى الطبرى. (٢) فى ت، س، أ: «يدعى». (٣) زيادة من أ.
(٤) فى ت، س، أ: «لنعطينكما». (٥) فى ت، س، أ: «غيرها». (٦) فى أ: «يأمرك».
(٧) تفسير الطبرى (٢٣/ ٨٠).
(٨) فى ت، س، أ: «فقال القوم». (٩) فى أ: «فى».
(١٠) تفسير الطبرى (٢٣/ ٧٩).
(١١) المسند (١/ ٣٦٢) والنسائى فى السنن الكبرى برقم (١١٤٣٧).

الكوفى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فذكر نحوه. وقال الترمذى[١] :حسن[٢].

وقولهم: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾ أى: ما سمعنا بهذا الذى يدعونا إليه محمد من التوحيد فى الملة الآخرة.

قال مجاهد، وقتادة، وابن[٣] زيد: يعنون دين قريش.

وقال غيرهم: يعنون النصرانية، قاله محمد بن كعب، والسدى.

وقال العوفى، عن ابن عباس: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾، يعنى: النصرانية، قالوا: لو كان هذا القرآن حقا أخبرتنا به النصارى.

﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ ﴾: قال مجاهد، وقتادة: كذب، وقال ابن عباس: تخرص.

وقولهم: ﴿ أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ يعنى: أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم، كما قالوا فى الآية الأخرى: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ ولهذا لما قالوا هذا الذى دل على جهلهم وقلة عقلهم، فى استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم، قال الله تعالى: ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ أى: إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذابَ الله ونقمته، سيعلمون غِبّ ما قالوا، وما كذبوا به، يوم يُدَعّون إلى نار جهنم دَعًا.

ثم قال مبينا أنه المتصرف فى ملكه، الفعال لما يشاء، الذى يعطى من يشاء ما يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدى من يشاء، ويضل من يشاء، وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده، ويختم على قلب من يشاء، فلا يهديه أحد من بعد الله، وإن العباد لا يملكون شيئا من الأمر، وليس إليهم من التصرف فى الملك ولا مثقال ذرة، وما يملكون من قطمير؛ ولهذا قال تعالى منكرا عليهم: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ أى: العزيز الذى لا يرام جنابه، الوهاب الذى يعطى ما يريد لمن يريد.

وهذه الآية شبيهة بقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا . أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٣ـ ٥٥]، وقوله: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشرى، وكما أخبر تعالى عن قوم صالح [عليه السلام][٤] حين قالوا: ﴿ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ . سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٥، ٢٦].

---

(١) فى ت: «ورواه الترمذى وقال: حديث حسن».
(٢) سنن الترمذى برقم (٣٢٣٢) والنسائى فى السنن الكبرى برقم (١١٤٣٦) وتفسير الطبرى (٢٣/ ٧٩).
(٣) فى ت: «وأبو». (٤) زيادة من أ.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾ أى: إن كان لهم ذلك فليصعدوا فى الأسباب.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وغيرهم: يعنى طرق السماء.

وقال الضحاك: فليصعدوا إلى السماء السابعة.

ثم قال: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ ﴾ أى: هؤلاء الجند المكذبون الذين هم فى عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويُكبتُون، كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين، وهذه كقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ . سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾وكان ذلك يوم بدر، ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٤ـ ٤٦].

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾.

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية، وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات فى مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء . وقد تقدمت قصصهم مبسوطة فى أماكن متعددة.

وقوله: ﴿ أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ ﴾ أى: كانوا أكثر منكم وأشد قوة، وأكثر أموالا وأولاداً، فما دافع[(١)] ذلك عنهم من عذاب الله من شىء، لما جاء أمر ربك[(٢)]؛ ولهذا قال: ﴿ إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل، فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر.

وقوله: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ[(٣)] إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾: قال مالك، عن زيد بن أسلم: أى ليس لها مَثْنوية، أى: ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها، أى: قد اقتربت ودنت وأزفت، وهذه الصيحة هى نفخة الفزع التى يأمر الله إسرافيل أن يطولها، فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع، إلا من استثنى[(٤)] الله عز وجل.

وقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ هذا إنكار من الله على المشركين فى دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب، فإن القط هو الكتاب وقيل: هو الحظ والنصيب.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والحسن، وغير واحد: سألوا تعجيل العذاب ـ زاد قتادة: كما قالوا: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

---

(١) فى ت، أ: «دفع»، وفى س: «لما دفع».
(٢) فى أ: «الله».
(٣) فى أ: «وما ينظرون» وهو خطأ.
(٤) فى أ: «شاء».

وقيل: سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة، إن كانت موجودة أن يلقوا[١] ذاك فى الدنيا. وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب.

وقال ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر فى الدنيا، وهذا الذى قاله جيد، وعليه يدور كلام الضحاك، وإسماعيل بن أبى خالد، والله أعلم.

ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد، قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بالصبر على أذاهم، ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر[٢] والظفر.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠)﴾ .

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود، عليه السلام: أنه كان ذا أيد، والأيد: القوة فى العلم والعمل.

قال [ابن عباس][٣] وابن زيد والسدى: الأيد: القوة، وقرأ ابن زيد: **﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾** [الذاريات: ٤٧].

وقال مجاهد: الأيد: القوة فى الطاعة .

وقال قتادة: أعطى داود [عليه السلام][٤] قوة فى العبادة، وفقها فى الإسلام، وقد ذكر لنا أنه، عليه السلام، كان يقوم ثلث الليل، ويصوم نصف الدهر.

وهذا ثابت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوما ويفطر يوما، ولا يفر إذا لاقى»[٥]. وإنه كان أوابا، وهو الرجاع إلى الله عز وجل فى جميع أموره وشؤونه.

وقوله: **﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾** أى: إنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، كما قال تعالى: **﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾** [سبأ: ١٠]. وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه، وترجع بترجيعه، إذا مر به الطير وهو سابح فى الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور، لا تستطيع الذهاب، بل تقف فى الهواء، وتسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات، ترجع معه، وتسبح تبعا له.

قال[٦] ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا محمد بن بشر، عن مِسْعَر، عن عبد الكريم، عن

---

(١) فى أ: «يسلموا». (٢) فى أ: «والنصرة». (٣) زيادة من ت، س.
(٤) زيادة من ت، س، أ.
(٥) صحيح البخارى برقم (١١٣١) وصحيح مسلم برقم (١١٥٩).
(٦) فى ت: «وروى».

موسى بن أبى كثير[١]، عن ابن عباس [٢] أنه بلغه: أن أم هانئ ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ثمانى ركعات، قال[٣] ابن عباس: قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة، يقول الله تعالى: ﴿ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾[٤].

ثم رواه من حديث سعيد بن أبى عروبة، عن أبى المتوكل، عن أيوب بن صفوان، عن مولاه عبدالله بن الحارث بن[٥] نوفل، أن ابن عباس كان لا يصلى الضحى، قال: فأدخلته على أم هانئ فقلت: أخبرى هذا ما أخبرتنى به. فقالت أم هانئ: دخل على رسول الله ﷺ يوم الفتح فى بيتى، ثم أمر بماء صب فى قصعة، ثم أمر بثوب، فأخذ بينى وبينه، فاغتسل ثم رش ناحية البيت، فصلى ثمان ركعات، وذلك من الضحى، قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء، قريب بعضهن من بعض، فخرج ابن عباس وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾، وكنت أقول: أين صلاة الإشراق، وكان بعد يقول: صلاة الإشراق[٦].

ولهذا قال : ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ أى : محبوسة فى الهواء، ﴿كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ أى: مطيع يسبح تبعا له.

قال سعيد بن جبير، وقتادة، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ أى: مطيع.

[وقوله][٧]: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ أى: جعلنا له ملكا كاملا من جميع ما يحتاج إليه الملوك.

قال ابن أبى نجيح، عن مجاهد: كان أشد أهل الدنيا سلطاناً.

وقال السدى: كان يحرسه فى كل يوم أربعة آلاف.

وقال بعض السلف: بلغنى أنه كان حَرَسُه فى كل ليلة ثلاثة وثلاثين ألفاً، لا تدور عليهم النوبة إلى مثلها من العام القابل.

وقال غيره: أربعون ألفا مشتملون[٨] بالسلاح.

وقد ذكر[٩] ابن جرير، وابن أبى حاتم، من رواية عِلْباء بن أحمر، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: أن نفرين من بنى إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود، عليه السلام، أنه اغتصبه بقرًا، فأنكر الآخر، ولم يكن[١٠] للمدعى بينة، فأرجأ أمرهما، فلما كان الليل أمر داود، عليه السلام، فى المنام بقتل المدعى، فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعى، فقال: يا نبى الله، علام تقتلنى وقد اغتصبنى هذا بقرى؟ فقال: إن الله عز وجل أمرنى بقتلك، فأنا قاتلك لا محالة. فقال: والله يا نبى

---

(١) فى ت: «بإسناده».
(٢) فى أ: «ابن عباس رضى الله عنهما».
(٣) فى ت: «فقال».
(٤) تفسير الطبرى (٢٣/ ٨٧).
(٥) فى أ: «عن».
(٦) تفسير الطبرى (٢٣/ ٨٧).
(٧) زيادة من ت، س، أ.
(٨) فى ت، س، أ: «مشتكون».
(٩) فى ت: «وروى».
(١٠) فى س: «تكن».

الله إن الله لم يأمرك بقتلى لأجل هذا الذى ادعيت عليه، وإنى لصادق فيما ادعيت، ولكنى كنت قد اغتلت أباه وقتلته، ولم يشعر بذلك أحد، فأمر به داود [عليه السلام](١) فقتل.

قال ابن عباس: فاشتدت هيبته فى بنى إسرائيل، وهو الذى يقول الله عز وجل: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾.

وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ قال مجاهد: يعنى: الفهم والعقل والفطنة. وقال مرة: الحكمة والعدل. وقال مرة: الصواب.

وقال قتادة: كتاب الله واتباع ما فيه.

وقال السدى: ﴿الْحِكْمَةَ﴾: النبوة.

وقوله: ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ قال شريح القاضى، والشعبى: فصل الخطاب: الشهود والأيمان.

وقال قتادة: شاهدان على المدعى، أو يمين المدعى عليه، هو فصل الخطاب الذى فصل به الأنبياء والرسل ـ أو قال: المؤمنون والصالحون ـ وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة، وكذا قال أبو عبدالرحمن السلمى.

وقال مجاهد، والسدى: هو إصابة القضاء وفهمه.

وقال مجاهد أيضا: هو الفصل فى الكلام وفى الحكم(٢).

وهذا يشمل هذا كله، وهو المراد، واختاره ابن جرير.

وقال(٣) ابن أبى حاتم: حدثنا عمر بن شبة النميرى، حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنى عبد العزيز ابن أبى ثابت، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن أبيه، عن بلال بن أبى بردة، عن أبيه(٤)، عن أبى موسى، رضى الله عنه، قال: أول من قال: «أما بعد» داود ،عليه السلام، وهو فصل الخطاب.

وكذا قال الشعبى: فصل الخطاب: «أما بعد».

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)﴾.

---

(١) زيادة من س، ت، أ.

(٢) فى ت: «فى القضاء والحكم».

(٣) فى ت: «ورواه».

(٤) فى ت: «بإسناده».

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشى، عن أنس ـ ويزيد وإن كان من الصالحين ـ لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن[١] يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل؛ فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضا.

وقوله: ﴿ [إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ][٢] فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾، إنما كان ذلك لأنه كان فى محرابه، وهو أشرف مكان فى داره، وكان قد أمر ألا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين قد تَسَوَّرا عليه المحراب، أى: احتاطا به يسألانه عن شأنهما.

وقوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أى: غَلَبنى. يقال: عز يعز: إذا قهر وغلب.

وقوله: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾: قال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: أى اختبرناه.

وقوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ أى: ساجدا ﴿وَأَنَابَ ﴾. ويحتمل أنه ركع أولا، ثم سجد بعد ذلك، وقد ذكر أنه استمر ساجداً أربعين صباحا، ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ﴾ أى: ما كان منه مما يقال فيه: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقد اختلف الأئمة، رضى الله عنهم[٣]، فى سجدة «ص»، هل هى من عزائم السجود؟ على قولين، الجديد من مذهب الشافعى، رحمه الله، أنها ليست من عزائم السجود، بلى هى سجدة شكر. والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال:

حدثنا إسماعيل ـ وهو ابن علية ـ عن أيوب، عن ابن عباس[٤] أنه قال فى السجود فى «ص»: ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها.

ورواه البخارى، وأبو داود، والترمذى، والنسائى فى تفسيره، من حديث أيوب، به[٥]. وقال الترمذى: حسن[٦] صحيح.

وقال[٧] النسائى أيضا عند تفسير هذه الآية: أخبرني إبراهيم بن الحسن ـ هو المقسمى ـ حدثنا حجاج بن محمد، عن عمرو[٨] بن ذر، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ سجد فى «ص»، وقال: «سجدها داود، عليه السلام، توبة، ونسجدها شكرا».

تفرد بروايته النسائى[٩]، ورجال إسناده كلهم ثقات، وقد أخبرنى شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى قراءة عليه وأنا أسمع:

---

(١) فى ت: «أنه». (٢) زيادة من ت، أ.

(٣) فى أ: «رحمهم الله».

(٤) فى أ: «عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس»، وفى ت: «ما رواه الإمام أحمد بإسناده عن ابن عباس» زيادة من أ.

(٥) المسند (١/ ٣٦٠) وصحيح البخارى برقم (١٠٦٩) وسنن أبى داود برقم (١٤٠٩) وسنن الترمذى برقم (٥٧٧).

(٦) فى أ: «حديث حسن». (٧) فى ت: «وروى». (٨) فى أ: «عمر».

(٩) النسائى فى السنن الكبرى برقم (١١٤٣٨).

أخبرنا أبو إسحاق المدرجى[(١)]، أخبرنا زاهر بن أبى طاهر الثقفى، أخبرنا زاهر بن طاهر الشحامى، أخبرنا أبو سعد الكَنْجَرُوذى، أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبوالعباس السراج، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنَيْس، عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبى يزيد قال: قال لى ابن جريج: يا حسن، حدثنى جدك عبيد الله[(٢)] بن أبى يزيد، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى رأيت فيما يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة، فقرأت السجدة، فسجدتُ فسجدت الشجرة لسجودى، فسمعتها تقول وهى ساجدة: اللهم، اكتب لى بها عندك أجرا، واجعلها لى عندك ذخرا، وضع عنى بها وزرا، واقبلها منى كما قبلتها من عبدك داود.

قال ابن عباس: فرأيت النبى ﷺ قام فقرأ السجدة، ثم سجد، فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة[(٣)].

رواه الترمذى عن قتيبة، وابن ماجه عن أبى بكر بن خلاد، كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس[(٤)]، نحوه. وقال الترمذى: غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه[(٥)].

وقال البخارى عند تفسيرها أيضا: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى، عن العوام قال: سألت مجاهدا عن سجدة «ص» فقال[(٦)]: سألت ابن عباس: من أين سجدت؟ فقال: أو ما تقرأ: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾[الأنعام: ٨٤]، ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ[(٧)] فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩]، فكان داود، عليه السلام، ممن[(٨)] أمر نبيكم ﷺ أن يقتدى به، فسجدها داود، عليه السلام، فسجدها رسول الله ﷺ[(٩)].

وقال[(١٠)] الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا حميد، حدثنا بكر ـ هو ابن عبد الله المزنى ـ أنه أخبره[(١١)]: أن أبا سعيد الخدرى[(١٢)] رأى رؤيا أنه يكتب «ص»، فلما بلغ إلى التى يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شىء بحضرته انقلب ساجدا، قال: فقصها على النبى ﷺ، فلم يزل يسجد بها بعد. تفرد به [الإمام][(١٣)] أحمد[(١٤)].

وقال[(١٥)] أبو داود: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرنى عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبى هلال، عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح، عن أبى سعيد الخدرى، رضى

(١) فى أ: «أبو إسحاق بن المدرجى».
(٢) فى أ: «عبد الله».
(٣) رواه المزى فى تهذيب الكمال (٦/ ٣١٤).
(٤) فى أ: «يزيد بن حبيش».
(٥) سنن الترمذى برقم (٥٧٩) وسنن ابن ماجة برقم (١٠٥٣).
(٦) فى ت: «بإسناده إلى مجاهد قال».
(٧) فى ت، س، أ: «هداهم» وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.
(٨) فى ت، س: «فيمن».
(٩) صحيح البخارى برقم (٤٨٠٧).
(١٠) فى ت: «وروى».
(١١) فى ت: «بإسناده».
(١٢) فى أ: «الخدرى رضى الله عنه».
(١٣) زيادة من أ.
(١٤) المسند (٣/ ٧٨).
(١٥) فى ت: «وروى».

الله عنه، قال: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر «ص»، فلما بلغ السجدة نزل فسجد، وسجد الناس معه، فلما كان يوم آخر قرأها، فلما بلغ السجدة تَشزّن[١] الناس للسجود، فقال: «إنما هى توبة نبى، ولكنى رأيتكم تَشَزّنْتُم». فنزل وسجد، وسجدوا.

تفرد به أبو داود[٢]، وإسناده على شرط الصحيح.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أى: وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها، وحسن مرجع، وهو الدرجات العاليات فى الجنة، لتوبته[٣] وعدله التام فى ملكه، كما جاء فى الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يقسطون فى أهليهم وما ولوا»[٤].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا فضيل، عن عطية[٥]، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا، إمام عادل[٦]. وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا، إمام جائر».

ورواه الترمذى من حديث فضيل ـ وهو ابن مرزوق الأغر ـ عن عطية، به[٧]. وقال: لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه.

وقال[٨] ابن أبى حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد الله بن أبى زياد، حدثنا سيار، حدثنا جعفر ابن سليمان: سمعت مالك بن دينار فى قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾، قال: يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش، ثم يقول: يا داود، مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا. فيقول: وكيف وقد سلبته؟ فيقول: إنى أرده عليك اليوم. قال: فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان.

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) ﴾.

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله[٩]. وقد توعد [الله][١٠] تعالى من ضل عن سبيله،

(١) فى ت: «تشدد».
(٢) سنن أبى داود برقم (١٤١٠).
(٣) فى ت، س: «لنبوته».
(٤) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه.
(٥) فى ت: «وروى الترمذى». (٦) فى أ: «عدل».
(٧) المسند (٣/ ٢٢) وسنن الترمذى برقم (١٣٢٩).
(٨) فى ت: «وروى». (٩) فى أ: «سبيل الله». (١٠) زيادة من أ.

وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد.

قال(١) ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، حدثنا مروان بن جناح، حدثني إبراهيم أبو زرعة ـ وكان قد قرأ الكتاب ـ أن الوليد بن عبد الملك قال له(٢): أيحاسب الخليفة، فإنك قد قرأت الكتاب الأول، وقرأت القرآن وفقهت؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، أقول؟ قال: قل في أمان. قلت: يا أمير المؤمنين، أنت أكرم على الله أو داود؟ إن الله ـ عز وجل ـ جمع له النبوة والخلافة، ثم توعده في كتابه فقال: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ**﴾ الآية.

وقال عكرمة: ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾، هذا من المقدم والمؤخر، لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا.

وقال السدي: لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب.

وهذا القول أمشى على ظاهر الآية، فالله أعلم.

﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٩)**﴾.

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه، ثم يجمعهم(٣) ليوم الجمع، فيثيب المطيع ويعذب الكافر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: الذين لا يرون بعثا ولا معادا، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط، ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**﴾، أي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم.

ثم بين تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر، فقال: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ أي: لا نفعل ذلك، ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى، يثاب فيها هذا المطيع، ويعاقب(٤) فيها هذا الفاجر(٥). وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لابد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلابد في حكمة الحكيم العليم العادل، الذي لا يظلم مثقال ذرة، من إنصاف هذا من هذا. وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة. ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة، قال: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ أي: ذوو العقول، وهي الألباب، جمع لب، وهو العقل.

---

(١) في ت: «روى». (٢) في ت: «لأبي ورعة». (٣) في ت، س: «جمعهم».
(٤) في ت: «ويعذب». (٥) في س: «العاصي».

قال الحسن البصرى: والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن [كله][١]، ما يرى له القرآنُ فى خلق ولا عمل. رواه ابن أبى حاتم.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)﴾.

يقول تعالى مخبرا أنه وهب لداود سليمان، أى: نبيا، كما قال: **﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾** [النمل: ١٦] أى: فى النبوة، وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر.

وقوله: **﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾**، ثناء على سليمان، عليه السلام، بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل.

قال[٢] ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا محمود بن خالد، حدثنا الوليد، حدثنا[٣] مكحول قال: لما وهب الله لداود سليمان، عليه[٤] السلام، قال له: يا بنى، ما أحسن؟ قال: سكينة الله وإيمان. قال: فما أقبح؟ قال: كفر بعد إيمان. قال: فما أحلى؟ قال: روح الله بين عباده. قال: فما أبرد؟ قال: عفو الله عن الناس، وعفو الناس بعضهم عن بعض. قال داود، عليه السلام: فأنت نبى.

وقوله: **﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾** أى: إذ عرض على سليمان فى حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات.

قال مجاهد: وهى التى تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة، والجياد: السراع. وكذا قال غير واحد من السلف.

وقال[٥] ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مُؤَمَّل، حدثنا سفيان، عن أبيه سعيد بن مسروق، عن إبراهيم التيمى فى قوله: **﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾** قال: كانت عشرين فرسا ذات أجنحة. كذا رواه ابن جرير.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا ابن أبى زائدة، أخبرنى إسرائيل، عن سعيد بن مسروق[٦]، عن إبراهيم التيمى قال: كانت الخيل التى شغلت سليمان، عليه الصلاة والسلام، عشرين ألف فرس، فعقرها. وهذا أشبه[٧]، والله أعلم.

وقال[٨] أبو داود: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا سعيد بن أبى مريم، أخبرنا يحيى بن أيوب، حدثنى عُمَارة بن غَزِيَّة: أن محمد بن إبراهيم حدثه، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن[٩]، عن عائشة،

---

(١) زيادة من ت، س، أ. (٢) فى ت: «روى». (٣) فى ت: «بإسناده».
(٤) فى ت، س: «عليهما». (٥) فى ت: «روى». (٦) فى ت: «بإسناده».
(٧) فى أ: «الأشبه». (٨) فى ت: «وروى». (٩) فى ت: «بإسناده».

رضى الله عنها، قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك - أو خيبر - وفى سهوتها ستر، فهبت الريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة - لُعَب - فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتى. ورأى بينهن فرسا له[١] جناحان من رقاع، فقال: «ما هذا[٢] الذى أرى وسطهن؟». قالت: فرس. قال: «وما هذا الذى عليه؟». قالت: جناحان قال: «فرس له جناحان؟!» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه ﷺ[٣].

وقوله: ﴿فَقَالَ[٤] إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾، ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت[٥] صلاة العصر، والذى يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا، كما شغل النبى ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب[٦]، وذلك ثابت فى الصحيحين من غير وجه، من ذلك عن جابر قال: جاء عمر، رضى الله عنه، يوم الخندق بعد ما غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش، ويقول: يا رسول الله، والله ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب. فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها». فقال[٧]: فقمنا إلى بُطْحَان فتوضأ للصلاة وتوضأنا[٨] لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب[٩].

ويحتمل أنه كان[١٠] سائغا فى ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال. والخيل تراد للقتال. وقد ادعى طائفة[١١] من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف، ومنهم من ذهب إلى ذلك فى حال المسايفة والمضايقة، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود، كما فعل الصحابة، رضى الله عنهم، فى فتح تستر، وهو منقول عن مكحول، والأوزاعى، وغيرهما. والأول أقرب؛ لأنه قال بعدها: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.

قال الحسن البصرى. قال: لا، والله لا تشغلينى عن عبادة ربى آخر ما[١٢] عليك. ثم أمر بها فعقرت. وكذا قال قتادة.

وقال السدى: ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف.

وقال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: جعل يمسح أعراف الخيل، وعراقيبها حبالها.

وهذا القول اختاره ابن جرير، قال: لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة، ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذى رجح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون فى شرعهم جواز مثل هذا، ولا سيما إذا كان غضبا لله عز وجل بسبب أنه

---

(١) فى أ: «لها». (٢) فى أ: «ما هذا يا عائشة».
(٣) سنن أبى داود برقم (٤٩٣٢).
(٤) فى ت، س: «قال». (٥) فى ت، أ: «عن وقت». (٦) فى أ: «المغرب».
(٧) فى ت: «قال». (٨) فى ت: «فتوضأنا».
(٩) صحيح البخارى برقم (٤١١٢) وصحيح مسلم برقم (٦٣١).
(١٠) فى أ: «ادعى هذا طائفة». (١١) فى س، أ: «أنه قد كان». (١٢) فى أ: «أحرً ما».

اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها لله تعالى[١] عوضه الله تعالى ما[٢] هو خير منها، وهى[٣] الريح التى تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، غدوها شهر ورواحها شهر، فهذا أسرع وخير من الخيل[٤].

وقال[٥] الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال[٦]، عن أبى قتادة وأبى الدهماء ـ وكانا يكثران السفر نحو البيت ـ قالا: أتينا على رجل من أهل البادية، فقال البدوى: أخذ بيدى رسول الله ﷺ فجعل يعلمنى مما علمه الله تعالى، وقال: «إنك لا تدع شيئا اتقاء الله[٧] ـ عز وجل ـ إلا أعطاك الله خيرا منه»[٨].

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) ﴾ .

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ أى: اختبرناه بأن سلبناه الملك مرة، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ : قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وغيرهم: يعنى شيطانا. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أى[٩]: رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته.

قال ابن جرير: وكان اسم ذلك الشيطان صخرا. قاله ابن عباس، وقتادة. وقيل: آصف. قاله مجاهد. وقيل: أصروا. قاله مجاهد أيضا. وقيل: حبقيق. قاله السدى. وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة.

وقد قال سعيد بن أبى عَرُوبة، عن قتادة: قال أمر سليمان، عليه السلام، ببناء بيت المقدس، فقيل له: ابنه ولا يُسمَعُ فيه صوت حديد. فقال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه. فقيل له: إن شيطانا فى البحر يقال له: «صخر» شبه المارد. قال: فطلبه وكانت عين فى البحر يَرِدُها فى كل سبعة أيام مرة، فنزح ماؤها وجعل فيها خَمْر، فجاء يوم ورْده فإذا هو بالخمر، فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلا. ثم رجع حتى عطش عطشاً شديدا، ثم أتاها[١٠] فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلا. ثم شربها حتى غلبت على عقله، قال: فأرى الخاتم، أو ختم به بين كتفيه فَذَلّ. قال: وكان ملكه فى خاتمه، فأتى به سليمان فقال: إنه

(١) فى ت، س: «عز وجل». (٢) فى ت، س: «بما». (٣) فى ت، س، أ: «وهو».
(٤) وهذا هو الصواب، وانظر كلام القرطبى فى: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٩٥، ١٩٦).
(٥) فى ت: «وروى».
(٦) فى ت: «وروى الإمام أحمد بإسناده». (٧) فى أ: «لله».
(٨) المسند (٥/ ٧٨) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٩٦): «رجاله رجال الصحيح».
(٩) فى ت، س: «ثم». (١٠) فى أ: «أتاه».

قد أمرنا ببناء هذا البيت، وقيل لنا: لا يسمعن فيه صوت حديد. قال: فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد فدار حولها، فجعل يَرَى بيضه ولا يقدر عليه، فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه، فقطعها به، حتى أفضى إلى بيضه. فأخذ الماس، فجعلوا يقطعون به الحجارة. وكان سليمان [عليه السلام](1) إذا أراد أن يدخل الخلاء ـ أو: الحمام ـ لم يدخل بخاتمه فانطلق يوما إلى الحمام، وذلك الشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة قارف فيه(2) بعض نسائه. قال: فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه، فألقاه فى البحر، فالتقمته سمكة، ونُزِع مُلك سليمان منه، وألقى على الشيطان شَبَه سليمان. قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسُلّط على ملك سليمان كله غير نسائه. قال: فجعل يقضى بينهم، وجعلوا ينكرون منه أشياء، حتى قالوا: لقد فتن نبى الله. وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب فى القوة فقال: والله لأجربنه. قال: فقال: يا نبى(3) الله ـ وهو لا يرى إلا أنه نبى الله ـ أحدنا تصيبه الجنابة فى الليلة الباردة، فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس، أترى(4) عليه بأسا؟ فقال(5): لا. قال: فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبى الله خاتمه فى بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جنى ولا طير إلا سجد له، حتى انتهى إليهم، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾، قال: هو الشيطان صخر(6).

وقال السدى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ أى: ابتلينا سليمان، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ قال: جلس الشيطان على كرسيه أربعين يوما. قال: وكان لسليمان، عليه السلام، مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها: «جرادة»، وهى آثر نسائه وآمَنَهُن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة(7) نزع خاتمه، ولم يأتمن(8) عليه أحدا من الناس غيرها، فأعطاها يوما خاتمه ودخل الخلاء، فخرج الشيطان فى صورته، فقال: هاتى الخاتم. فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا. وخرج مكانه تائها. قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما، قال: فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم، فجاؤوا حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه. قال: فبكى النساء عند ذلك، قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوا(9)، فأحدقوا به ثم نشروا التوراة فقرؤوا. قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة، والخاتم معه. ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه فى البحر، فابتلعه حوت من حيتان البحر. قال: وأقبل سليمان فى حاله التى كان فيها، حتى انتهى إلى صياد من صيادى(10) البحر، وهو جائع، وقد اشتد جوعه. فاستطعمهم من صيدهم، وقال: إنى أنا سليمان. فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجَّه، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه، فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته. قال: إنه

(1) زيادة من أ. (2) فى ت: «فيها». (3) فى أ: «أنبى».
(4) فى ت: «ترى». (5) فى ت، س: «قال».
(6) تفسير الطبرى (٢٣/ ١٠١).
(7) فى أ: «حاجته». (8) فى ت: «يأمن». (9) فى أ: «أتوه».
(10) فى ت، س، أ: «صيادين».

إنه زعم أنه سليمان. قال: فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم، فلم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شط البحر، فشق بطونهما، فجعل يغسل [دمه][١]، فوجد خاتمه فى بطن إحداهما، فأخذه فلبسه، فرد الله عليه بهاءه وملكه، وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان، عليه السلام، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا [به][٢]، فقال: ما أحمدكم على عذركم، ولا ألومكم على ما كان منكم، كان هذا الأمر لابد منه. قال: فجاء حتى أتى ملكه، وأرسل إلى الشيطان، فجيء به فأمر به فجعل فى صندوق من حديد، ثم أطبق عليه، وقفل عليه بقفل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به فألقى فى البحر، فهو فيه حتى تقوم الساعة. وكان اسمه حبقيق. قال: وسخر[٣] له الريح، ولم تكن سخرت له قبل ذلك، وهو قوله: ﴿ **وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾[٤].

وقال ابن أبى نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿ **وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا** ﴾ قال: شيطانا يقال له: آصف. فقال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرنى خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه نبذه آصف فى البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن ـ ولم يقربنه وأنكرنه. قال: فكان سليمان يستطعم، فيقول: أتعرفونى؟ أطعمونى، أنا سليمان. فيكذبونه، حتى أعطته امرأة يوما حوتا فجعل يطيب بطنه، فوجد خاتمه فى بطنه، فرجع إليه ملكه، وفر آصف، فدخل البحر فارا.

وهذه كلها من الإسرائيليات، ومن أنكرها ما قال ابن أبى حاتم:

حدثنا على بن الحسين، حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبى شيبة وعلى بن محمد قالوا: حدثنا أبو معاوية، أخبرنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس [رضى الله عنهما][٥]: ﴿ **وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثم أناب** ﴾، قال: أراد سليمان أن يدخل الخلاء، فأعطى الجرادة خاتمه ـ وكانت الجرادة[٦] امرأته، وكانت أحب نسائه إليه ـ فجاء الشيطان فى صورة سليمان، فقال لها: هاتى خاتمى. فأعطته إياه. فلما لبسه دانت له الإنس والجن[٧] والشياطين، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها: هاتى خاتمى. قالت: قد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان. قالت: كذبت، لست سليمان[٨]، فجعل لا يأتى أحداً فيقول له: «أنا سليمان»، إلا كذبه، حتى جعل[٩] الصبيان يرمونه بالحجارة. فلما رأى ذلك عَرَف أنه من أمر الله عز وجل. قال: وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه، ألقى فى قلوب الناس إنكارَ ذلك الشيطان. قال: فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: أتنكرن من سليمان شيئاً؟ قلن: نعم، إنه يأتينا ونحن حُيَّض، وما كان يأتينا قبل ذلك. فلما رأى الشيطان أنْ قد فُطن له[١٠]، ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتباً فيها سحر وكفر، فدفنوها تحت كرسى سليمان، ثم أثاروها وقرؤوها على الناس. وقالوا:

(١، ٢) زيادة من أ. (٣) فى ت، أ: «وسخرت».
(٤) تفسير الطبرى (٢٣/ ١٠١).
(٥) زيادة من أ. (٦) فى ت: «جرادة». (٧) فى أ: «والجن والطير».
(٨) فى ت: «بسليمان». (٩) فى أ: «جاء». (١٠) فى ت: «أنه فطن له».

بهذا كان يظهر سليمان على الناس [ويغلبهم][(١)]. فأكفر الناس سليمان، عليه السلام، فلم يزالوا يكفرونه، وبعث ذلك الشيطانُ بالخاتم فطرحه فى البحر، فتلقته سمكة فأخذته. وكان سليمان يحمل على شط البحر بالأجر، فجاء رجل فاشترى سمكاً فيه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم، فدعا سليمان فقال: تحمل لى هذا السمك؟ فقال: نعم. قال: بكم؟ قال بسمكة من هذا السمك. قال: فحمل سليمان، عليه السلام، السمك، ثم انطلق به إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم، فأخذها سليمان فشق بطنها، فإذا الخاتم فى جوفها، فأخذه فلبسه. قال: فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين، وعاد إلى حاله، وهَرَب الشيطان حتى دخل جزيرة[(٢)] من جزائر البحر، فأرسل سليمان فى طلبه، وكان شيطاناً مريداً، فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه، حتى وجدوه يوماً نائماً، فجاؤوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص، فاستيقظ فوثب فجعل لا يثيب فى مكان من البيت إلا انماط معه الرصاص، قال: فأخذوه فأوثقوه، وجاؤوا به إلى سليمان، فأمر به فنقر[(٣)] له تخت من رخام، ثم أدخل فى جوفه، ثم سد بالنحاس، ثم أمر به فطرح فى البحر، فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾، قال: يعنى الشيطان الذى كان سلط عليه.

إسناده إلى ابن عباس قوى، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس ـ إن صح عنه ـ من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان، عليه السلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه؛ ولهذا كان فى السياق منكرات من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور أن[(٤)] ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله منه، تشريفاً وتكريماً لنبيه ﷺ، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وجماعة آخرين، وكلها متُلقَّاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب.

وقال يحيى بن أبى عمرو السيبانى: وجد سليمان خاتمه فى عسقلان، فمشى فى خرقة[(٥)] إلى بيت المقدس، تواضعاً لله عز وجل، رواه ابن أبى حاتم.

وقد روى ابن أبى حاتم عن كعب الأحبار فى صفة كرسى سليمان، عليه الصلاة والسلام، خبرا عجيبا، فقال: حدثنا أبى، رحمه الله، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، أخبرنى أبو إسحاق المصرى، عن كعب الأحبار؛ أنه لما فرغ من حديث «إرم ذات العماد» قال له معاوية: يا أبا إسحاق، أخبرنى عن كرسى سليمان بن داود، وما كان عليه؛ ومن أى شىء هو؟ فقال: كان كرسى سليمان من أنياب الفيلة مُفَصّصاً بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ. وقد جُعل له درجة منها مُفَصّصة بالدر والياقوت والزبرجد، ثم أمر بالكرسى فحُفّ من جانبيه بالنخل، نخل من ذهب، شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ. وجعل على رؤوس النخل التى عن يمين الكرسى طواويس من ذهب، ثم جُعل على رؤوس النخل التى على يسار الكرسى نسور من ذهب مقابلة الطواويس، وجعل على يمين الدرجة الأولى

---

(١) زيادة من أ. (٢) فى ت: «لحق بجزيرة». (٣) فى ت: «فنقب».
(٤) فى أ: «فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من السلف أن».
(٥) فى أ: «بحرقة».

شجرتا صنوبر من ذهب، وعن يسارها أسَدَان من ذهب، وعلى رؤوس الأسدين عمودان من زبرجد، وجعل من جانبى الكرسى شجرتا كرم من ذهب، قد أظلتا الكرسى، وجعل عناقيدهما درا وياقوتا أحمر. ثم جعل فوق دَرَج الكرسى أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرا. فإذا أراد سليمان أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة، ثم يقعان[(١)] فينضحان ما فى أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسى سليمان، عليه السلام، ثم يوضع منبران من ذهب، واحد لخليفته، والآخر لرئيس أحبار بنى إسرائيل ذلك الزمان. ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرا من ذهب، يقعد عليها سبعون قاضيا من بنى إسرائيل وعلمائهم، وأهل الشرف منهم والطول، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرا من ذهب، ليس عليها أحد، فإذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى، فاستدار الكرسى كله بما فيه وما عليه، ويبسط الأسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الأيسر، ثم يصعد [سليمان][(٢)] على الدرجة الثانية، فيبسط الأسد يده اليسرى، وينشر النسر جناحه الأيمن، فإذا استوى سليمان على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسى، أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان فوضعه على رأسه، فإذا وضعه على رأسه استدار الكرسى بما فيه كما تدور الرحى المسرعة. فقال معاوية، رضى الله عنه: وما الذى يديره يا أبا إسحاق؟ قال: تنين من ذهب، ذلك الكرسى عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجنى، فإذا أحست بدورانه تلك النسور والأُسْدُ والطواويس التى فى أسفل الكرسى دُرْنَ إلى أعلاه، فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رؤوسهن على رأس سليمان [ابن داود][(٣)] عليه[(٤)] السلام وهو جالس، ثم ينضحن جميعاً ما فى أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان، عليه السلام. ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر، التوراةَ فتجعلها فى يده، فيقرؤها سليمان على الناس.

وذكر تمام الخبر[(٥)]، وهو غريب جدا.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾، قال بعضهم: معناه: لا ينبغى لأحد من بعدى، أى: لا يصلح لأحد أن يسلبنيه، كما كان من قضية[(٦)] الجسد الذى ألقى على كرسيه، لا أنه يحجر على من بعده من الناس. والصحيح أنه سأل من الله ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، وهذا هو ظاهر السياق من الآية، وبه[(٧)] وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ.

قال[(٨)] البخارى عند تفسير هذه الآية: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا روح ومحمد بن جعفر، عن شعبة، عن محمد بن زياد[(٩)]، عن أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «إن عفريتا من الجن تَفَلَّت علىّ البارحة ـ أو كلمة نحوها ـ ليقطع على الصلاة، فأمكننى الله منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تُصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخى سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾».

---

(١) فى ت: «يقفان». (٢) زيادة من ت، أ. (٣) زيادة من أ.
(٤) فى أ: «عليهما». (٥) فى ت: «الحديث». (٦) فى ت: «فى قصة»، وفى أ: «من قصة».
(٧) فى ت، س، أ: «وبذلك». (٨) فى ت: «فروى». (٩) فى ت: «بإسناده».

قال روح: فرده خاسئا[١].

وكذا رواه مسلم والنسائى، من حديث شعبة، به[٢].

وقال مسلم فى صحيحه: حدثنا محمد بن سلمة المُرَادى، حدثنا عبد الله بن وهب، عن معاوية ابن صالح، حدثنى ربيعة بن يَزيد، عن أبى إدريس الخولانى[٣]، عن أبى الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ يصلى، فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك». ثم قال: «ألعنك بلعنة الله» ـ ثلاثا ـ وبسط يَدَه كأنه يتناول شيئا، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله، قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك؟ قال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى، فقلت: أعوذ بالله منك ـ ثلاث مرات ـ ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة. فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخْذَه والله لولا دعوة أخينا سليمان، لأصبح موثقا يلعب به صبيان[٤] أهل المدينة»[٥].

وقال[٦] الإمام أحمد: حدثنا أبو أحمد، حدثنا ميسرة بن معبد، حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال: رأيت عطاء بن يزيد الليثى قائما يصلى، فذهبت أمر بين يديه فردنى، ثم قال[٧]: حدثنى[٨] أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قام يصلى[٩] صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: «لو رأيتمونى وإبليس، فأهويت بيدى، فما زلت أخنقه حتى وجدت بَرْدَ لعابه بين إصبعى هاتين ـ الإبهام والتى تليها ـ ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح[١٠] مربوطا بسارية من سوارى المسجد، يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم ألا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل».

وقد روى أبو داود منه: «من استطاع منكم ألا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل»، عن أحمد ابن أبى سُرَيج، عن أبى أحمد الزبيرى، به[١١].

وقال[١٢] الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا إبراهيم بن محمد الفزارى، حدثنا الأوزاعى، حدثنى ربيعة بن يزيد[١٣]، عن عبد الله الديلمى قال: دخلت على عبد الله بن عمرو، وهو فى حائط له بالطائف يقال له: «الوهط»، وهو مُخَاصر فتى من قريش يُزَنّ بشُرْب الخمر، فقلت: بلغنى عنك حديث أنه «من شرب شربة خَمْر لم يقبل الله، عز وجل، له توبَةً أربعين صباحاً، وإن الشقى من شقى فى بطن أمه، وإنه من أتى بيت المقدس لا يَنْهَزه إلا الصلاة فيه، خرج

(١) صحيح البخارى برقم (٤٨٠٨).
(٢) صحيح مسلم برقم (٥٤١) والنسائى فى السنن الكبرى برقم (١١٤٤٠).
(٣) فى ت: «بإسناده». (٤) فى ت، س، أ: «ولدان».
(٥) صحيح مسلم برقم (٥٤٢).
(٦) فى ت: «وروى». (٧) فى ت: «بإسناده». (٨) فى ت: «عن».
(٩) فى ت: «فصلى».
(١٠) فى ت: «أصبح».
(١١) المسند (٣/٨٣) وسنن أبى داود برقم (٦٩٩).
(١٢) فى ت: «وروى». (١٣) فى ت: «بإسناده».

من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده، ثم انطلق. فقال عبدالله بن عمرو [١]: إنى لا أحل لأحد أن يقول عَلَىّ ما لم أقل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شرب من الخمر شربة، لم تقبل له صلاة أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن[٢] عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه. فإن عاد ـ قال: فلا أدرى فى الثالثة أو الرابعة ـ فإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من رَدْغَة الخبال يوم القيامة». قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق خلقه فى ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك[٣] أقول: جف القلم على علم الله عز وجل». وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن سليمان سأل الله تعالى ثلاثا، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة: سأله حكما يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده، فأعطاه إياه، وسأله أيّما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد، خرج من خطيئته كيوم[٤] ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله تعالى[٥] قد أعطانا إياها»[٦].

وقد روى هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائى وابن ماجه من طرق، عن عبد الله بن فيروز الديلمى، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه، عز وجل، خلالا ثلاثا. . .» وذكره[٧].

وقد روى من حديث رافع بن عمير، رضى الله عنه، بإسناد وسياق غريبين، فقال الطبرانى:

حدثنا محمد بن الحسن بن قُتَيْبة العسقلانى، حدثنا محمد بن أيوب بن سُوَيْد، حدثنى أبى، حدثنا إبراهيم بن أبى عَبْلَة، عن أبى الزاهرية[٨]، عن رافع بن عمير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل لداود، عليه السلام: ابن لى بيتاً فى الأرض. فبنى داود [٩] بيتاً لنفسه قبل البيت الذى أمر به، فأوحى الله إليه: يا داود، نصبت بيتك قبل بيتى؟ قال: يا رب، هكذا قضيت[١٠]، من ملك استأثر. ثم أخذ فى بناء المسجد، فلما تم السور سقط، ثلاثا، فشكا ذلك إلى الله عز وجل، فقال: يا داود[١١]، إنك لا تصلح أن تبنى لى بيتاً. قال: ولم يا رب؟ قال: لما جرى على يديك من الدماء. قال: يا رب، أو ما كان[١٢] ذلك فى هواك ومحبتك؟ قال: بلى، ولكنهم عبادى، وأنا أرحمهم. فشق ذلك عليه، فأوحى الله إليه: لا تحزن، فإنى سأقضى بناءه على يدى ابنك سليمان. فلما مات داود أخذ سليمان فى بنائه فلما تم قرب القرابين، وذبح الذبائح، وجمع بنى إسرائيل، فأوحى الله إليه: قد أرى سرورَك ببنيان بيتى، فسلنى أعطك. قال: أسألك ثلاث خصال: حكما يصادف حكمك، وملكا لا ينبغى لأحد من بعدى، ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه

---

(١) فى أ: «عمرو رضى الله عنهما». (٢) فى أ: «وإن». (٣) فى أ: «ولذلك».
(٤) فى ت، س، أ: «مثل يوم». (٥) فى ت، س، أ: «عز وجل».
(٦) المسند (٢/ ١٧٦).
(٧) سنن النسائى (٢/ ٤٣) وسنن ابن ماجة برقم (١٤٠٨).
(٨) فى ت: «وروى الطبرانى بإسناده». (٩) فى ت: «داود عليه السلام».
(١٠) فى ت، س، أ: «هكذا قلت فيما قضيت». (١١) فى ت، أ: «فأوحى الله إليه».
(١٢) فى ت، س، أ: «أو لم يكن».

خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». قال رسول الله ﷺ: «أما ثنتان فقد أعطيهما، وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة»[١].

وقال[٢] الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عُمَر بن راشد اليمامى، حدثنا إياس بن سلمة ابن الأكوع، عن أبيه قال: ما سمعت رسول الله ﷺ دعا دعاءً إلا استفتحه بـ «سبحان الله ربى الأعلى العلى الوهاب»[٣].

وقد قال[٤] أبو عبيد: حدثنا على بن ثابت، عن جعفر بن بَرْقان، عن صالح بن مسمار قال: لما مات نبى الله داود أوحى الله إلى ابنه سليمان، عليهما[٥] السلام: أن سلنى حاجتك. قال: أسألك أن تجعل لى قلبا يخشاك، كما كان قلب أبى، وأن تجعل قلبى يحبك كما كان قلب أبى. فقال الله: أرسلت إلى عبدى وسألته[٦] حاجته، فكانت [حاجته][٧] أن أجعل قلبه يخشانى، وأن أجعل قلبه يحبنى. لأهَبَنّ له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده. قال الله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، والتى بعدها، قال: فأعطاه [الله][٨] ما أعطاه، وفى الآخرة لا حساب عليه.

هكذا أورده أبو القاسم ابن عساكر فى ترجمة سليمان، عليه السلام ، فى تاريخه[٩].

وروى عن بعض السلف أنه قال: بلغنى عن داود [عليه السلام][١٠] أنه قال: «إلهى، كن لسليمان كما كنت لى»: فأوحى الله إليه: أن قل لسليمان: يكون لى كما كنت لى، أكون له كما كنتُ لك.

وقوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾: قال الحسن البصرى، رحمه الله: لما عقر سليمان الخيل غضبا لله، عز وجل، عوضه الله ما هو خير منها وأسرع، الريح التى غدوها شهر ورواحها شهر.

وقوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أى: حيث أراد من البلاد.

وقوله: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ أى: منهم من هو مستعمل فى الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التى لا يقدر عليها البشر، وطائفة غواصون فى البحار يستخرجون مما[١١] فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التى لا توجد إلا فيها، ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أى: موثوقون فى الأغلال والأكبال، ممن قد تَمَرّد وعصى وامتنع من العمل وأبى، أو قد أساء فى صنيعه واعتدى.

---

(١) المعجم الكبير (٥/ ٢٤) قال الهيثمى فى المجمع (٤/ ٨): «فيه محمد بن أيوب بن سويد الرملى وهو متهم بالوضع».

(٢) فى ت: «وروى».

(٣) المسند (٤/ ٥٤) قال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٥٦): «فيه عمر بن راشد اليمامى وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٤) فى ت: «وروى». (٥) فى ت، أ: «عليه». (٦) فى ت، س: «أسأله».

(٧) زيادة من ت، س. (٨) زيادة من أ.

(٩) تاريخ دمشق (٧/ ٥٦٩ «القسم المخطوط».

(١٠) زيادة من ت، س، أ. (١١) فى ت: «ما».

وقوله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: هذا الذى أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا، فأعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك، أى: مهما فعلتَ فهو جائز لك، احكم بما شئت فهو صواب.

وقد ثبت فى الصحيحين[١] أن رسول الله ﷺ لما خُيِّر بين أن يكون عبداً رسولا ـ وهو الذى يفعل ما يؤمر به، وإنما هو قاسم يقسم بين الناس ما أمره الله به ـ وبين أن يكون ملكا نبيا، يعطى من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح، اختار المنزلة الأولى بعد ما استشار جبريل، فقال له: تواضع. فاختار المنزلة الأولى؛ لأنها أرفع قدرا عند الله وأعلى منزلة فى المعاد. وإن كانت المنزلة الثانية وهى النبوة مع الملك عظيمة أيضا فى الدنيا وفى الآخرة؛ ولهذا لما ذكر تعالى ما أعطى سليمان فى الدنيا نبه على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضا، فقال: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أى: فى الدار الآخرة.

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) ﴾.

يذكر تعالى عبده ورسوله أيوب، عليه السلام، وما كان ابتلاه تعالى به من الضر فى جسده وماله وولده، حتى لم يبق من جسده مَغْرز إبرة سليما سوى قلبه، ولم يبق له من حال الدنيا شىء يستعين به على مرضه وما هو فيه، غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله، فكانت تخدم الناس بالأجرة[٢] وتطعمه، وتخدمه نحوا من ثمانى عشرة سنة. وقد كان قبل ذلك فى مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا، فَسُلبَ جميعَ ذلك، حتى آل به الحال إلى أن ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها، ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته، رضى الله عنها، فإنها كانت لا تفارقه صباحاً و[لا][٣] مساء إلا بسبب خدمة الناس، ثم تعود إليه قريباً. فلما طال المطال، واشتد الحال، وانتهى القدر المقدور، وتم الأجل المقدر، تضرع[٤] إلى رب العالمين وإله المرسلين، فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]، وفى هذه الآية الكريمة قال: رَبِّ، إنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب، قيل: بنصب فى بدنى، وعذاب فى مالى وولدى. فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين، وأمره أن يقوم من مقامه، وأن يركض الأرض برجله. ففعل فأنبع الله عينا وأمره أن يغتسل منها، فأذهب جميع ما كان فى بدنه من الأذى[٥]. ثم أمره فضرب الأرض فى مكان آخر، فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها، فأذهبت ما كان فى باطنه[٦] من السوء، وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾.

---

(١) فى أ: «الصحيح». (٢) فى أ: «بالأجر». (٣) زيادة من أ.
(٤) فى ت، س: «ضرع». (٥) فى ت، س: «ما كان به من الأذى». (٦) فى أ: «بباطنه».

قال[1] ابن جرير، وابن أبى حاتم جميعاً: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرنى نافع بن يزيد، عن عقيل، عن ابن شهاب[2]، عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن نبى الله أيوب، عليه السلام، لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم ـ والله ـ لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين. قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: من ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله، فيكشفَ ما به [3]. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: لا أدرى ما تقول، غير أن الله يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله، عز وجل، فأرجع إلى بيتى فأكفر عنهما، كراهية أن يذكرا الله إلا فى حق. قال: وكان[4] يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحى الله تعالى إلى أيوب، عليه السلام، أن ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ، فاستبطأته، فتلقته تنظر، فأقبل[5] عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان. فلما رأته قالت: أى بارك الله فيك، هل رأيت نبى الله هذا المبتلى. فوالله على ذلك، ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا. قال: فإنى[6] أنا هو. قال: وكان له أندران، أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير حتى فاض. هذا لفظ ابن جرير رحمه الله[7].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن همام بن مُنَبِّه قال: هذا ما حدثنا[8] أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أيوب يغتسل عريانا، خَرَّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثو فى ثوبه، فناداه ربه[9]: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى بى عن بركتك».

انفرد بإخراجه البخارى، من حديث عبد الرزاق، به[10].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ، قال الحسن، وقتادة: أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم.

وقوله: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أى: به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته، ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أى: لذوى العقول، ليعلموا أن عاقبةَ الصبر الفرجُ والمخرجُ والراحة.

---

(١) فى ت: «روى». (٢) فى ت: «بسندهما». (٣) فى أ: «ما به من مرضه».
(٤) فى أ: «وكان أيوب». (٥) فى أ: «وأقبل». (٦) فى أ: «فقال إنى».
(٧) تفسير الطبرى (٢٣/١٠٧) ورواه البزار فى مسنده (٢٣٥٧) «كشف الأستار»، وأبو نعيم فى الحلية (٣/٣٧٤) من طريق سعيد ابن أبى مريم عن نافع بن يزيد به. قال البزار: «لا نعلم رواه عن الزهرى عن أنس إلا عقيل، ولا عنه إلا نافع، ورواه عن نافع غير واحد»، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/٢٠٨): «رجال البزار رجال الصحيح».
(٨) فى ت: «وروى القارى». (٩) فى ت، س، أ: «ربه عز وجل».
(١٠) المسند (٢/٣١٤) وصحيح البخارى برقم (٢٧٨).

وقوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ﴾، وذلك أن أيوب، عليه السلام، كان قد غضب على زوجته، ووجَد عليها فى أمر فعلته. قيل: [إنها][1] باعت ضفيرتها [2] بخبز فأطعمته إياه، فلامها على ذلك، وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة. وقيل: لغير ذلك من الأسباب. فلما شفاه الله وعافاه، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب، فأفتاه الله، عز وجل، أن يأخذ ضغثاً ـ وهو: الشِّمراخ ـ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة، وقد برّت يمينه، وخرج من حنثه ووفى بنذره، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأناب إليه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه ﴿نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أى: رجّاع منيب؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقد استدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل فى الإيمان وغيرها، وأخذوها[3] بمقتضاها، [ومنعت طائفة أخرى من الفقهاء من ذلك وقالوا: لم يثبت أن الكفارة كانت مشروعة فى شرع أيوب ،عليه السلام، فلذلك رخص له فى ذلك، وقد أغنى الله هذه الأمة بالكفارة][4].

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ يعنى بذلك: العمل الصالح والعلم النافع والقوة فى العبادة والبصيرة النافذة.

قال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: ﴿أُولِي الأَيْدِي﴾ يقول: أولى القوة، ﴿وَالأَبْصَارِ﴾ يقول: الفقه فى الدين.

وقال مجاهد: ﴿أُولِي الأَيْدِي﴾، يعنى: القوة فى طاعة الله، ﴿وَالأَبْصَارِ﴾ يعنى: البصر[5] فى الحق.

وقال قتادة والسدى: أعطُوا قوة فى العبادة وبَصرًا فى الدين.

[وقوله][6]: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ قال مجاهد: أى جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هَمّ غيرها. وكذا قال السدى: ذكرهم للآخرة وعملهم لها.

وقال مالك بن دينار: نزع الله من قلوبهم حب الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها. وكذا قال عطاء الخراساني.

---

(١) زيادة من ت، أ. (٢) فى أ: «ضفيرتيها». (٣) فى ت، س: «وأخذوا».
(٤) زيادة من ت، أ. (٥) فى أ: «البصير». (٦) زيادة من ت، س، أ.

وقال سعيد بن جُبَيْر: يعنى بالدار الجنة، يقول: أخلصناها لهم بذكرهم لها[(١)]، وقال فى رواية أخرى: ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾: عقبى الدار.

وقال قتادة: كانوا يذكّرون الناس الدار الآخرة والعمل لها.

وقال ابن زيد: جعل لهم[(٢)] خاصةً أفضل شىء فى الدار الآخرة.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾ أى: لمن المختارين المجتبين الأخيار، فهم أخيار مختارون.

وقوله: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ﴾، قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة فى سورة «الأنبياء» بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أى: هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر.

وقال السدى: يعنى القرآن.

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ (٥٤) ﴾.

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء، أن لهم فى [الدار][(٣)] الآخرة ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ وهو: المرجع والمنقلب. ثم فسره بقوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أى: جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب.

والألف واللام هنا[(٤)] بمعنى الإضافة، كأنه يقول: «مفتحة لهم أبوابها» أى: إذا جاؤوها فتحت لهم أبوابها.

قال[(٥)] ابن أبى حاتم: حدثنا محمد بن ثواب الهَبَّارى، حدثنا عبد الله بن نُمَيْر، حدثنا عبد الله ابن مسلم ـ يعنى: ابن هرمز ـ عن ابن سابط[(٦)]، عن عبد الله بن عمرو [رضى الله عنهما][(٧)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة قصرا يقال له: «عدن»، حوله البروج والمروج، له خمسة آلاف باب، عند كل باب خمسة آلاف حبَرَة لا يدخله ـ أو: لا يسكنه ـ إلا نبى أو صديق أو شهيد أو إمام عدل»[(٨)].

وقد ورد فى [ذكر] [(٩)] أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾: قيل: متربعين فيها على سرر[(١٠)] تحت الحجال، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ

(١) فى ت: «أخلصناهم بذكرهم لها». (٢) فى ت: «لها». (٣) زيادة من س، أ.
(٤) فى ت: «هاهنا». (٥) فى ت: «روى». (٦) فى ت: «بإسناده».
(٧) زيادة من أ.
(٨) ورواه البزار فى مسنده برقم (١٥٩١) «كشف الأستار» من طريق محمد بن ثواب به، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/١٩٦): «فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف».
(٩) زيادة من ت، أ. (١٠) فى أ: «سرير».

كَثِيرَةٍ﴾ أى: مهما طلبوا وجدوا، وحضر كما أرادوا. ﴿وَشَرَابٍ﴾ أى: من أى أنواعه شاؤوا أتتهم به الخدام﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨].

﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾أى: عن غير أزواجهن، فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن، ﴿أَتْرَابٌ﴾ أى: متساويات فى السن والعمر. هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب، والسدّى.

﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أى: هذا الذى ذكرنا من صفة الجنة التى(١) وعدها لعباده المتقين، التى(٢) يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار.

ثم أخبر عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾، كقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وكقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وكقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨] أى: غير مقطوع، وكقوله: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥] والآيات فى هذا كثيرة جدا.

﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) ﴾.

لما ذكر تعالى مآل السعداء، ثنّى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم فى دار معادهم وحسابهم، فقال: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ ﴾ وهم: الخارجون عن طاعة الله، المخالفون لرسل الله، ﴿ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ أى: لسوء منقلب ومرجع. ثم فسره بقوله: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ أى: يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم، ﴿ فَبِئْسَ الْمِهَادُ . هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ أما الحميم فهو: الحار الذى قد انتهى حره، وأما الغَسَّاق فهو: ضده، وهو البارد الذى لا يستطاع من شدة برده المؤلم؛ ولهذا قال: ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ أى: وأشياء من هذا القبيل، الشىء وضده يعاقبون بها.

قال(٣) الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لَهيعة، حدثنا درّاج، عن أبى الهيثم(٤)، عن أبى سعيد (٥) ،عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن دَلْواً من غَسَّاق يهراق فى الدنيا، لأنتن أهل الدنيا»(٦).

---

(١) فى ت، س، أ: «الجنة هى التى». (٢) فى أ: «الذين». (٣) فى ت: «روى».
(٤) فى ت: «بسنده». (٥) فى أ: «سعيد رضى الله عنه» .
(٦) المسند (٣/٢٨).

ورواه الترمذى، عن سُوَيْد بن نصر، عن ابن المبارك، عن رِشْدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دَرّاج، به. ثم قال: «لا نعرفه إلا من حديث رشدين»[١]. كذا قال: وقد تقدم من غير حديثه. ورواه ابن جرير، عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، به[٢].

وقال كعب الأحبار: غساق: عين فى جهنم، يسيل إليها حُمَة كل ذات حُمَة من حية وعقرب وغير ذلك، فيستنقع، فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام، ويتعلق جلده ولحمه فى كعبيه وعقبيه، ويُجَر لحمه كما يَجُر الرجل ثوبه. رواه ابن أبى حاتم.

وقال الحسن البصرى فى قوله: ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾: ألوان من العذاب.

وقال غيره: كالزمهرير، والسموم، وشرب الحميم، وأكل الزقوم، والصعود والهوى، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة[٣]، والجميع مما يعذبون به، ويهانون بسببه.

وقوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ النَّارِ﴾، هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، يعنى بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون[٤]، ويكفر بعضهم ببعض، فتقول الطائفة التى تدخل قبل الأخرى، إذا أقبلت التى بعدها مع الخزنة من الزبانية: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ﴾ أى: داخل معكم، ﴿لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ النَّارِ﴾ [أى][٥]: لأنهم من أهل جهنم[٦]. ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أى: فيقول لهم الداخلون: ﴿بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أى: أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير، ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أى: فبئس المنزل والمستقر والمصير. ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾، كما قال عز وجل[٧]: ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]، أى: لكل منكم عذاب بحسبه، ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ . أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾، هذا إخبار عن الكفار فى النار أنهم يفقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة، وهم المؤمنون فى زعمهم، قالوا: ما لنا لا نراهم معنا فى النار؟

قال[٨] مجاهد: هذا قول أبى جهل، يقول: ما لى لا أرى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا.

وهذا مثل ضرب، وإلا فكل الكفار هذا حالهم: يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم، فقالوا: ﴿مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ . أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أى: فى الدنيا[٩]، ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾، يسلون أنفسهم بالمحال، يقولون: أو لعلهم

---

(١) سنن الترمذى برقم (٢٥٨٤).
(٢) تفسير الطبرى (٢٣/ ١١٤).
(٣) فى ت، س: «المتضاضة والمتخالفة».
(٤) فى ت: «ويتجاذبون».
(٥) زيادة من ت، س.
(٦) فى ت: «النار».
(٧) فى ت، س: «تعالى».
(٨) فى ت: «وقال».
(٩) فى أ: «دار الدنيا».

معنا فى جهنم، ولكن لم يقع بصرنا عليهم. فعند ذلك يعرفون أنهم فى الدرجات العاليات[١]، وهو[٢] قوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿[وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ . أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ] [٣] ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤ ـ ٤٩].

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أى: إن هذا الذى أخبرناك به يا محمد، من تخاصم أهل النار بعضهم فى بعض، ولعن بعضهم لبعض، لحق لا مرية فيه ولا شك.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ .

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ[٤] أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله: إنما أنا منذر[٥] لست كما تزعمون، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أى: هو[٦] وحده قد قهر كل شىء وغلبه. ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أى: هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه، ﴿الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ أى: غفار مع عزته وعظمته.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أى: خبر عظيم وشأن بليغ، وهو إرسال الله إياى إليكم، ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أى: غافلون.

قال مجاهد، وشريح القاضى، والسدى فى قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ يعنى: القرآن.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أى: لولا الوحى من أين كنت أدرى باختلاف الملأ الأعلى؟ يعنى: فى شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه فى تفضيله عليه.

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم، حدثنا جهضم اليمامى، عن يحيى بن أبى كثير، عن زيد بن أبى سلام، عن أبى سلام، عن عبد الرحمن بن عائش، عن مالك بن يخامر، عن معاذ، رضى الله عنه، قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى قرن الشمس. فخرج رسول الله ﷺ سريعا، فَثَوَّب بالصلاة فصلى، وتَجَوَّز فى صلاته، فلما سلم قال: «كما أنتم على مصافكم». ثم أقبل إلينا فقال: «إنى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة، إنى قمت من الليل فصليت ما قُدِّر لى، فنعست فى صلاتى حتى استيقظت، فإذا أنا بربى[٧] فى أحسن صورة، فقال: يا محمد، أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟

---

(١) فى ت: «العلا». (٢) فى أ: «وهى». (٣) زيادة من ت، س.
(٤) فى س: «صلوات الله وسلامه عليه». (٥) فى أ: «نذير مبين». (٦) فى ت: «وهو» .
(٧) فى ت، س، أ: «بربى عز وجل».

قلت: لا أدرى رب ـ أعادها ثلاثا ـ فرأيته وضع كفه بين كتفى، حتى وجدت برد أنامله بين صدرى، فتجلى لى كل شىء وعرفت، فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: فى الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت[١]: نقل الأقدام إلى الجمعات[٢]، والجلوس[٣] فى المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء عند الكريهات. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام. قال: سل. قلت: اللهم، إنى أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لى وترحمنى، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربنى إلى حبك». وقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها وتعلموها»[٤]، فهو حديث المنام المشهور، ومن جعله يقظة فقد غلط، وهو فى السنن من طرق.

وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذى من حديث «جهضم بن عبد الله اليمامى» به. وقال: «حسن صحيح»[٥] وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور فى القرآن[٦] إن هذا قد فسر، وأما الاختصام الذى فى القرآن فقد فسر بعد هذا، وهو قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) ﴾ .

هذه القصة ذكرها الله، تعالى، فى سورة «البقرة»، وفى أول «الأعراف»، وفى سورة «الحجر»، و[فى][٧] «سبحان»، و«الكهف»، وهاهنا. وهى أن الله، سبحانه، أعلم الملائكة قبل خلق آدم، عليه السلام، بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون، وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما وإعظاما واحتراما، وامتثالا لأمر الله عز وجل. فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس، ولم يكن منهم جنسا؛ كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه، فاستنكف[٨] عن السجود لآدم، وخاصم ربه عز وجل فيه، وادعى[٩] أنه خير من آدم؛ فإنه مخلوق

(١) فى أ: «قال». (٢) فى ت، أ: «الجماعات». (٣) فى ت، س، أ: «وجلوس».
(٤) المسند (٥/ ٢٤٣).
(٥) سنن الترمذى برقم (٣٢٣٥) وقال: «سألت محمد بن إسماعيل ـ يعنى: عن هذا الحديث ـ فقال: «حسن صحيح».
(٦) فى ت: «المذكور فى الآية الكريمة فى القرآن».
(٧) زيادة من ت. (٨) فى أ: «فاستأنف». (٩) فى ت: «فادعى».

من نار وآدم خلق من طين، والنار خير من الطين، فى زعمه. وقد أخطأ فى ذلك، وخالف أمر الله، وكفر بذلك، فأبعده الله وأرغم أنفه، وطرده عن[1] باب رحمته ومحل أنسه، وحضرة قدسه، وسماه «إبليس»، إعلاما له بأنه قد أبْلَس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحليم الذى لا يَعْجَل على من عصاه. فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى، وقال: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ.إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ كما قال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٢]، وهؤلاء هم المستثنون فى الآية الأخرى، وهى[2] قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٥].

وقوله: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ . لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع «الحق» الأولى[3]، وفسره مجاهد بأن معناه: أنا الحق، والحق أقول. وفى رواية عنه: الحق منى، وأقول الحق.

وقرأ آخرون بنصبهما.

قال السدى: هو قسم أقسم الله به.

قلت: وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وكقوله تعالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣].

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾.

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أى: وما أزيد على ما أرسلنى الله به، ولا أبتغى زيادة عليه، بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغى بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة.

قال سفيان الثورى، عن الأعمش ومنصور، عن أبى الضحى، عن مسروق قال: أتينا عبد الله بن مسعود قال: يأيها الناس، من علم شيئا فليقل به، ومن لا[4] يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله[5] قال لنبيكم ﷺ: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾. أخرجاه[6] من حديث الأعمش، به[7].

---

(١) فى أ: «لم». (٢) فى أ: «الله عز وجل». (٣) فى أ: «من».
(٤) فى أ: «وهو». (٥) فى أ: «الأول».
(٦) فى ت: «أخرجه البخارى ومسلم».
(٧) صحيح البخارى برقم (٤٨٠٩) وصحيح مسلم برقم (٢٧٩٨).

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعنى: القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن، قاله ابن عباس. ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه، عن أبى غسان مالك بن إسماعيل: حدثنا قيس، عن عطاء ابن السائب، عن سعيد بن جبير[١]، عن[٢] ابن عباس فى قوله: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ قال: الجن والإنس.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، [وكقوله][٣]: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾ أى: خبره وصدقه ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ أى: عن قريب.

قال قتادة: بعد الموت. وقال عكرمة: يعنى يوم القيامة. ولا منافاة بين القولين؛ فإن من مات فقد[٤] دخل فى حكم القيامة.

وقال قتادة فى قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾: قال الحسن: يا بن آدم، عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

آخر تفسير سورة «ص»، ولله الحمد والمنة

---

(١) فى ت: «بإسناده».
(٢) فى ت: «إلى».
(٣) زيادة من أ.
(٤) فى ت، س، أ: «قد».

تفسير سورة ص

وهي مكية

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول « **سورة البقرة** ». بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **والقرآن ذي الذكر** ﴾ أي : والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد . قال الضحاك في قوله : ﴿ **ذي الذكر** ﴾ ، كقوله : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم** ﴾ ، أي : تذكيركم . وكذا قال قتادة ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وابن عيينة ، وأبو حصين ، وأبو صالح ، والسدي : ﴿ **ذي الذكر** ﴾ : ذي الشرف ، أي : ذي الشأن والمكانة .

ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار ، واختلفوا في جواب هذا القسم ، فقال بعضهم : هو قوله : ﴿ **إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب** ﴾ . وقيل : قوله : ﴿ **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾ ، حكاهما ابن جرير ، [وهذا الثاني فيه بُعد كبير ، وَضَعَّفه ابن جرير][١] .

وقال قتادة : جوابه : ﴿ **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾ ، [واختاره ابن جرير][٢] .

وقيل : جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها ، والله أعلم .

ثم حكىٰ ابن جرير عن بعض أهل العربية[٣] أنه قال : جوابه : « ص » بمعنىٰ[٤] : صدق حق والقرآن ذي الذكر .

وقوله : ﴿ **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾ أي : إن في هذا القرآن لذكرًا[٥] لمن يتذكر ، وعبرة لمن يعتبر . وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿ **في عزة** ﴾ أي : استكبار عنه وحمية ، ﴿ **وشقاق** ﴾ أي : مخالفة له ومعاندة ومفارقة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « العلم » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « لذكر » .

ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء ، فقال : ﴿ **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** ﴾ أي : من أمة مكذبة ، ﴿ **فنادوا** ﴾ أي : حين جاءهم العذاب استغاثوا وجَأرُوا إلىٰ الله ، وليس ذلك بمُجدٍ عنهم شيئًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون** ﴾ أي : يهربون ، ﴿ **لا تركضوا وارجعوا إلىٰ ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون** ﴾ .

قال أبو داود الطيالسي(١) : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال : سألت ابن عباس عن قول الله : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ ، قال : ليس بحين نداء[١] ، ولا نَزْو[٢] . ولا فرار

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : ليس بحين مغاث .

وقال شبيب بن بشر عن عكرمة ، عن ابن عباس : نادوا النداء حين لا ينفعهم ، وأنشد :

تَذَكَّرَ[٣] لَيْلَى لَاتَ حَيْنَ تَذَكُّرِ .

وقال محمد بن كعب في قوله : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ ، يقول : نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستباصوا[٤] للتوبة[٥] حين تولت الدنيا عنهم .

وقال قتادة : لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين[٦] النداء .

وقال مجاهد : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ ، ليس بحين فرار ولا إجابة .

وقد روي نحو هذا عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي[٧] مالك ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة .

وعن مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿ **ولات حين مناص** ﴾ ، ولا نداء في غير حين النداء .

وهذه الكلمة وهي « **لات** » ، هي « **لا** » التي للنفي ، زيدت معها « **التاء** » ، [كما تزاد][٨] في « **ثُمّ** » ، فيقولون : « **ثُمّت** » ، و« **رب** » فيقولون[٩] : « **رُبَّت** » . وهي

(١) - أخرجه أيضًا الطبري في تفسيره (١٢١/٢٣) ، والحاكم (٤٣٢/٢-٤٣٣) من طرق عن أبي إسحاق به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٥٦/٥) أيضًا إلى عبدالرزاق ، والفريابي ، وعبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « ترو » .
[٣] - في ز : « يذكر » .
[٤] - في خ : « واستناصوا » .
[٥] - بياض في خ ، ز .
[٦] - بعده في ز : « لا » .
[٧] - في خ : « أبو » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - في ز : « ويقولون » .

مفصولة ، والوقف عليها . ومنهم من حكىٰ عن المصحف الإمام فيما ذكره [ابن جرير][١] أنها متصلة بحين : (ولا تحين مناص) . والمشهور الأول . ثم قرأ الجمهور بنصب ﴿ حين ﴾ ، تقديره : وليس الحين حينَ مناص . ومنهم من جوز النصب بها ، وأنشد :

تَـذَكُّـرَ حُـبِّ لَـيْـلَـى لَاتَ حِـينا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينا

ومنهم من جوَّز الجر بها ، وأنشد :

طَـلَـبُـوا صُـلْـحَـنَـا وَلَاتَ أَوَانٍ فَـأَجَـبْنَا أَنْ لَـيْـسَ حَـيْنَ بَـقَـاءِ

وأنشد بعضهم أيضًا :

ولاتَ ساعةِ مَنْدَمِ[٢] .

بخفض الساعة ، وأهل اللغة يقولون : « النوص : التأخر ، والبوص : التقدم » ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ولات حين مناص ﴾ أي : ليس الحين حين فرار ولا ذهاب .

وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْأَٰلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين في تعجبهم من بعثه الرسول بشرًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **وعجبوا أن جاءهم منذر منهم** ﴾ أي : بشر مثلهم ، ﴿ **وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلهًا واحدًا** ﴾ أي: أزعم أن المعبود[٣] واحد لا إله إلا هو ؟ ! أنكر المشركون ذلك - قبَّحهم الله تعالىٰ - وتعجبوا من ترك الشرك بالله ، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في خ ، ز .
[٢] - في ز : « مند » .
[٣] - بعده في ز ، خ : إلهًا .

قلوبهم ، فلما دعاهم الرسول صلىٰ اللّه عليه وسلم إلىٰ خلع ذلك من قلوبهم ، وإفراد اللّه بالوحدانية ، أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن ﴾ ، وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين : ﴿امشوا ﴾ أي : استمروا علىٰ دينكم ، ﴿ واصبروا علىٰ آلهتكم ﴾ ، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد .

وقوله : ﴿ إن هذا لشيء يراد ﴾ قال ابن جرير : إن هذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم ، والاستعلاء ، وأن يكون له منكم أتباع[١] ، ولسنا[٢] مُجيبيه إليه .

ذكر سبب نزول هذه الآيات

قال السدي : إن ناسًا[٣] من قريش اجتمعوا ، فيهم : أبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلىٰ أبي طالب فَلْنُكَلِّمْه فيه ، فَلْينصفنا منه ، فَلْيكف عن شَتْم آلهتنا ، ونَدَعه وإلهه الذي يعبده ؛ فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ ، فيكونَ منا إليه شيء ، فتعيرنا العرب ، يقولون : تركوه حتىٰ إذا مات عنه تناولوه . فبعثوا رجلًا منهم يقال له : المطلب ، فاستأذن لهم علىٰ أبي طالب ، فقال : هؤلاء مشيخة قومك وسَرَاتهم يستأذنون عليك ؟ قال : أدخلهم . فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من ابن أخيك ، فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه . قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخل عليه رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : يا ابن أخي ، هؤلاء مشيخة قومك وسَرَاتهم ، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدَعُوك وإلهك . قال : « **ياعم ، أفلا أدعوهم إلىٰ ما هو خير لهم ؟** » قال : وإلام تدعوهم ؟ قال : « **أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها[٤] العرب ، ويملكون بها العجم** » . فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك ؟ لنعطينكها[٥] وعشرة أمثالها . قال : « **تقولون : لا إله إلا اللّه** » . فنفر وقال : سَلْنا غير هذا . قال : « **لو جئتموني بالشمس حتىٰ تضعوها في يدي ، ما سألتكم غيرها** » . فقاموا من عنده غضابًا ، وقالوا : واللّه لنشتمنك وإلهك الذي أمرك بهذا . ﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا علىٰ آلهتكم إن هذا لشيء يراد ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٢) ، وزاد : فلما خرجوا دعا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه

(٢) - تفسير الطبري (٢٣/١٢٧-١٢٨) .

[١] - في خ : « الباع » .
[٢] - في ز : « لنا » .
[٣] - في خ : « أناسًا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ت : « لنعطينها »

وسلم عمه[١] إلىٰ قول « لا إله إلا اللّٰه » ، فأبىٰ وقال : بل علىٰ دين الأشياخ . ونزلت : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ .

وقال أبو جعفر بن جرير(٣) : حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش ، حدثنا عباد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما مرض أبو طالب ، دخل عليه رهط من قريش ، فيهم[٢] أبو جهل ، فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا . ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنهيته ؟ فبعث إليه ، فجاء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، قال : فخشي أبو جهل إن جلس إلىٰ جنب أبي طالب أن يكون أرقّ له عليه . فوثب فجلس في ذلك المجلس ، ولم يجد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مجلسًا قرب عمه ، فجلس عند الباب . فقال له أبو طالب : أي ابنَ أخي ، ما بال قومك يشكونك ، يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقول ؟ قال : وأكثروا عليه من القول . وتكلم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « **يا عم ، إني أريدهم علىٰ كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية** » . ففزعوا لكلمته ولقوله ، وقالوا : كلمة واحدة ! نعم وأبيك عشرًا ، فقالوا : وما[٣] هي ؟ وقال أبو طالب : و[٤]أي كلمة هي يا بن أخي ؟ فقال : « **لا إله إلا اللّٰه** » . فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ . قال : ونزلت من[٥] هذا الموضع إلىٰ قوله : ﴿ **لما يذوقوا عذاب** ﴾ . لفظ أبي كريب .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، والنسائي من حديث محمد بن عبد اللّٰه بن[٦] نمير ، كلاهما عن أبي أسامة ، عن الأعمش ، عن عباد ، غير منسوب ، به نحوه . ورواه الترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير أيضًا ، كلهم في تفاسيرهم(٤) من حديث سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن يحيىٰ بن عُمَارة الكوفي ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه . وقال الترمذي : حسن .

وقولهم : ﴿ **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة** ﴾ أي : ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة .

---

(٣) - تفسير الطبري (١٢٥/٢٣) ، وأخرجه أحمد (٣٦٢،٢٢٨/١) والنسائي في التفسير (٤٥٧) من طريق أبي أسامة عن الأعمش به .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « منهم » .
[٣] - في ز : « فما » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « في » .
[٦] - في ز ، خ : « وابن » .

و[١]قال مجاهد وقتادة وابن[٢] زيد: يعنون دين قريش.

وقال غيرهم: يعنون النصرانية. قاله محمد بن كعب، والسدي.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿ **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة** ﴾ يعني النصرانية، قالوا: لو كان هذا القرآن حقًّا أخبرتنا به النصارى ﴿ **إنْ هذا إلَّا اختلاق** ﴾ قال مجاهد وقتادة: كذب. وقال ابن عباس: تخرص.

وقولهم: ﴿ **أأنزل عليه الذكر من بيننا** ﴾ يعني: أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه[٣] من بينهم كلهم، كما قالوا في الآية الأخرىٰ: ﴿ **لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم** ﴾، قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾، ولهذا لما قالوا هذا الذي دل علىٰ[٤] جهلهم وقلة عقلهم، في استبعادهم إنزالَ القرآن علىٰ الرسول من بينهم، قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿ **بل لما يذوقوا عذاب** ﴾ أي: إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلىٰ حين قولهم ذلك عذابَ اللّٰه ونقمته، سيعلمون غِبّ ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعًّا ثم قال مبينًا أنه المتصرف في ملكه، الفعال لما يشاء، الذي يعطي من شاء لمن يشاء، [ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء][٥]، وينزل الروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده، ويختم علىٰ قلب من يشاء، فلا يهديه أحد من بعد اللّٰه، وإن العباد لا يملكون شيئًا من الأمر، وليس إليهم من التصرف [في الملك][٦] ولا مثقال ذرة، وما يملكون من قطمير؛ ولهذا قال تعالىٰ منكرًا عليهم: ﴿ **أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب** ﴾، أي: العزيز الذي لا يُرَام جَنَابه، الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد.

وهذه الآية شبيهة بقوله: ﴿ **أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرًا * أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم اللّٰه من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفىٰ بجهنم سعيرًا** ﴾ وقوله: ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا** ﴾ وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البَشَريّ، وكما أخبر تعالىٰ عن قوم صالح حين قالوا: ﴿ **أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾

وقوله: ﴿ **أم لهم ملك السمٰوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب** ﴾ أي: إن

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «وأبو».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ز: «عليه».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب .

قال[١] ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم : يعني[٢] : طرق السماء .

وقال الضحاك : فليصعدوا إلىٰ السماء السابعة .

ثم قال : ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ أي : هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون[٣] ويغلبون ويُكبتُون ، كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين ، وهذه كقوله : ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، [وكان ذلك يوم بدر][٤] ، ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهىٰ وأمرّ ﴾ .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هؤلاء القرون الماضية ، وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء . وقد تقدّمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعددة .

وقوله : ﴿أولئك الأحزاب﴾ أي : كانوا أكثر منكم وأشد قوة ، وأكثر أموالًا وأولادًا ، فما[٥] دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء ، لما جاء أمر ربك ؛ ولهذا قال : ﴿ إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب ﴾ ، فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل ، فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر .

وقوله : ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق﴾ قال مالك ، عن زيد بن أسلم : أي : ليس لها مثنوية . أي : ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها ، أي : قد اقتربت ودنت وأزفت . وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر[٦] الله إسرافيل أن يُطوّلها ، فلا يبقىٰ أحد من أهل السماوات والأرض إلا فزع ، إلا من استثنىٰ الله ، عز وجل .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « فسيهزمون » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « لما » .
[٦] - في ز : « أمر » .

وقوله : ﴿ **وقالوا ربنا عجّل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ . هذا إنكار من اللّه علىٰ المشركين في دعائهم علىٰ أنفسهم بتعجيل العذاب ، فإن القطّ هو الكتابُ . وقيل : هو الحظ والنصيب .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وغير واحد : سألوا تعجيل العذاب . زاد قتادة : كما قالوا : ﴿ **اللّهم ؛ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾

وقيل : سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة ، إن كانت موجودة أن يلقوا ذلك[١] في الدنيا . وإنما خَرَج هذا[٢] منهم مَخْرَج الاستبعاد والتكذيب .

وقال ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو[٣] الشر في الدنيا . وهذا الذي قاله جيد ، وعليه يدور كلام الضحاك ، وإسماعيل بن أبي خالد ، واللّه أعلم .

ولما كان هذا الكلام منهم علىٰ وجه الاستهزاء والاستبعاد ، قال اللّه تعالىٰ لرسوله صلىٰ اللّه عليه وسلم آمرًا له بالصبر علىٰ أذاهم ، ومبشرًا له علىٰ صبره بالعاقبة والنصر[٤] والظفر .

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالىٰ عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام ؛ أنه كان ذا أيد ، والأيد : القوة في العلم والعمل ، قال ابن زيد والسدي : الأيد القوة . وقرأ ابن زيد : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾ وقال مجاهد: الأيد: القوة في الطاعة .

وقال قتادة : أعطي داود عليه السلام قوة في العبادة ، وفقهًا في الإسلام ، وقد ذُكر لنا أنه عليه السلام كان يقوم ثلث الليل ، ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت في الصحيحين(٥) عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أنه قال: «**أحب الصلاة إلىٰ اللّه صلاة داود، وأحب الصيام إلىٰ اللّه صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ولا يفر إذا لاقىٰ ، وإنه كان أوابًا** » . وهو الرجاع إلى اللّه عز وجل في جميع أموره وشئونه .

---

[١] - في خ : « هذا » .
[٢] - في خ : « ذلك » .
[٣] - في خ : « و » .
[٤] - في خ : « والصبر » .

وقوله : ﴿ **إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق** ﴾ أي : إنه تعالىٰ سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا جبال أوبي معه والطير** ﴾ ، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه ، وترجّع بترجيعه ، إذا مر به الطير وهو سابح[١] في الهواء فسمعه[٢] وهو يترنم بقراءة الزبور ، لا تستطيع الذهاب ، بل تقف في الهواء ، تسبح[٣] معه وتجيبه الجبال الشامخات ، ترجع معه ، وتسبح تبعًا له .

قال ابن جرير(٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا محمد بن بشر ، عن مشعَر ، عن عبد الكريم ، عن موسىٰ بن أبي كثير ، عن ابن عباس أنه بلغه أن أم هانئ ذكرت أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلىٰ الضحىٰ ثمان ركعات . قال ابن عباس : [قد ظننت][٤] أن لهذه الساعة صلاة ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **يسبحن بالعشي والإشراق** ﴾ .

ثم رواه(٧) من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي المتوكل ، عن أيوب بن صفوان ، عن مولاه[٥] عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أن ابن عباس كان لا يصلي الضحىٰ . قال : فأدخلته علىٰ أم هانئ فقلت : أخبري هذا ما أخبرتيني به[٦] ، فقالت أم هانئ : دخل عليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ، ثم أمر بماء صُبّ في قصعة ، ثم أمر بثوب ، فأخذ بيني وبينه ، فاغتسل ثم رَش ناحية البيت ، فصلىٰ ثماني ركعات ، وذلك من الضحىٰ ، قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن[٧] سواء ، قريب بعضهن من بعض . فخرج ابن عباس وهو يقول : لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحىٰ إلا الآن : ﴿ **يسبحن بالعشي والإشراق** ﴾ ، وكنت أقول : أين صلاة الإشراق ؟ ! وكان بَعدُ يقول : صلاة الإشراق .

---

(٤) - أخرجه أحمد (٢٢٧/١) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة (ص) ، حديث (٣٣٢٣) ، والنسائي في التفسير (٤٥٦) وأبو يعلى (٢٥٨٣) والطبري (١٢٥/٢٣) ، وابن حبان (١٧٥٧-موارد) ، والحاكم (٤٣٢/٢) ، والبيهقي (١٨٨/٩) من طرق عن سفيان به .

(٥) - صحيح البخاري في التهجد ، باب : من نام عند السحر ، حديث (١١٣١) ومسلم في الصيام ، حديث (١١٥٩) من حديث عبدالله بن عمرو به .

(٦) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٣) ، وانظر التالي .

(٧) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٣) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣/٤) من طريق عبدالوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة به .

---

[١] - في ز : « سانح » .
[٢] - في ز : « فيسمعه » .
[٣] - في خ ، ت : وتسبح .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فظننت » .
[٥] - في ز : « مولا » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : خ ، ز .

ولهذا قال : ﴿ **والطير محشورة** ﴾ أي : محبوسة في الهواء ، ﴿ **كل له أواب** ﴾ أي : مطيع يسبح تبعًا له .

قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد ﴿ **كل له أواب** ﴾ أي : مطيع .

﴿ **وشددنا ملكه** ﴾ أي : جعلنا له ملكًا كاملًا من جميع ما يحتاج إليه الملوك .

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : كان أشد أهل الدنيا سلطانًا .

وقال السدي : كان يحرسه في كل يوم أربعة آلاف .

وقال بعض السلف : بلغني أنه كان حَرَسُه في كل ليلة ثلاثة وثلاثين ألفًا ، لا تدور عليهم النَّوبة إلىٰ مثلها من العام القابل .

وقال غيره : أربعون ألفًا [مشملون بالسلاح][١] .

وقد ذكر ابنُ جرير ، وابن أبي حاتم (٨) ، من رواية علْباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن نَفَرين من بني إسرائيل استعدىٰ أحدهما علىٰ الآخر إلىٰ داود - عليه السلام - أنه اغتصبه بقرًا، فأنكر الآخر، ولم يكن للمدعي بيّنة ، فأرجأ أمرهما. فلما كان الليل أمر داود - عليه السلام - في المنام بقتل المدعي . فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعي ، فقال : يا نبي اللّه ؛ علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري ؟ فقال : إن اللّه - عز وجل - قد[٢] أمرني بقتلك ، فأنا قاتلك لا محالة . فقال : واللّه[٣] يا نبي اللّه ؛ إن اللّه لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيتُ عليه ، وإني لصادق فيما ادعيت ، ولكني كنت قد اغتلت أباه وقتلته ، ولم يشعر بذلك أحد ، فأمر [داود بقتله فقتل][٤] .

قال ابن عباس : فاشتدت هيبته في بني إسرائيل ، وهو الذي يقول اللّه عز وجل : ﴿ **وشددنا ملكه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وآتيناه الحكمة** ﴾ ، قال مجاهد : يعني الفهم والعقل والفطنة . وقال مَرّة : الحكمة والعدل . وقال مَرّة : الصواب .

وقال قتادة : كتاب اللّه واتباع ما فيه .

(٨) - تفسير الطبري (١٣٨/٢٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «مشتكون السلاح». [٢] - سقط من خ ، ت .
[٣] - في ز : « ياللّه » . [٤] - في ت : « به داود فقتل » .

وقال السدي : ﴿ الحكمة ﴾ النبوة .

وقوله : ﴿ وفصل الخطاب ﴾ قال شريح القاضي ، والشعبي : فصل الخطاب الشهود والأيمان .

وقال قتادة : شاهدان على المدعي ، أو يمين المدعى عليه ، هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل - أو قال : المؤمنون والصالحون - وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة . وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي .

وقال مجاهد والسدي : وإصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد أيضًا : هو الفصل في الكلام وفي الحكم ، وهذا يشمل هذا كله ، وهو المراد ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم(٩) : حدثنا عمر بن شبّة النميري ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن بلال بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال : أول من قال : « **أما بعد** » . داود - عليه السلام - وهو فصل الخطاب .

وكذا قال الشعبي فصل الخطاب : « **أما بعد** » .

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ
مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾
فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ[١] من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم

---

(٩) - عزاه السيوطي في الدرالمنثور (٥/٥٦٤) إلى ابن أبي حاتم والديلمي

---

[١] - في ز : « مأخوذة » .

حديث يجب اتباعه ، ولكن روىٰ ابن أبي حاتم(١٠) هنا حديثًا لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي ، عن أنس ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولىٰ أن يقتصر علىٰ مجرد تلاوة هذه القصة وأن يُرَدّ علمها إلىٰ اللّه - عز وجل - فإن القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضًا .

وقوله : ﴿ ففزع منهم ﴾ ، إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه ، وهو أشرف مكان في داره ، وكان قد أمرَ أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم ، فلم يشعر إلا بشخصين قد تَسَوّرا عليه المحراب ، أي : احتاطا به يسألانه عن شأنهما .

وقوله : ﴿وعزني في الخطاب﴾ أي : غلبني يقال : عزّ يعزُّ : إذا قهر وغلب .

وقوله : ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أي اختبرناه .

وقوله : ﴿وخر راكعًا﴾ أي : ساجدًا ﴿وأناب﴾ ويحتمل أنه ركع أولًا ، ثم سجد بعد ذلك . وقد ذكر أنه استمر ساجدًا أربعين صباحًا ، ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ أي : ما كان منه مما يقال فيه : « **إن حسنات الأبرار سيئات المقربين** » .

وقد اختلف الأئمة -رضي اللّه عنهم- في سجدة « ص » ، هل هي من عزائم السجود ؟ علىٰ قولين ؛ الجديد من مذهب الشافعي رحمه اللّه أنها ليست من عزائم السجود ، بل هي سجدة شكر . والدليل علىٰ ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال(١١) :

حدثنا إسماعيل - وهو ابن عُلَيّة - ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في السجود في « ص » : ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يسجد فيها .

ورواه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي في تفسيره ، من حديث أيوب به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال النسائي(١٢) أيضًا عند تفسير هذه الآية : أخبرني إبراهيم بن[1] الحسن ، هو المِقْسَمي ،

---

(١٠) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٠/٢٣) ، من طريق يزيد الرقاشي عن أنس به ، وزاد السيوطي نسبته في الدرالمنثور (٥٦٥/٥) إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول .

(١١) - المسند (٣٦٠/١) ، وأخرجه البخاري في كتاب سجود القرآن ، باب : سجدة (ص) ، حديث (١٠٦٩) ، وطرفه في (٣٤٢٢) ، وأبو داود في سجود القرآن ، باب : السجود في (ص) ، حديث (١٤٠٩) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء في السجدة في (ص) ، حديث (٥٧٧) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٥٩٨٨) من طرق عن أيوب السختياني به .

(١٢) - تفسير النسائي رقم (٤٥٨) ، وهو في السنن الصغرى له أيضًا في كتاب الافتتاح ، باب :=

---

[١] - في ز : « عن » .

حدثنا حجاج بن محمد ، عن عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما ، أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سجد في « ص » ، وقال : « **سجدها داود عليه السلام ، توبة ، ونسجدها شكرًا** » .

تفرد بروايته النسائي ، [ورجال إسناده كلهم][١] ثقات .

وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّي قراءة عليه وأنا أسمع :

أخبرنا أبو إسحاق المدرجي ، أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي ، أخبرنا زاهر بن طاهر الشحّامي[٢] ، أخبرنا أبو سعيد[٣] الكنجروذي[٤] ، أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد[٥] بن محمد الحافظ ، أخبرنا أبو العباس السراج ، حدثنا هارون بن عبد اللّٰه ، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنَيس ، عن الحسن بن محمد بن عبيد[٦] اللّٰه بن أبي يزيد ، قال : قال لي ابن جريج : يا حسن ؛ حدثني جدك عبيد اللّٰه بن أبي يزيد ، عن ابن عباس ؛ قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّٰه ، إني رأيت فيما يرىٰ النائم كأني أصلي خلف شجرة ، فقرأت السجدة ، فسجدتُ فسجدتِ الشجرةُ لسجودي ، فسمعتها تقول وهي ساجدة : « **اللّهم ، اكتب لي بها عندك أجرًا ، واجعلها لي عندك ذخرًا ، وضع عني بها وزرًا ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود** » .

قال ابن عباس : فرأيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قام فقرأ السجدة ، ثم سجد ، فسمعته يقول وهو ساجد كما حكىٰ الرجل عن كلام الشجرة(١٣) .

رواه الترمذي عن قتيبة ، وابن ماجة عن أبي بكر بن خلاد ، كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس ، نحوه ، وقال الترمذي : غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

= سجود القرآن (السجود في ص) (١٥٩/٢) ، وفي الكبرى برقم (١٠٢٩) بسنده ومتنه . وأخرجه الدارقطني في سننه (٤٠٧/١) من طريق عبدالله بن بذيع عن عمرو بن ذر به .

(١٣) - أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة ، باب : ما يقوله في سجود القرآن حديث (٥٧٩) ، وفي الدعوات ، باب ما يقول في سجود القرآن ، حديث (٣٤٢٤) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، والسنة ، باب : سجود القرآن ، حديث (١٠٥٣) ، وابن خزيمة (٥٦٢،٥٦٣) من طرق عن محمد بن يزيد بن خنيس به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وإسناده رجالهم كلهم » .

[٢] - في ز : « السحابي » .

[٣] - في ز ، خ ، ت : « أبو سعد » والتصويب من اللباب لابن الأثير (١١٣/٣) .

[٤] - في ز : « الكنجدروذي » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في خ : « عبد » .

وقال البخاري(١٤) عند تفسيرها أيضًا : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، عن العوام؛ قال : سألت مجاهدًا عن سجدة « ص » ؟ فقال : سألت ابن عباس : من أين سَجَدْتَ ؟ فقال : أو ما تقرأ : ﴿ **ومن ذريته داود وسليمان** ﴾ ، ﴿ **أولئك الذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده** ﴾ ، فكان داود - عليه السلام - ممن[١] أُمِرَ نَبِيّكم صلىٰ الله عليه وسلم أن يقتدى به ، فسجدها داود - عليه السلام - فسجدها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد (١٥) : حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا حميد ، حدثنا بكر - هو ابن عبد الله المزني - أنه أخبره : أن أبا سعيد الخدري رأىٰ رؤيا أنه يكتب « ص » ، فلما بلغ إلىٰ التي يسجد بها رأىٰ الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدًا . قال[٢] : فقصها علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فلم يزل يسجد بها بعد . تفرد به أحمد .

وقال أبو داود(١٦) : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، عن أبي سعيد الخُدْري -رضي الله عنه- قال : قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو علىٰ المنبر ﴿ ص ﴾ ، فلما بلغ السجدة نزل فسجد ، وسجد الناس معه ، فلما كان يوم آخر قرأها ، فلما بلغ السجدة تَشَزَّن(*) الناس للسجود فقال: « **إنما هي توبة نبي، ولكني رأيتكم تشزَّنتم**[٣] » . فنزل وسجد وسجدوا[٤] . تفرد به أبو داود، وإسناده على شرط الصحيح.

وقوله : ﴿ **وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ أي : وإن له يوم القيامة لقربة يُقَرِّبه الله ، عز وجل، بها ، وحسن مرجع ، وهو الدرجات العاليات في الجنة ، لنبوته[٥] وعدله التام في ملكه ، كما جاء في الصحيح : « **المقسطون علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يقسطون في أهليهم وما وُلُوا** » .

---

(١٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : سورة ص ، حديث (٤٨٠٧) ، وانظر أيضًا الحديث رقم (٤٨٠٦) ، والحديث في مسند أحمد (١/٣٦٠) أيضًا من طريق يحيى بن أبي غنية عن العوام بن حوشب به .

(١٥) - المسند (٣/٧٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٨٧) : رجاله رجال الصحيح.

(١٦) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب السجود في (ص) حديث (١٤١٠) . وأخرجه الدارمي (١٤٧٤)، (١٥٦٢) ، وابن خزيمة (١٤٥٥) (١٧٩٥) من طريق سعيد بن أبي هلال به .

(*) التشزن : التأهب والتهيؤ للشيء ، والاستعداد له . النهاية (٢/٤٧١)

---

[١] - في ز : « فيمن » .

[٢] - في ز : « فقال » .

[٣] - في ز : « نشزتم » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في خ : « لتوبته » .

وقال الإمام أحمد (١٧) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا فضيل ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن أحب الناس إلىٰ اللَّه يوم القيامة وأقربهم منه مجلسًا ، إمام عادل . وإن أبغض الناس إلىٰ اللَّه يوم القيامة وأشدهم عذابًا ، إمام جائر** » .

ورواه الترمذي من حديث فضيل - وهو ابن مرزوق الأغرّ عن عطية به . وقال : لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم (١٨) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد اللَّه بن أبي زياد ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن سليمان ، سمعت مالك بن دينار في قوله : ﴿ **وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ قال : مقام[١] داود يوم القيامة عند ساق العرش ، ثم يقول : يا داود ؛ مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به[٢] في الدنيا . فيقول : وكيف وقد سُلِبتُه ؟ فيقول : إني أرده عليك اليوم . قال : فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان .

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

هذه وصية من اللَّه - عز وجل - لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالىٰ ، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله . وقد توعد تعالىٰ من ضل عن سبيله ، وتناسىٰ يوم الحساب ، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا مروان بن جناح ، حدثني إبراهيم أبو زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك ؛ قال له : أيحاسب الخليفة ، فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن وفَقِهتَ ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أقول ؟ قال : قل في أمان . قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أنت أكرم علىٰ اللَّه أو داود ؟ إن اللَّه - عز وجل - جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعده[٣] في كتابه فقال : ﴿ **يا داود إنا**

(١٧) - المسند (٢٢/٣) ، وأخرجه في (٥٥/٣) ، والترمذي في الأحكام باب : ما جاء في الإمام العادل ، حديث (١٣٢٩) من طريق فضيل بن مرزوق به .

(١٨) - عزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٥٧٣/٥) إلى أحمد في الزهد والحكيم الترمذي وابن المنذر.

[١] - في ز ، خ ، ت: يقم . والمثبت من الدر والمنثور .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « تواعده » .

جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوىٰ فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ الآية .

[وقال عكرمة : ﴿ **لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾][١] ، هذا من المقدم والمؤخر ، لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا .

وقال السدى : لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب .

وهذا القول أمشىٰ علىٰ ظاهر الآية ، فالله أعلم .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه ما خلق الخلق عبثًا ، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ، ثم يجمعهم[٢] ليوم الجمع ، فيثيب المطيع ويعذب الكافر ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا** ﴾ أي : الذين لا يرون بعثًا ولا معادًا ، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط ، ﴿ **فويل للذين كفروا من النار** ﴾ أي : ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم .

ثم بين تعالىٰ أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر ، فقال : ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ أي : لا نفعل ذلك ، ولا يستوون عند الله ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بُدّ من دار أخرىٰ ، يثاب فيها هذا المطيع ، ويعاقب فيها هذا الفاجر . وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطرَ المستقيمة علىٰ أنه لابد من معاد وجزاء ، فإنا نرىٰ الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ، ونرىٰ المطيع المظلوم يموت بكَمَده ، فلابد في حِكمَة الحكيم العليم العادل ، الذي لا يظلم مثقال ذرة ، من إنصاف هذا من هذا . وإذا لم يقع هذا في هذه الدار ، فتعين [أن هناك دارًا][٣] أخرىٰ لهذا الجزاء والمواساة . ولما كان القرآن يرشد إلىٰ المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة ، قال : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ أي : ذوو العقول ، وهي الألباب ، جمع لب ، وهو العقل .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ز : « جمعهم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، وفي ز «دار».

قال الحسن البصري : والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتىٰ إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن ، ما يُرىٰ له القرآن في خلق ولا عمل . رواه ابن أبي حاتم .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

يقول تعالى مخبرًا[١] أنه وهب لداود سليمان أي : نبيًا ؛ كما قال : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ أي : في النبوة ، وإلا فقد كان له بنون غيره ، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر .

وقوله : ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، ثناء علىٰ سليمان - عليه السلام - بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلىٰ الله عز وجل .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن جابر ، حدثنا مكحول ؛ قال : لما وهب الله لداود سليمان - عليه السلام - قال له : يابني ؛ ما أحْسَنُ ؟ قال : سكينة الله وإيمان . قال : فما أقبح ؟ قال : كفر بعد إيمان . قال : فما أحلىٰ ؟ قال : روح الله بين[٢] عباده . قال : فما أبردُ ؟ قال : عفو الله عن الناس ، وعفو الناس بعضهم عن بعض . قال داود - عليه السلام - : فأنت نبي .

وقوله : ﴿ **إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد** ﴾ أي : إذ عرض علىٰ سليمان في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات .

قال مجاهد : وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة . والجياد : السراع . وكذا قال غير واحد من السلف .

و[٣]قال ابن جرير(١٩) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مُؤمَّل ، حدثنا سفيان ، عن أبيه سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم التيمي في قوله : ﴿ **إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد** ﴾ قال : كانت عشرين فرسًا ذات أجنحة . كذا رواه ابن جرير .

(١٩) - تفسير الطبري (١٥٤/٢٣) لكن نقله السيوطي في الدر المنثور (٥٨٠/٥) عن إبراهيم بلفظ " قال : عشرين ألف فرس ذات أجنحة ، فعقرها " . وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم.

[١] - في خ : « مختبرًا » . [٢] - في خ ، ز : « من » .
[٣] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم (٢٠) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا[١] إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرني إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم التيمي ؛ قال : كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس ، فعقرها . وهذا أشبه ، والله أعلم .

وقال أبو داود(٢١) : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا يحيىٰ بن أيوب ، حدثني عُمَارة بن غَزِيّة ؛ أن محمد بن إبراهيم حدثه ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قَدِمَ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم من غزوة تبوك - أو : خيبر - وفي سهوتها ستر ، فهبت الريح ، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة - لُعَب - فقال : « **ما هذا يا عائشة ؟** » . قالت : بناتي . ورأىٰ بينهن فرسًا له جناحان من رقاع ، فقال : « **ما هذا الذي أرىٰ وسطهن ؟** » . قالت: فرس . قال : « **وما هذا[٢] الذي عليه ؟** » . قالت : جناحان . قال : « **فرس له جناحان ؟ !** » . [قالت : أما][٣] سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة ؟ قالت[٤] : فضحك حتى رأيت نواجذه صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتىٰ توارت بالحجاب** ﴾ ، ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتىٰ فات وقت صلاة العصر ، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدًا بل نسيانًا ، كما شُغِل النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتىٰ صلاها بعد الغروب ، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه(٢٢) ؛ من ذلك : عن جابر ؛ قال : جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ، ويقول : يا رسول الله ؛ والله ما كدْتُ أصلي العصر حتىٰ كادت الشمس تغرب . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والله ما صليتها** » . فقال : فقمنا إلىٰ بُطْحَان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب .

ويحتمل أنه كان سائغًا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والخيل تراد للقتال ، وقد ادعىٰ[٥] طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعًا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلىٰ ذلك في حال المسايفة والمضايقة ، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود ، كما فعل

---

(٢٠) - انظر السابق .

(٢١) - سنن أبي داود في الأدب ، باب : في اللعب بالبنات ، حديث (٤٩٣٢) .

(٢٢) - أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ، باب : من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت ، حديث (٥٩٦) ، وأطرافه في (٥٩٨،٦٤١،٩٤٥،٤١١٢) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٦٣١) من حديث جابر رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ما » .

[٤] - سقط من خ ، ت .

[٥] - بعده في ز : هذا .

الصحابة - رضي اللّٰه عنهم - في فتح تُستَر ، وهو منقول عن مكحول ، والأوزاعي ، وغيرهما . والأول أقرب ؛ لأنه قال بعدها : ﴿ ردوها عليّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق ﴾ .

قال الحسن البصري : قال : لا ، واللّٰه لا تشغلينى عن عبادة ربي آخر ما عليك . ثم أمر بها فعقرت . وكذا قال قتادة .

وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها ؛ حُبًّالها .

وهذا القول اختاره ابن جرير ، قال : لأنه لم يكن ليعذب حيوانًا بالعرقبة ، ويهلك مالًا من ماله بلا سبب سوىٰ أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رَجّح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ، ولا سيما إذا كان غضبًا للّٰه - عز وجل - بسبب أنه اشتغل بها حتىٰ خرج[١] وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها للّٰه تعالىٰ عوضه اللّٰه تعالىٰ ما[٢] هو خير منها ، وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، غدوها شهر ورواحها شهر ، فهذا أسرع وخير من الخيل .

و[٣]قال الإمام أحمد (٢٣) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي قتادة وأبي الدهماء - وكانا يكثران السفر نحو البيت - قالا : أتينا علىٰ رجل من أهل البادية ، فقال البدوي : أخذ بيدي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فجعل يعلمني مما علمه اللّٰه تعالىٰ ، وقال : « **إنك لا تدع شيئًا اتقاء اللّٰه - عز وجل - إلا أعطاك اللّٰه خيرًا منه** » .

وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ
لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي
بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي
ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ
وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾

(٢٣) - المسند (٥/٧٨) ، وأخرجه في (٥/٧٩) عن بهز ، وعفان عن سليمان بن المغيرة به.

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ز : « بما » .
[٣] - سقط من : ز .

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد فتنا سليمان** ﴾ أي : اختبرناه بأن سلبناه الملك مرة ، ﴿ **وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : يعني شيطانًا . ﴿ **ثم أناب** ﴾ أي : ثم[١] رجع إلىٰ ملكه وسلطانه وأبهته .

قال ابن جرير: وكان اسم ذلك الشيطان صخرًا[٢] . قاله ابن عباس ، وقتادة . وقيل : آصف . قاله مجاهد . وقيل : أصروا . قاله مجاهد أيضًا . وقيل : حبقيق . قاله السدي . وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة .

وقد قال سعيد بن أبي عَرُوبة : عن قتادة ، قال[٣] : أمر سليمان - عليه السلام - ببناء بيت المقدس ، فقيل له : ابنِه ولا يُسمَعُ[٤] فيه صوت حديد . قال : فطلب ذلك فلم يقدر عليه . فقيل له : إن شيطانًا في البحر يقال له : « **صخر** » شبه المارد . قال : فطلبه وكانت عين في البحر يَرِدُها في كل سبعة أيام مرة ، فنُزح ماؤها وجعل فيها خَمْرًا ، فجاء يوم ورْده فإذا هو بالخمر ، فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلًا . قال : ثم رجع حتىٰ عَطِشَ عَطَشًا شديدًا ، ثم أتاها فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصبين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلًا . ثم شربها حتىٰ غلبت علىٰ عقله ، قال : فأري الخاتم ، أو ختم به بين كتفيه فَذَلّ . قال[٥] : وكان ملكه في خاتمه ، فأُتي به سليمان فقال : إنه قد أمرنا ببناء هذا البيت ، فقيل لنا : لا يسمعن[٦] فيه صوت حديد . قال : فأتىٰ ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة ، فجاء الهدهد فدار حولها ، فجعل يَرَىٰ بيضه ولا يقدر عليه ، فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه ، فقطعها به ، حتىٰ أفضىٰ إلىٰ بيضه . فأخذ الماس ، فجعلوا يقطعون به الحجارة . وكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء - أو : الحمام - لم يدخل بخاتمه ، فانطلق يومًا إلىٰ الحمام ، وذلك الشيطان - صخر - معه ، وذلك عند [مقارفة قارف][٧] فيه بعض نسائه . قال : فدخل الحمام وأعطىٰ الشيطان خاتمه ، فألقاه في البحر ، فالتقمته سمكة ، ونُزع ملكُ سليمان منه ، وأُلقيَ علىٰ الشيطان شَبَه سليمان . قال : فجاء فقعد علىٰ كرسيه وسريره ، وسُلّط علىٰ ملك سليمان كله غير نسائه . قال : فجعل يقضي بينهم ، وجعلوا ينكرون منه أشياء ، [حتىٰ قالوا : لقد فتن نبي اللَّه][٨] . وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة فقال : واللَّه لأجربنه . قال : فقال : يا نبي اللَّه - وهو لا يرىٰ إلا أنه نبي اللَّه - أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة ، فيدع الغسل عمدًا حتىٰ تطلع الشمس ، أترىٰ عليه بأسًا ؟ فقال : لا . قال : فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتىٰ وجد نبي اللَّه خاتمه في بطن سمكة ، فأقبل فجعل لا

---

[١] - سقط من خ ، ت .
[٢] - في ز : « صخر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تسمع » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « تسمعن » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « مقارنة قارن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يستقبله جني ولا طير إلا سجد له ، حتىٰ انتهىٰ إليهم ، ﴿ **وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا** ﴾ قال : هو الشيطان صخر .

وقال السدي : ﴿ **ولقد فتنا سليمان** ﴾ أي : ابتلينا سليمان ، ﴿ **وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا** ﴾ قال : [جلس الشيطان][١] علىٰ كرسيه أربعين يومًا . قال : وكان لسليمان - عليه السلام - مائة امرأة ، وكانت امرأة منهن يقال لها : « **جرادة** » ، وهي آثَرُ نسائه وآمَنُهُنَّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتىٰ حاجة نزع خاتمه ، ولم يَأْتَمِنْ عليه أحدًا من الناس غيرها ، فأعطاها يومًا خاتمه ودخل الخلاء ، فخرج الشيطان في صورته ، فقال : هاتي الخاتم . فأعطته الخاتم ، فجاء حتىٰ جلس علىٰ مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد ذلك[٢] فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا . وخرج مكانه تائهًا . قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يومًا ، قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم ، فجاءوا حتىٰ دخلوا علىٰ نسائه ، فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه . قال : فبكىٰ النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتىٰ أتوا ، فأحدقوا به ثم نشروا فقرءوا التوراة . قال : فطار من بين أيديهم حتىٰ وقع علىٰ شرفة ، والخاتم معه . ثم طار حتىٰ ذهب إلىٰ البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر . قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ صياد من صيادي[٣] البحر ، وهو جائع ، وقد اشتد جوعه ، فاستطعمهم من صيدهم ، وقال : إني أنا سليمان . فقام إليه بعضهم [فضربه بعصا][٤] فشجَّه ، فجعل يغسل دمه وهو علىٰ شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبَهم الذي ضربه ، وقالوا : بئس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان . قال : فأعطوه سمكتين مما قد مَذر عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب حتىٰ قام إلىٰ شط البحر ، فشق بطونهما ، فجعل يغسل ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فرد الله عليه بهاءه وملكه ، وجاءت الطير حتىٰ حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان عليه السلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم علىٰ عذركم ، ولا ألومكم علىٰ ما كان منكم ، كان هذا الأمر لابد منه . قال : فجاء حتىٰ أتىٰ[٥] ملكه ، وأرسل إلىٰ الشيطان ، فجيء به فأمر به ، فجعل في صندوق من حديد ، ثم أطبق عليه ، وقفل عليه بقفل ، وختم عليه بخاتمه ، ثم أمر به فألقي في البحر ، فهو فيه حتىٰ تقوم الساعة . وكان اسمه حبقيق . قال : وسخر له الريح ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك ، وهو قوله : ﴿ **وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : «الشيطان جلس».

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « صيادين » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : «بعصا فضربه» .

[٥] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا ﴾ قال : شيطانًا يقال له : آصف . فقال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك أخبرك . فلما أعطاه إياه[١] نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان وذهب ملكه ، وقعد آصف علىٰ كرسيه ، ومنعه اللَّه نساء سليمان ، فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرْنَه . قال : فكان[٢] سليمان يستطعم ، فيقول : أتعرفوني ؟ أطعموني ، أنا سليمان . فيكذبونه ، حتىٰ أعطته امرأة يومًا حوتًا فجعل يطيّبُ بطنه ، فوجد خاتمه في بطنه ، فرجع إليه ملكه ، وفر آصف ، فدخل البحر فارًّا .

وهذه كلها من الإسرائيليات ومن أنكرِها ما قال ابن أبي حاتم(٢٤) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، وعثمان بن أبي شيبة ، وعلي بن محمد ؛ قالوا : حدثنا أبو معاوية ، أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا ثم أناب ﴾ قال : أراد سليمان أن يدخل الخلاء ، فأعطىٰ الجرادة خاتمه[٣] - وكانت الجرادة امرأته ، وكانت أحب نسائه إليه - فجاء الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي . فأعطته إياه[٤] . فلما لبسه[٥] دانت له الإنس والجن والشياطين ، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها : هاتي خاتمي . قالت : قد[٦] أعطيته سليمان ! [قال : أنا سليمان . قالت][٧] : كذبت ، لست سليمان . فجعل لا يأتي أحدًا فيقول له : أنا سليمان ، إلا كذبه ، حتىٰ جعل الصبيان يرمونه بالحجارة . فلما رأىٰ ذلك عرَف أنه من أمر اللَّه عز وجل . قال : وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما أراد اللَّه أن يرد علىٰ سليمان سلطانه ، ألقىٰ في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان . قال : فأرسلوا إلىٰ نساء سليمان فقالوا لهن : أتنكرن[٨] من سليمان شيئًا ؟ قلن : نعم ، إنه يأتينا ونحن حُيَّض ، وما كان يأتينا قبل ذلك . فلما رأىٰ الشيطان أنْ قد فُطِن له ، ظن أن أمره قد انقطع ، فكتبوا كتبًا فيها سحر وكفر ، فدفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أثاروها وقرءوها علىٰ الناس . وقالوا : بهذا كان يظهر سليمان علىٰ الناس . فأكفر الناسُ سليمانَ - عليه السلام - فلم يزالوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطانُ بالخاتم فطرحه في البحر ، فتلقته سمكة فأخذته . وكان سليمان يحمل علىٰ شط البحر بالأجر ، فجاء رجل فاشترىٰ سمكًا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فدعا سليمان فقال : تحمل لي[٩] هذا السمك ؟ فقال : نعم . قال : فبكم[١٠] ؟ قال : بسمكة من هذا السمك . قال : فحمل سليمان عليه السلام السمك ، ثم انطلق به إلىٰ منزله ، فلما انتهىٰ الرجل إلىٰ بابه أعطاه

(٢٤) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٨٠) أيضًا إلى النسائي وابن جرير .

[١] - في ز : « سليمان » .
[٢] - في ز : « وكان » .
[٣] - في ز : « امرأته » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « لبس » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « تنكرن » .
[٩] - في خ : « منا » .
[١٠] - في خ : « بكم » .

تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فأخذها سليمان فشق بطنها ، فإذا الخاتم في جوفها ، فأخذه فلبسه . قال : فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين ، وعاد إلىٰ حاله ، وهَرَب الشيطان حتىٰ دخل جزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان في طلبه ، وكان شيطانًا مريدًا ، فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه ، حتىٰ وجدوه يومًا نائمًا ، فجاءوا فبنوا عليه بنيانًا من رصاص ، فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب[١] في مكان من البيت إلا انماط معه الرصاص . قال : فأخذوه فأوثقوه ، وجاءوا به إلىٰ سليمان ، فأمر به فنقر له تخت من رخام ، ثم أدخل في جوفه ، ثم سد بالنحاس ، ثم أمر به فطرح في البحر ، فذلك قوله : ﴿ **ولقد فتنا سليمان وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا ثم أناب** ﴾ قال : يعني الشيطان الذي كان سلط عليه .

إسناده إلىٰ ابن عباس قوي ، ولكن الظاهر أنه [مما تلقاه][٢] ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان - عليه السلام - ، فالظاهر أنهم يكذبون عليه ؛ ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ، فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط علىٰ نساء سليمان ، بل عصمهن اللّٰه منه ، تشريفًا وتكريمًا لنبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . وقد رُويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف ، كسعيد بن المسيب ، وزيد ابن أسلم ، وجماعة آخرين ، وكلها مُتلقَّاة من قصص أهل الكتاب ، واللّٰه أعلم بالصواب .

وقال يحيى بن أبي عمرو[٣] السيباني[٤] : وجد سليمان خاتمه في عسقلان ، فمشىٰ في خرقة[٥] إلىٰ بيت المقدس ، تواضعًا للّٰه عز وجل . رواه ابن أبي حاتم .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار [في صفة كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام خبرًا عجيبًا ، فقال : حدثنا أبي رحمه اللّٰه ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، أخبرني أبو إسحاق المصري ، عن كعب الأحبار][٦] : أنه لما فرغ من حديث « **إرم ذات العماد** » قال له معاوية : يا أبا إسحاق ، أخبرني عن كرسي سليمان بن داود ، وما كان عليه ؟ ومن أي شيء هو ؟ فقال : كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مُفَصَّصًا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ . وقد جُعل له[٧] درجة منها مُفَصَّصة[٨] بالدر والياقوت والزبرجد ، ثم أمر بالكرسي فحُفَّ من جانبيه بالنخل ، نخل من ذهب ، شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ . وجعل علىٰ رءوس النخل [التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ، ثم جُعِل علىٰ رءوس النخل التي علىٰ يسار الكرسي نسور من ذهب مقابلة الطواويس . وجعل علىٰ يمين الدرجة الأولىٰ شجرتا صنوبر من

---

[١] - في خ : « يثيب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « مما تلقى » ، وفي ت : «إنما تلقاه » .

[٣] - في خ ، ز : « عروبة » .

[٤] - في ز : « الشيباني » .

[٥] - في خ : « جرته » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - في ز : « مفصَّصًا » .

ذهب ، وعن يسارها أسَدَان من ذهب ، وعلىٰ رءوس الأسدين عمودان من زبرجد][١] ، وجُعِل من جانبي الكرسي شجرتا[٢] كرم من ذهب ، قد أظلتا الكرسي ، وجعل عناقيدهما درًّا وياقوتًا أحمر . ثم جعل فوق دَرَج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكًا وعنبرًا . فإذا أراد سليمان أن يصعد علىٰ كرسيه استدار الأسدان ساعة ، ثم يقفان[٣] فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسيّ سليمان - عليه السلام - ثم يوضع منبران من ذهب ، واحد لخليفته والآخر لرئيس أحبار بني إسرائيل ذلك الزمان . ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرًا من ذهب ، يقعد عليها سبعون قاضيًا من بني إسرائيل وعلمائهم ، وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرًا من ذهب ، ليس عليها أحد ، فإذا أراد أن يصعد علىٰ كرسيه وضع قدميه علىٰ الدرجة السفلىٰ ، فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ، ويبسط الأسد يده اليمنىٰ وينشر النسر جناحه الأيسر ، ثم يصعد علىٰ الدرجة الثانية ، فيبسط الأسد يده اليسرىٰ ، وينشر النسر جناحه الأيمن ، فإذا استوىٰ سليمان علىٰ الدرجة الثالثة وقعد علىٰ الكرسي ، أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان[٤] فوضعه علىٰ رأسه ، [فإذا وضعه علىٰ رأسه][٥] استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحىٰ المسرعة . فقال معاوية[٦] -رضي اللَّه عنه- : وما الذي يديره يا أبا إسحاق ؟ قال : تنين من ذهب ، ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني ، فإذا أحست بدورانه تلك النسور والأُسْدُ والطواويس التي في أسفل الكرسي دُرْنَ إلىٰ أعلاه ، فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رءوسهن علىٰ رأس سليمان - عليه السلام - وهو جالس ، ثم ينضحن جميعًا ما في أجوافهن من المسك والعنبر علىٰ رأس سليمان - عليه السلام - ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة علىٰ عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده[٧] ، فيقرؤها سليمان علىٰ الناس .

وذكر تمام الخبر وهو غريب جدًّا

﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾ قال بعضهم : معناه لا ينبغي لأحد من بعدي ، أي : لا يصلح لأحد أن يسلبنيه بعدي كما كان من قضية الجسد الذي أُلقي علىٰ كرسيه ، لا أنه يحجر علىٰ من بعده من الناس . والصحيح أنه سأل من اللَّه ملكًا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله ، وهذا هو ظاهر السياق من الآية ، وبه وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم :

قال البخاري(٢٥) ، عند تفسير هذه الآية : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا روح ،

(٢٥) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : (هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « شجرتي » .
[٣] - في ت : « يقعان » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في خ ، ز : « إسحاق » .
[٧] - في ز : « يدها » .

ومحمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن عفريتًا من الجن تَفَلّت عليّ البارحة** - أو كلمة نحوها - **ليقطع عليّ الصلاة ، فأمكنني اللَّه منه ، وأردت أن أربطه إلىٰ سارية من سواري المسجد حتىٰ تُصبحوا وتنظروا[١] إليه كلكم ، فذكرت قول أخي سليمان : ﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾** » .

قال روح : فرده خاسئًا .

وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به .

وقال مسلم في صحيحه (٢٦) : حدثنا محمد بن سلمة المُرَادي ، حدثنا عبد اللَّه بن وهب ، عن معاوية بن صالح ، حدثني ربيعة بن يَزيد[٢] ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي الدرداء قال : قام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يصلي ، فسمعناه يقول : « **أعوذ باللَّه منك** » . ثم قال : « **ألعنك بلعنة اللَّه** » - ثلاثًا[٣] - وبسط يَدَه كأنه يتناول شيئًا ، فلما فرغ من[٤] الصلاة قلنا : يا رسول اللَّه ، قد[٥] سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ؟ قال : « **إن عدو اللَّه إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ، فقلت : أعوذ باللَّه منك - ثلاث مرات - ثم قلت : ألعنك بلعنة اللَّه التامة . فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذَه ، واللَّه لولا دعوة أخينا[٦] سليمان ، لأصبح موثقًا يلعب[٧] به صبيان أهل المدينة** » .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا أبو أحمد، حدثنا ميسرة[٨] بن معبد، حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال : رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائمًا يصلي ، فذهبت أمرّ بين يديه فردني ، ثم قال : حدثني أبو سعيد الخدري : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قام يصلي صلاة

الوهاب) . حديث (٤٨٠٨) ، وأطرافه في (٤٦١، ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٣٤٢٣) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٤١) ، والنسائي في تفسيره (٤٦٠) من طريق شعبة به .

(٢٦) - صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٤٢) . وأخرجه النسائي في كتاب السهو ، باب لعن إبليس والتعوذ بالله منه في الصلاة (١٣/٣) وفي الكبرى (٥٤٩) ، (١١٣٨) ، وابن خزيمة (٨٩١) من طريق عبد الله بن وهب به .

(٢٧) - المسند (٨٢/٣) .

---

[١] - في ز : « فتنظروا » .
[٢] - في خ ، ز : « زيد » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ ، ز : « أخي » .
[٧] - في ز : « تلعب » .
[٨] - في خ ، ز : « مرة » .

الصبح وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال : **« لو رأيتموني وإبليس ، فأهويت بيدي ، فما زلت أخنقه حتىٰ وجدت بَرْدَ لعابه بين إصبعي هاتين – الإبهام والتي تليها – ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح[١] مربوطًا بسارية من سواري المسجد ، يتلاعب به صبيان المدينة ، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل »**

[وقد روىٰ أبو داود منه(٢٨) : **« من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل »**][٢] ، عن أحمد بن أبي سُرَيج ، عن أبي أحمد الزبيري ، به .

وقال الإمام أحمد (٢٩) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني ربيعة بن يزيد[٣] ، عن[٤] عبد الله الديلمي قال : دخلت علىٰ عبد الله بن عمرو ، وهو في حائط له بالطائف يقال له « **الوهط** » ، وهو مُخَاصر فتى من قريش يُزَنّ بِشُرب الخمر ، فقلت : بلغني عنك حديث أنه من شرب شربة خَمْر لم يقبل الله – عز وجل – له توبَةً أربعين صباحًا ، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وإنه من أتىٰ بيت المقدس لا يَنْهَزه إلا الصلاة فيه ، خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه ، فلما سمع الفتىٰ ذكر الخمر اجتذب يده من يده ، ثم انطلق ، فقال عبد الله بن عمرو : إني لا أحل لأحد أن يقول عَلَيّ ما لم أقل ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : **« من شرب من الخمر شربة ، لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، [فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، فإن تاب تاب الله عليه . فإن عاد][٥] قال : فلا أدري في الثالثة[٦] أو الرابعة – فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة »** .

قال : وسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : **« إن الله خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدىٰ ، ومن أخطأه ضل ، فكذلك أقول : جف القلم علىٰ علم الله عز وجل »** .

وسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : **« إن سليمان سأل الله تعالىٰ ثلاثًا ، فأعطاه اثنتين ، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة : سأله حكمًا يصادف حكمه ، فأعطاه إياه ، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه إياه ، وسأله : أيّما رجل خرج من بيته لا يريد**

(٢٨) – سنن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يؤمر المصلي أن يدرأ عن الممر بين يديه ، حديث (٦٩٩) .
(٢٩) – المسند (١٧٦/٢) ، وانظر التالي .

[١] – في ز : « أصبح » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] – في خ : « زيد » .
[٤] – في خ ، ز : « بن » .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] – في خ : « الثلاثة ».

إلا الصلاة في هذا المسجد ، خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ، فنحن نرجو أن يكون الله تعالىٰ قد أعطانا إياها » .

وقد روىٰ هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجة من طرق ، عن عبد الله ابن فيروز الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن سليمان لما بنىٰ بيت[1] المقدس سأل ربه – عز وجل – خلالاً ثلاثًا** » ... وذكره(٣٠) .

وقد روي من حديث رافع بن عمير – رضي الله عنه – بإسناد وسياق غريبين ، فقال الطبراني(٣١) :

حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني ، حدثنا محمد بن أيوب بن سويد ، حدثني أبي ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي الزاهرية ، عن رافع بن عمير قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **قال الله – عز وجل – لداود – عليه السلام – : ابن لي بيتًا في الأرض . فبنىٰ داود بيتًا لنفسه قبل البيت الذي أمر به ، فأوحىٰ الله إليه : يا داود ، نصبت بيتك قبل بيتي . قال : يا رب ، هكذا قضيت ، من ملك استأثر . ثم أخذ في بناء المسجد ، فلما تم السور سقط ، ثلاثًا ، فشكا ذلك إلىٰ الله – عز وجل – فقال : يا داود ، إنك لا تصلح أن تبني لي بيتًا . قال : ولم يارب ؟ قال : لما جرىٰ علىٰ يديك من الدماء . قال : يارب ، أو ما كان ذلك في هواك ومحبتك ؟ قال : بلىٰ ، ولكنهم عبادي ، وأنا أرحمهم . فشق ذلك عليه ، فأوحىٰ الله إليه : لا تحزن ، فإني سأقضي بناءه علىٰ يدي ابنك سليمان . فلما مات داود أخذ سليمان في بنيانه فلما تم قرّب القرابين ، وذبح الذبائح ، وجمع بني إسرائيل ، فأوحىٰ الله إليه : قد أرىٰ سرورك ببنيان بيتي ، فسلني أعطك . قال : أسألك ثلاث خصال : حكمًا يصادف حكمك ، وملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ، ومن أتىٰ هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما ثنتان[2] فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة** » .

و[3]قال الإمام أحمد(٣٢) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عُمَر بن راشد اليمامي ، حدثنا إياس

---

(٣٠) – أخرجه النسائي في الأشربة ، باب توبة شارب الخمر (٨/٣١٧) ، وابن ماجة في الأشربة ، باب : من شرب الخمر لم تقبل له صلاة ، حديث (٣٣٧٧) ، والدارمي (٢٠٩٧) ، وأحمد (٢/١٧٦) من طرق عن الأوزاعي به .

(٣١) – المعجم الكبير (٥/٢٤) (٤٤٧٧) .

(٣٢) – المسند (٤/٥٤) ، وأخرجه عبد بن حميد (٣٨٧ – منتخب) عن عثمان بن عمر بن راشد اليمامي به.

---

[١] – في ز : « البيت » .

[٢] – في ز : « اثنتين » .

[٣] – سقط من : ز .

ابن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : ما سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم دعا إلا استفتحه : « **سبحان الله[١] ربي الأعلىٰ العليّ الوهاب** » .

وقد قال أبو عبيد : حدثنا علي بن ثابت ، عن جعفر بن بَرْقان ، عن صالح بن مسمار قال : لما مات نبي الله داود أوحىٰ الله إلىٰ ابنه سليمان عليهما السلام : « **أن سلني حاجتك . قال : أسألك أن تجعل لي قلبًا يخشاك ، كما كان قلب أبي ، وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي. فقال الله : أرسلت إلىٰ عبدي وسألته[٢] حاجته فكانت أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني ، لأهَبَنّ له ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده . قال الله تعالىٰ : ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾** والتي بعدها ، قال : فأعطاه ما أعطاه ، وفي الآخرة لا حساب عليه » .

كذا أورده أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان -عليه السلام- في تاريخه .

وروي عن بعض السلف أنه قال : بلغني عن داود أنه قال : « **إلهي ، كن لسليمان كما كنت لي . فأوحىٰ الله إليه أن قل لسليمان أن يكون لي كما كنتَ لي أكون له كما كنتُ لك** » .

وقوله: **﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾** قال الحسن البصري رحمه الله : لما عقر سليمان الخيل غضبًا لله - عز وجل - عوضه الله ما هو خير منها وأسرع، الريح التي[٣] غدوها شهر ورواحها شهر .

وقوله : **﴿ حيث أصاب ﴾** أي : حيث أراد من البلاد .

وقوله : **﴿ والشياطين كل بناء وغواص ﴾** أي : منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات ، إلىٰ غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون مما فيها من اللآلىء والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها ، **﴿ وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾** أي : موثقون[٤] في الأغلال والأكبال ، ممن قد تمَرّد وعصىٰ وامتنع من العمل وأبىٰ ، أو قد أساء في صنيعه واعتدىٰ .

وقوله : **﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾** أي : هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا ، فأعط من شئت واحرم من شئت ، لا حساب عليك ، أي : مهما فعلت فهو جائز لك ، احكم بما شئت فهو صواب .

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خُير بين أن يكون عبدًا

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « أسأله » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « موثوقون » .

رسولًا - وهو الذي يفعل ما يؤمر به ، وإنما هو قاسم يقسم بين الناس ما أمره اللَّه به - وبين أن يكون ملكا نبيًا ، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح ، اختار المنزلة الأولىٰ بعد ما استشار جبريل ، فقال له : تواضع . فاختار المنزلة الأولىٰ ؛ لأنها أرفع قدرًا عند اللَّه وأعلىٰ منزلة في المعاد . وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضًا في الدنيا وفي الآخرة . ولهذا لما ذكر تعالىٰ ما أعطي سليمان في الدنيا نبه علىٰ أنه ذو حظ عظيم عند اللَّه يوم القيامة أيضًا ، فقال : ﴿ **وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ أي : في الدار الآخرة .

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

يذكر تعالىٰ عبده ورسوله أيوب - عليه السلام - وما كان ابتلاه تعالىٰ به من الضر في جسده وماله وولده ، حتىٰ لم يبق من جسده مَغْرز إبرة سليمًا سوىٰ قلبه ، ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به علىٰ مرضه وما هو فيه ، غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها باللَّه ورسوله ، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه ، وتخدمه نحوًا من ثماني عشرة سنة . وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فَسُلبَ جميعَ ذلك . حتىٰ آل به الحال إلىٰ أن ألقي علىٰ مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ، ورفضه القريب والبعيد سوىٰ زوجته - رضي اللَّه عنها - فإنها كانت لا تفارقه صباحًا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ، ثم تعود إليه قريبًا . فلما طال المطال ، واشتد الحال ، وانتهىٰ القدر المقدور ، وتم الأجل المقدَّر ، تضرع إلىٰ رب العالمين وإله المرسلين ، فقال : ﴿ **إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾ وفي هذه الآية الكريمة قال : ﴿ **رَبّ إني مسني الشيطان بنصب وعذاب** ﴾ قيل : بنصب في بدني ، وعذاب في مالي وولدي . فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين ، وأمره أن يقوم من مقامه ، وأن يركض الأرض برجله . ففعل ، فأنبع اللَّه عينًا وأمره أن يغتسل منها ، فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذىٰ . ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر ، فأنبع له عينًا أخرىٰ وأمره أن يشرب منها ، فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء ، وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾ .

قال ابن جرير ، وابن أبي حاتم جميعًا [٣٣] : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه

(٣٣) - تفسير الطبري (١٦٧/٢٣) .

عنه - : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن نبي اللّٰه أيوب - عليه السلام - لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد ، إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به ، كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تعلم - واللّٰه - لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. قال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : من ثماني عشرة سنة لم يرحمه اللّٰه ، فيكشفَ ما به . فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتىٰ ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقول ، غير أن اللّٰه يعلم أني كنت أمرّ علىٰ الرجلين يتنازعان ، فيذكران اللّٰه - عز وجل - فأرجع إلىٰ بيتي فأكفر عنهما ، كراهية أن يذكرا اللّٰه إلا في حق . قال : وكان يخرج إلىٰ حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتىٰ يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها ، وأوحىٰ اللّٰه تعالىٰ إلىٰ أيوب - عليه السلام - أن ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾** ، فاستبطأته ، فتلقته[١] تنظر ، فأقبل[٢] عليها ، قد أذهب اللّٰه ما به من البلاء ، وهو علىٰ أحسن ما كان . فلما رأته قالت : أي بارك اللّٰه فيك ، هل رأيت نبي اللّٰه هذا المبتلىٰ . فواللّٰه على ذلك ، ما رأيت رجلًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا ، قال : فإني أنا هو . قال : وكان له أندران ، أندر للقمح وأندر للشعير ، فبعث اللّٰه سحابتين ، فلما كانت إحداهما علىٰ أندر القمح أفرغَت فيه الذهب حتىٰ فاض ، وأفرغت الأخرىٰ في أندر الشعير حتىٰ فاض » . هذا لفظ ابن جرير رحمه اللّٰه .

وقال الإمام أحمد (٣٤) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن مُنَبِّه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بينما[٣] أيوب يغتسل عريانًا ، خرّ عليه جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثو[٤] في ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ؛ ألم أكن أغنيتك عما ترىٰ ؟ قال : بلىٰ يا رب ، ولكن لا غنىٰ بي عن بركتك** » . انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به .

ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرىٰ لأولي الألباب ﴾** ، قال الحسن ، وقتادة : أحياهم اللّٰه تعالىٰ له بأعيانهم وزادَه مثلهم معهم .

وقوله : **﴿ رحمة منا ﴾** أي : به علىٰ صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته ، **﴿ وذكرىٰ لأولي الألباب ﴾** أي : لذوي العقول ، ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرجُ والمخرجُ والراحة .

وقوله : **﴿ وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث ﴾** ، وذلك أن أيوب - عليه السلام -

(٣٤) - المسند (٢/٣١٤) ، وأخرجه البخاري في الغسل ، باب : من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة ... ، حديث (٢٧٨) ، وأطرافه في (٣٤٠٤، ٤٧٩٩) .

[١] - في خ : « فبلغته » .
[٢] - في ز : « وأقبل » .
[٣] - في ز : « فبينما » .
[٤] - في ز : « يحثي » .

كان قد غضب علىٰ زوجته ، ووَجَد عليها في أمر فعَلته . قيل : باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه[١] ، فلامها علىٰ ذلك ، وحلف إن شفاه اللّٰه ليضربنها مائة جلدة . وقيل : لغير ذلك من الأسباب . فلما شفاه اللّٰه وعافاه ، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب ، فأفتاه اللّٰه - عز وجل - أن يأخذ ضغثًا - وهو : الشِّمراخ - فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة ، وقد برّت يمينه ، وخرج من حنثه ووفىٰ[٢] بنذره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقىٰ اللّٰه وأناب إليه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، أثنىٰ اللّٰه تعالىٰ عليه ومدحه بأنه ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾ أي : رجاع منيب ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يتق اللّٰه يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ وقد استدل كثير من الفقهاء[٣] بهذه الآية الكريمة علىٰ مسائل في الإيمان وغيرها ، وأخذوها بمقتضاها .

وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين : ﴿ **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار** ﴾ ، يعني بذلك : العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة .

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ **أولي الأيدي والأبصار** ﴾ ، يقول : أولي القوة والعبادة ، ﴿ **والأبصار** ﴾ ، يقول : الفقه في الدين .

وقال مجاهد : ﴿ **أولي الأيدي** ﴾ يعني : القوة في طاعة اللّٰه ، ﴿ **والأبصار** ﴾ يعني : البصر في الحق .

وقال قتادة والسدي أعطوا قوة في العبادة وبصرًا في الدين .

وقوله :﴿ **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرىٰ الدار** ﴾ قال مجاهد : أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هَمّ غيرها . وكذا قال السدي : ذكرهم للآخرة وعملهم لها .

وقال مالك بن دينار : نزع اللّٰه من قلوبهم حب الدنيا وذكرها ، وأخلصهم لحب الآخرة

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « العلماء » .

وذكرها . وكذا قال عطاء الخراساني .

وقال سعيد بن جُبَير : يعني بالدار الجنة ، يقول : أخلصناها لهم بذكرهم لها . وقال في رواية أخرىٰ : ﴿ **ذكرىٰ الدار** ﴾ : عقبىٰ الدار .

وقال قتادة : كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها .

وقال ابن زيد : جعل لهم خاصَّة أفضل شيء في الدار الآخرة .

وقوله : ﴿ **وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار** ﴾ أي : لمن المختارين المجتبين الأخيار ، فهم أخيار مختارون .

وقوله : ﴿ **واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار** ﴾ ، قد تقدم الكلام علىٰ قصصهم وأخبارهم مستقصاة في « **سورة الأنبياء** » بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **هذا ذكر** ﴾ أي : هذا فضل فيه ذكر لمن يتذكر .

وقال السدي : يعني القرآن .

هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

يخبر تعالىٰ عن عباده المؤمنين السعداء ، أن لهم في الآخرة ﴿ **لحسن مآب** ﴾ وهو : المرجع والمنقلب . ثم فسره بقوله : ﴿ **جنات عدن** ﴾ أي : جنات إقامة ﴿ **مفتحة لهم الأبواب** ﴾ . والألف واللام هنا بمعنى الإضافة كأنه يقول: « **مفتحة لهم أبوابها** » أي: إذا جاءوها فتحت لهم[١] أبوابها .

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن ثواب[٢] الهَبَّاري، حدثنا عبد اللَّه بن نمير، حدثنا عبد اللَّه ابن مسلم - يعني ابن هرمز عن ابن سابط ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن في الجنة قصرًا يقال له[٣] : عدن ، حوله البروج والمروج ، له خمسة آلاف باب ، عند كل باب خمسة آلاف[٤] حِبَرَة ، لا يدخله - أو: لا يسكنه - إلا نبي أو**

[١] - في ت : « لها » .
[٢] - بياض في خ ، ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « إلا » .

صديق أو شهيد أو إمام عدل » . وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة .

وقوله : ﴿ متكئين فيها ﴾ قيل : متربعين فيها على سرر تحت الحجال ، ﴿ يدعون فيها بفاكهة كثيرة ﴾ أي : مهما طلبوا وجدوا ، وحضر كما أرادوا . ﴿ وشراب ﴾ أي : من أيّ أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ .

﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي : عن غير أزواجهن ، فلا يلتفتن إلىٰ غير بعولتهن ، ﴿ أتراب ﴾ أي : متساويات في السن والعمر . هذا معنىٰ قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد ابن جبير ، ومحمد بن كعب ، والسّدّي .

﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ أي : هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة التي [ ][١] وعدها لعباده المتقين ، التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار .

ثم أخبر عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء ، فقال : ﴿ إن هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ وكقوله : ﴿ عطاء غير مجزوز ﴾ وكقوله : ﴿ لهم أجر غير ممنون ﴾ أي : غير مقطوع ، وكقوله : ﴿ أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًّا .

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

لما ذكر تعالىٰ مآل السعداء ، ثنّىٰ بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم ، فقال : ﴿ هذا وإن للطاغين ﴾ وهم : الخارجون عن طاعة الله ، المخالفون لرسل الله ، ﴿ لشر مآب ﴾ أي : لسوء منقلب ومرجع . ثم فسره بقوله : ﴿ جهنم يصلونها ﴾

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « هي » .

أي : يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ، ﴿ فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ ، أما الحميم فهو : الحار الذي قد انتهىٰ حره ، وأما الغَسَّاق فهو ضده ، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم . ولهذا قال : ﴿ وآخر من شكله أزواج ﴾ أي : وأشياء من هذا القبيل ، الشيء وضده يعاقبون بها .

قال الإمام أحمد (٣٥) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهِيعَة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي[١] الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن دَلْوًا من غَسَّاق يهراق في الدنيا ، لأنتن أهل الدنيا » .

ورواه الترمذي ، عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن رِشْدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، به . ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث رشدين . كذا قال : وقد تقدم من غير حديثه .

ورواه ابن جرير(٣٦) ، عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث به .

وقال كعب الأحبار: غساق[٢] : عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك ، فيستنقع ، فيؤتىٰ[٣] بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة ، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ، ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبيه ، ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الحسن البصري في قوله : ﴿ وآخر من شكله أزواج ﴾ ألوان من العذاب .

وقال غيره : كالزمهرير ، والسموم ، وشرب الحميم ، وأكل الزقوم ، والصعود والهَوِيّ ، إلىٰ غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة ، والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه .

وقوله : ﴿ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبًا بهم إنهم صالوا النار ﴾ ، هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض [كما قال تعالىٰ][٤] : ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ ، يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ، ويكفر بعضهم ببعض ، فتقول الطائفة التي تدخل قبل

---

(٣٥) - المسند (٣/٢٨،٨٣) ، وأخرجه الترمذي في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار حديث (٢٥٨٤) .

(٣٦) - تفسير الطبري (٢٣/١٧٨) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : وغساق .

[٣] - في ز : « يؤتى » .

[٤] - المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الأخرىٰ ، إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية : ﴿ **هذا فوج مقتحم** ﴾ أي : داخل معكم ، ﴿ **لا مرحبًا بهم إنهم صالو النار** ﴾ ؛ لأنهم من أهل جهنم . ﴿ **قالوا بل أنتم لا مرحبًا بكم** ﴾ أي : فيقول لهم الداخلون : بل أنتم لا مرحبًا بكم ﴿ **أنتم قدمتموه لنا** ﴾ أي : أنتم دعوتمونا إلىٰ ما أفضىٰ بنا إلىٰ هذا المصير ، ﴿ **فبئس القرار** ﴾ أي : فبئس المنزل والمستقر والمصير . ﴿ **قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا في النار** ﴾ ، [كما قال عز وجل : ﴿ **قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار**][1] **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ أي: لكل منكم عذاب بحسبه[2] ﴿**وقالوا ما لنا لا نرى رجالًا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريًا أم زاغت عنهم الأبصار** ﴾ ، هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يَفْقِدُون رجالًا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا: ما لنا لا نراهم معنا في النار؟

قال مجاهد : هذا قول أبي جهل ، يقول : ما لي لا أرىٰ بلالًا وعمارًا وصهيبًا وفلانًا وفلانًا .

وهذا مثل ضُرب ، وإلا فكل الكفار هذا حالهم : يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار[3] افتقدوهم فلم يجدوهم ، فقالوا : ﴿ **ما لنا لا نرىٰ رجالًا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريًا** ﴾ أي : في الدنيا ، ﴿ **أم زاغت عنهم الأبصار** ﴾ ، يُسَلون أنفسهم بالمحال ، يقولون : أو لعلهم معنا في جهنم ، ولكن لم يقع بصرنا عليهم . فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات ، وهو قوله : ﴿ **ونادىٰ أصحابُ الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله علىٰ الظالمين** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾ أي : إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد ، من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ، ولعن بعضهم لبعض ، لحقّ لا مرية فيه ولا شَكّ .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

---

[1] - سقط من خ ، ز .

[2] - في خ : « يحسبه » .

[3] - سقط من : خ ، ز .

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يقول للكفار باللَّه المشركين به المكذبين لرسوله : إنما أنا منذر ، لست كما تزعمون ، ﴿ **وما من إله إلا اللَّه الواحد القهار** ﴾ أي : هو وحده قد قَهَرَ كل شيء وغلبه . ﴿ **رب السماوات والأرض وما بينهما** ﴾ أي : هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه ، ﴿ **العزيز الغفار** ﴾ أي : غفار مع عزته وعظمته .

﴿ **قل هو نبأ عظيم** ﴾ أي : خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال اللَّه إياى إليكم ﴿ **أنتم عنه معرضون** ﴾ أي غافلون .

قال مجاهد ، وشُرَيح القاضي ، والسُدّي في قوله : ﴿ **قل هو نبأ عظيم** ﴾ يعني : القرآن .

وقوله : ﴿ **ما كان لي من علم بالملأ الأعلىٰ إذ يختصمون** ﴾ أي : لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلىٰ ؟ يعني في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له ، ومحاجته ربه في تفضيله عليه . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٣٧) حيث قال :

حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا جَهْضَم اليمامي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن زيد بن أبي سلام ، عن أبي سلام ، عن عبد الرحمن بن عائش ، عن مالك بن يَخَامر ، عن معاذ - رضي اللَّه عنه - قال : احتبس علينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح ، حتىٰ كدنا نتراءىٰ قَرن الشمس . فخرج [رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][١] سريعًا ، فَثَوّب بالصلاة فصلى وتجوَّز في صلاته ، فلما سلم قال : « **كما أنتم [علىٰ مَصَافّكم** »][٢] . ثم أقبل إلينا فقال : « [**إني سَأحدثكم ما حَبَسني عنكم الغداة ،**][٣] **إني قمت من الليل فصليت ما قُدّر لي ، فَنَعَست في صلاتي حتىٰ استيقظت ، فإذا أنا بربي في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ قلت : لا أدري رَبِّ - أعادها ثلاثًا - فرأيته وضع كفه بين كتفي حتىٰ وجدت برد أنامله بين صدري ، فتجلىٰ لي كل شيء وعرفت ، فقال[٤] : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلىٰ قلت : في الكفارات . قال : وما الكفارات . قلت : نقل الأقدام إلىٰ الجُمُعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات . قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام . قال : سل . قلت : اللّهم ، إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حُبّك ، وحُبَّ من يُحبك ، وحُبّ عمل يقربني إلىٰ حبك** ». وقال رسول

---

(٣٧) - المسند (٥/٢٤٣) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ص حديث (٣٢٣٥) عن محمد بن بشار عن معاذ بن هانئ عن جهضم به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « فتلك » .

الله صلى الله عليه وسلم: « **إنها حق فادرسوها[١] وتعلموها** » .

فهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غلط ، وهو في السنن من طرق . وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي ، به . وقال : حسن صحيح . وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن ؛ فإن هذا قد فُسّر ، وأما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا ، وهو قوله تعالى :

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

هذه القصة ذكرها الله تعالى في « **سورة البقرة** » ، وفي أول « **الأعراف** » ، وفي « **سورة الحجر** ، **وسبحان** ، **والكهف** » ، وهاهنا ، وهي أن الله سبحانه أعلمَ الملائكةَ قبل خلق آدم - عليه السلام - بأنه سيخلق بشرًا من صلصال من حَمَأٍ مسنون ، وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فَلْيسْجُدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتثالًا لأمر الله عز وجل . فامتثل الملائكةُ كلهم ذلكَ سوى إبليس ، ولم يكن منهم جنسًا ، كان من الجن فخانه طبعه وجبلّته أحوجَ ما كان إليه ، فاستنكف[٢] عن السجود لآدم ، وخاصم ربه - عز وجل - فيه ، وادعى أنه خير من آدم ؛ فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين ، [والنار خير من الطين][٣] في زعمه . وقد

---

[١] - في ز : « فارسوها » .

[٢] - في ز : « فاستأنف » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

أخطأ في ذلك ، وخالف أمر الله ، وكفر بذلك ، فأبعده الله وأرغم أنفه ، وطرده عن[١] باب رحمته ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وسماه « إبليس » ، إعلامًا له بأنه قد أبْلَس من الرحمة ، وأنزله من السماء مذمومًا مَدْحورًا إلىٰ الأرض ، فسأل الله النَّظِرَةَ إلىٰ يوم البعث ، فأنظره الحليم الذي لا يَعْجَل علىٰ من عصاه . فلما أمِنَ الهلاك إلىٰ يوم القيامة تَمَرَّد وطغىٰ ، وقال : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ ، كما قال : ﴿ **أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتني إلىٰ يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا** ﴾ ، وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرىٰ ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفىٰ بربك وكيلًا** ﴾ وقوله : ﴿ **قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ ، قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع « **الحق** » الأولىٰ ، وفسره مجاهد بأن معناه : أنا الحقُّ ، والحقّ أقول . وفي رواية عنه : الحقُّ مني ، وأقول الحقَّ .

وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي : هو قسم أقسم الله به .

قلت : وهذه الآية الكريمة كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولكن حَقّ القول مني لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ . وكقوله تعالى : ﴿ **قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورًا** ﴾ .

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : ما أسألكم علىٰ هذا البلاغ وهذا النصح أجرًا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا ، ﴿ **وما أنا من المتكلفين** ﴾ أي : وما أزيد علىٰ ما أرسلني الله به ، ولا أبتغي زيادة عليه ، بل ما أمرت به أدّيته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله - عز وجل - والدار الآخرة .

قال سفيان الثوري : عن الأعمش، ومنصور ، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق قال: أتينا عبدالله بن مسعود قال : يا أيها الناس ، من علم شيئًا فليقل به ، ومن لا يعلم فليقل : الله أعلم ؛ فإن من العلم أن يقولَ الرجلُ لما لا يعلم : الله أعلم ، فإن الله قال لنبيكم صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ . أخرجاه[٣٨] من حديث الأعمش ، به .

(٣٨) - أخرجه البخاري في التفسير ، باب (وما أنا من المتكلفين) حديث (٤٨٠٩) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، حديث (٢٧٩٨) .

[١] - في خ : « من » .

وقوله : ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ يعني : القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن . قاله ابن عباس . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **للعالمين** ﴾ قال : الجن والإنس .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ ، ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولتعلمن نبأه** ﴾ أي : خبره وصدقه ﴿ **بعد حين** ﴾ أي : عن قريب . قال قتادة : بعد الموت . وقال عكرمة : يعني يوم القيامة . ولا منافاة بين القولين ، فإن من مات فقد[١] دخل في حكم القيامة .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ **ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ ، قال الحسن[٢] : يا ابن آدم ، عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

[آخر تفسير سورة « ص » ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : « قد » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

/ سورة صٓ [٤٢٨و]

مكيّة، وهي ستّ وثمانون[١] آية.[٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾

﴿صٓ﴾ بالسكون على الوقف. وقُرئ بالكسر[٣] والفتح[٤] لالتقاء الساكنَين، ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسَم في موضع الجرّ، كقولهم: "اللهِ لأفعلَنّ" بالجرّ، وأن يكون ذلك نصبًا بإضمار "اذكر" أو "اقرأ"، لا فتحًا كما مرّ في فاتحة سورة البقرة. وامتناعُ الصرف للتعريف والتأنيث؛ لأنّها عَلَم للسورة، وقد صرَفها مَن قرأ "صَادٍ" بالتنوين[٥] على أنّه اسم الكتاب أو التنزيل.

وقيل: هو في قراءة الكسر أمْرٌ مِن "المُصاداة"، وهي المعارَضة والمقابَلة، ومنها "الصَّدَى" الذي ينعكس مِن الأجسام الصلبة بمقابلة الصوت، ومعناه: عارِضِ القرآن بعملك، فاعمل بأوامره، وانتَهِ عن نواهيه، وتخلّقْ بأخلاقه.

ثمّ إن جُعل اسمًا للحرف مَسرودًا على منهاج التحدّي، أو الرمزِ إلى كلامٍ مِثل: "صدَق الله" أو "صدَق محمّد" كما نُقل عن أكابر السلَف،[٦] أو اسمًا للسورة خبرًا لِمبتدأ محذوف، أو نصبًا على إضمار "اذكر" أو "اقرأ"، أو أمرًا مِن "المُصاداة"؛ فـ"الواو" في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ للقَسَم.

---

١ ط + وقيل: ثمان وثمانون.

٢ م – سورة ص، مكّيّة، وهي ستّ وثمانون آيةً.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ رضي الله عنه وابن أبي إسحاق والحسَن. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٩.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٩.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي إسحاق. البحر المحيط لأبي حيّان، ١٣٥/٩.

٦ انظر: جامع البيان للطبري، ٧/٢٠؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٥٣٨/٣.

وإن جُعِل مقسَمًا به فهي للعطف عليه. فإن أريدَ بـ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾ كلُّه فالمغايرة بينهما حقيقيّة، وإن أريدَ عينُ السورة فهي اعتباريّة، كما في قولك: "مررتُ بالرجل الكريم وبالنسَمة المباركة". وأيًّا ما كان ففي التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسَم عليها.

و﴿ٱلذِّكْرِ﴾ الشرَف والنباهة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف، ٤٣/٤٤]، أو الذكرى والموعظة، أو ذِكرُ ما يُحتاج إليه في أمر الدين مِن الشرائع والأحكام وغيرها مِن أقاصيص الأنبياء عليهم السلام، وأخبارِ الأمم الدارجة، والوعدِ والوعيد.

وجواب القسَم على الوجه الأوّل والرابع والخامس محذوف، هو ما يُنبئ عنه التحدّي والأمرُ والإقسامُ به مِن كون المتحدَّى به معجِزًا، وكونِ المأمور به واجبًا، وكونِ المقسَم به حقيقًا بالإعظام، / أي: أقسمُ بالقرآن أو بِـ"صَادْ" وبِه إنّه لَمعجِز، أو لَواجبُ العمل، أو لَحَقيقٌ بالإعظام. [٤٢٨ظ]

وأمّا على الوجهَين الباقيَين فهو الكلام المرموز إليه، ونفسُ الجملة المذكورة قبل القسَم، فإنّ التسمية تنويه بشأن المسمَّى، وتنبيه على عِظَم خطَره، أي: إنّه لصادق والقرآنِ ذي الذِكر، أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآنِ... إلخ، على طريقة قولهم: "هذا حاتِمٌ واللهِ".

ولمّا كان كلّ واحد مِن هذه الأجوبة مُنبِئًا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلّيّة إنباءً بيّنًا كان قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ إضرابًا عن ذلك، كأنّه قيل: لا ريبَ فيه قطعًا، وليس عدمُ إذعان الكفرة له لِشائبة ريبٍ ما فيه؛ بل هم في استكبارٍ وحميّةٍ شديدةٍ وشقاقٍ بعيد لله تعالى ورسوله، ولذلك لا يُذعنون له.

وقيل: الجواب ما دلّ عليه الجملة الإضرابيّة، أي: ما كفَر به مَن كفر لِخلَل وجده فيه؛ بل الذين كفروا... إلخ.

وقُرِئ: "فِي غِرَّةٍ"،[١] أي: في غفلة عمّا يجب عليهم التنبّهُ له مِن مبادئ الإيمان ودواعيه.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٩.

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣﴾

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب مَن قبلهم مِن المستكبرين. و﴿كَمۡ﴾ مفعول ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾، و﴿مِن قَرۡنٖ﴾ تمييز. والمعنى: وقرْنًا كثيرًا أهلكنا مِن القرون الخالية، ﴿فَنَادَواْ﴾ عند نزول بأسنا وحلولِ نقمتنا استغاثةً وتوبةً، لينجوا مِن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾ حال مِن ضمير ﴿نَادَواْ﴾، أي: نادَوا واستغاثوا طلَبًا للنجاة، والحال أن ليس الحينُ حينَ مناصٍ، أي: فَوتٍ ونجاةٍ، مِن "ناصَهُ"، أي: فاتَه، لا مِن "ناصَ" بمعنى: تأخّر، ولا هي المشبَّهة بـ"ليس" زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على "رُبَّ" و"ثَمّ". وخُصَّت بنفي الأحيان، ولم يَبرُزْ إلّا أحد مَعمولَيها، / والأكثر حذف اسمها. [٤٢٩و]

وقيل: هي النافية للجنس، زيدت عليها "التاء"، وخُصّت بنفي الأحيان، و﴿حِينَ مَنَاصٖ﴾ منصوب على أنّه اسمها، أي: ولا حينَ مناصٍ لهم، أو بفعل مضمَر، أي: ولا أرَى حينَ مناصٍ.

وقُرئ بالرفع،[١] فهو على الأوّل اسمُها، والخبر محذوف، أي: ليس حينُ مناصٍ حاصلًا لهم، وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر، أي: ولا حينُ مناصٍ كائنٌ لهم. وقُرئ بالكسر،[٢] كما في قوله:

طلبوا صُلحَنا ولاتَ أوانٍ فأجبنا أن لاتَ حينَ بقاءِ[٣]

إمّا لأنّ "لاتَ" تَجرّ الأحيانَ، كما أنّ "لولا" تَجرّ الضمائر في نحو قوله:

لولاكَ هذا العامَ لم أحجُجِ[٤]

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السَّمّال. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٩. وضبطها أبو حيّان: "وَلَاتُ حِينُ" بضمّ "التاء" ورفع "النون". انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ٩/١٣٦.

[٢] قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٩. وضبطها أبو حيّان: "وَلَاتِ حِينٍ" بكسر "التاء" وجرّ "النون". انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ٩/١٣٦.

[٣] لأبي زُبيد الطائي في الكشّاف للزمخشري، ٤/٧١. وهو كذلك في لسان العرب لابن منظور، «لا»؛ وشرح شواهد المغني للسيوطي، ٢/٦٤٠، بلفظ: "أن ليس حينَ بقاءِ".

[٤] صدره:

أَوْمَتْ بكفَّيها مِن الهَودجِ

وهو في شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص ٤٧٩، في قسم الشعر المنسوب إليه.

أو لأنّ "أوانٍ" شُبِّه بـ"إذٍ" في قوله:

نَهَيتُكَ عن طِلابِكَ أمَّ عمرو ... بعاقِبة وأنتَ إذٍ صحيحُ[1]

في أنّه زمانٌ قُطع منه المضاف إليه، وعُوِّض التنوينَ؛ لأنّ أصله "أوانَ صلحٍ"، ثمّ حُمِل عليه "حينَ مناصٍ" تنزيلًا لقطع المضاف إليه مِن "مَناصٍ" -إذ أصله "حينَ مَناصِهم"- منزلةَ قطعه مِن "حين"، لِما بين المضافَين مِن الاتّحاد، ثمّ بُني "الحينُ" لإضافته إلى غير متمكِّن.

وقُرئ: "لَاتِ" بالكسر،[2] كـ"جَيْرِ".[3] ويقف الكوفيّون عليها بـ"الهاء"[4] كالأسماء، والبَصريّة بـ"التاء" كالأفعال.

وما قيل[5] مِن أنّ "التاء" مزيدة على "حِينَ" لاتّصالها به في الإمام ممّا لا وجهَ له، فإنّ خطّ المصحف خارج عن القياس.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ حكاية لأباطيلهم المتفرّعة على ما حُكي مِن استكبارهم وشِقاقهم، أي: عجِبوا مِن أن جاءهم رسولٌ مِن جنسهم؛ بل أدوَنُ منهم في الرياسة الدنيويّة والمال، على معنى أنّهم عدُّوا ذلك أمرًا عجيبًا خارجًا عن احتمال الوقوع، وأنكروه أشدّ الإنكار، لا أنّهم اعتقدوا وقوعَه وتعجّبوا منه.

[٤٢٩ظ] / ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وُضع فيه الظاهر موضعَ الضمير غضبًا عليهم، وإيذانًا بأنّه لا يَتجاسر على مِثل ما يقولونه إلّا المتوغِّلون في الكفر والفسوق:

---

[1] لأبي ذُؤيب الهذلي في الصحاح للجوهري، «إذ»؛ ولسان العرب لابن منظور، «أذذ». و"الطِّلاب" بمعنى الطَّلَب. و"بِعاقبة": حال مِن "الكاف" الأولى والثانية، والاسميّة حال ثانية. انظر: شرح شواهد المغني للسيوطي، ١/٢٦١.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٩.

[3] "جَيْرِ" بكسر "الراء"، وقد يُنوَّن، وكـ"أَيْنَ": يَمين، أي: حقًّا، أو بمعنى: نعَم أو أجَل. القاموس المحيط للفيروزابادي، «جير».

[4] وبذلك قرأ الكسائي. النشر لابن الجزري، ٢/١٣٢.

[5] قاله أبو عبيد القاسم بن سلّام، وقال: «فالوقف عندي على "لا"، والابتداء "تَحِين"؛ لأنّي نظرتها في الإمام "تَحِين" "التاء" متّصلة». انظر: النشر لابن الجزري، ٢/١٥٠.

﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ﴾ فيما يُظهره مِن الخوارق ﴿كَذَّابٌ﴾ فيما يُسنده إلى الله تعالى مِن الإرسال والإنزال.

﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾

﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ بأن نَفى الألوهيّة عنهم وقَصَرها على واحدٍ، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ بليغ في العجَب، وذلك لأنّه خلاف ما أَلِفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيّتهم، وواظبوا على عبادتهم كابِرًا عن كابِر، فإنّ مدار كلّ ما يأتون وما يذَرون مِن أمور دينهم هو التقليد والاعتياد، فيعدّون ما يخالف ما اعتادوه عجيبًا؛ بل مُحالًا.

وأمّا جعلُ مدارِ تعجّبهم عدمَ وفاءِ علمِ الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة[١] فلا وجهَ له، لِما أنّهم لا يدّعون أنّ لآلهتهم عِلمًا وقدرةً ومدخلًا في حدوث شيء مِن الأشياء حتّى يلزم مِن نفي أُلوهيّتهم بقاءُ الآثار بلا مؤثِّر.

وقُرئ: "عُجّابٌ" بالتشديد،[٢] وهو أبلَغ، كـ"كُرّام" و"كُرام".[٣]

رُوي أنّه لمّا أسلم عمر رضي الله عنه شقّ ذلك على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون مِن صناديدهم، فأتَوا أبا طالب فقالوا: «أنتَ شيخنا وكبيرنا، وقد علمتَ ما فعل هؤلاء السفهاء، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك»، فاستحضرَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، وقال: «يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك السؤالَ، فلا تَمِل كلَّ المَيل على قومك»، فقال صلّى الله عليه وسلّم: «ماذا تسألونني؟»، قالوا: «ارفُضنا وارفُض ذكرَ آلهتِنا ونَدَعُك / وإلهَك»، فقال [٤٣٠و] صلّى الله عليه وسلّم: «أرأيتم إن أعطيتُكم ما سألتم أمُعطيّ أنتم كلمةً واحدةً

---

١ قاله البيضاوي في أنوار التنزيل، ٥/٢٤.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ رضي الله عنه والسلمي وعيسى وابن مقسم. البحر المحيط لأبي حيّان، ٩/١٣٨.

٣ "الكُرام" بالضمّ مثل "الكَريم"، فإذا أفرَط في الكَرَم قيل: "كُرّام" بالتشديد. الصحاح للجوهري، «كرم».

٤ الكشف والبيان للثعلبي، ٨/١٧٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٧٢.

تملكون بها العربَ وتدينُ لكم بها العجَم؟» قالوا: «نعم، وعَشرًا»، فقال: «قولوا: "لا إله إلّا الله"»، فقاموا، وقالوا ذلك.[٤]

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ أي: وانطلق الأشراف مِن قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بَكَّتَهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجواب العتيد، وشاهَدوا تصلّبه عليه السلام في الدين، وعزيمتَه على أن يُظهره على الدين كلّه، ويَئِسوا ممّا كانوا يرجونه بتوسّط أبي طالب مِن المصالحة على الوجه المذكور.

﴿أَنِ امْشُوا﴾ أي: قائلين بعضهم لبعضٍ على وجه النصيحة: امْشُوا ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ أي: واثبتوا على عبادتها متحمّلين لِما تسمعونه في حقّها مِن القَدح. و﴿أَن﴾ هي المفسِّرة؛ لأنّ الانطلاق عن مجلس التقاوُل لا يخلو عن القول. وقيل: المراد بـ"الانطلاق" الاندفاعُ في القول. و﴿امْشُوا﴾ مِن "مَشَت المرأة" إذا كثُرت وِلادتُها، ومنه "الماشية" لِلتفَوُّل،[١] أي: اجتَمِعوا واكثُروا. وقُرئ: ﴿امْشُوا﴾ بغير ﴿أَن﴾[٢] على إضمارِ القول. وقُرئ: "يَمْشُونَ أَنِ اصْبِرُوا".[٣]

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ تعليل للأمر بالصبر، أو لوجوب الامتثال به، أي: هذا الذي شاهدناه مِن محمّد صلّى الله عليه وسلّم مِن أمر التوحيد ونفيِ آلهتنا وإبطالِ أمرها لَشيءٌ[٤] يُراد -أي: مِن جهته عليه السلام- إمضاؤُه وتنفيذُه لا محالةَ، مِن غير صارِف[٥] يَلويه، ولا عاطِفٍ يَثْنِيه، لا قولٌ يُقال مِن طرَف اللسان، أو أمرٌ يُرجَى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان، فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله مِن رَأيه / بوساطة أبي طالب وشفاعته، وحسبُكم أن لا تُمنَعوا مِن عبادة آلِهتكم بالكلّيّة، فاصبروا عليها، وتحمّلوا ما تسمعونه في حقّها مِن القَدح وسُوءِ القالة. [٤٣٠ظ]

---

١ التَّفَوُّل والتَّفاؤل ضدّ الطِّيَرة، يقال: "تَفاءَلْتُ بكذا" و"تَفأَلْتُ". انظر: لسان العرب لابن منظور، «فأل».

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٩.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه. الكشّاف للزمخشري، ٤/٧٣.

٤ س: بشيء.

٥ س: ضارف.

وقيل: إنّ هذا الأمر لَشيء يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه، وما أراد الله كونَه فلا مردَّ له، ولا ينفع فيه إلّا الصبر. وقيل: إنّ هذا الأمر لَشيء مِن نوائب الدهر يرادُ بنا، فلا انفكاكَ لنا منه. وقيل: إنّ دينكم لَشيء يُراد -أي: يُطلب- لِيؤخذ منكم وتُغلَبوا عليه. وقيل: إنّ هذا الذي يدّعيه مِن التوحيد أو يقصِده مِن الرياسة والترفّع على العرب والعجَم لَشيء يُتمنّى ويريده كلُّ أحد.

فتأمّل في هذه الأقاويل، واختر منها ما يساعده النظم الجليل.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي يقوله ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: المِلّة النصرانيّة التي هي آخر المِلَل، فإنّهم مُثلِّثة، أو في المِلّة التي أدركنا عليها آباءَنا. ويجوز أن يكون الجارّ والمجرور حالًا مِن ﴿هَٰذَا﴾، أي: ما سمعنا بهذا مِن أهل الكتاب ولا الكُهّان كائنًا في المِلّة المترقَّبة، ولقد كذَبوا في ذلك أقبَح كذِبٍ، فإنّ حديث البعثة والتوحيد كان أشهر الأمور قبل الظهور.

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا ﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ أي: كذِبٌ اختلَقه.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨﴾

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ أي: القرآنُ ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ ونحن رؤساء الناس وأشرافُهم، كقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ[١] عَظِيمٍ﴾ [الزخرف، ٣١/٤٣]، ومرادُهم إنكارُ كونه ذِكرًا منزَّلًا مِن الله عزّ وجلّ، كقولهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف، ١١/٤٦]. وأمثالُ هذه المقالات الباطلة دليل على أنّ مَناط تكذيبهم ليس إلّا الحسَدَ وقَصْرَ النظر على الحطام الدنيوي.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ أي: مِن القرآن، أو الوحي، / لمَيلهم إلى التقليد، [٤٣١و]
وإعراضِهم عن النظر في الأدلّة المؤدّية إلى العلم بحقّيّته، وليس في عقيدتهم ما يبتّون به، فهم مذَبذَبون بين الأوهام، ينسبونه تارةً إلى السحر، وأخرى إلى الاختلاق.

---

[١] وفي هامش م: مكّة وطائف. «منه».

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ أي: بل لم يذوقوا بعدُ عذابي، فإذا ذاقوه تبيّن لهم حقيقة الحال. وفي ﴿لَمَّا﴾ دلالة على أنّ ذوقهم على شرَف الوقوع. والمعنى: أنّهم لا يصدِّقون به حتّى يمسّهم العذاب. وقيل: لم يذوقوا عذابي الموعودَ في القرآن، ولذلك شكّوا فيه.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ بل أعِندهم خزائن رحمته تعالى يتصرّفون فيها حسبما يشاءون، حتّى يصيبوا بها مَن شاءوا، ويصرفوها عمّن شاءوا، ويتحكّموا فيها بمقتضى آرائهم، فيتخيّروا للنبوّة بعضَ صناديدهم؟ والمعنى: أنّ النبوّة عطيّة مِن الله عزّ وجلّ، يتفضّل بها على مَن يشاء مِن عباده المصطفَين، لا مانعَ له، فإنّه العزيز، أي: الغالبُ الذي لا يُغالَب، الوهّاب الذي له أن يهَبَ كلّ ما يشاء لكلّ مَن يشاء.

وفي إضافة اسم "الربّ" المنبئ عن التربية والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره عليه السلام مِن تشريفه واللطف به ما لا يخفى.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ترشيح لِما سبَق، أي: بل ألَهُم مُلك هذه العوالم العلويّة والسفليّة حتّى يتكلّموا في الأمور الربّانيّة، ويتحكّموا في التدابير الإلهيّة التي يستأثر بها ربّ العزّة والكبرياء؟

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ جواب شرط محذوف، أي: إن كان لهم ما ذُكر مِن المُلك فليَصعَدوا في المعارج والمناهج التي يُتوصّل بها إلى العرش / حتّى [٤٣١ظ] يستووا عليه، ويدبّروا أمر العالَم، ويُنزلوا الوحي إلى مَن يختارون ويستصوِبون. وفيه مِن التهكّم بهم ما لا غايةَ وراءه. و"السبب" في الأصل هو الوُصلة. وقيل: المراد بـ﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ السماواتُ؛ لأنّها أسباب الحوادث السفليّة. وقيل: أبوابُها.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢﴾

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي: هم جندٌ ما مِن الكفّار المتحزّبين على الرسل، مهزومٌ مكسور عمّا قريبٍ، فلا تبالِ بما يقولون، ولا تكترِث بما يَهذُون. و﴿مَا﴾ مزيدة للتعليل[1] والتحقير، نحو قولك: "أكلْتُ شيئًا ما". وقيل: للتعظيم على الهُزء. و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى حيث وَضعوا فيه أنفسَهم مِن الانتداب لمِثل[2] ذلك القول العظيم.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾... إلخ استئناف مقرّر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العُتاة الطُّغاة الذين هؤلاء جندٌ ما مِن جنودهم، ممّا[3] فعلوا مِن التكذيب، وفُعِل بهم مِن العقاب. و﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ معناه: ذو المُلك الثابت، أصله مِن ثباتِ البيت المُطنَّب[4] بأوتاده، فاستُعير لثبات المُلك ورسوخِ السلطَنة واستقامةِ الأمر، قال الأسود بن يَعفُر:[5]

ولقد غَنُوا فيها[6] بأنعَمِ عيشةٍ   في ظلِّ مُلكٍ ثابتِ الأوتادِ[7]

أو ذو الجموع الكثيرة، سُمُّوا بذلك لأنّ بعضهم يشدّ بعضًا كالوَتَد يشدّ البناء.

وقيل: نصَبَ أربع سَوارٍ، وكان يمدّ يدَي المعذَّب ورجليه إليها، ويضرب عليها أوتادًا، ويتركه حتّى يموت. وقيل: كان يمدّه بين أربعة أوتاد في الأرض، ويُرسِل عليه العقارب / والحيّات. وقيل: كانت له أوتاد وحِبال يُلعَب بها بين يديه. [٤٣٢و]

---

١ ط س: للتقليل.
٢ ط س: بمثل.
٣ س: بما.
٤ "الطُّنُب": حَبل الخِباء، والجمع "أطناب". يقال: "خِباءٌ مُطنَّب" و"رِواق مُطنَّب"، أي: مشدودٌ بالأطناب. الصحاح للجوهري، «طنب».
٥ هو الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل، وأبو الجرّاح (ت. نحو ٢٢ق هـ/٦٠٠م). شاعر جاهلي، مِن سادات تميم، مِن أهل العراق. كان فصيحًا جوادًا. نادَم النعمان بن المنذر. ولمّا أسنّ كُفّ بصره. ويقال له: "أعشى بني نهشل"، أشهر شعره داليّته التي مطلعها:

نام الخَليّ وما أحسّ رُقادي   والهمّ محتضر لديّ وِسادي

انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/٢٤٨؛ والأعلام للزركلي، ٤/١٨٨.
٦ وفي هامش م: ضمير "فيها" راجع إلى "المنازل" فيما قبله مِن قوله:

ماذا أُؤَمِّل بعد آلِ مُحرِّق   تركوا منازلهم وبعد إيادِ

٧ للأسود بن يَعفُر النهشلي في المفضّليّات للمفضّل الضبّي، ص ٢١٧.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ أصحاب الغَيضة مِن قوم شعيب عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ إمّا بدل مِن الطوائف المذكورة، كما أنّ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة، ٢/٢] بدل مِن ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة، ١/٢] على أحد الوجوه، وفيه فضل تأكيد وتنبيهٌ على أنّهم الذين جُعل الجندُ المَهزوم منهم.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ استئناف جيء به تقريرًا لِتكذيبهم، وبيانًا لكيفيّته، وتمهيدًا لِما يَعقُبه، أي: ما كلّ أحدٍ مِن آحاد أولئك الأحزاب، أو ما كلّ حزب منهم إلّا كذّب الرسل؛ لأنّ تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعًا، لاتّفاق الكلّ على الحقّ. وقيل: ما كلّ حزب إلّا كذّب رسولَه، على نهج مقابَلة الجمع بالجمع.

وأيًا ما كان فالاستثناء مفرَّغ مِن أعمّ العامّ في خبر المبتدأ، أي: ما كلّ أحد منهم محكومًا عليه بحكمٍ إلّا محكومٌ عليه بأنّه كذّب الرسل. وقيل:[١] ما كلّ واحد منهم مخبَرًا عنه بخبَرٍ إلّا مخبَرٌ عنه بأنّه كذّب الرسل.

وفي إسناد التكذيب إلى الطوائف المذكورة على وجه الإبهام **أوّلًا**، والإيذانِ بأنّ كلًّا منهم حِزب على حِياله تحزَّب على رسوله **ثانيًا**، وتبيينِ كيفيّة تكذيبهم بالجملة الاستثنائيّة **ثالثًا**؛ فنونٌ مِن المبالغة مُسَجِّلةٌ عليهم باستحقاق أشدّ العذاب وأفظَعِه، ولذلك رُتِّب عليه قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي: ثبَتَ ووقَع على كلٍّ منهم عقابي الذي كانت توجبُه جناياتهم مِن أصناف العقوبات المفصّلة في مواقعها.

وإمّا مبتدأ،[٢] وقولُه تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ خبره بحذف العائد، أي: إن كلٌّ منهم... إلخ، والجملة استئناف مقرِّر لِما قبله، مؤكِّد لمضمونه، مع ما فيه مِن بيان كيفيّة تكذيبهم، والتنبيهِ على أنّهم الذين جُعل الجُند المهزوم منهم كما ذُكر.

---

١ وفي هامش م: الفاضل التفتازاني. «منه». | انظر: حاشية التفتازاني على الكشّاف، ٤٠٦و.

٢ وفي هامش م: عطف على "إمّا بدل". «منه».

وقيل: هو[١] مبتدأ وخبر، / والمعنى: أنّ الأحزاب الذين جُعل الجُند المهزومُ [٤٣٢ظ]
منهم هُمْ هُمْ، وأنّهم الذين وُجِد منهم التكذيب، فتدبّر.

وأمّا ما قيل[٢] مِن أنّه خبر، والمبتدأ قوله: ﴿وَعَادٌ﴾... إلخ،[٣] أو قوله: ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾... إلخ؛[٤] فممّا يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝١٦﴾

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ شروع في بيان عِقاب كفّار مكّة إثرَ بيان عقاب أضرابهم مِن الأحزاب الذين أُخبِر فيما سبق بأنّهم جُند حقير منهم مهزوم عن قريب، فإنّ ذلك ممّا يوجب انتظار السامع وترقُّبَه إلى بيانه قطعًا. وفي الإشارة إليهم بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ تحقير لشأنهم، وتهوينٌ لأمرهم.

وأمّا جعله إشارة إلى "الأحزاب" باعتبار حضورهم بحسب الذكر، أو حضورِهم في علم الله عزّ وجلّ؛[٥] فليس في حيّز الاحتمال أصلًا، كيف لا والانتظارُ سواء كان حقيقةً أو استهزاءً إنّما يُتصوّر في حقّ مَن لم يترتّب على أعماله نتائجُها بعدُ؟

وبعدَ ما بُيّن عقابُ الأحزاب واستئصالهم بالمرّة لم يبقَ ممّا أُريدَ بيانه مِن عقوباتهم أمر منتظَر، وإنّما الذين في مرصد الانتظار كفّار مكّة، حيث ارتكبوا مِن عظائم الجرائم وكبائرِ الجَرائر الموجِبة لأشدّ العقوبات مثلَ ما ارتكب الأحزابُ أو أشدَّ منه، ولمّا يلاقوا بعدُ شيئًا مِن غوائلها. أي: وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلَكة في الكفر والتكذيب ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي النفخة الثانية، لا بمعنى أنّ عقابهم نفسُها بما فيها مِن الشدّة والهَول، فإنّها داهية يعمّ هولُها جميعَ الأمم برَّها وفاجرَها؛ بل بمعنى أنّه ليس بينهم وبين حلول

---

١ أي: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾.
٢ قاله أبو البقاء في التبيان، ١٠٩٨/٢.
٣ ص، ١٢/٣٨.
٤ ص، ١٣/٣٨.
٥ انظر: الكشّاف للزمخشري، ٧٧/٤؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي، ٢٦/٥.

ما أُعِدّ لهم مِن العقاب الفظيع إلّا هي، حيث أُخّرت عقوبتهم إلى الآخرة لِما أنّ تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقّونه والنبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بين أَظهُرِهم خارجٌ عن السنّة الإلهيّة / المبنيّةِ على الحِكم الباهرة كما نطق به قوله [٤٣٣و] تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال، ٣٣/٨].

وأمّا ما قيل[1] مِن أنّها النفخة الأولى فمِمّا لا وجهَ له أصلًا، لِما أنّه لا يشاهِد هولَها ولا يصعَق بها إلّا مَن كان حيًّا عند وقوعها، وليس عقابهم الموعودُ واقعًا عَقيبَها، ولا العذابُ المطلق مؤخّرًا إليها؛ بل يحُلّ بهم مِن حين موتهم.

﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ أي: مِن توقّفٍ مقدارَ فَواق، وهو ما بين الحَلْبَتَين. وقُرئ بضمّ "الفاء"،[2] وهما لغتان.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ حكاية لِما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة، أي: قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية: عجّل لنا قِسطنا مِن العذاب الذي تُوعِدُنا به، ولا تؤخّره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة. و"القِطّ": القطعة مِن الشيء، مِن "قَطّه" إذا قطعه، ويقال لصحيفة الجائزة: "قِطّ"؛ لأنّها قطعة مِن القرطاس، وقد فُسّر بها،[3] أي: عجّل لنا صحيفةَ أعمالنا لننظر فيها.

وقيل: ذكَرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعْدَ الله تعالى المؤمنين الجنّةَ، فقالوا على سبيل الهُزْء به: عجّل لنا نصيبنا منها.

وتصديرُ دعائهم بالنداء المذكور للإمعان في الاستهزاء، كأنّهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ مِن أمثال هذه المقالات الباطلة، ﴿وَٱذْكُرْ﴾ لهم ﴿عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ أي: قصّتَه تهويلًا لأمر المعصية في أعينهم، وتنبيهًا لهم على كمال قُبح

[1] قاله البيضاوي في أنوار التنزيل، ٢٦/٥.
[2] قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.
[3] فسّره بها أبو العالية والكلبي. انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١٨٢/٨؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٥٤٣/٣.

ما اجترءوا عليه مِن المعاصي، فإنّه عليه السلام مع علوّ شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لمّا أَلَمَّ بصغيرةٍ نزَل عن منزلته ووَبّخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتّى / تفطّن فاستغفرَ ربّه وأناب، ووُجِد منه ما يُحكَى مِن بكائه الدائب، وغمّه الواصب، وندمِه الدائم، فما الظنّ بهؤلاء الكفرة الأذلّين مِن كلّ ذليل، المرتكبين لأكبر الكبائر، المصرّين على أعظم المعاصي. [٤٣٣ظ]

أو تذكّرْ قصّتَه عليه السلام، وصُنْ نفسَك أن تزِلّ فيما كُلِّفتَ مِن مصابرتهم وتحمّلْ أذيّتَهم كيلا يلقاكَ ما لقيَه مِن المعاتبة.

﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ أي: ذا القوّة. يقال: "فلان أَيِّدٌ" و"ذو أَيدٍ" و"آدٍ" بمعنًى، وإيادُ كلّ شيء: ما يتقوّى به. ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رجّاع إلى مرضاة الله تعالى، وهو تعليل لكونه ذَا الأَيْدِ، ودليل على أنّ المراد به القوّة في الدين، فإنّه عليه السلام كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، ويقوم نصف الليل.[١]

﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝١٨﴾

﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ استئناف مَسوق لتعليل قوّته في الدين، وأوّابيّتِه إلى مرضاته تعالى. و"مع" متعلِّقة بالتسخير، وإيثارُها على "اللام" لِما أشيرَ إليه في سورة الأنبياء[٢] مِن أنّ تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرّف الكلّي فيها إليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام؛ بل بطريق التبعيّة له عليه السلام والاقتداءِ به في عبادة الله تعالى.

وقيل: متعلِّقة بما بعدها، وهو أقرب بالنسبة إلى ما في سورة الأنبياء.[٣]

﴿يُسَبِّحۡنَ﴾ أي: يقدّسن الله عزّ وجلّ بصوت يتمثّل له، أو بخلق الله تعالى فيها الكلام، أو بلسان الحال. وقيل: يَسِرن معه، مِن "السباحة". وهو حال مِن ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾،

---

[١] في صحيح البخاري، ١٦١/٤ (٣٤٢٠)؛ وصحيح مسلم، ٨١٦/٢ (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أَحبُّ الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأَحبّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثُلثَه، وينام سُدسَه».

[٢] الأنبياء، ٧٩/٢١.

[٣] الأنبياء، ٧٩/٢١.

وُضع موضع "مسبِّحاتٍ" للدلالة على تجدّد التسبيح حالًا بعد حال، أو استئنافٌ مبيّن لكيفيّة التسخير.

[٤٣٤و] ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ أي: ووقتِ الإشراق، وهو / حين تُشرِق الشمس، أي: تُضيء ويَصفو شعاعها، وهو وقت الضحى، وأمّا شُروقها فطُلوعُها، يقال: "شَرَقت الشمس ولمّا تُشرِق". وعن أمّ هانئ رضي الله عنها أنّه عليه السلام صلّى صلاة الضحى، وقال: «هذه صلاة الإشراق».[١] وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: «ما عرفتُ صلاة الضحى إلّا بهذه الآية».[٢]

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٩﴾

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْجِبَالَ﴾[٣] ﴿مَحْشُورَةً﴾ حال مِن ﴿ٱلطَّيْرَ﴾، والعامل ﴿سَخَّرْنَا﴾،[٤] أي: وسخّرنا الطير حالَ كونها محشورة. عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: «كان إذا سبّح جاوبَتْه الجبال بالتسبيح، واجتمعت إليه الطير فسبّحت، وذلك حشرُها».[٥] وقُرئ: "وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ" بالرفع[٦] على الابتداء والخبريّة.

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ استئناف مقرِّر لمَضمون ما قبله مصرِّح بما فُهم منه إجمالًا مِن تسبيح الطير، أي: كلّ واحدٍ مِن الجبال والطير لأجل تسبيحه رجّاعٌ إلى التسبيح. ووضعُ "الأوّاب" موضع المسبّح إمّا لأنّها كانت تُرجّع التسبيح، والمرجِّعُ رجّاع؛ لأنّه يَرجِع إلى فِعله رجوعًا بعد رجوع، وإمّا لأنّ "الأوّاب" هو التوّاب الكثيرُ الرجوع إلى الله تعالى، ومِن دأبه إكثارُ الذِّكر وإدامةُ التسبيح والتقديس. وقيل: الضمير لله عزّ وعلا،[٧] أي: كلٌّ مِن داود والجبال والطير لله أوّابٌ، أي: مسبّح مُرجِّع للتسبيح.

---

١ المعجم الكبير للطبراني، ٤٠٦/٢٤ (٩٨٦)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ١٨٣/٨.

٢ أنوار التنزيل للبيضاوي، ٢٦/٥. وانظر: جامع البيان للطبري، ٤٤/٢٠؛ والكشف والبيان للثعلبي، ١٨٣/٨.

٣ في الآية السابقة.

٤ في الآية السابقة.

٥ س: حشرنا. | التفسير الوسيط للواحدي، ٥٤٤/٣؛ الكشّاف للزمخشري، ٧٩/٤.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٩.

٧ ط س: عزّ وجلّ.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قوّيناه بالهيبة والنصرة وكثرةِ الجنود. وقُرئ بالتشديد[١] للمبالغة. قيل: كان يَبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئِم.[٢] وقيل: ادّعى رجل على آخَرَ بقرةً وعجزَ عن إقامة البيّنة، فأوحيَ إليه في المنام أن اقتُلِ المدّعَى عليه، فتأخّر، فأُعِيد الوحي في اليقظة، فأعلمه الرجلَ، فقال: «إنّ الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب، ولكن بأنّي قتلتُ أبا هذا غِيلةً»، فقتله، فقال الناس: «إن أذنبَ أحد ذنبًا أظهره الله تعالى / عليه»، فقتله، فهابوه وعظمت هيبته في القلوب.[٣] [٤٣٤ظ]

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوّةَ وكمالَ العلم وإتقانَ العمل. وقيل: الزبورَ وعلمَ الشرائع. وقيل: كلُّ كلام وافق الحقّ فهو حكمة.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ أي: فصلَ الخصام بتمييز الحقّ عن الباطل، أو الكلامَ الملخَّص الذي ينبّه المخاطبَ على المَرام مِن غير التباس، لِما قد رُوعي فيه مظانّ الفصل والوصل، والعطف والاستئناف، والإضمار والإظهار، والحذف والتكرار. وإنّما سُمِّي به "أمّا بعدُ"[٤] لأنّه يفصل المقصود عمّا سِيق تمهيدًا له، كالحمد والصلاة. وقيل: هو الخطاب الفَصلُ الذي ليس فيه إيجاز مُخِلّ، ولا إطنابٌ مُمِلّ، كما جاء في نعت كلام النبوّة: «فَصْلٌ، لا نَزْرٌ، ولا هَذْرٌ».[٥]

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ استفهام معناه التعجيب والتشويق إلى استماع ما في حيّزه لإيذانه بأنّه مِن الأنباء البديعة التي حقّها أن تشيع فيما بين كلّ حاضر وبادٍ.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٩.

٢ الكشّاف للزمخشري، ٤/٧٩. و"مُستَلئِم": لَابِس اللَّأمةِ، وهي الدِّرع. انظر: لسان العرب لابن منظور، «لأم».

٣ تفسير السمرقندي، ٣/١٦١؛ غرائب التفسير للكرماني، ٢/٩٩٥؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٧٩.

٤ انظر: جامع البيان للطبري، ٢٠/٥١؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٨/١٨٥.

٥ من حديث أمّ مَعبد في المعجم الكبير للطبراني، ٤/٤٨ (٣٦٠٥)؛ والمستدرك للحاكم، ٣/١٠ (٤٢٧٤)؛ وشرح السنّة للبغوي، ١٣/٢٦١ (٣٧٠٤).

و"الخَصم" في الأصل مصدر، ولذلك يطلق على الواحد والجمع، كـ"الضيف". ومعنى ﴿خَصْمَانِ﴾:[١] فريقان.

﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي تصعّدوا سُورَه، ونزلوا إليه. و"السُّور" الحائط المرتِفع، ونظيره "تَسنَّمَه" إذا علا سَنامه، و"تَذرَّاه" علا ذِروته. و﴿إِذْ﴾ متعلّقة بمحذوف، أي: نبأُ تحاكُمِ الخصم إذ تسوَّروا، أو بـ"النَّبأ" على أنّ المراد به الواقعُ في عهد داود عليه السلام، وأنّ إسناد الإتيان إليه على حذف مضافٍ، أي: قصّةُ نبأِ الخصم، أو بـ﴿ٱلْخَصْمِ﴾ لِما فيه مِن معنى الخصومة، لا بـ"أتَى"؛ لأنّ إتيانه الرسولَ صلّى الله عليه وسلّم لم يكن حينئذ.

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ بدل ممّا قبله، أو ظرف لـ﴿تَسَوَّرُواْ﴾.[٢]

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ رُوي أنّه تعالى بَعَث إليه ملَكَين في صورة إنسانَين -قيل:[٣] هما جبريل وميكائيل عليهما السلام- فطلَبا أن يدخلا عليه، فوَجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرَس، فتسوَّرا عليه المحراب بمَن معهما مِن الملائكة، فلم يشعُر إلّا وهما بين يدَيه جالسان، ففزِع منهم؛ لأنّهم نزلوا عليه مِن فوقُ على خلاف العادة، والحرسُ حولَه، وفي غير يومِ الحكومة والقضاء.[٤]

[٤٣٥و] / قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «إنّ داود عليه السلام[٥] جزَّأ زمانَه أربعةَ أجزاء، يومًا للعبادة، ويومًا للقضاء، ويومًا للاشتغال بخاصّة نفسه، ويومًا للوعظ والتذكير».[٦]

﴿قَالُواْ﴾ استئناف وقع جوابًا عن سؤال نشأ مِن حكاية فَزَعِه عليه السلام، كأنّه قيل: فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفَزَعه عليه السلام؟ فقيل: قالوا إزالةً لفَزَعه:

---

[١] في الآية التالية.
[٢] في الآية السابقة.
[٣] وفي هامش م: قاله الكواشي في تفسيره. «منه». | تفسير الكواشي، ٤٥٢ظ.
[٤] جامع البيان للطبري، ٦٦/٢٠؛ الكشف والبيان للثعلبي، ١٨٧/٨.
[٥] م - عليه السلام.
[٦] الكشّاف للزمخشري، ٨٢/٤؛ البحر المحيط لأبي حيّان، ١٤٧/٩. وذكر نحوه السمرقندي في تفسيره، ١٦٢/٣، عن الحسن البصري.

﴿لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ﴾ أي: نحن فَوجان متخاصمان، على تسمية مصاحب الخَصم خَصمًا، ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ هو على الفَرْض وقَصدِ التعريض، فلا كذبَ فيه، ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ أي: لا تَجُرْ في الحكومة. وقُرِئ: "وَلَا تَشْطُطْ"،[1] أي: لا تَبعُدْ عن الحقّ. وقُرِئ: "وَلَا تُشَطِّطْ"،[2] و"لَا تُشَاطِطْ"،[3] وكلّها مِن معنى "الشَّطَطِ"، وهو مجاوزة الحدّ، وتخطّي الحقّ.

﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ إلى وسط طريق الحقّ بزَجْرِ الباغي عمّا سلكه مِن طريق الجَور، وإرشاده إلى منهاج العدل.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ۝٢٣﴾

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي﴾ استئناف لبيان ما فيه الخصومة، أي: أخي في الدين، أو في الصُّحبة، والتعرّضُ لذلك تمهيد لبيان كمال قُبح ما فعَل به صاحبه. ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ هي الأنثى مِن الضأن، وقد يُكنَى بها عن المرأة، والكنايةُ والتعريضُ أبلَغ في المقصود. وقُرِئ: "تَسْعٌ وَتَسْعُونَ" بفتح "التاء"،[4] و"نِعْجَةٌ" بكسر "النون".[5] وقُرِئ: "وَلِي نَعْجَةٌ" بسكون "الياء".[6]

﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ أي: مَلِّكْنِيها، وحقيقته: اجعلني أكفُلُها كما أكفُلُ ما تحت يدي. وقيل: اجعلها كِفْلِي، أي: نصيبي. ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ أي: غلَبَني في مخاطبته إيّايَ محاجّةً بأن جاء بحِجاجٍ لم أقدر على ردّه، أو في مغالبته إيّاي في الخِطبة، يقال: "خَطَبْتُ المرأة، وخَطَبَها هو، فخاطَبَني خِطابًا"، أي: غالَبَني في الخِطبة، فغلَبَني حيث زُوِّجَها دوني.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وأبي رجاء وقتادة وابن أبي عبلة وأبي حَيوة. المحتسب لابن جنّي، ٢٣١/٢؛ البحر المحيط لأبي حيّان، ١٤٨/٩.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن قتادة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٠.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن زرّ بن حبيش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٠.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٠.

[5] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والأعرج. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٠.

[6] قرأ بها جميع القرّاء العشر غير روايتَي حفص عن عاصم وهشام عن ابن عامر. النشر لابن الجزري، ٣٦٢/٢.

[٤٣٥ظ] وقُرئ: "وَعَازَّنِي"،[١] أي: غالَبَني، و"عَزَنِي" بتخفيف / "الزاء"[٢] طلبًا للخِفّة، وهو تخفيف غريب، كأنّه قِيس على "ظَلْتَ" و"مَسْتَ".

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ جواب قسم محذوف، قَصد به عليه السلام المبالغة في إنكار فعلِ صاحبه، وتهجينِ طمَعه في نعجة مَن[٣] ليس له غيرُها، مع أنّ له قطيعًا منها، ولعلّه عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادّعاه عليه، أو بناه على تقدير صِدق المدّعي. و"السؤال" مصدر مضاف إلى مفعوله، وتعديتُه إلى مفعول آخَر بـ﴿إِلَىٰ﴾ لتضمّنه معنى الإضافة والضمّ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ أي: الشركاءِ الذين خلطوا أموالهم ﴿لَيَبْغِى﴾ لَيَتعدّى. وقُرئ بفتح "الياء"[٤] على تقدير "النون" الخفيفة وحذفِها،[٥] وبحذف "الياء"[٦] اكتفاءً بالكسر. ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ غيرَ مُراعٍ لحقّ الصحبة والشركة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ منهم، فإنّهم يتحامَون عن البغي والعدوان، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي: وهُم قليل، و﴿مَا﴾ مزيدة للإبهام والتعجّبِ مِن قِلّتهم، والجملة اعتراض.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ الظنّ مستعار للعِلم الاستدلالي، لِما بينهما مِن المشابهة الظاهرة، أي: علِمَ بما جرى في مجلس الحكومة. وقيل: لمّا قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحِك، ثمّ صَعِدا إلى السماء حِيالَ وجهه، فعلِمَ عليه السلام أنّه تعالى ابتلاه.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والضحّاك وابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٠.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيوة وطلحة. البحر المحيط لأبي حيّان، ١٤٩/٩.

٣ س – مَن.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن الذِماري. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٠.

٥ س: وحذفها.

٦ أي: "لَيَبْغِ". قراءة شاذّة، نسبها الكرماني إلى أهل الشام. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٠.

وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه السلام دونَ غيره بتوجيه القصر المستفاد مِن كلمة ﴿أَنَّمَا﴾ إلى المفعول بالقياس إلى مفعولٍ آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى متعلَّقات الفعل وقيودِه باعتبار النفي فيه والإثبات فيها، كما في مثل قولك: "إنّما ضربت زيدًا، وإنّما ضربته تأديبًا"؛ بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يُغايره مِن الأفعال، لكن لا باعتبار النفي والإثبات معًا في خصوصيّة الفعل، فإنّه غير ممكن قطعًا؛ بل باعتبار النفي فيما فيه مِن معنى مطلَقِ الفعل، واعتبارِ الإثبات فيما يُقارنه مِن المعنى المخصوص، فإنّ كلّ فعل مِن الأفعال المخصوصة ينحلُّ / عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل، وإلى معنى مخصوص [٤٣٦و] يقارنه ويُقيّده، وهو أثره في الحقيقة، فإنّ معنى "نَصَرَ" مثلًا: فَعَلَ النصرَ، يرشدك إلى ذلك قولهم: معنى "فلانٌ يُعطي ويَمنع": يفعل الإعطاءَ والمنع، فمَورد القصر في الحقيقة ما يتعلّق بالفعل باعتبار النفي فيه والإثبات فيما يتعلّق به.

فالمعنى: وَعَلِمَ داود أنّما فعلنا به الفِتنةَ لا غيرَ. قيل: ابتليناه بامرأة أُوريّا. وقيل: امتحنّاه بتلك الحكومة؛ هل يتنبّه بها لِما قُصِد منها.

وإيثارُ طريق التمثيل لأنّه أبلغ في التوبيخ، فإنّ التأمّل فيه إذا أدّاه إلى الشعور بما هو الغرض كان أوقَعَ في نفسه، وأعظمَ تأثيرًا في قلبه، وأدعَى إلى التنبّه للخطأ، مع ما فيه مِن مراعاة حُرمته عليه السلام بترك المجاهَرة، والإشعارِ بأنّه أمر يُستَحيَى مِن التصريح به. وتصويرُه بصورة التحاكم لإلجائه عليه السلام إلى التصريح بنسبة نفسه إلى الظلم، وتنبيهِه عليه السلام على أنّ أوريّا بصَدَد الخِصام.

﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾ إثرَ ما عَلِمَ أنّ ما صدَر عنه ذنب، ﴿وَخَرَّ رَاكِعٗا﴾ أي: ساجدًا، على تسمية السجود ركوعًا؛ لأنّه مَبدؤه، أو خرّ للسجود راكعًا، أي: مصلّيًا، كأنّه أحرَم بركعتَي الاستغفار. ﴿وَأَنَابَ﴾ أي: رجَعَ إلى الله تعالى بالتوبة.

وأصل القصّة أنّ داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له: أُوريّا، فمال قلبُه إليها، فسأله أن يُطلِّقها، فاستحيى أن يَرُدّه، ففعل، فتزوّجها، وهي أمّ سليمان عليهما السلام، وكان ذلك جائزًا في شريعته، معتادًا فيما بين أمّته، غيرَ مُخِلّ بالمروءة،

حيث كان يسأل بعضهم بعضًا أن يَنزِل له عن امرأته، فيتزوّجها إذا أعجبته. وقد كان الأنصار في صدر الإسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك مِن غير نكيرٍ، خلا أنّه عليه السلام لعِظَم منزلته وارتفاع مرتبته وعلوّ شأنه نُبّه بالتمثيل على أنّه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمّته، ويسأل رجلًا ليس له إلّا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوّجها مع كثرة نسائه؛ بل كان يجب عليه أن يُغالِب هواه، ويقهَر نفسَه، ويصبر على ما امتُحِن به.

وقيل: لم يكن أوريّا تزوّجها؛ بل كان خطَبها، ثمّ خطَبها داود عليه السلام، فآثره عليه السلام أهلُها، فكان ذنبُه عليه السلام أن خَطَب على خِطبة أخيه المسلم.

هذا، وأمّا ما يُذكَر[1] مِن أنّه عليه السلام دخلَ ذات يوم مِحرابه، وأغلق بابه، / وجعل يصلّي ويقرأ الزبور، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان في صورة حمامةٍ مِن ذهب، فمدّ يده ليأخذها لابنٍ له صغير، فطارت، فامتدّ إليها فطارت، فوقعت في كُوّةٍ، فتبِعها، فأبصرَ امرأةً جميلةً قد نقضَت شَعرَها، فغطّى بدنها، وهي امرأة أوريّا، وهو مِن غُزاة البلقاء، فكتب إلى أيّوب بن صوريا، وهو صاحب بَعْث البلقاء، أنِ «ابْعَثْ أُوريّا، وقدِّمْه على التابوت»، وكان مَن يتقدّم على التابوت لا يحِلّ له أن يرجع حتّى يفتح الله تعالى على يده أو يُستشهَد، ففتح الله تعالى على يده، وسلِم، فأمر بردِّه مرّةً أخرى وثالثةً حتّى قُتِل، وأتاه خبر قتله فلم يحزَن كما كان يَحزَن على الشهداء، وتزوّج امرأتَه؛ فإفكٌ[2] مُبتدَع مَكْروه، ومَكرٌ مخترَع بئسما مَكرُوه، تمجّه الأسماع، وتنفِر عنه الطباع، ويل لمَن ابتدعه وأشاعه، وتبًّا لمَن اخترعه وأذاعه، ولذلك قال عليّ رضي الله عنه: «مَن حدّث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القُصّاص جَلَدتُه مائةً وستّين»،[3] وذلك حدّ الفِرية على الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم. [٤٣٦ظ]

[1] عن السدّي في جامع البيان للطبري، ٦٦/٢٠. وعن السدّي والكلبي ومقاتل في الكشف والبيان للثعلبي، ١٨٥/٨.

[2] السياق: وأمّا ما يُذكر... فإفك...

[3] الكشف والبيان للثعلبي، ١٩٠/٨؛ أنوار التنزيل للبيضاوي، ٢٧/٥.

هذا، وقد قيل: إنّ قومًا قصدوا أن يقتلوه عليه السلام، فتسوّروا المِحراب، ودخلوا عليه، فوجدوا عنده أقوامًا، فتصنّعوا بهذا التحاكم، فعلِم عليه السلام غرضهم، فهَمّ بأن ينتقم منهم، فظنّ أنّ ذلك ابتلاء له مِن الله عزّ وجلّ، فاستغفر ربّه ممّا هَمّ به فأناب.[1]

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما استغفر منه. ورُوي أنّه عليه السلام بقي ساجدًا أربعين يومًا وليلةً لا يرفع رأسه إلّا لصلاةٍ مكتوبة أو لِما لا بدَّ منه، ولا يَرقأُ دمعه حتّى نبتَ منه العُشب إلى رأسه، ولم يشرب ماءً إلّا ثُلثاه دمع، / وجهد نفسه راغبًا إلى الله تعالى في العفو عنه حتّى كادَ يهلك، واشتغل بذلك عن المُلْك حتّى وثَب ابنٌ له يقال له: إيشا على مُلكه، ودعا إلى نفسه، فاجتمع إليه أهل الزَّيغ مِن بني إسرائيل، فلمّا غُفِر له حارَبه فهزمه.[2] [٤٣٧و]

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لَقُربةً وكرامةً بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ حسنَ مرجعٍ في الجنّة.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إمّا حِكايةٌ لِما خُوطب به عليه السلام مبيِّنةٌ لِزُلفاه عنده عزّ وجلّ، وإمّا مَقول لقَولٍ مقدَّر هو معطوف على ﴿غَفَرْنَا﴾،[3] أو حال مِن فاعله، أي: وقلنا له، أو قائلين له: يا داود... إلخ، أي: استخلفناك على المُلك فيها والحُكمِ فيما بينَ أهلها، أو جعلناك خليفةً ممَّن كان قبلك مِن الأنبياء القائمين بالحقّ، وفيه دليل بيِّن على أنّ حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلَها لم يتغيّر قطّ.

---

[1] أنوار التنزيل للبيضاوي، ٢٨/٥. وانظر: تفسير الرازي، ٣٧١/٢٦.

[2] الكشّاف للزمخشري، ٨٨/٤. وأوّله في جامع البيان للطبري، ٦٦/٢٠؛ والكشف والبيان للثعلبي، ١٩١/٨.

[3] في الآية السابقة.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ بحُكم الله تعالى، فإنّ الخلافة بكِلا معنيَيه مقتضية له حتمًا، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ أي: هوى النفس في الحكومات وغيرِها مِن أمور الدين والدنيا، ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بالنصب على أنّه جواب النهي. وقيل: هو مجزوم بالعطف على النهي، مفتوح لالتقاء الساكنَين. أي: فيكونَ الهوى أو اتّباعُه سببًا لضلالك عن دلائله التي نصَبَها على الحقّ تكوينًا وتشريعًا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تعليل لِما قبله ببيان غائلته. وإظهار ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في موقع الإضمار لزيادة التقرير، والإيذانِ بكمال شناعة الضلال عنه. ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ جملة مِن خبرٍ ومبتدأ وقعَت خبرًا لِـ﴿إِنَّ﴾، أو الظرفُ خبر لـ﴿إِنَّ﴾، و﴿عَذَابٌ﴾ مرتفع على الفاعليّة بما فيه مِن الاستقرار.

﴿بِمَا نَسُواْ﴾ بسبب نسيانهم. وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ إمّا مفعول لِـ﴿نَسُواْ﴾، فيكون تعليلًا صريحًا لِثبوت العذاب الشديدِ لهم بنِسيان يوم الحساب بعد الإشعار بعلّيّة ما يستتبعه ويستلزمه، أعني: الضلالَ عن سبيل الله، فإنّه مستلزِم لنسيان يوم الحساب بالمرّة؛ بل هذا فرد مِن أفراده، / أو ظرفٌ لقوله [٤٣٧ظ]
تعالى: ﴿لَهُمۡ﴾، أي: لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم، ومِن ضرورته أن يكون مفعولُه "سبيلَ الله"، فيكون التعليل المصرَّحُ به حينئذ عينَ التعليل المشعَرِ به بالذات، غيرَه بالعنوان، ومَن لم يتنبّه لهذا السرّ السَّرِيّ[١] قال:[٢] بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل، فإنّ تذكّره يقتضي ملازمة الحقّ ومخالفةَ الهوى، فتدبّر.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا﴾ كلام مستأنَف مقرِّر لِما قبله مِن أمر البعث والحساب والجزاء، أي: ما خلقناهما وما بينهما مِن المخلوقات

---

[١] السَّري: الرفيع. انظر: لسان العرب لابن منظور، «سرو».

[٢] قاله الزمخشري في الكشّاف، ٨٩/٤؛ والبيضاوي في أنوار التنزيل، ٢٨/٥.

على هذا النظام البديع الذي يَحار في فهمه العقول خلقًا باطلًا، أي: خاليًا عن الغاية الجليلة والحِكمة الباهرة؛ بل منطويًا على الحقّ المبين والحِكَم البالغة حيث خلقنا مِن بين ما خلقنا نفوسًا أودعناها العقل والتمييز بين الحقّ والباطل والنافع والضارّ، ومكّنّاها مِن التصرّفات العلميّة والعمليّة في استجلاب منافعها، واستدفاع مضارّها، ونصبنا للحقّ دلائل آفاقيّة وأنفسيّة، ومنحناها القدرةَ على الاستشهاد بها، ثمّ لم نقتصر على ذلك المقدار مِن الألطاف؛ بل أرسلنا إليها رسلًا، وأنزلنا عليها كتبًا بيّنّا فيها كلّ دقيق وجليل، وأزحنا عِللَها بالكلّيّة، وعرّضناها بالتكليف للمنافع العظيمة، وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما نُفِيَ مِن خلقِ ما ذُكِر باطلًا ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: مظنونُهم، فإنّ جحودهم بأمر البعث والجزاء الذي عليه يدور فَلَك تكوين العالَم قولٌ منهم ببطلان خلق ما ذُكر وخلوّه عن الحكمة، سبحانه وتعالى عمّا يقولون / علوًّا كبيرًا. [٤٣٨و]

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مبتدأ وخبر، و"الفاء" لإفادة ترتّب ثبوت الويل لهم على ظنّهم الباطل كما أنّ وضع الموصول موضعَ ضميرهم للإشعار بما في حيّز الصلة بعلّيّة كفرهم له، ولا تَنافي بينهما؛ لأنّ ظنّهم مِن باب كفرهم.

و﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ تعليليّة، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [البقرة، ٧٩/٢] ونظائرِه، مفيدةٌ لعلّيّة النار لثبوت الويل لهم صريحًا بعد الإشعار بعلّيّة ما يؤدّي إليها مِن ظنّهم وكفرهم، أي: فويل لهم بسبب النار المترتّبة على ظنّهم وكفرهم.

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ﴿أَمۡ﴾ منقطعة، وما فيها مِن "بل" للإضراب الانتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مرّ مِن نفي خلق العالم خاليًا عن الحِكَم والمصالح إلى تقريره وتحقيقه

بما في "الهمزة" مِن إنكار التسوية بين الفريقين، ونفيِها على أبلغ وجه وآكَدِه، أي: بل أنجعل المؤمنين المصلِحين كالكفرة المفسدين في أقطار الأرض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتّب عليه مِن الجزاء، لاستواء الفريقين في التمتّع بالحياة الدنيا؛ بل الكفرة أوفر حظًّا منها مِن المؤمنين؟ لكن ذلك الجعل مُحال، فتعيّن البعث والجزاء حتمًا لرفع الأوّلين إلى أعلى عِلّيّين، وردِّ الآخرين إلى أسفل سافلين.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ إضراب وانتقال عن إثبات ما ذُكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقَين المذكورين على الإطلاق إلى إثباته بلزوم ما هو أظهر منه استحالةً، وهو التسوية بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة.

وحملُ ﴿ٱلْفُجَّارِ﴾ على فجَرة المؤمنين[1] ممّا لا يساعده المقام. ويجوز أن يراد بهذَين الفريقين عينُ الأوّلَين، ويكونَ التكرير باعتبار وصفَين آخرَين، هما أدخل في إنكار التسوية مِن الوصفَين الأوّلَين.

وقيل: قال كفّار قريش للمؤمنين: إنّا نُعطَى في الآخرة مِن الخير / ما تُعطَون، فنزلَت.[2] [٤٣٨ظ]

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، هو عبارة عن القرآن، أو السورة. وقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ صفته، وقوله تعالى: ﴿مُبَٰرَكٌ﴾ خبر ثانٍ للمبتدأ، أو صفةٌ لـ﴿كِتَٰبٌ﴾ عند مَن يُجوّز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح. وقُرِئ: "مُبارَكًا"[3] على أنّه حال مِن مفعول ﴿أَنزَلْنَا﴾، ومعنى "المُبارَك": الكثير المنافع الدينيّة والدنيويّة.

وقوله: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ متعلّق بـ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، أي: أنزلناه ليتفكّروا في آياته التي مِن جملتها هذه الآيات المُعرِبة عن أسرار التكوين والتشريع، فيعرفوا

---

[1] انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، ٢٨/٥.

[2] تفسير السمرقندي، ١٦٥/٣؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٥٠/٣.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عمير. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١١.

ما يَدْبُرُ ظاهرَها مِن المعاني الفائقة، والتأويلات اللائقة. وقُرئ: "لِيَتَدَبَّرُوا"[١] على الأصل، و"لِتَدَبَّرُوا"[٢] على الخطاب، أي: أنتَ وعلماءُ أمّتك، بحذف إحدى التاءَين.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: ولِيتّعظ به ذَوو العقول السليمة، أو لِيستحضِروا ما هو كالمَركوز في عقولهم مِن فَرْط تَمكّنهم مِن معرفته، لِما نُصب عليه مِن الدلائل، فإنّ الكتب الإلهيّة مبيّنة لِما لا يُعرف إلّا بالشرع، ومُرشدة إلى ما لا سبيلَ للعقل إليه.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۞ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۞﴾

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ وقُرئ: "نَعِمَ الْعَبْدُ"،[٣] أي: سليمانُ، كما يُنبئ عنه تأخيره عن داود مع كونه مفعولًا صريحًا لـ﴿وَهَبْنَا﴾، ولأنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: رجّاع إلى الله تعالى بالتوبة، أو إلى التسبيح مرجّع له؛ تعليل للمدح، وهو مِن حاله، لِما أنّ الضمير المجرور في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ راجع إليه عليه السلام قطعًا.

و﴿إِذْ﴾ منصوب بـ"اذكر"، أي: اذكر ما صدَر عنه إذ عُرض عليه ﴿بِٱلْعَشِىِّ﴾ هو مِن الظُّهر إلى آخر النهارِ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ فإنّه يشهَد بأنّه أوّاب. وقيل: ظرف لـ﴿أَوَّابٌ﴾.[٤] وقيل: لـ﴿نِعْمَ﴾.[٥] وتأخير ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ عن الظرفَين لِما مرّ مرارًا مِن التشويق إلى المؤخَّر.

و"الصافِنُ" مِن الخيل: الذي يقوم على طرَف سُنْبُك[٦] يدٍ أو رِجلٍ، وهو مِن الصفات المحمودة في الخيل، لا يكاد / يتّفق إلّا في العِراب الخُلَّص. وقيل: [٤٣٩و]
هو الذي يجمع يديه ويسوّيهما، وأمّا الذي يقف على سُنبُكه فهو "المُتَخَيِّم".

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ رضي الله عنه. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١١.

٢ قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الضحّاك. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١١.

٤ في الآية السابقة.

٥ في الآية السابقة.

٦ السُّنْبُك: طرَف مُقدَّم الحافر، والجمع: السنابِك. الصحاح للجوهري، «سبك».

﴿ٱلْجِيَادُ﴾ جمع "جوادٍ" و"جَوْدٍ"، وهو الذي يُسرع في جَريه. وقيل: الذي يجود عند الركض. وقيل: وُصِفَت بالصُّفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفَين المحمودَين واقفةً وجاريةً، أي: إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنّة في مواقفها، وإذا جرَت كانت سِراعًا خِفافًا في جَريها. وقيل: هو جمع "جيّدٍ".

رُوي أنّه عليه السلام غزا أهلَ دمشق ونصيبين،[1] وأصاب ألفَ فرَس.[2] وقيل: أصابها أبوه مِن العمالقة، فوَرِثها منه.[3]

وقيل: خرجت مِن البحر لها أجنحة، فقعَد يومًا بعد ما صلّى الظهر على كرسيّه، فاستعرضها، فلم تَزَلْ تُعرَضُ عليه حتّى غربت الشمس، وغفل عن العصر، أو عن وِردٍ كان له مِن الذكرِ وقتئذٍ، وتهيّبوه فلم يُعلِموه، فاغتمّ لِما فاته، فاستردّها فعقَرها مقرّبًا لله تعالى، وبقي مائة، فما في أيدي الناس مِن الجِياد فمِن نَسلها.[4] وقيل: لمّا عقَرها أبدله الله عزّ وجلّ خيرًا منها، وهي الريح تجري بأمره.[5]

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافًا بما صدَر عنه مِن الاشتغال بها عن الصلاة، وندَمًا عليه، وتمهيدًا لِما يَعقُبه مِن الأمر بردِّها وعَقْرِها، والتعقيبُ باعتبار أواخر العَرْض المستمرّ دون ابتدائه، والتأكيدُ للدلالة على أنّ اعترافه وندَمه عن صميم القلب، لا لتحقيق مضمون الخبر.

---

[1] نصيبين: ضُبط في المصادر بفتح النون وكسر الصاد، واشتهر استعماله اليوم بضمّ النون وفتح الصاد. مدينة عامرة مِن بلاد الجزيرة على جادّة القوافل مِن الموصل إلى الشام، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستّة أيّام، وعليها سور كانت الروم بنَته وأتمّه أنوشروان الملك عند فتحه إيّاها. معجم البلدان للحموي، ٢٨٨/٥.

[2] الكشف والبيان للثعلبي، ١٩٩/٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٩١/٤.

[3] الكشف والبيان للثعلبي، ١٩٩/٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٩١/٤.

[4] الكشّاف للزمخشري، ٩٢/٤؛ أنوار التنزيل للبيضاوي، ٢٩/٥.

[5] جامع البيان للطبري، ٩٤/٢٠؛ الكشّاف للزمخشري، ٩٢/٤.

وأصل ﴿أَحْبَبْتُ﴾ أن يُعدّى بـ"على"؛ لأنّه بمعنى "آثرتُ"، لكن لمّا أُنِيبَ مَناب "أَنَبتُ" عُدِّي تعديتَه. و﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ مفعولُه، كأنّه قيل: أنبتُ حبَّ الخير عن ذِكر ربّي، ووضعتُه موضعَه. و﴿ٱلْخَيْرِ﴾ المال الكثير، والمراد به الخيل التي شغَلَته عليه السلام، ويحتمل أنّه سمّاها خيرًا لتعلّق الخير بها، قال عليه السلام: «الخيرُ معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة».[١] وقُرئ: "إِنِّيَ".[٢]

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ متعلّق بقوله تعالى: ﴿أَحْبَبْتُ﴾ باعتبار استمرار المحبّة ودوامها حسب استمرار العَرْض، أي: أَنَبتُ حبّ الخير عن ذكر ربّي، واستمرّ ذلك حتّى توارت، أي: غربَت الشمس تشبيهًا لغروبها في مَغربها بتواري المُخبّأة بحِجابها. وإضمارها مِن غير ذكرٍ لدلالة / العشيّ عليها. وقيل: [٤٣٩ظ] الضمير لـ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ﴾،[٣] أي: حتّى توارت بحِجاب الليل، أي: بظلامه.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣﴾

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ مِن تمامِ مقالة سليمان عليه السلام، ومَرمى غرضه مِن تقديم ما قدّمه، ومَن لم يتنبّه له مع ظهوره توهّم أنّه متّصل بمُضمَر هو جواب لمُضمَر آخَر، كأنّ سائلًا قال: فماذا قال سليمان؟ فقيل: قال: رُدّوها...، فتأمّل.

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ فصيحةٌ مفصِحةٌ عن جملةٍ قد حُذفت ثِقةً بدلالة الحال عليها، وإيذانًا بغاية سرعة الامتثال بالأمر، أي: فَرَدُّوها عليه فأخذَ يمسح السيف مَسحًا ﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي: بسُوقها وأعناقها يقطعها، مِن قولهم: "مَسَحَ عِلاوتَه"، أي: ضرَبَ عُنقَه.

وقيل: جعلَ يمسح بيده أعناقها وسُوقَها حُبًّا لها، وإعجابًا بها،[٤] وليس بذاك. وقُرئ: "بِالسُّؤقِ" على همز "الواو"[٥] لِضمّتها،[٦] كما في "أَدْؤُر". وقُرئ:

---

[١] صحيح البخاري، ٢٨/٤ (٢٨٥٠)؛ صحيح مسلم، ١٤٩٣/٣ (١٨٧٢).

[٢] قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو. النشر لابن الجزري، ٣٦٢/٢.

[٣] في الآية السابقة.

[٤] جامع البيان للطبري، ٨٧/٢٠؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٠١/٨؛ أنوار التنزيل للبيضاوي، ٢٩/٥.

[٥] قرأ بها قنبل عن ابن كثير، وهو أحد الوجهين عنه. النشر لابن الجزري، ٣٣٨/٢.

[٦] س: لضمّها.

"بِالسُّؤْقِ"[١] تنزيلًا لضمّة "السين" منزلةَ ضمّة "الواو". وقُرِئ: "بِالسَّاقِ"[٢] اكتفاءً بالواحد مِن الجمع لأمْن الإلباس.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ أظهَرُ ما قيل في فتنته عليه السلام ما رُوي مرفوعًا أنّه قال: «لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأةً تأتي كلُّ واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى»، ولم يقل: "إن شاء الله"، فطاف عليهنّ، فلم تحمِل إلّا امرأة واحدة؛ جاءت بشِقّ رَجل، والذي نفسي بيده لو قال: "إن شاء الله" لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون.[٣]

وقيل: وُلد[٤] له ابن، فاجتمعت الشياطين على قتله، فعلِمَ ذلك، فكان يغذوه في السحاب، فما شعر به إلّا أن أُلقِي على كرسيّه ميتًا، فتنبّه لخَطئِه حيث لم يتوكّل على الله عزّ وعلا.

وقيل: إنّه غزا صيدون مِن الجزائر، فقتَل مَلِكَها، وأصاب بنتًا له تسمّى جرادة، مِن أحسن الناس، فاصطفاها لنفسه، وأسلمَت، وأحبّها، وكان لا يرقأ دمعها جزَعًا على أبيها، فأمر الشياطين فمثّلوا لها صورتَه، وكانت تغدو إليها وتروح مع وَلائدها يسجدن لها كعادتهنّ في ملكه، فأخبرَه آصف بذلك، / فكسر الصورة، وعاقب [٤٤٠و] المرأة، ثمّ خرج وحده إلى فلاة، وفُرِشَ له الرماد، فجلسَ عليه تائبًا إلى الله تعالى باكيًا متضرِّعًا، وكانت له أمّ ولدٍ يُقال لها: أمينة، إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة يعطيها خاتَمه، وكان مُلكُه فيه، فأعطاها يومًا، فتمثّل لها بصورته شيطان اسمه صخر، وأخذ الخاتم فتختّم به، وجلس على كرسيّه فاجتمع عليه الخلق، ونفّذ حكمه في كلّ شيء إلّا في نسائه، وغُيِّر سليمانُ عن هيئته، فأتى أمينةَ لطلب الخاتم،

---

١ قرأ بها قنبل عن ابن كثير، وهو الوجه الثاني عنه. النشر لابن الجزري، ٣٣٨/٢.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١١.

٣ صحيح البخاري، ٢٢/٤ (٢٨١٩)؛ صحيح مسلم، ١٢٧٦/٣ (١٦٥٤).

٤ س - وُلد.

فأنكرَته وطردَته، فعرف أنّ الخطيئة قد أدركَته، فكان يدور على البيوت يتكفّف، وإذا قال: "أنا سليمان" حَثَوا عليه الترابَ وسَبّوه، ثمّ عمد إلى السمّاكين ينقل لهم السمَكَ، فيعطونه كلّ يوم سمكتَين، فمكث على ذلك أربعين صباحًا، عددَ ما عُبِد الوَثَنُ في بيته، فأنكر آصفُ وعظماء بني إسرائيل حكمَ الشيطان، ثمّ طار اللعين، وقذف الخاتمَ في البحر، فابتلعه سمكة، فوقعت في يد سليمان، فبَقَرَ بطنها، فإذا هو بالخاتم، فتختّم به، وخرّ ساجدًا، وعاد إليه مُلكُه، وجابَ صَخرةً لصخرٍ، فجعله فيها، وسدّ عليه بأخرى، ثمّ أوثقهما بالحديد والرصاص، وقذفه في البحر.[١]

وعلى هذا فـ"الجَسَد" عبارة عن صخر، سمّي به -وهو جسم لا روحَ فيه- لأنّه تمثّل بما لم يكن كذلك، والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال أهله؛ لأنّ اتّخاذ التماثيل لم يكن محظورًا حينئذ، وسجود الصورة بغير عِلم منه لا يضرّه.

﴿قَالَ﴾ بدل مِن ﴿أَنَابَ﴾ وتفسير له ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِى﴾ أي: ما صدَرَ عنّي مِن الزلّة، ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ لا يتسهّل له ولا يكون، ليكون معجزةً لي مناسبةً لِحالي، فإنّه عليه السلام / لمّا نشأ في بيت المُلك والنبوّة ووَرِثهما معًا [٤٤٠ظ] استدعى مِن ربّه معجزة جامعة لحُكمهما، أو لا ينبغي لأحد أن يسلُبه منّي بعد هذه السلبة، أو لا يصحّ لأحد مِن بعدي لعظَمته، كقولك: "لفلانٍ ما ليس لأحد مِن الفضل والمال" على إرادةِ وصفِ المُلك بالعظَمة، لا أن لا يُعطى أحد مثله فيكونَ منافسةً.

وقيل: كان مُلكًا عظيمًا، فخاف أن يُعطى مثلَه أحد، فلا يحافِظ على حدود الله تعالى.

وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جريًا على سَنن الأنبياء عليهم السلام والصالحين. وكونِ ذلك أدخلَ في الإجابة. وقُرئ: "لِيَ" بفتح "الياء".[٢]

---

١ الكشّاف للزمخشري، ٩٤/٤؛ أنوار التنزيل للبيضاوي، ٢٩/٥.

٢ لم أجد مَن ذكَر هذه القراءة. وخلافهم المشهور في ياء ﴿بَعْدِىٓ﴾، قرأ بفتحها نافع وأبو جعفر وأبو عمرو، وأسكنها باقي القرّاء العشر. انظر: النشر لابن الجزري، ١٦٧/٢؛ ٣٦٢.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معًا، لا بالأخيرة فقط، فإنّ المغفرة أيضًا مِن أحكام وصف الوهّابيّة قطعًا.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ أي: فذلّلناها لطاعته إجابةً لدعوته، فعاد أمره عليه السلام إلى ما كان عليه قبل الفتنة. وقُرئ: "الرِّيَاحَ".[١] ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ بيان لتسخيرها له ﴿رُخَآءً﴾ أي: ليّنةً، مِن "الرَّخاوة"، طيّبة لا تُزَعْزِعُ. وقيل: طَيِّعةً لا تمتنع عليه، كالمأمور المنقاد، ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصَد وأراد. حكى الأصمعي عن العرب: "أصابَ الصواب، فأخطأ الجواب".[٢]

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلرِّيحَ﴾[٣] ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ بدل مِن ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾. ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ عطفٌ على ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾، داخل في حكم البدل. كأنّه عليه السلام فصَل الشياطين إلى عَمَلةٍ استعملهم في الأعمال الشاقّة مِن البِناء والغَوص ونحو ذلك، وإلى مَرَدةٍ قَرَن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفِّهم عن الشرّ والفساد. ولعلّ أجسامَهم شفّافة فلا تُرَى، صُلْبةٌ فيمكن تقييدها، ويقدرون على الأعمال الصعبة. وقد جُوّز أن يكون الإقران في الأصفاد / عبارة [٤٤١و]
عن كفّهم عن الشرور بطريق التمثيل.

و"الصَّفَد" القَيد، وسُمِّي به العطاء؛ لأنّه يرتبط بالمنعَم عليه، وفرّقوا بين فعليهما، فقالوا: "صَفَدَه" قيّده، و"أَصْفَدَه" أعطاه، على عكس "وَعَدَ" و"أَوعَدَ".

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا﴾... إلخ إمّا حكاية لِما خوطب به سليمان عليه السلام، مبيِّنةٌ لعِظَم شأن ما أوتِي مِن المُلْك، وأنّه مفوَّض إليه تفويضًا كلّيًا، وإمّا مَقولٌ

---

[١] قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٢٢٣.

[٢] تفسير السمرقندي، ٣/١٦٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٩٥. قال أبو بكر الأنباري: «معناه: أراد الصواب». الزاهر للأنباري، ٢/١٩٤.

[٣] في الآية السابقة.

لقَول مقدّرٍ هو معطوفٌ على ﴿سَخَّرْنَا﴾،[1] أو حالٌ مِن فاعله، كما مرّ في خاتمة قصّة داود عليه السلام، أي: وقلنا له، أو قائلين له: هذا الذي أعطيناكه مِن المُلك العظيم والبَسطة والتسلّطِ على ما لم يُسلَّطْ عليه غيرك ﴿عَطَآؤُنَا﴾ الخاصُ بك، ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ فأعطِ مَن شئتَ وامنَع مَن شئتَ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حال مِن المستكِنّ في الأمر، أي: غيرَ محاسَب على منّه وإمساكه، لتفويض التصرّف فيه إليك على الإطلاق، أو مِن "العطاء"، أي: هذا عطاؤنا ملتبِسًا بغير حساب لغاية كَثرته، أو صلةٌ له،[2] وما بينهما اعتراض على التقديرَين. وقيل: الإشارة إلى تسخير الشياطين، والمراد بـ"المَنّ والإمساك" الإطلاقُ والتقييد.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠﴾

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ في الآخرة مع ما له مِن المُلك العظيم في الدنيا، ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ هو الجنّة.

قيل: فُتِنَ سليمان عليه السلام بعد ما ملَك عشرين سنةً، وملَك بعد الفتنة عشرين سنةً.

وذكر الفقيه أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري[3] في **تاريخه** أنّ سليمان عليه السلام ورِث مُلك أبيه في عصر كيخسرو بن سياوش، وسار مِن الشام إلى العراق، فبلغَ خبره كيخسرو، فهرب إلى خراسان، فلم يلبَث حتّى هلك، ثمّ سار سليمان عليه السلام إلى مرو، ثمّ إلى بلاد الترك، فوغل فيها، ثمّ جاز بلاد الصين، ثمّ عطف إلى أن وافى بلاد فارس، فنزلها أيّامًا، ثمّ عاد إلى الشام، ثمّ أُمِر ببناء بيت المقدس، فلمّا فرغ منه سار إلى تِهامة، ثمّ إلى صنعاء،

---

[1] ص، ٣٨/٣٦.

[2] وفي هامش م: على أنّ "العطاء" مصدر. «منه».

[3] هو أحمد بن داود الدينوري، أبو حنيفة (ت. ٢٨٢هـ/٨٩٥م). العلّامة، النحوي، ذو الفنون، تلميذ ابن السكّيت. كبير الدائرة، طويل الباع. ألّف في النحو واللغة والهندسة والهيئة والوقت وأشياء، له تصانيف نافعة، منها الأخبار الطِّوال، والأنواء، والنبات، وتفسير القرآن، وما تلحن فيه العامّة، والشعر والشعراء، والفصاحة، والجبر والمقابلة، والبلدان، وإصلاح المنطق. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٣/٤٢٢؛ والأعلام للزركلي، ١/١٢٣.

وكان مِن حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى، وغزا بلاد المغرب، الأندلس وطنجة وغيرهما، والله تعالى أعلم.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾.[1] وعدم تصدير قصّة سليمان عليه السلام بهذا العنوان لكمال الاتّصال بينه وبين داود عليهما السلام. وأيّوب عليه السلام هو ابن عيص بن إسحاق عليه السلام.[2]

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ بدل اشتمال مِن ﴿عَبْدَنَا﴾، و﴿أَيُّوبَ﴾ عطفُ بيان له. ﴿أَنِّى﴾ بأنّي ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بفتح ياء ﴿مَسَّنِىَ﴾. وقُرئ بإسكانها وإسقاطها.[3] ﴿بِنُصْبٍ﴾ أي: تَعبٍ. وقُرئ بفتح "النون"،[4] وبفتحتين،[5] وبضمّتين للتثقيل.[6] ﴿وَعَذَابٍ﴾ أي: ألمٍ ووَصَبٍ، يريد مرضَه وما كان يقاسيه مِن فنون الشدائد، وهو المراد بـ﴿ٱلضُّرُّ﴾ في قوله: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء، ٨٣/٢١]. وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته، وإلّا لَقيل: "أنّه مَسّه"... إلخ.

[٤٤١ظ] والإسناد إلى الشيطان إمّا لأنّه تعالى مَسّه بذلك لِما فَعَل / بوسوسته، كما قيل: إنّه أُعجِب بكَثرة ماله، أو استغاثَهُ مظلوم فلم يُغِثه، أو كانت مواشيه في ناحية مَلِكٍ كافرٍ فداهَنه ولم يَغزُه، أو لامتحانِ صبرِه،[7] فيكون اعترافًا بالذنب، أو مراعاةً للأدب، أو لأنّه وسوس إلى أتباعِه حتّى رفضوه وأخرجوه مِن ديارهم، أو لأنّ المراد بـ"النُّصب والعذاب" ما كان يوسوس به إليه في مرضه مِن تعظيم ما نزل به مِن البلاء، والقنوطِ مِن الرحمة، ويُغريه على الكراهة والجزَع، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيَه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق لدفعه وردّه بالصبر الجميل. وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل مِن جُملته قوله: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

---

١ ص، ١٧/٣٨.

٢ س - عليه السلام.

٣ أي: وإسقاط "الياء" في الوصل دون الوقف. قرأ بها حمزة. النشر لابن الجزري، ٣٦٢/٢.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيوة ويعقوب وهبيرة عن حفص. البحر المحيط لأبي حيّان، ١٦٢/٩.

٥ قرأ بها يعقوب. النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.

٦ قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.

٧ وفي هامش م: عطفٌ على "لِما فعل". «منه».

[الأعراف، ١٥١/٧]، فاكتُفِي ههنا عن ذكره بما في سورة الأنبياء،[١] كما تُرك هناك ذِكر الشيطان ثقةً بما ذُكر ههنا.

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾

وقوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾... إلخ إمّا حكاية لِما قيل له، أو مقولٌ لقولٍ مقدَّر، معطوفٍ على ﴿نَادَىٰ﴾،[٢] أي: فقلنا له: اركُض برِجلك، أي: اضرِب بها الأرض، وكذا قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ فإنّه أيضًا إمّا حكاية لِما قيل له بعد امتثاله بالأمر وبنوعِ الماء، أو مقولٌ لقَول مقدَّر معطوفٍ على مقدَّرٍ ينساق إليه الكلام، كأنّه قيل: فضرَبها، فنبَعت عين، فقلنا له: هذا مغتَسَل تَغتَسِلُ به وتشربُ منه، فيَبرأُ ظاهرك وباطنك. وقيل: نبعَت عَينان، حارّة للاغتسال، وباردة للشرب،[٣] ويأباه ظاهر النظم الكريم.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣﴾

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ﴾ معطوف على مقدَّر، مترتّبٌ على مقدَّر آخَر يقتضيه القولُ المقدَّر آنفًا، كأنّه قيل: فاغتسلَ وشرِبَ، فكشَفنا بذلك ما به مِن ضرّ، كما في سورة الأنبياء،[٤] ووَهبنا له أهله، إمّا بإحيائهم بعدَ هلاكهم، وهو المرويّ عن الحسن رضي الله عنه،[٥] أو بجَمعهم بعد تفرّقهم كما قيل.[٦]

﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ عطفٌ على ﴿أَهۡلَهُۥ﴾، فكان له مِن الأولاد ضِعف ما كان له قبل، ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ / أي: لِرحمةٍ عظيمةٍ عليه مِن قِبَلنا، ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [٤٤٢و] ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبَر، ويلجأوا إلى الله عزّ وجلّ فيما يَحيق بهم كما لجَأ لِيُفعَلَ بهم ما فُعِل به مِن حسن العاقبة.

---

١ الأنبياء، ٨٣/٢١.

٢ في الآية السابقة.

٣ الكشّاف للزمخشري، ٩٧/٤؛ أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣١/٥.

٤ الأنبياء، ٨٤/٢١.

٥ س - رضي الله عنه. | جامع البيان للطبري، ١١٠/٢٠؛ اللباب لابن، ٤٣٠/١٦.

٦ أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣١/٥؛ اللباب لابن عادل، ٤٣٠/١٦.

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ معطوف على ﴿ٱرۡكُضۡ﴾،[1] أو على ﴿وَهَبۡنَا﴾[2] بتقدير "قلنا"، أي: وقلنا: خُذْ بيدك... إلخ، والأوّل أقرب لفظًا، وهذا أنسب معنًى، فإنّ الحاجة إلى هذا الأمر لا تمسّ إلّا بعد الصحّة، فإنّ امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف -وقيل: ليّا بنت يعقوب، وقيل: ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام- ذهبت لحاجة، فأبطأت، فحلَفَ: إن برئ لَيَضربنّها مائةَ ضربةٍ، فأمره الله تعالى بأخذ الضِغث -و"الضِغثُ"[3] الحُزمة الصغيرة مِن الحشيش ونحوِه، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: «قبضة مِن الشجر»-[4] وقال: ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾ أي: بذلك الضِغثِ، ﴿وَلَا تَحۡنَثۡ﴾ في يمينك، فإنّ البرّ يتحقّق به.

ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمةً عليه وعليها لِحُسن خدمتها إيّاه، ورضاه عنها، وهي باقية، ويجب أن يصيب المضروبَ كلُّ واحد مِن المائة، إمّا بأطرافها قائمة، أو بأعراضها مبسوطةً على هيئة الضرب.

﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗا﴾ فيما أصابه في النفس والأهل والمال. وليس في شكواه إلى الله تعالى إخلال بذلك، فإنّه لا يسمّى جَزَعًا، كتمنّي العافية، وطلبِ الشفاء، على أنّه قال ذلك خِيفةَ الفتنة في الدين، حيث كان الشيطان يوسوس إلى قومه بأنّه لو كان نبيًا لَما ابتُلِي بمِثل ما ابتُلِي به، وإرادةَ القوّة على الطاعة، فقد بلغ أمرُه إلى أن لم يبقَ منه إلّا القلب واللسان.

ويُروى أنّه عليه السلام قال في مناجاته: «إلهي قد علمتَ أنّه لم يخالف لساني قلبي، ولم يتّبع قلبي بصري، ولم يَهَبْني[5] ما ملكَت يميني، ولم آكُل إلّا ومعي يتيم، ولم أبِتْ شبعانَ ولا كاسيًا ومعي جائع أو عريان، فكشف الله تعالى عنه».[6]

---

[1] ص، ٤٢/٣٨.

[2] في الآية السابقة.

[3] س: والغضث.

[4] الكشّاف للزمخشري، ٩٨/٤. وانظر: الدرّ المنثور للسيوطي، ١٩٥/٧.

[5] مِن الهيبة والرّوع، وهو كناية عن التعظيم والإعجاب. فتوح الغيب للطيبي، ٢٩٦/١٣.

[6] الكشّاف للزمخشري، ٩٨/٤؛ البحر المحيط لأبي حيان، ٣٨٥/٧.

﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أي: أيّوب، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ تعليل لمدحه، أي: رجّاع إلى الله تعالى.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطفُ بيان لـ﴿عِبَٰدَنَآ﴾. وقُرئ: "عَبْدَنا"،[1] إمّا على أنّ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وحده --لمزيد شرفه- عطفُ بيان، وقيل: بدل، وقيل: نصب بإضمار "أعني"، والباقيان عطفٌ على "عَبدَنا"، وإمّا على أنّ "عَبدَنا" اسم جنس وُضع مَوضع الجمع.

﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أولي القوّة في الطاعة، والبصيرة في الدِّين، أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة، فعُبِّر بـ﴿ٱلْأَيْدِى﴾ عن الأعمال؛ لأنّ أكثرها تُباشَر بها، وبـ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ عن المعارف؛ لأنّها أقوى مباديها. / وفيه [٤٤٢ظ] تعريض بالجهَلة البطّالين أنّهم كالزَّمْنَى والعُماة، وتوبيخٌ على تركهم المجاهدةَ، والتّأمّلَ مع تمكّنهم منهما. وقُرئ: "أُولِي الأَيْدِ" بطرح "الياء"، والاكتفاءِ بالكسر.[2] وقُرئ: "أُولِي الأَيَادِي"[3] على جمع الجمع.

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ تعليل لِما وُصِفُوا به مِن شرَف العبوديّة وعلوِّ الرتبة في العلم والعمل، أي: جعلناهم خالِصين لنا بخَصلة خالِصة عظيمة الشأن كما يُنبئ عنه التنكير التفخيمي.

وقوله تعالى: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ بيان لِلخالصة بعد إبهامها للتفخيم، أي: تَذَكُّرٍ للدار الآخرة دائمًا، فإنّ خلوصهم في الطاعة بسبب تذكّرهم لها، وذلك لأنّ مَطمح أنظارهم ومَطرح أفكارهم في كلّ ما يأتون وما يَذَرُون جِوارُ الله عزّ وجلّ والفوزُ بلقائه، ولا يتسنّى ذلك إلّا في الآخرة. وقيل: أخلصناهم بتوفيقهم لها، واللطفِ بهم في اختيارها. ويعضُد الأوّلَ قراءة مَن قرأ: "بِخَالِصَتِهِمْ".[4]

---

[1] قرأ بها ابن كثير. النشر لابن الجزري، ٢/٣٦١.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والأعمش وابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١١.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحلواني عن أبي عمرو. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١١.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة والأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١١.

وإطلاق ﴿ٱلدَّارِ﴾ للإشعار بأنّها الدار في الحقيقة، وإنّما الدنيا مَعْبَر.

وقُرئ بإضافة ﴿خَالِصَةٍ﴾ إلى ﴿ذِكۡرَى﴾،[1] أي: بما خَلُصَ مِن ذكرى الدار، على معنى: أنّهم لا يَشُوبُون ذِكراها بِهَمّ آخر أصلًا.

أو تذكيرِهم[2] الآخرةَ، وترغيبِهم فيها، وتزهيدِهم في الدنيا، كما هو شأن الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ الثناء الجميل في الدنيا، ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم.

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ لَمِن المختارِين مِن أمثالهم المصطفَين عليهم في الخير. و﴿ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ جمع "خَير"، كـ"شرّ" و"أشرار". وقيل: جمعُ "خيّر" أو "خَيْرٍ" مخفَّفٍ منه، كـ"أموات" في جمع "ميّت" و"مَيْت".

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ﴾ فُصِل ذكرُه عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعَراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير. ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾ هو ابنُ أخطوب بن العجوز، استخلفه إلياس على بني إسرائيل، ثم استُنبِئَ، و"اللام" فيه حرف تعريف دخل على "يَسَع"، كما في قول مَن قال:

[٤٤٣و] / رأيتُ الوليدَ بنَ اليَزيدَ مباركًا[3]

وقُرئ: "وَاللَّيْسَعَ"،[4] كأنّ أصله "لَيْسَع"، "فَيْعَل" مِن "اللَّسْع" دخل عليه حرف التعريف. وقيل: هو على القراءتَين علَم أعجمي دخل عليه "اللام". وقيل: هو يوشع.

---

[1] قرأ بها نافع وأبو جعفر وهشام عن ابن عامر بخُلف عنه. النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.

[2] السياق: وإطلاق ﴿ٱلدَّارِ﴾ للإشعار... أو تذكيرِهم.

[3] تمامه:
شديدًا بأعباء الخِلافة كاهلُه
وهو لابن ميّادة، الرمّاح بن أبرد، مِن قصيدة يمدح بها الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ٢٢٦/٢؛ وشرح شواهد المغني للسيوطي، ١٦٤/١.

[4] قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٢٦٠/٢.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ هو ابن عمّ يَسَع، أو بشر بن أيّوب. واختلف في نبوّته ولقَبِه، فقيل: فرّ إليه مائة نبيّ مِن بني إسرائيل مِن القتل فآواهم وكفَلهم. وقيل: كفَل بعملِ رجل صالح كان يصلّي كلّ يوم مائةَ صلاة.

﴿وَكُلٌّ﴾ أي: وكلّهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ المشهورين بالخيريّة.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما تقدَّم مِن الآيات الناطقة بمَحاسنهم ﴿ذِكْرٌ﴾ أي: شرَف لهم وذِكر جميل يُذكَرون به أبدًا، أو نوع مِن الذِّكر الذي هو القرآن، وباب منه مشتمِل على أنباء الأنبياء. وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: «هذا ذِكر مَن مضى مِن الأنبياء».[1]

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ شروع في بيان أجرهم الجزيل في الآجل بعدَ بيان ذكرهم الجميل في العاجل، وهو باب آخَر مِن أبواب التنزيل. والمراد بـ"المتّقين" إمّا الجنسُ، وهم داخلون في الحكم دخولًا أوّليًّا، وإمّا نفسُ المذكورين عُبّر عنهم بذلك مدحًا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية مِن الكمال.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ عطفُ بيانٍ لـ﴿حُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[2] عند مَن يُجوّز تخالُفهما تعريفًا وتنكيرًا، فإنّ "عَدْنًا" معرفة، لقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ [مريم، ٦١/١٩]، أو بدل منه، أو نصب على المدح.

وقوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ حال مِن ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، والعامل فيها ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] مِن معنى الفعل. و﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ مرتفعة باسم المفعول، والرابط بين الحال وصاحبها إمّا ضمير مقدَّر كما هو رأي البصريّين، أي: الأبوابُ منها، أو "الألِف" و"اللام" القائمة مَقامه كما هو رأي الكوفيّين؛ إذ الأصل "أبوابُها".

---

[1] الكشّاف للزمخشري، ١٠٠/٤؛ البحر المحيط لأبي حيّان، ١٦٦/٩.

[2] في الآية السابقة.

[3] في الآية السابقة.

[٤٤٣ظ] وقُرِئَتا مرفوعتين على الابتداء والخبر،[١] أو على أنّهما / خبران لمحذوف، أي: هي جنّات عدن، هي مفتَّحةٌ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ حال مِن ضمير[٢] ﴿لَهُمُ﴾،[٣] والعاملُ فيها ﴿مُّفَتَّحَةً﴾.[٤]

وقوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾ استئناف لبيان حالهم فيها. وقيل: هو أيضًا حال ممّا ذُكر، أو مِن ضمير ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾. والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأنّ مَطاعمهم لِمَحض التفكّه والتلذّذ دون التغذّي، فإنّه لتحصيل بدَل المُتحلِّل، ولا تحلُّلَ ثمّة.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦﴾

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ أي: على أزواجهنّ، لا ينظرن إلى غيرهم، ﴿أَتۡرَابٌ﴾ لِدَات لهم، فإنّ التحابَ بين الأقران أرسَخ، أو بعضُهنّ لبعض، لا عجوزَ فيهنّ ولا صبيّة. واشتقاقه مِن "التراب"، فإنّه يَمسّهم في وقت واحد.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: لأجله، فإنّ الحساب علّة للوصول إلى الجزاء. وقُرئ بـ"الياء"[٥] ليوافق ما قبله، والالتفاتُ أليَق بمقام الامتنان والتكريم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: ما ذُكر مِن ألوان النِّعم والكرامات ﴿لَرِزۡقُنَا﴾ أعطيناكُموه، ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ انقطاعٍ أبدًا.

﴿هَٰذَا﴾ أي: الأمرُ هذا، أو هذا كما ذُكر، أو هذا ذِكرٌ. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾ شروع في بيان أضداد الفريق السابق.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ وعبد الله بن رفيع وأبي حيوة. البحر المحيط لأبي حيّان، ١٦٧/٩.

٢ م ط س - ضمير ["صح" في هامش م].

٣ في الآية السابقة.

٤ في الآية السابقة.

٥ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.

﴿جَهَنَّمَ﴾ إعرابه كما سلف ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾ أي: يَدخلونها، حال مِن ﴿جَهَنَّمَ﴾. ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ وهو المهدُ والمَفرش، مستعار مِن فراش النائم، والمخصوص بالذمّ محذوف، وهو "جهنّم"، لقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾ [الأعراف، ٤١/٧].

﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨﴾

﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ أي: ليذوقوا هذا فليذوقوه، كقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ[1] فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة، ٤٠/٢]، أو العذابُ هذا فليذوقوه، أو ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ خبره: ﴿حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ﴾، وما بينهما اعتراض، وهو على الأوّلَين خبر مبتدأ محذوف، أي: هو حميم. و"الغسّاق" ما يَغسَق مِن صديد أهل النار، مِن "غَسَقَت العَين" إذا سالَ دمعها.

[٤٤٤و] وقيل: "الحميم" يُحرِق بحَرّه، / و"الغسّاق" يُحرِق ببَرده. وقيل: لو قَطرت منه قطرة في المَشرق لنَتّنتْ أهلَ المَغرب، ولو قَطرَت قطرة في المَغرب لنتّنتْ أهلَ المشرق.[2] وقيل: "الغسّاق" عذاب لا يعلمه إلّا الله تعالى.

وقُرئ بتخفيف "السين".[3]

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾ أي: ومَذوقٌ آخَر أو عذابٌ آخَر مِن مِثل هذا المَذوق أو العذاب في الشدّة والفظاعة. وقُرئ: "وَأُخَرُ"،[4] أي: ومَذوقاتٌ أُخَرُ، أو أنواعُ عذابٍ أُخَرُ. وتوحيدُ ضمير ﴿شَكۡلِهِۦٓ﴾ بتأويل[5] "ما ذُكر"، أو الشرابِ الشاملِ للحميم والغسّاق، أو هو راجع إلى "الغسّاق".

﴿أَزۡوَٰجٌ﴾ أي: أجناس، وهو خبر لـ﴿ءَاخَرُ﴾؛ لأنّه يجوز أن يكون ضُروبًا، أو صفةٌ له، أو للثلاثة، أو مرتفِعٌ بالجارّ، والخبر محذوف، مِثل: "لهم".

---

١ م ط س: فإيّاي.

٢ جامع البيان للطبري، ١٢٩/٢٠؛ الكشّاف للزمخشري، ١٠١/٤.

٣ قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وشعبة عن عاصم. النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.

٤ قرأ بها أبو عمرو ويعقوب. النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.

٥ وفي هامش م: بعد استعارته لاسم الإشارة، كما مرّ في سورة يوسف عليه السلام. «منه». | يوسف، ٣٦/١٢.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾﴾

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ حكاية ما يقال مِن جهة الخزَنة لرؤساء الطاغين إذا دخلوا النارَ واقتحمها معهم فوجٌ كانوا يتّبعونهم في الكفر والضلالة. و"الاقتحام" الدخول في الشيء بشدّة. قال الراغب: «"الاقتِحام" توسّط شدّة مُخِيفة».[1]

وقوله تعالى: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ مِن تمام كلام الخزَنة بطريق الدعاء على الفوج، أو صفةٌ للفوج، أو حال منه، أي: مقولٌ، أو مقولًا في حقّهم: لا مرحبًا بهم، أي: لا أتيتم[2] مرحبًا، أو لا رَحُبَتْهم[3] الدارُ مرحبًا.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ تعليل مِن جهة الخزَنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم، أو وصفِهم بما ذُكر.

وقيل: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ إلى هنا كلام الرؤساء في حقّ أتباعهم عند خطاب الخزَنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجّرًا مِن مقارنتهم، وتنفّرًا مِن مصاحبتهم. وقيل: كلّ ذلك كلام الرؤساء بعضِهم مع بعضٍ في حقّ الأتباع.

﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباعُ عند سماعهم ما قيل في حقّهم. ووجهُ خطابِهم للرؤساء في قولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾... إلخ على الوجهين الأخيرين ظاهرٌ، وأمّا على / الوجه الأوّل فلعلّهم إنّما خاطبوهم مع أنّ الظاهر أن يقولوا بطريق [٤٤٤ظ] الاعتذار إلى الخزَنة: "بل هم لا مرحبًا بهم"... إلخ قصدًا منهم إلى إظهار صِدقهم بالمخاطبة مع الرؤساء والتحاكمِ إلى الخزَنة طمعًا في قضائهم بتخفيف عذابهم، أو تضعيفِ عذاب خصمائهم. أي:[4] بل أنتم أحقّ بما قيل لنا أو قلتم.

---

[1] المفردات للراغب الأصفهاني، «قحم».

[2] س: لا أتوا.

[3] ط: رحبتكم؛ س: رحبت بهم. | يظهر أثر كشطٍ في نسخة المؤلّف، فلعلّه غيّر العبارة بعد نسخ ط س. والأصل في "رَحُبَ" أن يتعدّى بالحرف، فيقال: "رَحُبَ بكَ المكان"، ثمّ كثُر حتّى تعدّى بنفسه، فقيل: "رَحُبَتْكَ الدارُ"، وهذا شاذّ في القياس، فإنّه لا يوجد "فَعُلَ" بالضمّ إلّا لازمًا، مثل: "شَرُفَ" و"كَرُمَ". المصباح المنير للفيّومي، «رحب».

[4] وفي هامش م: تفسير على الوجوه الثلاثة. «منه».

وقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ تعليل لأحقّيتهم بذلك، أي: أنتم قدّمتم العذاب أو الصُّلِيّ لنا، وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدّي إليه مِن العقائد الزائغة والأعمال السيّئة، وتزيينها في أعيننا، وإغرائنا عليها، لا أنّا باشرناها مِن تِلقاء أنفسنا، ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أي: فبئس المَقرُّ جهنّمُ، قصَدوا بذمّها تغليظَ جناية الرؤساء عليهم.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالُواْ﴾ أي: الأتباعُ أيضًا، وتوسيطُه بين كلامَيهم لِما بينهما مِن التباين البيّن ذاتًا وخطابًا، أي: قالوا معرِضين عن خُصومتهم متضرّعين إلى الله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف، ٣٨/٧]، أي: عذابًا مضاعَفًا، أي: ذا ضِعف، وذلك بأن يزيد عليه مِثله، ويكون ضِعفين، كقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأحزاب، ٦٨/٣٣]. وقيل: المراد بـ"الضعف" الحيّات والأفاعي.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَقَالُواْ﴾ أي: الطاغون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يستَرذِلونهم ويسخَرون منهم.

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بهمزة استفهام سقَطت لأجلها همزة الوَصل. والجملة استئناف لا محلّ لها مِن الإعراب. قالوه إنكارًا على أنفسهم، وتأنيبًا لها في الاستِسخار منهم.

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ متّصل بـ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ على أنّ ﴿أَمْ﴾ متّصلة، والمعنى: أيَّ الأمرين فعَلْنا بهم؛ الاستسخارَ منهم أم الازدراءَ بهم وتحقيرَهم، وأنّ أبصارنا كانت تَزيغُ عنهم وتقتحمهم؟ على معنى إنكار كلٍّ واحدٍ مِن الفعلين على أنفسهم توبيخًا لها.

أو على أنها منقطعة، والمعنى: أَتَّخذناهم سِخريًّا بل أزاغَت عنهم أبصارنا؟
[٤٤٥و] كقولك: "أزيدٌ عندك أم عندك عمرو؟" على معنى توبيخ أنفسهم / على الاستِسخار ثمّ الإضرابِ والانتقالِ منه إلى التوبيخ على الازدِراء والتحقير.

وقُرئ: "اتَّخَذْنَاهُمْ" بغير همزة[١] على أنّه صفة أخرى لـ﴿رِجَالًا﴾،[٢] فقوله تعالى: ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ متّصل بقوله تعالى: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ﴾،[٣] والمعنى: ما لنا لا نراهم في النار، أَلَيسُوا فيها فلذلك لا نراهم، أم زاغَت عنهم أبصارُنا وهم فيها؟ وقد جُوّز أن تكون "الهمزة" مقدَّرة على هذه القراءة. وقُرئ: "سُخْرِيًّا" بضمّ "السين".[٤]

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي حُكي مِن أحوالهم ﴿لَحَقٌّ﴾ لا بدّ مِن وقوعه البتّةَ.

وقوله تعالى: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة بيان لـ﴿ذَٰلِكَ﴾، وفي الإبهام أوّلًا والتبيين ثانيًا مزيدُ تقرير له. وقيل: بدل مِن محلّ ﴿ذَٰلِكَ﴾. وقيل: بدل مِن ﴿حَقٌّ﴾، أو عطف بيان له. وقُرئ بالنصب[٥] على أنّه بدل مِن ﴿ذَٰلِكَ﴾. وما قيل:[٦] مِن أنّه صفة له، فقد قيل عليه: إنّ اسم الإشارة لا يُوصف إلّا بالمعرَّف بـ"اللام"، يقال: "بهذا الرجلِ"، ولا يقال: "بهذا غلامِ الرجل".

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ أمرٌ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يقول للمشركين: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ مِن جهته تعالى أنذركم عذابه، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ في الوجود ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ الذي لا يقبل الشركةَ والكثرةَ أصلًا، ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكلّ شيء سِواه.

---

١ قرأ بها أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٣٦١.
٢ في الآية السابقة.
٣ في الآية السابقة.
٤ قرأ بها نافع وأبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٩.
٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ وابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٢.
٦ قاله الزمخشري في الكشّاف، ٤/١٠٣.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ مِن المخلوقات، فكيف يُتوهَّم أن يكون له شريك منها؟ ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلَبُ في أمر مِن أموره، ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ المبالِغ في المغفرة، يغفر ما يشاء لمَن يشاء. وفي هذه النعوت مِن تقرير التوحيد والوعد للموحِّدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى. وتثنيةُ ما يُشعر بالوعيد مِن وصفَي القَهر والعزّة وتقديمُهما على وصف المغفرة لتَوفية مَقام الإنذار حقَّه.

﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ٦٨ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٧٠﴾

﴿قُلۡ﴾ / تكريرُ الأمر للإيذان بأنّ المَقول أمر جليل له شأن خَطير، لا بدَّ مِن الاعتناء به أمرًا وائتمارًا: ﴿هُوَ﴾ أي: ما أنبأتكم به مِن أنّي منذر مِن جهته تعالى، وأنّه تعالى واحد لا شريكَ له، وأنه متّصف بما ذُكر مِن الصفات الجليلة. والأظهر أنّه القرآنُ، وما ذُكر داخل فيه دخولًا أوّليًا كما يشهد به آخِر السورة الكريمة، وهو قول ابن عبّاس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة. ﴿نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ وارد مِن جهته تعالى. [٤٤٥ظ]

وقوله تعالى: ﴿أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾ استئناف ناعٍ عليهم سوءَ صنيعهم به ببيان أنّهم لا يقدّرُون قَدرَه الجليلَ، حيث يُعرضون عنه مع عظمته وكونِه موجِبًا للإقبال الكلّي وتلقّيه بحُسن القَبول. وقيل: صفة أخرى لـ﴿نَبَؤٌاْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾... إلخ استئناف مَسوق لتحقيق أنّه نبأ عظيم وارد مِن جهته تعالى بذِكر نبأٍ مِن أنبائه على التفصيل مِن غير سابقةِ معرفةٍ به، ولا مباشرةِ سببٍ مِن أسبابها المعتادة، فإنّ ذلك حجّة بيّنة دالّة على أنّ ذلك بطريق الوحي مِن عند الله تعالى، وأنّ سائر أنبيائه أيضًا كذلك. و﴿ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ هم الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس عليه اللعنة.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ متعلّق بمحذوفٍ يقتضيه المقام؛ إذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم، لا بذواتهم. والتقدير: ما كان لي فيما سبَق عمل ما بوجه مِن الوجوه بحال الملأ الأعلى وقتَ اختصامهم. وتقديرُ[١] الكلام

---

[١] وفي هامش م: لفظ الكلام.

كما اختاره الجمهور تحجير للواسع، فإنّ علمه عليه السلام غيرُ مقصور على ما جرى بينهم مِن الأقوال فقط؛ بل عامّ لها وللأفعال أيضًا، مِن سجود الملائكة عليهم السلام، واستكبار إبليس وكفره، حسبما ينطق به الوحي، فلا بدّ مِن اعتبار العموم في نَفيِه أيضًا لا محالةَ.

وقوله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ اعتراض وُسِّط بين إجمال اختصامهم وتفصيله تقريرًا لِثبوت علمه عليه السلام، وتعيينًا لسببه، إلّا أنّ بيان انتفائه فيما سبق لمّا كان / منبئًا عن ثبوته الآنَ، ومِن البيّن عدم ملابَسته [٤٤٦و]
عليه السلام بشيء مِن مَباديه المعهودة؛ تعيّن أنّه ليس إلّا بطريق الوحي حتمًا، فَجُعِل ذلك أمرًا مسلّمَ الثبوت، غنيًّا عن الإخبار به قصدًا، وجُعِل مَصَبّ الفائدة والمقصود إخبارُه ما هو داعٍ إلى الوحي ومصحِّحٌ له تحقيقًا لِقوله تعالى:[١] ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾[٢] في ضِمن تحقيق علمه عليه السلام بقصّة الملأ الأعلى.

فالقائم مَقام الفاعل لِ﴿يُوحَىٰٓ﴾ إمّا ضمير عائد إلى الحال المقدَّر، أو ما يَعُمّه وغيرَه، فالمعنى: ما يُوحى إليّ حالُ الملأ الأعلى، أو ما يُوحى إليّ ما يُوحى مِن الأمور الغيبيّة التي مِن جملتها حالُهم إلّا لِأنّما أنا نذير مبين مِن جهته تعالى. فإنّ كونَه عليه السلام كذلك مِن دواعي الوحي إليه[٣] وموجِباته حتمًا.

وأمّا أنّ القائم مَقام الفاعل هو الجارّ والمجرور، أو هو ﴿أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بلا تقدير الجارّ، وأنّ المعنى: ما يوحى إليّ إلّا للإنذار، أو ما يُوحى إليّ إلّا أن أُنْذِر وأُبَلِّغ ولا أُفرِّطَ في ذلك كما قيل؛[٤] فمَع ما فيه مِن الاضطرار إلى التكلّف في توجيه قَصر الوحي على كونه للإنذار في الأوّل، وقَصره على الإنذار في الثاني، فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه، كيف لا والاعتراض حينئذ يكون أجنبيًّا ممّا توسّط بينهما مِن إجمال الاختصام وتفصيله؟ فتأمّل، والله المرشد.

وقُرئ: "إِنَّمَا" بالكسر[٥] على الحكاية.

---

١ س - تعالى.

٢ ص، ٣٨/٦٥.

٣ وفي هامش م: ويجوز أن يكون ذلك مصدر الفعل، أي: ما يُفعَل الوحي إليّ إلّا لأنّما أنا نذير مبين. «منه».

٤ انظر: الكشّاف للزمخشري، ٤/١٠٤.

٥ قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٦٢.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ شروع في تفصيل ما أُجمل مِن الاختصام الذي هو ما جرى بينهم مِن التقاوُل، وحيث كان تكليمه تعالى إيّاهم بواسطة الملَك صحّ إسناد الاختصام إلى الملائكة. و﴿إِذْ﴾ بدل مِن ﴿إِذْ﴾ الأُولى، وليس مِن ضرورة البدليّة دخولها على نفس الاختصام؛ بل يكفي اشتمال ما في حيّزها عليه، فإنّ القصّة ناطقة بذلك / تفصيلًا. [٤٤٦ظ]

والتعرّضُ لعنوان الربوبيّة مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام، والإيذانِ بأنّ وَحي هذا النبأ إليه تربيةٌ وتأييدٌ له عليه السلام.

و"الكاف" وارد باعتبار حال الآمِر، لكونه أدلّ على كونه وحيًا منزّلًا مِن عنده تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾... إلخ [الزمر، ٥٣/٣٩] دون حال المأمور، وإلّا لَقيل: "ربّي"؛ لأنّه داخل في حيّز الأمر.

﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ﴾ أي: فيما سيأتي، وفيه ما ليس في صيغة المضارع مِن الدلالة على أنّه تعالى فاعل له البتّة مِن غير صارِف يَلويه، ولا عاطف يَثنيه. ﴿بَشَرًا﴾ قيل: أي: جسمًا كثيفًا يُلاقَى ويُباشَر. وقيل: خَلقًا باديَ البشَرة بلا صوف ولا شَعر. ولعلّ ما جرى عند وقوع المَحكيّ ليس هذا الاسمَ الذي لم يُخلَق مسمّاه حينئذ فضلًا عن تسميته به؛ بل عبارةٌ كاشفة عن حاله، وإنّما عُبّر عنه بهذا الاسم عند الحكاية. ﴿مِّن طِينٍ﴾ لم يُتعرَّض لأوصافه مِن التغيّر والاسوِداد والمَسنونيّة اكتفاءً بما ذُكر في مواقع أُخَر.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أي: صوّرتُه بالصورة الإنسانيّة والخِلقة البشريّة، أو سوّيت أجزاء بدَنه بتعديل طبائعه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ "النفخ": إجراء الريح إلى تجويف جسمٍ صالح لإمساكها والامتلاءِ بها. وليس ثَمّةَ نفخٌ ولا مَنفوخٌ، وإنّما هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادّة القابلة لها، أي: فإذا كمّلت استعداده وأفضتُ عليه ما يَحيى به مِن الروح التي هي مِن أمري ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ﴾

أمرٌ مِن "وَقَعَ"، وفيه دليل على أنّ المأمور به ليس مجرّدَ الانحناء كما قيل،[١] أي: اسقُطوا له ﴿سَٰجِدِينَ﴾ تحيّةً له وتكريمًا.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣﴾

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: فخلقه فسوّاه، فنفخ فيه الروح، فسجد له الملائكة ﴿كُلُّهُمْ﴾ بحيث لم يبقَ منهم أحد إلّا سجد ﴿أَجْمَعُونَ﴾ أي: بطريق المعيّة، [٤٤٧و] / بحيث لم يتأخّر في ذلك أحد منهم عن أحد. ولا اختصاصَ لإفادة هذا المعنى بالحاليّة؛ بل يفيده التأكيد أيضًا. وقيل: أُكِّد بتأكيدين مبالغةً في التعميم.

هذا، وأمّا أنّ سجودهم هذا هل ترتّب على ما حُكِيَ مِن الأمر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحِجر،[٢] فإنّ ظاهرهما يستدعي ترتّبه عليه مِن غير أن يتوسّط بينهما شيء غيرُ ما يفصح عنه "الفاء" الفصيحة مِن الخَلق والتسوية ونفخِ الروح، أو على الأمر التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة البقرة،[٣] وما في سورة الأعراف،[٤] وما في سورة بني إسرائيل،[٥] وما في سورة الكهف،[٦] وما في سورة طه،[٧] مِن الآيات الكريمة؛ فقد مرّ تحقيقه بتوفيق الله عزّ وجلّ في سورة البقرة[٨] وسورة الأعراف.[٩]

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ استثناء متّصل لِما أنّه كان جنيًّا مُفرَدًا مغمورًا[١٠] بألوفٍ مِن الملائكة، موصوفًا بصفاتهم، فغُلّبوا عليه، ثمّ استثني استثناءَ واحد منهم، أو لأنّ مِن الملائكة جنسًا يتوالدون، وهو منهم، أو منقطع.

---

١ انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١٨٠/١ (البقرة، ٣٤/٢)؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ١٢٠/١ (البقرة، ٣٤/٢).
٢ الحجر، ٣٠/١٥.
٣ البقرة، ٣٤/٢.
٤ الأعراف، ١١/٧.
٥ الإسراء، ٦١/١٧.
٦ الكهف، ٥٠/١٨.
٧ طه، ١١٦/٢٠.
٨ البقرة، ٣٤/٢.
٩ الأعراف، ١١/٧.
١٠ س: مغمور.

وقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ على الأوّل استئناف مبيّن لكيفيّة ترك السجود المفهوم مِن الاستثناء، فإنّ تركه يحتمل أن يكون للتأمّل والتروّي، وبه يتحقّق أنّه للإباء والاستكبار. وعلى الثاني يجوز اتّصاله بما قبله، أي: لكنّ إبليس استكبر ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: وصار منهم بمخالفته للأمر، واستكبارِه عن الطاعة، أو كان منهم في علم الله عزّ وجلّ.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥﴾

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: خلقتُه بالذات مِن غير توسّطِ أبٍ وأمٍّ. والتثنية لإبراز كمال الاعتناء بخلقِه عليه السلام المُستدعي لإجلاله وإعظامه قصدًا إلى تأكيد الإنكار وتشديدِ التوبيخ.

﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ / بهمزة الإنكار وطرحِ همزة الوصل، أي: أتكبّرتَ مِن غير استحقاق، ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ المستحِقّين للتفوّق؟ وقيل: أَسْتكبرتَ الآن أم لم تزَل منذُ كنتَ مِن المستكبرين؟ وقُرئ بحذف همزة الاستفهام[1] ثقةً بدلالة ﴿أَمۡ﴾ عليها. [٤٤٧ظ]

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝٧٦﴾

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ ادّعاءٌ منه لشيء مستلزِم لمنعه مِن السجود على زعمه، وإشعارٌ بأنّه لا يليق أن يسجد الفاضل للمَفضول، كما يُعرِب عنه قوله: ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر، ١٥/٣٣].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ تعليل لِما ادّعاه مِن فضله عليه عليه السلام، ولقد أخطأ اللعينُ حيث خصّ الفَضل بما مِن جهة المادّة والعنصر، وزلّ عنه ما مِن جهة الفاعل، كما أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾،[2] وما مِن جهة الصورة، كما نبّه عليه قوله تعالى: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن كثير. البحر المحيط لأبي حيّان، ٩/١٧٥.

[2] في الآية السابقة.

[الحجر، ٢٩/١٥]، وما مِن جهة الغاية، وهو مَلاك الأمر، ولذلك أُمِر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهَر لهم أنّه أعلَم منهم بما يدور عليه أمر الخِلافة في الأرض، وأنّ له خواصّ ليست لغيره.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧﴾

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ "الفاء" لترتيب الأمر على ما ظهر مِن اللعين مِن المخالفة للأمر الجليل، وتعليلِها بالأباطيل، أي: فاخرج مِن الجنّة، أو مِن زُمرة الملائكة، وهو المراد بالأمر بالهبوط،[1] لا الهبوطُ مِن السماء كما قيل،[2] فإنّ وسوَسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد، وقد بيّن كيفيّة وسوَسته في سورة البقرة.[3]

وقيل: اخرج مِن الخِلقة التي كنتَ فيها وانسلِخ منها، فإنّه كان يفتخر بخِلقته، فغيّر الله تعالى خِلقَته؛ فاسودّ بعد ما كان أبيض، وقَبُح بعد ما كان حَسنًا، وأظلَم بعد ما كان نورانيًا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ تعليل للأمر بالخروج، أي: مطرودٌ مِن كلّ خير وكرامة، فإنّ مَن يُطرَد يُرجَم بالحجارة، أو شيطان يُرجَم / بالشهُب. [٤٤٨و]

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨﴾

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ أي: إبعادي عن الرحمة. وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ [الحجر، ٣٥/١٥] لِما أنّ لعنةَ اللاعنِين مِن الملائكة والثقلَين أيضًا مِن جهته تعالى، وأنّهم يَدعون عليه بلعنة الله تعالى[4] وإبعادِه مِن الرحمة.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: يومِ الجزاء والعقوبة. وفيه إيذان بأنّ اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاءً لجنايته؛ بل هي أنموذج ممّا سيَلقاه مستمرًّا إلى ذلك اليوم،

---

[1] في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ [الأعراف، ١٣/٧].

[2] انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٢٢٠/٤ (الأعراف، ١٣/٧)؛ والكشّاف للزمخشري، ٩٠/٢ (الأعراف، ١٣/٧).

[3] البقرة، ٣٦/٢.

[4] س - تعالى.

لكن لا على أنّها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت؛ بل على أنّه سيَلقى يومئذ مِن ألوان العذاب وأفانين العقاب ما يَنسى عنده اللعنة، وتصير كالزائل، ألا يُرى إلى قوله تعالى:[١] ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف، ٤٤/٧]، وقولِه تعالى: ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم[٢] بَعۡضٗا﴾ [العنكبوت، ٢٥/٢٩].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩﴾

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ﴾ أي: أمهِلني وأخِّرني. و"الفاء" متعلِّقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام، أي: إذا جعلتني رجيمًا فأمهلني ولا تُمِتني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: آدمُ وذرّيّتُه للجزاء بعد فنائهم، وأراد بذلك أن يجِد فُسحة لإغوائهم، ويأخذَ منهم ثأرَه، وينجو مِن الموت بالكلّيّة؛ إذ لا موتَ بعد يوم البعث.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١﴾

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ ورود الجواب بالجملة الاسميّة مع التعرّض لشمول ما سأله لآخَرين على وجهٍ يُشعر بكون السائل تبَعًا لهم في ذلك دليلٌ واضح على أنّه إخبار بالإنظار المقدَّر لهم أزَلًا، لا إنشاءٌ لإنظارٍ خاصّ به، قد وقع إجابةً لدعائه، وأنّ استنظارَه كان طلبًا لتأخير الموت؛ إذ به يتحقّق كونه منهم، لا لتأخير العقوبة كما قيل،[٣] فإنّ ذلك معلوم مِن إضافة "اليوم" إلى "الدِّين"، أي: إنّك مِن جملة الذين أُخِّرَت آجالُهم أزَلًا حسبما يقتضيه حكمةُ التكوين.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ الذي قدّره الله تعالى وعيّنه لفَناء الخلائق، وهو وقت النفخة الأولى، لا إلى وقت البعث الذي هو المسئول. فـ"الفاء" ليست لربط نفْس الإنظار بالاستنظار؛ بل لربط الإخبار المذكور به، كقول[٤] مَن قال:

فـإن تَـرحَـمْ فـأنـتَ لـذاكَ أهـلٌ[٥]

---

[١] س – تعالى.

[٢] م ط س: بعضهم.

[٣] انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، ٧/٣ (الأعراف، ١٣/٧).

[٤] ط س: كما في قول.

[٥] تمامه:

وإن تـطـرُد فـمَـن يَـرحَـم سـواكا

وهو بغير نسبة في عروس الأفراح للسبكي، ٢٦٧/١؛ ومعاهد التنصيص لأبي الفتح العبّاسي، ١٧٠/١، بلفظ: "فإن تغفر"...

[٤٤٨ظ] فإنّه لا إمكان / لجَعل "الفاء" فيه لرَبط ما له تعالى مِن الأهليّة القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة؛ بل هي لربط الإخبار بتلك الأهليّة للرحمة بوقوعها.

هذا، وقد تُرِك التوقيت في سورة الأعراف[١] كما تُرِك النداء و"الفاء" في الاستِنظار والإنظار تعويلًا على ما ذُكر ههنا وفي سورة الحجر،[٢] وإن خطر ببالك أنّ كلّ وجه مِن وجوه النظم الكريم لا بدَّ أن يكون له مقام يقتضيه مُغاير لمَقام غيره، وأنّ ما حُكِي مِن اللعين إنّما صدَر عنه مرّة، وكذا جوابه لم يقع إلّا دفعةً، فمقام الاستنظار والإنظار إن اقتضى أحدَ الوجوه المَحكيّة فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال، والبالغُ إلى رتبة البلاغة وذِروة[٣] الإعجاز، وأمّا ما عداه مِن الوجوه فهو بمَعزِل[٤] مِن بلوغ درجة[٥] البلاغة فضلًا عن العروج إلى معارج الإعجاز؛ فقد سلَفَ تحقيقه في سورة الأعراف[٦] بفضل الله تعالى وتوفيقه.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ "الباء" للقسَم، و"الفاء" لترتيب مضمون الجملة على الإنظار، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف، ١٦/٧]، وقولُه تعالى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر، ٣٩/١٥]، فإنّ إغواءه تعالى إيّاه أثرٌ مِن آثار قدرته تعالى وعزّته، وحكمٌ مِن أحكام قَهره وسَلطنته، فمآل الإقسام بهما واحد، ولعلّ اللعينَ أقسَم بهما جميعًا، فحُكي تارةً قسَمه بأحدهما، وأخرى بالآخر، أي: فأقسِمُ بعزّتك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: ذريّةَ آدم بتزيين المعاصي لهم.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ وهم الذين أخلَصهم الله تعالى لطاعته، وعصَمَهم مِن الغواية. وقُرئ: "المُخلِصِينَ"[٧] على صيغة الفاعل، أي: الذين أخلَصوا قلوبهم أو أعمالَهم[٨] لله تعالى.

---

١ الأعراف، ١٥/٧.
٢ الحجر، ٣٨/١٥.
٣ ط س: ودرجة.
٤ س: فبمعزل.
٥ ط س: طبقة.
٦ الأعراف، ١٥/٧.
٧ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر. النشر لابن الجزري، ٢٩٥/٢.
٨ س: وأعمالهم.

﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٥﴾

﴿قَالَ﴾ أي: الله عزّ وجلّ: ﴿فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾ برفع الأوّل على أنّه مبتدأ محذوف الخبر، أو خبر محذوف المبتدأ، ونَصبِ الثاني على أنّه مفعول لِما بعده قُدّم عليه للقصر، أي: لا أقول إلّا الحقَّ. و"الفاء" لترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي: فالحقُّ قَسَمي، ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ على أنّ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ إمّا اسمه تعالى، أو نقيض الباطل؛ عظّمه الله تعالى بإقسامِه به، أو فأنا الحقُّ، / أو فقَولي الحقُّ. وقوله تعالى: [٤٤٩و] ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾... إلخ حينئذ جواب لقسمٍ محذوف، أي: واللهِ لَأملَأنّ... إلخ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾[١] على كلّ تقديرِ اعتراض مقرِّر على الوجهَين الأوّلين[٢] لِمَضمون الجملة القَسَميّة، وعلى الوجه الثالث[٣] لِمَضمون الجملة المتقدّمة، أعني: فقَولي الحقُّ.

وقُرئا منصوبَين[٤] على أنّ الأوّل مُقسَم به، كقولك: "اللهَ لَأفعلَنّ"، وجوابه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾، وما بينهما اعتراض. وقُرئا مجرورَين[٥] على أنّ الأوّل مُقسَم به قد أُضمِر حرف قسَمِه، كقولك: "اللهِ لَأفعلَنّ"، و"الْحَقِّ أَقُولُ" على حكاية لفظ المقسَم به على تقدير كونه نقيض الباطل، ومعناه التأكيد والتشديد. وقُرئ بجرّ الأوّل على إضمار حرف القسَم، ونصبِ الثاني على المفعوليّة.[٦]

﴿مِنكَ﴾[٧] مِن جنسك مِن الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ في الغواية والضلال ﴿مِنۡهُمۡ﴾ مِن ذرّيّة آدم ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ تأكيد للكاف وما عطف عليه، أي: لأملأنّها مِن المَتبوعين والأتباع أجمعين، كقوله تعالى: ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف، ١٨/٧]. وهذا القولُ هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السجدة، ١٣/٣٢].

---

١ في الآية السابقة.
٢ وفي هامش س: هما: "فالحقُّ قسَمي"، "فأنا الحقُّ". «منه». | هو ليس في م، ولعلّه بإشارته.
٣ وفي هامش س: هو "فقولي الحقُّ". «منه». | هو ليس في م، ولعلّه بإشارته.
٤ قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر والكسائي. النشر لابن الجزري، ٣٦٢/٢.
٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٢.
٦ قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ١٠٨/٤.
٧ ط س + أي.

وحيث كان مَناط الحكم ههنا اتّباع الشيطان اتّضح أنّ مَدار عدم المشيئة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة، ١٣/٣٢] اتّباعُ الكفرة للشيطانِ بسوء اختيارهم، لا تحقّقُ القول، فليس في ذلك شائبة الجَبر، فتدبّر.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن، أو على تبليغ ما يوحَى إليّ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ دنيوي ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: المتصنِّعين بما ليسوا مِن أهله حتّى أنتحِل النبوّةَ وأتقوّل القرآنَ.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ مِن الله عزّ وجلّ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ للثقلَين كافّةً.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾ أي: ما أنبأ به مِن الوعد والوعيد وغيرِهما، أو صحّةَ خبره وأنّه الحقُّ والصِّدق ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ بعد الموت، أو يومَ القيامة، أو عند ظهور الإسلام وفُشوّه. وقيل: مَن بقي علِم ذلك إذا ظهَر[١] وعلا، ومَن ماتَ علِمَه بعد الموت. وفيه مِن التهديد ما لا يخفى.

عن رسول الله صلّى الله تعالى[٢] عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿ص﴾ كان له بوَزن كلِّ جبل سخّره الله تعالى[٣] لداود عليه السلام عشر حسنات، وعُصم أن يُصرّ على ذنب صغير أو كبير».[٤] وقال أبو أمامة:[٥] «عصَمه الله تعالى مِن كلّ ذنب صغير أو كبير».[٦] والله تعالى[٧] أعلم.

---

١ ط س + أمره.

٢ م - تعالى.

٣ م - تعالى.

٤ الكشف والبيان للثعلبي، ١٧٥/٨؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٣٧/٣. وهو جزء مِن الحديث المرويّ عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٥ هو صُدَيّ بن عَجلان بن الحارث الباهلي، أبو أمامة (ت. ٨١هـ/٧٠٠م)، الصحابي. روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعن عمر وعثمان وعليّ وأبي عبيدة ومعاذ وغيرهم. كان مع عليّ في صِفّين. وسكن الشام، فتوفّي في أرض حمص. وهو آخر مَن مات مِن الصحابة بالشام. انظر: الإصابة لابن حجر، ٣٣٩/٣؛ والأعلام للزركلي، ٢٠٣/٣.

٦ اللباب لابن عادل، ٤٦٣/١٦.

٧ س - تعالى.

سورة ص

مكية، ستٌّ أو ثمانٍ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ص﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿والقُرآنِ ذِي الذِّكرِ﴾ أي: البيانِ أو الشرف. وجواب هذا القسم محذوف، أي: ما الأمر كما قال كُفّار مكّة من تعدّد الآلهة. ٢ ـ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة ﴿في عِزَّةٍ﴾: حميّة وتكبّر عن الإيمان،

سورة ص

قولُهُ: (اللهُ أَعلَمُ) قيلَ: هو الصَّادقُ، أو: صدَقَ وعدَهُ، أو: صدق محمَّدٌ.

وقيلَ: أمرٌ مِن المصاداةِ بمعنى: المعارضةِ، ومنه: الصَّدى، فإنَّه يعارضُ الصَّوتَ الأوَّلَ، ولذلك قُرِئَ بالكسرِ[1]؛ أي: عارِضِ القرآنَ بعملِكَ فاعملْ بأوامرِهِ وانتهِ عن نواهيهِ.

قولُهُ: (أي: البَيَانِ) الشَّافي والاعتبارِ والموعظةِ البليغةِ.

قولُهُ: (أوِ الشَّرَفِ) أو الشُّهرةِ، أو ذكرِ ما يُحتاجُ إليه في الدِّينِ مِن العقائدِ والشَّرائعِ والمواعيدِ.

قولُهُ: (مَحذُوفٌ) قيلَ: دلَّ عليه ما في ﴿ص﴾ مِن الدِّلالةِ على التَّحدِّي، أو: الأمرِ بالمعارضةِ؛ أي: إنَّه لمعجزٌ أو لواجبٌ العملُ به، أو: إنَّ محمَّدًا لصادقٌ.

أو دلَّ عليه ما بعدَهُ؛ أي: ما كفرَ مَن كفرَ به لخللٍ وجدَهُ فيهِ [بل الذين كفرُوا به في عزةٍ وشقاق][2].

قولُهُ: (حَمِيَّةٍ) وعزَّةٍ للنَّفسِ.

---

(١) أي: بكسر الدال، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٢٩) عن الحسن وأبي السمال وابن أبي إسحاق.

(٢) من «أنوار التنزيل».

﴿وشِقاقٍ﴾: خِلافٍ وعداوة للنبيِّ ﷺ. ٣ ـ ﴿كَم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلَكْنا مِن قَبلِهِم مِن قَرنٍ﴾ أي: أُمّةٍ من الأُمم الماضية، ﴿فنادَوا﴾ حين نُزول العذاب بهم، ﴿ولاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ أي: ليس الحينُ حينَ فِرار! والتاء: زائدة، والجملة: حال من فاعل «نادوا»، أي: استغاثوا والحال أنْ لا مهربَ ولا منجَى، وما اعتبرَ بهم كُفّار مكّة.

٤ ـ ٥ ـ ﴿وعَجِبُوا أن جاءَهُم مُنذِرٌ مِنهُم﴾ رسول من أنفُسهم، يدعوهم إلى الله، ويُخوّفهم بالنار بعد البعث ـ وهو النبيّ ﷺ ـ ﴿وقالَ الكافِرُونَ﴾، فيه وضع الظاهر موضع المُضمر: ﴿هذا ساحِرٌ كَذّابٌ. أجَعَلَ الآلِهةَ إلـٰهًا واحِدًا﴾ حيثُ قال لهم: قولوا: لا إلـٰهَ إلاّ الله؟ أي: كيف يسع الخلقَ كُلَّهم إلـٰهٌ واحد؟ ﴿إنَّ هذا لَشَيءٌ عُجابٌ﴾: عجيب. ٦ ـ ﴿وانطَلَقَ المَلأُ مِنهُم﴾ من مجلس اجتماعهم عِند أبي طالب وسماعهم فيه من النبيّ: قولوا: «لا إلـٰهَ إلاّ الله»: ﴿أنِ امشُوا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض:

قولُهُ: (خِلافٍ) للهِ.

قولُهُ: (حِينَ نُزُولِ العَذَابِ) استغاثةً، أو توبةً واستغفاراً.

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) للتَّأكيدِ.

قولُهُ: (ولا مَنْجَى) أي: مَخلَص.

قولُهُ: (ومَا اعتبَرَ) رَحِمَ اللهُ الشَّيخَ حيثُ قدَّرَهُ ليعطفَ عليهِ ﴿عَجِبُوا﴾، ويكونَ انعطافاً إلى الكلامِ السَّابقِ، ولا يتوهَّمَ أنَّه معطوفٌ على: ﴿فَنَادَوا﴾، إذ هو مخلٌّ بالمعنى، كما لا يَخفى.

قولُهُ: (رَسُولٌ) بشرٌ مثلهم، أو أُمِّيٌّ من عدادِهِم.

قولُهُ: (مَوضِعَ المُضمَرِ) غضباً عليهم وذمًّا لهم وإشعاراً بأنَّ كفرَهُم جسَّرهُم على هذا القولِ.

قولُهُ: (عَجِيبٌ) أي: بليغٌ في العجبِ، فإنَّهُ خلافُ ما أطبقَ عليهِ آباؤُنا.

قولُهُ: (وسَمَاعِهِم) عطفٌ على: (اجتِمَاعِهِم)، و(فيهِ) أي: المجلسِ.

قولُـهُ: (أي: يَقُولُ) أشارَ إلى قولٍ مقدَّرٍ، ويُشكِلُ عليه ﴿أنِ﴾، وظاهرُ كلامِهِ أنَّها زائدةٌ، وقُرِئَ بغيرِ ﴿أن﴾[1]، والصَّحيحُ أنَّها مفسِّرةٌ؛ لأنَّ الانطلاقَ عن مجلسِ التَّقاولِ يُشعِرُ بالقولِ، أو لأنَّ المعنى: انطلَقوا في القولِ واندفَعوا فيه.

---

(١) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٠٩) ونسبت لابن أبي عبلة.

امشوا، ﴿واصبِرُوا علَى آلِهتِكُم﴾: اثبُتوا على عِبادتها. ﴿إنَّ هذا﴾ المذكورَ من التوحيد ﴿لَشَيءٌ يُرادُ﴾ منّا. ٧ ـ ﴿ما سَمِعْنا بِهذا في المِلَّةِ الآخِرةِ﴾ أي: مِلّة عِيسَى. ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ اختِلاقٌ﴾: كذبٌ. ٨ ـ ﴿أأُنزِلَ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين وتركِه ـ ﴿علَيهِ﴾: على مُحمّد ﴿الذِّكرُ﴾: القُرآن ﴿مِن بَينِنا﴾، وليس بأكبرِنا ولا أشرفِنا؟ أي: لم ينزل عليه.

قال تعالى: ﴿بَل هُم في شَكٍّ مِن ذِكرِي﴾: وحيِي، أي: القرآنِ، حيثُ كذّبوا الجائيَ به. ﴿بَل لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ﴾، ولو ذاقوه لصدّقوا النبيّ فيما جاء به، ولا ينفعهم التصديق حينئذ. ٩ ـ ﴿أم عِندَهُم خَزائنُ رَحْمةِ رَبِّكَ العَزِيزِ﴾: الغالب ﴿الوَهّابِ﴾ من النُّبوّة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا؟ ١٠ ـ ﴿أم لَهُم مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما﴾؟ إن زعموا ذلك.........................

قولُهُ: (مِنَ التَّوحِيْدِ) أي: هذا الَّذي يدَّعيهِ من التَّوحيدِ.

قولُهُ: (مِنَّا) أي: يُتَمنَّى[1].

قولُهُ: (أي: مِلَّةِ عِيسَى) الَّتي هي آخرُ المللِ، فإنَّ النَّصارى يثلِّثونَ.

قولُهُ: (كَذِبٌ) اختلقَهُ.

قولُهُ: (بتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ) شاميٌّ وكوفيٌّ[2].

قولُهُ: (وتَسهِيلِ الثَّانيةِ) حرميٌّ وبصريٌّ.

قولُهُ: (وإدخَالِ أَلِفٍ) قالونُ وبصريٌّ وهشامٌ بخلفِهِما.

قولُهُ: (عَلى الوَجهَينِ) أي: التَّحقيقِ والتَّسهيلِ، ولهشامٍ وجهٌ كقالونَ.

قولُهُ: (وتَركِهِ) عطفٌ على: «إدخالِهِ».

قولُهُ: (ولا أَشرَفِنَا) بل هو مِثلنا، أو أدوَنُ منَّا في الرِّئاسةِ.

قولُهُ: (حَيثُ كَذَّبُوا) و﴿بَلْ﴾ إضرابٌ عن مقدَّرٍ، فكأنَّه قالَ: إنكارُهُم للذِّكرِ المذكورِ ليس عن علمٍ بل عن شكٍّ منه، و﴿بَلْ﴾ الثَّاني للانتقالِ من غرضٍ إلى آخرَ.

قولُهُ: (إنْ زَعَمُوا) هذا أحسنُ من تقديرِ القاضِي[3]: إن كانَ لهم ذلكَ.

---

(١) أي: إن هذا الذي يدَّعيهِ مِن التَّوحيدِ، أو يقصدُهُ مِن الرِّئاسَةِ والتَّرفُّعِ على العربِ والعجمِ، لشَيْءٌ يُتَمنَّى ويريدُه كلُّ أحدٍ.

(٢) هذا وما بعده انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٣٢).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥).

﴿فليَرتَقُوا في الأسبابِ﴾ المُوصّلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي فيخصّوا به من شاؤوا. و«أم» في الموضعين بمعنى همزة الإنكار.

١١ ـ ﴿جُندٌ ما﴾ أي: هم جند حقير ﴿هُنالِكَ﴾ أي: في تكذيبهم لك، ﴿مَهزُومٌ﴾: صفةُ «جند»، ﴿مِنَ الأحزابِ﴾: صفةُ «جند» أيضًا، أي: كالأجناد، من جِنس الأحزاب المُتحزّبين على الأنبياء قبلك ـ وأُولَئك قد قُهِروا وأُهلكوا، فكذا يَهلِك هؤلاء ـ ١٢ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾، تأنيث «قوم» باعتبار المعنى، ﴿وعادٌ وفِرعَونُ ذُو الأوتادِ﴾ ـ كان يَتِدُ لكُلّ من يغضب عليه أربعة أوتاد، يَشدّ إليها يديه ورجليه ويُعذّبه ـ ١٣ ـ ﴿وثَمُودُ وقَومُ لُوطٍ وأصحابُ الأَيكةِ﴾ أي: الغَيضةِ. وهم قوم شُعيب عليه السلام. ﴿أُولئِكَ الأحزابُ﴾.

١٤ ـ ١٥ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إلاّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذّبوا واحدًا منهم فقد كذّبوا جميعَهم لأنّ دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد، ﴿فحَقَّ﴾: وجبَ ﴿عِقابِ، وما يَنظُرُ﴾: ينتظر ﴿هؤلاءِ﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿إلاّ صَيحةً واحِدةً﴾، وهي نفخة القِيامة تَحِلُّ بهم العذابَ، ﴿مالَها مِن فَواقٍ﴾ بفتح الفاء وضمّها: رُجوعٍ.

قولُهُ: (بِمَعنَى الهَمزَةِ) هذا مذهبٌ كوفيٌّ، والمعتمدُ أنَّه بمعنى: بل والهمزةِ(١).

قولُهُ: (حَقِيرٌ) و﴿مَا﴾ زائدةٌ للتَّقليلِ كقولِك: أكلتُ شيئاً ما.

قولُهُ: (فِي تَكذِيبِهِم لَكَ) بقولِهِم: ﴿أأنزل﴾.

قولُهُ: (صِفَةُ: ﴿جندٌ﴾) أي: مكسورٌ عمَّا قريبٍ.

قولُهُ: (باعتِبَارِ المَعنَى) أي: الجماعةِ أو القبيلةِ.

قولُهُ: (لأنَّهُم) أو لمقابلةِ الجمعِ بالجمعِ.

قولُهُ: (أي: كُفَّارُ مَكَّةَ) كغيرِهِم من الأحزابِ.

قولُهُ: (نَفخَةُ القِيامَةِ) أي: الثَّانيةُ.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) حمزةُ والكسائيُّ(٢).

قولُهُ: (رُجُوعٍ) وفواقُ النَّاقةِ: هو ما بينَ الحلبتَينِ ساعةَ يرجعُ الدَّرُّ إلى ضرعِها(٣)، يريدُ أنَّها نفخةٌ واحدةٌ فحسب، لا تثنّى ولا تكرَّر.

---

(١) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٦٦).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٦١٣).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٠).

١٦ ـ ﴿وقالُوا﴾ لمّا نزل «فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ» إلى آخره: ﴿رَبَّنا، عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾ أي: كِتاب أعمالنا ﴿قَبلَ يَومِ الحِسابِ﴾. قالوا ذلك استهزاء. ١٧ ـ قال الله تعالى: ﴿اصبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ، واذكُرْ عَبدَنا داوُدَ ذا الأَيدِ﴾ أي: القُوّةِ في العِبادة، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويقوم نصف الليل وينام ثُلثه ويقوم سُدسه. ﴿إنَّهُ أَوّابٌ﴾: رجّاع إلى مرضاة الله تعالى.

١٨ ـ ﴿إنّا سَخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالعَشِيِّ﴾: وقتَ صلاة العِشاء ﴿والإشراقِ﴾: وقتَ صلاة الضُّحى ـ وهو أن تُشرق الشمس ويتناهى ضوءُها ـ ١٩ ـ ﴿و﴾ سخّرنا ﴿الطَّيرَ مَحشُورةً﴾: مجموعة إليه تُسبّح معه، ﴿كُلٌّ﴾ من الجِبال والطير ﴿لَهُ أَوّابٌ﴾: رجّاع إلى طاعته بالتسبيح، ٢٠ ـ ﴿وشَدَدْنا مُلكَهُ﴾ قوّيناه بالحَرَس والجنود، وكان يحرس مِحرابَه في كُلّ ليلة ثلاثون ألف رجل، ﴿وآتَيناهُ الحِكْمَةَ﴾: النُّبوّة ....

قولُهُ: (أي: كِتَابَ أَعمَالِنَا) وهو من قطَّهُ: إذا قطعَهُ[١]، ويُقالُ لصحيفةِ الجائزةِ؛ لأنّها قطعةٌ من القرطاسِ، أو معناهُ: قسطَنا أو نصيبَنا من العذابِ، والقائلُ: النَّضرُ[٢]، أو أبو جهلٍ[٣]، وقيل: مِن الجنَّةِ[٤].

قولُهُ: (أنْ تُشرِقَ) بضمِّ الرّاءِ وكسرِها[٥]؛ أي: تُضِيءَ ويَصْفوَ شُعاعُها، وأمّا شروقُها فطلوعُها، يقالُ: شَرَقَتِ الشَّمسُ ولَمّا تُشرِقْ.

قولُهُ: (القُوَّةِ) و﴿الأَيدِ﴾ مصدرٌ، أو اسمٌ بمعنى: القوّةِ، لا أنّه جمعُ يدٍ وحُذفَ الياء.

قولُهُ: (مَجمُوعَةً إلَيهِ) من كلِّ جانبٍ.

قولُهُ: (مِنَ الجِبَالِ) أي: كلُّ واحدٍ منهُما لأجلِ تسبيحِه رجّاعٌ إلى التَّسبيحِ، أو كلٌّ منهما ومن داودَ مُرجِّعٌ للهِ التَّسبيحَ، وكلامُ الشَّيخِ أوّلًا ناظرٌ إلى الأوّلِ، وثانياً إلى الثّاني، ففيهِ نوعُ تلفيقٍ.

قولُهُ: (بالحُرَّسِ) بضمِّ الحاءِ وتشديدِ الرّاءِ: جمعُ حارسٍ، أو كخَدَمٍ لفظاً ومعنًى.

قولُهُ: (القُوَّة) أو: النُّبوَّة[٦]، أو كمالَ العلمِ وإتقانَ العملِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٦٨٣).

(٢) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٨) عن عطاء.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥) عن قتادة.

(٤) أي: معنى ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾: قِسطَنَا مِن العَذابِ الذي تُوْعِدُنا به، أو من الجنةِ التي تُعَدُّ للمُؤمِنينَ.

(٥) في النسخ: «بضم التاء..»، والصواب المثبت؛ أي: تُشرِق وتَشرُق بمعنى. انظر: «القاموس» (مادة: شرق).

(٦) وكذا هي في النسخ المعتمدة في المتن، ولعل «القوة» في نسخة المصنف محرفة عنها، إذ لم أجد من ذكر القوة من معاني الحكمة اللغوية.

والإصابة في الأمور ﴿وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾: البيانَ الشافي في كُلّ قصد.

٢١ ـ ﴿وهَل﴾ ـ معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده ـ ﴿أتاكَ﴾، يا مُحمّد، ﴿نبأُ الخَصمِ، إذ تَسَوَّرُوا المِحرابَ﴾: مِحرابَ داودَ، أي: مَسجدَه، حيثُ مُنعوا الدخولَ عليه من الباب لشُغله بالعِبادة، أي: خبرُهم وقِصّتُهم؟ ٢٢ ـ ﴿إذ دَخَلُوا علَى داوُدَ ففَزِعَ مِنهُم. قالُوا: لا تَخَفْ﴾. نحن ﴿خَصمانِ﴾ ـ قيل: فريقان لِيُطابِقَ ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان والضمير بمعناهما، والخصم يُطلق على الواحد وأكثر، وهما مَلَكان جاءا في صُورة خصمَين، وقع لهما ما ذُكر على سبيل الفرض لتنبيه داود ـ عليه السلام ـ على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأةً، وطلب امرأة شخص ....

قولُهُ: (قَصدٍ) أي: مقصُودٍ؛ أي: الكلامُ الملخَّصُ الَّذي يُنبِّهُ المخاطَبَ على المقصودِ من غيرِ التباسٍ، وإنَّما سُمِّي به: «أمَّا بعدُ»؛ لأنَّه يفصلُ المقصودَ عمَّا سبقَ مقدِّمةً له من الحمدِ والصَّلاةِ.

وقيل: هو الخطابُ القصدُ الَّذي ليسَ فيه اختصارٌ مخلٌّ ولا إطنابٌ مملٌّ.

أو المرادُ: وفصلَ الخصامِ بتَمييزِ الحقِّ عن الباطلِ.

قولُهُ: (أي: مَسجِدَهُ) أي: تصَعَّدوا سورَهُ.

قولُهُ: (لشُغلِهِ) فإنَّه جزَّأَ زمانَهُ يوماً للعبادةِ، ويوماً للقضاءِ، ويوماً للوعظِ، ويوماً للاشتغالِ بخاصَّتِهِ.

قولُهُ: (فَرِيقَانِ) أو: فوجانِ متخاصمانِ، على تسميةِ مصاحبِ الخصمِ خصماً.

قولُهُ: (بمَعناهُمَا) أي: ضميرُ الجمعِ بسببِ معنى الخصمينِ؛ إذ الخصمُ في الأصلِ مصدرٌ يُطلَقُ على الجمعِ.

قولُهُ: (مَلَكَانِ) كذا في حديثٍ مرفوعٍ(١)، وعنِ ابن عبَّاسٍ: هما جبريلُ وميكائيلُ(٢).

قولُهُ: (مَا ذُكِرَ) من البغيِ.

قولُهُ: (على سَبِيلِ الفَرْضِ) وقصدِ التَّعريضِ.

قولُهُ: (وطَلَبَ امْرَأَةَ شَخصٍ) لعلَّها مخطوبتُه، أو طلبَ طلاقَها، وعلى كلِّ تقديرٍ يحملُ على خلافِ الأولى.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٨٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه.
وضعف السيوطي إسناده في «الدر المنثور» (٧/ ١٥٦).

(٢) انظر: «زاد المسير في علم التفسير» (٣/ ٥٦٧)، و«تفسير الألوسي» (١٥/ ٥٢١).

ليس له غيرها، وتزوّجها ودخل بها ـ ﴿بَغَى بَعضُنا علَى بَعضٍ. فاحكُمْ بَيْنَنا بِالحَقِّ، ولا تُشطِطْ﴾: تَجُرْ، ﴿واهدِنا﴾: أرشِدْنا ﴿إلَى سَواءِ الصِّراطِ﴾: وسَطِ الطريق الصواب.

٢٣ ـ ﴿إنَّ هذا أخِي﴾ أي: على دِيني ﴿لَهُ تِسعٌ وتِسعُونَ نَعْجةً﴾ يُعبَّرُ بها عن المرأة، ﴿ولِي نَعْجةٌ واحِدةٌ، فقالَ: أكفِلْنِيها﴾ أي: اجعلني كافلَها، ﴿وعَزَّنِي﴾: غلبني ﴿في الخِطابِ﴾ أي: الجِدال. وأقرّه الآخَرُ على ذلك. ٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿قالَ: لَقَد ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجتِكَ﴾ ليضمّها ﴿إلَى نِعاجِهِ، وإنَّ كَثِيرًا مِنَ الخُلَطاءِ﴾: الشُّركاء ﴿لَيَبغِي بَعضُهُم علَى بَعضٍ، إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وقَلِيلٌ ما هُم﴾. ما: لتأكيد القِلّة. فقال المَلَكانِ، صاعدَينِ في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه.

فتنبّه داود، قال تعالى: ﴿وظَنَّ﴾ أي: أيقنَ ﴿داوُدُ أنَّما فَتَنّاهُ﴾: أوقعْناه في فِتنة، أي: بليّة بمحبّته تلك المرأة، ﴿فاستَغفَرَ رَبَّهُ وخَرَّ راكِعًا﴾..........................

قولُهُ: (تَجُرْ) من الجورِ في الحكومةِ.

قولُهُ: (الصَّوابِ) وهو العدلُ.

قولُهُ: (أي: عَلَى دِينِي) أو بالصُّحبةِ.

قولُهُ: (يُعَبَّرُ) ويكنى بالنَّعجةِ، وهي الأنثى مِن الضَّأنِ، والكنايةُ والتَّمثيلُ فيما يُساقُ للتَّعريضِ أبلغُ في المقصودِ.

قولُهُ: (كَافِلَهَا) كما أَكفُلُ ما تحتَ يدي، وقيل: اجعلْهَا كِفْلي؛ أي: نصيبي، والمعنى: ملِّكْنِيها.

قولُهُ: (أي: الجِدَالِ) يعني: في مخاطبتِهِ إيَّاي، بأن جاءَ بحِجَاجٍ لم أقدِرْ ردَّهُ.

قولُهُ: (وأقَرَّهُ) بالسُّكوتِ، وهو ظاهرُ كلامِهِ، فيُحمَلُ على تقديرِ صدقِ المدَّعي، أو بالإقرارِ، وهو الأظهرُ.

قولُهُ: (لِيَضُمَّهَا) السُّؤالُ مضافٌ إلى مفعولِهِ، وتعديتُهُ إلى مفعولٍ آخرَ بـ(إلى) لتضمُّنِهِ معنى: الإضافةِ والضَّمِّ، فكانَ حقُّهُ أن يقولَ: منضمًّا أو منضمَّةً أو ضامًّا.

قولُهُ: (الشُّرَكَاءِ) الَّذين خلَطوا أموالَهُم، جمعُ: خليطٍ.

قولُهُ: (لِتَأْكِيدِ القِلَّةِ) أي: وهُم قليلٌ.

قولُهُ: (صَاعِدَينَ) حالٌ.

قولُهُ: (في فِتنَةٍ) أي: امتحنَّاهُ بتلك الحكومةِ هل يتنبَّهُ لها؟

قولُهُ: (أي: بَلِيَّةٍ) أي: ابتَلَيْناهُ بالذَّنبِ.

أي: ساجدًا ﴿وأنابَ، فغفَرْنا لَهُ ذلِكَ، وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلفَى﴾ أي: زيادةَ خير في الدنيا ﴿وحُسنَ مآبٍ﴾ أي: مرجعٍ في الآخرة، ٢٦ ـ ﴿يا داوُدُ، إنّا جَعَلْناكَ خَلِيفةً في الأرضِ﴾ تُدبّر أمر الناس. ﴿فاحكُمْ بَينَ النّاسِ بِالحَقِّ، ولا تَتَّبِعِ الهَوَى﴾ أي: هوى النفس، ﴿فيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن الدلائلِ الدالّة على توحيده. ﴿إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا﴾: بنسيانِهم ﴿يَومَ الحِسابِ﴾ المُترتِّبِ عليه تركُهُم الإيمانَ. ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَينَهُما باطِلاً﴾ أي: عَبَثًا. ﴿ذلِكَ﴾ أي: خلقُ ما ذُكر لا لشيء ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة. ﴿فوَيلٌ﴾: وادٍ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ. أم نَجعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ كالمُفسِدِينَ في الأرضِ؟ أم نَجعَلُ المُتَّقِينَ كالفُجّارِ﴾؟ نزلَ لمّا قال كُفّار مكّة للمؤمنين: إنّا نُعطَى في الآخرة مِثلَ ما تُعطَون. و«أم» بمعنى همزة الإنكار..........

قولُهُ: (أي: سَاجِداً) على تسميةِ السُّجودِ ركوعاً لأنَّهُ مبدؤُهُ، أو: خرَّ للسُّجودِ راكعاً؛ أي: مصلّياً، كأنَّهُ أحرمَ بركعَتَي الاستغفارِ.

وقولُهُ تعالى: (﴿وَأَنَابَ﴾) أي: رجعَ إلى اللهِ عن الغفلةِ.

قولُهُ: (زِيَادَةَ) أو لقربِهِ بعدَ المغفرةِ.

قولُهُ: (على تَوحِيدِهِ) الأظهرُ: على الحقِّ والعدلِ، والمرادُ بالدَّلائلِ: هي النُّصوصُ والأَقْيِسةُ الصَّحيحةُ.

قولُهُ: (بِنِسيَانِهِم) و﴿ما﴾ مصدريَّةٌ.

قولُهُ: (عليهِ) أي: نسيانِهم؛ يعني: نسيانُهُم هو ضلالُهُم عن السبيلِ، فإنَّ تذكُّرَهُ يقتضِي ملازمةَ الهُدى ومخالفَةَ الهوى.

قولُهُ: (أي: عَبَثاً) أي: خَلْقاً باطلاً لا حكمةَ فيه، أو: ذَوي باطلٍ؛ بمعنى: مبطلِينَ عابثينَ، أو: للباطلِ الَّذي هو متابعَةُ الهوى.

قولُهُ: (لا لِشَيءٍ) أي: عبثاً.

قولُهُ: (مِن أَهلِ مَكَّةَ) والظَّنُّ بمعنى المظنونِ.

قولُهُ: (و﴿أَمْ﴾) أي: فيهما، وتقدَّمَ ما فيه[1].

والآيَةُ تدلُّ على صحَّةِ الحشرِ، فإنَّ التَّفاضلَ بينَهُما إمَّا أن يكونَ في الدُّنيا والغالبُ فيها أنَّ غيرَ المؤمنِ أحسنُ حالاً في الظَّاهرِ، أو في غيرِها وذلك يستَدعي أن يكونَ لهم حالٌ آخرُ يجازَونَ فيها.

---

(١) في الآية رقم: (١٠).

٢٩ ـ ﴿كِتابٌ﴾: خبر مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هذا، ﴿أنزَلْناهُ إلَيكَ مُبارَكٌ، لِيَدَّبَّرُوا﴾ ـ أصلُه «يَتَدَبَّروا» أُدغمت التاء في الدال ـ ﴿آياتِهِ﴾: ينظروا في معانيها فيؤمنوا، ﴿ولِيَتَذَكَّرَ﴾: يتّعظَ ﴿أُولُو الألبابِ﴾: أصحابُ العقول.

٣٠ ـ ﴿ووَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيمانَ﴾ ابنَه، ﴿نِعمَ العَبدُ﴾ أي: سُليمانُ! ﴿إنَّهُ أوّابٌ﴾: رجّاع في التسبيح والذِّكر في جميع الأوقات، ٣١ ـ ﴿إذ عُرِضَ علَيهِ بالعَشِيِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿الصّافِناتُ﴾: الخيل جمع صافنة ـ وهي القائمة على ثلاث، وأقامتِ الأُخرى على طرف الحافر. وهو من: صَفَنَ يَصفِنُ صُفونًا ـ ﴿الجِيادُ﴾: جمع جَواد، وهو السابق. المعنى أنها إن استُوقفتْ سَكنت، وإن رُكِضَتْ سَبقت. وكانت ألفَ فرس،.......................................

قولُهُ تعالى: (﴿مباركٌ﴾) أي: كثيرُ البركةِ والنَّفعِ.

قولُهُ: (يَتَدَبَّرُوا) وقُرِئَ به[1]، أي: ليتفكَّروا فيها فيَعرفوا ما يَدْبُرُ ظاهرَها من التَّأويلاتِ الصَّحيحةِ والمعاني المستنبَطةِ، وعن الحسنِ: إنَّما تدبُّرُ آياتِه اتِّباعُهُ بعلمِهِ[2]، كذا في «الدُّرِّ»[3].

قولُهُ: (العُقولِ) السَّليمةِ.

قولُهُ: (أي: سُلَيمَانُ) إذ ما بعدَهُ تعليلٌ للمَدحِ، وهو مِن حالِهِ.

قولُهُ: (في التَّسبِيحِ) أو: إليه[4] مُرَجِّعٌ له، أو: إلى اللهِ بالتَّوبةِ والإنابةِ والأوبةِ، وهي مقاماتٌ للسَّالكينَ.

قولُهُ: (طَرَفِ الحَافِرِ) أي: طرفِ سُنْبُكِ[5] يدٍ أو رِجلٍ، وهو من الصِّفاتِ المحمودةِ في الخيلِ لا تكادُ توجَدُ إلَّا في العِرابِ الخُلَّصِ.

قولُهُ: (جَمْعُ جَوَادٍ) أو جَوْدٍ ـ بالفتحِ ـ وهو الَّذي يسرعُ في جريِهِ.

وقيل: الَّذي يجودُ بالرَّكضِ، من الجُودَةِ ـ بالضَّمِّ ـ وهو المختارُ للشَّيخِ.

وقيل: جمعُ جَيِّدٍ بعدَ التَّخفيفِ إذ أصلُهُ: جَيْوِدٌ.

قولُهُ: (أَلْفَ[6] فَرَسٍ) وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن إبراهيمَ التَّيميِّ:.......................

---

(١) أي: (ليتدبروا) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعلي رضي الله عنه، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤١١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٩٨٤)، وسعيد بن منصور في «التفسير» (١٣٥).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ١٧٥) ووقع في مطبوعه: «عن الحسين رضي الله عنه» وهو تحريف.

(٤) قوله: «إليه»؛ إلى التسبيح.

(٥) السُّنْبُكُ: طرف الحافر وجانباه من قدم. «العين» (٥/ ٤٢٧).

(٦) في بعض الأصول: «ألفا».

عُرضت عليه بعد أن صلّى الظُّهر، لإرادة الجِهاد عليها العدوَّ. فعند بلوغ العرض منها تسعَمِائَةٍ غربت الشمس، ولم يكن صلّى العصر فاغتمّ، ٣٢ ـ ﴿فقالَ: إنِّيَ أحبَبتُ﴾ أي: أردت ﴿حُبَّ الخَيرِ﴾ أي: الخيلِ ﴿عَن ذِكرِ رَبِّي﴾ أي: صلاةِ العصر، ﴿حَتَّى تَوارَتْ﴾ أي: الشمسُ ﴿بِالحِجابِ﴾ أي: استترتْ بما يحجبها عن الأبصار. ٣٣ ـ ﴿رُدُّوها عليَّ﴾ أي: الخيلَ المعروضة، فردّوها ﴿فطَفِقَ مَسحًا﴾ بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾: جمع ساق ﴿والأعناقِ﴾ أي: ذبَحَها وقطع أرجُلها تقرّبًا إلى الله ـ تعالى ـ حيثُ اشتغل بها عن الصلاة، وتصدّق بلحمها. فعوّضه الله خيرًا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء.

أنَّها عشرةُ آلافِ فرسٍ[١]، كذا في «المبهماتِ»[٢].

قولُهُ: (صَلَّى العَصْرَ) وقيل: فاتَهُ وِرْدٌ له.

قولُهُ: (أَرَدْتُ) أصل «أحبَبْتُ» أن يعدَّى بـ«على»؛ لأنَّهُ بمعنى: آثَرْتُ، لكن لمَّا أنيبَ منابَ «أنبْتُ» عُدِّي تعديَتَهُ.

قولُهُ: (أي: الخَيلِ) (الخيرُ): المالُ الكثير، والمرادُ به: الخيلُ الَّتي شغلَتْهُ، وقيل: إنَّه سمَّاها خيرًا لتعلُّقِ الخيرِ بها، قالَ ﷺ: «الخَيلُ معقُودٌ بنَواصيهَا الخيرُ إلى يومِ القيامةِ» رواهُ الشَّيخانِ؛ أي: الأجرُ والغنيمَةُ[٣].

قولُهُ: (أي: الشَّمسُ) وإضمارُها من غيرِ ذكرٍ لدلالةِ العشيِّ عليه.

قولُهُ: (أي: استَتَرَتْ) يعني: شبَّهَ غُروبَها بتواري المخبَّأَةِ بحِجابِها.

قولُهُ: (بالسَّيفِ) أي: فأخذَ وشرعَ يمسحُ بالسَّيفِ مسحاً.

قولُهُ: (جَمعُ: سَاقٍ) أي: بسوقِها وأعناقِها.

قولُهُ: (ذَبَحَها) من قولِهِم: مسحَ علاوتَهُ: إذا ضربَ عنقَهُ، وقيلَ: جعلَ يمسحُ بيدِهِ أعناقَها وسوقَها حبًّا لها[٤]، وعن قُنبلٍ: (بالسُّؤقِ)[٥] على همزِ الواوِ لضمَّةِ ما قَبلها كمؤقنٍ، وعنه: بزيادةِ واوٍ على وزنِ فُعُولٍ، ونقلُ البيضاويِّ[٦] عن أبي عَمرٍو شاذٌّ[٧].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٧/ ٦٤).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٩٣) ووقع فيه، وفي «تفسير ابن كثير»: عشرون ألف فرس.

(٣) رواه البخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣) من حديث عروة البارقي رضي الله عنه، وفيه: «الأجر والمغنم».
ورواه مسلم (١٨٧٢) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩٦) عن ابن عباس بلفظ: أعراف الخيل وعراقيبها.

(٥) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٦٨).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٩).

(٧) قال ابن مجاهد: وعن علي بن نصر عن أبي عمرو قال: سمعت ابن كثير يقرأ: (بالسؤوق) بواو بعد الهمزة، ثم قال ابن مجاهد: =

٣٤ ـ ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾ ابتلَيناه بسلب مُلكه ـ وذلك لتزوّجه بامرأةٍ هَواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير عِلمه، وكان مُلكه في خاتَمه، فنزعه مرّة عِند إرادة الخَلاء، ووضعه عند امرأته المُسمّاة بالأمينة على عادته، فجاءها جنّيّ في صورة سُليمان فأخذه منها ـ ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ هو ذلك الجنّيّ وهو صخرٌ أو غيره، جلس على كرسيّ سُليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سُليمان في غير هيئته، فرآه على كرسيّه وقال للناس: أنا سُليمان. فأنكروه ـ ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: رجَع سُليمان إلى مُلكه بعد أيام، بأن وصل إلى الخاتَم فلبسه وجلس على كرسيّه.

٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿قَالَ: رَبِّ، ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا، لَّا يَنۢبَغِي﴾: لا يكون ﴿لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ أي: سِواي نحو: «فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ»..

قولُهُ: (هَوِيَهَا) كرَضيَ؛ أي: أحبَّها.

قولُهُ: (تَعبُدُ الصَّنَمَ) كذا رواهُ البغويُّ عن وهبِ بن منبِّهٍ[1]، لكن في «المدارِكِ»: أنَّ ما يروى من عبادةِ الوثنِ[2] في بيتِ سليمانَ فمن أباطيلِ اليهودِ[3].

وقد ذكرَ السُّيوطيُّ في «الدُّرِّ» نقولاً كثيرةً[4]، وأظهرُ ما قيلَ فيه كما قالَ القاضي[5]: ما رويَ مرفوعاً: أنَّه قالَ: «لأطوفَنَّ اللَّيلةَ على سبعينَ امرأةً تأتي كلُّ واحدةٍ بفارسٍ يجاهدُ في سبيلِ اللهِ، ولمْ يقُلْ: إن شاءَ اللهُ، فلمْ تحمِلْ إلَّا امرأةٌ جاءَتْ بشقِّ رجلٍ، فوالَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لو قالَ: إن شاءَ اللهُ؛ لجاهَدُوا فرساناً» رواهُ الشَّيخانِ[6].

قولُهُ: (بأنْ وَصَلَ إلى الخَاتَمِ) وفي كيفيَّتِهِ رواياتٌ كثيرةٌ[7].

قولُهُ: (سِوَايَ) ليكونَ معجِزةً لي.

= ورواية أبي عمرو هذه عن ابن كثير هي الصواب؛ لأن الواو انضمت فهمزت لانضمامها.. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٣٨). ولم يذكر في «التيسير» (ص: ١٦٨) سوى الأولى عن قنبل.

قلت: وقول المصنف: «شاذ» لعله يريد به نسبة القراءة لأبي عمرو، أما لابن كثير فليست بشاذة.

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٦٨).

(٢) عبارة «المدارك»: ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ١٥٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ١٧٨ ـ ١٨٥).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٩).

(٦) رواه البخاري (٦٦٣٩)، ومسلم (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٩٩)، وفيما تقدم عن النسفي بيان عن حال مثل هذه الروايات.

أي: سوى الله؟ ﴿إنَّكَ أنتَ الوَهَّابُ. فسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ، تَجرِي بِأمرِهِ رُخاءً﴾: ليّنة ﴿حَيثُ أصابَ﴾: أراد، ٣٧ ـ ﴿والشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿وغَوّاصٍ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ، ٣٨ ـ ﴿وآخَرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودين ﴿في الأصفادِ﴾: القُيود تَجمَعُ أيديهم إلى أعناقهم، وقلنا له: ٣٩ ـ ﴿هذا عَطاؤُنا. فامنُنْ﴾: أعطِ منه مَن شئتَ ﴿أو أمسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيرِ حِسابٍ﴾ أي: لا حِساب عليك في ذلك. ٤٠ ـ ﴿وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلفَى وحُسنَ مآبٍ﴾. تقدَّمَ مِثلُه.

٤١ ـ ﴿واذكُرْ عَبدَنا أيُّوبَ، إذ نادَى رَبَّهُ أنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَسَّنِيَ الشَّيطانُ، بِنُصْبٍ﴾: بضُرّ ﴿وعَذابٍ﴾: ألم. ونسبَ ذلك إلى الشيطان، وإن كانت الأشياء كُلّها من الله، تأدّبًا معه ـ تعالى ـ وقيل له: ٤٢ ـ ﴿اركُضْ﴾: اضرِب ﴿بِرِجلِكَ﴾ الأرضَ، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿هذا مُغتَسَلٌ﴾: ماء تغتسل به ﴿بارِدٌ، وشَرابٌ﴾ تشرب منه ـ فاغتسلَ وشرب فذهب عنه كُلّ داء كان بظاهره وباطنه. ٤٣ ـ ﴿ووَهَبْنا لَهُ أهلَهُ ومِثلَهُم مَعَهُم﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده ورزقَه مِثلهم ﴿رَحْمَةً﴾: نِعمة ﴿مِنّا وذِكرَى﴾: عِظةً ﴿لِأُولِي الألبابِ﴾: لأصحاب العُقول ـ ٤٤ ـ ﴿وخُذْ بِيَدِكَ ضِغثًا﴾ هو حُزمة من حشيش أو قِضبان، ﴿فاضرِبْ بِهِ﴾ زوجتَك ـ وكان قد حلف ليضربنّها مِائَةَ ضربة لإبطائها عليه يومًا ـ ﴿ولا تَحنَثْ﴾ بترك ضربها. فأخذ مِائَةَ عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة. ﴿إنّا وَجَدْناهُ صابِرًا، نِعمَ العَبدُ﴾ أيوبُ! ﴿إنَّهُ أوّابٌ﴾: رجّاع إلى الله تعالى.

قولُهُ: (أَرَادَ) من قولِهِم: أصابَ الصَّوابَ فأخطَأَ الجوابَ.

قولُهُ: (يَبنِي) ﴿الشَّياطينَ﴾ عطفٌ على: ﴿الرِّيحَ﴾، و﴿كُلَّ﴾ بدلٌ منهُ.

قولُهُ: (اللُّؤلُؤَ) والمرجانَ وغيرَهُما.

قولُهُ: (مِنهُم) عطفٌ على: ﴿كُلَّ﴾.

قولُهُ: (عَنِ الإعطَاءِ) أي: امنَعْ ما شِئتَ.

قولُهُ: (بِضُرٍّ) وتعَبٍ.

قولُهُ: (عَينٌ) وقيلَ: عينانِ.

قولُهُ: (تغتَسِلُ) وتشرَبُ، يحتملُ وجهينِ.

قولُهُ: (نِعمَةً) علّةٌ؛ أي: لرحمَتِنا عليهِ.

قولُهُ: (عِظَةً) وتذكيراً لينتظروا الفرجَ بالصَّبرِ واللَّجَأِ إلى اللهِ فيما يحيقُ بهم.

قولُهُ: (زَوجَتَكَ) وهي ليَّا بنتُ يعقوبَ[1].

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٣٢٢).

٤٥ ـ ﴿واذكُرْ عِبادَنا إبراهِيمَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ أُولِي الأيدِي﴾: أصحابَ القُوى في العِبادة، ﴿والأبصارِ﴾: البصائرِ في الدِّين ـ وفي قراءةٍ: «عَبدَنا»، وإبراهيمَ: بيان له، وما بعده عطف على «عبدَنا». ٤٦ ـ ﴿إنّا أخلَصْناهُم بخالِصةٍ﴾، هي ﴿ذِكرَى الدّارِ﴾ الآخرة، أي: ذِكرُها والعمل لها، وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان، ٤٧ ـ ﴿وإنَّهُم عِندَنا لَمِنَ المُصطَفَينَ﴾: المُختارِينَ ﴿الأخيارِ﴾: جمع خيِّر بالتشديد ـ ٤٨ ـ ﴿واذكُرْ إسماعِيلَ واليَسَعَ﴾ هو نبيّ، واللام: زائدة، ﴿وذا الكِفلِ﴾ اختُلف في نبوّته، قيل: كَفَلَ مِائَةَ نبيّ، فرّوا إليه من القتل. ﴿وكُلٌّ﴾ أي: كُلّهم ﴿مِنَ الأخيارِ﴾.

٤٩ ـ ﴿هذا ذِكرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا، ﴿وإنَّ لِلمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسنَ مآبٍ﴾: مرجعٍ في الآخرة، ٥٠ ـ ﴿جَنّاتِ عَدْنٍ﴾: بدلٌ أو عطفُ بيان لـ «حسنَ مآب»، ﴿مُفَتَّحةً لَهُمُ الأبوابُ﴾ منها، ٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿مُتَّكِئِينَ فِيها﴾ على الأرائك،...

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لمكّيٍّ(١).

قولُهُ: (و﴿إبراهيمَ﴾) وحّدَهُ لمزيدِ شرفِهِ، عطفُ بيانٍ له.

قولُهُ: (على (عَبْدَنَا)) أي: لا على ﴿إبراهيمَ﴾، إذ البيَانُ حينئذٍ هو إبراهيمُ وحدَهُ، أو المرادُ: وضعُ الجنسِ موضعَ الجمعِ، وهو أنسبُ ليوافِقَ القراءتَينِ.

قولُهُ: (هِيَ) أي: جَعلناهُم خالصينَ لنا بخصلةٍ خالِصةٍ لا شَوبَ فيها، هي تذكُّرُهُم للآخرةِ دائماً، وإطلاقُ الدَّارِ للإشعارِ بأنَّها الدَّارُ في الحقيقةِ والدُّنيا معبرٌ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وهشامٍ(٢).

قولُهُ: (المُختَارِينَ) من أبناءِ جنسِهِم.

قولُهُ: (بالتَّشدِيدِ) والتَّخفيفِ، صفتانِ مشبَّهتانِ؛ كأمواتٍ جمعُ: مَيْتٍ أو ميِّتٍ، أو جمعُ خيرٍ أفعلَ تفضيلٍ؛ كشرٍّ وأشرارٍ.

قولُهُ: (واللّامُ: زَائِدَةٌ) وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ: (واللَّيسع)(٣).

قولُهُ: (كَفَلَ مِائَةَ نَبِيٍّ) وقيلَ: تكفَّلَ بعملِ رجلٍ صالحٍ كان يُصلِّي كلَّ يومٍ مئةَ صلاةٍ.

قولُهُ: (مِنهَا) أي: من الـ﴿جنَّاتِ﴾، و﴿مفتَّحةً﴾ حالٌ منها.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٤).

﴿يدعُونَ فِيها بِفاكِهةٍ كَثِيرةٍ وشَرابٍ، وعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾: حابساتُ العَين على أزواجهنّ ﴿أترابٌ﴾: أسنانهنّ واحدة، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع تِرب. ٥٣ ـ ﴿هذا﴾ المذكور ﴿ما يُوعَدُونَ﴾ ـ بالغَيبة، وبالخِطاب التفاتًا ـ ﴿لِيَومِ الحِسابِ﴾ أي: لأجله. ٥٤ ـ ﴿إنَّ هذا لَرِزقُنا، مالَهُ مِن نَفادٍ﴾ أي: انقطاع. والجملة: حال من «رزقنا» أو خبر ثان لـ «إنّ» أي: دائمًا أو دائمٌ.

٥٥ ـ ٥٦ ـ ﴿هذا﴾ المذكور للمؤمنين، ﴿وإنَّ لِلطّاغِينَ﴾: مستأنفٌ ﴿لَشَرَّ مآبٍ، جَهَنَّمَ يَصلَونَها﴾: يدخلونها. ﴿فَبِئسَ المِهادُ﴾: الفِراشُ! ٥٧ ـ ﴿هذا﴾ أي: العذاب المفهوم ممّا بعده ـ ﴿فلْيَذُوقُوهُ ـ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حارّ مُحرق ﴿وغَساقٌ﴾، بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، ٥٨ ـ ﴿وأُخَرُ﴾ ـ بالجمع والإفراد ـ ﴿مِن شَكلِهِ﴾..

قولُهُ: (أَسنانُهُنَّ وَاحِدَةٌ) أي: لِدَاتٌ بعضُهنَّ لبعضٍ، لا عجوزٌ فيهنَّ ولا صبيةٌ، أو لداتٌ لهم فإنَّ التَّحابَّ بينَ الأقرانِ أثبتُ.

قولُهُ: (جَمعُ: تِرَبٍ) بالكسرِ، واشتقاقُهُ من التُّرابِ؛ فإنَّه يمسُّهُنَّ[1] في وقتٍ واحدٍ.

قولُهُ: (بالغَيبَةِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ[2].

قولُهُ: (لأَجلِهِ) لأنَّ الحسابَ علَّةُ الوصولِ إلى الجزاءِ.

قولُهُ: (﴿هذا﴾ المَذكُورُ): الأمرُ ﴿هذا﴾، أو: ﴿هذا﴾ كما ذُكِرَ، أو: خُذ ﴿هذا﴾.

قولُهُ: (الفِرَاشُ) أي: المهدُ، أو المفترَشُ، مستعارٌ من فراشِ النَّائمِ، والمخصُوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ، وهو جهنَّمُ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿لَهُم مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١].

قولُهُ: (مِمَّا بَعْدُ) والأظهرُ: ممَّا قبلُ؛ أي: ليَذوقوا ﴿هذا فليذوقُوهُ﴾، أو: العذابُ هذا ـ ويجوزُ العكسُ ـ ﴿فليذوقُوهُ﴾، ويجوزُ أن يكونَ مبتدأً خبرُه: ﴿حميمٌ﴾، وهو على ما سبقَ خبرُ محذوفٍ.

قولُهُ: (والتَّشدِيدُ) حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ[3].

قولُهُ: (بالجَمعِ) بصريٌّ[4]؛ أي: مذوقاتٌ، أو: أنواعُ عذابٍ أُخَرُ.

قولُهُ: (والإفرَادِ) أي: مذوقٌ، أو: عذابٌ آخرُ.

---

(١) في الأصول: «يمسهم»، والتصويب من «البيضاوي» (٥/ ٣٢).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٥).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

أي: مِثلِ المذكور من الحميم والغساق ﴿أزواجٌ﴾: أصناف، أي: عذابهم من أنواع مختلفة، ويقال لهم، عِند دُخولهم النارَ بأتباعهم: ٥٩ ـ ٦٠ ـ ﴿هذا فَوجٌ﴾: جمع ﴿مُقتَحِمٌ﴾: داخلٌ ﴿مَعَكُم﴾ النارَ بشِدّة، فيقول المتبوعون: ﴿لا مَرحَبًا بِهِم﴾ أي: لا سَعةَ عليهم. ﴿إنَّهُم صالُو النّارِ. قالُوا﴾ أي: الأتباعُ: ﴿بَل أنتُم لا مَرحَبًا بِكُم. أنتُم قَدَّمتُمُوهُ﴾ أي: الكُفرَ ﴿لَنا. فبِئسَ القَرارُ﴾ لنا ولكم النارُ! ٦١ ـ ﴿قالُوا﴾ أيضًا: ﴿رَبَّنا، مَن قَدَّمَ لَنا هذا فزِدْهُ عَذابًا ضِعفًا﴾ أي: مِثلَ عذابه على كُفره ﴿في النّارِ﴾.

٦٢ ـ ٦٣ ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: كُفّار مكّة، وهم في النار: ﴿مالَنا لا نَرَى رِجالاً، كُنّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِنَ الأشرارِ؟ اتَّخَذْناهُم سُخرِيًّا﴾، بضم السين وكسرها: كنّا نسخر بهم في الدنيا ـ والياء: للنسب ـ أي: أمفقودون هم ﴿أم زاغَتْ﴾:........................

قولُهُ: (مِثْلِ المَذكُورِ) أي: مثلِ هذا المذوقِ، أو: العذابِ في الشِّدَّةِ، وقُرِئَ بالكسرِ[1]، وهي لغةٌ.

قولُهُ: (أَصنَافٌ) أو أجناسٌ، خبرٌ لـ﴿آخَرُ﴾.

قولُهُ: (بِشِدَّةٍ) متعلِّقٌ بـ«داخل»، إذِ الاقتحامُ: ركوبُ الشِّدَّةِ والدُّخولُ فيها.

قولُهُ: (أي: لا سَعَةً) دعاءٌ على أتباعِهِم؛ أي: ما أتوا سعةً؛ لأنَّهُم داخِلونَ النَّارَ بأعمالِهِم مِثلَنا.

قولُهُ: (أي: الأَتبَاعُ) للرُّؤساءِ.

قولُهُ: (أي: الكُفرَ) أو العذابَ، فأنتم أحقُّ بما قلتُم.

قولُهُ: (لَنَا ولَكُم) أي: المقرُّ جهنَّمُ.

قولُهُ: (أَيضاً) أي: الأتباعُ.

قولُهُ: (مِثلَ عَذَابِهِ) أو: ذا ضِعْفٍ، أو: مُضاعفاً، وذلك أن يزيدَ على عذابِهِ مثلَهُ فيصيرَ ضعفينِ، كقولِهِم: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الأحزاب: ٦٨].

قولُهُ: (أي: كُفَّارُ مَكَّةَ) يعني: الطَّاغينَ، وفي «المبهماتِ»: قال ذلك أبو جَهلٍ[2].

قولُهُ: (بِضَمِّ السِّينِ) نافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ[3].

قولُهُ: (أي: أَمَفقُودُونَ) وفي قراءةِ البصريِّ والكسائيِّ بتقديرِ الاستفهامِ[4].

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لمجاهد، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤١٢).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٩٤). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٢) عن مجاهد.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٦١٨).

(٤) يعني: قرؤوا بوصل الألف على تقدير الاستفهام، وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي، والباقون بهمزة الاستفهام. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٦١٦)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

مالت ﴿عَنهُمُ الأبصارُ﴾ فلم نرَهم؟ وهم فُقراء المُسلمين كعمّار وبلال وصُهيب وسلمان. ٦٤ ـ ﴿إنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ﴾: واجبٌ وقوعُه، ﴿تَخاصُمُ أهلِ النّارِ﴾ كما تقدّم.

٦٥ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لكُفّار مكّة: ﴿إنَّما أنا مُنذِرٌ﴾: مُخوِّف بالنار، ﴿وما مِن إلـٰهٍ إلاّ اللهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾ لخلقِه، ٦٦ ـ ﴿رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الغَفّارُ﴾ لأَوليائه. ٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، أنتُم عَنهُ مُعرِضُونَ﴾ أي: القُرآنُ الذي أنبأتُكم به، وجئتكم فيه بما لا يُعلم إلاّ بوحي. وهو قوله: ٦٩ ـ ﴿ما كانَ لِي مِن عِلمٍ بِالمَلَإِ الأعلَى﴾ أي: الملائكة، ﴿إذ يَختَصِمُونَ﴾ في شأن آدم، حين قال الله: «إنِّي جاعِلٌ في الأرضِ خَلِيفةً» إلى آخره. ٧٠ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿يُوحَى إلَيَّ إلاّ أنَّما أنا﴾ أي: أنّي ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الإنذارِ.

٧١ ـ اذكرْ ﴿إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكةِ: إنِّي خالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ﴾ هو آدم. ٧٢ ـ ﴿فإذا سَوَّيتُهُ﴾: أتممته، ﴿ونَفَختُ﴾: أجريت ﴿فِيهِ مِن رُوحِي﴾ فصار حيًّا ـ وإضافة الروح إليه تشريف لآدم. والروح: جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ـ ﴿فقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ سُجودَ تحيّة بالانحناء. ٧٣ ـ ﴿فسَجَدَ المَلائكةُ كُلُّهُم أجمَعُونَ﴾ ـ فيه تأكيدان ـ ٧٤ ـ ﴿إلاّ إبلِيسَ﴾ هو أبو الجِنّ كان بين الملائكة، ﴿استكبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرِينَ﴾ في عِلم الله تعالى. ٧٥ ـ ﴿قالَ: يا إبلِيسُ، ما مَنَعَكَ أن تَسجُدَ لِما خَلَقتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: تولَّيتُ خلقه؟ وهذا تشريف لآدمَ ـ ....

قولُهُ: (وسَلمَانَ) وخبَّابٍ، كذا في «المبهماتِ»[1].

قولُهُ: (كَمَا تَقَدَّمَ) وهو بدلٌ مِن: (حقٌّ).

قولُهُ: (لِأَولِيَائِهِ) المؤمنينَ.

قولُهُ: (القُرآنُ) يجوزُ إطلاقُهُ على البعضِ.

قولُهُ: (وهُوَ) أي: النَّبأُ المفسَّرُ بالقرآنِ ما بعدَهُ من نبأ آدَمَ.

قولُهُ: (أي: أنّي) إشارةٌ إلى أنّه مرتفعٌ بإسنادِ ﴿يوحى﴾ إليهِ، وقيل: التَّقديرُ: لأنّي أتممتُهُ وعدلْتُ خلقتَهُ.

قولُهُ: (لآدَمَ) أو للرُّوحِ.

قولُهُ: (في عِلمِ اللهِ) أو صارَ باستنكارِهِ أمرَ اللهِ، واستكبارِهِ عن المطاوعةِ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٩٤).

فإنّ كل مخلوق تولّى الله خلقه ـ ﴿أستكبَرتَ﴾ الآن عن السُّجود؟ استفهام توبيخ، ﴿أم كُنتَ مِنَ العالِينَ﴾: المُتكبّرين، فتكبّرت عن السُّجود لكونك منهم؟ ٧٦ ـ ﴿قالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ. خَلَقتَني مِن نارٍ وخَلَقتَهُ مِن طِينٍ﴾.

٧٧ ـ ﴿قالَ: فاخرُجْ مِنها﴾ أي: من الجنّة، وقيل: من السماوات. ﴿فإنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود، ٧٨ ـ ﴿وإنَّ عليكَ لَعْنتِي إلَى يَومِ الدِّينِ﴾: الجزاءِ. ٧٩ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، فأنظِرْنِيَ إلَى يَومِ يُبعَثُونَ﴾، أي: الناس. ٨٠ ـ ٨١ ـ ﴿قالَ: فإنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ إلَى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ﴾: وقتِ النفخة الأُولى. ٨٢ ـ ٨٣ ـ ﴿قالَ: فبِعِزّتِكَ، لَأُغوِيَنَّهُم أجمَعِينَ، إلاّ عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

٨٤ ـ ﴿قالَ: فالحَقَّ والحَقَّ أقُولُ﴾ ـ بنصبِهما ورفعِ الأول ونصبِ الثاني ـ فنصبُه بالفعل بعده، ونصبُ الأوّل قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر، أي: أَحُقُّ الحقَّ، وقيل: على نزع حرف القسم. ورفعُه على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي: فالحقُّ منّي..........................

قولُهُ: (فَإِنَّ كُلَّ مَخلُوقٍ) لعلَّ قولَهُ: ﴿بيدي﴾ إشارةٌ إلى خصُوصيَّةِ خلقِهِ بلا واسطةٍ كأبٍ وأمٍّ، والتَّثنيةُ لِمَا في خلقِه من مزيدِ القدرةِ واختلافِ الفعلِ، ولعلَّ فيه إيماءً إلى أنَّه مظهرُ صِفَتَي الجمالِ والجلالِ بخلافِ الملائكةِ والشَّياطينِ.

قولُهُ: (مِنَ السَّمَاوَاتِ) وقيلَ: من الهيئةِ الملكيَّةِ.

قولُهُ: (مَطرُودٌ) من الرَّحمةِ ومحلِّ الكرامةِ.

قولُهُ: (الجَزَاءِ) فيشاهِدُ عذاباً يُنسيهِ اللَّعنةَ، أو الغايةُ داخِلٌ في المغيَّا.

قولُهُ: (أي: النَّاسُ) يعني: النَّفخةَ الثَّانيةَ.

قولُهُ: (المُؤمِنِينَ) الَّذين أخلصَهُمُ اللهُ للطَّاعةِ، وحفظَهُم من الضَّلالةِ، أو: أخلصُوا أمورَهُم للهِ على اختلافِ القراءتين[1].

قولُهُ: (بِنَصبِهِمَا) غيرُ عاصمٍ وحمزةَ[2].

قولُهُ: (فَنَصْبُهُ) أي: الثَّاني.

قولُهُ: (ورَفعُهُ) أي: الأوَّلِ.

(١) قرأ الكوفيون ونافع: ﴿المخلصين﴾ بفتح اللام، والباقون بكسرها، انظر: «التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) فقراءتهما ضم الأول وفتح الثاني. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٧)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

وقيل: فالحقُّ قَسَمي، وجواب القسم: ٨٥ ـ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذُرّيّتك، ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُم﴾: من الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

٨٦ ـ ﴿قُلْ: ما أسألُكم عليهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِن أجرٍ﴾: جُعْل، ﴿وما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقوِّلينَ القُرآنَ من تِلقاء نفسي. ٨٧ ـ ﴿إنْ هُوَ﴾ أي: ما القُرآنُ ﴿إلاّ ذِكرٌ﴾: عِظة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجِنّ دُون الملائكة، ٨٨ ـ ﴿ولتَعلَمُنَّ﴾ ـ يا كُفّارَ مكّة ـ ﴿نبأَهُ﴾: خبر صِدقه ﴿بَعدَ حِينٍ﴾ أي: يومَ القيامة. وعَلِمَ بمعنى: عَرَفَ. واللام قبلها: لام قسم مُقدّر، أي: والله.

قولُهُ: (بذُرِّيَّتِكِ) أو المرادُ بـ﴿مِنْكَ﴾: من جنسِكَ، ليتناولَ الشَّياطينَ.

قولُهُ: (مِنَ النَّاسِ) إذ الكلامُ فيهم، وقيل: للثَّقلينِ.

قولُهُ: (دُونَ المَلائِكَةِ) لا وجهَ للنَّفي إلَّا على تفسيرِ الذِّكرِ بالعظةِ، وإلَّا فقد صحَّ أنَّ جماعةً منهم يلتَمِسونَ أهلَ الذِّكرِ[1]، مع أنَّه قيل: بُعِثَ النبيُّ ﷺ إليهم وأنذَرَهُم قولَه تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

قولُهُ: (يا كُفَّارَ مَكَّةَ) عِلْماً عِياناً.

قولُهُ: (خَبَرَ صِدقِهِ) أو: ما فيه من الوَعدِ والوعيدِ.

قولُهُ: (أي: يَومَ القِيَامَةِ) أو بعدَ الموتِ، أو عندَ ظُهورِ الإسلامِ.

قولُهُ: (بِمَعنَى: عُرِفَ) ولذا عُدِّي إلى مفعولٍ واحدٍ، واللهُ أعلمُ.

***

---

(١) روى البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر».

سُورَةُ صٓ

مكيةٌ كما روي عن ابن عباس وغيره، وقيل: مدنيَّة، وليس بصحيحٍ كما قال الداني[1]. وهي ثمانٍ وثمانون آيةً في الكوفي، وستٌّ وثمانونَ في الحجازيِّ والبصريِّ والشاميِّ، وخمسٌ وثمانونَ في عَدِّ أيوب بن المتوكل وحده، قيل: ولم يقلْ أحدٌ: إنَّ «ص» وحدها آية، كما قيل في غيرها من الحروف في أوائل السور، وفيه بحثٌ.

وهي كالمتمِّمةِ لما قبلها من حيثُ إنه ذُكر فيها ما لم يُذكَرْ في تلك من الأنبياء عليهم السلام كداودَ وسليمانَ. ولمَّا ذَكَرَ سبحانه فيما قبلُ عن الكفار أنهم قالوا: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ وأنهم كفروا بالذكر لمَّا جاءهم، بدأ عزَّ وجلَّ في هذه السورة بالقرآن ذي الذكر، وفصَّل ما أَجْمَلَ هناك من كُفْرهم، وفي ذلك من المناسبة ما فيه، ومَنْ دَقَّق النظرَ لاحَ له مناسباتٌ أُخَرُ، والله تعالى الموفق.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ﴾ بالسكون على الوقف عند الجمهور، وقرأ أبيٌّ والحسنُ وابن أبي إسحاق وأبو السَّمَّال وابن أبي عبلة ونصرُ بن عاصم: «صادِ» بكَسْر الدال[2]؛ والظاهرُ أنه كَسْرٌ لالتقاء الساكنين، وهو حرفٌ من حروف المعجم نحو ﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾.

(١) في البيان في عدِّ آي القرآن ص ٢١٤.
(٢) القراءات الشاذة ص١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٣.

وأخرج ابن جرير عن الحسن أنه أمرٌ من صادَى أي: عارَضَ[1]، ومنه الصَّدَى: وهو ما يُعارض الصوت الأولَ ويقابله بمثله في الأماكن الخالية، والأجسام الصُّلبة العالية، والمعنى: عارِضِ القرآنَ بعملك، أي: اعملْ بأوامره ونواهيه، وقال عبد الوهاب[2]: أي: اعرضه على عملك، فانظرْ أين عملُكَ من القرآن.

وقيل: هو أمرٌ من صادَى أي: حادَثَ، والمعنى: حادِثِ القرآنَ، وهو روايةٌ عن الحسن أيضاً، وله قُرْبٌ من الأول.

وقرأ عيسى ومحبوب عن أبي عمرو وفرقة: «صادَ» بفتح الدال[3]، وكذا قرؤوا: «قافَ» و«نونَ» بالفتح فيهما؛ فقيل: هو لالتقاء الساكنين أيضاً طَلَباً للخِفَّة. وقيل: هو حركةُ إعرابٍ على أنَّ «صادَ» منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ، أي: اذكرْ، أو: اقرأ صادَ، أو بفعلِ القَسَم بعد نَزْعِ الخافض لما فيه من معنى التعظيم المتعدِّي بنفسه نحو: اللهَ لأفعلنَّ، أو مجرورٌ بإضمار حرف القَسَم، وهو ممنوعٌ من الصَّرف للعَلَمية والتأنيث بناءً على أنه عَلَمٌ للسورة.

وقد ذكر الشريفُ أنه إذا اشتَهر مسمًّى بإطلاق لفظٍ عليه يُلاحَظُ المسمَّى في ضمن ذلك اللفظ، وأنه بهذا الاعتبار يصحُّ اعتبارُ التأنيث في الاسم.

وقرأ ابن أبي إسحاق في روايةٍ: «صادٍ» بالجرِّ والتنوين[4]، وذلك إما لأنَّ الثلاثيَّ الساكن الوسطِ يجوزُ صَرْفه. بل قيل: إنه الأرجح، وإما لاعتبار ذلك اسماً للقرآن، كما هو أحدُ الاحتمالات فيه، فلم يتحقَّقْ فيه العِلَّتان فوَجَبَ صَرْفه، والقولُ بأنَّ ذاكَ لكونه عَلَماً لمعنى السورة لا للفظها، فلا تأنيثَ فيه مع العَلَمية ليكونَ هناك علَّتان، لا يخلو عن دغدغة.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٥.
(٢) هو عبد الوهاب بن عطاء الخفَّاف راوي خبر الحسن السالف، وورد كلامه في تفسير الطبري ٢٠/ ٥ إثر كلام الحسن، وينظر ترجمته في تهذيب الكمال ١٨/ ٥٠٩.
(٣) القراءات الشاذة ص١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٣.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٣.

وقرأ ابن السَّمَيْفَع وهارون الأعور والحسن في رواية: «صادُ» بضمِّ الدال[1]، وكأنه اعتُبر اسماً للسورة، وجُعل خبرَ مبتدأ محذوفٍ، أي: هذه صادُ.

ولهم في معناه غير متقيِّدين بقراءة الجمهور اختلافٌ كأضرابه من أوائل السور، فأخرج عبدُ بن حميد عن أبي صالح قال: سُئل جابرُ بن عبد الله وابن عباس عن ﴿صٓ﴾ فقالا: ما ندري ما هو[2]. وهو مذهبُ كثيرٍ في نظائره.

وقال عكرمة: سألَ نافعُ بن الأزرق عبدَ الله بن عباس عن ﴿صٓ﴾ فقال: ﴿صٓ﴾ كان بحراً بمكةَ، وكان عليه عرشُ الرحمن إذ لا ليل ولا نهار.

وقال ابن جبير: هو بحرٌ يُحيي الله تعالى به الموتى بين النفختين.

والله تعالى أعلم بصحَّة هذين الخبرين.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: ﴿صٓ﴾ صدق الله[3]. وأخرج ابن مردويه عنه أنه قال: ﴿صٓ﴾ يقول: إني أنا الله الصادق[4].

وقال محمد بن كعب القرظي: هو مفتاحُ أسماء الله تعالى: صَمَدٌ، وصانعُ المصنوعات، وصادقُ الوعد.

وقيل: هو إشارةٌ إلى صدود الكفار عن القرآن. وقيل: حرفٌ مسرودٌ على منهاج التحدِّي، وجَنَحَ إليه غيرُ واحدٍ من أرباب التحقيق، وقيل: اسمٌ للسورة. وإليه ذهب الخليل وسيبويه والأكثرون. وقيل: اسمٌ للقرآن. وقيل غيرُ ذلك باعتبار بعضِ القراءات كما سمعتَ عن قريب.

ومن الغريب أنَّ المعنى: صادَ محمدٌ ﷺ قلوبَ الخلق واستمالها حتى آمنوا به. ولعلَّ القائلَ به اعتبره فعلاً ماضياً مفتوحَ الآخر أو ساكِنَه للوقف، وأنا لا أقول به ولا أرتضيه وجهاً.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٢٩، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٣.
(٢) الدر المنثور ٥/ ٢٩٦.
(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٧.
(٤) الدر المنثور ٥/ ٢٩٦.

وهو على بعض هذه الأوجه لا حَظَّ له من الإعراب، وعلى بعضها يجوزُ أن يكونَ مُقسَماً به ومفعولاً لمضمَرٍ وخبرَ مبتدأ محذوف، وعلى بعضها يتعيَّنُ كونه مُقسماً به، وعلى بعضٍ ما تقدَّم في القراءات يتأتَّى ما يتأتَّى مما لا يخفى عليك.

وبالجملة إن لم يُعتبر مُقسَماً به فالواو في قوله سبحانه ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ①﴾ للقَسَم، وإن اعتبر مُقسَماً به، فهي للعطف عليه، لكن إذا كان قَسَماً منصوباً على الحذف والإيصال، يكونُ العَطْفُ عليه باعتبار المعنى والأصل. ثم المغايرةُ بينهما قد تكون حقيقيَّةً كما إذا أُريد بالقرآن كلِّه وبـ «ص» السورة، أو بالعكس، أو أريد بـ «ص» البحرُ الذي قيل به فيما مرَّ، وبالقرآن كلِّه أو السورة، وقد تكون اعتباريَّة كما إذا أُريد بكلٍّ السورةُ أو القرآنُ على ما قيل، ولا يخفى ما تقتضيه الجزالةُ الخالية عن التكلُّفِ.

وضُعِّفَ جَعْلُ الواو للقَسَم أيضاً بناءً على قول جَمْعٍ أنَّ تواردَ قَسَمين على مُقْسمٍ عليه واحدٍ ضعيفٌ.

والذكرُ ـ كما أخرج ابن جرير عن ابن عباس ـ الشرفُ[١]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. أو الذكرى والموعظة للناس على ما روي عن قتادة والضحاك. أو ذكرُ ما يحتاج إليه في أمر الدين من الشرائع والأحكام وغيرها من أقاصيص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأخبار الأمم الدارجة، والوعد والوعيد على ما قيل.

وجواب القَسَم قيل: مذكورٌ، فقال الكوفيون والزجَّاج: هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: ٦٤][٢]، وتعقَّبه الفرَّاء بقوله: لا نجده مستقيماً؛ لتأخُّر ذلك جدّاً عن القَسَم[٣]. وقال الأخفش: هو ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية: ١٤][٤]. وقال قوم: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الآية: ٣] وحذفت اللام،

(١) تفسير الطبري ٢٠/٨.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/٣١٩.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٣٩٧.
(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٠.

أي: لَكَم، لـمَّا طال الكلامُ كما حذفت من: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الشمس:٩] بعد قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ﴾ [الشمس:١] حكاه الفرَّاء[١] وثعلب، وتعقَّبه الطبرسيُّ بأنه غَلَطٌ؛ لأنَّ اللامَ لا تدخلُ على المفعول، و«كم» مفعول[٢].

وقال أبو حيان: إنَّ هذه الأقوال يجبُ اطِّراحها[٣].

ونقل السمرقنديُّ[٤] عن بعضهم أنه: «بل الذين كفروا..» إلخ فإنَّ «بل» لنفي ما قبله وإثبات ما بعده، فمعناه: ليس الذين كفروا إلا في عِزَّةٍ وشقاق. وجُوِّزَ أن يريد هذا القائلُ أنَّ «بل» زائدةٌ في الجواب، أو ربط بها الجواب لتجريدها لمعنى الإثبات.

وقيل: هو «ص»؛ إذ معناه: صَدَقَ الله تعالى، أو: صَدَقَ محمد ﷺ. ونُسب ذلك إلى الفراء وثعلب، وهو مبنيٌّ على جواز تقدُّم جواب القَسَم واعتقاد أنَّ «ص» تدلُّ على ما ذكر، ومع هذا في كون «ص» نفسه هو الجواب خفاء.

وقيل: هو جملة: هذه صاد، على معنى السورة التي أعجزتِ العربَ، فكأنه قيل: هذه السورةُ التي أعجزتِ العربَ والقرآنِ ذي الذِّكر. وهذا كما تقول: هذا حاتمٌ واللهِ، تريد: هذا هو المشهورُ بالسَّخاء واللهِ، وهو مبنيٌّ على جواز التقدُّم أيضاً.

وقيل: هو محذوفٌ، فقدَّرهُ الحوفيُّ: لقد جاءكم الحقُّ، ونحوه. وابن عطية: ما الأمر كما تزعمون، ونحوه[٥]. وقدَّرهُ بعضُ المحققين: ما كَفَرَ مَنْ كَفَرَ لِخَلَلٍ وجده، ودلَّ عليه بقوله تعالى: «بل الذين..» إلخ. وآخرُ: إنه لَمُعجزٌ، ودلَّ عليه ما في «ص» من الدلالة على التحدِّي بناءً على أنه اسمُ حرفٍ من حروف المعجم

(١) في معاني القرآن ٢/ ٣٩٧.
(٢) مجمع البيان ٢٣/ ٩٥.
(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٨٣.
(٤) كما في حاشية الشهاب ٧/ ٢٩٥، وعنه نقل المصنف.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢.

ذُكر على سبيل التحدِّي والتنبيه على الإعجاز، أو ما في أُقسم بـ «ص» أو هذه «ص» من الدلالة على ذلك بناءً على أنه اسمٌ للسورة. أو: إنه لواجب العمل به، دلَّ عليه «ص» بناءً على كونه أمراً من المصاداة. وقدَّره بعضهم غير ذلك.

وفي «البحر»: ينبغي أن يُقدَّر هنا ما أُثبت جواباً للقَسَم بالقرآن في قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٢]. ويقوِّي هذا التقدير ذِكْرُ النذارة هنا في قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ص:٤] وهناك في قوله سبحانه: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ [يس:٦] فالرسالة تتضمَّنُ النذارةَ والبشارةَ، وجَعَلَ «بل» في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ للانتقال من هذا القَسَم والمقسَم عليه إلى ذِكْر حال تعزُّز الكفار ومشاقَّتهم في قبولهم رسالته ﷺ وامتثال ما جاء به[1]. وهي كذلك على كثيرٍ من الوجوه السابقة، وقد تُجعل على بعضها للإضراب عن الجواب بأن يقال مثلاً: إنه لمعجزٌ، بل الذين كفروا في استكبارٍ من الإذعان لإعجازه، أو هذه السورةُ التي أعجزت العربَ، بل الذين كفروا لا يُذعنون.

وجعلها بعضُهم للإضراب عمَّا يُفهَمُ مما ذكر ونحوه من أنَّ مَنْ كَفَرَ لم يكفر لِخَلَلٍ فيه، فكأنه قيل: مَنْ كَفَرَ لم يكفرْ لخللٍ فيه، بل كَفَرَ تكبُّراً عن اتباع الحقِّ وعناداً، وهو أظهرُ من جَعْلِ ذلك إضراباً عن صريحه، وإن قُدِّرَ نحو هذا المفهوم جواباً، فالإضرابُ عنه قَطْعاً.

وفي «الكشف»: عدُّ هذا الإضرابِ من قبيل الإضرابِ المعنويِّ على نحو: زيدٌ عفيفٌ عالمٌ، بل قومه استخفُّوا به، على الإضراب عمَّا يلزمُ الأوصافَ من التعظيم، كما نقل عن بعضهم = عدولٌ عن الظاهر.

ويمكن أن يكونَ الجوابُ الذي عنه الإضراب: ما أنتَ بمقصِّرٍ في تذكير الذين كفروا وإظهار الحقِّ لهم، ويُشعر به الآياتُ بعدُ، وسببُ النزول الآتي ذكرهُ إن شاء الله تعالى، فكأنه قيل: ص، والقرآن ذي الذِّكر، ما أنت بمقصِّرٍ في تذكير الذين كفروا، وإظهارِ الحقِّ لهم، بل الذين كفروا مقصِّرونَ في اتباعك والاعتراف

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٨٣.

بالحقِّ، ووجهُ دلالة ما في النَّظْم الجليل على قولنا: بل الذين كفروا مقصِّرون.. إلخ ظاهرٌ. وهذه عِدَّةُ احتمالاتٍ بين يديك، وإليك أمرُ الاختيار، والسلامُ عليك.

والمراد بالعِزَّةِ ما يُظهرونه من الاستكبار عن الحقِّ، لا العزَّةُ الحقيقيةُ، فإنها لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

وأصل الشقاق: المخالفةُ، وكونك في شِقٍّ غير شِقِّ صاحبك، أو من: شَقَّ العصا بينك وبينه، والمراد مخالفةُ الله تعالى ورسولِه ﷺ، والتنكير للدلالة على شِدَّتهما، والتعبيرُ بـ «في» [فيهما للدلالة][1] على استغراقهم فيهما.

وقرأ حماد بن الزِّبرقان، وسَوْر عن الكسائي، وميمونة عن أبي جعفر، والجَحدريُّ من طريق العقيلي: «في غِرَّةٍ» بالغين المعجمة المكسورة، والراء المهملة[2]، أي: في غفلةٍ عظيمةٍ عمَّا يجبُ عليهم من النظر فيه، ونُقل عن ابن الأنباريِّ أنه قال في كتاب «الرد على من خالف الإمام»: إنه قرأ بها رجلٌ، وقال: إنها أنسبُ بالشِّقاق، وهو القتال بجِدٍّ واجتهاد، وهذه القراءةُ افتراءٌ على الله تعالى. اهـ. وفيه ما فيه.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ وعيدٌ لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب أضرابَهم، و«كم» مفعولُ «أهلكنا»، و«من قرن» تمييزٌ، والمعنى: قَرْناً كثيراً أهلكنا من القرون الخالية.

﴿فَنَادَوا﴾ عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثةً لينجوا من ذلك، وقال الحسن وقتادة: رفعوا أصواتهم بالتوبة حين عاينوا العذابَ لينجوا منه.

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ حالٌ من ضمير «نادوا» والعائدُ مقدَّرٌ، وإن لم يلزم، أي: مناصهم. و«لات» هي «لا» المشبَّهة بـ «ليس» عند سيبويه[3]، زيدتْ عليها تاءُ

(١) ما بين حاصرتين من حاشية الشهاب ٧/ ٢٩٥.
(٢) القراءات الشاذة ص١٢٩، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٣.
(٣) الكتاب ١/ ٥٧-٥٨.

التأنيث لتأكيد معناها وهو النفي؛ لأنَّ زيادةَ البناء تدلُّ على زيادة المعنى، أو لأنَّ التاءَ تكونُ للمبالغة كما في: علَّامة، أو لتأكيد شَبَهها بـ «ليس» بجَعْلها على ثلاثة أحرفٍ ساكنة الوسط.

وقال الرضيُّ: إنها لتأنيث الكلمة، فتكون لتأكيد التأنيث، واختصَّت بلزوم الأحيان، ولا يتعيَّنُ لفظُ الحين إلا عند بعضٍ. وهو محجوجٌ بسماع دخولها على مرادفه، وقول المتنبي[1]:

لقد تصبَّرتُ حتَّى لاتَ مُصطَبَرٍ فالآنَ أُقْحِمُ حتَّى لاتَ مُقتَحَمِ

وإن لم يهمَّنا أمرهُ مخرَّجٌ على ذلك بجعل المصطبر والمقتحم اسمي زمانٍ، أو القول بأنها داخلةٌ فيه على لفظ «حين» مقدَّرٍ بعدها. والتزموا حَذْفَ أحد الجزأين، والغالبُ حَذْفُ المرفوع كما هنا على قراءة الجمهور، أي: ليس الحينُ حينَ مناص.

ومذهب الأخفش أنها «لا» النافية للجنس العاملة عملَ «إنَّ» زيدتْ عليها التاءُ، فـ: «حينَ مناصٍ» اسمها، والخبر محذوفٌ، أي: لهم[2].

وقيل: إنها «لا» النافية للفعل، زيدتْ عليها التاءُ، ولا عمل لها أصلاً، فإنْ وَلِيها مرفوعٌ فمبتدأٌ حُذف خبرُه، أو منصوبٌ كما هنا، فبعدها فعلٌ مقدَّرٌ عاملٌ فيه، أي: ولا ترى حينَ مناص.

وقرأ أبو السَّمَّال: «ولاتُ حينُ» بضمِّ التاء ورفع النون[3]، فعلى مذهب سيبويه «حين» اسمُ «لات» والخبرُ محذوفٌ، أي: ليس حينُ مناصٍ حاصلاً لهم، وعلى القول الأخير: مبتدأٌ خبره محذوفٌ، وكذا على مذهب الأخفش، فإنَّ من مذهبه كما في «البحر»[4] أنه إذا ارتفعَ ما بعدها فعلى الابتداء، أي: فلا حينُ مناصٍ كائن لهم.

---

(١) في ديوانه ٤/ ١٥٧.
(٢) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٠.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٢٩، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٣.
(٤) ٧/ ٣٨٤.

وقرأ عيسى بن عمر: «ولاتِ حينِ» بكَسْر التاء مع النون[1]، كما في قول المنذر بن حرملة الطائي النصراني:

طَلَبُوا صُلْحَنا ولاتَ أوانٍ فأَجبنا أنْ لاتَ حين بقاءِ[2]

وخُرِّجَ ذلك إما على أنَّ «لاتَ» تجرُّ الأحيان، كما أنَّ «لولا» تجرُّ الضمائر كـ: «لولاك» و«لولاه» عند سيبويه[3]، وإما على إضمار «مِن»، كأنه قيل: لات من حين مناصٍ، ولاتَ من أوانِ صُلْحٍ، كما جَرُّوا بها مضمرةً في قولهم: على كم جِذْعٍ بيتك؟ أي: من جذعٍ، في أصحِّ القولين، وقولهم: ألا رجلٍ جزاهُ الله خيراً. يريدونَ: ألا من رجلٍ، ويكونُ موضعُ «من حين مناص» رَفْعاً على أنه اسمُ «لات» بمعنى: ليس، كما تقولُ: ليسَ من رجلٍ قائماً، والخبرُ محذوفٌ على قول سيبويه، وعلى أنه مبتدأٌ والخبرُ محذوفٌ على قول غيره، وخرَّج الأخفش «ولاتَ أوانٍ» على إضمار «حين» أي: ولاتَ حينُ أوانِ صُلْحٍ، فحُذفت «حين» وأُبقي «أوان» على جَرِّه[4]. وقيل: إنَّ «أوان» في البيت مبنيٌّ على الكسر، وهو مشَّبهٌ بـ «إذ» في قول أبي ذؤيب:

نهيتُكَ عن طِلابكَ أمَّ عمرٍو بعاقبةٍ وأنتَ إذٍ صحيحُ[5]

ووجهُ التشبيه أنه زمانٌ قُطع عنه المضافُ إليه؛ لأنَّ الأصلَ: أوانُ صُلْحٍ، وعُوِّضَ التنوينُ فكُسِرَ لالتقاء الساكنين لِكونه مبنياً مثله، فهما شبهان في أنهما مبنيَّان مع وجود تنوينٍ في آخرهما للعِوَض يوجبُ تحريكَ الآخر بالكَسْر، وإن كان سبب البناء في «أوان» دون «إذ» شَبَهُ الغايات حيثُ جُعلَ زماناً قُطع عنه المضاف إليه، وهو مرادٌ، وليس تنوينُ العِوَضِ مانعاً عن الإلحاق بها، فإنها تُبنى إذا لم يكن

---

(١) القراءات الشاذة ص١٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٤.

(٢) البيت في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧-٣٩٨، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٢، والكشاف ٣/ ٣٥٩، والخزانة ٤/ ١٦٩. وروايته في المصادر عدا الكشاف: وليس حين بقاء.

(٣) الكتاب ٢/ ٣٧٣.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٠.

(٥) البيت في ديوان الهذليين ١/ ٦٨، والخزانة ٦/ ٥٣٩.

تنوينٌ؛ لأنَّ عِلَّتَهُ الاحتياجُ إلى المحذوف، كاحتياج الحرف إلى ما يتمُّ به، وهذا المعنى قائمٌ نُوِّنَ أو لم ينوَّن، فإنَّ التنوينَ عِوَضٌ لفظيٌّ لا معنويٌّ، فلا تنافي بين التعويض والبناء، لكن اتفقَ أنهم لم يُعوِّضوا التنوينَ إلا في حال إعرابها، وكأنَّ ذلك لئلّا يتمحَّض للتعويض، بل يكونُ فيها معنى التمكُّن أيضاً، فلا منافاة، وثبتَ البناءُ فيما نحن فيه بدليلِ الكَسْر، وكانت العِلَّةُ التي في الغايات قائمةً، فأحيل البناءُ عليها، واتفق أنهم عوَّضوا التنوينَ هاهنا تشبيهاً بـ «إذ» في أنها لما قُطعتْ عن الإضافةُ نُوِّنَتْ، أو توفيةً لحقِّ اللفظ لمَّا فاتَ حقُّ المعنى، وخُرِّجتِ القراءةُ على حَمْل «مناصٍ» على أوانٍ في البيت؛ تنزيلاً لما أضيف إليه الظرفُ وهو «حين» منزلةَ الظرف؛ لأنَّ المضافَ والمضافَ إليه كشيءٍ واحدٍ، فقُدِّرتْ ظرفيَّتهُ وهو قد كان مضافاً؛ إذ[1] أصله: مناصهم، فقُطع وصارَ كأنه ظرفٌ مبنيٌّ مقطوعٌ عن الإضافة، منوَّنٌ لِقَطْعه، ثم بني ما أُضيف إليه وهو «حين» على الكَسْر لإضافته إلى ما هو مبنيٌّ فرضاً وتقديراً، وهو «مناص» المشابه لـ «أوان».

وأورد عليه أنَّ ما ذُكر من الحمل لم يُؤثِّر في المحمول نفسه، فكيف يُؤثِّرُ فيما يُضاف إليه، على أنَّ في تخريج الجرِّ في البيت على ذلك ما فيه، والعجبُ كلُّ العجب ممن يرتضيه.

وضَمُّ التاء على قراءة أبي السَّمَّال وكَسْرُها على قراءة عيسى للبناء، وروي عن عيسى: «ولاتُ حينُ» بالضمِّ «مناصَ» بالفتح[2]، قال صاحب «اللوامح»: فإنْ صَحَّ ذلك فلعلَّهُ بنى «حين» على الضَّمِّ تشبيهاً بالغايات، وبنى «مناصَ» على الفتح مع «لات»، وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، أي: ولاتَ مناصَ حينُ، لكن «لا» إنما تعمل في النكرات المتصلةِ بها دونَ المنفصلة عنها ولو بظرف، وقد يجوزُ أن يكونَ لذلك معنًى لا أعرفه. انتهى.

وأهونُ من هذا فيما أرى كون «حين» مُعرباً مضافاً إلى «مناص» والفتحُ لمجاورة واو العطف في قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟﴾ نظير فتح الراء من «غير» في قوله:

---

(١) في (م): إذا.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٨٤.

لم يمنعِ الشُّرْبَ منها غيرَ أنْ نطقتْ حمامةٌ في غصونٍ ذاتِ أوْقالِ[(١)]

على قولٍ، والأغلبُ على الظَّنِّ عدمُ صحة هذه القراءة.

وقرأ عيسى أيضاً كقراءة الجمهور إلا أنه كَسَرَ تاء «لاتِ»[(٢)].

وعُلم من هذه القراءات أنَّ في تائها ثلاث لغات.

واختلفوا في أمر الوقف عليها، فقال سيبويه والفرَّاء وابن كيسان والزجَّاج[(٣)]: يُوقَفُ عليها بالتاء، وقال الكسائيُّ والمبرِّد: بالهاء، وقال أبو عليٍّ: ينبغي أن لا يكون خلافٌ في أنَّ الوقفَ بالتاء؛ لأنَّ قَلْبَ التاء هاءً مخصوصٌ بالأسماء.

وزعم قومٌ أنَّ التاءَ ليست ملحقةً بـ «لا»، وإنما هي مزيدةٌ في أول ما بعدها. واختاره أبو عبيد[(٤)]، وذكر أنه رأى في الإمام[(٥)]: «ولا تحينَ مناص» برسم التاء مخلوطاً بأول حين، ولا يردُ عليه أنَّ خَطَّ المصحف خارجٌ عن القياس الخطِّيِّ؛ إذ لم يقعْ في الإمام في محلٍّ آخرَ مرسوماً على خلاف ذلك حتى يقالَ: ما هنا مخالفٌ للقياس، والأصلُ اعتبارهُ إلا فيما خَصَّه الدليل، ومن هنا قال السخاويُّ في «شرح الرائية»: أنا أَستحبُّ الوقفَ على «لا» بعد ما شاهدته في مصحف عثمان ﷺ، وقد سمعناهم يقولون: اذهبْ تلآن وتَحين، بدون «لا»، وهو كثيرٌ في النثر والنظم[(٦)]. انتهى، ومنه قوله:

---

(١) البيت لأبي قيس بن الأسلت، أو لأبي قيس بن رفاعة. ينظر شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٨٠، والخزانة ٣/ ٤١٣، وسلف ١٢/ ٦٩.

(٢) القراءات الشاذة ص١٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٤.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٨، وللزجاج ٤/ ٣٢٠.

(٤) في الأصل و(م): أبو عبيدة. والمثبت هو الصواب، ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢٩، والدر المصون ٩/ ٣٤٩، والخزانة ٤/ ١٧٥.

(٥) أي: مصحف عثمان ﷺ.

(٦) الوسيلة إلى كشف العقيلة لعلم الدين السخاوي ص٤٣٨، والعقيلة هي رائية الشاطبي المسماة: عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد.

العاطفونَ تَحِينَ لا مِنْ عاطف والمُطعمونَ زمانَ ما من مُطْعِمِ[(١)]

وكون أصله: العاطفونه، بِهَاء السكت، فلما أُثبتْ في الدَّرْج قُلبت تاء، مما لا يُصغَى إليه، نعم الأَولى اعتبارُ التاء مع «لا» لشهرة «حين» دون «تَحين»، وقال بعضهم: إنَّ «لات» هي ليس بعينها، وأصلُ ليس: لَيِسَ بكَسْر الياء، فأُبدلتْ أَلِفاً لتحرُّكها بعد فتحة، وأُبدلت السينُ تاءً كما في «سِتٌّ» فإنَّ أصله: سِدْسٌ.

وقيل: إنها فعلٌ ماضٍ، و«لات» بمعنى نَقَصَ وقلَّ، فاستعملتْ في النفي كـ : قلَّ. وليس بالمعوَّل عليه.

والمناصُ: المنجا والفَوْت، يقال: ناصَهُ ينوصُهُ: إذا فاته. وقال الفرَّاء: النَّوْصُ: التأخُّر[(٢)]. يقال: ناصَ عن قِرْنه ينوصُ نَوْصاً ومَناصاً، أي: فرَّ وزاغ، ويقال: استناصَ: طَلَبَ المناص، قال حارثة بن بدر يصفُ فرساً له:

غَمْرُ الجِراءِ إذا قَصَرْتُ عِنانَه بيَدي استناصَ ورامَ جَرْيَ المِسْحَلِ[(٣)]

وعلى المعنى الأول حمله بعضُهم هنا، وقال: المعنى: نادَوا واستغاثوا طَلَباً للنجاة، والحالُ أنْ ليسَ الحينُ حينَ فواتٍ ونجاة.

وعن مجاهدٍ تفسيرُهُ بالفرار، وأخرج الطستي عن ابن عباس أنَّ نافعَ بنَ الأزرق قال له: أَخبِرْني عن قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ فقال: ليس بحينِ فرارٍ، وأنشد له قولَ الأعشى:

تذكَّرتُ ليلى لاتَ حين تذكُّرٍ وقد بِنْتُ عنها والمناصُ بعيد[(٤)]

وعن الكلبيِّ أنه قال: كانوا إذا قاتلوا فاضطُرُّوا قال بعضهم لبعض: مناص؛ أي: عليكم بالفِرار، فلما أتاهم العذابُ قالوا: مناص، فقال الله تعالى: ﴿وَلَاتَ

---

(١) البيت لأبي وَجزة يزيد بن عبيد السعدي، وهو في الصحاح (حين)، والخزانة ٤/ ١٧٥.
(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٩٧.
(٣) البيت في العين ٧/ ١٦٠، والكشاف ٣/ ٣٥٩، واللسان (نوص).
(٤) الدر المنثور ٥/ ٢٩٦.

حِينَ مَنَاصٍ﴾. قال القشيري: فعلى هذا يكون التقدير: فنادَوا: مناص، فحذف لدلالة ما بعده عليه، أي: ليس الوقتُ وقتَ ندائكم به.

والظاهرُ أنَّ الجملةَ على هذا التفسير حاليةٌ، أي: نادَوا بالفرار وليس الوقتُ وقتَ فرار. وقال أبو حيان في تقرير الحالية: وهم لاتَ حين مناصٍ، أي: لهم[1]. وقال الجرجاني: أي: فنادَوا حين لا مناص، أي: ساعةَ لا منجا ولا فَوْتَ، فلما قدَّم «لا» وأخَّر «حين» اقتضى ذلك الواوَ، كما يقتضي الحالُ إذا جُعل مبتدأً وخبراً مثلَ: جاء زيدٌ راكباً، ثم تقول: جاء زيدٌ وهو راكبٌ، فـ «حين» ظرفٌ لقوله تعالى: ﴿فَنَادَوا﴾. انتهى.

وكون الأصل ما ذكر أنَّ «حين» ظرفٌ لـ «نادَوا» دعوى أعجميةٌ مخالفةٌ لذوق الكلام العربي لا سيَّما ما هو أفصحُ الكلام، ولا أدري ما الذي دعاه لذلك.

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ حكايةٌ لأباطيلهم المتفرِّعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم، أي: عجبوا من أن جاءهم رسولٌ من جنسهم، أي: بشرٌ، أو من نوعهم وهم معروفون بالأمِّيَّة، فيكون المعنى: رسولٌ أميٌّ، والمراد أنهم عَدُّوا ذلك أمراً عجيباً خارجاً عن احتمال الوقوع، وأنكروه أشدَّ الإنكار، لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجَّبوا منه.

﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وُضِعَ فيه الظاهرُ موضِعَ الضمير؛ غَضَباً عليهم وذمّاً لهم، وإيذاناً بأنه لا يتجاسرُ على مثل ما يقولون إلا المتوغِّلون في الكُفْر والفسوق.

﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ﴾ فيما يُظهِره مما لا نستطيع له مثلاً ﴿كَذَّابٌ ۝٤﴾ فيما يُسنده إلى الله عزَّ وجلَّ من الإرسال والإنزال.

﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ بأن نفى الأُلوهيةَ عنها وقَصَرَها على واحدٍ، فالجَعْلُ بمعنى التصيير، وليس تصييراً في الخارج، بل في القول والتسمية كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف:١٩] وليس ذلك من باب إنكار وَحْدة الوجود في شيءٍ، ليقال: إنَّ الله سبحانه نعى على الكَفَرة ذلك

(١) البحر ٧/ ٣٨٤.

الإنكار فتثبتُ الوحدة، فإنه عليه الصلاة والسلام ما قال باتحاد آلهتهم معه عزَّ وجلَّ في الوجود.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ أي: بليغٌ في العَجَب، فإنَّ فُعالاً بناءُ مبالغةٍ كـ: رجل طُوال وسُراع، ووَجْهُ تعجُّبهم أنه خلافُ ما أَلْفَوا عليه آباءَهم الذين أجمعوا على تعدُّد الآلهة، وواظبوا على عبادتها، وقد كان مدارُهم في كلٍّ ما يأتونَ ويَذَرونَ التقليدَ، فيعدُّونَ خلافَ ما اعتادوه عجيباً بل محالاً.

وقيل: مدارُ تعجُّبهم زعمهُمْ عدم وفاء عِلْم الواحد وقدرته[1] بالأشياء الكثيرة، وهو لا يتمُّ إلا إن ادّعوا لآلهتهم علماً وقدرةً، والظاهرُ أنهم لم يدَّعوهما لها: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقرأ عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه، والسُّلَميُّ وعيسى وابن مقسم: «عُجَّاب» بشَدِّ الجيم[2]، وهو أبلغُ من المخفَّف، وقال مقاتل: «عُجَّاب» لغةُ أَزْدشنوءة، أخرج أحمد وابن أبي شيبةَ وعبدُ بن حميد والترمذيُّ وصححه، والنسائيُّ وابن جرير وغيرهم[3] عن ابن عباس قال: لما مرضَ أبو طالب دخل عليه رهطٌ من قريش فيهم أبو جهل، فقالوا: إن ابنَ أخيك يشتمُ آلهتنا، ويفعلُ ويقولُ ويقولُ، فلو بعثتَ إليه فنهيتَهُ. فبعثَ إليه، فجاء النبيُّ ﷺ فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قَدْرُ مجلسٍ، فخشيَ أبو جهلٍ إن جلس إلى أبي طالبٍ أن يكونَ أرقَّ عليه، فوَثَبَ فجلس في ذلك المجلس، فلم يجدْ رسولُ الله ﷺ مجلساً قُرْبَ عمِّه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابنَ أخي، ما بالُ قومك يشكونك، يزعمون أنك تشتمُ آلهتَهم، وتقولُ وتقولُ؟! قال: وأكثَروا عليه من القول، وتكلَّم رسولُ الله ﷺ فقال: «يا عمّ، إني أُريدهم على كلمةٍ واحدةٍ يقولونها، يدينُ لهم بها العرب، وتؤدِّي إليهم بها العَجَمُ الجزيةَ» ففرحوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: ما هي وأبيكَ؟

---

(١) في الأصل و(م): قدره. والمثبت من إرشاد العقل السليم ٧/ ٢١٥ والكلام منه.

(٢) القراءات الشاذة ص١٢٩، والمحتسب ٢/ ٤٠٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، والبحر ٧/ ٣٨٥.

(٣) أحمد (٣٤١٩)، وابن أبي شيبة ١٤/ ٢٩٩، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في الكبرى (١١٣٧٢)، وابن جرير ٢٣/ ١٩. وفي مطبوع الترمذي أنه حديث حسن.

لنعطينَّكها وعَشْراً، قال: «لا إله إلا الله»، فقاموا فَزِعينَ ينفضونَ ثيابهم وهم يقولون: أَجَعَلَ الآلهةَ إلهاً واحداً، إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب. وفي روايةٍ أنهم قالوا: سَلْنا غيرَ هذا، فقال عليه الصلاة والسلام: «لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرَها» فغضبوا وقاموا غِضاباً قالوا: والله لنشتمنَّكَ وإلهكَ الذي يأمرك بهذا.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ أي: وانطلق الأشرافُ من قريشٍ من مجلس أبي طالب بعد ما بَكَّتَهُمْ رسولُ الله ﷺ، وشاهدوا تصلُّبه في الدين، ويئسوا مما كانوا يرجونه منه عليه الصلاة والسلام بواسطة عمِّه، وكان منهم أبو جهلٍ، والعاصُ بنُ وائل، والأسودُ بنُ المطلب بن عبد يغوث، وعقبةُ بن أبي مُعيط.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن أبي مجلز قال: قال رجلٌ يومَ بدرٍ: ما هم إلا النساء، فقال رسول الله ﷺ: «بل هم الملأُ» وتلا: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾[1].

﴿أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ الظاهرُ أنه أمرٌ بالمشي بمعنى نَقْلِ الأقدام عن ذلك المجلس، و«أن» مفسِّرة، فقيل: في الكلام محذوفٌ وَقَعَ حالاً من «الملأ»، أي: انطلقَ الملأُ يتحاوَرون، والتفسير لذلك المحذوف، وهو متضمِّنٌ معنى القول دون لفظه.

وقيل: لا حاجةَ إلى اعتبار الحذف، فإنَّ الانطلاقَ عن مجلس التقاول يستلزمُ عادةً تفاوضَ المنطلقين وتحاورَهم بما جرى فيه، وتضمُّنُ المفسَّر لمعنى القول أعمّ من كونه بطريق الدلالة وغيرها، كالمقارنة، ومثلُ ذلك كافٍ فيه.

وقيل: الانطلاقُ هنا الاندفاعُ في القول، فهو متضمِّنٌ لمعنى القول بطريق الدلالة، وإطلاقُ الانطلاق على ذلك، الظاهرُ أنه مجازٌ مشهورٌ نُزِّلَ منزلةَ الحقيقة، وجُوِّزَ أن يكون التجوُّز في الإسناد، وأصله: انطلقتْ ألسنتهم، والمعنى: شَرَعوا في التكلُّم بهذا القول.

وقال بعضهم: المراد بـ«امشوا»: سيروا على طريقتكم وداوموا على سيرتكم.

---

(١) تفسير أبي حاتم ١٠/٣٢٣٦.

وقيل: هو من مَشَتِ المرأةُ، إذا كَثُرَتْ ولادتها، ومنه الماشيةُ، وسُمِّيتْ بذلك لأنها من شأنها كثرةُ الولادة، أو تفاؤلاً بذلك، والمرادُ لازمُ معناه، أي: أكثِروا واجتمعوا.

وقيل: هو دعاءٌ بكثرة الماشية، افتتحوا به كلامهم للتعظيم، كما يقال: أسلمْ أيها الأمير، واختاروه من بين الأدعية لِعِظَمِ شأن الماشية عندهم.

وتُعُقِّب بأنه خطأٌ؛ لأنَّ فِعْلَهُ مزيدٌ، يقال: أَمشى إذا كَثُرَتْ ماشيتُهُ، فكان يلزمُ قَطْعُ همزته، والقراءة بخلافه، مع أنَّ إرادةَ هذا المعنى هنا في غاية البعد.

وأيَّاما كان فالبعض قال للبعض ذلك، وقيل: قال الأشرافُ لأتباعهم وعوامِّهم. وقرئ: «امشوا» بغير «أن»[1]، على إضمار القول دون إضمارها، أي: قائلين: امشوا.

﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ أي: اثبتوا على عبادتها متحمِّلينَ لما تسمعونه في حقِّها من القَدْح.

وقرأ ابنُ مسعود: «وانطلقَ الملأ منهم يمشونَ أنِ اصبروا»[2] فجملةُ «يمشون» حاليةٌ أو مستأنفةٌ، والكلام في «أنِ اصبروا» كما في «أن امشوا» سواءٌ تعلَّقَ بـ: «انطلق» أو بما يليه.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ تعليلٌ للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به، والإشارةُ إلى ما وقع وشاهدوه من أمر النبيِّ ﷺ وتصلُّبه في أمر التوحيد ونفي أُلوهية آلهتهم، أي: إنَّ هذا لشيءٌ عظيمٌ يُرادُ من جهته ﷺ إمضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارفٍ يلويه ولا عاطفٍ يثنيه، لا قولٌ يقالُ من طَرَفِ اللسان، أو أمرٌ يُرجى فيه المسامحةُ بشفاعة إنسان، فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله إلى إرادتكم، واصبروا على عبادة آلهتكم.

وقيل: إنَّ هذا الأمرَ لشيءٌ من نوائب الدهر يُراد بنا، فلا حيلةَ إلا تجرُّع مرارة الصبر.

(١) الكشاف ٣/ ٣٦٠-٣٦١، وتفسير الرازي ٢٦/ ١٧٨.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٤، والكشاف ٣/ ٣٦١، وتفسير البيضاوي ٥/ ١٥.

وقيل: إنَّ هذا الذي يدَّعيه من أمر التوحيد، أو يقصده من الرياسة والترفُّع على العرب والعجم، لشيءٌ يتمنَّى أو يريده كلُّ أحدٍ، ولكن لا يكونُ لكلٍّ ما يتمنَّاه أو يريده، فاصبروا.

وقيل: إنَّ هذا، أي: دينكم يُطلَبُ ليُنتزَعَ منكم ويطرح، أو يُراد إبطاله.

وقيل: الإشارةُ إلى الصبر المفهوم من «اصبروا» أي: إنَّ الصبرَ لشيءٌ مطلوبٌ؛ لأنه محمودُ العاقبة.

وقال القفال: هذه كلمةٌ تُذكَرُ للتهديد والتخويف، والمعنى أنه ليس غرضُهُ من هذا القول تقرير الدين، وإنما غرضُهُ أن يستوليَ علينا، فيحكم في أموالنا وأولادنا بما يُريد. فتأمل.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي يقوله ﴿فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب ومقاتل: أرادوا مِلَّةَ النصارى. والتوصيفُ بالآخرة بحَسَبِ الاعتقاد؛ لأنهم الذينَ لا يؤمنون بنبوَّةِ محمد ﷺ، ومرادهم من قولهم: «ما سمعنا» إلخ: إنَّا سمعنا خلافَهُ، وهو عدمُ التوحيد، فإنَّ النصارى كانوا يُثَلِّثون، ويزعمون أنه الدينُ الذي جاء به عيسى عليه السلام، وحاشاه.

وعن مجاهدٍ أيضاً وقتادة: أرادوا مِلَّةَ العرب ونِحْلَتها التي أَدركوا عليها آباءهم.

وجُوِّزَ أن يكونَ «في الملَّة الآخرة» حالاً من اسم الإشارة، لا متعلِّقاً بـ «سمعنا»، أي: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه من التوحيد كائناً في المِلَّة التي تكونُ آخرَ الزمان، أرادوا أنهم لم يسمعوا من أهل الكتاب والكُهَّان الذين كانوا يُحدِّثونهم قبل بعثة النبيِّ ﷺ بظهور نبيٍّ أنَّ في دينه التوحيد، ولقد كذبوا في ذلك، فإنَّ حديثَ أنَّ النبيَّ المبعوثَ آخر الزمان يكسرُ الأصنامَ ويدعو إلى توحيد الملك العلَّام، كان أشهرَ الأمور قبل الظهور، وإن أرادوا على هذا المعنى: إنَّا سمعنا خلافَ ذلك، فكذِبهم أقبح.

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا ﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ أي: افتعالٌ وافتراءٌ من غير سَبْق مَثَلٍ له.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ أي: القرآن ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ ونحن رؤساءُ الناس وأشرافهم، كقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] ومرادهم إنكار كونه ذِكْراً مُنزلاً من عند الله تعالى كقولهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١] وأمثالُ هذه المقالات الباطلة دليلٌ على أنَّ مناطَ تكذيبهم ليس الحسد وقَصْر النظر على الحطام الدنيوي.

﴿بَل هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ من القرآن الذي أنزلته على رسولي المشحون بالتوحيد؛ لميلهم إلى التقليد، وإعراضهم عن الأدلة المؤدِّية إلى العلم بحقِّيَّته، وليس في عقيدتهم ما يقطعونَ به، فلذا تراهم ينسبونه إلى السِّحر تارةً، وإلى الاختلاق أخرى، فـ «بل» للإضراب عن جميع ما قبله، و«بل» في قوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ إضرابٌ عن مجموع الكلامين السابقين: حديثِ الحسد في قوله تعالى: «أأنزل» إلخ، وحديثِ الشَّكِّ في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ أي: لم يذوقوا عذابي بعد، فإذا ذاقوه زالَ عنهم ما بهم من الحسد والشك حينئذٍ، يعني: أنهم لا يُصدِّقونَ إلا أن يمسَّهمُ العذابُ، فيضطرُّوا إلى التصديق. أو إضرابٌ عن الإضراب قبله، أي: لم يذوقوا عذابي بعدُ، فإذا ذاقوه زالَ شَكُّهم واضطرُّوا إلى التصديق بذِكْري، والأول على ما في «الكشف» هو الوجهُ السديدُ، وينطبقُ عليه ما بعدُ من الآيات.

وقيل: المعنى: لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن، ولذلك شكُّوا فيه. وهو كما ترى. وفي التعبير بـ «لمَّا» دلالةٌ على أنَّ ذَوْقَهم العذابَ على شرف الوقوع.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ في مقابلة قوله سبحانه: «أأنزل» إلخ، ونظيره في رَدِّ نظيره: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف:٣١] و«أم» منقطعةٌ مقدَّرةٌ بـ «بل» والهمزة، والمراد بالعِنْدية الملك والتصرُّف، لا مجرَّدُ الحضور.

وتقديمُ الظرف لأنه محلُّ الإنكار، أي: بل أيملكونَ خزائنَ رحمته تعالى، ويتصرَّفون فيها حسبما يشاؤون، حتى إنهم يصيبون بها مَنْ شاؤوا، ويصرفونها عمَّن شاؤوا، ويتحكَّمون فيها بمقتضى رأيهم فيتخيَّروا للنبوَّة بعضَ صناديدهم.

وإضافة الرَّبِّ إلى ضميره ﷺ للتشريف واللطف به عليه الصلاة والسلام.

و«العزيزُ»: القاهرُ على خَلْقه، و«الوهابُ»: الكثيرُ المواهب المصيبُ بها مواقعها، وحديثُ العزَّة والقهر يناسبُ ما كانوا عليه من ترفُّعهم بالنبوَّة عنه ﷺ تجبُّراً.

والمبالغةُ في «الوهَّاب» من طريق الكَمِّيَّة تناسِبُ قوله تعالى: «خزائن» وتدلُّ على حرمانٍ لهم عظيم، وفي ذلك إدماجُ أنَّ النبوةَ ليست عطاءً واحداً بالحقيقة، بل يتضمَّنُ عطايا جَمَّة تفوتُ الحَصْرَ، وهي من طريق الكيفية المشار إليها بإصابة المواقع؛ للدلالة على أنَّ مستحقَّ العطاء ومحلَّهُ مَنْ وُهِبَ ذلك وهو النبيُّ ﷺ، وفي الوصف المذكور أيضاً إشارةٌ إلى أنَّ النبوَّةَ موهبةٌ ربانيَّةٌ.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ترشيحٌ لما سبقَ، أي: بل أَلَهُمْ ملكُ هذه الأجرام العلوية والأجسام السفلية، حتى يتكلَّموا في الأمور الربانية، ويتحكَّموا في التدابير الإلهيَّة التي يستأثر بها ربُّ العزَّة والكبرياء.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ جوابُ شَرْطٍ محذوف، أي: إن كان لهم ما ذُكر من الملك، فليصعدوا في المعارج والمناهج التي[1] يتوصَّل بها إلى السماوات، فليدبِّروها وليتصرَّفوا فيها، فإنهم لا طريقَ لهم إلى تدبيرها والتصرُّف فيها إلا ذاك. أو: إن ادَّعوا ما ذُكر من الملك، فليصعدوا وليتصرَّفوا حتى يُظَنَّ صِدْقُ دعواهم، فإنه لا أمارةَ عندهم على صِدْقها، فلا أقلَّ من أن يجعلوا ذلك أمارة.

وقال الزمخشريُّ ومتابعوه: أي: فليصعدوا في المعارج والطُّرق التي يُتوصَّل بها إلى العرش، حتى يستووا عليه ويدبِّروا أمرَ العالَم وملكوتَ الله تعالى، ويُنزلوا الوحيَ إلى مَنْ يختارونَ ويستصوبون[2]. وهو مناسبٌ للمقام، بَيْدَ أنَّ فيه دغدغة.

وأيَّاما كان ففي أمرهم بذلك تهكُّمٌ بهم لا يخفى.

---

(١) في (م): الذي.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٦١-٣٦٢.

والسببُ في الأصل: الوصلةُ من الحبل ونحوه. وعن مجاهدٍ: الأسبابُ هنا أبوابُ السماوات. وقيل: السماواتُ أنفسُها؛ لأنَّ الله تعالى جَعَلَها أسباباً عادية للحوادث السفلية.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ أي: هم جندٌ.. إلخ، فـ «جندٌ» خبرُ مبتدأ محذوف مقدَّر مقدَّماً كما هو الظاهر، و«ما» مزيدةٌ، قيل: للتقليل والتحقير، نحو: أكلتُ شيئاً ما. وقيل: للتعظيم والتكثير. واعترض بأنه لا يلائمه «مهزوم». وأُجيب بأنَّ الوَصْفَ بالعَظَمة والكَثْرة على سبيل الاستهزاء، فهي بحَسَبِ اللَّفظ عظمةٌ وكثرةٌ، وفي نفس الأمر ذِلَّةٌ وقِلَّةٌ، ورُجِّحَ بأنَّ الأكثرَ في كلامهم كونها للتعظيم، نحو: لأمرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَه، لأمرٍ ما يسودُ من يسود. وقول امرئ القيس[1]:

وحـديـثُ الـرَّكْـبِ يـومَ هُـنـا ... وحـديـثٌ مـا عـلـى قِـصَـرِهْ

مع أنَّ الكلامَ لتسليته ﷺ وتبشيره بانهزامهم، وذلك أكملُ على هذا التقدير، بل قيل: إنَّ التبشيرَ بخذلان عدوٍّ[2] حقيرٍ، ربما أشعرَ بإهانةٍ وتحقير:

ألـم تـرَ أنَّ الـسـيـفَ يـنـقـصُ قَـدْرُهُ ... إذا قيل إنَّ السيفَ أمضى من العصا[3]

وفيه نظرٌ. و«هنالك» صفةُ «جند» أو ظرفُ «مهزوم»، وهو إشارةٌ إلى المكان البعيد، وأُريد به على قولٍ المكانُ الذي تفاوضوا فيه مع الرسول ﷺ بتلك الكلمات السابقة، وهو مكة، وجُعل ذلك إخباراً للغيب عن هزيمتهم يومَ الفتح. وقيل: يوم بدر، وروي ذلك عن مجاهد وقتادة، وأنت خبيرٌ بأنَّ «هنالك» إذا كان إشارةً إلى مكة ومتعلِّقاً بـ «مهزومٍ» لا يتسنَّى هذا إلا إذا أُريد من مكة ما يشملُ بَدْراً.

و«مهزومٌ» خبرٌ بعد خبر، وأصلُ الهَزْمِ: غَمْزُ الشيء اليابس حتى ينحطمَ، كَهَزْمِ الشَّنِّ، وهَزْمِ القِثَّاء والبطِّيخ، ومنه الهزيمةُ؛ لأنه كما يُعبَّر عنه بذلك، يُعبَّر عنه[4]

(١) البيت في ديوانه ص١٢٧.
(٢) في (م): عدد. والمثبت من الأصل وحاشية الشهاب ٧/ ٣٠٠ والكلام منه.
(٣) نُسب في يتيمة الدهر ٥/ ٢٩٩ للشيخ أبي بكر.
(٤) قوله: بذلك يُعبَّر عنه. ليس في (م).

بالحطم والكسر، والتعبيرُ عمَّا لم يقع باسم المفعول المُؤْذِنِ بالوقوع ـ على ما في بعض «شروح الكشاف» ـ للإيذان بشدَّةِ قُرْبه، حتى كأنه محقَّقٌ.

و«من الأحزاب» صفةُ «جند»، أي: هم جندٌ قليلونَ أذلَّاء، أو كثيرونَ عظماء كائنونَ هنالك، من الكفار المتحزِّبين على الرسل، مكسورونَ عن قريبٍ، أو جندٌ من الأحزاب مكسورونَ عن قريبٍ في مكانهم الذي تكلَّموا فيه بما تكلَّموا، فلا تبالِ بما يقولون، ولا تكترثْ بما يَهذُونَ.

وقال أبو البقاء: «جندٌ» مبتدأٌ، و«ما» زائدةٌ، و«هنالك» نعتٌ، وكذا «من الأحزاب»، و«مهزومٌ» خبرٌ[1]. وتعقَّبهُ أبو حيان بأنَّ فيه بُعْداً لِتَفلُّته عن الكلام الذي قبله[2].

واعتبر الزمخشريُّ الحَصْرَ، أي: ما هم إلا جندٌ من المتحزِّبينَ مهزومٌ عن قريب، لا يتجاوزونَ الجنديةَ المذكورةَ إلى الأمور الربانية[3]. وهو حَسَنٌ إلا أنه اختلفَ في منشأ ذلك فقيل: إنه كان حقُّ «الجند» أن يُعرَّفَ؛ لكونه معلوماً، فَنُكِّرَ سَوْقاً للمعلوم مَساقَ المجهول، كأنه لا يُعرَفُ منهم إلا هذا القَدْرُ، وهو أنهم جندٌ بهذه الصفة.

وقال صاحب «الكشف»: إنه التفخيمُ المدلولُ عليه بالتنكير وزيادة «ما» الدالة على الشيوع وغاية التعظيم لدلالتهما على اختصاص الوَصْف بالجندية من بين سائر الصفات، كأنه لا وَصْفَ لهم غيرها. وفيه منعٌ ظاهرٌ.

ويُفهِمُ كلامُ العلّامة الثاني أنه اعتبار كون «جند» خبراً مقدَّماً لمبتدأ محذوفٍ؛ لأنَّ المقامَ يقتضي الحَصْرَ. فتدبَّر ولا تغفل.

وجعل الزمخشريُّ «هنالك» الموضوعَ للإشارة إلى المكان البعيد مستعاراً للمرتبة من العلوِّ والشرف، على أنه إشارةٌ إلى حيثُ وَضَعوا فيه أنفسَهم من

---

(١) الإملاء ٤/ ٢٤٦.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٨٦. والدر المصون ٩/ ٣٦٠، ووقع في مطبوع البحر: لفصله. بدل: لتفلته.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٤.

الانتداب لمثل ذلك القول العظيم، كما في قولهم لمن انتُدِبَ لأمرٍ ليس من أهله: لستَ هنالك[1]. وفيه إيماءٌ إلى عِلَّةِ الذَّمِّ؛ وجُوِّزَ على هذا أن تكونَ «ما» نافيةً، أي: هم جندٌ ليسوا حيثُ وضعوا أنفسهم.

وتُعقِّبَ بأنه مما لم يَقلْهُ أحدٌ من أهل العربية، ولا يليقُ بالمقام، وفيه بحثٌ.

وجُوِّزَ أن تكون «هنالك» إشارة إلى الزمان البعيد، وهي ـ كما قال ابن مالك ـ قد يُشارُ بها إليه، نحو قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠] وتتعلَّق بـ «مهزومٍ».

والكلامُ إخبارٌ بالغيب إما عن هزيمتهم يومَ الفتح، أو يومَ بدر كما تقدَّم حكايته، أو يومَ الخندق. ولا يخفى ما فيه.

وقيل: إشارةٌ إلى زمان الارتقاء في الأسباب، أي: هؤلاء القومُ جندٌ مهزومٌ إذا ارتقوا في الأسباب. وليس بالمَرْضيِّ.

وقيل: «ما» اسمٌ موصولٌ مبتدأٌ، و«هنالك» في موضع الصِّلة، و«جندٌ» خبرٌ مقدَّمٌ، و«مهزومٌ» و«من الأحزاب» صفتان، وهما المقصودان بالإفادة، و«ما هنالك» إشارةٌ إلى مكة، والمرادُ من الذين فيها: المشركون، والتعبيرُ عنهم بـ «ما» لأنهم كالأنعام بل هم أضلُّ، وقيل: الأصنامُ وعَبَدَتُها، وأمْرُ التعبير بـ «ما» عليه أظهر. ويقال فيه نحو ما قاله أبو حيان في كلام أبي البقاء وزيادةٌ لا تخفى.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ إلى آخره، استئنافٌ مقرِّرٌ لمضمون ما قبله ببيان أحوال العُتاة الطُّغاة مما فعلوا من التكذيب وفُعل بهم من العقاب، و«ذو الأوتاد» صفةُ «فرعون»، لا لجميع ما قبله، وإلا لقيل: ذوو الأوتاد.

و«الأوتاد» جمعُ: وَتِدٍ، وهو معروفٌ، وكَسْرُ التاء فيه أشهرُ من فتحها، ويقال: وَتِدٌ واتِدٌ، كما يقال: شُغلٌ شاغلٌ. قاله الأصمعيُّ، وأنشد:

---

(١) المصدر السابق.

لاقَتْ على الماء جُذَيلاً واتِدا ولم يكن يُخلِفُها المَواعِدا[1]

وقالوا: وَدّ، بإبدال التاء دالاً والإدغام، وَ: وتّ، بإبدال الدال تاءً، وفيه قَلْبُ الثاني للأول، وهو قليلٌ، وأصلُ إطلاق ذلك على البيت المُطْنِب بأوتاده، وهو لا يثبتُ بدونها كما قال الأعشى:

والبيتُ لا يُبتَنى إلا على عمدٍ ولا عمادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ[2]

فقيل: إنه شُبِّهَ هنا فرعونُ في ثبات مُلْكه ورسوخ سَلْطنته ببيتٍ ثابتٍ أُقيم عمادُهُ وثبتتْ أوتادُهُ؛ تشبيهاً مُضمَراً في النفس على طريق الاستعارة المكنية، وَوُصِفَ بذي الأوتاد على سبيل التخييل، فالمعنى: كذَّبتْ قبلَهم قومُ نوحٍ وعادٌ وفرعونُ الثابتُ مُلْكُهُ وسَلْطنته.

وقيل: شُبِّهَ الملكُ الثابتُ من حيثُ الثباتُ والرسوخُ بذي الأوتاد، وهو البيتُ المُطْنِبُ بأوتاده، واستعيرَ ذو الأوتاد له على سبيل الاستعارة التصريحية. قيل: وهو أظهرُ مما مرَّ، نهايته أنه وُصِفَ بذلك فرعونُ مبالغةً لِجَعْله عين مُلكه، والمعنى على وَصْفه بثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الأمر.

وقال ابن مسعود وابن عباس في رواية عطية: «الأوتادُ»: الجنودُ يُقوُّون مُلْكَهُ كما يقوِّي الوتدُ الشيءَ، أي: وفرعونُ ذو الجنود. فالاستعارةُ عليه تصريحيةٌ في الأوتاد، وقيل: هو مجازٌ مرسلٌ للزوم الأوتاد للجند.

وقيل: المباني العظيمة الثابتة، وفيه مجازٌ أيضاً.

وقال ابن عباس في روايةٍ أخرى، وقتادة وعطاء: كانت له ـ عليه اللَّعنةُ ـ أوتادٌ وخُشُبٌ يُلعَبُ له بها وعليها.

---

(١) البيت لأبي محمد الفقعسي، وهو في اللسان (وتد). والشطر الأول منه في زهر الأكم ١/ ٨٦.

(٢) لم نقف عليه عن الأعشى، ونسب للأفوه الأودي في العقد الفريد ١/ ٩، والتمثيل والمحاضرة ص٥١، وأمالي القالي ٢/ ٢٢٤، والحماسة البصرية ٢/ ٦٩. والأفوه اسمه: صلاءة بن عمرو.

وقيل: كان يشبحُ المعذَّبَ بين أربع سَوارٍ، كلُّ طَرَفٍ من أطرافه إلى سارية، ويَضربُ في كلٍّ وَتِداً من حديد، ويتركه حتى يموت، وروي معناه عن الحسن ومجاهد.

وقيل: كان يمدُّه بين أربعة أوتادٍ في الأرض، ويُرسل عليه العقاربَ والحيَّات.

وقيل: يشدُّهُ بأربعة أوتادٍ، ثم يرفعُ صَخْرةً فتلقَى عليه فتشدَخُهُ.

وعلى هذه الأقوال الأربعة، فالأوتادُ ثابتةٌ على حقيقتها.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ أصحابُ الغيضة، وهم الذين أُرسل إليهم شعيبٌ عليه السلام، نُسبوا إلى غيضةٍ كانوا يسكنونها. وقيل: الأيكةُ: اسمُ بلدٍ لهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المكذِّبون ﴿ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ أي: الكفار المتحزِّبون على الرسل عليهم السلام، والمهزومون، وهو مبتدأٌ وخبرٌ، ويُفهمُ من ذلك أنَّ الأحزابَ الذين جُعل الجندُ المهزومُ منهم هم هم، وأنهم الذين وُجِدَ منهم التكذيبُ؛ لأنَّ المبتدأَ والخبرَ في مثله متعاكسان رأساً برأس، لا لأنَّ «أولئك» إشارةٌ إلى الأحزاب أولاً، والأحزابُ ثانياً هم المكذِّبون.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ استئنافٌ جيءَ به تقريراً لتكذيبهم على أبلغ وَجْهٍ، وتمهيداً لما يعقبهُ، فـ «إن» نافيةٌ، ولا عملَ لها؛ لانتقاض النفي بـ «إلا»، و«كلٌّ» مبتدأٌ، والاستثناءُ مفرغٌ من أعمِّ العام، وهو الخبر، أي: ما كلُّ حِزْبٍ من الأحزاب محكوماً عليه بحُكمٍ إلا محكوماً عليه بأنه كذَّبَ الرسلَ، أو مُخبَراً عنه بخبرٍ إلا مُخبَراً عنه بأنه كذَّبَ الرسلَ؛ لأنَّ الرسلَ يُصدِّقُ كلٌّ منهم الكُلَّ، وكلُّهم متَّفقونَ على الحقِّ، فتكذيبُ كلٍّ واحدٍ منهم تكذيبٌ لهم جميعاً.

وجُوِّزَ أن يكونَ من مقابلة الجمع، أي: ما كلُّهم محكوماً عليه بحُكْم، أو مخبراً عنه بشيءٍ إلا محكوماً عليه ـ أو إلا مُخبَراً عنه ـ بأنه كذَّب رسوله.

والحصرُ مبالغةٌ، كأنَّ سائرَ أوصافهم بالنظر إلى ما أُثبتَ لهم بمنزلة العَدَم، فيدلُّ على أنهم غالونَ في التكذيب، ويدلُّ على غُلوِّهم فيه أيضاً إعادتُهُ متعلِّقاً بالرسل، وتنويعُ الجملتين على اسميةٍ استثنائيةٍ وغيرها، أعني قوله تعالى: «كذبت

قبلهم» إلخ، وجَعْل كلِّ فرقةٍ مكذِّبةٍ للجميع على الوجه الأول، ويُسجِّلُ ذلك عليهم استحقاقَهم أشدَّ العقابَ، ولذا رُتِّبَ عليه قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ أي: ثبتَ وَوَقَعَ على كلٍّ منهم عقابي الذي كانت تُوجبه جناياتهم من أصناف العقوبات، فأغرقَ قومَ نوحٍ، وأهلكَ فرعونَ بالغرق، وقومَ هودٍ بالريح، وثمودَ بالصَّيحةِ، وقومَ لوطٍ بالخَسْفِ، وأصحابَ الأيكة بعذابِ الظُّلَّة.

وجُوِّزَ أن يكونَ «أولئك الأحزاب» بدلاً من الطوائف المذكورة، والجملةُ بعدُ مستأنفةٌ لما سمعتَ، وأن يكونَ مبتدأً، والجملة بعده خبرٌ بحَذْفِ العائد، أي: إن كلٌّ منهم ـ أو كلُّهم ـ إلا كذَّب الرسلَ، والمجموعُ استئنافٌ مقرِّرٌ لما قبله، مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم، وكلاهما خلافُ الظاهر.

وأما ما قيل من أنه خبرٌ، والمبتدأ قوله تعالى: «وعاد» إلخ أو: قوله تعالى: «وقوم لوط» إلخ = فمما يجبُ تنزيهُ ساحة التنزيل عن أمثاله.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾﴾ شروعٌ في بيان عقاب كفار مكةَ، إثرَ بيان عقاب أضرابهم، فإنَّ الكلامَ السابقَ مما يُوجبُ ترقُّبَ السامع بيانه، والنظرُ: بمعنى الانتظار، وعُبِّر به مجازاً بجَعْلِ مُحقَّقِ الوقوع كأنه أمرٌ منتظرٌ لهم، والإشارة بـ «هؤلاء» للتحقير، والمرادُ بالصَّيحة الواحدةِ النفخةُ الثانية، أي: ما ينتظرُ هؤلاء الكَفَرةُ الحقيرونَ الذين هم أمثالُ أولئك الطوائف المهلَكَةِ في الكُفْر والتكذيب شيئاً إلا النفخة الثانية التي تقومُ بها الساعة. قاله قتادة. وليس المرادُ أنها نفسها عقابٌ لهم؛ لعمومها للبَرِّ والفاجر من جميع الأمم، بل المراد أنه ليس بينهم وبين ما أُعِدَّ لهم من العذاب إلا هي، لتأخير عقوبتهم إلى الآخرة، لما أنَّ تعذيبَهُمْ بالاستئصال حسبما يستحقُّونه والنبيُّ ﷺ موجودٌ، خارجٌ عن السنة الإلهية المبنية على الحِكَم الباهرة، كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ [الأنفال:٣٣] إذ المراد من «وأنت فيهم» وجوده عليه الصلاة والسلام، لا مجاورته لهم كما تُوهِّم، حتى يقال: لا دلالةَ في الآية على امتناع وقوعه بعد الهجرة؛ لمخالفته للتفسير المشهور.

وقيل: المراد بالصيحة المذكورة النفخةُ الأولى. وتُعقِّبَ بأنه مما لا وَجْهَ له أصلاً؛ لما أنه لا يُشاهِدُ هولَها ولا يُصعَقُ بها إلا مَنْ كان حيّاً عند وقوعها، وليس عقابهم الموعودُ واقعاً عَقيبها، ولا العذابُ المطلَقُ مؤخَّراً إليها، بل يَحِلُّ بهم من حينِ موتهم.

وقيل: المراد صيحةٌ يهلكون بها في الدنيا، كما هلكتْ ثمود، ولا يخفى أنَّ هذا تعذيبٌ بالاستئصال، وهو مما لا يقعُ كما سمعتَ، فلا يكونُ منتظراً.

وقال أبو حيان: الصيحةُ: ما نالهم من قَتْلٍ وأَسْرٍ وغَلَبةٍ، كما تقولُ: صاحَ بهم الدهر[1]. فهي مجازٌ عن الشَّرِّ كما في قولهم: ما ينتظرون إلا مثلَ صيحةِ الحُبْلى، أي: شرّاً يعاجلهم، وفيه بُعْدٌ.

وجُوِّزَ جَعْلُ «هؤلاء» إشارة إلى الأحزاب، ولمَّا سبق ذِكْرهم مكرَّراً مؤكَّداً استحضَرَهم المخاطَبُ في ذهنه، فَنُزِّلَ الوجودُ الذهنيُّ منزلةَ الخارجيِّ المحسوس، وأُشير إليهم بما يُشارُ به للحاضر المشاهَد، واحتمالُ التحقير قائمٌ، ولا ينبو عنه التعبيرُ بـ «أولئك»؛ لأنَّ البُعدَ في الواقع مع أنه قد يُقصَدُ به التحقيرُ أيضاً، والكلام بيانٌ لما يصيرون إليه في الآخرة من العقاب بعد ما نزل بهم في الدنيا من العذاب، وجَعْلُهُمْ منتظرين له؛ لأنَّ ما أصابهم من عذابِ الاستئصال ليس هو نتيجة ما جَنَوه من قبيح الأعمال؛ إذ لا يُعتَدُّ به بالنسبة إلى ما ثَمَّةَ من الأهوال، فهو تحذيرٌ لكفَّار قريش، وتخويفٌ لمن يُساقُ له الحديثُ، فلا وَجْهَ لما قاله أبو السعود من أنَّ هذا ليسَ في حَيِّز الاحتمال أصلاً؛ لأنَّ الانتظارَ سواءٌ كان حقيقةً أو استهزاءً، إنما يُتصوَّرُ في حقِّ مَنْ لم يترتَّب على أعماله نتائجها بَعْدُ، وبعد ما بُيِّنَ عقابُ الأحزاب واستئصالهم بالمرَّة، لم يبقَ مما أُريد بيانه من عقوباتهم أمرٌ منتظرٌ، بخلاف كفار قريشٍ حيث ارتكبوا ما ارتكبوا ولمَّا يلاقوا بعدُ شيئاً. قاله الخفاجيُّ[2].

ولا يخفى أنَّ المنساقَ إلى الذهن هو الاحتمال الأول، وهو المأثورُ عن السلف.

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٨٩.

(٢) في حاشيته ٧/ ٣٠١-٣٠٢، وينظر إرشاد العقل السليم ٧/ ٢١٨.

والفَواق: الزمنُ الذي بين حَلْبَتَي الحالب ورَضْعَتَي الراضع، ويقال لِلَّبنِ الذي يجتمعُ في الضَّرْع بين الحَلْبتين: فِيْقَة، ويُجمَعُ على: أفواقٍ، وأفاويقُ جَمْعُ الجمع، والكلامُ على تقدير مضافين، أي: ما ينتظرون إلا صيحةً واحدةً ما لها من توقُّف مقدار فواقٍ، أو على ذِكْر الملزوم الذي هو الفَوَاق، وإرادةِ اللازم الذي هو التوقُّف مقدارَه، وهو مجازٌ مشهورٌ، والمعنى أنَّ الصيحةَ إذا جاءَ وقتُها لم تستأخرْ هذا القَدْرَ من الزمان.

وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة تفسيرُهُ بالرجوع والتَّرداد، وهو مجازٌ أُطلق فيه الملزومُ وأُريدَ اللازم، فإنَّ في الزمان بين الحَلْبتين يرجعُ اللَّبنُ إلى الضَّرع، والمعنى أنها صيحةٌ واحدةٌ فحسب، لا تُثنى ولا تُردَّدْ، فالجملةُ عليه صفةٌ مؤكِّدةٌ لوَحْدةِ الصَّيحة.

وقرأ السُّلميُّ وابنُ وثَّابٍ والأعمشُ وحمزةُ والكسائيُّ وطلحةُ بضمِّ الفاء[1]، فقيل: هما بمعنًى واحدٍ، وهو ما تقدَّم كقَصاص الشَّعر وقُصاصه.

وقيل: المفتوحُ اسمُ مصدرٍ من أفاقَ المريضُ إفاقةً وفاقةً، إذا رَجَعَ إلى الصحة، وإليه يرجعُ تفسيرُ ابن زيد والسدي وأبي عبيدة والفرَّاء له بالإقامة والاستراحة، والمضمومُ اسمُ ساعةِ رجوعِ اللَّبن للضَّرْع[2].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ حكايةٌ لِمَا قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة، أي: قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية: ربَّنا عَجِّلْ لنا قِسْطنا ونصيبنا من العذاب الذي تُوعِدنا به، ولا تؤخِّرهُ إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحةُ المذكورةُ.

وتصديرُ دعائهم بالنِّداء المذكور؛ للإمعان في الاستهزاء، كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال.

والقائلُ ـ على ما روي عن عطاء ـ النَّضْرُ بن الحارث بن علقمة بن كلدة، وهو

---

(١) التيسير ص١٨٧، والنشر ٢/ ٣٦١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٩.
(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٠، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٧٩.

الذي قال الله تعالى فيه: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج:١]. وأبو جهل على ما روي عن قتادة. وعلى القولين الباقون راضون، فلذا جيءَ بضمير الجمع.

والقِطُّ: القطعةُ من الشيء، من قَطَّهُ إذا قَطَعَهُ، ويقال لصحيفة الجائزة: قِطٌّ؛ لأنها قطعةٌ من القِرْطاس، ومن ذلك قولُ الأعشى:

ولا المَلِكُ النعمانُ يومَ لَقِيتُهُ بِنعمتهِ يُعطي القُطوطَ ويُطلقُ[1]

قيل: وهو في ذلك أكثرُ استعمالاً، وقد فسَّرهُ بها هنا أبو العالية والكلبيُّ، أي: عَجِّلْ لنا صحيفةَ أعمالنا لننظرَ فيها، وهي روايةٌ عن الحسن.

وجاء في روايةٍ أخرى عنه أنهم أرادوا نصيبَهم من الجنة، وروي هذا أيضاً عن قتادة وابن جبير، وذلك أنهم سمعوا رسولَ الله ﷺ يذكرُ وَعْدَ الله تعالى المؤمنينَ الجنةَ، فقالوا على سبيل الهزء: عَجِّلْ لنا نصيبنا منها؛ لنتنعَّمَ به في الدنيا. قال السمرقنديُّ: أقوى التفاسير أنهم سألوا أن يُعجَّلَ لهم النعيمُ الذي كان يَعِدُهُ عليه الصلاة والسلام مَنْ آمنَ؛ لقولهم: ربَّنا، ولو كان على ما يحمله أهلُ التأويل من سؤال العذاب أو الكتاب استهزاءً، لسألوا رسولَ الله ﷺ ولم يسألوا ربَّهم. وفيه بحثٌ يُعلَمُ مما مرَّ آنفاً.

﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ على ما يتجدَّدُ من أمثال هذه المقالات الباطلة المؤذية.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ أي: اذكرْ لهم قِصَّتَه عليه السلام؛ تعظيماً للمعصية في أعينهم، وتنبيهاً لهم على كمال قُبْحِ ما اجترؤوا عليه، فإنه عليه السلام مع علوِّ شأنه وإيتائه النبوَّةَ والمُلْكَ لمَّا أَلَمَّ بما هو خلافُ الأولى، ناله ما أَلَمَّهُ وأدامَ غَمَّهُ ونَدَمَهُ، فما الظَّنُّ بهؤلاء الكَفَرة الأذلِّين، الذين لم يزالوا على أكبر الكبائر مُصرِّين. أو: اذكر قِصَّته عليه السلام في نفسك، وتحفَّظْ من ارتكاب ما يُوجِبُ العتاب.

وقيل: إنه تعالى أمرهُ عليه الصلاة والسلام أن يذكرَ قصص الأنبياء عليهم السلام الذين عَرَضَ لهم ما عَرَضَ، فصبروا حتى فرَّجَ الله تعالى عنهم وأحسن

(١) ديوان الأعشى ص٢٦٩ وفيه: بإمَّته، بدل: بنعمته. وهما بمعنى.

عاقبتهم؛ ترغيباً له في الصبر، وتسهيلاً لأمره عليه، وإيذاناً ببلوغ ما يريده بذلك. وهو كما ترى.

وقيل: أمرهُ بالصَّبر وذِكْرِ قصص الأنبياء ليكونَ ذلك برهاناً على صحة نبوَّته ﷺ، والذكرُ على هذا والأولِ لسانيٌّ، وعلى ما بينهما قلبيٌّ، وهو مرادُ مَنْ فَسَّر «اذكر» على ذلك بـ: تذكَّر.

﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي: ذا القوَّة، يقال: فلانٌ أَيِّدٌ، وذو أَيْدٍ، وذو آدٍ وأيادٍ بمعنى، وأيادُ كلِّ شيءٍ: ما يتقوَّى به.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: رَجَّاعٌ إلى الله تعالى وطاعته عزَّ وجلَّ، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أنهما قالا: الأوابُ: المسبِّحُ[1]. وعن عمرو بن شرحبيل: أنه المسِّبحُ بلغة الحبشة.

وأخرج الديلميُّ عن مجاهدٍ قال: سألتُ ابنَ عمر عن الأوَّاب فقال: سألتُ النبيَّ ﷺ عنه فقال: «هو الرجلُ يذكرُ ذنوبه في الخلاء، فيستغفر الله تعالى»[2].

وهذا إن صحَّ لا يُعدَلُ عنه، والجملةُ تعليلٌ لكونه عليه السلام ذا الأيد، وتدلُّ بأيِّ معنًى كان الأوابُ فيها على أنَّ المرادَ بالأيد القوَّةُ الدينية، وهي القوَّةُ على العبادة كما قال مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم؛ إذ لا يَحْسُنُ التعليلُ لو حُملتِ القوَّةُ على القوَّة في الجسم، نعم قد كان عليه السلام قويَّ الجسم أيضاً، إلا أنَّ ذلك غيرُ مرادٍ هنا؛ وفي التعبير عنه بعبدنا وَوَصْفِهِ بذي الأيد، والتعليلِ بما ذُكِرَ دلالةٌ على كثرة عبادته وَوُفور طاعته.

وقد أخرج البخاريُّ في «تاريخه» عن أبي الدرداء قال: كان النبيُّ ﷺ إذا ذَكَرَ داودَ وحدَّثَ عنه قال: «كان أَعبدَ البشر»[3].

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٥٥٧ و٢١/ ٤٥٠.

(٢) الدر المنثور ٥/ ٢٩٨، وأخرجه عبد الرزاق ١/ ٣٧٦ عن مجاهد قوله.

(٣) التاريخ الكبير ١/ ٨٩. وهو عند الترمذي (٣٤٩٠)، وقال: حديث حسن غريب.

وأخرج الديلميُّ عن ابن عمر(١) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحدٍ أن يقول: إني أَعبدُ من داود».

وروي أنه كان يصومُ يوماً ويُفطر يوماً، وكان يقومُ نصفَ الليل(٢). وفي ذلك دلالةٌ على قوَّته في العبادة، لما في كلٍّ من الصيام والقيام المذكورَين من تَرْكِ راحةٍ تذكَّرها قريباً.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾ استئنافٌ لبيان قِصَّته عليه السلام، وجُوِّزَ كونه لتعليل قوَّته في الدين وأوَّابيَّته إلى الله عزَّ وجلَّ، و«مع» متعلِّقةٌ بـ «سخَّر»، وإيثارها على اللام؛ لأنَّ تسخيرَ الجبال له عليه السلام لم يكنْ بطريق تفويض التصرُّف الكلِّيِّ فيها إليه، كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام، بل بطريق الاقتداء به في عبادة الله تعالى.

وأُخِّر الظرفُ المذكور عن «الجبال» وقُدِّم في سورة الأنبياء فقيل: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ﴾ [الأنبياء:٧٩] قال بعضُ الفضلاء: لِذِكْر داودَ وسليمان ثمةَ، فَقُدِّم مسارعةً للتعيين، ولا كذلك هنا.

وجُوِّزَ تعلُّقها بقوله تعالى ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ وهو أقربُ بالنسبة إلى آية الأنبياء، وتسبيحهنَّ تقديسٌ بلسان قالٍ لائقٍ بهنَّ نظير تسبيح الحصى المسموع في كفِّ النبيِّ ﷺ(٣).

وقيل: تقديسٌ بلسان الحال، وتقييدُهُ بالوقتين المذكورَين بعدُ يأباهُ؛ إذ لا اختصاصَ لتسبيحهنَّ الحاليِّ بهما، وكذا لا اختصاصَ له بكونه معه.

وقيل: المعنى: يَسِرْنَ معه، على أنَّ يُسبِّحْنَ من السِّباحة.

---

(١) في مسند الفردوس ٥/ ١٣٩ : ابن عمرو.

(٢) أخرج أحمد (٦٤٩١)، والبخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩) (١٨٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ الصيام إلى الله صيام داود، وأحبُّ الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصفه ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً».

(٣) سلف ٢/ ٢٥٤.

والجملةُ حالٌ من «الجبال»، والعدولُ عن: مسبِّحاتٍ، مع أنَّ الأصلَ في الحال الإفرادُ؛ للدلالة على تجدُّدِ التسبيح حالاً بعد حالٍ نظير ما في قول الأعشى:

لَعَمْري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوءِ نارٍ في يفاعٍ تُحَرَّقُ[1]

وجُوِّزَ أن تكونَ مستأنفةً لبيان كيفية التسخير، ومقابلتها بـ «محشورةٍ» هنا كالمعيِّنة للحالية.

﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ هو كما قال الراغب: من زوال الشمس إلى الصباح[2]. أي: يُسبِّحْنَ بهذا الوقت، وليس ذلك نصًّا في استيعابه بالتسبيح.

﴿وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ أي: ووقت الإشراق، قال ثعلب: يقال: شَرَقَتِ الشمسُ: إذا طَلَعتْ، وأَشرقَتْ: إذا أضاءتْ وَصَفَتْ، فوقتُ الإشراق وقتُ ارتفاعها عن الأفق الشرقيِّ وصفاءِ شعاعها، وهو الضحوةُ الصُّغرى، وروي عن أمِّ هانئ بنتِ أبي طالب أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى صلاةَ الضُّحى، وقال: «هذه صلاةُ الإشراق»[3].

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن عطاء الخراسانيِّ أنَّ ابنَ عباس قال: لم يزلْ في نفسي من صلاة الضُّحى شيءٌ حتى قرأتُ هذه الآية: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾[4]، وفي روايةٍ عنه أيضاً: ما عرفتُ صلاةَ الضُّحى إلا بهذه الآية[5].

ووجهُ فَهْمِ الحبر إياها من الآية أنَّ[6] كلَّ تسبيحٍ وردَ في القرآن فهو عنده ـ ما لم يُرَدْ به التعجُّبُ والتنزيه ـ بمعنى الصلاة، فحيث كانت صلاةٌ لداود عليه السلام وقُصَّتْ على طريق المدح عُلم منه مشروعيتها.

---

(١) ديوان الأعشى ص٢٧٣. وجاء في هامش الأصل عند قوله: كثيرة: وفي بعض النسخ: كبيرة بالباء الموحدة بدل التاء المثلثة. وعند قوله: يفاع: اليفاع: أعلى الجبل.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (عشا).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤/٤٠٦. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٢٣٨: وفيه حجاج بن نصير ضعفه ابن المديني وجماعة، ووثقه ابن معين وابن حبان.

(٤) مصنف عبد الرزاق (٤٨٧٠)، وينظر الدر المنثور ٥/٢٩٨.

(٥) مستدرك الحاكم ٤/٥٣.

(٦) في (م): أي. والمثبت من الأصل وحاشية الشهاب ٧/٣٠٣، والكلام منها.

وفي «الكشف»: وجهه أنَّ الآيةَ دلَّتْ على تخصيصه عليه السلام ذَينك الوقتين بالتسبيح، وقد عُلم من الرواية أنه كان يُصلِّي مسبِّحاً فيهما، فحكي في القرآن ما كان عليه، وإن لم يُذكَرْ كيفيته، فيكون في الآية ذكرُ صلاة الضحى، وهو المطلوبُ، أوْ نقول: إنَّ تسبيحَ الجبال غيرُ تسبيح داود عليه السلام؛ لأنَّ الأولَ مجازٌ، فحُمِلَ تسبيحُ داودَ على المجاز أيضاً؛ لأنَّ المجازَ بالمجاز أنسب. اهـ.

وتُعقِّبَ بأنه إذا عُلم من الرواية، فكيف يقال: إنه أخذهُ من الآية، والتجوُّزُ ينبغي تقليله ما أمكن، وهذا بناء على أنَّ «معه» متعلِّقٌ بـ «يُسبِّحْنَ» حتى يكون هو عليه السلام مسبِّحاً، أي: مُصلِّياً، وإلا فتسبيحُ الجبال لا دلالةَ له على الصلاة، ومع هذا ففيه حينئذٍ جمعٌ بين معنيين مجازيَّيْنِ، إلا أن يقال به، أو يُجعلَ بمعنى: يُعَظِّمْنَ، ويُجعلُ تعظيمُ كلٍّ محمولاً على ما يناسبه، وبعد اللُّتيَّا والتي لا يخلو عن كَدَرٍ، وارتضى الخفاجيُّ الأولَ[1]، وأراهُ لا يخلو عن كَدَرٍ أيضاً.

وقال الجلبيُّ في ذلك: يجوز أن يقال: تخصيصُ هذين الوقتين بالذكر دلَّ على اختصاصهما بمزيد شَرَفٍ، فيصلحُ ذلك الشرفُ سبباً لتعيينهما للصلاة والعبادة، فإنَّ لفضيلة الأزمنة والأمكنة أثراً في فضيلة ما يقع فيهما من العبادات.

وهذا عندي أصفى مما تقدَّم، ويُشعر به ما أخرجه الطبرانيُّ في «الأوسط» وابن مردويه عن ابن عباس قال: كنتُ أمرُّ بهذه الآية: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ فما أدري ما هي، حتى حدَّثتني أمُّ هانىءٍ أنَّ رسول الله ﷺ صلَّى يومَ فتح مكة صلاةَ الضحى ثمانِ ركعات، فقال ابن عباس: قد ظننتُ أنَّ لهذه الساعة صلاةً؛ لقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾[2].

هذا، ولهم في صلاة الضحى كلامٌ طويلٌ، والحقُّ سُنِّيتها، وقد ورد فيها ـ كما قال الشيخ وليُّ الدين ابن العراقي ـ أحاديث كثيرةٌ صحيحةٌ مشهورةٌ حتى

---

(١) حاشية الشهاب ٧/ ٣٠٣.

(٢) المعجم الأوسط (٤٢٥٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٩: فيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف.

قال محمد بن جرير الطبري: إنها بلغتْ مبلغ التواتر. ومن ذلك حديثُ أمِّ هانئ الذي في الصحيحين(١).

وزَعْمُ أنَّ تلك الصلاةَ كانت صلاةَ شكرٍ لذلك الفتح العظيمِ صادفتْ ذلك الوقتَ لا أنها عبادةٌ مخصوصةٌ فيه دون سببٍ، أو أنها كانت قضاءً عمَّا شغل ﷺ تلك الليلة من حِزْبه فيها = خلافُ ظاهرِ الخبر السابق عنها.

وكذا ما رواه أبو داود من طريق كريب عنها أنها قالت: صلَّى عليه الصلاة والسلام سُبْحة الضحى(٢)، ومسلم في «كتاب الطهارة»(٣) من طريق أبي مرَّةَ عنها أيضاً، ففيه: ثم صلَّى ثماني ركعات سُبْحةَ الضحى. وابن عبد البر في «التمهيد»(٤) من طريق عكرمة بن خالد أنها قالت: قَدِمَ رسول الله ﷺ مكةَ فصلَّى ثمانِ ركعات، فقلت ما هذه الصلاة؟ قال: «هذه صلاة الضحى».

واحتجَّ القائلونَ بالنفي بحديث عائشةَ: إنْ كان رسولُ الله ﷺ لَيَدَعُ العمل وهو يحبُّ أن يعملَ به؛ خشيةَ أن يعمل به الناس، فيُفرَضَ عليهم، وما سبَّح رسول الله ﷺ سبحةَ الضُّحى قطُّ، وإني لأُسبِّحها. رواه البخاري ومسلم وأبو داود ومالك(٥).

وحمله القائلون بالإثبات على نفي رؤيتها ذلك؛ لِمَا أنه روى عنها مسلم وأحمد وابن ماجه(٦) أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُصلِّي الضحى أربعاً، ويزيدُ ما شاء الله تعالى.

وقد شهد أيضاً بأنه عليه الصلاة والسلام كان يُصلِّيها ـ على ما قال

---

(١) صحيح البخاري (١١٠٣)، ومسلم (٣٣٦) ١/ ٤٩٧.
(٢) سنن أبي داود (١٢٩٠).
(٣) برقم (٣٣٦): (٧١).
(٤) ٨/ ١٣٦.
(٥) صحيح البخاري (١١٢٨)، وصحيح مسلم (٧١٨)، وسنن أبي داود (١٢٩٣)، والموطأ ١/ ١٥٢. ووقع في الأصل و(م): وأبو مالك، وهو خطأ.
(٦) صحيح مسلم (٧١٩)، وأحمد (٢٤٩٢٤)، وابن ماجه (١٣٨١).

الحاكم - أبو ذرٍّ الغفاري وأبو سعيدٍ وزيد بن أرقم وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وأبو الدرداء وعبد الله بن أبي أوفى وعتبان بن مالك وعتبة بن عبد السلمي ونعيم بن همام الغطفاني وأبو أمامة الباهلي وأم هانئ وأم سلمة. ومن القواعد المعروفة أنَّ المثبِتَ مقدَّمٌ على النافي، مع أنَّ روايةَ الإثبات أكثرُ بكثيرٍ من رواية النفي، وتأويلها أهونُ من تأويل تلك.

وذكر الشافعيةُ أنها أفضلُ التطوُّع بعد الرواتب، لكنَّ النوويَّ في «شرح المهذب»[1] قدَّم عليها صلاةَ التراويح، فجعلها في الفضل بين الرواتب والضحى، والمذهبُ عنهم وجوبها عليه ﷺ وأنَّ ذلك من خصوصيَّاته عليه الصلاة والسلام، واحتجَّ له بما أخرجه ابنُ العربيِّ بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب عليَّ النحرُ ولم يُكتَبْ عليكم، وأُمرت بصلاة الضحى ولم تُؤمروا بها» رواه الدارقطني أيضاً[2].

وقال شيخ الحفاظ أبو الفضل ابن حجر[3]: إنه لم يثبتْ ذلك في خبرٍ صحيح. وفي الأخبار ما يُعكِّر على القول به.

وذكر أنَّ أقلَّها ركعتان؛ لخبر البخاريِّ عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام أوصاه بهما وأن لا يدعهما[4]، وأدنى كمالها أربعٌ؛ لما صحَّ: كان ﷺ يُصلِّي الضحى أربعاً ويزيد ما شاء[5]. فستٌّ فثمانٍ، وأكثرها اثنتا عشرة ركعة؛ لخبرٍ ضعيف[6] يُعمل به في مثل ذلك.

وذهب الكثير إلى أنَّ الأكثرَ ثمان، وذكروا أنها أفضل من اثنتي عشرة، والعملُ

---

(١) ٣/ ٥٢٥ وما بعده.

(٢) ٤/ ٢٨٢، وهو عند أحمد (٢٩١٧) وفي إسناده جابر الجعفي، وهو ضعيف.

(٣) فتح الباري ٣/ ٥٦.

(٤) صحيح البخاري (١١٧٨)، وهو عند أحمد (٧٥١٢)، ومسلم (٧٢١).

(٥) هو حديث السيدة عائشة السالف قبل قليل.

(٦) وهو ما أخرجه الترمذي (٤٧٣) عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصراً من ذهب في الجنة» وهو حديث غريب.

القليل قد يفضُلُ الكثيرَ، فما يقتضيه «أَجْرُكِ على قَدْر نَصَبِكِ»[١] أغلبيٌّ[٢].

وصرَّح ابنُ حجرٍ الهيتمي ـ عليه الرحمة ـ بالمغايرة بين صلاة الضحى وصلاة الإشراق، قال: ومما لا يُسَنُّ جماعةً ركعتان عَقِبَ الإشراق بعد خروج وقت الكراهة، وهي غيرُ الضحى[٣]. وتقدَّم لك ما يفيدُ اتحادهما، ويدلُّ عليه غيرُ ذلك من الأخبار، وصحَّ إطلاقُ صلاة الأوابين على صلاة الضحى، كإطلاقها على الصلاة المعروفة بعد المغرب. هذا، وتمام الكلام فيها في كتب الفقه والحديث.

﴿وَالطَّيْرَ﴾ عطفٌ على «الجبال» على ما هو الظاهر.

﴿مَحْشُورَةً﴾ حالٌ من «الطير» والعاملُ «سخَّرنا»، أي: وسخَّرنا الطيرَ حالَ كونها محشورة، عن ابن عباس: كان عليه السلام إذا سبَّح جاوبته الجبالُ بالتسبيح، واجتمعتْ إليه الطيرُ فسبَّحتْ، وذلك حَشْرُها. ولم يُؤْتَ بالحال فعلاً مضارعاً كالحال السابقة؛ ليدلَّ على الحشر الدفعي الذي هو أدلُّ على القدرة؛ وذلك بتوسُّطِ مقابلته للفعل، أو لأنَّ الدفعية هي الأصلُ عند عدم القرينة على خلافها.

وقرأ ابن أبي عبلة والجحدري: «والطيرُ محشورةٌ»[٤] برفعهما مبتدأً وخبراً، ولعلَّ الجملةَ على ذلك حالٌ من ضمير «يُسبِّحنَ».

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ استئنافٌ مقرِّرٌ لمضمون ما قبله، مصرِّحٌ بما فُهم منه إجمالاً من تسبيح الطير، واللام تعليليةٌ، والضميرُ لداود، أي: كلُّ واحدٍ من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجَّاعٌ إلى التسبيح، وَوَضْعُ الأوابِ موضعَ المسبِّح؛ إما لأنها كانت تُرجِعُ التسبيح، والمُرجِعُ رجَّاعٌ؛ لأنه يَرجِعُ إلى فعله رجوعاً بعد رجوع، وإما لأنَّ الأوَّابَ هو التوَّابُ الكثيرُ الرجوع إلى الله تعالى، كما هو المشهور، ومَنْ دأبه إكثارُ الذكر وإدامةُ التسبيح والتقديس.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤١٥٩)، والبخاري (١٧٨٧)، ومسلم (١٢١١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) تحفة المحتاج ٢/ ٢٣١-٢٣٣ بهامش حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي.
(٣) تحفة المحتاج ٢/ ٢٣٧-٢٣٨.
(٤) القراءات الشاذة ص١٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٠.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ المرادُ: كلٌّ من الطير، فالجملةُ للتصريح بما فُهم. وكذا يجوزُ أن يُرادَ: كلٌّ من داود عليه السلام ومن الجبال والطير، والضميرُ لله تعالى، أي: كلٌّ من داود والجبال والطير لله تعالى أوَّابٌ، أي: مُسبِّحٌ مرجعٌ للتسبيح.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قوَّيناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود ومزيد النعمة، واقتصر بعضهم على الهيبة، والسُّديُّ على الجنود، وروى عنه ابن جرير والحاكم أنه كان يحرسهُ كلّ يومٍ وليلةٍ أربعةُ آلاف[1].

وحكي أنه كان حول محرابه أربعون ألف مستلئم[2] يحرسونه، وهذا في غاية البعد عادةً، مع عدم احتياج مثله عليه السلام إليه، وكذا القول الأول كما لا يخفى على مُنْصِفٍ.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ادَّعى رجلٌ من بني إسرائيلَ عند داودَ عليه السلام رجلاً ببقرةٍ[3]، فجحده، فسُئِلَ البيِّنة، فلم تكنْ بيِّنة، فقال لهما عليه السلام: قوما حتى أنظرَ في أمركما. فقاما من عنده، فأُتيَ داودُ في منامه، فقيل له: اقتل الرجلَ المدَّعى عليه، فقال: إنَّ هذه رؤيا ولستُ أعجل. فأُتي الليلةَ الثانيةَ فقيل له: اقتل الرجل، فلم يفعل، ثم أُتيَ الليلةَ الثالثة فقيل له: اقتل الرجل أو تأتيك العقوبة من الله تعالى، فأرسل عليه السلام إلى الرجل فقال: إنَّ الله تعالى أمرني أن أقتلك فقال: تقتلني بغير بيِّنة ولا ثبت؟ قال: نعم، والله لأُنفذنَّ أمرَ الله عزَّ وجلَّ فيكَ. فقال له الرجل: لا تعجلْ عليَّ حتى أخبرك: إني والله ما أُخذتُ بهذا الذنب، ولكنني كنتُ اغتلتُ والدَ هذا فقتلته، فبذلك أُخذتُ، فأمر به داود عليه السلام فقتل، فعظُمتْ بذلك هيبته في بني إسرائيل، وشُدَّ به مُلكه.

---

(١) ابن جرير ٢٠/ ٤٦، والحاكم ٢/ ٥٨٦.
(٢) أي: من لأمة الحرب، وهي الدرع. القاموس (لأم). والمعنى عليه: يلبسون الدروع.
(٣) كذا وقعت العبارة في الأصل و(م)، والذي في المصادر: عن ابن عباس أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود، فقال: إن هذا غصبني بقراً لي. . ، ينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٤٧، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠، وتاريخ مدينة دمشق ١٧/ ١٠٢.

وقرأ ابن أبي عبلة بشدِّ الدال[١].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوَّة وكمال العلم وإتقان العمل، وقيل: الزبور وعلم الشرائع. وقيل: كلُّ كلامٍ وافقَ الحكمةَ فهو حكمة.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ أي: فَصْلَ الخصام، بتمييز الحقِّ عن الباطل، فالفصلُ بمعناه المصدريّ، والخطابُ الخصام؛ لاشتماله عليه، أو لأنه أحدُ أنواعه خُصَّ به؛ لأنه المحتاجُ للفصل.

أو: الكلام الذي يفصلُ بين الصحيح والفاسد، والحقّ والباطل، والصواب والخطأ، وهو كلامه عليه السلام في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات، فالخطابُ الكلامُ المخاطَبُ به، والفصلُ مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل.

أو: الكلام الذي يُنبِّهُ المخاطَبَ على المقصود من غير التباس، يُراعَى فيه مظانُّ الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والحذف والتكرار ونحوها، فالخطابُ بمعنى الكلام المخاطَب به أيضاً، والفصلُ مصدرٌ إما بمعنى اسم الفاعل، أي: الفاصل المميز للمقصود عن غيره، أو بمعنى اسم المفعول، أي: المقصود، أي: الذي فُصِلَ من بين أفراد الكلام بتلخيصه ومراعاة ما سمعتَ فيه، أو الذي فُصِلَ بعضُهُ عن بعضٍ ولم يُجْعل ملبَّساً مختلطاً.

وجوَّزَ أن يُرادَ بـ «فَصْل الخطاب»: الخطابُ القَصْدُ الذي ليس فيه اختصارٌ مخلٌّ ولا إشباعٌ مملٌّ، كما جاء في وَصْفِ كلام نبيِّنا ﷺ: «لا نَزْرٌ ولا هَذَر»[٢] فالخطابُ بمعنى الكلام المخاطب به كما سلف، والفصل إما بمعنى الفاصل؛ لأنَّ القصدَ ـ أي: المتوسط ـ فاصلٌ بين الطرفين، وهما هنا المختصَرُ المخلُّ، والمُطْنِبُ المملُّ، أو لأنَّ الفَصْلَ والتمييزَ بين المقصود وغيره أظهرُ تحقُّقاً في الكلام القصد،

---

(١) القراءات الشاذة ص١٢٩، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٠.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/ ٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/ ٣١٧ ضمن حديث طويل عن هشام بن حبيش بن خويلد ﷺ. والنَّزْر: القليل. والهَذَر: الهذيان، والمعنى: ليس بقليل فيدلَّ على عِيّ، ولا كثير فاسد. النهاية (نزر) و(هذر).

لما في أحد الطرفين من الإخلال وفي الطرف الآخر من الإملال المفضي إلى إهمال بعض المقصود، وإما بمعنى المفصول؛ لأنَّ الكلامَ المذكورَ مفصولٌ مميَّزٌ عند السامع على المخلِّ والمملِّ بسلامته عن الإخلال والإملال.

والإضافةُ على الوجه الأول من إضافة المصدر إلى مفعوله، وعلى ما عداه من إضافة الصِّفة لموصوفها، وما روي عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه والشعبيِّ، وحكاهُ الطبرسيُّ[1] عن الأكثرين من أنَّ فَصْلَ الخطاب هو قوله: البيِّنةُ على المدَّعي واليمينُ على المدَّعى عليه، فقيل: هو داخلٌ في فَصْلِ الخطاب على الوجه الثاني، فإنَّ فيه الفصلَ بين المدَّعي والمدَّعى عليه، وهو من الفصل بين الحقِّ والباطل، وجاء في بعض الروايات: هو إيجابُ البيِّنة على المدَّعي واليمين على المدَّعى عليه. فلعلَّه أُريد أنَّ فَصْلَ الخطاب على الوجه الأول ـ أعني فصل الخصام ـ كان بذاك، وجَعْلُهُ نفسه على سبيل المبالغة.

وما روي عن ابن عباس ومجاهد والسدي من أنه القضاء بين الناس بالحقِّ والإصابة والفهم، فهو ليس شيئاً وراءَ ما ذكر أولاً.

وأخرج ابن جرير[2] عن الشعبيِّ، وابن أبي حاتم والديلمي عن أبي موسى الأشعري: أنَّ فَصْلَ الخطاب الذي أُوتيه عليه السلام هو: أمَّا بَعْدُ، وذكر أبو موسى أنه عليه السلام أول من قال ذلك[3]، فقيل: هو داخلٌ في فصل الخطاب، وليس فَصْلُ الخطاب منحصراً فيه؛ لأنه يفصلُ المقصودَ عمَّا سيقَ مقدِّمةً له من الحمد والصلاة أو من ذكر الله عزَّ وجلَّ مطلقاً، وظاهره اعتبار فصل الخطاب بمعنى الكلام الذي يُنبِّهُ المخاطَبَ على المقصود، إلى آخر ما مرَّ. ويُوهم صنيعُ بعضهم دخوله فيه باعتبار المعنى الثاني لفصل الخطاب، ولا يتسنَّى ذلك، وحَمْلُ الخبر على الانحصار مما لا ينبغي؛ إذ ليس في إيتاء هذا اللفظ كثيرُ امتنان.

---

(١) مجمع البيان ٢٣/ ١٠٣.

(٢) في تفسيره ٢٠/ ٥١.

(٣) الدر المنثور ٥/ ٣٠٠.

ثم الظاهرُ أنَّ المرادَ من: أمَّا بَعْدُ، ما يؤدِّي مؤدَّاهُ من الألفاظ، لا نفسُ هذا اللفظ؛ لأنه لفظٌ عربيٌّ، وداود لم يكن من العرب ولا نبيَّهم، بل ولا بينهم، فالظاهرُ أنه لم يكنْ يتكلَّمُ بالعربية. والذي يترجَّحُ عندي أنَّ المرادَ بفَصْلِ الخطاب فَصْلُ الخصام، وهو يتوقَّفُ على مزيد عِلْمٍ وفَهْمٍ وتفهيم وغير ذلك، فإيتاؤه يتضمَّنُ إيتاء جميع ما يتوقَّف هو عليه، وفيه من الامتنان ما فيه، ويلائمه أتمّ ملاءمة.

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ استفهامٌ يُراد منه التعجُّب والتشويقُ إلى استماع ما في حَيِّزِهِ لإيذانه بأنه من الأنباء البديعة التي حقُّها أن تشيعَ فيما بين كلِّ حاضرٍ وبادي.

والجملةُ قيل: عطفٌ على «إنَّا سخَّرنا» من قبيل عَطْفِ القصة على القصة، وقيل: على «اذكر».

والخَصْمُ في الأصل مصدرٌ لِخَصَمَهُ بمعنى خاصَمهُ أو غَلَبهُ، ويُراد منه المخاصِمُ، ويُستعمل للمفرد والمذكَّر وفروعهما؛ وجاء للجمع هنا على ما قال جمعٌ لظاهر ضمائره بعد، وربما ثُنِّيَ وجُمِعَ على خُصومٍ وأخصام، وأصلُ المخاصمة ـ على ما قال الراغب ـ أن يتعلَّقَ كلُّ واحدٍ بخُصْمِ الآخر، أي: بجانبه، أو أن يَجذبَ كلُّ واحدٍ خُصْم الجُوالق من جانب(١).

﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ أي: عَلَوا سُوْرَهُ ونزلوا إليه، فـ: تفعَّل للعلوِّ على أصله، نحو تَسَنَّم الجملَ، أي: علا سنامه، وتذرَّى الجبلَ: علا ذروته، والسُّورُ: الجدارُ المحيطُ المرتفع، والمحرابُ: الغُرْفةُ، وهي العِلِّيَّةُ، ومحرابُ المسجد مأخوذٌ منه؛ لانفصاله عمَّا عداه، أو لِشَرفهِ المنزَّلِ منزلةَ عُلوِّه. قاله الخفاجيُّ(٢).

وقال الراغب: محرابُ المسجد قيل: سُمِّي بذلك؛ لأنه موضعُ محاربة الشيطان والهوى، وقيل: لكون حقِّ الإنسان فيه أن يكونَ حَرِيباً من أشغال الدنيا ومن تَوزُّع الخاطر، وقيل: الأصل فيه أنَّ محرابَ البيت صَدْرُ المجلس، ثم

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (خصم)، والجوالق: وعاء. القاموس (جلق).

(٢) حاشية الشهاب ٧/ ٣٠٤.

لمَّا اتُّخذتِ المساجدُ سُمِّيَ صَدْرُهُ به، وقيل: بل المحرابُ أصله في المسجد، وهو اسمٌ خُصَّ به صَدْرُ المجلس، فسُمِّيَ صَدْرُ البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد. وكأنَّ هذا أصحّ[١]. انتهى.

وصرَّح الجلالُ السيوطيُّ أنَّ المحاريبَ التي في المساجد بهيئتها المعروفة اليوم لم تكن في عهد النبيِّ ﷺ، وله رسالةٌ في تحقيق ذلك[٢].

و«إذ» متعلِّقةٌ بمحذوفٍ مضافٍ إلى الخصم، أي: نبأُ تحاكُمِ الخَصْم إذ تسوَّروا، أو بـ «نبأ»، على أنَّ المرادَ به الواقعِ في عهد داود عليه السلام، وإسنادُ الإتيان إليه على حَذْفِ مضافٍ، أي: قصةُ نبإِ الخصم، وجُوِّزَ تعلُّقها به بلا حَذْفٍ على جَعْل إسناد الإتيان إليه مجازيّاً، أو بالخصم، وهو في الأصلِ مصدرٌ، والظرفُ قنوعٌ يكفيه رائحةُ الفعل، وزعم الحوفي تعلُّقها بـ «أتى» ولا يكاد يصحُّ؛ لأنَّ إتيانَ نبأ الخصم لم يكن وقتَ تسوُّرهم المحراب.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ «إذ» هذه بدلٌ من «إذ» الأولى بدلَ كلٍّ من كلّ، بأن يُجْعَلَ زمانُ التسوُّر وزمانُ الدخول ـ لقربهما ـ بمنزلة المتَّحِدَين، أو بدلَ اشتمالٍ بأن يُعتبَر الامتدادُ، أو ظرفٌ لـ «تسوَّروا»، ويعتبر امتداد وقته، وإلا فالتسوُّرُ ليس في وقت الدخول، ويجوزُ أن يُرادَ بالدخول إرادته، وفيه تكلُّفٌ؛ لأنه مع كونه مجازاً لا يتفرَّعُ عليه قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ فيحتاجُ إلى تفريعه على التسوُّر، وهو أيضاً كما ترى، وجُوِّزَ تعلُّقه بـ : اذكر مقدَّراً.

والفزع: انقباضٌ ونفارٌ يعتري الإنسانَ من الشيء المخيف. روي أنَّ الله تعالى بعثَ إليه ملكين في صورة إنسانين، قيل: هما جبريلُ ومكائيلُ عليهما السلام، فطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرسُ، فتسوَّرا عليه المحراب، فلم يشعرْ إلا وهما بين يديه جالسان، وكان عليه السلام ـ كما روي عن ابن عباس ـ جَزَّأَ زمانه أربعةَ أجزاءٍ: يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للاشتغال بخاصة نفسه، ويوماً لجميع بني إسرائيل، فيعظهمْ ويُبكِّيهم.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (حرب).

(٢) وهي: إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب، وكلامه المذكور أعلاه في مقدمة رسالته.

وسبب الفزع؛ قيل: إنهم نزلوا من فوق الحائط وفي يوم الاحتجاب، والحرسُ حوله لا يتركونَ من يُريدُ الدخولَ عليه، فخاف عليه السلام أن يؤذوه، لاسيَّما على ما حكي أنه كان ليلاً.

وقيل: إنَّ الفزعَ من أجل أنه ظنَّ أنَّ أهلَ مملكته قد استهانوه حتى ترك بعضُهم الاستئذانَ، فيكونُ في الحقيقة فزعاً من فساد السِّيرة، لا من الداخلين.

وقال أبو الأحوص: فَزِعَ منهم؛ لأنهما دخلا عليه وكلٌّ منهما آخذٌ برأس صاحبه. وقيل: فَزِعَ منهم لِمَا رأى من تسوُّرهم موضعاً مرتفعاً جدّاً لا يمكن أن يُرتقى إليه بعد أشهرٍ مع أعوانٍ وكثرة عدد.

والظاهرُ أنَّ فزعه ليس إلا لتوقُّع الأذى لمخالفة المعتاد، فلما رأوه قد فزع ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ وهو استئنافٌ وقع جواباً عن سؤالٍ نشأ من حكاية فَزَعِهِ عليه السلام، كأنه قيل: فماذا قالوا عند مشاهدتهم فزعه؟ فقيل: قالوا له إزالةً لفزعه: «لا تخف».

﴿خَصْمَانِ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، أي: نحن خصمان، والمراد هنا فوجان لا شخصان متخاصمان، وقد تقدَّم أنَّ الخَصْمَ يشملُ الكثيرَ، فيطابقُ ما مرَّ من جَمْعِ الضمائر، ويؤيِّده على ما قيل قوله سبحانه: ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فإنَّ نحوَ هذا أكثرُ استعمالاً في قول الجماعة، وقراءة بعضهم: «بغى بعضُهم على بعض»(١) أظهرُ في التأييد، ولا يمنعُ ذلك كونُ التحاكم إنما وقع بين اثنين؛ لجواز أن يَصْحَبَ كلًّا منهما مَنْ يُعاضده، والعُرْفُ يُطلق الخصمَ على المخاصم ومعاضده، وإن لم يخاصِمْ بالفعل.

وجُوِّزَ أن يكون المرادُ اثنين، والضمائرُ المجموعةُ مرادٌ بها التثنية، فيتوافقان، وأُيِّدَ بقوله سبحانه: «إن هذا أخي».

وقيل: يجوزُ أن يُقدَّرَ «خصمان» مبتدأ خبرُهُ محذوفٌ، أي: فينا خصمان. وهو كما ترى. والظاهرُ أنَّ جملة «بغى» إلخ في موضع الصفة لـ «خصمان»، وأنَّ جملةَ: نحن خصمان.. إلخ استئنافٌ في موضع التعليل للنهي، فهي موصولةٌ بـ «لا تخف».

---

(١) البحر ٧/ ٣٩١، والدر المصون ٩/ ٣٦٨.

وجُوِّزَ أن يكونوا قد قالوا: لا تخفْ، وسكتوا حتى سُئلوا: ما أمرُكم؟ فقالوا: خصمان بغى.. إلخ، أي: جارَ بعضُنا على بعضٍ.

واستشكل قولهم هذا على القول بأنهم كانوا ملائكة، بأنه إخبارٌ عن أنفسهم بما لم يقعْ منهم، وهو كَذِبٌ، والملائكة منزَّهون عنه.

وأجيب بأنه إنما يكون كَذِباً لو كانوا قصدوا به الإخبار حقيقة، أما لو كان فرضاً لأمرٍ صوَّروه في أنفسهم لمَّا أتوا على صورة البشر، كما يذكر العالِمُ إذا صوَّرَ مسألةً لأحدٍ، أو كان كنايةً وتعريضاً بما وقع من داود عليه السلام = فلا.

وقرأ أبو يزيد الجراد عن الكسائيِّ: «خِصْمان» بكسر الخاء[1].

﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: ولا تتجاوزه، وقرأ أبو رجاء وابن أبي عبلة وقتادة والحسن وأبو حيوة: «ولا تَشْطُطْ» من شَطَّ ثلاثيّاً، أي: ولا تَبْعُدْ عن الحقِّ. وقرأ قتادة أيضاً: «تُشِطَّ» مدغماً من أَشَطَّ رباعيّاً، وقرأ زرٌّ: «تُشاطِطْ» بضمِّ التاء وبألفٍ على وزن تُفاعِلْ مفكوكاً[2]، وعنه أيضاً[3]: «تُشَطِّطْ» من شَطَّطَ.

والمراد في الجميع: لا تَجُرْ في الحكومة، وأرادوا بهذا الأمر والنهي إظهار الحرص على ظهور الحقِّ والرضا به، من غير ارتياب بأنه عليه السلام يحكمُ بالحقِّ ولا يجور في الحُكْم، وأحدُ الخصمين قد يقولُ نحو ذلك للإيماء إلى أنه المحقُّ، وقد يقوله اتِّهاماً للحاكم، وفيه حينئذٍ من الفظاظة ما فيه؛ وعلى ما ذكرنا أولاً فيه بعضُ فظاظة، وفي تحمُّلِ داودَ عليه السلام لذلك منهم دلالةٌ على أنه يليقُ بالحاكم تحمُّلُ نحو ذلك من المتخاصِمَين، لاسيما إذا كان ممنْ معه الحقُّ، فحالُ المرء وقتَ التخاصم لا يخفى.

والعَجَبُ من حاكمٍ أو مُحَكَّمٍ أو مَن للخصوم نوعُ رجوعٍ إليه كالمفتي، كيف

---

(١) القراءات الشاذة ص١٢٩، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٢. وجاء في (م): الجرار، وفي القراءات الشاذة: الخزان.

(٢) القراءات الشاذة ص١٢٩-١٣٠، والمحتسب ٢/ ٤٠٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٢.

(٣) أي: قتادة، كما في القراءات الشاذة ص١٣٠، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٢، والكلام منه.

لا يقتدي بهذا النبيِّ الأوَّابِ عليه الصلاة والسلام في ذلك، بل يغضَبُ كلَّ الغضب لأدنى كلمةٍ تصدرُ ولو فلتة من أحد الخصمين يتوهَّم منها الحطّ لِقَدْره، ولو فكَّر في نفسه لَعَلِمَ أنه بالنسبة إلى هذا النبي الأوابِ لا يَعْدِلُ ـ والله العظيم ـ مَتْكَ ذباب[1]، اللهم وفّقنا لأحسنِ الأخلاق، واعصمنا من الأغلاط.

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: وسط طريق الحقِّ بزَجْرِ الباغي عمَّا سَلَكَهُ من طريق الجَوْر وإرشاده إلى منهاج العدل.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ إلخ، استئنافٌ لبيان ما فيه الخصومة، والمراد بالأُخوَّة أخوَّةُ الدين، أو: أُخوَّةُ الصداقة والأُلفة، أو: أُخوَّةُ الشِّرْكة والخُلطة؛ لقوله تعالى: «وإن كثيرا من الخلطاء» وكلُّ واحدٍ من هذه الأُخوَّاتِ يُدلي بحقٍّ مانعٍ من الاعتداء والظلم.

وقيل: هي أُخوَّةٌ في النَّسَبِ، وكان المتحاكمان أَخوَين من بني إسرائيل لأبٍ وأمٍّ، ولا يخفى أنَّ المشهورَ أنهما كانا من الملائكة، بل قيل: لا خلافَ في ذلك.

و«أخي» بيانٌ عند ابن عطية[2]، وبدلٌ أو خبرٌ لـ «إنَّ» عند الزمخشريِّ[3]، ولعلَّ المقصودَ بالإفادة على الثاني قوله تعالى: ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وهي الأنثى من بقر الوَحْشِ ومن الضَّأن والشاء الجبليِّ، وتُستعَارُ للمرأة كالشاة كثيراً نحو قول ابن عون:

أنـــا أبـــوهـــنَّ ثـــلاثٌ هُـــنَّـــهْ
رابـعـةٌ فـي الـبـيـت صُـغْـراهُـنَّـهْ
ونـعـجـتـي خَـمْـسـاً تُـوفِّـيـهـنَّـهْ
ألا فـتًـى سـجـحٌ يُـغـذِّيـهـنَّـهْ[4]

---

(١) مَتْكُ الذباب: أنفه، أو ذَكَره. القاموس المحيط (متك).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٨.
(٤) الأبيات في تفسير القرطبي ١٨/ ١٦٤، والبحر المحيط ٧/ ٣٨٨. وقوله: سجح، جاء بدلاً منه في (م): سحج، وفي القرطبي: سمح.

وقول عنترة[١]:

يا شاةَ ما قَنَصٍ لمن حَلَّتْ له   حَرُمَتْ عليَّ وليتَها لم تَحْرُمِ

وقول الأعشى[٢]:

فرميتُ غَفْلَةَ عينِهِ عن شاتهِ   فأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبها وطِحَالَها

والظاهرُ إبقاؤها على حقيقتها هنا، ويُراد بها أنثى الضَّأن، وجُوِّزَ إرادةُ الامرأة، وسيأتي إن شاء تعالى ما يتعلَّقُ بذلك.

وقرأ الحسنُ وزيدُ بن عليٍّ: «تَسْعٌ وتَسْعونَ» بفتح التاء فيهما[٣]، وكَثُرَ مجيءُ الفَعْل والفِعْل بمعنًى واحدٍ نحو السَّكْر والسِّكْر، ولا يبعد ذلك في التسع، لاسيَّما وقد جاوَرَ العَشْر. والحسن وابن هرمز: «نِعْجَة» بكَسْر النون[٤]، وهي لغةٌ لبعض بني تميم.

وقرأ ابن مسعود: «ولي نَعجةٌ أنثى»[٥] ووجَّه ذلك الزمخشريُّ[٦] بأنه يقال: امرأةٌ أنثى للحسناء الجميلة، والمعنى وَصْفُها بالعَراقة في لِين الأنوثة وفتورها، وذلك أملحُ لها وأزيدُ في تَكَسُّرها وتَثَنِّيها، ألا ترى إلى وَصْفهم لها بالكَسُول والمِكْسال، وقولِه:

فَتُورُ القيام قَطيعُ الكلام   لَغُوب العشاء إذا لم تنمْ[٧]

وقولِ قيس بن الخطيم:

---

(١) ديوانه ص٢٨.
(٢) ديوانه ص٧٧.
(٣) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحتسب ٢/ ٤٠٣.
(٤) المحتسب ٢/ ٤٠٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٢.
(٥) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٦٩.
(٧) لم نقف عليه هكذا، ولم يذكر الزمخشري سوى صدره، وقد ورد في بيت امرئ القيس:
فَتور القيام قطيع الكلام   تفترُّ عن ذي غروبٍ خَصِرْ
ينظر ديوانه ص ١٥٧.

تنامُ عن كِبْرِ شأنِها فإذا ... قامَتْ رويداً تكادُ تنغرفُ(١)

وفي الكلام عليه توفيةُ حقِّ القِسْمين، أعني: ما يرجعُ إلى الظالم وما يرجعُ إلى المظلوم، كأنه قيل: إنه مع وفور استغنائه وشِدَّةِ حاجتي ظَلَمني حَقِّي، وهذا ظاهرٌ إذا كانت النعجةُ مستعارةً، وإلا فالمناسبُ تأكيدُ الأنوثة بأنها كاملة فيها، فيكونُ أَدَرَّ وأحلب لما يُطْلَبُ منها، على أنَّ فيه رمزاً إلى ما ورّى عنه.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ مَلِّكنيها، وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أَكْفَلُ ما تحتَ يدي، وقال ابن كيسان: اجعلها كِفْلي، أي: نصيبي، وعن ابن عباس وابن مسعود: تحوَّل لي عنها. وهو بيانٌ للمراد، وأَلْصَقُ بوجه الاستعارة.

﴿وَعَزَّنِى﴾ أي: غلبني، وفي المَثَل: من عَزَّ بَزَّ(٢)، أي: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، وقال الشاعر:

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تُجاذبُهُ وقد عَلِقَ الجناحُ(٣)

﴿فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: مخاطبته إياي محاجَّة بأنْ جاء بحِجاج لم أُطِقْ ردَّهُ.

وقال الضحاك: أي: إن تكلَّم كان أفصحَ مني، وإن حاربَ كان أبطشَ مني.

وقال ابن عطية: كان أَوجَهَ مني وأقوى، فإذا خاطبتُهُ كان كلامه أقوى من كلامي، وقوَّته أعظمُ من قوتي(٤).

وقيل: أي: غلبني في مغالبته إياي في الخطبة، على أنَّ الخطابَ من خَطَبْتُ المرأة وخَطَبها هو، فخاطَبَني خطاباً، أي: غالبني في الخطبة، فغلبني حيث زوَّجها دوني، وهو قولُ مَنْ يجعلُ النعجةَ مستعارة.

---

(١) إصلاح المنطق ص٣٨، وأدب الكاتب ص٣٠٧، ولم يذكر الزمخشري سوى عجزه.
(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٣٠٧، وقالت الخنساء في ديوانها ص٨١:
كأن لم يكونوا حمًى يُتَّقى ... إذ الناسُ إذ ذاك مَن عزَّ بزّا
(٣) نسب لمجنون ليلى، ولنُصيب بن رباح، ولتوبة بن الحُمَيِّر. ينظر ديوان مجنون ليلى ص٩٠، وشعر نصيب بن رباح ص٧٤، والكامل للمبرد ٢/ ٩٢٩، وشرح ديوان الحماسة ٣/ ١٥١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠.

وتعقَّبه صاحبُ «الكشف» فقال: حَمْلُ الخطاب على المغالبة في خِطبة النساء لا يلائمُ فصاحةَ التنزيل؛ لأنَّ التمثيلَ قاصرٌ عنه لِنبوٍّ قوله: «وليَ نعجةٌ» عن ذلك أشدَّ النَّبْوَةِ، وكذا قوله: «أكفلنيها»، إذ ينبغي على ذلك أن يُخاطَبَ به وليُّ المخطوبة، إلا أن يُجْعل الأول مجازاً عما يؤُولُ إليه الحال ظنًّا، والشرطُ في حسنه تَحقُّقُ الانتهاء كما في: ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف:٣٦] والثاني مجازٌ عن تَرْكه الخطبة، ولا يخفى ما فيهما من التعقيد، ثم إنه لتصريحه ينافي الغرضَ من التمثيل، وهو التنبيهُ على عِظَمِ ما كان منه عليه السلام، وأنه أمرٌ يستحي من كَشْفه مع الستر عليه والاحتفاظ بحرمته. انتهى فتأمل.

وقرأ أبو حيوة وطلحة: «وعَزَني» بتخفيف الزاي، قال أبو الفتح: حُذفتْ إحدى الزايين تخفيفاً[1]، كما حُذفتْ إحدى السِّينَيْنِ في قول أبي زبيد:

أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوْسُ[2]

وروي كذلك عن عاصم[3]. وقرأ عبد الله وأبو وائل ومسروق والضحاك والحسن وعبيد بن عمير: «وعازَّني» بألفٍ بعد العين، وتشديد الزاي[4]، أي: وغالبني.

﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ جوابُ قَسَمٍ محذوفٍ، قُصد به المبالغةُ في إنكار فعل ذي النعجات الكثيرة وتهجين طَمَعه، وليس هذا ابتداءً من داود عليه السلام إثْرَ فراغ المدَّعي من كلامه، ولا فُتيا بظاهر كلامه قبل ظهور الحال لديه، فقيل: ذلك على تقدير: لقد ظلمكَ إن كان ما تقولُ حقّاً.

وقيل: ثَمَّ كلامٌ محذوفٌ، أي: فأقرَّ المدَّعى عليه، فقال: «لقد ظلمك» إلخ، ولم يُحْكَ في القرآن اعترافُ المدَّعى عليه؛ لأنه معلومٌ من الشرائع كلِّها أنه لا يحكمُ

---

(١) المحتسب ٢/ ٤٠٣، والقراءات الشاذة ص١٣٠.

(٢) وصدره: خلا أن العتاق من المطايا، وهو في الخصائص ٢/ ٤٣٨، ورسالة الصاهل والشاحج ص٦٤٥.

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٩٢.

(٤) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٢.

الحاكمُ إلا بعد إجابة المدَّعى عليه، وجاء في روايةٍ أنه عليه السلام لمَّا سَمِعَ كلامَ الشاكي قال للآخر: ما تقول؟ فأقرَّ، فقال له: لترجعنَّ إلى الحقِّ أو لأكسرنَّ الذي فيه عيناك، وقال للثاني: «لقد ظلمك» إلخ. فتبسَّما عند ذلك وذهبا ولم يَرَهما لحينه. وقيل: ذهبا نحو السماء بمرأًى منه.

وقال الحَليمي: إنه عليه السلام رأى في المدَّعي مخايلَ الضَّعف والهضيمة، فَحمَلَ أَمرَهُ على أنه مظلومٌ كما يقول، فدعاه ذلك إلى أن لا يسألَ المدَّعى عليه، فاستعجلَ بقوله: «لقد ظلمك»[1]. ولا يخفى أنه قولٌ ضعيفٌ ولا يُعوَّلُ عليه؛ لأنَّ مخايلَ الصِّدقِ كثيراً ما تظهرُ على الكاذب، والحيلةُ أكثرُ من أن تُحصى قديماً وحديثاً؛ وفيما وقع من إخوة يوسفَ عليه السلام ولم يكونوا أنبياء على الأصحِّ ما يُزيلُ الاعتمادَ في هذا الباب، وبعضُ الجهلة ذهب إلى نحو هذا، وزعم أنَّ ذَنْبَ داودَ عليه السلام ما كان إلا أنه صَدَّقَ أحدهما على الآخر، وظَلَمهُ قبل مسألته.

والسؤالُ مصدرٌ مضافٌ إلى مفعوله، وتعديتُهُ إلى مفعولٍ آخر بـ «إلى» لتضمُّنه معنى الإضافة، كأنه قيل: لقد ظلمك بإضافة نعجتكَ إلى نعاجه على وجهِ السؤال والطَّلب، أو: لقد ظلمكَ بسؤال نعجتكَ مضافةً إلى نعاجه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ أي: الشُّركاء الذين خَلَطُوا أموالهم، الواحد: خَلِيطٌ، وهي الخُلْطةُ، وقد غلبتْ في الماشية، وفي حُكْمها عند الفقهاء كلامٌ ذَكَرَ بعضاً منه الزمخشريُّ[2] ﴿لَيَبْغِي﴾ ليتعدَّى ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ غيرَ مراعٍ حقَّ الشِّرْكة والصُّحبة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ منهم فإنهم يتحامون عن البغي والعدوان.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي: وهم قليلٌ جدّاً، فـ «قليلٌ» خبرٌ مقدَّمٌ، و«هم» مبتدأٌ، و«ما» زائدة، وقد جاءت المبالغةُ في القِلَّة من التنكير وزيادة «ما» الإبهامية، ويتضمَّنُ ذلك التعجُّبَ، فإنَّ الشيءَ إذا بُولغَ فيه كان مظنَّةً للتعجُّب منه، فكأنه قيل: ما أقلَّهم، والجملة اعتراضٌ تذييليٌّ.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٥٥٢.
(٢) في الكشاف ٣/ ٣٧١.

وقرئ: «لَيَبغيَ» بفتح الياء[1] على تقدير حَذْف النون الخفيفة، وأصله: لَيَبْغِيَنْ، كما قال طَرَفَةُ بن العبد:

اضْرِبَ عنكَ الهمومَ طارِقَها ضَرْبَكَ بالسَّيفِ قَوْنَسَ الفرسِ[2]

يريد: اضربَنْ، ويكون على تقدير قَسَمٍ محذوفٍ، وذلك القَسَمُ وجوابه خبرٌ لـ «إنَّ»، وعلى قراءة الجمهور: اللامُ هي الواقعةُ في خبر «إنَّ»، وجملة «يبغي» إلخ هو الخبر. وقرئ: «لَيَبغِ» بحذف الياء للتخفيف[3]، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤] وقوله:

محمدُ تَفْدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ إذا ما خِفْتَ من أمرٍ تَبالا[4]

والظاهر أنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ إلخ، من كلام داود عليه السلام تتمَّةً لما ذكره أولاً، وقد نظر فيه ما كان عليه التداعي كما هو ظاهرُ التعبير بالخلطاء، فإنه غالبٌ في الشُّركاء الذين خَلَطوا أموالهم في الماشية، وجُعِلَ على وجه استعارة النَّعجة ابتداءً تمثيلٌ لم يُنظرْ فيه إلى ما كان عليه التداعي، كأنه قيل: وإنَّ البغيَ أمرٌ يوجدُ فيما بين المتلابسين، وخُصَّ الخُلَطاء لكثرته فيما بينهم، فلا عَجَبَ مما شَجَرَ بينكم، ويترتَّبُ عليه قَصْدُ الموعظة الحَسَنة والترغيب في إيثار عادة الخلطاء الذين حُكِم لهم بالقِلَّة، وأن يُكرِّه إليهم الظُّلْمَ والاعتداء الذي عليه أكثرهم، مع التأسُّفِ على حالهم، وأنْ يُسلى المظلوم عمَّا جرى عليه من خَليطه، وأنَّ له في أكثر الخُلَطاء أسوة، أو كأنه قيل: إنَّ هذا الأمرَ الذي جرى بينكما أيها الخليطان كثيراً ما يجري بين الخلطاء، فيُنْظَرُ فيه إلى خصوص حالهما، قال في «الكشف»: والمحمل الأظهر هذا، وعلى التقديرين هو تذييلٌ يترتَّبُ عليه ما ذكر.

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٩٣.

(٢) البيت في العقد الفريد ٥/ ٣٥٦، ورسالة الصاهل والشاحج ص٤٦١. والقونس: عظم ناتئ بين أذني الفرس. القاموس المحيط (قنس).

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٩٣.

(٤) البيت في المفصل ٩/ ٢٤، والخزانة ٩/ ١١ دون نسبة.

ثم قال: ولعلَّ الأظهرَ حَمْلُ الخلطاء على المتعارفين والمتضادّين وأضرابهم ممن بينهم ملابسةٌ شديدةٌ وامتزاجٌ، على نحو:

إنَّ الخليطَ أجدُّوا البينَ فانجردوا[1]

والغَلَبةُ في الشركاء الذين خَلَطوا أموالهم في عُرْف الفقهاء، فَذِكْرُ الخُلَطاء لا ينافي ذِكْرَ الحلائل؛ إذ لم تردِ الخُلْطة. اهـ.

وأنت خبيرٌ بأنَّ ذلك وإن لم ينافِ ذِكْرَ الحلائل، لكنَّ أولويةَ عدم إرادة الحلائل وإبقاء النَّعجة على معناها الحقيقيِّ، مما لا ينبغي أن ينتطحَ فيه كبشان.

﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ الظَّنُّ مستعارٌ للعلم الاستدلالي؛ لما بينهما من المشابهة الظاهرة، وفي «البحر»[2]: لمَّا كان الظَّنُّ الغالبُ يقاربُ العلم استعير له، فالمعنى: وعَلِمَ داود وأيقنَ بما جرى في مجلس الحكومة أنَّ الله تعالى ابتلاه.

وقيل: لمَّا قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك، ثم صَعِدا إلى السماء حِيالَ وجهه، فعلم بذلك أنه تعالى ابتلاه.

وجُوِّز إبقاءُ الظَّنِّ على حقيقته، وأنكر ابنُ عطية مجيءَ الظَّنِّ بمعنى[3] العلم اليقيني، وقال: لسنا نجدهُ في كلام العرب، وإنما هو توقيفٌ بين معتقِدَين غَلَبَ أحدهما على الآخر، وتُوقعه العربُ على العلم الذي ليس بواسطة الحواسّ، فإنه اليقينُ التامُّ، ولكنْ يخلطُ الناسُ في هذا ويقولون: ظَنَّ بمعنى أيقنَ. إلى آخر ما أطال، ويُفهَمُ منه أنَّ إطلاقَ الظَّنِّ على العلم الاستدلالي حقيقةٌ، والمشهورُ أنه مجاز، وظاهرُ ما بَعْدُ أنه هنا بمعنى العلم.

و«أنما» المفتوحةُ - على ما حقَّق بعضُ الأجلة - لا تدلُّ على الحَصْر كالمكسورة، ومَنْ قال بإفادتها إياه حَمْلاً على المكسورة - كالزمخشري[4] - لم يَدَّعِ

---

(١) سلف ١٨/ ٣٩٣.

(٢) ٧/ ٣٩٣.

(٣) في الأصل و(م): بعد، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠-٥٠١، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٣، وعنه نقل المصنف منه.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٧١.

الاطّرد، فليس المقصودُ هاهنا قَصْرَ الفتنة، عليه عليه السلام؛ لأنه يقتضي انفصالَ الضمير، ولا قَصْرَ ما فُعِلَ به على الفعل؛ لأنَّ كلَّ فِعلٍ ينحلُّ إلى عامٍّ وخاصٍّ، فمعنى ضربته: فعلتُ ضَرْبه، على أنَّ المعنى: ما فعلنا به إلا الفتنة كما قال أبو السعود[1]؛ لأنه على ما قيل تعسُّفٌ وإلغاز، ومَنْ يدَّعي الاطّراد يلتزمُ الثاني من القَصْرَين المنفيين، ويمنعُ كونَ ما ذُكر تعسُّفاً وإلغازاً.

وقرأ عمر بن الخطاب وأبو رجاء والحسن بخلافٍ عنه: «فتَّنَّاه» بتشديد التاء والنون مبالغة[2]، والضحاك: «أفتنَّاه»[3] كقوله على ما نقله الجوهريُّ عن أبي عبيدة:

لئن فَتَنَتْني لَهْيَ بالأمسِ أَفْتَنَتْ سعيداً فأمسى قد غوى كلّ مُسلمِ[4]

وقتادة وأبو عمرو في رواية: «أنما فَتَنَاهُ» بضمير التثنية[5]، وهو راجعٌ إلى الخصمين.

﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ إثر ما عَلِمَ أنَّ ما صَدَرَ عنه ذنبٌ ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجداً، على أنَّ الركوعَ مجازٌ عن السجود؛ لأنه لإفضائه إليه جُعل كالسبب، ثم تُجوِّزَ به عنه، أو هو استعارةٌ لمشابهته له في الانحناء والخضوع، والعربُ تقول: نخلةٌ راكعةٌ، ونخلةٌ ساجدةٌ، وقال الشاعر:

فَخَرَّ على وجهه راكعاً وتابَ إلى الله من كلِّ ذنب[6]

وقيل: أي: خَرَّ للسجود راكعاً، أي: مُصلِّياً، على أنَّ الركوعَ بمعنى الصلاة؛ لاشتهار التجوُّز به عنها. وتقدير متعلّقٍ لـ «خَرَّ» يدلُّ عليه غلبةُ فحواه؛

---

(١) في إرشاد العقل السليم ٧/ ٢٢٢.

(٢) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحتسب ٢/ ٤٠٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠١، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٣.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠١، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٣.

(٤) الصحاح (فتن)، ونسب البيت لأعشى همدان.

(٥) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحتسب ٢/ ٤٠٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠١.

(٦) البيت في النكت والعيون ٥/ ٨٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٧٧ دون نسبة.

لأنه بمعنى سَقَطَ على الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦].

وقال الحسين بن الفضل: أي: خَرَّ من ركوعه، أي: سَجَدَ بعد أن كان راكعاً. وظاهره إبقاءُ الركوع على حقيقته وجَعْلُ «خَرَّ» بمعنى سَجَدَ، والجمهورُ على ما قدَّمنا.

واستشهد به أبو حنيفة رضي الله عنه وأصحابه على أنَّ الركوعَ يقومُ مقامَ السجود في سجدة التلاوة، وهو قول الخَطَّابيِّ من الشافعية، ولا فرقَ في ذلك بين الصلاة وخارجها كما في «البزازيَّة» وغيرها.

وفي «الكشف»: قالوا ـ أي: الحنفية ـ: إنَّ القياسَ يقتضي أن يقومَ الركوعُ مقامَ السجود؛ لأنَّ الشارعَ جعله ركوعاً، وتجوَّزَ بأحدهما عن الآخر؛ لقيامه مقامه وإغنائه غناءه. وأيَّدوه بأنَّ السجودَ لم يُؤمَرْ به لعينه، ولهذا لم يُشْرَعْ قربةً مقصودةً، بل للخضوع، وهو حاصلٌ بالركوع. فإن قلت: إنَّ سجدةَ داودَ عليه السلام كانت سجدةَ شكرٍ، والكلامُ في سجدة التلاوة. قلتُ: لا عليَّ في ذلك؛ لأني لم أستدلَّ بفعل داود عليه السلام، بل بجَعْلِ الشارع إياه مغنياً غناءَ السجود، ولأصحابنا ـ يعني الشافعية ـ أن يمنعوا أنَّ علاقةَ المجاز ما ذكروه بل مطلق الميل عن الخضوع المشترك بينهما، أو لأنه مقدّمته، كما قال الحسن: لا يكون ساجداً حتى يركع أو خرَّ مصلِّياً، والمعتبرُ غايةُ الخضوع، وليست في الركوع. اهـ.

ولا يخفى أنَّ المعروفَ من النبيِّ ﷺ السجودُ، ولم نقفْ في خبرٍ على أنه عليه الصلاة والسلام رَكَعَ للتلاوة بدله ولو مرَّةً، وكذا أصحابه رضي الله عنهم، وليس أمرُ القياس المذكور بالقويّ، فالأحوطُ فِعْلُ الوارد لا غير، بل قال بعض الشافعية: إنَّ قولَ الأصحاب: لا يقومُ الركوعُ مقام السجدةِ، ظاهرٌ في جواز الركوع، وهو بعيدٌ، والقياسُ حرمته، وعنى صاحب «الكشف» بما ذكر في السؤال من أنَّ سجدةَ داود عليه السلام كانت سجدة شكرٍ، أنها كانت كذلك من نبيِّنا ﷺ، فقد أخرج النسائيُّ وابن مردويه بسندٍ جيدٍ عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ سجد في «ص»، وقال:

«سَجَدَها داودُ توبةً، ونسجُدُها شكراً»[1] أي: على قَبول توبة داود عليه السلام من خوف الأولى بعَليِّ شأنه، وقد لقي عليه السلام على ذلك من القلق المزعج ما لم يَلْقَهُ غيره كما ستعلمه إن شاء الله تعالى، وآدمُ عليه السلام وإن لقيَ أمراً عظيماً أيضاً، لكنه كان مَشُوباً بالحزن على فراق الجنة، فجُوزيَ لذلك بأمرِ هذه الأمة بمعرفة قَدْره، وأنه أنعمَ عليه نعمةً تستوجب دوامَ الشكر إلى قيام الساعة.

ولقصَّته على ما في بعض الروايات شَبَهٌ لما وَقَعَ لنبيِّنا ﷺ في قصة زينب المقتضي للعَتَبِ عليه بقوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ [الأحزاب:٣٧] الآية، فيكونُ ذِكْرُها مُذكِّراً له عليه الصلاة والسلام ما وقع، وما آل الأمرُ إليه مما هو أرفعُ وأجلُّ، فكأنَّ ذلك اقتضى دوامَ الشكر بإظهار السجود له، ولعلَّ ذلك وجهُ تخصيصِ داودَ بذلك مع وقوع نظيره لغيره من الأنبياء عليهم السلام. فتأمله، ولا تغفلْ عن كون السورة مكِّيَّةً على الصحيح، وقصة زينب رضي الله عنها مدنيَّة، وينحلُّ الإشكالُ بالتزام كون السجود بعد القصة، فليُنقَّر.

وهي عند الحنفية إحدى سَجَدات التلاوة الواجبة كما ذُكر في الكتب الفقهية، ومَنْ فَسَّرَ «خَرَّ راكعاً» بـ: خرَّ للسجود مصلِّياً، ذهب إلى أنَّ ما وقع من داود عليه السلام صلاةٌ مشتملةٌ على السجود، وكانت للاستغفار، وقد جاء في شريعتنا مشروعيةُ صلاة ركعتين عند التوبة، لكن لم نقفْ في خبرٍ على ما يُشعر بحَمْلِ ما هنا على صلاة داود عليه السلام لذلك، وإنما وقفنا على أنه سَجَدَ.

﴿وَأَنَابَ ۝٢٤﴾ أي: رَجَعَ إلى الله تعالى بالتوبة ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما استَغْفَرَنا منه.

أخرج أحمد وعبد بن حميد عن يونس بن خباب[2] أنَّ داودَ عليه السلام بكى أربعينَ ليلةً حتى نبتَ العشبُ حوله من دموعه، ثم قال: يا ربِّ قَرِحَ الجبين، وَرَقَأ الدمع، وخطيئتي عليَّ كما هي. فنُودي: يا داود، أجائعٌ فتُطْعَمَ، أم ظمآنُ

(١) السنن الكبرى (١٠٣١).
(٢) في الأصل و(م): يونس بن حبان، والمثبت من الدر المنثور ٥/ ٣٠٣، وهو الصواب. وروي الخبر عن مجاهد أيضاً كما سيرد.

فتسقى، أم مظلومٌ فيُنْتَصَرَ لك ؟ فَنَحِبَ نَحْبةً هاجَ ما هنالك من الخُضْرة، فغفر له عند ذلك.

وفي رواية عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»[(١)] عن مجاهدٍ أنه خَرَّ ساجداً أربعينَ ليلةً حتى نبتَ من دموع عينيه من البقل ما غطَّى رأسه، ثم قال.. إلخ.

وروي أنه لم يشربْ ماءً إلا وثُلُثاه من دمعه، وجَهَدَ نفسَهُ راغباً إلى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلِك، واشتغلَ بذلك عن الملك حتى وَثَبَ ابنٌ له ـ يقال له: إيشا ـ على مُلْكه، ودعا إلى نفسه، فاجتمعَ إليه أهلُ الزَّيغ من بني إسرائيل، فلما غُفر له حاربه فهزمه.

وأخرج أحمد[(٢)] عن ثابت أنه عليه السلام اتخذَ سبعَ حشايا، وحشاهنَّ من الرماد حتى أنفذها دموعاً، ولم يشربْ شراباً إلا مَزَجَهُ بدَمْعِ عينيه.

وأخرج[(٣)] عن وهبٍ أنه اعتزلَ النساء، وبكى حتى رَعِشَ وخدَّدتِ الدموعُ في وجهه.

ولم ينقطعْ خوفُهُ عليه السلام وقلقهُ بعد المغفرة، فقد أخرج أحمد والحكيم الترمذيُّ وابن جرير عن عطاء الخراساني: أنَّ داودَ نَقَشَ خطيئته في كَفِّه لكي لا ينساها، وكان إذا رآها اضطربتْ يداه[(٤)].

وأخرج أحمد وغيره عن ثابت عن صفوان، وعبد بن حميد من طريق عطاء بن السائب عن أبي عبد الله الجدلي: ما رفع داودُ رأسهُ إلى السماء بعد الخطيئة حتى مات[(٥)].

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ قربة بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ وحُسْنَ مرجعٍ في

---

(١) كما في الدر المنثور ٥/ ٣٠٤ وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ١١/ ٥٥٢، والطبري ٢٠/ ٧٣-٧٤.
(٢) كما في الدر المنثور ٥/ ٣٠٤.
(٣) أي: أحمد، كما في الدر المنثور ٥/ ٣٠٤.
(٤) تفسير الطبري ٢٠/ ٦٩، والدر المنثور ٥/ ٣٠٤.
(٥) الدر المنثور ٥/ ٣٠٣.

الجنة، وأخرج عبد بن حميد[١] عن عبيد بن عمير أنه قال في الآية: يدنو من ربِّه سبحانه حتى يضعَ يده عليه. وهو ـ إن صحَّ ـ من المتشابه.

وأخرج أحمد في «الزهد» والحكيم الترمذيُّ وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مالك بن دينار أنه قال فيها: يُقامُ داودُ عليه السلام يومَ القيامة عند ساقِ العرش، ثم يقول الربُّ عزَّ وجلَّ: يا داودُ مجِّدْني اليومَ بذلك الصوت الحَسَنِ الرَّخيم الذي كنتَ تمجِّدني به في الدنيا. فيقول: يا ربِّ كيف وقد سلبته؟ فيقول: إني رادُّهُ عليك اليوم، فيندفعُ بصوتٍ يستغرقُ نعيمَ أهل الجنة[٢].

هذا واختلف في أصلِ قصَّته التي ترتَّب عليها ما ترتَّب، فقيل: إنه عليه السلام رأى امرأةَ رجلٍ يقال له: أُوريا، من مؤمني قومه ـ وفي بعض الآثار أنه وزيره ـ فمالَ قلبُهُ إليها، فسأله أن يُطلِّقها، فاستحى أن يردَّهُ، ففعل، فتزوَّجها وهي أمُّ سليمان، وكان ذلك جائزاً في شريعته معتاداً فيما بين أُمَّته، غير مخلٍّ بالمروءة، حيثُ كان يسألُ بعضُهم بعضاً أن ينزلَ له عن امرأته، فيتزوجها إذا أعجبته، وقد كان الرجلُ من الأنصار في صَدْرِ الإسلام بعد الهجرة إذا كانت له زوجتان نزل عن إحداهما لمن اتَّخذه أخاً له من المهاجرين، لكنه عليه السلام لِعِظَم منزلته وارتفاع مرتبته وعلوِّ شأنه نبِّه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحادُ أمَّته، ويسألَ رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزلَ عنها، فيتزوجها مع كثرة نسائه، بل كان يجبُ عليه أن يُغالبَ ميلَهُ الطبيعي، ويقهر نفسه، ويصبر على ما امتُحنَ به.

وقيل: إنه أضمرَ في نفسه إن قُتل أُوريا تزوَّج بها، وإليه مالَ ابن حجر في «تحفته»[٣].

وقيل: لم يكن أُوريا تزوَّجها، بل كان خَطَبها، ثم خَطَبها هو، فآثره عليه السلام أهلُها، فكان ذَنْبُهُ أن خَطَبَ على خِطْبة أخيه المؤمن. وفي بعض الآثار أنه فعل ذلك ولم يكن عالماً بخِطْبة أخيه، فعُوتِبَ على تَرْك السؤال، هل خَطَبها أحدٌ أم لا؟

---

(١) كما في الدر المنثور ٥/ ٣٠٦.

(٢) الدر المنثور ٥/ ٣٠٥.

(٣) تحفة المحتاج ٢/ ٢٠٦.

وقيل: إنه كان في شريعته أنَّ الرجلَ إذا ماتَ وخَلَّفَ امرأةً، فأولياؤه أحقُّ بها، إلا أن يرغبوا عن التزوُّج بها، فلما قُتل أُوريا خَطَبَ امرأته ظاناً أنَّ أولياءه رَغِبوا عنها، فلما سمعوا منعتهم هيبته وجلالته أن يخطبوها.

وقيل: إنه كان في عبادةٍ، فأتاهُ رجلٌ وامرأةٌ متحاكِمَين إليه، فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها، وهو نظرٌ مباحٌ، فمالتْ نفسُهُ ميلاً طبيعياً إليها، فشُغِلَ عن بعض نوافله، فعُوتِبَ لذلك.

وقيل: إنه لم يتثبَّتْ في الحكم، وظلم المدَّعى عليه قبل سؤاله لما ناله من الفزع، وكانت الخصومة بين المتخاصمين، وكانا من الإنس على الحقيقة، إما على ظاهر ما قُصَّ، أو على جَعْلِ النعجة فيه كناية عن المرأة. ونُقل هذا عن أبي مسلم.

والمقبولُ من هذه الأقوال ما بَعُدَ من الإخلال بمنصب النبوَّة، وللقُصَّاص كلامٌ مشهورٌ لا يكادُ يصحُّ؛ لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه عليه السلام.

ولذا قال عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه ـ على ما في بعض الكتب ـ: من حَدَّثَ بحديثِ داودَ عليه السلام على ما يرويه القُصَّاص جلدتهُ مئةً وستينَ، وذلك حَدُّ الفِريةِ على الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، وهذا اجتهادٌ منه كرَّم الله تعالى وجهه، ووجهُ مضاعفة الحدِّ على حَدِّ الأحرار أنهم عليهم السلام سادةُ السادة، وهو وجهٌ مستحسنٌ، إلا أنَّ الزينَ العراقيَّ ذكر أنَّ الخبرَ نفسه لم يصحَّ عن الأمير كرَّم الله تعالى وجهه.

وقال أبو حيان: الذي نذهبُ إليه ما دلَّ عليه ظاهرُ الآية من أنَّ المتسوِّرين المحرابَ كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل، وفي غير وقتِ جلوسه للحكم، وأنه فَزِعَ منهم ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً في محرابه لعبادة ربِّه عزَّ وجلَّ، فلما اتَّضحَ له أنهم جاؤوا في حكومةٍ، وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قصَّ الله تعالى، وأنَّ داودَ عليه السلام ظَنَّ دخولَهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة ابتلاءً من الله تعالى له أن يغتالوه، فلم يقعْ ما كان ظَنَّهُ، فاستغفرَ من ذلك الظَّنِّ حيثُ أخلفَ ولم يكن ليقعَ مظنونه، وخرَّ ساجداً ورَجَعَ إلى الله تعالى، وأنه سبحانه

غَفَرَ له ذلك الظَّنّ، فإنه عزَّ وجلَّ قال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ ولم يتقدَّم سوى قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ونعلم قَطْعاً أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام معصومونَ من الخطايا، لا يمكنُ وقوعُهم في شيءٍ منها، ضرورةَ أنَّا لو جوَّزنا عليهم شيئاً من ذلك بَطَلَتِ الشرائعُ ولم يُوثَقْ بشيءٍ مما يذكرون أنه وحيٌ من الله تعالى، فما حكى الله تعالى في كتابه يمرُّ على ما أراده الله تعالى، وما حكى القُصَّاص مما فيه نقصٌ لمنصبِ الرسالة طرحناه، ونحن كما قال الشاعر:

ونـؤثِـرُ حُـكْـمَ الـعـقـل فـي كـلِّ شُـبـهـةٍ إذا آثـر الأخـبـار جـلّاس قُـصّـاص[1]

انتهى. ويقرب مِن هذا مِن وَجْهٍ ما قيل: إنَّ قوماً قصدوا أن يقتلوهُ عليه السلام، فتسوَّروا المحرابَ فوجدوا عنده أقواماً، فتصنَّعوا بما قصَّ الله تعالى من التحاكم، فَعَلِمَ غَرَضَهمْ فقصد أن ينتقمَ منهم، فظَنَّ أنَّ ذلك ابتلاءٌ من الله تعالى وامتحانٌ له، هل يغضبُ لنفسه أم لا؟ فاستغفرَ ربَّه مما عَزَمَ عليه من الانتقام منهم وتأديبهم لحقِّ نفسه، لعدوله عن العفو الأَلْيق به.

وقيل: الاستغفار كان لمن هَجَمَ عليه، وقوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ﴾ على معنى: فغفرنا لأجله. وهذا تعسُّفٌ وإن وقع في بعض كتب الكلام.

وعندي أنَّ تَرْكَ الأخبار بالكلية في القصة مما لا يكادُ يقبله المنصف، نعم لا يُقبلُ منها ما فيه إخلالٌ بمنصب النبوَّة، ولا يقبل تأويلاً يندفع معه ذلك، ولا بدَّ من القول بأنه لم يكن منه عليه السلام إلا تركُ ما هو الأَولى بعليِّ شأنه والاستغفار منه، وهو لا يُخِلُّ بالعصمة.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إما حكاية لما خُوطب به عليه السلام مبيِّنة لِزُلْفاه عنده عزَّ وجلَّ، وإما مقولٌ لقولٍ مقدَّرٍ معطوفٍ على «غفرنا»، أو حالٌ من فاعله، أي: وقلنا له، أو قائلينَ له: يا داودُ إنَّا جعلناك خليفةً في الأرض، أي: استخلفناك على الملك فيها والحُكْم فيما بين أهلها، أو: جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحقِّ، وهو على الأول مثلُ: فلانٌ خليفةُ السلطان، إذا

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٩٣.

كان منصوباً من قِبَله لتنفيذ ما يريده، وعلى الثاني من قبيل: هذا الولدُ خليفةٌ عن أبيه، أي: سادٌّ مَسَدَّهُ قائمٌ بما كان يقومُ به من غير اعتبارٍ لحياةٍ وموتٍ وغيرهما، والأول أظهرُ، والمِنَّةُ به أعظمُ، فهو عليه السلام خليفةُ الله تعالى بالمعنى الذي سمعتَ، قال ابن عطية: ولا يقالُ: خليفة الله تعالى إلا لرسوله، وأما الخلفاءُ فكلٌّ واحدٍ منهم خليفةُ مَنْ قبله، وما يجيءُ في الشعر من تسمية أحدهم: خليفة الله، فذلك تجوُّزٌ كما قال قيس الرقيَّات:

خليفةُ الله في بَرِيَّتِهِ جَفَّتْ بذاك الأقلامُ والكتب[1]

وقالت الصحابة لأبي بكر: خليفة رسول الله، وبذلك كان يُدْعى إلى أن تُوفِّيَ، فلما وليَ عمرُ قالوا: خليفةُ خليفةِ رسول الله، فعُدِلَ عنه اختصاراً إلى: أمير المؤمنين[2].

وذهب الشيخ الأكبر محيي الدين قُدِّسَ سِرُّهُ إلى أنَّ الخليفةَ من الرسل مَنْ فُوِّضَ إليه التشريع. ولعلَّه من جملة اصطلاحاته، ولا مُشاحَّةَ في الاصطلاح.

واستدلَّ بعضُهم بالآية على احتياج الأرض إلى خليفةٍ من الله عزَّ وجلَّ، وهو قولُ مَنْ أَوْجَبَ على الله تعالى نَصْبَ الإمام؛ لأنه من اللُّطف الواجب عليه سبحانه، والجماعةُ لا يقولون بذلك، والإمامةُ عندهم من الفروع، وإن ذكروها في كتب العقائد، وليس في الآية ما يلزمُ منه ذلك كما لا يخفى، وتحقيقُ المطلب في محلِّه.

﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ الذي شَرَعَهُ الله تعالى لك، فالحقُّ خلافُ الباطل، و«أل» فيه للعهد، وجُوِّزَ أن يُرادَ به ما هو من أسمائه تعالى، أي: بحكم الحقِّ، أي: الله عزَّ وجلَّ؛ للعلم بأنَّ الذَّواتِ لا يكونُ محكوماً بها.

وتُعقِّبَ بأنَّ مقابلته بالهوى تأبى ذلك، ولعلَّ مَنْ يقولُ به يجعلُ المقابلَ المضافَ المحذوف، والمقابلة باعتبار أنَّ حُكْمَ الله تعالى لا يكونُ إلا بالحقِّ،

---

(١) البيت في طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٥٥، والكامل ٢/ ٨٢٩.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٢.

وفرَّعَ الأمرُ بالحكم بالحقِّ على ما تقدَّم؛ لأنَّ الاستخلافَ بكلا المعنيين مقتضٍ للحُكْم العدل، لا سيَّما على المعنى الأول؛ لظهور اقتضاء كونه عليه السلام خليفة له تعالى أن لا يخالف حُكْمُهُ حُكْمَ مَن استخلفه، بل يكونُ على وَفْق إرادته ورضاه.

وقيل: المترتِّبُ مُطْلقُ الحُكْم؛ لظهور ترتُّبه على كونه خليفة. وذكر الحقّ؛ لأنَّ به سداده، وقيل: ترتُّب ذلك؛ لأنَّ الخلافةَ نعمةٌ عظيمةٌ، شُكْرها العدل.

وفي «البحر»: أنَّ هذا أمرٌ بالديمومة، وتنبيهٌ لغيره ممَّن وَليَ أمورَ الناس أن يحكمَ بينهم بالحقِّ، وإلا فهو من حيث إنه معصومٌ لا يحكُمُ إلا بالحقِّ(١). وعلى نحو هذا يُخرَّجُ النهيُ عندي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ فإنَّ اتباعَ الهوى مما لا يكادُ يقعُ من المعصوم.

وظاهرُ السياق أنَّ المرادَ: ولا تتبعْ هوى النفس في الحكومات، وعمَّمَ بعضُهم فقال: أي: في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا.

وأُيِّدَ بهذا النهي ما قيل: إنَّ ذنبهُ عليه السلام المبادرةُ إلى تصديق المدَّعي، وتظليمُ الآخر قبل مساءلته، لا الميلُ إلى امرأة أُوريا، فكأنه قيل: ولا تتَّبعِ الهوى في الحكم كما اتَّبعته أولاً. وفيه أنَّ اتِّباعَ الهوى وحُكْمَهُ بغير ما شَرَعَ الله تعالى له غيرُ مناسبٍ لمقامه، لاسيَّما وقد أخبر الله تعالى قبل الإخبار بمسألة المتحاكمين أنه آتاهُ الحُكْمَ وفَصْلَ الخطاب، فليس هذا إلا إرشاداً لما يقتضيه منصبُ الخلافة، وتنبيهاً لمن هو دونه عليه السلام.

وأصل الهوى: مَيْلُ النفس إلى الشهوة، ويقال للنفس المائلة إليها، ويكون بمعنى المهوي كما في قوله:

هوايَ مع الرَّكْبِ اليمانِينَ مُصْعِدٌ ... جَنِيبٌ وجثماني بمكَّةَ مُوثَقُ(٢)

ويه فسَّرهُ هنا بعضُهم، فقال: أي: لا تتَّبع ما تهوى الأنفس.

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٩٥.

(٢) البيت لجعفر بن علبة الحارثي وهو في الحماسة البصرية ٢/ ١٢٥، ومعاهد التنصيص ١/ ١٢٠، والخزانة ١٠/ ٣٠٧.

﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ بالنَّصْبِ على أنه جوابُ النهي، وقيل: هو مجزومٌ بالعطف على النهي مفتوحٌ لالتقاء الساكنين، أي: فيكون الهوى أو اتِّباعُهُ سبباً لضلالك عن دلائله التي نَصَبها على الحقِّ، وهي أعمُّ من الدلائل العقلية والنقلية، وصدُّ ذلك عن الدلائل إما لعدم فَهْمها أو العمل بموجبها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ﴾ تعليلٌ لما قبله ببيان غائلته، وإظهارُ «سبيل الله» في موضع الإضمار لزيادة التقرير، والإيذانِ بكمال شناعة الضَّلال عنه، وخبرُ «إنَّ» إما جملةُ «لهم عذاب» على أنَّ «لهم» خبرٌ مقدَّمٌ و«عذابٌ» مبتدأ، وإما الظرفُ و«عذابٌ» مرتفعٌ على الفاعلية بما فيه من الاستقرار.

وقرأ ابن عباس والحسن بخلافٍ عنهما وأبو حيوة: «يُضِلّون» بضمِّ الياء[1]، قال أبو حيان: وهذه القراءةُ أعمُّ؛ لأنه لا يُضِلُّ إلا ضالٌّ في نفسه، وقراءة الجمهور أوضحُ؛ لأنَّ المرادَ بالموصول مَنْ أَضَلَّهمُ اتباعُ الهوى، وهم بعد أنْ أَضَلَّهم صاروا ضالِّين[2].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا۟﴾ متعلِّقٌ بالاستقرار، والباءُ سببيةٌ، و«ما» مصدريةٌ، وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ مفعول «نسوا» على ما هو الظاهر، أي: ثابتٌ لهم ذلك العذابُ بسبب نسيانهم وعدم ذِكْرهم يومَ الحساب؛ وعليه يكونُ تعليلاً صريحاً لثبوتِ العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الإشعار بعِلِّيَّة ما يستتبعه ويستلزمه، أعني الضلال عن سبيل الله تعالى، فإنه مستلزمٌ لنسيان يوم الحساب بالمرَّةِ، بل هذا فَرْدٌ من أفراده.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة أنَّ الكلامَ من التقديم والتأخير، أي: لهم يومَ الحساب عذابٌ شديدٌ بما نسوا[3]. فيكونُ «يوم الحساب» ظَرْفاً لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾ وجعل النسيان عليه مجازاً عن ضلالهم عن سبيل الله بعلاقة السببية، ومن

---

(١) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٢، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٥.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٩٥.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٧٨.

ضرورته جَعْلُ مفعول النسيان «سبيل الله»، وعليه يكون التعليلُ المصرَّحُ به عينَ التعليل المشعِرِ به بالذات، غيرَه بالعنوان. فتدبر.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ أي: خَلْقاً باطلاً، فهو منصوبٌ على النيابة عن المفعول المطلق نحو: كُلْ هنيئاً، أي: أَكْلاً هنيئاً. والباطلُ: ما لا حِكْمة فيه، وجُوِّزَ كونه حالاً من فاعل «خلقنا» بتقدير مضافٍ، أي: ذوي باطل، والباطلُ: اللعبُ والعَبَثُ، أي: ما خلقنا ذلك مبطلين لاعبين كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:١٦].

وجُوِّزَ كونه حالاً من المفعول أيضاً بنحو هذا التأويل.

وأيّاما كان، فالكلامُ مستأنَفٌ مقرِّرٌ لما قبله من أمرِ المعاد والحساب، فإنَّ خَلْقَ السماء والأرض وما بينهما من المخلوقات مشتملاً على الحِكَم الباهرة والأسرار البالغة والفوائد الجمَّة، أقوى دليلٍ على عِظَمِ القُدْرة، وأنه لا يتعاصاها أمرُ المعاد والحساب، فإنَّ خَلْقَ ذلك كذلك مُؤذِنٌ بأنه عزَّ وجلَّ لا يتركُ الناسَ إذا ماتوا سُدًى، بل يُعيدهم ويحاسبهم، ولعلَّه الأولى.

وجُوِّزَ كونُ الجملة في موضع الحال في فاعل: «نسوا» جيءَ بها لتفظيع أمر النسيان، كأنه قيل: بما نسوا يومَ الحساب، مع وجود ما يُؤذِنُ به. وهو كما ترى.

وجُوِّزَ كون «باطلاً» مفعولاً له، ويُفَسَّرُ بخلاف الحقِّ، ويُرادُ به متابعةُ الهوى، كأنه قيل: ما خلقنا هذا العالم للباطل الذي هو متابعةُ الهوى، بل للحقِّ الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرُّع بالشرع، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. ولا يخفى بُعْدُهُ، وعليه تكون الجملةُ مستأنفةً لتقرير أمرِ النهي عن اتباع الهوى، وقيل: تكونُ عَطْفاً على ما قبلها بحَسَبِ المعنى، كأنه قيل: لا تتَّبعِ الهوى لأنه يكونُ سبباً لضلالك، ولأنه تعالى لم يخلقِ العالمَ لأجل متابعة الهوى، بل خَلَقَهُ للتوحيد والتمسُّك بالشرعِ، فلا تغفل.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما نفي من خَلْقِ ما ذُكر باطلاً ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواۚ﴾ أي: مظنونهم؛ ليصحَّ الحَمْلُ، أو يُقدَّرَ مضافٌ، أي: ظَنُّ ذلك ظَنُّ الذين كفروا، فإنَّ

إنكارهم المعادَ والجزاءَ قولٌ بأنَّ خَلْقَ ما ذُكِرَ خالٍ عن الحكمة، وإنما هو عَبَثٌ، ولـذا قـال سـبـحـانـه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] أو فإنَّ إنكارهم ذلك قولٌ بنفي عِظَمِ القدرة، وهو قولٌ بنفي دليله، وهو خَلْقُ ما ذُكِرَ مشتملاً على الحِكَمِ الباهرة والأسرار، وهذا بناءٌ على الوجه الأول في بيان التقرير، وهو كما ترى.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، والفاءُ لإفادة ترتُّبِ ثبوتِ الويل لهم على ظنِّهم الباطل، كما أنَّ وَضْعَ الموصول موضعَ ضميرهم؛ لإشعار ما في حَيِّزِ الصِّلة بعِلِّيَّةِ كُفرهم له، ولا تَنافي بينهما؛ لأنَّ ظَنَّهم من باب كُفرهم، فيتأكَّدُ أَمْرُ التعليل.

و«من» في قوله تعالى ﴿مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ ابتدائيةٌ أو بيانيةٌ أو تعليليةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] ونظائره، وتفيدُ على هذا عِلِّيَّةَ النار لثبوت الويل لهم صريحاً بعد الإشعار بعِلِّيَّةِ ما يؤدِّي إليها من ظنِّهم وكُفرهم، أي: فويلٌ لهم بسبب النار المترتِّبةِ على ظَنِّهم وكُفرهم، قيل: والكلامُ عليه على تقدير مضافٍ، أي: من دخول النار.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ «أم» منقطعةٌ وتُقَدَّرُ بـ «بل» والهمزة، والهمزةُ لإنكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكَدِه، و«بل» للإضراب الانتقالي من تقرير أمرِ البعث والحساب بما مرَّ من نفي خَلْقِ العالم باطلاً، إلى تقريره وتحقيقه بإنكار التسوية بين الفريقين، أي: بل أَنجعلُ المؤمنينَ المصلحينَ كالكَفَرة المفسدين في الأرض التي جُعِلَتْ مقرّاً لهم كما يقتضيه عدمُ البعث وما يترتَّبُ عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتُّع في الحياة الدنيا، بل أكثرُ الكَفَرة أوفرُ حَظّاً منها من أكثر المؤمنين، لكنَّ ذلك الجَعْلَ مُحالٌ مخالفٌ للحكمة، فتعيَّنَ البعثُ والجزاءُ حَتْماً لرفع الأوَّلينَ إلى أعلى عِلِّيين، وردِّ الآخرين إلى أسفل سافلين.

كذا قالوا، وظاهره أنَّ مُحالية جَعْلِ الفريقين سواءً حِكْمةٌ تقتضي تعيُّنَ المعاد الجسماني، وفيه خفاءٌ، والظاهر أنَّ المعادَ الروحانيَّ يكفي لمقتضى الحِكْمة من إثابة الأولين وتعذيب الآخَرين، فالدليلُ العقليُّ الذي تُشير إليه الآيةُ ظاهرٌ في إثبات

معادٍ، لكن بعد إبطال التناسخ، وهو كافٍ في الرَّدِّ على كَفَرة العرب، فإنهم لا يقولون بمعادٍ بالكلية، ولم يخطرْ ببالهم التناسخُ أصلاً، ولإثبات المعاد الجسمانيِّ طريقٌ آخرُ مشهورٌ بين المتكلِّمين، وجَعْلُ هذا الدليل العقليّ طريقاً لإثباته يحتاجُ إلى تأمُّلٍ، فتأمل.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ إضرابٌ وانتقالٌ عن إثبات ما ذُكِرَ بلزوم المُحال الذي هو التسويةُ بين الفريقين المذكورين على الإطلاق إلى إثباته بلزوم ما هو أظهرُ منه استحالةً، وهي التسويةُ بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكَفَرة، وحَمْلُ الفجَّار على فَجَرة المؤمنين مما لا يُساعده المقام، ويجوز أن يُرادَ بهذين الفريقين عينُ الأوَّلِين، ويكونُ التكرير باعتبار وَصْفَين آخرين هما أَدْخَلُ في إنكار التسوية من الوصفين الأولين، وأيًّاما كان، فليس المرادُ من الجمعين في الموضعين أناساً بأعيانهم، ولذا قال ابن عباس: الآيةُ عامةٌ في جميع المسلمين والكافرين.

وقيل: هي في قومٍ مخصوصين من مشركي قريشٍ قالوا للمؤمنين: إنَّا نُعطى في الآخرة من الخير ما لا تُعطون، فنزلت.

وأنت تعلم أنَّ العبرةَ لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، وفي روايةٍ أخرى عن ابن عباس أخرجها ابنُ عساكر(١) أنه قال: «الذين آمنوا»: عليٌّ وحمزةُ وعبيدةُ بن الحارث ﷺ، و«المفسدين في الأرض»: عتبةُ والوليدُ بن عتبة وشيبة، وهم الذين تبارزوا يوم بدر. ولعلَّه أراد أنهم سببُ النزول.

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، هو عبارةٌ عن القرآن أو السورة، ويجوز على الثاني تقديره مذكَّراً، أي: هو، أو: هذا، وهو الأولى عند جمعٍ؛ رعايةٌ للخبر، وتقديرُهُ مؤنَّثاً رعايةً للمرجع، وقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ صفتهُ.

وقوله سبحانه: ﴿مُبَٰرَكٌ﴾ أي: كثيرُ المنافع الدينية والدنيوية، خبرٌ ثانٍ للمبتدأ، أو صفةُ «كتاب» عند من يُجوِّزُ تأخيرَ الوَصْفِ الصَّريح عن غير الصريح.

---

(١) في تاريخ دمشق ٧/ ١٧٥.

وقرئ: «مباركاً» بالنصب[1] على أنه حالٌ من مفعول «أنزلنا» وهي حالٌ لازمةٌ؛ لأنَّ البركة لا تفارقه. جَعَلَنا الله تعالى في بركاته ونَفَعنا بشريف آياته.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ متعلِّقٌ بـ: «أنزلناه»، وجُوِّزَ أن يكونَ متعلِّقاً بمحذوفٍ يدلُّ عليه. وأصله: ليتدبَّروا، بتاء بعد الياء آخرِ الحروف. وقرأ عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه بهذا الأصل[2]. أي: أنزلناه ليتفكَّروا في آياته التي من جملتها هذه الآياتُ المعرِبةُ عن أسرار التكوين والتشريع، فيعرفوا ما يَدْبر[3]، ويَتْبَعُ ظاهرها من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة، وضميرُ الرفع لأُولي الألباب على التنازع وإعمال الثاني، أو للمؤمنين فقط، أو لهم وللمفسدين.

وقرأ أبو جعفر: «لِتَدَبَّروا» بتاء الخطاب وتخفيف الدال[4]، وجاء كذلك عن عاصمٍ والكسائيِّ بخلافٍ عنهما، والأصل لِتَتَدبَّروا بتاءين، فحذفتْ إحداهما على الخلاف الذي فيها، أهي تاءُ المضارعة أم التاءُ التي تليها، والخطابُ للنبيِّ ﷺ وعلماءِ أمته على التغليب، أي: لِتدَّبَّرَ أنت وعلماء أمتك.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ أي: وليتَّعظْ به ذوو العقول الزاكية الخالصة من الشوائب، أو ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم لِفَرْطِ تمكُّنهم من معرفته، لِمَا نُصب عليه من الدلائل، فإنَّ إرسالَ الرسل وإنزالَ الكتب لبيان ما لا يُعرفُ إلا من جهة الشرع؛ كوجوب الصلوات الخمس والإرشاد على ما يستقلُّ العقلُ بإدراكه، كوجود الصانع القديم جلَّ جلاله وعمَّ نواله.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ وقرئ: «نَعِمَ» على الأصل[5]، والمخصوص بالمدح محذوفٌ، أي: نِعْمَ العبدُ هو، أي: سليمان، كما يُنبئُ عنه تأخيرُهُ عن داود، مع كونه مفعولاً صريحاً لـ «وهبنا»، ولأنَّ قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ ـ أي:

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٢، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٥.
(٢) القراءات الشاذة ص١٣٠، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٥-٣٩٦.
(٣) بوزن يضرب بمعنى: يَتْبع، من دَبَره: إذا تبعه. حاشية الشهاب ٧/ ٣٠٨.
(٤) النشر ٢/ ٣٦١.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٧٣، والبحر ٧/ ٣٩٦.

رَجَّاعٌ إلى الله تعالى بالتوبة كما يُشعر به السياق، أو إلى التسبيح مُرجِّعٌ له، أو إلى مرضاته عزَّ وجلَّ ـ تعليلٌ للمدح، وهو من حاله، لِمَا أنَّ الضميرَ المجرورَ في قوله سبحانه ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ يعودُ إليه عليه السلام قَطْعاً.

و«إذ» منصوبٌ بـ «اذكر»، والمراد من ذِكْرِ الزمان ذِكْرُ ما وقع فيه، أو ظرفٌ لـ «أوَّابٍ» أو لـ «نِعْم» والظرفُ قنوعٌ، لكن يَرِدُ على الوجهين أنَّ التقييدَ يُخِلُّ بكمال المدح، فالأولُ أَولى، وهو كالاستشهاد على أنه أوابٌ، أي: اذكرْ ما صَدَرَ عنه إذ عُرض عليه ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ إلخ، فإنه يشهدُ بذلك، والعَشيُّ ـ على ما قال الراغب ـ من زوال الشمس إلى الصباح[(١)]، وقال بعضٌ: منه إلى آخر النهار. والظَّرفان متعلِّقان بـ «عُرض»، وقوله تعالى: ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ﴾ نائبُ الفاعل، وتأخيره عنهما لما مرَّ غيرَ مرَّةٍ من التشويق إلى المؤخَّر.

والصافنُ من الخيل: الذي يرفعُ إحدى يديه أو رجليه، ويقفُ على مقدَّم حافرها، وأنشد الزجاج:

أَلِفَ الصُّفونَ فما يزالُ كأنَّهُ   مما يقومُ على الثلاثِ كسيرا[(٢)]

وقال أبو عبيدة: هو الذي يجمعُ يديه ويُسوِّيهما، وأما الذي يقفُ على طَرَفِ الحافر فهو المتخيِّم[(٣)]. وعن «التهذيب» ومتن اللغة: هو المُخِيِّم[(٤)]، وقال القتبي: الصافنُ: الواقفُ في الخيل وغيرها[(٥)]، وفي الحديث: «مَنْ سَرَّهُ أن يقومَ الناسُ له صفوناً فليتبوَّأ مقعدهُ من النار»[(٦)] أي: يُديمون له القيام. حكاه قُطْربٌ، وأنشد للنابغة:

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (عشا).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣٠. وجاء في (م): كثيراً. بدل: كسيرا.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٨٢.

(٤) تهذيب اللغة ٧/ ٦٠٦.

(٥) غريب القرآن للقتبي ص٣٧٩.

(٦) قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٤٢: لم أجده هكذا. وقال ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٦٣٥: هذا حديث موضوع. وأخرج الترمذي (٢٧٥٥) من حديث معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سَرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوَّأ مقعده من النار».

لـنـا قُـبَّـةٌ مـضـروبـةٌ بـفـنـائـهـا عِتاقُ المَهارى والجياد الصَّوافن[١]

وقال الفراء: رأيتُ العربَ على هذا، وأشعارُهم تدلُّ على أنه القيامُ خاصَّة[٢].

والمشهورُ في الصُّفون ما تقدم، وهو من الصفات المحمودة في الخيل، لا تكادُ تتحقَّقُ إلا في العِرَاب[٣] الخُلَّص.

﴿ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ جمعُ: جوادٍ، للذكر والأنثى، يقال: جاد الفرسُ: صارَ رائضاً، يجودُ جُودةً بالضَّمِّ، وهو جوادٌ، ويُجمعُ أيضاً على أجوادٍ وأجاويد، وقال بعضهم: هو جَمْعُ: جَوْدٍ، كَثَوبٍ وأثواب، وفُسِّرَ بالذي يُسرعُ في مَشْيه، وقيل: هو الذي يجودُ بالركض، وقيل: وُصِفَتْ بالصُّفون والجودة؛ لبيان جَمْعها بين الوصفين المحمودين واقفةً وجاريةً، أي: إذا وقفتْ كانت ساكنةً مطمئنةً في مواقفها، وإذا جَرَتْ كانت سراعاً خفافاً في جريها، والخيلُ تُمدَحُ بالسُّكون في الموقف، كما تُمدَحُ بالسُّرعة في الجري، ومن ذلك قولُ مسلم بن الوليد:

وإذا احـتـبـى قَـرَبُـوسـهُ بـعِـنـانـه عَلَكَ الشَّكيمَ إلى انصراف الزائر[٤]

وقيل: جمع[٥] جيِّدٍ ـ كَكَيِّسٍ ـ ضِدُّ الرَّديء، ويجمع على جياداتٍ وجَيائد، وضُعِّفَ بأنه لا فائدةَ في ذكره مع «الصافنات» حينئذٍ، وبأنه يفوتُ عليه مَدْحُ الخيل باعتبار حالَيها، وكون الجياد أعمّ، فذِكْرُهُ تعميمٌ بعد تخصيصٍ فيه نظرٌ.

وفي «البحر»: قيل: الجياد: الطوال الأعناق، من الجِيْد، وهو العنق[٦]. وأنا في شكٍّ من ثبوته، قال في «القاموس»: الجِيدُ، بالكَسْر: العُنُقُ، أو مُقَلَّدُهُ، أو مُقَدَّمُهُ،

---

(١) البيت في النكت والعيون ٥/ ٩١، والبحر ٧/ ٣٨٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٥.

(٣) في (م): العرب، وهو تصحيف.

(٤) البيت في دلائل الإعجاز ص٧٥، ومعاهد التنصيص ٢/ ١٣٢ منسوباً ليزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان. والقربوس: حِنوُ السَّرْج، والعنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس فيها الفأس.

(٥) قوله: جمع. ليس في (م).

(٦) البحر المحيط ٧/ ٣٨٨.

جمعه: أجيادٌ وجُيودٌ، وبالتَّحريك: طُولُها، أو دِقَّتُها مع طُول، وهو أَجْيَدُ، وهي جَيْداءُ وجيدانةٌ، جمعه جُودٌ[(١)]. وراجعتُ غيرَهُ فلم أجدْ فيه زيادةً على ذلك، فليُنقَّر.

ويمكن أن يقال: إنَّ الجيادَ جمعٌ شاذٌّ لـ: أَجْيَد أو جَيداء أو جَيدانة، أو هو جمعٌ لـ: جَيَد بالتحريك كجَمَل[(٢)] وجمال، ويُراد بجيدٍ أَجْيَد أو نحوه نظير ما يُراد بالخَلْقِ المخلوق. والله تعالى أعلم.

وأيًّاما كان فالوصفان يُوصَفُ بهما المذكَّرُ والمؤنَّثُ من الخيل، والجمعُ بألفٍ وتاءٍ لا يخصُّ المؤنَّثَ، فلا حاجةَ بعد القول بأنَّ ما عُرِضَ كان مشتملاً على ذكور الخيل وإناثها إلى القول بأنَّ في الصافنات تغليبَ المؤنَّث على المذكَّر، وأنه يجوزُ بِقِلَّةٍ.

وأُريد بالجمع هنا الكثرةُ، فعن الكلبيِّ أنَّ هذه الخيل كانت ألف فرسٍ غزا سليمان عليه السلام دمشقَ ونصيبين فأصابها.

واستشكلتْ هذه الروايةُ بأنَّ الغنائمَ لم تَحِلَّ لغير نبيِّنا ﷺ كما ورد في الحديث الصحيح[(٣)].

وأجيب بأنه يحتملُ أن تكونَ فَيْئاً لا غنيمة.

وعن مقاتلٍ أنها ألفُ فرسٍ وَرِثَها من أبيه داود، وكان عليه السلام قد أصابها من العمالقة، وهم بنو عِمْليق بن عَوْص بن عاد بن إرَم.

واستشكلت هذه زيادةً على الأولى بأنَّ الأنبياءَ عليهم السلام لا يُورِّثون كما جاء في الحديث الذي رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه[(٤)]، محتجًّا به في مسألة فَدَكٍ والعوالي بمحضرِ الصحابة، وهم الذين لا تأخذهم في الله لومةُ لائم.

---

(١) القاموس المحيط (جيد).

(٢) في (م): كجعل.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٢٦٤)، والبخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٩)، والبخاري (٣٧١٢)، ومسلم (١٧٥٩).

وأجيب بأنَّ المرادَ بالإرث حيازةُ التصرُّفِ لا الملك، وعَقْرُها تقرُّباً ـ على ما في الأوجه في الآية بَعْدُ، وجاءَ في بعض الروايات ـ لا يقتضي الملك.

وقال عوف: بلغني أنها كانتْ خيلاً ذات أجنحةٍ، أُخرجتْ له من البحر، لم تكنْ لأحدٍ قبله ولا بعده. وروي كونُها كذلك عن الحسن. وأخرج ابنُ جريرٍ وغيره عن إبراهيم التيمي أنها كانت عشرينَ ألفَ فرسٍ ذات أجنحة[1].

وليس في هذا شيءٌ سوى الاستبعاد، وإذا لم يُلتفتْ إلى الأخبار في ذلك ـ إذ ليس فيها خبرٌ صحيحٌ مرفوعٌ أو ما في حكمه يُعوَّلُ عليه فيما أعلم ـ فَلَنا أن نقولَ: هي خيلٌ كانت له، كالخيل التي تكونُ عند الملوك، وَصَلَتْ إليه بسببٍ من أسباب الملك، فاستعرضَها فلم تزلْ تُعرَض عليه حتى غربت الشمس، قيل: وغَفَلَ عن صلاة العصر، وحكى هذا الطبرسيُّ عن عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه، وقتادة والسُّدِّي، ثم قال: وفي رواياتِ أصحابنا أنه فاته أولُ الوقت. وقال الجبائيُّ: لم يَفُتْهُ الفرضُ، وإنما فاته نفلٌ كان يفعله آخرَ النهار[2].

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ قاله عليه السلام اعترافاً بما صَدَرَ عنه من الاشتغال، ونَدَماً عليه، وتمهيداً لما يَعقُبهُ من الأمر بردِّها وعَقْرِها على ما هو المشهور، والخيرُ كَثُرَ استعماله في المال، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[3] [البقرة: ٢٧٣]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

وقال بعض العلماء: لا يقال للمال خيرٌ حتى يكونَ كثيراً، ومن مكانٍ طَيِّبٍ، كما روي أنَّ عليّاً كرَّم الله تعالى وجهه دَخَلَ على مولًى له فقال: ألا أُوصي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] وليس لك

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٨٣ وفيه: عشرين فرساً.
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٠٩ بلفظ: عشرين ألف فرس. ونسبه لابن جرير وغيره.

(٢) مجمع البيان ٢٣/ ١١٣.

(٣) في الأصل و(م): يعلمه الله. والمثبت هو الصواب.

مالٌ كثيرٌ»[1]. ورُوي تفسيرُهُ بالمال هنا عن الضحاك وابن جبير.

وقال أبو حيان: يُرادُ بالخير الخيلُ، والعربُ تُسمِّي الخيلَ: الخير، وحَكَى ذلك عن قتادة والسُّدِّي[2]. ولعلَّ ذلك لتعلُّق الخير بها، ففي الخبر: «الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة»[3].

والإحبابُ ـ على ما نُقل عن الفراء[4] ـ مُضمَّنٌ معنى الإيثار، وهو مُلْحَقٌ بالحقيقة لشهرته في ذلك، وظاهرُ كلام بعضهم أنه حقيقةٌ فيه، فهو مما يتعدَّى بـ «على»، لكن عُدِّيَ هنا بـ «عن» لتضمينه معنى الإنابة، و«حُبَّ الخير» مفعولٌ به، أي: آثرتُ حُبَّ الخير منيباً له عن ذِكْرِ ربِّي، أو: أَنَبْتُ حُبَّ الخير عن ذِكْرِ ربِّي مُؤْثراً له.

وجُوِّزَ كونُ «حُبَّ» منصوباً على المصدر التشبيهيِّ، ويكون مفعول «أحببتُ» محذوفاً، أي: أحببتُ الصافنات ـ أو عَرْضَها ـ حُبّاً مثلَ حُبِّ الخير، منيباً لذلك عن ذِكْرِ ربِّي، وليس المرادُ بالخير عليه الخيل، وذكر أبو الفتح الهمداني أنَّ «أحببتُ» بمعنى لَزِمْتُ، من قوله:

ضَرْبَ بعيرِ السَّوء إذ أحبَّا[5]

واعترض بأنَّ أَحَبَّ بهذا المعنى غريبٌ لم يردْ إلا في هذا البيت، وغرابةُ اللَّفظ تدلُّ على اللُّكنة، وكلامُ الله عزَّ وجلَّ منزَّهٌ عن ذلك، مع أنَّ اللُّزومَ لا يتعدَّى بـ «عن» إلا إذا ضُمِّنَ معنًى يتعدَّى به، أو تُجوِّزَ به عنه، فلم يبقَ فائدةٌ في العدول عن المعنى المشهور مع صحَّته أيضاً بالتضمين.

وجعل بعضُهم الأحبابَ من أول الأمر بمعنى التقاعد والاحتباس و«حُبَّ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦٣٥١)، والبيهقي ٦/ ٢٧٠.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٩٦.

(٣) أخرجه أحمد (٥١٠٢)، والبخاري (٨٩٩)، ومسلم (٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) في معاني القرآن ٢/ ٤٠٥ بنحوه.

(٥) الرجز لأبي محمد الفقعسي، وهو في الأصمعيات ص١٦٣، والاشتقاق ص٣٩، وقبله:

حُلْتَ عليه بالقطيع ضربا

الخير» مفعولاً لأجله، أي: تقاعدتُ واحتبستُ عن ذِكْرِ ربِّي لِحُبِّ الخير.

وتُعقِّبَ بأنَّ الذي يدلُّ عليه كلامُ اللُّغويين أنه لزومٌ عن تعب أو مرض ونحوه، فلا يناسب تقاعد النشاط والتلهِّي الذي كان عليه السلام فيه. وقول بعض الأجلَّة بعد التنزُّل عن جواز استعمال المقيَّد في المطلق: لمَّا كان لزومُ المكان لمحبَّة الخيل على خلاف مرضاة الله تعالى جَعَلَها من الأمراض التي تحتاجُ إلى التداوي بأضدادها، ولذلك عَقَرَها، ففي «أحببتُ» استعارةٌ تبعيَّةٌ لا يخفى حُسْنها ومناسبتُها للمقام = ليس بشيءٍ؛ لخفاء هذه الاستعارة نفسِها وعدم ظهور قرينتها.

وبالجملة، ما ذكره أبو الفتح مما لا ينبغي أن يُفتَحَ له بابُ الاستحسان عند ذوي العرفان.

وجُوِّزَ حَمْلُ «أحببتُ» على ظاهره من غير اعتبارِ تضمينه ما يتعدَّى بـ «عن»، وجَعْلُ «عن» متعلِّقةً بمقدَّرٍ كـ: معرضاً وبعيداً، وهو حالٌ من ضمير «أحببتُ»، وجُوِّزَ في «عن» كونها تعليليَّة، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

و«ذكر» مضافٌ إلى مفعوله، وجُوِّزَ أن يكونَ مضافاً إلى فاعله. وقيل: الإضافةُ على معنى اللام، ولا يُرادُ بالذكر المعنى المصدريُّ، بل يُرادُ به الصلاة، فمعنى «عن ذِكْرِ ربِّي»: عن صلاة ربِّي التي شَرَعها، وهو كما ترى.

وبعضُ مَنْ جَعَلَ «عن» للتعليل فَسَّرَ ذِكْرَ[1] الرَّبِّ بكتابه عزَّ وجلَّ وهو التوراة، أي: أحببتُ الخيلَ بسبب كتاب الله تعالى، وهو التوراةُ، فإنَّ فيه مَدْحَ ارتباطها، وروي ذلك عن أبي مسلم.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو: «إنيَ أحببتُ» بفتح الياء[2].

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ متعلِّقٌ بقوله تعالى: «أحببت» باعتبار استمرار المحبَّة ودوامها حسب استمرار العَرْض، أي: أَنَبْتُ حُبَّ الخير عن ذِكْرِ ربِّي، واستمرَّ ذلك حتى غَرَبَتِ الشمسُ، تشبيهاً لغروبها في مغربها بتواري المخبَّأة

---

(١) في (م): ذلك.
(٢) التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦٢.

بحجابها على طريق الاستعارة التبعيَّة، ويجوزُ أن يكونَ هناك استعارةٌ مكنيةٌ تخييليةٌ.

وأيًّاما كان، فما أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن كعبٍ قال: الحجابُ هو حجابٌ من ياقوتٍ أخضر، محيطٌ بالخلائق، منه اخضرَّت السماء[1]. وما قيلَ: إنه جبلٌ دونَ قافٍ بسنةٍ، تغرُبُ الشمسُ وراءه. لا يَخْفَى حالُه، والناسُ في ثبوت جبل قافٍ بين مُصدِّقٍ ومكذِّب، والقَرافيُّ يقول: لا وجودَ له. وإليه أميلُ، وإن قال المثبتون ما قالوا.

والباء للظرفيَّة أو الاستعانة أو الملابسة، وعَوْدُ الضمير إلى الشمس من غير ذِكْرٍ؛ لدلالة العَشيِّ عليها.

والضميرُ المنصوبُ في قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ للصافنات على ما قال غيرُ واحد، وظاهر كلامهم أنه للصافنات المذكور في الآية، ولعلَّكَ تختارُ أنه للخيل الدالُّ عليها الحالُ المشاهَدةُ، أو الخير في قوله: «إني أحببت حب الخير»؛ لأنَّ «رُدُّوها» من تتمَّة مقالته عليه السلام، والصافناتُ غيرُ مذكورةٍ في كلامه، بل في كلام الله تعالى لنبيِّنا ﷺ.

والكلامُ ـ على ما قال الزمخشريُّ ـ على إضمار القول، أي: قال: رُدُّوها عليَّ[2]، والجملةُ مستأنفةٌ استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: فماذا قال سليمان؟ فقيل: قال: رُدُّوها. وتعقَّبه أبو حيان بأنه لا يحتاجُ إلى الإضمار؛ إذ الجملةُ مندرجةٌ تحت حكاية القول في قوله تعالى: «فقال إني» إلخ[3].

والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ فصيحةٌ مُفصِحةٌ عن جملةٍ قد حُذفت ثقةً بدلالة الحال عليها، وإيذاناً بغاية سُرْعة الامتثال بالأمر كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] أي: فرَدُّوها عليه

(١) ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٤١، وكتاب العظمة ص٣٧٤، وينظر الدر المنثور ٥/ ٣٠٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٤.
(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٩٧.

فَطَفِقَ.. إلخ، وطَفِقَ من أفعال الشروع، واسمها ضميرُ «سليمان»، و«مَسْحاً» مفعولٌ مطلقٌ لفعلٍ مقدَّرٍ هو خبرها، أي: شَرَعَ يَمْسَحُ مَسْحاً، لا حالٌ مؤوَّلٌ بماسحاً كما جوَّزه أبو البقاء[(١)]؛ إذ لا بدَّ لـ «طَفِقَ» من الخبر، وليس هذا مما يَسُدُّ الحالُ فيه مَسَدَّه. وقرأ زيدُ بن عليٍّ: «مِساحاً»[(٢)] على وزن قِتال.

﴿بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ۝٣٣﴾ أي: بسوقها وأعناقها، على أنَّ التعريفَ للعهد، وأنَّ «أل» قائمةٌ مقامَ الضمير المضاف إليه، والباءُ متعلِّقةٌ بالمسح، على معنى: شَرَعَ يمسحُ السيفَ بسوقها وأعناقها، وقال جَمْعٌ: هي زائدةٌ، أي: شَرَعَ يمسحُ سوقَها وأعناقها بالسيف، ومسحته بالسيف ـ كما قال الراغب ـ كنايةٌ عن الضرب[(٣)].

وفي «الكشاف»[(٤)]: يمسحُ السيفَ بسوقها وأعناقها: يقطعها، تقولُ: مَسَحَ عِلاوته، إذا ضَرَبَ عُنقه، ومَسَح المسفر الكتاب: إذا قَطَعَ أطرافه بسيفه.

وعن الحسن: كَسَفَ عراقيبها وضَرَبَ أعناقها، أراد بالكَسْفِ القَطْعَ، ومنه الكَسْفُ في ألقاب الزحاف في العَرُوض[(٥)]. ومَنْ قاله بالشين المعجمة فمصحِّفٌ.

وكون المراد القطع قد دلَّ عليه بعضُ الأخبار، أخرج الطبرانيُّ في «الأوسط»، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه، بسندٍ حَسَنٍ عن أُبيِّ بن كعبٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾: «قَطَعَ سُوقَها وأعناقَها بالسيف»[(٦)].

---

(١) الإملاء ٤/ ٢٥٣.
(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٩٧.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن (مسح).
(٤) ٣/ ٣٧٤.
(٥) في الأصل و(م): والعروض. والمثبت من المصدر. والكسف أو الكشف في الشعر: حذف متحرك الوتد المفروق. والزِّحاف: حدوث تغيير في ثواني الأسباب. مفتاح العلوم ص ٥٢٥، ومعجم مصطلحات العروض والقافية لمحمد علي الشوابكة وأنور أبو سويلم ص٢٢٧-٢٢٨.
(٦) المعجم الأوسط (٦٩٩٣)، ومعجم الإسماعيلي ٣/ ٧٥٣. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٩: فيه: سعيد بن بشير، وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وقد جعلها عليه السلام بذلك قرباناً لله تعالى، وكان تقريبُ الخيل مشروعاً في دينه، ولعلَّ كَشْفَ العراقيب ليتأتَّى ذبحها بسهولة.

وقيل: إنه عليه السلام حَبَسها في سبيل الله تعالى، وكان ذلك المسحُ الصادرُ منه وَسْماً لها؛ لتُعرَفَ أنها خيلٌ محبوسةٌ في سبيل الله تعالى، وهو نظيرُ ما يُفعلُ اليومَ من الوَسْم بالنار، ولا بأس به في شَرْعنا ما لم يكنْ في الوجه، ولعلَّه عليه السلام رأى الوَسْمَ بالسيف أهون من الوَسْم بالنار فاختاره، أو كان هو المعروف في تلك الأعصار بينهم، ويُروى أنه عليه السلام لمَّا فعل ذلك سَخَّرَ له الريحَ كرامةً له.

وقيل: إنه عليه السلام أراد بذلك إتلافَها حيثُ شغلته عن عبادة ربِّه عزَّ وجلَّ، وصار تعلُّقُ قلبه بها سبباً لغفلته، واستدلَّ بذلك الشبليُّ قُدِّسَ سِرُّهُ على حِلِّ تحريق ثيابه بالنار حين شغلته عن ربِّه جلَّ جلاله؛ وهذا قولٌ باطلٌ لا ينبغي أن يُلتفتَ إليه، وحاشا نبيَّ الله أن يُتلفَ مالاً محترماً لمجرَّدِ أنه شُغِلَ به عن عبادة، وله سبيلٌ لأنْ يُخرجه عن مِلْكه مع نَفْعٍ هو من أجلِّ القُرَب إليه عزَّ وجلَّ، على أنَّ تلك الخيل لم يكن عليه السلام اقتناها واستعرضها بَطَراً وافتخاراً، معاذَ الله تعالى من ذلك، وإنما اقتناها للانتفاع بها في طاعة الله سبحانه، واستعرضها للتطلُّع على أحوالها ليُصلحَ من شأنها ما يحتاجُ إلى إصلاح، وكلُّ ذلك عبادةٌ، فغايةُ ما يلزمُ أنه عليه السلام نسيَ عبادةً لِشُغله بعبادةٍ أخرى، فاستدلالُ الشِّبلي قُدِّسَ سِرُّهُ غيرُ صحيح، وقد نبَّه أيضاً على عدم صحَّته عبد الوهاب الشعرانيّ من السادة الصوفية في كتابه: «اليواقيتُ والجواهر في عقائد الأكابر» ولكن بحَمْل الآية على مَحْملٍ آخر.

وما ذكرناه في محملها وتفسيرها هو المشهورُ بين الجمهور، ولهم فيها كلامٌ غير ذلك، فقيل: ضميرُ «رُدُّوها» للشمس، والخطابُ للملائكة عليهم السلام الموكَّلين بها، قالوا: طَلَبَ ردَّها لمَّا فاته صلاةُ العصر؛ لِشُغله بالخيل، فَرُدَّتْ له حتى صلَّى العصر، وروي هذا القولُ عن عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه، كما قال الخفاجيُّ[١] والطبرسيُّ[٢].

---

(١) في حاشيته ٧/ ٣١٠.

(٢) في مجمع البيان ٢٣/ ١١٣.

وتعقَّبَ ذلك الرازيُّ بأنَّ القادرَ على تحريك الأفلاك والكواكب هو الله تعالى، فكان يجبُ أن يقول: رُدَّها عليَّ، دونَ «رُدُّوها» بضمير الجمع. فإن قالوا: هو للتعظيم، كما في: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩﴾ [المؤمنون:٩٩] قلنا: لفظُ «رُدُّوها» مُشعرٌ بأعظم أنواع الإهانة، فكيف يليقُ بهذا اللفظ رعاية التعظيم؛ وأيضاً: إنَّ الشمسَ لو رَجَعَتْ بعد الغروب لكان مشاهداً لكلِّ أهل الدنيا، ولو كان كذلك لتوافرتِ الدواعي على نقله، وحيثُ لم ينقله أحدٌ عُلِمَ فساده[1].

والذي يقول بِرَدِّ الشمس لسليمان يقول: هو كَرَدِّها ليوشع، ورَدِّها لنبيِّنا ﷺ في حديث العِير ويومَ الخندق حين شُغِلَ عن صلاة العصر، ورَدِّها لعليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه ورضي عنه بدعائه عليه الصلاة والسلام، فقد روي عن أسماء بنت عُمَيس أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُوحَى إليه ورأسه في حِجْر عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه، فلم يُصَلِّ العَصْرَ حتى غربتِ الشمسُ، فقال رسول الله ﷺ: «صلَّيتَ يا عليّ»؟ قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فارددْ عليه الشمس» قالت أسماء: فرأيتها غربَتْ ثم رأيتها طلعت بعد ما غربَتْ، ووقعتْ على الأرض، وذلك بالصَّهْباء في خيبر. وهذا الخبر في صِحَّته خلافٌ، فقد ذكره ابنُ الجوزيِّ في «الموضوعات»، وقال: إنه موضوعٌ بلا شكٍّ، وفي سنده أحمد بن داود، وهو متروكُ الحديث كذَّابٌ كما قاله الدارقطني، وقال ابن حبان: كان يضعُ الحديثَ. وقال ابن الجوزي: قد روى هذا الحديثَ ابنُ شاهين، فذكره، ثم قال: وهذا حديثٌ باطلٌ، ومِنْ تَغَفُّلِ واضعه أنه نظر إلى صورة فضيلة، ولم يَلْمَحْ عدم الفائدة فيها، وأنَّ صلاةَ العصر بغيبوبة الشمس تصيرُ قضاءً، ورجوعُ الشمس لا يُعيدها أداءً[2]. انتهى.

وقد أفرد ابن تيمية تصنيفاً في الرد على الروافض[3] ذكر فيه الحديثَ بطرقه ورجاله وأنه موضوعٌ، وقال الإمام أحمد: لا أصل له.

---

(١) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٠٥.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٢٦٦.

(٣) وهو كتاب: منهاج السنة النبوية، ينظر ٨/ ١٦٤ وما بعدها.

وصحَّحه الطحاويُّ[١] والقاضي عياض[٢]، ورواه الطبرانيُّ في «معجمه الكبير»[٣] بإسنادٍ حَسَنٍ، كما حكاه شيخ الإسلام ابن العراقيِّ في «شرح التقريب»[٤] عن أسماءَ أيضاً، لكن بلفظٍ آخر. ورواه ابن مردويه عن أبي هريرة، وكان أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلُّف عن حفظ حديث أسماء؛ لأنه من علامات النبوَّة[٥].

وكذا اختلف في حديث الرَّدِّ يومَ الخندق، فقيل: ضعيف، وقيل: موضوعٌ، وادَّعى العلامةُ ابن حجر الهيتمي صِحَّته[٦].

وما في حديث العير ـ وأظنُّ أنهم اختلفوا في صِحَّته أيضاً ـ ليس صريحاً في الرَّدِّ، فإنَّ لفظ الخبر أنه لما أسري بالنبي ﷺ وأخبرَ قومَهُ بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا: متى يجيء؟ قال: يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفتْ قريشٌ ينظرونَ وقد ولَّى النهار ولم يجئ، فدعا رسول الله ﷺ، فَزِيدَ له في النهار ساعة، وحُبستْ عليه الشمس[٧]. والحَبْسُ غيرُ الرَّدِّ، ولو كان هناك رَدٌّ لأدركه قريشٌ ولقالوا فيه ما قالوا في انشقاق القمر، ولم يُنقل، وقيل: كأنَّ ذلك كان بركةً في الزمان، نحو ما يذكره الصوفيةُ مما يُعبِّرون عنه بنَشْر الزمان، وإن لم يتعقَّله الكثيرُ.

وكذا ما كان ليوشع عليه السلام، فقد جاء في الحديث الصحيح: «لم تُحبَسِ الشمسُ على أحدٍ إلا ليوشع بن نون»[٨]. والقصةُ مشهورةٌ، وهذا الحديثُ الصحيحُ

---

(١) في شرح مشكل الآثار ٣/ ٩٥ عقب الحديث (١٠٦٨).
(٢) في الشفا ١/ ٥٤٩.
(٣) ٢٤/ (٣٨٢).
(٤) وهو طرح التثريب في شرح التقريب، ينظر ٧/ ٢٤٧-٢٤٨.
(٥) ينظر الشفا ١/ ٥٤٩ وقد نقل ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ٣٧٩ عن الذهبي في تلخيص الموضوعات أن أسانيد هذا الحديث ساقطة ليست بصحيحة.
(٦) في تحفة المحتاج بهامش حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي ١/ ٤٢٠.
(٧) ذكره ابن حجر في الفتح ٦/ ٢٢١ وعزاه ليونس بن بكير في زياداته في مغازي ابن إسحاق. وقال: هذا منقطع.
(٨) أخرجه أحمد (٨٣١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عند الكلِّ يُعارضُ جميعَ ما تقدَّم. وتأويله بأنَّ المرادَ: لم تُحبسْ على أحدٍ من الأنبياء غيري إلا ليوشع، أو بالتزام أنَّ المتكلِّمَ غيرُ داخلٍ في عموم كلامه، بعد تسليم قبوله، لا ينفي معارضته خبر الرَّدِّ لسليمان عليه السلام، فإنه بظاهره يستدعي نفي الردِّ الذي هو أعظمُ من الحبس له عليه السلام.

وبالجملة، القولُ بِرَدِّ الشمس لسليمان عليه السلام غيرُ مُسلَّمٍ، وعدمُ قولي بذلك ليس لامتناع الردِّ في نفسه كما يزعمه الفلاسفة، بل لِعَدَمِ ثبوته عندي، والذوقُ السليمُ يأبى حَمْلَ الآية على ذلك؛ لنحو ما قال الرازي، ولغيره من تعقيبِ طلب الردِّ بقوله تعالى: «فطفق» إلخ.

ثم ما قدَّمنا نقله من وقوع الصلاة بعد الردِّ قضاءً هو ما ذهب إليه البعض.

وفي «تحفة» العلَّامة ابن حجر الهيتمي: لو عادتِ الشمسُ بعد الغروب عادَ الوقتُ كما ذكره ابن العماد، وقضيةُ كلام الزركشيِّ خلافه، وأنه لو تأخَّر غروبُها عن وقته المعتاد قدِّرَ غروبها عنده، وخرج الوقتُ وإن كانت موجودة. انتهى كلامُ الزركشي، وما ذكره آخراً بعيدٌ، وكذا أولاً، فالأوجه كلامُ ابن العماد، ولا يضرُّ كونُ عَوْدِها معجزةً له ﷺ؛ لأنَّ المعجزةَ نفسُ العَوْد، وأما بقاءُ الوقت بعَوْدها فحُكْمُ الشرعِ، ومن ثَمَّ لما عادتْ صلَّى عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه العصرَ أداءً، بل عَوْدُها لم يكن إلا لذلك[1]. انتهى.

ولا يحضرني الآن ما لأصحابنا الحنفية في ذلك، بَيْدَ أني رأيتُ في «حواشي تفسير البيضاوي» لشهاب الدين الخفاجي[2]، وهو من أَجِلَّة الأصحاب ادِّعاءَ أنَّ الظاهرَ أنَّ الصلاةَ بعد الردِّ أداء، ثم قال: وقد بحثَ الفقهاء فيه بحثاً طويلاً ليس هذا محلَّه.

وقيل: ضميرُ «توارتْ» للخيلِ كضمير «رُدُّوها». واختاره جَمْعٌ، فقيل: الحجابُ: إصطبلاتها، أي: حتى دخلتِ إصطبلاتها، وقيل: حتى توارتْ في المسابقة بما يحجُبها عن النظر.

---

(١) تحفة المحتاج ١/ ٤١٩-٤٢٠.

(٢) حاشية الشهاب ٧/ ٣١٠.

وبعضُ من قال بإرجاع الضمير للخيل جَعَلَ «عن» للتعليل، ولم يجعلِ المسحَ بالسُّوق والأعناق بالمعنى السابق، فقالت طائفةٌ: عُرض على سليمان الخيل وهو في الصلاة، فأشار إليهم: إني في صلاة، فأزالوها عنه حتى دخلتْ في الإصطبلات، فقال لمَّا فرغَ من صلاته: «إني أحببتُ حُبَّ الخير» أي: الذي لي عند الله تعالى في الآخرة بسبب ذِكرِ ربِّي، كأنه يقول: فشغلني ذلك عن رؤية الخيل حتى دخلت إصطبلاتها، رُدُّوها عليَّ، فَطَفِقَ يمسحُ أعرافَها وسُوقَها محبةً لها وتكريماً. وروي أنَّ المسحَ كان ذلك عن ابن عباس والزهري وابن كيسان، ورجَّحه الطبريُّ[1]، وقيل: كان غَسْلاً بالماء.

ولا يخفى أنَّ تطبيقَ هذه الطائفة الآيةَ على ما يقولون ركيكٌ جدّاً.

وقال الرازيُّ: قال الأكثرون: إنه عليه السلام فاته صلاةُ العَصْر بسبب اشتغاله بالنظر إلى الخيل، فاستردَّها وعَقَرَ سُوقَها وأعناقها؛ تقرُّباً إلى الله تعالى، وعندي أنه بعيدٌ، ويدلُّ عليه وجوهٌ:

الأول: أنه لو كان مَسْحُ السُّوق والأعناق قَطْعها، لكان معنى قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة:٦]: اقطعوها، وهذا لا يقوله عاقلٌ، بل لو قيل: مَسَحَ رأسَهُ بالسيف، فربمَّا فُهم منه ضَرْبُ العنق، أما إذا لم يُذْكَر لفظُ السيف لم يُفْهَمْ منه ذلك ألبتَّة.

الثاني: أنَّ القائلين بهذا القول جمعوا على سليمانَ أنواعاً من الأفعال المذمومة؛ فأوَّلها: تَرْكُ الصلاة. وثانيها: أنه استولى عليه الاشتغالُ بحبِّ الدنيا إلى حيث نسي الصلاة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «حُبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة»[2]. وثالثها: أنه بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغلْ بالتوبة والإنابة. ورابعها: على القول برجوع ضمير «رُدُّوها» إلى الشمس أنه خاطَبَ رَبَّ العالمين بكلمةٍ لا يذكرها الرجلُ الحصيفُ إلا مع الخادم الخسيس. وخامسها: أنه أَتْبَعَ هذه

(١) في تفسيره ٢٠/ ٨٧.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٧/ ٣٣٨ عن الحسن مرسلاً بإسناد حسن كما قال العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤١٢.

المعاصي بعَقْرِ الخيل سُوقها وأعناقها، وقد وَرَدَ النهيُ عن ذَبْحِ الحيوان إلا لأكله(١). فهذه أنواعٌ من الكبائر نسبوها إلى سليمان عليه السلام، مع أنَّ لَفْظَ القرآن لا يدلُّ على شيءٍ منها. وسادسها: أنَّ ذِكْرَ هذه القصة ـ وكذا التي قبلها ـ بعد أمره بالصبر على سفاهة الكفار، يقتضي أنْ تكونَ مشتملةً على الأعمال الفاضلة، والأخلاق الحميدة، والصبر على طاعة الله تعالى، والإعراض عن الشهوات واللَّذَّات، وأما اشتمالُها على الإقدام على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة، فبمراحلَ عن مقتضى التعقيب، فثبتَ أنَّ كتابَ الله تعالى ينادي على القول المذكور بالفساد.

والصوابُ أن يقال: إنَّ رِباطَ الخيل كان مندوباً إليه في دينهم، كما أنه كذلك في دين نبيِّنا ﷺ، ثم إنَّ سليمانَ احتاجَ إلى الغزو، فجلس وأَمَرَ بإحضار الخيل، وأَمَرَ بإجرائها، وذَكَرَ: إنِّي لا أُحبُّها لأجل الدنيا ونصيب النفس، وإنما أُحبُّها لأمر الله تعالى وتقوية دينه، وهو المراد من قوله تعالى: «عن ذكر ربِّي» ثم إنه عليه السلام أمر بإعدائها وتسييرها حتى توارتْ بالحجاب، أي: غابتْ عن بصره، ثم أمر الرائضين بأن يَردُّوا تلك الخيل إليه، فلما عادتْ إليه طَفِقَ يمسحُ سُوقها وأعناقها، والغرضُ من ذلك المسح أمور:

الأول: تشريفٌ لها، وإبانةٌ لِعِزَّتها لكونها من أعظم الأعوان في دَفْع العدو.

والثاني: أنه أرادَ أن يظهرَ أنه في ضَبْط السياسة والملك يتَّضعُ إلى حيثُ يُباشرُ أكثرَ الأمور بنفسه.

والثالث: أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يمتحنُها ويمسحُ سُوقها وأعناقها حتى يعلمَ هل فيها ما يدلُّ على المرض.

فهذا التفسيرُ الذي ينطبقُ عليه لَفْظُ القرآن انطباقاً موافقاً، ولا يلزمنا نسبةُ شيءٍ من تلك المنكرات والمحذورات إلى نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام.

ثم قال: وأقول: أنا شديدُ التعجُّب من الناس، كيف قبلوا ما شاعَ من الوجوه

---

(١) أخرجه أبو داود في المراسيل (٣١٦) من حديث القاسم مولى عبد الرحمن.

السخيفة، مع أنَّ العقلَ والنقلَ يَردَّانها، وليس لهم في إثباتها شبهةٌ، فضلاً عن حُجَّة، ولَفْظُ الآية لا يدلُّ على شيءٍ من تلك الوجوه التي يذكرها الجمهور كما قد ظهر ظهوراً لا يرتابُ العاقل فيه، وبِفَرْضِ الدلالة يقال: إنَّ الدلائلَ الكثيرةَ قامتْ على عصمة الأنبياء عليهم السلام، ولم يدلَّ دليلٌ على صحَّة تلك الحكايات، وروايةُ الآحاد لا تصلحُ معارضةً للدلائل القوية، فكيف الحكاياتُ عن أقوامٍ لا يُبالى بهم ولا يُلتفتُ إلى أقوالهم[1]؟! انتهى كلامه.

وكان عليه الرحمة قد اعترض القولَ برجوع ضميرِ «توارت» إلى الشمس دون «الصافنات»، بأنَّ الصافناتِ، مذكورةٌ بصريحها والشمسُ ليست كذلك، وعَوْدُ الضمير إلى المذكور أولى من عَوْده إلى المقدَّر، وأيضاً أنه قال: «إني أحببتُ حُبَّ الخير عن ذِكْر ربِّي حتى توارتْ بالحجاب» وظاهره يدلُّ على أنه كان يُعيدُ ويُكرِّرُ قوله: «إني أحببتُ حُبَّ الخيرَ عن ذِكْرِ ربيِّ» إلى أن توارتْ بالحجاب، فإذا كانتِ المتواريةُ الشمسَ، يلزمُ القولُ بأنه كرَّر ذلك من العَصْر إلى المغرب، وهو بعيدٌ، وإذا كانتِ الصافناتِ كان المعنى: أنه حين وَقَعَ بَصَرُهُ عليها حالَ عَرْضِها كان يقولُ ذلك إلى أنْ غابتْ عن عينه، وذلك مناسبٌ، وأيضاً: القائلون بالعَوْد إلى الشمس قائلونَ بتَرْكه عليه السلام صلاةَ العصر، ويأباهُ: «إني أحببتُ» إلخ؛ لأنَّ تلك المحبَّةَ لو كانتْ عن ذِكْر الله تعالى لما نسي الصلاةَ، ولما تَرَكَ ذِكْرَ الله عزَّ وجلَّ[2].

وأقول: ما عند الجمهور أولى بالقَبول، وما ذكره عليهم من الوجوه لا يُلتفتُ إليه ولا يُعوَّل عليه؛ أما ما قاله من أنه لو كان مَسْحُ السوق والأعناق بمعنى القَطْع لكان: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] أمْراً بقَطْعها، ففيه أنَّ هذا إنما يتمُّ لو قيل: إنَّ المسحَ كلَّما ذُكِرَ بمعنى القَطْع، ولم يُقَلْ ولا يُقال، وإنما قالوا: إنَّ المسحَ في الآية بمعنى القَطْع، وقد قال بذلك رسول الله ﷺ كما جاء في خبرٍ حَسَنٍ، وقد قدَّمناه لك عن الطبرانيِّ والإسماعيلي وابن مردويه[3]، وليس بعد قوله عليه الصلاة

(١) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٠٥-٢٠٧.

(٢) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) سلف ص٢٧٥.

والسلام قولٌ لقائلٍ، ويكفي مثلُ ذلك الخبر في مثل هذا المطلب؛ إذ ليس فيه ما يُخالفُ العقلَ أو نقلاً أقوى كما ستعرفه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر هذا المعنى للمسح الزمخشريُّ أيضاً[1]، وهو من أَجِلَّة علماء هذا الشأن، وصَحَّ نقلُهُ عن جماعةٍ من السلف، وقال الخفاجيُّ: استعمالُ المَسْحِ بمعنى ضَرْبِ العنق استعارةٌ وقعتْ في كلامهم قديماً[2]. نعم احتياجُ ذلك للقرينة مما لا شُبهةَ فيه، والقرينةُ عند مَنْ يدَّعيه هاهنا السياقُ وعَوْدُ ضمير «توارتْ» على الشمس، وهو كالمتعيّن كما سيتَّضحُ لك إن شاء الله تعالى.

وأما قوله: إنهم جمعوا على سليمان عليه السلام أنواعاً من الأفعال المذمومة، فَفِرْيةٌ من غير مرية.

وقوله: أولها: تَرْكُ الصلاة، فيه أنَّ التَّرْكَ المذمومَ ما كان عن عمدٍ، وهم لا يقولون به، وما يقولون به التركُ نسياناً، وهو ليس بمذمومٍ؛ إذ النسيانُ لا يدخلُ تحتَ التكليف، على أنَّ كونَ ما تُرك فرضاً مما لم يجزمْ به الجميع.

وقوله: ثانيها: أنه استولى عليه الاشتغالُ بحُبِّ الدنيا إلى حيثُ تَرَكَ الصلاةَ، فيه أنَّ ذلك اشتغالٌ بخيلِ الجهاد، وهو عبادة.

وقوله: ثالثها: أنه بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغلْ بالتوبة والإنابة، فيه أنَّا لا نُسلِّم أنه عليه السلام ارتكبَ ذنباً حقيقةً، فضلاً عن كونه عظيماً، نعم ربما يقال: إنه عليه السلام لم يستحسنْ ذلك بمقاومة، فأتبعه التقرُّب بالخيل التي شُغِلَ بسببها، وذلك يدلُّ على التوبة دلالةً قوية، ولم يكن ليتعطَّلَ أمرُ الجهاد به، فقد أُوتي عليه السلام غير ذلك، على أنَّ كونَ ما ذُكر كالاستشهاد على قوله تعالى: «إنه أواب» مُشعرٌ بتضمُّنه الأَوْبةَ، وإن ذهبنا إلى تعلُّق «إذ عُرض» بـ «أَوَّاب» يكادُ لا يَرِدُ هذا الكلام رأساً.

وقوله: رابعها: أنه خاطَبَ ربَّه عزَّ وجلَّ بلَفْظٍ غيرِ مناسب، فيه أنه إن وَرَدَ

(١) في الكشاف ٣/ ٣٧٤.

(٢) حاشية الشهاب ٧/ ٣١٠.

فإنما يَرِد على القول برجوع ضمير «رُدُّوها» إلى الشمس، ونحن لا نقول به، فلا يلزمنا الجوابُ عنه، والذي نقوله: إنَّ الضميرَ للخيل، والخطابَ لخدمته، ومع هذا لم يقلْ تلك الكلمةَ تهوُّراً وتجبُّراً كما يُتوهَّم.

وقوله: خامسها: إنه أتبع هذه المعاصي بعَقْرِ الخيل، وقد وَرَدَ النهي.. إلخ، فيه أنه عليه السلام لم يفعلْ معصيةً ليقال: أتبعَ هذه المعاصي، وأنَّ الخيلَ عُقرتْ قرباناً، وكان تقريبُها مشروعاً في دينه، فهو طاعة.

ومن مجموع ما ذكرنا يُعلَمُ ما في قوله: سادسها.. إلخ على أنه قد تقدَّم لك وجهُ رَبْطِ هذه القصص بما قبلها، وهو لا يتوقَّفُ على التزام ما قاله في هذه القصة، وما زَعَمَهُ من أنه الصوابُ، ففيه إرجاعُ ضمير «توارت» إلى الخيل، ولا يخفى على ذي ذوقٍ سليمٍ وطبعٍ مستقيمٍ أنَّ تواريَ الخيل بالحجاب عبارةٌ ركيكةٌ يُجَلُّ عنها الكتابُ المتين.

وفيه أيضاً أنه لا يكادُ ينساقُ إلى الذهن متعلَّق «حتى توارت» الذي أشار إليه في تقرير ما زَعَمَ صوابيَّته، وتعلُّقه بـ «قال» على ما يُشير إليه كلامه المنقولُ آخراً مما يُستبْعَدُ جدّاً، فإنَّ الظاهرَ أنَّ قوله: «حتى توارت بالحجاب» من المحكيِّ كالذي قبله والذي بعده، لا من الحكاية، وأيضاً كونُ الردِّ للمَسْحِ الذي ذكره خلاف ما جاء في الخبر الحسن، وهو في نفسه بعيد، والأغراض التي ذكرها فيه لا يخفى حالها، ودعواهُ أنَّ هذا التفسيرَ هو الذي ينطبقُ عليه لفظُ القرآن مما لا يتمُّ لها دليلٌ، ولعلَّ الدليلَ على عَدَمِ الانطباق ظاهرٌ.

وقوله: أنا شديدُ التعجُّب من الناس.. إلخ، أقولُ فيه: أنا تعجُّبي منه أشدُّ من تعجُّبه من الناس، حيث خفي عليه حُسْنُ الوجه الذي استحسنه الجمهور ولم يطَّلعْ على ما ورد فيه من الأخبار الحسان، وظَنَّ أنَّ القولَ به منافٍ للقول بعِصْمةِ الأنبياء عليهم السلام حتى قال ما قال، وَرَشَقَ على الجمهور النِّبالَ.

وقوله في ترجيح رجوع ضمير «توارت» إلى «الصافنات» على رجوعه إلى الشمس: إنها مذكورةٌ بصريحها دون الشمس، ليس بشيءٍ، فإنَّ رجوعَهُ إلى الشمس

يجعلُ الكلامَ ركيكاً، فلا ينبغي ارتكابه لمجرَّد أنَّ فيه رجوع الضمير إلى مذكورٍ صريحاً، على أنَّ في كونه راجعاً إلى الصافنات المذكورة صريحاً بحثاً، ولا يَرِدُ على الجمهور لزومُ تخالف الضمائر في المرجع، وهو تفكيكٌ؛ لأنَّ التخالفَ مع القرينة لا ضَيْرَ فيه.

وأَعْجَبُ مما ذكرَ زَعْمُهُ أنه يلزمُ على ما قال الجمهور أنَّ سليمان عليه السلام كرَّر قوله: «إني أحببتُ حُبَّ الخير عن ذِكْرِ ربي» من العَصْر إلى المغرب، فإنَّ الجمهورَ ما حاموا حولَ ما يلزمُ منه ذلك أصلاً؛ إذ لم يقلْ أحدٌ منهم بأنَّ «حتى» متعلِّقةٌ بـ «قال» كما زَعَمَ هو، بل هي عندهم متعلِّقةٌ بـ «أحببت» على المعنى الذي أسلفناه، ومَن أنصفَ لا يرتضي أيضاً القولَ بأنه عليه السلام كرَّرَ ذلك القولَ إلى أن غابت الخيلُ عن عينه كما قال به هذا الإمام.

ويَرِدُ على قوله: القائلون بالعَوْد إلى الشمس قائلونَ بتَرْكه عليه السلام صلاةَ العصر، ويأباه «إني أحببت» إلخ؛ لأنَّ تلك المحبة لو كانت عن ذِكْرِ الله تعالى لما نسي الصلاةَ = أنَّ الجمهورَ لا يقولون بأنَّ «على» للتعليل، والإباءُ المذكورُ ـ على تقدير تسليمه ـ لا يتسنَّى إلا على ذلك، وما يقولونه ـ وقد أسلفناه لك ـ بمراحلَ عنه.

وبالجملة، قد اختلَّتْ أقوالُ هذا الإمام في هذا المقام، ولم ينصف مع الجمهور وهم أعرفُ منه بالمأثور، نعم ما ذكره في الآية وجهٌ ممكنٌ فيها على بُعدٍ إذا قُطِعَ النظرُ عن الأخبار وما جاء عن السلف من الآثار، وقد ذَكَرَ نحوَهُ عبد الوهاب الشعرانيُّ في كتابه «اليواقيت والجواهر» وهو في الحقيقة ـ والله تعالى أعلم ـ من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين قُدِّسَ سِرُّهُ وقد خالف الجمهورَ كالإمام، قال في الباب المئة والعشرين من «الفتوحات»[(١)]: ليس للمفسِّرين الذين جعلوا التواري للشمس دليلٌ، فإنَّ الشمسَ ليس لها هنا ذِكْرٌ، ولا للصلاة التي يزعمون، ومساقُ الآية لا يدلُّ على ما قالوه بوجهٍ ظاهرٍ ألبتَّة، وأما استرواحهم فيما فسَّروه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ فالمرادُ بتلك الفتنة إنما هو الاختبارُ بالخيل، هل

---

(١) بل في الباب الرابع والعشرين ومئة.

يُحبُّها عن ذِكْرِ ربِّه تعالى لها، أو يُحبُّها لعينها؟ فأخبر عليه السلام عن نفسه أنه أحبَّها عن ذِكْرِ ربِّه سبحانه إياها، لا لِحُسْنها وكمالها وحاجته إليها، إلى آخر ما قال.

وقد كان قُدِّسَ سِرُّهُ معاصراً للإمام، وكتب إليه رسالةً يُرغِّبه فيها بسلوك طريقة القوم، ولم يجتمعا، وغالبُ الظَّنِّ أنه لم يأخذْ أحدهما من الآخر ما قال في الآية، بل لم يسمعه، وعِلْمُ كلٍّ منهما لا يُنكَرُ، والشيخ بحرٌ لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وما ذكره في الاسترواح مما لم أقفْ عليه لأحدٍ من المفسِّرين، والله تعالى أعلم.

وقرأ ابن كثير: «بالسُّؤق» بهمزةٍ ساكنة(١)، قال أبو عليٍّ(٢): وهي ضعيفةٌ، لكنَّ وَجْهَها في القياس أنَّ الضمةَ لمَّا كانت تلي الواوَ قُدِّرَ أنها عليها، كما يفعلون بالواو المضمومة حيث يُبدلونها همزة، ووجهُها من القياس(٣) أنَّ أبا حَيَّةَ النميري كان يهمزُ كلَّ واوٍ ساكنةٍ قبلَها ضمة، وكان ينشد:

أَحَــبُّ الــوافــدَيْــنِ إلــيَّ مُــؤْســى(٤)

وقال أبو حيان: ليستْ ضعيفةً؛ لأنَّ الساق فيه الهمزة، فوزنه: فُعْلٌ بسكون العين، فجاءت هذه القراءةُ على هذه اللغة(٥).

وتُعقِّبَ بأنَّ هَمْزَ الساق إبدالٌ على غير القياس؛ إذ لا شُبهةَ في كونه أجوف، فلا بدَّ من التوجيه بما تقدم.

وقرأ ابن محيصن: «بالسُّؤُوق» بهمزةٍ مضمومةٍ بعدها واوٌ ساكنةٌ بوزن الفُسُوق، ورواها بكَّار عن قنبل(٦)، وهو جَمْعُ ساقٍ أيضاً.

---

(١) التيسير ص١٦٨، والنشر ٢/ ٣٣٨.

(٢) في الحجة للقراء السبعة ٦/ ٦٨-٦٩.

(٣) كذا في الأصل و(م) والبحر ٧/ ٣٩٧ نقلاً عن أبي عليٍّ، والذي في الحجة: السماع.

(٤) صدر بيت لجرير، وهو في ديوانه ص١١٦، وعجزه: وجَعْدَةُ لو أضاءهما الوقود، وسلف ١٩/ ٤٦٠ برواية: أَحَبُّ المُؤقِدَيْنِ.

(٥) البحر المحيط ٤/ ٣٩٧.

(٦) الكشاف ٣/ ٣٧٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٧.

وقرأ زيد بن عليٍّ رضي الله عنهما: «بالساق» مفرداً[١]؛ اكتفى به عن الجمع لأَمْنِ اللَّبْس.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ أظهرُ ما قيل في فتنته عليه السلام أنه قال: «لأطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأة، تأتي كلُّ واحدةٍ بفارسٍ يُجاهد في سبيل الله تعالى، ولم يقلْ: إن شاء الله، فطافَ عليهنَّ فلم تحملْ إلا امرأة، وجاءتْ بشِقِّ رجلٍ» وقد روى ذلك الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعاً، وفيه: «فو الذي نفسُ محمدٍ بيده، لو قال: إن شاء الله؛ لجاهدوا فرساناً»[٢] لكنَّ الذي في «صحيح البخاري» أربعينَ، بدلَ: سبعين[٣]، وأنَّ الملك قال له: قلْ: إن شاء الله، فلم يقلْ. وغايتُهُ تَرْكُ الأَولى، فليس بذَنْبٍ وإن عدَّهُ هو عليه السلام ذنباً، فالمراد بالجَسَدِ ذلك الشِّقُّ الذي وُلِدَ له، ومعنى إلقائه على كُرسيِّهِ: وَضْعُ القابلة له عليه لِيَراهُ.

وروى الإماميَّةُ عن أبي عبد الله رضي الله عنه أنه وُلد لسليمان ابنٌ، فقالت الجنُّ والشياطين: إن عاشَ له ولدٌ لَنَلْقَيَنَّ منه ما لَقينا من أبيه من البلاء، فأشفقَ عليه السلام منهم، فجعلهُ وظِئْرَهُ في السحاب من حيثُ لا يعلمون، فلم يشعرْ إلا وقد أُلقي على كُرسِّيهِ ميتاً؛ تنبيهاً على أنَّ الحَذَرَ لا يُنجِّي من القَدَر، وعُوتبَ على تَرْكه التوكُّلَ اللائقَ بالخواصِّ من تَرْكِ مباشرةِ الأسباب، ورُوي ذلك عن الشعبيِّ أيضاً[٤]. ورواه بعضُهم عن أبي هريرةَ على وجهٍ لا يَشُكُّ في وَضْعه إلا مَنْ يَشُكُّ في عِصْمة الأنبياء عليهم السلام، وأنا في صحَّةِ هذا الخبر لستُ على يقينٍ، بل ظاهرُ الآية أنَّ تسخيرَ الريح بعد الفتنة، وهو ظاهرٌ في عدم صِحَّة الخبر؛ لأنَّ الوَضْعَ في السحاب يقتضي ذلك.

وأخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذي[٥] من طريق عليٍّ بن زيدٍ عن سعيد بن المسيب أنَّ سليمانَ عليه السلام احتجَبَ عن الناس ثلاثةَ أيامٍ، فأوحى الله تعالى

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٤، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٧.
(٢) صحيح البخاري (٣٤٢٤)، ومسلم (١٦٥٤)، وهو عند أحمد (٧٧١٥).
(٣) كذا في حاشية الشهاب ٧/ ٣١١. والصواب أنه في البخاري: سبعين. وفي رواية: تسعين، وفي أخرى: مئة.
(٤) مجمع البيان ٢٣/ ١١٤.
(٥) كما في الدر المنثور ٥/ ٣١٢.

إليه أنْ: يا سليمان، احتجبتَ عن الناس ثلاثةَ أيامٍ فلم تنظرْ في أمور عبادي، ولم تُنصفْ مظلوماً من ظالم. وكان مُلْكُهُ في خاتمه، وكان إذا دخل الحمَّامَ وَضَعَ خاتمه تحتَ فراشه، فجاء الشيطانُ فأخذهُ، فأقبل الناسُ على الشيطان، فقال سليمان: يا أيها الناس، أنا سليمان نبيُّ الله تعالى. فدفعوه، فَسَاحَ أربعينَ يوماً، فأتى أهلَ سفينةٍ فأعطوه حُوتاً فشقَّها، فإذا هو بالخاتم فيها، فتختَّم به ثم جاء، فأخذ بناصيته فقال عند ذلك: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾.

وأخرج النسائيُّ وابن جرير وابن أبي حاتم ـ قال ابن حجر والسيوطيُّ: بسندٍ قويٍّ[1] ـ عن ابن عباس: أراد سليمانُ عليه السلام أن يدخلَ الخلاءَ، فأعطى لجرادةَ خاتمه ـ وكانت امرأتَه، وكانت أَحَبَّ نسائه إليه ـ فجاء الشيطانُ في صورة سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي. فأعطته، فلما لَبِسَهُ دانتِ الإنسُ والجِنُّ والشياطينُ، فلما خَرَجَ سليمانُ قال لها: هاتي خاتمي. قالت: قد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان، قالت: كذبتَ لستَ سليمان، فجعل لا يأتي أحداً فيقول له: أنا سليمان، إلا كَذَّبه، حتى جَعَلَ الصبيانُ يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك عَرَفَ أنه من أمرِ الله تعالى، وقام الشيطانُ يحكمُ بين الناس، فلما أراد الله تعالى أن يَرُدَّ عليه سلطانه، ألقى في قلوب الناس إنكارَ ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا: أَتُنْكِرْنَ من سليمان شيئاً؟ قلنَ: نعم، إنه يأتينا ونحن حُيَّضٌ، وما كان يأتينا قبلَ ذلك، فلما رأى الشيطانُ أنه قد فُطِنَ له، ظَنَّ أنَّ أمرَه قد انقطعَ، فأمر الشياطينَ فكتبوا كُتُباً فيها سِحْرٌ ومَكْرٌ، فدفنوها تحت كُرسيِّ سليمان، ثم أثاروها وقرؤوها على الناس وقالوا: بهذا كان يظهرُ سليمانُ على الناس ويغلبهم، فأكْفَرَ الناسُ سليمانَ، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم، فَطَرَحهُ في البحر، فتلقَّتهُ سمكةٌ، فأخذته، وكان عليه السلام يعملُ على شَطِّ البحر بالأجر، فجاء رجلٌ فاشترى سَمَكاً فيه تلك السَّمكة، فدعا سليمانَ فحملَ معه السمكَ إلى باب داره، فأعطاه تلك السمكة، فَشَقَّ بطنها، فإذا الخاتم فيه، فأخذهُ فَلَبِسَهُ، فدانتْ له الإنسُ والجِنُّ والشياطين، وعاد إلى حاله، وهَرَبَ الشيطانُ إلى جزيرةٍ في البحر، فأرسل في طلبه، وكان

(١) الدر المنثور ٥/ ٣١٠، والخبر في السنن الكبرى للنسائي (١٠٩٢٦)، وتفسير الطبري ٢/ ٣٢٤.

مَريداً فلم يقدروا عليه حتى وجدوه نائماً، فبنوا عليه بنياناً من رصاصٍ، فاستيقظ فأوثقوه وجاؤوا به إلى سليمان، فأمرَ فنُقِرَ له صندوقٌ من رخام، فأُدخل في جوفه، ثم سُدَّ بالنحاس، ثم أُمر به فَطُرِحَ في البحر.

وذُكر في سبب ذلك أنه عليه السلام كان قد غزا صيدون في الجزائر، فقتل مَلِكَها وأصاب ابنته، وهي جرادةُ المذكورة، فأَحَبَّها، وكان لا يرقأُ دَمْعُها جَزَعاً على أبيها، فأمرَ الشياطينَ فمثَّلوا لها صورته ـ وكان ذلك جائزاً في شريعته ـ وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها، يَسْجُدْنَ لها كعادتهنَّ في مُلْكه، فأخبرهُ آصَفُ[1] فَكَسَرَ الصورةَ وضَرَبَ المرأة، فعُوتب بذلك حيث تغافلَ عن حال أهله.

واختلف في اسم ذلك الشيطان، فعن السُّدِّي أنه حبقيق؛ وعن الأكثرين أنه صَخْرٌ، وهو المشهور، وإنما قال سبحانه: ﴿جَسَدًا﴾ لأنه إنما تمثَّلَ بصورة غيره، وهو سليمانُ عليه السلام، وتلك الصورةُ المتمثّلة ليس فيها روحُ صاحبها الحقيقيِّ، وإنما حَلَّ في قالبها ذلك الشيطان، فلذا سُمِّيتْ جَسَداً، وعبارة «القاموس»[2] صريحةٌ في أنَّ الجَسَدَ يُطلَقُ على الجِنِّي.

وقال أبو حيان وغيره: إنَّ هذه المقالةَ من أوضاع اليهود وزنادقة السوفسطائية، ولا ينبغي لعاقلٍ أن يعتقدَ صِحَّةَ ما فيها، وكيف يجوزُ تمثُّلُ الشيطان بصورة نبيٍّ حتى يَلتبسَ أمرُهُ عند الناس، ويعتقدوا أنَّ ذلك المتصوَّر هو النبيّ، ولو أمكن وجودُ هذا لم يُوثَقْ بإرسال نبيٍّ، نسأل الله تعالى سلامة ديننا وعقولنا[3].

ومن أقبح ما فيها زَعْمُ تسلُّط الشيطان على نساء نبيِّه، حتى وطئهنَّ وهُنَّ حُيَّضٌ. الله أكبرُ، هذا بهتانٌ عظيمٌ، وخَطْبٌ جسيم، ونسبةُ الخبر إلى ابن عباس رضي الله عنهما لا تسلم صِحَّتها، وكذا لا تسلمُ دعوى قوَّة سَنَده إليه، وإن قال بها مَن سمعت.

---

(١) آصَف: كاتب سليمان صلوات الله عليه، دعا بالاسم الأعظم فرأى سليمانُ العرش مستقراً عنده. القاموس المحيط (أصف).

(٢) مادة (جسد).

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٩٧.

وجاء عن ابن عباس برواية عبد الرزاق وابن المنذر[١] ما هو ظاهرٌ في أنَّ ذلك من أخبار كَعْب، ومعلومٌ أنَّ كعباً يرويه عن كتب اليهود، وهي لا يُوثَقُ بها، على أنَّ إشعارَ ما يأتي بأنَّ تسخيرَ الشياطين بعد الفتنة يأبى صِحَّةَ هذه المقالة كما لا يخفى، ثم إنَّ أمرَ خاتم سليمان عليه السلام في غاية الشهرة بين الخواصِّ والعوامِّ، ويُستبعد جدّاً أن يكون الله تعالى قد رَبَطَ ما أعطى نبيَّه عليه السلام من الملك بذلك الخاتم، وعندي أنه لو كان في ذلك الخاتم السِّرُّ الذي يقولون، لَذَكَرَهُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

وقال قوم: مَرِضَ سليمان عليه السلام مَرَضاً كالإغماء، حتى صار على كُرسيِّه كأنه جَسَدٌ بلا روح، وقد شاع قولهم في الضعيف: لَحْمٌ على وَضَم[٢]، وجَسَدٌ بلا روح، فالجسدُ الملقى على الكرسيِّ هو عليه السلام نفسه. وروي ذلك عن أبي مسلم، وقال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رجع إلى الصحة، وجعل «جَسَداً» حالاً من مفعول «ألقينا» المحذوف، كأنه قيل: ولقد فتنَّا سليمانَ ـ أي: ابتليناه وأمرضناه ـ وألقيناه على كرسِّيه ضعيفاً كأنه جَسَدٌ بلا روح، ثم رَجَعَ إلى صِحَّته. ولا يخفى سقمُهُ، والحقُّ ما ذُكر أولاً في الحديث المرفوع.

وعَطْفُ «أناب» بـ «ثم» وكان الظاهر الفاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾، قيل: إشارةٌ إلى استمرار إنابته وامتدادها، فإنَّ الممتَدَّ يُعطَفُ بها نظراً لأواخره، بخلاف الاستغفار، فإنه ينبغي المسارعةُ إليه، ولا امتدادَ في وقته.

وقيل: إنَّ العَطْفَ بـ «ثم» هنا لما أنه عليه السلام لم يعلم الداعي إلى الإنابة عَقيبَ وقوعه، وهذا بخلاف ما كان في قصة داود عليه السلام، فإنَّ العَطْفَ هناك على ظَنِّ الفتنة، واللائقُ به أن لا يُؤخِّر الاستغفارُ عنه. وقيل: العَطْفُ بها هنا لما أنَّ بين زمان الإنابة وأول زمان ما وقع منه عليه السلام من تَرْك الاستثناء مدَّةً

(١) كما في الدر المنثور ٥/ ٣١٠.

(٢) الوَضَم: ما وقيتَ به اللحمَ عن الأرض من خشب وحصير. وتركهم لحماً على وضم: أوقعهم فذلَّلهم وأوجعهم. القاموس المحيط (وضم).

طويلة، وهي مُدَّةُ الحمل، وليس بين زمان استغفار داود عليه السلام وأول زمان ما وقع منه كذلك.

﴿قَالَ﴾ بدلٌ من «أناب» وتفسيرٌ له على ما في «إرشاد العقل السليم»[(١)]، وهو الظاهر. ويمكن أن يكون استئنافاً بيانياً نشأ من حكاية ما تقدَّم، كأنه قيل: فهل كان له حالٌ لا يضرُّ معه مَسْحُ الخيل سُوقها وأعناقها؟ وهل كان بحيثُ تقتضي الحكمةُ فتنته؟ فأُجيب بما أُجيب، وحاصله: نعم كان له حالٌ لا يضرُّ معه المَسْحُ، وكان بحيثُ تقتضي الحكمةُ فتنتهُ، فقد دعا بمُلْكٍ عظيمٍ فوُهِبَ له، ويمكن أن يُقرَّرَ الاستئنافُ على وجهٍ آخر، وكذا يمكن أن يكونَ استئنافاً نحويّاً لحكاية شيءٍ من أحواله عليه السلام، فتأمل.

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ ما لم أستحسنْ صدورَهُ عني.

﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ أي: لا يصحُّ لأحدٍ غيري لِعَظمته، فـ «بعد» هنا نظيرُ ما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣] أي: غير الله تعالى، وهو أعمُّ من أن يكونَ الغيرُ في عَصْره، والمراد وَصْفُ الملك بالعَظَمة على سبيل الكناية، كقولك: لفلانٍ ما ليس لأحدٍ من الفَضْل والمال، وربما كان في الناس أمثالُهُ، تريدُ أنَّ له من ذلك شيئاً عظيماً، لا أن لا يُعطى أحدٌ مثله ليكون منافسة.

وما أخرج عبد بن حميد والبخاريُّ ومسلمٌ والنسائيُّ، والحكيم الترمذيُّ في «نوادر الأصول»، وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ عفريتاً جعل يتفلَّتُ عليَّ البارحةَ ليقطعَ عليَّ صلاتي، وإنَّ الله تعالى أمكنني منه، فلقد هَممْتُ أن أربطه إلى ساريةٍ من سواري المسجد حتى تُصبحوا فتنظروا إليه كلّكم، فَذَكَرْتُ قولَ أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ فردَّهُ الله تعالى خاسئاً»[(٢)] لا ينافي ذلك؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أراد كمالَ رعايةِ دعوة

---

(١) ٧/ ٢٢٧.

(٢) صحيح البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١)، والنسائي في الكبرى (١١٣٧٦)، ونوادر الأصول ص١١١، وهو عند أحمد (٧٩٦٩).

أخيه سليمان عليه السلام بِتَرْكِ شيءٍ تضمَّنه ذلك المُلْك العظيم، وإلا فالمُلْكُ العظيمُ ليس مجرَّدَ رَبْطِ عفريتٍ إلى سارية، بل هو سائرُ ما تضمَّنه قوله تعالى الآتي: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ إلخ.

وقيل: إنَّ عَدَمَ المنافاة؛ لأنَّ الكنايَةُ تُجامعُ إرادةَ الحقيقةِ كما تُجامعُ إرادةَ عَدَمِها، ولعلَّه إنما طلب عليه السلام ذلك ليكونَ علامةً على قبول سؤاله المغفرةَ وجَبْرَ قَلْبٍ عمَّا فاته بتَرْكِ الاستثناء، أو ليتوصَّل به إلى تكثير طاعته لله عزَّ وجلَّ ونعمت الدنيا الصالحة للعبد الصالح، فلا إشكال في طَلَبِ الملك في هذا المقام إذا قلنا بما يقتضيه ظاهرُ النَّظْم الجليل من صدور الطَّلبين معاً.

وقال الزمخشريُّ: كان سليمان عليه السلام ناشئاً في بيت الملك والنبوَّة، ووارثاً لهما، فأراد أن يطلبَ من ربِّه عزَّ وجلَّ معجزةً، فطلب على حَسَبِ إلفه مُلْكاً زائداً على الممالك زيادةً خارقةً للعادة، بالغةً حَدَّ الإعجاز؛ ليكون ذلك دليلاً على نبوَّته، قاهراً للمبعوث إليهم، ولن تكون معجزةً حتى تخرقَ العادات، فذلك معنى: «لا ينبغي لأحد من بعدي»[1]. فقوله: «من بعدي» بمعنى: من دوني وغيري كما في الوجه السابق، وحُسْنُ طَلَبِ ذلك معجزةً مع قَطْع النَّظر عن الإلف أنه عليه السلام كان زمن الجبَّارين وتفاخرهم بالملك، ومعجزةُ كلِّ نبيٍّ من جنس ما اشتهر في عصره، ألا ترى أنه لمَّا اشتهر السِّحرُ وغَلَبَ في عهد الكليم عليه السلام، جاءهم بما يتلقَّفُ ما أتوا به، ولما اشتهر الطِّبُّ في عهد المسيح عليه السلام، جاءهم بإبراء الأَكْمَه والأبرص وإحياء الموتى، ولما اشتهر في عهد خاتم الرسل ﷺ الفصاحة، أتاهم بكلامٍ لم يقدروا على أَقْصَرِ فَصْلٍ من فصوله.

واعتُرض بأنَّ اللائقَ بطَلَبِ المعجزةِ أن يكون في ابتداء النبوَّة، وظاهرُ النَّظْم الجليل أنَّ هذا الطَّلَبَ كان بعد الفتنة والإنابة، كيف لا وقوله تعالى: «قال» إلخ بدلٌ من «أناب» وتفسيرٌ له، والفتنةُ لم تكنْ في الابتداء كما يُشعر به النَّظْمُ.

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٥.

وأجيب بأنَّا لا نُسلِّمُ أنَّ اللائقَ بطَلَبِ المعجزةِ كونها في ابتداء النبوَّة، وإن سُلِّمَ فليس في الآية ما ينافي وقوعه، وكذا وقوعُ الفتنة في ابتدائها لاسيَّما إن قلنا: إنَّ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ إلخ ليس تفسيراً لـ «أناب».

وأجيب على القول بأنَّ الفتنةَ كانت سَلْبَ الملك بأنَّ رجوعَهُ بعدُ كالابتداء.

وذكر بعضُ الذاهبين إلى ذلك أنه عليه السلام أقام في مُلْكه قبل الفتنة عشرينَ سنة، وأقام بعدها عشرينَ سنة أيضاً، وقالوا في هذه الآية: إنَّ مَصَبَّ الدعاء الوَصْفُ، فمعنى الآية: هَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ غيري ممن هو في عصري، بأنْ يسلبه مني كهذه السلبة. ورويَ هذا المعنى عن عطاء بن أبي رباح وقتادة، وحاصله الدعاء بعَدمِ سَلْبِ مُلْكه عنه في حياته، ويُفهم مما في سياق التفريع إجابةُ سؤاله عليه السلام، وأنَّ ما وُهِبَ له لا يُسلَبُ عنه بَعْدُ.

وجُوِّزَ أن يكونَ هذا دعاءً بِعَدَم السَّلْبِ، وإن لم يتقدَّم سَلْبٌ، ودوامُ نعمة الله عزَّ وجلَّ مما يَحْسُنُ الدعاءُ به، والآثار مَلأى من ذلك، فهذا الوجهُ لا يتعيَّنُ بناؤه على تفسير الفتنة بسَلْبِ الملك على ما حكي سابقاً.

وقال الجبائيُّ: إنه عليه السلام طَلَبَ مُلْكاً لا يكونُ لغيره أبداً، ولم يطلبْ ذلك إلا بعد الإذن، فإنَّ الأنبياءَ عليهم السلام لا يطلبون إلا ما يؤْذَنُ لهم في طَلَبه، وجائزٌ أن يكون الله تعالى قد أعلمه أنه إن سأل ذلك كان أصلح له في الدين، وأعلمه أنْ لا صلاحَ لغيره فيه، وهو نظيرُ قول القائل: اللهم اجعلني أكثرَ أهل زماني مالاً إذا علمتَ أنَّ ذلك أصلح لي، فإنه حَسَنٌ لا يُنْسَبُ قائله إلى شُحٍّ. اهـ.

قيل: ويجوز أن يكونَ معنى الآية عليه: هَبْ لي مُلْكاً ينبغي لي حِكمة، ولا ينبغي حِكمةً لأحدٍ غيري، وأراد بذلك طَلَب أن يكون عليه السلام متأهِّلاً لِنِعَمِ الله عزَّ وجلَّ. وهو كما ترى. وقيل غير ذلك.

ومن أعجبِ ما رأيتُ ما قاله السيد المرتضى: إنه يجوزُ أن يكونَ إنما سألَ مُلْكَ الآخرة وثوابَ الجنة، ويكونُ معنى قوله: «لا ينبغي لأحدٍ من بعدي»: لا يستحقُّهُ بعدَ وصوله إليه من حيثُ لا يصحُّ أن يعمل ما يستحقُّ به ذلك لانقطاع

التكليف. ولا يخفى أنه مما لا يرتضيه الذوقُ، والتفريعُ الآتي آبٍ عنه كلَّ الإباء.

واستدلَّ بعضُهم بالآية على بعض الأقوال المذكورة فيها على تكفير من ادَّعى استخدامَ الجِنِّ وطاعتهم له، وأُيِّدَ ذلك بالحديث السابق[1]، والحقُّ أنَّ استخدامَ الجِنِّ الثابت لسليمان عليه السلام لم يكنْ بواسطة أسماءٍ ورياضات، بل هو تسخيرٌ إلهيٌّ من غير واسطة شيءٍ، وكان أيضاً على وجهٍ أتمّ، وهو مع ذلك بعض الملك الذي استوهبه. فالمختصُّ على تقدير إفادة الآية الاختصاصَ مجموعُ ما تضمَّنه قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرۡنَا﴾ إلخ فالظاهرُ عدمُ إكفار مَنْ يدَّعي استخدامَ شيءٍ من الجِنِّ، ونحن قد شاهدنا مراراً مَنْ يدَّعي ذلك، وشاهدنا آثارَ صِدْقِ دعواه على وجهٍ لا يُنكرهُ إلا سوفسطائي أو مكابر.

ومن الاتفاقيات الغريبة أني اجتمعتُ يومَ تفسيري لهذه الآية برجلٍ مَوْصليٍّ يدَّعي ذلك، وامتحنتُهُ بما يُصدِّقُ دعواه في مَحْفَلٍ عظيمٍ، ففعل وأتى بالعَجَبِ العُجاب، وكانت الأدلةُ على نفي احتمال الشَّعبذة ونحوها ظاهرةً لذوي الألباب، إلا أنَّ لي إشكالاً في هذا المقام، وهو أنَّ الخادمَ الجنيَّ قد يُحضِرُ الشيءَ الكثيفَ من نحو صندوقٍ مقفلٍ بين جَمْعٍ في حُجْرةٍ أُغلقت أبوابها، وسُدَّتْ منافذها، ولم يشعر به أحد، ووجهُ الإشكال أنَّ الجنيَّ لطيفٌ، فكيف سَتَرَ الكثيفَ فلم يُرَ في الطريق، وكيف أخرجه من الصندوق وأدخله الحُجْرةَ وقد سُدَّتِ[2] المنافذ، وتَلَطُّفُ الكثيف ثم تكثُّفه بَعْدُ مما لا يقبله إلا كثيفٌ أو سخيفٌ، ومثلُ ذلك كونُ الإحضار المذكور على نحو إحضار عَرْشِ بلقيس بالإعدام والإيجاد كما يقوله الشيخ الأكبر، أو بوجهٍ آخرَ من الإعجاز[3] كما يقول غيره، ولعلَّ الشرعَ أيضاً يأبى هذا، وسرعةُ المرور إن نفعتْ ففي عدم الرؤية في الطريق.

وقُصارى ما يقال: لعلَّ للجِنِّيِّ سِحْراً أو نحوه، سَلَبَ به الإحساسَ، فَتَصَرَّفَ بالصندوق ومنافذ الحُجْرة حَسْبَما أراد، وأتى بالكثيف يَحملهُ ولم يشعرْ به أحدٌ من

---

(١) وهو حديث العفريت الذي كان يتفلَّت.

(٢) في (م): سددت.

(٣) قوله: من الإعجاز، ليس في (م).

الناس، فإنْ تَمَّ هذا فبها، وإلا فالأمرُ مُشكلٌ والله المتعال أعلم بحقيقة الحال[١].

وظاهر جَعْل جملة: «قال ربِّ اغفر لي» تفسيراً للإنابة يقتضي أنَّ الاستغفار مقصودٌ لذاته، لا وسيلةٌ للاستيهاب، وفي كون الاستيهاب مقصوداً لذاته أيضاً احتمالان.

وتقديمُ الاستغفار على تقدير كونهما مقصودين بالذات؛ لمزيد اهتمامه بأمر الدين، وقد يُجْعَلُ مع هذا وسيلةً للاستيهاب المقصود أيضاً، فإنَّ افتتاحَ الدعاء بنحو ذلك أرجى للإجابة، وجُوِّزَ على بُعْدٍ بَعْدَ التزام الاستئناف في الجملة كونُ الاستيهاب هو المقصود لذاته، والاستغفارُ وسيلة له، وسيجيءُ إن شاء الله تعالى ما قيل في الاستئناس له.

وقرئ: «من بعديَ» بفتح الياء[٢]، وحكي القراءة به في «لي»[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ تعليلٌ للدعاء بالمغفرة والهبة معاً، لا للدعاء بالأخيرة فقط، فإنَّ المغفرةَ أيضاً من أحكام وَصْف الوهَّابية قَطْعاً، ومَنْ جَوَّزَ كَوْنَ الاستيهاب هو المقصود استأنسَ له بهذا التعليل ظَنّاً منه أنه للدعاء بالأخيرة فقط، وكذا بِعَدَمِ التعرُّضِ لإجابة الدعاء بالأولى، فإنَّ الظاهرَ أنَّ قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ إلى آخره، تفريعٌ على طَلَبه مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، ولو كان الاستغفارُ مقصوداً أيضاً لقيل: فغفرنا له وسخَّرنا له الريح.. إلخ.

وأُجيب بأنه يجوزُ أن يقال: إنَّ المغفرة لمن استغفرَ - لا سيَّما الأنبياء عليهم السلام - لمَّا كانتْ أمراً معلوماً بخلاف هِبةِ مُلْكٍ لمن استوهبَ، لم يصرِّح بها، واكتفى بدلالة ما ذُكر في حَيِّز الفاء، مع ما في الآية بعد على ذلك، وتَقَوَى هذه الدلالة على تقدير أن يكونَ طلبُ الملك علامةً على قبول استغفاره وإجابة دعائه. فتأمل.

---

(١) قوله: والله المتعال أعلم بحقيقة الحال، ليس في (م).

(٢) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وأبي جعفر، التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦٢.

(٣) ذكرها أبو السعود في تفسيره ٧/ ٢٢٧.

والتسخيرُ: التذليلُ، أي: فذلَّلناها لطاعته إجابةً لدعوته، وقيل: أَدَمْنا تذليلها كما كان.

وقرأ الحسنُ وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر: «الرياح» بالجمع(١)، قيل: وهو أَوفقُ؛ لِمَا شاع من أنَّ الريحَ تُستعمل في الشَّرِّ، والرياحُ في الخير، وقد علمتَ أنَّ ذلك ليس بمطَّرد.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ بيانٌ لتسخيرها له عليه السلام، أو حالٌ، أي: جاريةٌ بأمره.

﴿رُخَآءً﴾ أي: ليِّنةً من الرخاوة لا تُحرِّكُ لشدَّتها. واستشكل هذا بأنه ينافي قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] لوَصْفها ثمةَ بالشِّدَّة، وهنا باللِّين.

وأجيب بأنها كانتْ في أَصْلِ الخِلْقة شديدةً، لكنها صارتْ لسليمانَ ليِّنةً سهلةً. أو أنها تشتدُّ عند الحمل وتلينُ عند السير، فوُصِفَتْ باعتبار حالين. أو أنها شديدةٌ في نفسها، فإذا أراد سليمانُ عليه السلام لِينَها لانتْ على ما يُشير إليه قوله تعالى: «بأمره». أو أنها تلينُ وتعصفُ باقتضاء الحال.

وقال ابن عباس والحسن والضحاك: «رُخاءً»: مطيعةً لا تخالفُ إرادته، كالمأمور المنقاد، فالمرادُ بلينها انقيادُها له، وهو لا ينافي عَصْفَها، واللِّينُ يكون بمعنى الإطاعة، وكذا الصَّلابةُ تكون بمعنى العصيان.

﴿حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: قَصَدَ وأراد، كما روي عن ابن عباس والضحاك وقتادة، وحكى الزجاج(٢) عن العرب: أصابَ الصَّوابَ فأخطأ الجواب. وعن رؤبةَ أنَّ رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة، فخرج إليهما فقال: أين تصيبان؟ فقالا: هذه طِلْبَتُنا. ورجعا، ويقال: أصابَ الله تعالى بك خيراً، وأنشد الثعلبيُّ:

أصابَ الكلامَ فلم يستطعْ ... فأخطا الجوابَ لَدى المعضلِ(٣)

---

(١) النشر ٢/ ٢٢٣ عن أبي جعفر، والكلام من البحر المحيط ٧/ ٣٩٨.
(٢) كما في البحر ٧/ ٣٩٨، وذكره الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٧٥ عن الأصمعي.
(٣) البيت في المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٨، والبحر ٧/ ٣٩٨، وعندهم: المفصل، بدل: المعضل.

وعن قتادة: أنَّ «أصاب» بمعنى أراد لغةُ هَجَر. وقيل: لغة حِمْير. وجُوِّزَ أن يكون «أصاب» من صابَ يصوبُ بمعنى نزل، والهمزةُ للتعدية، أي: حيث أنزل جنوده. و«حيث» متعلِّقةٌ بـ «سخَّرنا» أو بـ «تجري».

﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ عَطْفٌ على الريح ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧﴾ بدلٌ من «الشياطين»، وهو بدلُ كلٍّ من كلٍّ إن أُريد المعهودونَ المسخَّرون، أو أُريد مَنْ له قوَّةُ البناء والغَوص والتمكُّن منهما. أو بدلُ بعضٍ إن لم يُرَدْ ذلك، فيقدَّرُ ضميرٌ، أي: منهم. والغَوْصُ لاستخراج الحِلية، وهو عليه السلام - على ما قيل - أولُ من استخرجَ الدُّرَّ.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٣٨﴾ عَطْفٌ على «كل» لا على «الشياطين»؛ لأنهم منهم، إلا أن يُراد العَهْدُ، ولا على ما أُضيف إليه «كل» لأنه لا يَحسُنُ فيه إلا الإضافةُ إلى مفردٍ منكَّرٍ أو جَمْعٍ مُعرَّفٍ.

والأصفاد جمع: صَفَدٍ، وهو القيدُ في المشهور، وقيل: الجامعة، أعني الغُلَّ الذي يجمعُ اليدين إلى العنق، قيل: وهو الأنسبُ بـ «مقرَّنين»؛ لأنَّ التَّقرينَ بها غالباً، ويُسمَّى به العطاء؛ لأنه ارتباطٌ للمنعَم عليه، ومنه قول عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه: مَنْ بَرَّكَ فقد أَسَرَكَ، ومَنْ جفاك فقد أطْلَقَكَ. وقول القائل: غَلَّ يداً مُطْلِقُها، وفكَّ رقبةً معتقُها، وقال أبو تمام(١):

هِمَمي معلقةٌ عليك رقابُها مغلولةٌ إنَّ العطاءَ إسارُ

وتبعه المتنبي في قوله(٢):

وقيَّدتُ نفسي في ذَراك محبَّةً ومن وَجَدَ الإحسانَ قَيْداً تقيَّدَا

وفرَّقوا بين فعليهما، فقالوا: صَفَدَهُ: قيَّدهُ، وأَصْفَده: أعطاه، عكسُ وَعَدَهُ وأَوْعَده. ولهم في ذلك كلامٌ طويلٌ قال فيه الخفاجيُّ ما قال، ثم قال: والتحقيق عندي أنَّ هاهنا مادَّتين في كلٍّ منهما ضارٌّ ونافعٌ، وقليلُ اللَّفظ وكثيره، وقد وَرَدَ في إحداهما الضارُّ بلفظٍ قليلٍ مقدَّم، والنافعُ بلفظٍ كثيرٍ مؤخَّر، وفي الأخرى عكسُهُ،

(١) في ديوانه ٢/ ١٨١.
(٢) في ديوانه ٢/ ١٥.

ووجههُ في الأول أنه أمرٌ واقعٌ؛ لأنه وُضِعَ للقيد، ثم أُطلق على العطاء؛ لأنه يُقيِّدُ صاحبه، وعُبِّرَ بالأقلِّ في القيد لضيقه المناسب لِقِلَّةِ حروفه، وبالأكثر في العطاء؛ لأنه من شأن الكرم، وقُدِّمَ الأولُ لأنه أصلٌ أخفّ، وعُكِسَ ذلك في وَعَدَ وأَوْعَدَ، فعبّر في النافع بالأقلِّ وقدّمَ، وأخّرَ الضارّ وكثّر حروفه؛ لأنه مستقبلٌ غيرُ واقع، والخيرُ الموعودُ به يُحمد سرعة إنجازه وقلّة مدّة وقوعه، فإن أهنأ البرِّ عاجله، وهذا يناسبُ قِلَّةَ حروفه، وفي الوعيد يُحمَدُ تأخيره لِحُسْنِ الخلف والعفو عنه، فناسَبَ كثرة حروفه، ثم قال: وهذا تحقيقٌ في غاية الحُسْنِ، وما عداهُ وَهْمٌ فارغٌ فاعرفه(١).

والمراد بهؤلاء المقرَّنين المَرَدةُ، فتفيدُ الآيةُ تفصيلَ الشياطين إلى عَمَلَةٍ استعملهم عليه السلام في الأعمال الشاقَّة؛ كالبناء والغَوْص، ومَرَدةٍ قَرَنَ بعضَهم ببعضٍ بالجوامع ليكفُّوا عن الشَّرِّ، وظاهره أنَّ هناك تقييداً حقيقةً، وهو مشكلٌ لأنَّ الشياطينَ إما أجسامٌ ناريةٌ لطيفةٌ قابلةٌ للتشكُّل، وإما أرواحٌ خبيثةٌ مجرَّدةٌ، وأيّاًما كان لا يمكنُ تقييدها ولا إمساكُ القيد لها.

وأُجيبَ باختيار الأول، وهو الصحيح، والأصفاد غيرُ ما هو المعروف، بل هي أصفادٌ يتأتَّى بها تقييدُ اللَّطيف على وجهٍ يمنعه عن التصرُّف، والأمر من أوَّله خارقٌ للعادة.

وقيل: إنَّ لَطَافةَ أجسامهم بمعنى شفافتها، والشفافةُ لا تأبى الصَّلابة؛ كما في الزُّجاج والفَلَكِ عند الفلاسفة، فيمكنُ أن تكونَ أجسامهم شفافةً وصُلْبةً، فلا تُرى لشفافتها، ويتأتّى تقييدُها لصلابتها، وأنكر بعضُهم الصلابةَ؛ لتحقُّق نفوذ الشياطين فيما لا يمكنُ نفوذُ الصُّلب فيه، وأنهم لا يُدركون باللَّمس والصُّلْبُ يُدرَكُ به.

وقيل: لا مانع من أنه عليه السلام يُقيِّدهم بشكلٍ صلب، فيقيِّدهم حينئذٍ بالأصفاد، والشيطانُ إذا ظَهَرَ متشكِّلاً بشكلٍ قد يتقيَّدُ به، ولا يمكنه التشكُّل بغيره، ولا العَوْدُ إلى ما كان، وقد نصَّ الشيخُ الأكبر محيي الدين قُدِّسَ سِرُّهُ أنَّ نظر

(١) حاشية الشهاب ٧/ ٣١٣.

الإنسانِ يقيِّدُ الشيطانَ بالشكل الذي يراه فيه، فمتى رأى الإنسانُ شيطاناً بشكلٍ ولم يَصْرِفْ نَظَرَهُ عنه بالكلية لم يستطيع الشيطانُ الخفاءَ عنه، ولا التشكُّلَ بشكلٍ آخرَ، إلى أن يجدَ فرصة صَرْفِ النظر عنه ولو برمشة عين.

وزعم الجبائيُّ أنَّ الشيطانَ كان كثيفَ الجسم في زمن سليمان عليه السلام ويُشاهده الناس، ثم لما تُوفِّيَ عليه السلام أماتَ الله عزَّ وجلَّ ذلك الجِنَّ وخَلَقَ نوعاً آخرَ لطيفَ الجسم، بحيثُ لا يُرى ولا يَقوى على الأعمال الشاقَّة.

وهذا لا يُقبَلُ أصلاً إلا بروايةٍ صحيحة، وأنَّى هي؟!

وقيل: الأقرب أنَّ المرادَ تمثيلُ كَفِّهم عن الشرور بالإقران في الصَّفَد، وليس هناك قيدٌ ولا تقييدٌ حقيقة.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ إما حكايةٌ لما خُوطب به سليمان عليه السلام مبيِّنةٌ لِعِظَم شأن ما أوتي من الملك، وأنه مُفوَّضٌ إليه تفويضاً كُليّاً، وإما مقولٌ لقولٍ مُقدَّرٍ هو معطوفٌ على «سخَّرنا» أو حالٌ من فاعله، أي: وقلنا، أو: قائلين له هذا.. إلخ، والإشارة إلى ما أعطاه مما تقدَّم، أي: هذا الذي أعطيناكَهُ من الملك العظيم والبَسْطة، والتسليط على ما لم يُسَلَّطْ عليه غيرُكَ، عطاؤنا الخاصُّ بك، فأَعْطِ مَنْ شِئْتَ وامنعْ مَنْ شِئْتَ غيرَ مُحاسَبٍ على شيءٍ من الأمرين، ولا مسؤول عنه في الآخرة، لتفويض التصرُّف فيه إليك على الإطلاق، فـ «بغير حسابٍ» حالٌ من المستكنِّ في الأمر، والفاءُ جزائيةٌ، و«هذا عطاؤنا» مبتدأٌ وخبرٌ، والإخبارُ مفيدٌ لما أشرنا إليه من اعتبار الخصوص، أي: عطاؤنا الخاصُّ بك، أو يقال: إنَّ ذِكْرَهُ ليس للإخبار به، بل ليترتَّبَ عليه ما بعده كقوله:

هذه دارُهمْ وأنت مشوقٌ ... ما بقاءُ الدموع في الآماق[1]

وجُوِّزَ أن يكون «بغير حساب» حالاً من العطاء نحو: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] أي: هذا عطاؤنا متلبِّساً بغير حسابٍ عليه في الآخرة، أو: هذا عطاؤنا

---

(١) البيت في المدهش ص١٤٧ منسوباً للشبلي.

كثيراً جدّاً لا يُعَدُّ ولا يُحْسَبُ لغاية كثرته، وأن يكونَ صِلَةَ العطاء، واعتبره بعضهم قيداً له لتتمَّ الفائدة، ولا يحتاجُ لاعتبار ما تقدَّم، وعلى التقديرين ما في البين اعتراضٌ، فلا يضرُّ الفصلُ به، والفاء اعتراضيةٌ، وجاء اقترانُ الاعتراض بها كما جاء بالواو كقوله:

واعلمْ فعِلمُ المرء ينفعهُ أن سوفَ يأتي كلّ ما قُدِرا[1]

وقيل: الإشارةُ إلى تسخير الشياطين، والمراد بالمَنِّ والإمساك إطلاقهم وإبقاؤهم في الأصفاد، والمَنُّ قد يكونُ بمعنى الإطلاق كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] والأولى في قوله تعالى: «بغير حساب» حينئذٍ كونه حالاً من المستكنِّ في الأمر، وهذا القولُ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس[2].

وما روي عنه من أنه إشارةٌ إلى ما وُهِبَ له عليه السلام من النساء والقدرة على جماعهنَّ، لا يكاد يصحُّ؛ إذ لم يجرِ لذلك ذِكْرٌ في الآية، وإلى الأول ذهب الجمهور وهو الأظهر.

وقرأ ابن مسعود: «هذا فامننْ أو أمسك عطاؤنا بغير حساب»[3].

﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لَقُرْبَةً وكرامةً مع ما لَهُ من الملك العظيم، فهو إشارةٌ إلى أنَّ مُلْكَهُ لا يضرُّهُ ولا ينقصه شيئاً من مقامه.

﴿وَحُسْنَ مَئَابٍ ۝﴾ حُسْنَ مَرْجِعٍ في الجنة، وهو عَطْفٌ على «زلفى».

وقرأ الحسن وابن أبي عبلة: «وحُسْنُ» بالرفع[4]، على أنه مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ، أي: له، والوقفُ عندهما على «لَزُلفى».

هذا، وأَمْرُ سليمانَ عليه السلام من أعظم الأمور، وكان مع ما آتاه الله تعالى

(١) سلف ١/ ٤٢٨.
(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ١٠٢، والدر المنثور ٥/ ٣١٥.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٧٦.
(٤) البحر المحيط ٧/ ٣٩٩.

من الملك العظيم، يعملُ الخُوصَ بيده، ويأكلُ خبزَ الشعير، ويُطعم بني إسرائيل الحُوَّارَى، أخرجه أحمد في «الزهد»[(١)] عن عطاء.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رَفَعَ سليمان عليه السلام طَرْفه إلى السماء تخشُّعاً»[(٢)] حيث أعطاه الله تعالى ما أعطاه، وكان في عَصْره من ملوك الفرس كيخسرو، فقد ذكر الفقيه أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري في «تاريخه» أنه عليه السلام وَرِثَ مُلْكَ أبيه في عصر كيخسرو بن سباوش، وسار من الشام إلى العراق فبلغ خبره كيخسرو، فهرب إلى خراسان، فلم يلبثْ حتى هلك، ثم سار سليمانُ إلى مروٍ، ثم إلى بلاد التُّرك، فوغل فيها، ثم جاوَزَ بلادَ الصين، ثم عطف إلى أن وافى بلادَ فارس، فنزلها أياماً، ثم عاد إلى الشام، ثم أَمَرَ ببناء بيت المقدس، فلما فَرَغَ سارَ إلى تهامة، ثم إلى صنعاء، وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى، وغزا بلادَ المغرب الأندلسَ وطَنْجة وغيرهما، ثم انطوى البساطُ وضُرب له بين عساكر الموتى الفسطاط، فسبحان الملك الدائم الذي لا يزول ملكه ولا ينقضي سلطانه.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ قال ابن إسحاق: الصحيح أنه كان من بني إسرائيل، ولم يصحَّ في نَسَبه شيءٌ غير أنَّ اسم أبيه: أموص، وقال ابن جرير: هو أيوبُ بن أموص بن رازح[(٣)] بن عَيص بن إسحاق عليه السلام، وحكى ابن عساكر[(٤)] أنَّ أمه بنتُ لوطٍ، وأنَّ أباه ممن آمنَ بإبراهيم، فعلى هذا كان عليه السلام قبل موسى، وقال ابن جرير: كان بعد شعيب[(٥)]، وقال ابن أبي خيثمة: كان بعد سليمان.

وقوله تعالى: «اذكر» إلخ عَطْفٌ على «اذكر عبدنا داود»، وعدمُ تصدير قصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان؛ لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام،

---

(١) ص١١٥. والخوص: ورق النخل. والحُوَّارى: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق، وكلُّ ما حُوِّرَ ـ أي: بُيِّضَ ـ من طعام. القاموس المحيط (خوص) و(حور).

(٢) الدر المنثور ٥/ ٣١٤.

(٣) في الأصل: روح، وفي (م): روم. والمثبت من تاريخ الطبري ١/ ٣٢٢.

(٤) في تاريخ دمشق ١٠/ ٥٨.

(٥) تاريخ الطبري ١/ ٣٢٥.

و«أيوب» عَطْفُ بيانٍ لـ «عبدنا»، أو بدلٌ منه بدلَ كلٍّ من كلٍّ، وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ بدلُ اشتمال منه، أو من «أيوب».

﴿أَنِّي﴾ أي: بأني.

وقرأ عيسى بكَسْر همزة: «إِنِّي»[1].

﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وقرئ بإسكان ياء «مسَّني» وإسقاطها[2] ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضمِّ النون وسكون الصاد: التعب، كالنَّصَب بفتحتين، وقيل: هو جَمْعُ نَصَبٍ كَوَثَنٍ وَوُثْنٍ. وقرأ أبو جعفر وشيبة، وأبو عمارة عن حفص، والجعفيُّ عن أبي بكر، وأبو معاذ عن نافع بضمَّتين[3]، وهي لغة، ولا مانع من كون الضمة الثانية عارضةً للإتباع، وربما يقال: إنَّ في ذلك رمزاً إلى ثِقَل تعبه وشِدَّته.

وقرأ زيدُ بن عليٍّ والحسنُ والسديُّ وابنُ أبي عبلةَ ويعقوبُ والجحدريُّ بفتحتين[4]، وهي لغةٌ أيضاً، كالرُّشْدِ والرَّشَد.

وقرأ أبو حيوةَ، ويعقوب في روايةٍ، وهبيرة عن حفص، بفتح النون وسكون الصاد، قال الزمخشريُّ[5]: على أصل المصدر. ونصَّ ابنُ عطيةَ على أنَّ ذلك لغة أيضاً، قال بعد ذكر القراءات: وذلك كلُّه بمعنًى واحد، وهو المشقَّةُ، وكثيراً ما يُستعمل النصب في مشقَّة الإعياء. وفرَّق بعضُ الناس بين هذه الألفاظ، والصوابُ أنها لغاتٌ بمعنًى، من قولهم: أنصبني الأمرُ: إذا شَقَّ عليَّ[6]. انتهى.

والتنوينُ للتفخيم، وكذا في قوله تعالى ﴿وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ وأراد به الألم، وهو المراد بالضُّرِّ في قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقيل: النُّصب والضُّرُّ في الجسد، والعذابُ في الأهل والمال.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، والبحر المحيط ٧/ ٤٠٠.
(٢) يعني في الوصل، وقراءة إسكان الياء لحمزة، وهي في التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦٢.
(٣) النشر ٢/ ٣٦١ عن أبي جعفر، والكلام من البحر المحيط ٧/ ٤٠٠.
(٤) النشر ٢/ ٣٦١ عن يعقوب، والكلام من البحر المحيط ٧/ ٤٠٠.
(٥) في الكشاف ٣/ ٣٧٦، ونقله المصنف عنه بواسطة أبي حيان في البحر ٧/ ٤٠٠.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، والبحر ٧/ ٤٠٠.

وهذا حكايةٌ لكلامه عليه السلام الذي نادى به ربَّه عزَّ وجلَّ بعبارته، وإلا لقيل: إنه مَسَّه.. إلخ بالغَيبة. وإسنادُ المَسِّ إلى الشيطان قيل: على ظاهره، وذلك أنه ـ عليه اللَّعنةُ ـ سَمِعَ ثناءَ الملائكة عليهم السلام على أيوبَ عليه السلام، فَحَسَدَهُ، وسألَ الله تعالى أن يُسلِّطَهُ على جَسَده وماله وولده، ففعل عزَّ وجلَّ ابتلاءً له، والقصةُ مشهورة.

وفي بعض الآثار أنَّ الماسَّ له شيطانٌ يقال له: مسوط.

وأنكر الزمخشريُّ ذلك فقال: لا يجوز أن يُسلِّطَ الله تعالى الشيطانَ على أنبيائه عليهم السلام ليقضيَ من إتعابهم وتعذيبهم وَطَرَهُ، ولو قَدر على ذلك لم يَدَعْ صالحاً إلا وقد نَكَبهُ وأهلكَهُ، وقد تكرَّرَ في القرآن أنه لا سُلطانَ له إلا الوسوسةُ فحسبْ، وجَعَلَ إسنادَ المسِّ إليه هنا مجازاً فقال: لمَّا كانتْ وسوستهُ إليه وطاعتهُ له فيما وَسْوَسَ سبباً فيما مَسَّهُ الله تعالى به من النصب والعذاب نَسَبَهُ إليه، وقد راعى عليه السلام الأدبَ في ذلك حيث لم ينسبهُ إلى الله سبحانه في دعائهِ مع أنه جلَّ وعلا فاعِلُه، ولا يَقْدِرُ عليه إلا هو[1].

وهذه الوسوسة، قيل: وسوسته إليه عليه السلام أن يسألَ الله تعالى البلاءَ ليمتحنَ ويُجرِّبَ صبرهُ على ما يصيبه، كما قال شرفُ الدين عمر بن الفارض[2]:

وبما شئتَ في هواكَ اختبرني ... فاختياري ما كان فيه رضاكا

وسؤاله البلاءَ دون العافية ذنبٌ بالنسبة لمقامه عليه لا حقيقةً، والمقصودُ من ندائه بذلك الاعترافُ بالذنب.

وقيل: إنَّ رجلاً استغاثه على ظالمٍ، فَوَسْوَسَ إليه الشيطانُ بتَرْكِ إغاثته، فلم يُغِثْهُ، فمسَّهُ الله تعالى بسبب ذلك بما مسَّه.

وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملكٍ كافرٍ، فداهنه ولم يغزهُ وسوسةً من الشيطان، فعاتبه الله تعالى بالبلاء.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٦.

(٢) في ديوانه ص١٥٦.

وقيل: وَسْوَسَ إليه فأُعجبَ بكثرة ماله وولده، فابتلاه الله تعالى لذلك.

وكلُّ هذه الأقوال عندي متضمِّنةٌ ما لا يليق بمنصبِ الأنبياء عليهم السلام.

وذهب جَمْعٌ إلى أنَّ النُّصب والعذابَ ليسا ما كانا له من المرض والألم، أو المرض وذهاب الأهل والمال، بل أمران عَرَضا له وهو مريضٌ فاقد الأهل والمال، فقيل: هما ما كانا له من وسوسة الشيطان إليه في مرضه من عِظَمِ البلاء والقنوط من الرحمة والإغراء على الجزعِ، كان الشيطان يوسوس إليه بذلك، وهو يُجاهده في دَفْعِ ذلك، حتى تَعِبَ وتألَّم على ما هو فيه من البلاء، فنادى ربَّهُ يستصرفُهُ عنه، ويستعينهُ عليه: «أني مسَّنِيَ الشيطانُ بِنُصبٍ وعذاب».

وقيل: كانا من وسوسة الشيطان إلى غيره، فقيل: إنَّ الشيطانَ تعرَّضَ لامرأته بصورة طبيب، فقالت له: إنَّ هاهنا مبتلًى، فهل لك أن تداويه؟ فقال: نعم، بشرط أن يقول إذا شفيتُهُ: أنت شفيتني. فمالتْ لذلك وعَرَضَتْ كلامه لأيوبَ عليه السلام، فعرفَ أنه الشيطانُ، وكان عليه ذلك أشدّ مما هو فيه، فنادى ربَّه: «أني مسني» إلخ.

وقيل: إنَّ الشيطانَ طلب منها أن تذبحَ لغير الله تعالى إذا عالجه وبَرِئَ، فمالتْ لذلك، فَعَظُمَ عليه ـ عليه السلام ـ الأمرُ فنادى.

وقيل: إنه كان يعودهُ ثلاثةٌ من المؤمنين، فارتدَّ أحدهم، فسأل عنه فقيل له: ألقى إليه الشيطانُ أنَّ الله تعالى لا يبتلي الأنبياءَ والصالحين، فتألَّم من ذلك جدّاً فقال ما قال. وفي روايةٍ: مَرَّ به نفرٌ من بني إسرائيل، فقال بعضُهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنبٍ أصابه، وهذا نوعٌ من وسوسة الشيطان، فَعَظُمَ عليه ذلك فقال ما قال.

والإسنادُ على جميع ما ذُكر باعتبار الوسوسة، وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم.

وقوله سبحانه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ إما حكايةٌ لما قيل له، أو مقولٌ لقولٍ مقدَّرٍ معطوفٍ على «نادى»، أي: فقلنا له: «اركضْ برجلك» أي: اضربْ بها.

وكذا قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢﴾ فإنه أيضاً إما حكايةٌ لِمَا قيل له بعد امتثاله بالأمر ونبوع الماء، أو مقولٌ لقولٍ مقدَّرٍ معطوفٍ على مقدَّرٍ ينساقُ إليه الكلام، كأنه قيل: فَضَرَبها فنبعتْ عينٌ، فقلنا له: هذا مغتَسَلٌ تغتسلُ به وتشربُ منه، فيبرأُ ظاهركَ وباطنك، فالمغتسَلُ اسمُ مفعولٍ على الحذف والإيصال، وكذا الشراب، وعن مقاتلٍ: أنَّ المغتسَلَ اسمُ مكان، أي: هذا مكانٌ تغتسلُ فيه. وليس بشيء.

وظاهرُ الآية اتحادُ المخبَر عنه بمغتسلٍ وشراب، وقيل: إنه عليه السلام ضَرَبَ برجله اليمنى، فنبعتْ عينٌ حارَّةٌ فاغتسلَ منها، وبرجله اليسرى، فنبعتْ باردةٌ فشرب منها. وقال الحسن: رَكَضَ برجله فنبعتْ عينٌ فاغتسل منها، ثم مشى نحواً من أربعينَ ذراعاً، ثم رَكَضَ برجله، فنبعتْ أخرى فشربَ منها. ولعلَّه عَنَى بالأولى عيناً حارَّةً.

وظاهرُ النَّظْمِ عدمُ التعدُّد، و«باردٌ» على ذلك صفةُ «شراب» مع أنه مقدَّمٌ عليه صفة «مغتسل»[1]، وكونُ هذا إشارةً إلى جنس النابع، أو يُقدَّرُ: وهذا باردٌ.. إلخ = تكلُّفٌ لا يُخرج ذلك عن الضعف.

وقيل: أُمر بالرَّكْضِ بالرِّجْل ليتناثرَ عنه كلُّ داءٍ بجسده. وكان ذلك على ما روي عن قتادة والحسن ومقاتل بأرض الجابية من الشام، وفي الكلام حَذْفٌ أيضاً، أي: فاغتسلَ وشَرِبَ، فكشفنا بذلك ما به من ضُرّ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ بإحيائهم بعد هلاكهم، على ما روي عن الحسن.

وروى الطبرسيُّ عن أبي عبد الله رضي الله عنه أنَّ الله تعالى أحيا له أهله الذين كانوا ماتوا قبل البليَّة، وأهله الذين ماتوا وهو في البليَّة[2].

وفي «البحر»: الجمهورُ على أنه تعالى أحيا له مَنْ ماتَ من أهله، وعافى المرضى، وجَمَعَ عليه مَنْ تشتَّتَ منهم، وقيل - وإليه أميلُ -: وَهَبَهُ مَنْ كان حيّاً منهم،

(١) العبارة في حاشية الشهاب ٧/ ٣١٤ (والكلام منه): مع أنه تقدَّم عليه صفةً لـ «مغتسَل». وهي أنسب بالسياق.
(٢) مجمع البيان ٢٣/ ١١٩.

وعافاه من الأسقام، وأرغدَ لهم العيش، فتناسلوا حتى بلغَ عددهم عددَ من مضى[١].

﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فكان له ضِعْفُ ما كان. والظاهرُ أنَّ هذه الهبةَ كانت في الدنيا، وزعم بعضٌ أنَّ هذا وَعْدٌ، وتكونُ تلك الهبةُ في الآخرة.

﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: لرحمةٍ عظيمةٍ عليه من قِبَلنا.

﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾﴾ وتذكيراً لهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبرَ، ويلجؤوا إلى الله تعالى فيما يُصيبهم كما لجأ، ليفعل سبحانه بهم ما فعل به من حُسْن العاقبة.

روي عن قتادةَ أنه عليه السلام ابتلي سبعَ سنين وأشهراً، وأُلقي على كُناسة بني إسرائيل، تختلفُ الدوابُّ في جَسَده، فَصَبَرَ، ففرَّجَ الله تعالى عنه، وأعظمَ له الأجر وأحسن.

وعن ابن عباس أنه صار ما بين قدميه إلى قَرْنه قرحةً واحدة، وأُلقي على الرماد حتى بدا حجابُ قلبه، فكانت امرأته تسعى إليه فقالت له يوماً: أما ترى يا أيوبُ، قد نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بِعْتُ قروني برغيفٍ فأطعمتك، فادعُ الله تعالى أن يشفيكَ ويريحك؟ فقال: ويحكِ كنَّا في النعيم سبعين عاماً، فاصبري حتى نكونَ في الضُّرِّ سبعين عاماً. فكان في البلاء سبعَ سنين، ودعا فجاء جبريلُ عليه السلام فأخذَ بيده، ثم قال: قُمْ، فقام عن مكانه، وقال: اركضْ برجلكَ هذا مغتسلٌ باردٌ وشراب، فاغتسلَ وشربَ فبرئ، وألبسه الله تعالى حُلَّةً من الجنة، فتنحَّى فجلس في ناحية، وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت: يا عبد الله أين المبتلَى الذي كان هاهنا؟ لعلَّ الكلابَ ذهبت به أو الذئاب، وجعلتْ تكلِّمهُ ساعةً، فقال: ويحكِ أنا أيوب، قد رَدَّ الله تعالى عليَّ جسدي. ورَدَّ الله تعالى عليه ماله وولده ومثلهم معهم، وأمطرَ عليه جراداً من ذهب، فجعل يأخذُ الجرادَ بيده ويجعله في ثوبه، وينشر كساءه فيجعل فيه، فأوحى الله تعالى إليه: يا أيوب، أما شبعتَ؟ قال: يا ربِّ من الذي يشبعُ من فضلك ورحمتك.

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٤٠١.

وفي «البحر»: روى أنس عن النبيِّ ﷺ: «أن أيوبَ بقي في محنته ثماني عشرةَ سنة، يتساقط لحمهُ حتى مَلَّه العالم، ولم يصبرْ عليه إلا امرأته»(١).

وعِظَمُ بلائه عليه السلام مما شاع وذاع، ولم يختلفْ فيه اثنان، لكن في بلوغ أمره إلى أن أُلقي على كُناسة ونحو ذلك، فيه خلافٌ؛ قال الطبرسيُّ: قال أهل التحقيق: إنه لا يجوز أن يكونَ بصفةٍ يستقذرهُ الناس عليها؛ لأنَّ في ذلك تنفيراً، فأما الفقرُ والمرضُ وذهابُ الأهل، فيجوز أن يمتحنه الله تعالى بذلك(٢).

وفي «هداية المريد» لِلَّقاني: أنه يجوز على الأنبياء عليهم السلام كلُّ عَرَضٍ بشريٍّ ليس محرَّماً ولا مكروهاً ولا مباحاً مُزْرِياً ولا مُزْمِناً، ولا مما تَعافُه الأنفُسُ، ولا مما يؤدِّي إلى النفرة، ثم قال بعد ورقتين: واحترزنا بقولنا: ولا مزمناً ولا مما تعافه الأنفس، عمَّا كان كذلك؛ كالإقعاد والبَرَصِ والجُذام والعمى والجنون، وأما الإغماءُ فقال النوويُّ: لاشكَّ في جوازه عليهم؛ لأنه مرضٌ، بخلاف الجنون فإنه نَقْصٌ، وقيَّدَ أبو حامد الإغماءَ بغير الطويل، وجزمَ به البلقيني، وقال السبكيُّ: وليس كإغماء غيرهم؛ لأنه إنما يسترُ حواسَّهم الظاهرةَ دون قلوبهم؛ لأنها معصومةٌ من النوم الأخف. قال: ويمتنعُ عليهم الجنونُ وإن قلَّ؛ لأنه نَقْصٌ، ويلحقُ به العَمى، ولم يَعْمَ نبيٌّ قطُّ، وما ذُكر عن شعيبٍ من كونه كان ضريراً لم يثبتْ، وأما يعقوبُ فحصلتْ له غشاوةٌ وزالت. اهـ.

وفرَّقَ بعضُهم في عُروضِ ذلك بين أن يكونَ بعد التبليغ وحصول الغرض من النبوَّة فيجوز، وبين أن يكونَ قبلُ فلا يجوز.

ولعلَّكَ تختارُ القول بحِفْظِهم مما تعافه النفوس ويؤدِّي إلى الاستقذار والنفرة مطلقاً، وحينئذٍ فلا بدَّ من القول بأنَّ ما ابتلي به أيوبُ عليه السلام لم يصلْ إلى حَدِّ الاستقذار والنفرة كما يُشعرُ به ما روي عن قتادة ونقله القُصَّاصُ في كتبهم، وذكر بعضُهم أنَّ داءهُ كان الجُدَريَّ، ولا أعتقدُ صِحَّة ذلك، والله تعالى أعلم.

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٤٠٠، وينظر حديث أنس عند البزار (٢٣٥٧ - كشف)، وابن حبان (٢٨٩٨).

(٢) مجمع البيان ٢٣/ ١١٨.

وقوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ عَطْفٌ على «اركض»، أو على «وهبنا» بتقدير: قلنا خُذْ بيدك.. إلخ. والأول أقربُ لَفْظاً، وهذا أنسبُ معنًى، فإنَّ الحاجةَ إلى هذا الأمر لا تمسُّ إلا بعد الصحة واعتدال الوقت، فإنَّ امرأته رحمة بنت إفرائيم ـ أو: ميشا[1] ـ بن يوسف، أو: ليا بنت يعقوب، أو: ماخير بنت ميشا بن يوسف، على اختلاف الروايات، ولا يخفى لُطْفُ «رحمة منَّا» على الرواية الأولى = ذهبت لحاجةٍ فأبطأت، أو بلَّغتْ أيوب عن الشيطان أن يقول كلمةً محذورةً فيبرأ، وأشارت عليه بذلك، فقالت له: إلى متى هذا البلاءُ، كلمةٌ واحدةٌ ثم استغفِرْ ربَّك فيغفرُ لك؟! أو جاءته بزيادةٍ على ما كانت تأتي به من الخبز، فظنَّ أنها ارتكبتْ في ذلك محرَّماً، فحلف ليضربنَّها إن برئَ مئةَ ضربة، فأمره الله تعالى بأَخْذِ الضِّغثِ، وهو الحزمةُ الصغيرةُ من حشيشٍ أو ريحانٍ أو قُضبان، وقيل: القبضةُ الكبيرةُ من القُضبان، ومنه: ضِغْثٌ على إبَّالة[2]. والإبَّالةُ: الحزمةُ من الحطب، والضِّغثُ: القبضةُ من الحطب أيضاً عليها، ومنه قول الشاعر:

وأسفلَ مني نَهْدةً قد ربطتُها ... وألقيتُ ضِغْثاً من خَلًى متطيَّبِ[3]

وقال ابن عباس هنا: الضِّغْثُ: عِثكال النخل. وقال مجاهد: الأَثْلُ، وهو نبتٌ له شوك. وقال الضحاك: حُزْمةٌ من الحشيش مختلفة. وقال الأخفش: الشجرُ الرطب. وعن سعيد بن المسيب أنه عليه السلام لما أُمرَ أَخَذَ ضِغْثاً من ثُمام[4] فيه مئةُ عود. وقال قتادة: هو عودٌ فيه تسعةٌ وتسعونَ عوداً، والأصلُ تمامُ المئة. فإنْ كان هذا معتبراً في مفهوم الضِّغثِ ـ ولا أظنُّ ـ فذاك، وإلا فالكلام على إرادة

---

(١) كذا في الأصل، وفي (م): مشيا، وينظر حاشية الشهاب ٧/ ٣١٤، والإعلام بأصول الأعلام ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) مثل يضرب لمن حمَّلك مكروهاً ثم زادك عليه. ينظر مجمع الأمثال ١/ ٤١٩، والمستقصى ٢/ ١٤٨.

(٣) البيت في تفسير الطبري ٢٠/ ١١١، ومجاز القرآن ٢/ ١٨٥ عن عوف بن الخرع، وهو في البحر المحيط ٧/ ٣٩٩ دون نسبة.

(٤) الثمام: عشب من الفصيلة النجيلية. المعجم الوسيط (ثمم).

المئة، فكأنه قيل: خُذْ بيدكَ ضِغْثاً فيه مئة عود ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ أي: بذلك الضغث ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بيمينك فإنَّ البرَّ يتحقَّقُ به.

ولقد شَرَعَ الله تعالى ذلك رحمةً عليه وعليها؛ لحُسْنِ خِدْمتها إياه ورضاه عنها، وهي رُخْصَةٌ باقيةٌ في الحدود في شريعتنا، وفي غيرها أيضاً، لكن غير الحدود يُعلَمُ منها بالطريق الأولى، فقد أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر عن أبي أمامةَ بن سهل بن حنيف قال: حملتْ وليدةٌ في بني ساعدة من زنًى، فقيل لها: ممنْ حَمْلُكِ؟ قالت: من فلانٍ المقعَد، فسُئل المقعدُ فقال: صدقتْ. فرُفِعَ ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «خذوا عُثْكُولاً فيه مئةُ شِمراخٍ، فاضربوه به ضربةً واحدة» ففعلوا[١].

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن محمد بن عبد الرحمن عن ثوبان أنَّ رجلاً أصابَ فاحشةً على عهد رسول الله ﷺ وهو مريضٌ على شفا موت، فأَخبر أهلَهُ بما صنع، فأمر النبيُّ ﷺ بقِنْوٍ فيه مئة شِمراخٍ، فضُرب به ضربةً واحدة[٢].

وأخرج الطبرانيُّ عن سهل بن سعد أنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام أُتي بشيخ قد ظهرتْ عروقه، قد زنى بامرأةٍ، فضربه بضِغْثٍ فيه مئة شِمراخٍ ضربةً واحدة[٣].

ولا دلالة في هذه الأخبار على عمومِ الحُكْم مَنْ يُطيقُ الجلدَ المتعارف، لكنَّ القائل ببقاء حُكْمِ الآية قائلٌ بالعموم، لكن شَرَطوا في ذلك أن يصيبَ المضروبَ كلُّ واحدةٍ من المئة، إما بأطرافها قائمة، أو بأعراضها مبسوطةً على هيئة الضرب.

وقال الخفاجي: إنهم شرطوا فيه الإيلام، أما مع عدمه بالكلية فلا، فلو ضربَ بسوطٍ واحدٍ له شُعبتان خمسينَ مرَّةً مَنْ حلَفَ على ضَرْبه مئةً بَرَّ إذا تألَّم، فإن لم

---

(١) الدر المنثور ٥/ ٣١٧، وأخرجه أيضاً أبو داود (٤٤٧٢)، والنسائي في الكبرى (٧٢٦٦). والعثكال: العِذق من أعذاق النخل الذي يكون فيه الرُّطب. النهاية (عثكل).

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٦٨، والمصنَّف (١٦١٣٣).

(٣) المعجم الكبير (٥٨٢٠) قال في المجمع ٦/ ٢٥٢: فيه أبو بكر بن أبي سبرة، وهو متروك.

يتألَّم لا يَبرُّ ولو ضَرَبهُ مئة؛ لأنَّ الضَّرْبَ وُضِعَ لفعلٍ مؤلمٍ بالبدن بآلة التأديب، وقيل: يحنثُ بكلِّ حالٍ كما فُصِّلَ في «شروح الهداية» وغيرها[1]. انتهى.

وأخرج ابن عساكر[2] عن ابن عباس: لا يجوز ذلك لأحدٍ بعد أيوب، إلا الأنبياء عليهم السلام.

وفي أحكام القرآن العظيم[3] للجلال السيوطي عن مجاهد قال: كانت هذه لأيوبَ خاصة. وقال إلكيا[4]: ذهب الشافعيُّ وأبو حنيفة وزفر إلى أنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك فقد بَرَّ في يمينه، وخالف مالكٌ ورآه خاصّاً بأيوبَ عليه السلام.

وقال بعضهم: إنَّ الحُكْمَ كان عامّاً ثم نُسخ، والصحيحُ بقاءُ الحكم.

واستُدلَّ بالآية على أنَّ للزوج ضَرْبَ زوجته، وأن يحلفَ ولا يستثني، وعلى أنَّ الاستثناءَ شَرْطُهُ الاتصال؛ إذ لو لم يُشترطْ لأَمَرَهُ سبحانه وتعالى بالاستثناء، ولم يحتجْ إلى الضرب بالضِّغث.

واستدلَّ عطاءٌ بها على مسألةٍ أخرى، فأخرج سعيدُ بن منصور بسندٍ صحيحٍ عنه أنَّ رجلاً قال له: إنِّي حلفتُ أن لا أكسو امرأتي دِرْعاً حتى تقفَ بعرفة، فقال: احملها على حمارٍ، ثم اذهبْ فقفْ بها بعرفة، فقال: إنما عَنيتُ يومَ عرفة. فقال عطاء: أيوبُ حين حَلَفَ ليجلدنَّ امرأته مئة جلدةٍ أَنوى أن يضربَها بالضِّغثِ، إنما أمرهُ الله تعالى أن يأخذ ضِغْثاً فيضربها به، ثم قال: إنما القرآن عِبَرٌ، إنما القرآن عِبَرٌ[5].

وللبحث في ذلك مجال، وكثيرٌ من الناس استدلَّ بها على جواز الحِيَل، وجَعَلها أصلاً لصحَّتها، وعندي أنَّ كلَّ حيلةٍ أوجبتْ إبطالَ حِكْمةٍ شرعيةٍ لا تُقبلُ، كحيلةِ سقوط الزكاة، وحيلةِ سقوط الاستبراء، وهذا كالتوسُّطِ في المسألة، فإنَّ من

---

(١) حاشية الشهاب ٧/ ٣١٤.
(٢) في تاريخ دمشق ٦٩/ ١٢٤.
(٣) واسمه: الإكليل في استنباط التنزيل، والكلام فيه ص ٢٢٢.
(٤) في أحكام القرآن ٢/ ٣٦١، والكلام من الإكليل.
(٥) الإكليل ص ٢٢٢.

العلماء مَنْ يُجوِّزُ الحيلةَ مطلقاً، ومنهم مَنْ لا يُجوِّزها مطلقاً، وقد أطال الكلامَ في ذلك العلَّامةُ ابن تيمية.

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ فيما أصابه في النفس والأهل والمال. وقد كان عليه السلام يقول كلّما أصابته مصيبة: اللهمَّ أنت أخذتَ وأنت أعطيت. ويَحْمَدُ الله عزَّ وجلَّ. ولا يُخِلُّ بذلك شكواهُ إلى الله تعالى من الشيطان؛ لأنَّ الصبرَ عدمُ الجزع، ولا جَزَعَ فيما ذكر، كتمنِّي العافية وطلب الشفاء، مع أنه قال ذلك - على ما قيل - خيفةَ الفتنة في الدين كما سمعتَ فيما تقدَّم، ويُروى أنه قال في مناجاته: إلهي قد علمتَ أنه لم يُخالفْ لساني قلبي، ولم يتبعْ قلبي بصري، ولم يُلهني ما ملكتْ يميني، ولم آكل إلا ومعي يتيم، ولم أَبِتْ شبعانَ ولا كاسياً ومعي جائعٌ أو عريان. فكشف الله تعالى عنه.

﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ﴾ أي: أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ تعليلٌ لِمَدْحِهِ، وتقدَّم معنى الأوَّاب[1].

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ الثلاثةُ عَطْفُ بيانٍ لـ «عبادنا»، أو بدلٌ منه. وقيل: نصب بإضمار أعني.

وقرأ ابن عباس وابن كثير وأهل مكة: «عبدنا»، بالإفراد[2]، فـ «إبراهيمُ» وحدهُ بدلٌ أو عَطْفُ بيانٍ أو مفعولُ أعني، وخُصَّ بعنوان العبودية لمزيد شَرَفه، وما بعده عَطْفٌ على «عبدنا»، وجُوِّزَ أن يكونَ المرادُ بـ «عبدنا» عبادنا، وَضْعاً للجنس موضعَ الجمع، فتتَّحد القراءتان.

﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ أولي القوَّة في الطاعة، والبصيرة في الدين، على أنَّ الأيدي مجازٌ مرسلٌ عن القوَّة، والأبصار جمعُ: بَصَرٍ، بمعنى بصيرة، وهو مجازٌ أيضاً لكنه مشهورٌ فيه. أو: أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة، على أنَّ ذِكْرَ الأيدي من ذِكْرِ السَّبب وإرادة المسبَّب، والأبصار بمعنى البصائر مجازٌ عمَّا يتفرَّعُ عليها من العلوم كالأول أيضاً. وفي ذلك على الوجهين تعريضٌ بالجَهَلة

---

(١) ص٢٦٧-٢٦٨ من هذا الجزء.

(٢) التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦١، والبحر المحيط ٧/ ٤٠١.

البطّالين أنهم كفاقدي الأيدي والأبصار، وتوبيخٌ على تَرْكهِمُ المجاهدةَ والتأمُّلَ مع تمكُّنهم منهما.

وقيل: الأيدي: النِّعَمُ، أي: أولي النِّعَم التي أسداها الله تعالى إليهم من النبوَّة والمكانة، أو: أولي النِّعَم والإحسانات على الناس بإرشادهم وتعليمهم إياهم، وفيه ما فيه.

وقرئ: «الأيادي»[1] على جَمْعِ الجمع، كـ : أوطف[2] وأواطف.

وقرأ عبد الله والحسن وعيسى والأعمش: «الأيد» بغير ياءٍ[3]، فقيل: يُراد الأيدي بالياء، وحُذفت اجتزاءً بالكَسْرة عنها، ولمَّا كانت «أل» تُعاقبُ التنوين حُذفتِ الياءُ معها كما حُذفت مع التنوين. حكاه أبو حيان، ثم قال: وهذا تخريجٌ لا يَسوغُ؛ لأنَّ حَذْفَ هذه الياء مع وجود «أل» ذَكَرَهُ سيبويه في الضرائر. وقيل: الأيد: القوَّةُ في طاعة الله تعالى، نظير ما تقدم[4].

وقال الزمخشريُّ بعد تعليل الحَذْفِ بالاكتفاء بالكَسْرة: وتفسيره بالأيد من التأييد قَلِقٌ غيرُ متمكِّنٍ[5]. وعُلِّلَ بأنَّ فيه فواتَ المقابلة وفواتَ النكتة البيانيَّة، فلا تغفل.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾ تعليلٌ لما وُصفوا به، والباءُ للسببية، و«خالصة»: اسمُ فاعلٍ، وتنوينُها للتفخيم، وقوله تعالى ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ بيانٌ لها بعد إبهامها للتفخيم، وجُوِّزَ أن يكونَ خبراً عن ضميرها المقدَّرِ، أي: هي ذِكْرى الدار. وأيَّاما كان فـ «ذِكْرى» مصدرٌ مضافٌ لمفعوله، وتعريفُ الدار للعهد، أي: الدارُ الآخرة، وفيه إشعارٌ بأنها الدارُ في الحقيقة، وإنما الدنيا مجازٌ، أي: جعلناهم خالصين لنا بسبب خَصْلةٍ خالصة جليلةِ الشأن، لا شَوْبَ فيها، هي تذكُّرهم دائماً

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٧، والبحر المحيط ٧/ ٤٠٢.
(٢) الوَطَف: كثرة شعر الحاجبين والعينين. القاموس (وطف).
(٣) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحتسب ٢/ ٤٠٣.
(٤) البحر المحيط ٧/ ٤٠٢.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٧٨.

الدارَ الآخرة، فإنَّ خُلوصهم في الطاعة بسبب تذكُّرهم إياها، وذلك لأنَّ مَطْمَحَ أنظارهم ومَطْرَحَ أفكارهم في كلِّ ما يأتون ويَذَرون جوارُ الله عزَّ وجلَّ، والفوزُ بلقائه، ولا يتسنَّى ذلك إلا في الآخرة.

وقيل: أخلصناهم بتوفيقهم لها واللُّطف بهم في اختيارها، والباء كما في الوجه الأول للسببية، والكلامُ نحو قولك: أكرمته بالعلم، أي: بسبب أنه عالمٌ أكرمته، أو: أكرمتهُ بسبب أنك جعلته عالماً، وقد يُتخيَّلُ في الثاني أنه صلة، ويعضدُ الوجهَ الأولَ قراءةُ الأعمش وطلحة: «بخالصتهم»[(١)].

وأخرج ابن المنذر[(٢)] عن الضحاك أنَّ «ذِكْرى الدار» تذكيرهم الناسَ الآخرةَ، وترغيبهم إياهم فيها، وتزهيدهم إياهم فيها على وجهٍ خالص من الحظوظ النفسانيةِ كما في شأن الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: المراد بـ «الدار» الدارُ الدنيا، وبذِكْراها الثناءُ الجميلُ ولسانُ الصدق الذي ليس لغيرهم. وحكي ذلك عن الجبائيِّ وأبي مسلم، وذكره ابن عطية احتمالاً[(٣)]، وحاصلُ الآية عليه كما قال الطبرسي: إنَّا خصصناهم بالذِّكْر الجميل في الأعقاب[(٤)].

وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج ونافع وهشام بإضافة «خالصةٍ» إلى «ذكرى»[(٥)] للبيان، أي: بما خَلَصَ من ذكرى الدار، على معنى أنهم لا يشوبونَ ذكراها بهم آخرَ أصلاً، أو على غير ذلك من المعاني، وجُوِّزَ على هذه القراءة أن تكون «خالصة» مصدراً، كالعاقبة والكاذبة، مضافاً إلى الفاعل، أي: أخلصناهم بأنْ خَلَصَتْ لهم ذِكْرى الدار.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩، والبحر المحيط ٧/ ٤٠٢.

(٢) كما في الدر المنثور ٥/ ٣١٨.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩.

(٤) مجمع البيان ٢٣/ ١٢٤.

(٥) التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦١ عن نافع وهشام وأبي جعفر.

وظاهر كلام أبي حيان أنَّ احتمالَ المصدرية ممكنٌ في القراءة الأولى أيضاً، لكنه قال: الأظهر أن تكونَ اسم فاعل(١).

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ أي: المختارين من بين أبناء جنسهم، وفيه إعلالٌ معروف.

و«عندنا»: يجوز فيه أن يكونَ من صِلَة الخبر، وأن يكون من صلة محذوفٍ دلَّ عليه «لمن المصطفين»، أي: وإنهم مصطفون عندنا، ولم يُجوِّزوا أن يكونَ من صلة «المصطفين» المذكور؛ لأنَّ «أل» فيه موصولةٌ، ومصطفين صلةٌ، وما في حَيِّز الصِّلة لا يتقدَّمُ معموله على الموصول؛ لئلّا يلزم تقدُّم الصِّلة على الموصول.

واعتُرِض بأنَّا لا نُسلِّمُ أنَّ «أل» فيه موصولةٌ؛ إذ لم يُرَدْ منه الحدوث، ولو سُلِّمَ فالمتقدِّم ظَرْفٌ، وهو يُتوسَّعُ فيه ما لا يُتوسَّعُ في غيره.

والظاهر أنَّ الجملةَ عَطْفٌ على ما قبلها، وتأكيدُها لمزيد الاعتناء بكونهم عنده تعالى من المصطفين من الناس.

﴿ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ الفاضلين عليهم في الخير، وهو جَمْعُ: خيرٍ، مقابل شَرٍّ الذي هو أفعل تفضيل في الأصل، وكان قياسُ أفعل التفضيل أن لا يُجمَعَ على أفعال، لكنه للزومِ تخفيفه ـ حتى إنه لا يقال: أَخْيَرُ، إلا شذوذاً، أو في ضرورة ـ جُعِلَ كأنه بنيةٌ أصلية. وقيل: جمع: خَيِّرٍ، المشدَّد، أو: خَيْرٍ، المخفَّف منه، كأمواتٍ في جمع مَيِّتٍ بالتشديد أو مَيْتٍ بالتخفيف.

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ﴾ فَصَلَ ذِكْرَهُ عن ذِكْرِ أبيه وأخيه؛ اعتناءً بشأنه من حيثُ إنه لا يشركُ العربَ فيه غيرُهم، أو للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالذكر.

﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ قال ابن جرير: هو ابن أخطوب بن العجوز، وذكر أنه استخلفه إلياس على بني إسرائيل، ثم استنبئ(٢). واللامُ فيه زائدةٌ لازمةٌ لمقارنتها للوضع،

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٤٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ١/ ٤٦٤.

ولا ينافي كونه غير عربيٍّ، فإنها قد لزمتْ في بعض الأعلام الأعجمية كالإسكندر، فقد لَحَّنَ التبريزيُّ من قال: إسكندر، مجرَّداً له منها، والأولى عندي أنه إذا كان اسماً أعجميًا و«أل» فيه مقارِنة للوضع أن لا يقال بزيادتها فيه.

وقيل: هو اسمٌ عربيٌّ منقولٌ من يَسَعُ، مضارع: وَسِعَ. حكاه الجلال السيوطيُّ في «الإتقان»(١). وفي «القاموس»(٢): يَسَعُ كـ: يَضَع: اسمٌ أعجميٌّ أُدخل عليه «أل»، ولا تدخل على نظائره كـ: يزيد.

وقرأ حمزة والكسائي: «واللَّيْسَع» بلامَين والتشديد(٣)، كأنَّ أصله: لَيْسَع، بوزن فَيْعَلٍ من اللَّسْع، دخل عليه «أل» تشبيهاً بالمنقول الذي تدخله لِلَمْحِ أصله، وجزم بعضُهم بأنه على هذه القراءة أيضاً عَلَمٌ أعجميٌّ دخلَ عليه اللام.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قيل: هو ابن أيوب، وعن وَهْبٍ أنَّ الله تعالى بعثَ بعد أيوب شرفَ بن أيوب نبيّاً، وسماه: ذا الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيده، وكان مقيماً بالشام عمرَه حتى مات وعمرُه خمسٌ وسبعون سنة.

وفي «العجائب» للكرماني: قيل: هو إلياس، وقيل: هو يُوشع بن نون، وقيل: هو نبيٌّ اسمه: ذو الكفل، وقيل: كان رجلاً صالحاً تكفَّلَ بأمورٍ فوفَّى بها، وقيل: هو زكريا من قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]. اهـ.

وقال ابن عساكر: هو نبيٌّ تكفَّل الله تعالى له في عمله بضِعْفِ عمل غيره من الأنبياء. وقيل: لم يكن نبيّاً، وإن اليسع استخلفه، فتكفَّل له أن يصومَ النهارَ ويقومَ الليل، وقيل: أن يصلِّيَ كلَّ يومٍ مئة ركعة.

وقيل: كان رجلاً من الصالحين كان في زمانه أربع مئة نبيٍّ من بني إسرائيل، فقتلهم ملكٌ جبَّارٌ إلا مئة منهم فرُّوا من القتل، فآواهم وأخفاهم وقام بمؤنتهم، فسمَّاه الله تعالى: ذا الكِفْل.

---

(١) ٢/ ١٠٧٢.

(٢) مادة (وسع).

(٣) التيسير ص١٠٤، والنشر ٢/ ٢٦٠.

وقيل: هو اليسعُ، وأنَّ له اسمين. ويأباه ظاهرُ النظم.

﴿وَكُلٌّ﴾ أي: وكلُّهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ المشهورين بالخيريَّة.

﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ﴿ذِكْرٌ﴾ أي: شَرَفٌ لهم، وشاعَ الذِّكْرُ بهذا المعنى؛ لأنَّ الشَّرَفَ يلزمه الشهرةُ والذكر بين الناس، فتجوِّز به عنه بعلاقة اللزوم، والمراد: في ذِكْر قصصهم وتنويه الله تعالى بهم شَرَفٌ عظيم لهم.

أو المعنى: هذا المذكورُ من الآيات نوعٌ من الذِّكْرِ الذي هو القرآن، وذكر ذلك للانتقال من نوعٍ من الكلام إلى آخر، كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا بابٌ، ثم يشرعُ[١] في باب آخر، ويقولُ الكاتبُ إذا فرغ من فصلٍ من كتابه، وأراد الشروعَ في آخر: هذا، وكان كيتَ وكيتَ. ويحذفُ ـ على ما قيل ـ الخبر في مثل ذلك كثيراً، وعليه: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾ [ص:٥٥] وستسمعُ إن شاء الله تعالى الكلامَ فيه، فلا يقال: إنه لا فائدة فيه؛ لأنه معلومٌ أنه من القرآن.

وقال ابن عباس: هذا ذِكْرُ مَنْ مضى من الأنبياء عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾ ـ أي: مرجعٍ ـ شروعٌ في بيان أَجْرهم الجزيل في الآجل، بعد بيان ذِكْرهم الجميل في العاجل، والمراد بالمتقين؛ إما الجنس، وهم داخلون فيه دخولاً أوليّاً، وإما نفسُ المذكورين، عبَّر عنهم بذلك مَدْحاً لهم بالتقوى التي هي الغايةُ القصوى في الكمال، والجملةُ فيما أرى عَطْفٌ على الجملة قبلها، كأنه قيل: هذا شَرَفٌ لهم في الدنيا، وإنَّ لهم ولأضرابهم، أو: إنَّ لهم في الآخرة لحسن مآب، أو هي من قبيل عَطْفِ القصة على القصة.

وقال الشهاب الخفاجي عليه الرحمة: هي حالية[٢]. ولم يُبيِّنْ صاحبَ الحال، ويبعد أن يكون «ذكراً» لأنه نكرةٌ متقدمةٌ، وأن يكون «هذا» لأنه مبتدأ، ومع ذلك في المعنى على تقدير الحالية خفاءٌ.

---

(١) في (م): شرع.
(٢) حاشية الشهاب ٧/ ٣١٥.

وقال بعضُ أَجِلَّةِ المعاصرين: إنه أراد أنَّ الكلامَ على معنى: والحالُ كذا، أي: الأمرُ والشأنُ كذا، ولم يُرِدْ أنَّ الجملةَ حالٌ بالمعنى المعروف الذي يقتضي ذا حالٍ وعاملاً في الحال، إلى غير ذلك، وادَّعى أنَّ الأمرَ كذلكَ في كلِّ جملةٍ يقال إنها حالٌ وليس فيها ضميرٌ يعودُ على ما قبلها، نحو: جاء زيدٌ والشمسُ طالعةٌ، وقال: إنه الذي ينبغي أن يُعوَّلَ عليه وإن لم يذكره النحويون. اهـ.

والحال لا يخفى على ذي تمييز. وإضافة «حُسْن» إلى «مآب» من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ إما بتأويل: مآبٍ ذي حُسْنٍ، وإما بدونه قصداً للمبالغة.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بدلُ اشتمال، وجُوِّزَ أن يكون نَصْباً على المدح، وجعله الزمخشريُّ عَطْفَ بيانٍ لـ «حُسْن مآب»(١). و«عَدْن» قيل: من الأعلام الغالبة غلبةً تقديريةً، ولزومُ الإضافة فيها أو تعريفها باللام أغلبيٌّ كما صرَّح به ابن مالك في «التسهيل»، و«جنات عَدْنٍ» كمدينة طَيبة، لا كإنسان زيد، فإنه قبيح. وقيل: العَلَمُ مجموع «جناتِ عدن»، وهو أيضاً من غير الغالب؛ لأنَّ المرادَ من الإضافة التي تعوضها العلم بالغلبة إضافة تفيده تعريفاً، وعلى القولين هو مُعيَّنٌ، فيصلحُ للبيان، لكن تعقَّبَ ذلك أبو حيان(٢) بأنَّ للنحويين في عَطْفِ البيان مذهبين؛ أحدهما أنَّ ذلك لا يكون إلا في المعارف، فلا يكونُ عَطْفُ البيان إلا تابعاً لمعرفة، وهو مذهب البصريين، والثاني أنه يجوزُ أن يكونَ في النكرات، فيكون عَطْفُ البيان تابعاً لنكرة، كما تكونُ المعرفةُ فيه تابعةً لمعرفةٍ، وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم الفارسي؛ وأما تخالفهما في التنكير والتعريف، فلم يذهب إليه أحدٌ سوى الزمخشري، كما قد صرَّحَ به ابنُ مالكٍ في «التسهيل»(٣) فهو بناءٌ للأمر على مذهبه.

وذهب آخرون أنَّ عَدْناً مصدرٌ: عَدَنَ بمكان كذا: استقرَّ، ومنه المعدِنُ لمستقرِّ الجواهر، ولا عَلميَّةَ ولا نَقْلَ هناك، ومعنى «جناتِ عَدْنٍ» جناتِ استقرارٍ وثباتٍ، فإنْ كان عَطْفَ بيانٍ فهو على مذهب الكوفيين والفارسي.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٨.

(٢) في البحر ٧/ ٤٠٥.

(٣) ص ١٧١.

ومن الغريب ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال: سألتُ كَعْباً عن قوله تعالى: ﴿جَنَّتِ عَدۡنٍ﴾ فقال: جناتُ كرومٍ وأعنابٍ، بالسريانية[1]. وفي تفسير جويبر[2] أنه بالروميَّة.

وقوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ إما صفةٌ لـ «جناتِ عَدْنٍ»، وإليه ذهب ابن إسحاق وتبعه ابن عطية[3]، أو حالٌ من ضميرها المستتر في خبر «إنَّ»، والعامل فيه الاستقرار المقدَّرُ أو نفسُ الظرف؛ لتضمُّنه معناه ونيابته عنه، وإليه ذهب الزمخشريُّ[4] ومختصرو كلامِهِ، أو حالٌ من ضميرها المحذوف مع العامل لدلالة المعنى عليه، والتقدير: يدخلونها مفتَّحةً. وإليه ذهب الحوفيُّ.

و«الأبواب» نائبُ فاعلِ «مفتَّحة» عند الجمهور، والرابط العائد على الجنات محذوفٌ، تقديره: الأبوابُ منها، واكتفى الكوفيون عن ذلك بـ «أل» لقيامها مقام الضمير، فكأنه قيل: مفتَّحةً لهم أبوابها، وذهب أبو عليٍّ إلى أنَّ نائبَ فاعل «مفتَّحة» ضميرُ الجنات، و«الأبوابُ» بدلٌ منه بدلَ اشتمالٍ كما هو ظاهرُ كلام الزمخشري[5]، ولا يصحُّ أن يكونَ بدلَ بعضٍ من كلٍّ؛ لأنَّ أبوابَ الجناتِ ليست بعضاً من الجنات على ما قال أبو حيان[6].

وقرأ زيد بن عليٍّ وعبد الله بن رفيع وأبو حيوة: «جناتُ عَدْنٍ مفتَّحةٌ» برفعهما[7] على أنهما خبران لمحذوفٍ، أي: هو ـ أي: المآبُ ـ جناتُ عدنٍ مفتَّحةٌ لهم أبوابه، أو: هو جناتُ عدنٍ هي مفتَّحةٌ لهم أبوابها، أو على أنهما مبتدأٌ وخبرٌ.

ووَجْهُ ارتباط الجملة بما قبلها أنها مفسِّرةٌ لحُسْنِ المآب؛ لأنَّ محصّلها: جناتٌ أبوابها فُتِّحتْ إكراماً لهم، أو هي معترضةٌ.

---

(١) تفسير الطبري ١١/ ٥٦١.
(٢) في (م): ابن جرير.
(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٥١٠، والكلام من البحر ٧/ ٤٠٥، وفيه: أبو إسحاق.
(٤) في الكشاف ٣/ ٣٧٨.
(٥) في الكشاف ٣/ ٣٧٨.
(٦) في البحر المحيط ٧/ ٤٠٥.
(٧) القراءات الشاذة ص١٣٠، والكشاف ٣/ ٣٧٨، والبحر ٧/ ٤٠٥.

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾، وقوله سبحانه: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١﴾ قيل: حالان من ضمير «لهم»، وهما حالان مقدَّران؛ لأنَّ الاتكاءَ وما بعده ليس في حالِ تفتيح الأبواب بل بعده.

وقيل: الأولُ حالٌ مقدَّرةٌ من الضمير المذكور، والثاني حالٌ من ضمير «متكئين»، وجُوِّزَ جعلُهما حالَين من المتقين، ولا يصحُّ إلا إن قلنا بأنَّ الفاصلَ ليس بأجنبيٍّ، والظاهرُ أنه أجنبيٌّ.

وقال بعض الأجلَّة: الأظهر أنَّ «متكئين» حالٌ من ضمير «يدعون» قُدِّمَ رعايةً للفاصلة، و«يدعون» استئنافٌ لبيان حالهم، كأنه قيل: ما حالهم بعد دخولها؟ فقيل: يَدعونَ فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ متَّكئينَ فيها.

والاقتصارُ على الفاكهة للإيذان بأنَّ مطاعِمَهُمْ لمحضِ التفكُّهِ والتلذُّذ، دونَ التغذِّي فإنه لتحصيل بدلٍ، ولا تَحلُّلَ ثمةَ.

ولمَّا كانت الفاكهةُ تتنوَّعُ، وَصَفَها سبحانه بالكَثْرة، وكثرتُها باختلاف أنواعها وكثرةِ كلِّ نوعٍ منها، ولمَّا كان الشرابُ نوعاً واحداً وهو الخمر، أُفردَ. وقيل: وُصِفَتِ الفاكهةُ بالكَثْرةِ ولم يُوصفِ الشرابُ؛ للإيذان بأنه يكون على الشراب نقلٌ كثيرٌ، سواءٌ تعدَّدتْ أنواعه أم اتَّحدتْ. ويمكن أن يقال ـ والله تعالى أعلم ـ: التقديرُ: وشرابٌ كثيرٌ. لكن حُذِفَ «كثيرٌ» لدلالة ما قبلُ ورعايةً للفاصلة.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: على أزواجهنَّ، لا ينظرنَ إلى غيرهم، أو: قاصراتٌ طَرْفَ أزواجهنَّ عليهنَّ، فلا ينظرونَ إلى غيرهنَّ لشِدَّةِ حسنهنَّ، وتمام الكلام قد مرَّ وحلا.

﴿أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ أي: لِداتٌ على سِنٍّ واحدةٍ تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوعُ الصَّدْر، أو لسقوطهنَّ معاً على الأرض حين الولادة ومسِّهنَّ ترابها، فكأنَّ التِّرْبَ بمعنى المتارب، كالمِثْل بمعنى المماثل.

والظاهر أنَّ هذا الوصفَ بينهنَّ، فيكونُ في ذلك إشارة إلى محبة بعضهنَّ لبعضٍ، وتصادقهنَّ فيما بينهنَّ، فإنَّ النساءَ الأتراب يتحابَبنَ ويتصادقنَ، وفي ذلك

راحةٌ عظيمةٌ لأزواجهنَّ، كما أنَّ في تباغض الضرائر نَصَبَاً عظيماً وخَطْباً جسيماً لهم، وقد جُرِّبَ ذلك وصَحَّ، نسأل الله تعالى العفو والعافية.

وقيل: إنَّ ذلك بينهنَّ وبين أزواجهنَّ، أي: إنَّ أسنانهنَّ كأسنانهم ليحصلَ كمالُ التَّحابِّ. ورُجِّحَ بأنَّ اهتمامَ الرجل بحصول المحبة بينه وبين زوجته أشدُّ من اهتمامه بحصولها بين زوجاته، وفيه توقُّفٌ، ثم إنَّ الوصفَ الأولَ على المعنى الأول متكفِّلٌ بالدلالة على محبَّتهنَّ لأزواجهنَّ، وعلى المعنى الثاني متكفِّلٌ بالدلالة على محبة أزواجهنَّ لهنَّ، وإذا حصلتِ المحبةُ من طَرَفٍ، فالغالبُ حصولُها من الطرف الآخر، وقد قيل: من القلب إلى القلب سبيلٌ، والأمرُ في الشاهد أنَّ كَوْنَ الزوجاتِ أصغر من الأزواج أحبُّ لهم، لا التساوي. واختار بعضُهم كونَ ذلك بينهنَّ وبين أزواجهنَّ، ويلزمُ منه مساواةُ بعضهنَّ لبعضٍ، وهذا إذا كان المرادُ بقوله تعالى: «وعندهم» إلخ: وعند كلِّ واحدٍ منهم، ولو كان المراد: وعند مجموعهم، وكان الجمعُ موزَّعاً بأن يكونَ لكلِّ واحدٍ من أهل الجنة واحدةٌ واحدةٌ من قاصرات الطَّرْف الأتراب، كان اعتبار كون الوَصْفِ بينهنَّ وبين الأزواج كالمتعيِّن، لكنَّ هذا الفرضَ خلافُ ما نطقتْ به الأخبار، سواءٌ قلنا بما روي عن ابن عباس من أنَّ الآيةَ في الآدميَّات، أو قلنا بما قاله صاحبُ «الغنيان» من أنها في الحور. وقيل بناءً على ما هو الظاهر في الوصف: إنَّ التساوي في الأعمار بين الحور وبين نساء الجنة، فالآية فيهما.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ أي: لأجل يوم الحساب، فإنَّ ما وُعدوه لأجل طاعتهم وأعمالهم الصالحة، وهي تظهر بالحساب، فجعل كأنه علَّةٌ لتوقُّفِ إنجاز الوعد، فالنسبةُ لليوم والحساب مجازيةٌ.

وجُوِّزَ أن تكون اللامُ بمعنى «بعد» كما في: كتبَ لخمسٍ خَلَوْنَ من جُمادى الآخرة، مثلاً، وهو أقلُّ مؤنة.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يُوعَدون» بياء الغَيبة[1]، وعلى قراءة الجمهور بتاء الخطاب فيه التفاتٌ.

---

(١) التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦١.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: ما ذُكِرَ من ألوان النِّعَم والكرامات ﴿لَرِزْقُنَا﴾ أعطيناكموه ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ انقطاعٌ أبداً.

﴿هَٰذَا﴾ قال الزجاج: أي: الأمرُ هذا، على أنه خبرُ مبتدأ محذوف[١]، وقال أبو عليٍّ: أي: هذا للمؤمنين، على أنه مبتدأٌ خبرهُ محذوفٌ، وقدَّره بعضهم كما ذكر.

وجوَّزَ أبو البقاء احتمال كونه مبتدأً محذوفَ الخبر، واحتمال كونه خبراً محذوفَ المبتدأ[٢]، وجوَّزَ بعضُهم كونه فاعلَ فعلٍ محذوفٍ، أي: مضى هذا.

وكونه مفعولاً لفعلٍ محذوف، أي: خُذْ هذا، وجُوِّزَ أيضاً كون «ها» اسم فعل بمعنى: خُذْ، و«ذا» مفعوله من غير تقدير، وَرَسْمُهُ متَّصلاً يُبعدهُ، والتقديرُ أسهلُ منه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾ عَطْفٌ على ما قبله، ولزومُ عَطْفِ الخبر على الإنشاء على بعض الاحتمالات جوابه سَهْلٌ، وأشار الخفاجيُّ إلى الحالية هنا أيضاً[٣]، ولعلَّ أَمْرَها على بعض الأقوال المذكورة هَيِّنٌ.

والطاغون هنا الكفار كما يدلُّ عليه كلامُ ابن عباس، حيث قال: أي: الذين طغوا عليَّ وكذَّبوا رسلي. وقال الجبائيُّ: أصحابُ الكبائر كفاراً كانوا أو لم يكونوا.

وإضافةُ «شَرٍّ» إلى «مآبٍ» كإضافة «حُسْنِ» إليه فيما تقدم، وظاهرُ المقابلة يقتضي أن يقال: لَقُبْحَ مآبٍ هنا، أو: لخيرَ مآبٍ فيما مضى، لكنَّ مثله لا يُلتفتُ إليه إذا تقابلتِ المعاني؛ لأنه من تكلُّفِ الصَّنعةِ البديعية كما صرَّح به المرزوقيُّ في «شرح الحماسة»[٤]. كذا قيل، وقيل: إنه من الاحتباك، وأصله: إنَّ للمتقينَ لخير

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/٣٣٨- ٣٣٩بنحوه.
(٢) الإملاء ٤/ ٢٥٧بنحوه.
(٣) حاشية الشهاب ٧/٣١٦.
(٤) ١/١١٦.

مآبٍ وحُسْن مآب، وإنَّ للطاغين لَقُبح مآبٍ وشَرّ مآب. واستحسنه الخفاجيّ[(١)]، وفيه نوعُ بُعْدٍ.

وقوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ﴾ يُعلَمُ إعرابه مما سلف؛ وقوله سبحانه: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: يدخلونها ويُقاسُونَ حَرَّها، حالٌ من «جهنم» نفسها، أو من الضمير المستتر في خبر «إنَّ» الراجع «لشرّ مآب»، المراد به هي[(٢)]، والحالُ مقدَّرةٌ.

﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦﴾ أي: هي، يعني جهنم، فالمخصوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ، و«المِهادُ» كالفراش لَفْظاً ومعنًى، وقد استُعير مما يفترشه النائم، والمَهْدُ كالمهاد، وقد يُخَصُّ بمقرِّ الطفل.

﴿هَٰذَا﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، أي: العذابُ هذا، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ جملةٌ مرتَّبةٌ على الجملة قبلها، فهي بمنزلة جزاء شَرْطٍ محذوف، وقوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو حميمٌ وغسَّاقٌ، و«ذا» قد يُشار به لمتعدِّد، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبر، أي: منه حميمٌ ومنه غسَّاقٌ، كما في قوله:

حتى إذا ما أضاءَ الصُّبحُ في غَلَسٍ ... وغُودِرَ البقلُ مَلْوِيٌّ ومحصودُ[(٣)]

أي: منه ملويٌّ ومنه محصودٌ.

أو «هذا» مبتدأٌ، خبرُهُ: «حميم»، وجملةُ: «فليذوقوه» معترضةٌ، كقولك: زيدٌ فافهم رجلٌ صالح.

أو «هذا» مبتدأٌ، خبرُهُ: «فليذوقوه» على مذهب الأخفش في إجازته: زيدٌ فاضربه، مستدلًّا بقوله:

وقائلةٍ خَوْلانُ فانكِحْ فتاتَهُمْ[(٤)]

---

(١) في حاشيته ٧/ ٣١٦، وما قبله منه.

(٢) أي: جهنم. ينظر حاشية الشهاب ٧/ ٣١٧.

(٣) البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ٢/ ١٣٦٦، قال شارحه: يقال: قد ألوى النبتُ إلواءً: إذا جفَّ، ومحصود: قد حصد.

(٤) صدر بيت لم يعرف قائله، وسلف ٧/ ١٨٩، و١٨/ ١٦٩ و١٩/ ٧٨، وعجزه:

وأكرومةُ الحيين خلوٌ كما هِيَا

أو «هذا» في محلِّ نَصْبٍ بفعلٍ مُضْمَرٍ يُفسِّرُه «فليذوقوه»، أي: ليذوقوا هذا فليذوقوه ـ ولعلَّكَ تختارُ القولَ بأنَّ «هذا» مبتدأٌ و«حميمٌ» خبره، وما في البين اعتراضٌ، وقد قدَّمه في «الكشاف»[1] ـ والفاء تفسيريةٌ تعقيبيةٌ، وتُشعر بأنَّ لهم إذاقةً بعد إذاقة، وفي «حميم وغسَّاق» على هذين الوجهين الاحتمالان المذكوران أولاً.

والحميم: الماء الشديد الحرارة.

والغسَّاقُ ـ بالتشديد كما قرأ به ابن أبي اسحاق وقتادة وابن وثَّاب وطلحةُ وحمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ والفضلُ وابن سعدان وهارون عن أبي عمرو[2]، وبالتخفيف كما قرأ به باقي السبعة ـ: اسمٌ لما يجري من صديدِ أهل النار، كما روي عن عطاء وقتادة وابن زيد. وعن السُّدِّيِّ: ما يسيلُ من دموعهم.

وأخرج ابن جرير عن كعبٍ أنه عينٌ في جهنم، تسيلُ إليها حُمَةُ كلِّ ذي حُمَةٍ، من حَيَّةٍ وعقربٍ وغيرهما، يُغمَسُ فيها الكافرُ فيتساقطُ جلدهُ ولحمهُ[3].

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس أنه الزمهرير[4].

وقيل: هو مشدَّداً ومخفَّفاً وَصْفٌ من غَسَقَ كضرب وسمع بمعنى سال، يقال: غَسَقَتِ العينُ: إذا سالَ دمعُها، فيكون على ما في «البحر» صفةً حُذِفَ موصوفها[5]. أي: ومذوقٌ غسَّاقٌ، ويُرادُ به: سائلٌ من جلود أهل النار، مثلاً، والوصفيةُ في المشدَّد أظهر؛ لأنَّ فَعَّالاً بالتشديد قليلٌ في الأسماء، ومنه الفيّادُ[6]: ذَكَرُ البوم، والخَطَّار: دهنٌ يُتَّخذُ من الزيت، والعَقَّار: ما يتداوى به من النبات.

---

(١) ينظر ٣/ ٣٧٩.

(٢) التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦١، عن حمزة والكسائي وحفص، والكلام من البحر المحيط ٧/ ٤٠٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ١٢٩.

(٤) تفسير الطبري ٢٠/ ١٣١.

(٥) البحر المحيط ٧/ ٤٠٦.

(٦) في (م): الغياد.

ومن الغريب ما قاله الجواليقيُّ[(١)] والواسطيُّ أنَّ الغسَّاقَ هو الباردُ المنتنُ بلسان التُّرك، والحقُّ أنه عربيٌّ، نعم النُّتونةُ وَصْفٌ له في الواقع، وليست مأخوذةً في المفهوم، فقد أخرج أحمد والترمذيُّ وابنُ حبان وجماعةٌ، وصحَّحه الحاكم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ دلواً من غسَّاقٍ يُهرَاق في الدنيا، لأنتنَ أهلُ الدنيا»[(٢)].

وقيل: الغسَّاقُ: عذابٌ لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ. ويُبعده هذا الخبر.

﴿وَءَاخَرُ﴾ أي: ومذوقٌ آخرُ، وفسَّره ابنُ مسعودٍ كما رواه عنه جمعٌ بالزمهرير، أو: وعذابٌ آخرُ.

وقرأ الحسنُ ومجاهدٌ والجحدريُّ وابنُ جبير وعيسى وأبو عمرو: «وأُخَرُ» على الجمع[(٣)]، أي: ومذوقاتٌ، أو: أنواعُ عذابٍ أُخَر.

﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي: من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدَّة والفظاعة، وتوحيدُ الضمير ـ دون تثنيته نظراً للحميم والغسَّاق ـ على أنه لِمَا ذُكر، أو للشراب الشامل للحميم والغسَّاق، أو للغسَّاق.

وقرأ مجاهدٌ «شِكْلِهِ» بكَسْر الشين[(٤)]، وهي لغةٌ فيه، كَمِثْلٍ، وإذا كان بمعنى الغُنْجِ فهو بالكَسْر لا غير.

﴿أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي: أجناسٌ.

و«آخر» على القراءتين يحتملُ أن يكونَ خبر مبتدأ محذوف، أي: وهذا مذوقٌ أو عذابٌ آخر، أو: هذه مذوقاتٌ أو أنواعُ عذابٍ أُخَر، والجملةُ معطوفةٌ على «هذا حميم»، وإن شئتَ فقَدِّرْ: هو أو هي، وَاعطفِ الجملةَ على «هو حميم».

---

(١) في المعرَّب ص٢٨٣.

(٢) مسند أحمد (١١٢٣٠)، والترمذي (٢٥٨٤)، والحاكم ٢/ ٥٠١ و٤/ ٦٠١، ولم نقف عليه عند ابن حبان، وقد أخرجه شيخه أبو يعلى (١٣٨١)، ولعلّه المراد.

(٣) التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦١، عن أبي عمرو، والكلام من البحر ٧/ ٤٠٦.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٧٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١١، والبحر المحيط ٧/ ٤٠٦.

وأن يكون مبتدأً خبره محذوف، أي: ومنه مذوقٌ أو عذابٌ آخرُ، أو: ومنه مذوقاتٌ أو أنواعُ عذابٍ أُخر، والعَطْفُ على «منه حميم»، وجُوِّزَ أن يُقدَّرَ الخبرُ لهم، أي: ولهم مذوقٌ أو عذابٌ آخرُ، أو: ولهم مذوقاتٌ أو أنواعُ عذابٍ أُخر، والعَطْفُ على «هذا فليذوقوه».

و«من شكله» و«أزواج» في جميع ذلك صفتان لـ «آخر» أو «أُخر». و«آخر» وإن كان مفرداً في اللفظ، فهو جَمْعٌ وصادقٌ على متعدِّدٍ في المعنى.

ويحتمل أن يكون «آخر» أو «أُخر» مبتدأ، و«من شكله» صفته، و«أزواجٌ» خبر، والجواب عن عدم المطابقة على قراءة الإفراد ما سمعت. وأن يكون ذلك عَطْفاً على «حميم» عَطْفَ المفرَدِ على المفرد، و«من شكله» صفتهُ، و«أزواجٌ» صفةٌ للثلاثة المتعاطفة.

وجُوِّزَ أن يكون «آخرُ» مبتدأ، و«من شكله» خبره، و«أزواجٌ» فاعلُ الظرف. وأن يكون الأولُ مبتدأ و«من شكله» خبرٌ مقدَّمٌ، و«أزواجٌ» مبتدأ، والجملةُ خبرُ المبتدأ الأول، أعني: «آخر»، وصَحَّ الابتداءُ به؛ لأنه من بابِ: ضعيفٌ عاذَ بقُرْملة، فالمبتدأ في الحقيقة الموصوفُ المحذوف، أي: نوعٌ آخرُ، أو: مذوقٌ آخرُ، وقيل: لأنه جيءَ به للتفصيل، ومما ذكروا من المسوِّغات أن تكونَ النكرةُ للتفصيل نحو: الناسُ رجلان؛ رجلٌ أكرمته، ورجلٌ أَهَنْتُهُ، وبحث فيه ابن هشام في «المغني»[1]. وجعلوا ضميرَ «شكله» على الوجهين عائداً على «آخر»، وهما لا يكادان يتسنَّيان على القراءة بالجمع، فتدبَّر ولا تغفل.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ جمعٌ كثيرٌ من أتباعكم في الضلال ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾ راكبُ الشِّدَّةَ داخلٌ فيها، أو: متوسِّطٌ شِدَّةً مخيفة. ﴿مَّعَكُمْ﴾ والمراد: هذا فوجٌ داخلٌ معكم النارَ مُقاسٍ فيها ما تقاسونه، وهذا حكايةُ ما تقوله ملائكة العذاب لرؤساء الضلال عند دخول النار تقريعاً لهم، فهو بتقدير: فيقال لهم عند الدخول: هذا.. إلخ.

وفي «الكشاف» واستظهره أبو حيان: أنه حكايةُ كلامِ الطاغين بعضهم مع

(١) ص٦١٤.

بعض، يُخاطبُ بعضُهم بعضاً في شأن أتباعهم يقول: هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم[(١)].

والظرفُ متعلِّقٌ بـ «مقتحم»، وجُوِّزَ فيه أن يكونَ نعتاً ثانياً لـ «فوج» أو حالاً منه، لأنه قد وُصِفَ، أو من الضمير المستتر فيه، ومنع أبو البقاء جوازَ كونه ظَرْفاً، قائلاً: إنه يلزم عليه فساد المعنى[(٢)]. وتبعه الكواشيُّ وصاحب «الأنوار».

وتعقَّبه صاحب «الكشف» بأنه إن كان الفسادُ لإنبائه عن تزاحمهم في الدخول ـ وليس المعنى على المزاحمة بين الفريقين الأتباع والمتبوعين؛ لأنهم بعد الدخول يقولون ذلك لا عند المزاحمة ـ فغيرُ لازمٍ؛ لأنَّ الاقتحامَ لا يُنبئُ عن التزاحم، ولا هو لازمٌ له، وإنما مِثْلُ: ضربتُ معه زيداً، ينبئُ عن المشاركة في الضرب والمقارنة، فكذلك اقتحامُ المتبوعين النارَ مع الأتباع يُنبئُ عن المشاركة في ركوب كلٍّ من الطائفتين قَحْمَةَ النار، ومقاساة شِدَّتها في زمانٍ متقاربٍ عُرْفاً، ولو قيل: هذا فوجٌ معكم مقتحمونَ، لم يُفِدْ أنَّ المخاطبين أيضاً كذلك، وفَسَدَ المعنى المقصود، والعَجَبُ ممَّن جَوَّزَ أن يكون حالاً من ضمير «مقتحم» ولم يُجوِّزْ أن يكون ظرفاً، وإن كان بغير ذلك فليفدْ أولاً ثم ليعترض. انتهى.

وقال بعضهم: إنَّ وجهَ فساد الظرفية دون الحالية أنه ليس المراد أنهم اقتحموا في الصُّحبة ودخلوا فيها، بل: اقتحموا في النار مصاحبين لكم ومقارنين إياكم. وهو كلامٌ فاسدٌ لا مُحصِّلَ له؛ لأنَّ مدلولَ «مع» المعبَّر عنه بالصُّحبة معناه الاجتماعُ في التلبُّس بمدلول متعلّقها، فيفيدُ اشتراكَ الطائفتين في الاقتحام، لا في الصُّحبة كما توهمه، ولا يدلُّ على اتحاد زمانيهما كما صرَّح به في «المغني»، ولو سُلِّم فهو لتقاربه عُدَّ متَّحداً كما أُشير في عبارة «الكشف» إليه، فالحقُّ أنه لا فساد.

وقوله تعالى: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ دعاءٌ من المتبوعين على أتباعهم، سواءٌ كان قائلُ ما تقدَّم الملائكةَ عليهم السلام، أو بعضَ الرؤساء لبعضٍ، أو صفةٌ لـ «فوج» أو حالٌ منه لوَصْفه، أو من ضميره، وأيَّاما كان يؤوَّلُ بـ :مقول لهم: «لا مرحباً» لأنه

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٩، والبحر المحيط ٧/ ٤٠٦.

(٢) الإملاء ٤/ ٢٥٩. قال السمين في الدر ٩/ ٣٩١: ولم أدرِ من أيِّ أوجهٍ يفسد والحالية والصفة في المعنى كالظرفية!.

دعاءٌ، فهو إنشاءٌ لا يُوصَفُ به، وكذا لا يكونُ حالاً بدون تأويل، والمعنى على استحقاقهم أن يقال لهم ذلك، لا أنهم قيل لهم ذلك بالفعل، وهو على الوصفية والحالية من كلام الملائكة عليهم السلام إن كانوا هم القائلين، أو من كلام بعض الرؤساء.

وجُوِّزَ كونه ابتداء كلام منهم.

و«مرحباً» من الرُّحب بضمِّ الراء، وهو السَّعةُ، ومنه: الرُّحبةُ، للفضاء الواسع، وهو مفعولٌ به لفعلٍ واجب الإضمار، و«بهم» بيانٌ للمدعوِّ عليهم، وتكون الباء للبيان كاللام في نحو: سقياً له، وكون اللام دون الباء كذلك دعوى من غير دليل، أي: ما أتوا بهم رُحْباً وَسَعة.

وقيل: الباء للتعدية، فمجرورها مفعولٌ ثانٍ لأتوا، وهو مبنيٌّ على زَعْم أنَّ اللامَ لا تكونُ للبيان، وكفى بكلام الزمخشريِّ وأبي حيان دليلاً على خلافه، ويقال: مرحباً بك، على معنى: رحبت بلادك رُحباً، كما يقال على معنى: أتيتَ رُحْباً من البلاد لا ضيقاً.

ويُفهَمُ من كلام بعضهم جوازُ أن يكون «مرحباً» مفعولاً مطلقاً لمحذوفٍ، أي: لا رَحُبَتْ بهم الدارُ مرحباً، والجمهور على الأول. وأيَّاما كان فالمرادُ بذلك مُثبَتاً الدعاءُ بالخير ومنفيّاً الدعاءُ بالسوء.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾ تعليلٌ من جهة الملائكة لاستحقاقهم الدعاء عليهم، أو وَصْفِهم بما ذكر، أو تعليلٌ من الرؤساء لذلك، والكلامُ عليه يتضمَّنُ الإشارةَ إلى عدم انتفاعهم بهم، كأنه قيل: إنهم داخلون النارَ بأعمالهم مثلنا، فأيُّ نفعٍ لنا منهم، فلا مرحباً بهم.

﴿قَالُوا۟﴾ أي: الأتباع ـ وهم الفوجُ المقتحم ـ للرؤساء: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ أي: بل أنتم أحقُّ بما قيل لنا، ولعلَّهم إنما خاطبوهم بذلك على تقدير كون القائل الملائكةَ الخزنة عليهم السلام، مع أنَّ الظاهرَ أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى أولئك القائلين: بل هم لا مرحباً بهم، قَصْداً منهم إلى إظهار صِدْقهم بالمخاصمة مع

الرؤساء، والتحاكم إلى الخزنة طَمَعاً في قضائهم بتخفيف عذابهم، أو تضعيف عذاب خُصَمائهم.

وفي «البحر»: خاطبوهم لتكونَ المواجهةُ لمن كانوا لا يقدرون على مواجهتهم في الدنيا بقبيحٍ أشفى لصدورهم، حيث تسبَّبوا في كُفْرهم، وأنكى للرؤساء[1]. وهذا أيضاً بتأويل القول بناءً على أنَّ الإنشاءَ لا يكون خبراً، أي: بل أنتم مقولٌ فيكم، أي: أَحقُّ أن يُقال فيكم: لا مرحباً بكم.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ تعليلٌ لأَحقِّيتهم بذلك، وضميرُ الغَيبة في «قدَّمتموه» للعذاب؛ لِفَهمه مما قبله، أو للمصدر الذي تضمَّنه «صالوا»، وهو الصَّلْيُ، أي: أنتم قدَّمتمُ العذابَ أو الصَّليَ ودخولَ النار لنا بإغوائنا وإغرائنا على ما قدَّمنا من العقائد الزائغة والأعمال السيئة، لا أنَّا باشرناها من تلقاء أنفسنا.

وفي الكلام مجازان عقليَّان؛ الأول: إسنادُ التقديم إلى الرؤساء؛ لأنهم السببُ فيه بإغوائهم، والثاني: إيقاعه على العذاب أو الصَّلْي، مع أنه ليس المقدَّم، بل المقدَّمُ عملُ السوء الذي هو سببٌ له.

وقيل: أطلق الضمير الذي هو عبارةٌ عن العذاب أو الصَّلي المسبَّب عن العمل على العمل مجازاً لغويّاً. وقيل: لا حاجةَ إلى ارتكاب المجاز فيه، فتقديمُ العذاب أو الصَّلْي بتأخير الرحمة منهم.

﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٦٠﴾ أي: فبئس المقرُّ جهنم، وهو من كلام الأتباع، وكأنهم قصدوا بذلك التشفِّي والإنكاء، وأنَّ ذلك المقرَّ مشترَكٌ. وقيل: قصدوا بالذَّمِّ المذكورِ تغليظَ جناية الرؤساء عليهم.

﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباعُ أيضاً، وقول ابن السائب: القائلُ جميعُ أهل النار، خلافُ الظاهر جدّاً، فلا يُصار إليه. وتوسيطُ الفعل بين كلاميهم؛ لما بينهما من التباين ذاتاً وخطاباً، أي: قالوا مُعرضين عن خصومة رؤسائهم متضرِّعين إلى الله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۝٦١﴾ أي: مضاعفاً، ومعناه:

(١) البحر المحيط ٧/ ٤٠٦.

ذا ضِعْفٍ، أي: مِثْلٍ، وهو أن يزيدَ على عذابه مثله، فيصير بتلك الزيادة مثلينِ لعذابِ غيره، ويُطلَقُ الضِّعفُ على الزيادة المطلقة.

وقال ابن مسعود هنا: الضِّعفُ: حيَّاتٌ وعقارب.

والظاهر من بعض عباراتهم أنَّ «مَنْ» موصولةٌ، ونصَّ الخفاجيُّ على أنها شرطية[1].

وفي «البحر»: «مَنْ قَدَّمَ» هم الرؤساء، وقال الضحاك: هو إبليس وقابيل[2]. وهو أنسبُ، بخلاف الظاهر المحكيِّ عن ابن السائب.

﴿وَقَالُوا﴾ الضميرُ للطاغين عند جَمْعٍ، أي: قال الطاغون بعضُهم لبعضٍ على سبيل التعجُّب والتحسُّر: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ أي: الأراذل الذين لا خيرَ فيهم ولا جدوى، يعنون بذلك فقراءَ المؤمنين، وكانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم لفقرهم ومخالفتهم إياهم في الدين.

وقيل: الضمير لصناديد قريشٍ كأبي جَهْلٍ وأميَّةَ بن خَلَف وأصحاب القَليب، والرجالُ: عمارٌ وصهيب وسلمان وخَبَّاب وبلال وأضرابهم ﷺ، بناءً على ما روي عن مجاهدٍ من أنَّ الآيةَ نزلتْ فيهم.

واستضعفه صاحب «الكشف» وسببُ النزول لا يكون دليلاً على الخصوص.

واستظهر بعضُهم أنَّ الضميرَ للأتباع؛ لأنه فيما قبل - يعني قوله تعالى: (قَالُوا بَلْ أَنتُمْ) إلخ - لهم أيضاً، وكانوا أيضاً يسخرونَ من فقراء المؤمنين تَبَعاً لرؤسائهم.

وأيَّاما كان فجملةُ: «كنَّا» إلخ صفةُ «رجالاً».

وقوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بهمزة استفهامٍ سقطتْ لأجلها همزةُ الوصل، كما قرأ بذلك الحجازيان وابن عامر وعاصم وأبو جعفر والأعرج والحسن وقتادة[3]،

---

(١) حاشية الشهاب ٧/ ٣١٨.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٤٠٧.

(٣) التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦٢، والبحر المحيط ٧/ ٤٠٧.

استئنافٌ لا محلَّ له من الإعراب، قالوه حيث لم يروهم معهم إنكاراً على أنفسهم، وتأنيباً لها في الاستسخار منهم.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ متَّصلٌ بقوله تعالى: «ما لنا لا نرى» إلخ، و«أم» فيه متصلةٌ، وتقدُّمُ ما فيه معنى الهمزة يغني عن تقدُّمها، على ما يقتضيه كلام الزمخشريِّ[1]، والمعنى: ما لنا لا نراهم في النار، أليسوا فيها فلذلك لا نراهم، بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها. أو بقوله تعالى: (أَتَّخَذْنَـٰهُمْ) إلخ. و«أم» فيه إمَّا متصلةٌ أيضاً، والمقابلة باعتبار اللازم، والمعنى: أيّ الأمرين فعلنا بهم: الاستسخار منهم، أم الازدراء بهم وتحقيرهم وأنَّ أبصارنا تعلو عنهم وتقتحمهم، على معنى إنكار الأمرين جميعاً على أنفسهم، وعن الحسن: كلَّ ذلك قد فعلوا؛ اتخذوهم سخريّاً وزاغتْ عنهم أبصارهم محقِّرةً لهم، وإما منقطعةٌ كأنهم أضربوا عن إنكار الاستسخار، وأنكروا على أنفسهم أشدَّ منه، وهو أنهم جعلوهم محقَّرين لا يُنظَرُ إليهم بوجهٍ.

وفي «زاغت» دون: أزغنا، مبالغةٌ عظيمةٌ، كأنَّ العينَ بنفسها تمجُّهم لقُبْحِ منظرهم، وأين هذا من السّخر، فقد يكون المسخورُ منه محبوباً مكرماً.

وجُوِّزَ أن يكون معنى «أم زاغت» على الانقطاع: بل زاغتْ أبصارنا وكَلَّتْ أفهامنا حتى خفي عنَّا مكانهم، وأنهم على الحق المبين.

وقرأ النحويان وحمزة: «اتَّخذناهم» بغير همزةٍ[2]، فَجُوِّزَ أن تكونَ مقدَّرةً لدلالة «أم» عليها، فتتَّحد القراءتان، وأن لا تكون كذلك، ويكونُ الكلامُ إخباراً، فقال ابن الأنباري: الجملةُ حالٌ، أي: وقد اتخذناهم سخريّاً[3]، وجُوِّزَ كونها مستأنفةً لبيان ما قبلها. وقال الزمخشريُّ وجماعةٌ: صفةٌ ثانيةٌ لـ «رجالاً»[4]. و«أم زاغت» متَّصلٌ بقوله تعالى: (مَا لَنَا لَا نَرَىٰ) إلخ كما سمعتَ أولاً.

---

(١) في الكشاف ٣/ ٣٨٠ بنحوه.
(٢) التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦٢.
(٣) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٦٤.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٨٠.

وجُوِّزَ أن تكونَ «أم» فيه منقطعة، كأنهم أضربوا عمَّا قبلُ، وأنكروا على أنفسهم ما هو أشدُّ منه، أو أضربوا عن ذلك إلى بيان أنَّ ما وقع منهم في حَقِّهم كان لزيغ أبصارهم وكلالِ أفهامهم عن إدراك أنهم على الحقِّ بسبب رَثاثة حالهم.

وقرأ عبد الله وأصحابه ومجاهد والضحاك وأبو جعفر وشيبة والأعرج ونافع وحمزة والكسائي: «سُخْرِيّاً» بضمِّ السين[1]، ومعناه على ما في «البحر»[2] من السُّخرة والاستخدام، ومعنى «سِخْرِيّاً» بالكَسْر على المشهور من السِّخْر وهو الهُزْء، وهو معنى ما حكي عن أبي عمرو، قال: ما كان من مثل العبودية فسُخْرَى بالضَّمِّ، وما كان من مِثْل الهزء فسِخْرَى بالكَسْر، وقيل: هو بالكَسْر من التسخير.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي حُكي عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ لا بدَّ أن يتكلَّموا به، فالمرادُ من حَقِّيَّته تحقُّقه في المستقبل.

وقوله تعالى: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: هو تخاصم، والجملةُ بيانٌ لذلك، وفي الإبهام أولاً والتبيين ثانياً مزيدُ تقرير له، وقال ابن عطية: بدلٌ من «حق»[3]، والمبدَلُ منه ليس في حكم السقوط حقيقة، وقيل: بدلٌ من محلِّ اسم «إنَّ».

والمراد بالتخاصم التقاول، وجُوِّزَ إرادةُ ظاهره، فإنَّ قولَ الرؤساء: «لا مرحباً بهم» وقولَ الأتباع: «بل أنتم لا مرحباً بكم» من باب الخصومة، فسمَّى التفاوضَ كلَّه تخاصماً لاشتماله عليه، قيل: وهذا ظاهرٌ أنَّ التقاولَ بين المتبوعين والأتباع، أما لو جُعِلَ الكلُّ من كلام الخزنة فلا، ولو جعل «لا مرحباً» من كلام الرؤساء، و«هذا فوجٌ» من كلام الخزنة، فيصحُّ أن يجعل تخاصماً مجازاً.

وقرأ ابن أبي عبلة: «تخاصُمَ» بالنَّصب[4]، فهو بدلٌ من «ذلك». وقال

---

(١) التيسير ص١٦٠، والنشر ٢/ ٣٢٩، عن نافع وحمزة والكسائي وأبي جعفر، والكلام من البحر ٧/ ٤٠٧.
(٢) ٧/ ٤٠٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٨٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، والبحر المحيط ٧/ ٤٠٧.

الزمخشريُّ: صفةٌ له[١]، وتُعقِّبَ بأنَّ وَصْفَ اسم الإشارة وإن جاز أن يكونَ بغير المشتقِّ، إلا أنه يلزمُ أن يكونَ مُعرَّفاً بـ «أل» كما ذكره في «المفصَّل»[٢] من غير نقلِ خلافٍ فيه، فبينه وبينَ ما يستدعيه القولُ بالوصفية تناقضٌ، مع ما في ذلك من الفصل الممتنع أو القبيح.

وأجاب صاحب «الكشف» بأنَّ القياسَ يقتضي التجويزَ؛ لأنَّ اسمَ الإشارة يحتاجُ إلى رافعٍ لإبهامه دالٍّ على ذاتٍ معيَّنةٍ، سواءٌ كان فيه اختصاصٌ بحقيقةٍ أخرى أو بحقائقَ، أو لا، وهذا القدرُ لا يُخرجُ الاسمَ عن الدلالة على حقيقة الذات المعيَّنة التي يصحُّ بها أن يكونَ وَصْفاً لاسم الإشارة، وأما الاستعمال فمعارَضٌ بأصل الاستعمال في الصفة، فكما أنَّ الجمهورَ حملوا على الصِّفة في نحو: هذا الرجلُ، مع احتمال البدل والبيان، كذلك الزمخشريُّ حملَ على الوَصْفِ مع احتمال البدل؛ لأنه التفتَ لفت المعنى، ولا يناقضُ ما في «المفصَّل»؛ لأنه ذَكَرَ ذلك في باب النداء خاصةً، على تقدير عدم استقلال اسم الإشارة، ولأنَّ حالَ الاستقلال أقلُّ لم يتعرَّضْ له، وقد بيّن في موضعه أنه في النداء خاصةً يمتنعُ وَصْفُ اسم الإشارة إذا لم يستقلَّ بالمضاف إلى المعرَّف باللام[٣]، على أنه كثيراً ما يخالفُ في أحد الكتابين «الكشاف» و«المفصَّل» الآخَر، والإشكالُ بأنه يلزمُ الفَصْل غير قادحٍ، فإنه يجوزُ، لا سيَّما على تقدير استقلال اسم الإشارة. اهـ. ولا يخلو عن شيء.

وقرأ ابنُ السَّمَيْفع: «تخاصَمَ» فعلاً ماضياً، «أهلُ» بالرفع على أنه فاعلٌ له[٤].

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ أنذرتكم عذابَ الله تعالى للمشركين، والكلامُ رَدٌّ لقولهم: «هذا ساحرٌ كذَّابٌ»، فإنَّ الإنذارَ ينافي السحرَ والكذبَ.

---

(١) في الكشاف ٣/ ٣٨٠.
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٧.
(٣) المصدر السابق.
(٤) القراءات الشاذة ص١٣٠، والبحر المحيط ٧/ ٤٠٧.

وقد يقال: المراد: إنما أنا رسولٌ منذرٌ، لا ساحرٌ كذاب، وفيه من الحُسْنِ ما فيه، فإنَّ كلَّ واحدٍ من وَصْفَي الرسالة والإنذار ينافي كلَّ واحدٍ من وَصْفَي السحر والكذب، لكنَّ منافاةَ الرسالة للسحر أظهرُ، وبينهما طِباقٌ، فكذلك الإنذار للكذب، وضُمَّ إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لإفادة أنَّ له ﷺ صفة الدعوة إلى توحيده عزَّ وجلَّ أيضاً، فالأمران مستقلّان بالإفادة.

و«من» زائدةٌ للتأكيد، أي: ما إلهٌ أصلاً إلا الله ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ أي: الذي لايحتملُ الكَثْرةَ في ذاته بحسب الجزئيات، بأن يكونَ له سبحانه ماهيةٌ كليةٌ، ولا بحسب الأجزاء ﴿ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ لكلِّ شيء.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الموجودات، منه سبحانه خَلْقُها، وإليه تدبير جميع أمورها ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ في أمرٍ من أموره جلَّ شأنه، فتندرجُ في ذلك المعاقبةُ ﴿ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ المبالغ في المغفرة، يغفرُ ما يشاء لمن يشاء.

[وفي هذه الأوصاف](١) تقريرٌ للتوحيد، أما الوصفُ الأولُ فظاهرٌ في ذلك غيرُ محتاجٍ للبيان، وأما القهار لكلِّ شيءٍ، فلأنه لو كان إلهٌ غيرهُ سبحانه لم يكنْ قهَّاراً له، ضرورةَ أنه لا يكونُ حينئذٍ إلهاً، بل ربما يلزمُ أن يكونَ مقهوراً، وذلك منافٍ للألوهية، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وأما «رب السماوات» إلخ فلأنَّه لو أمكن غيره معه تعالى شأنه جاء دليلُ التمانع المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فلم تتكوَّنِ السماواتُ والأرضُ وما بينهما، وقيل: لأنَّ معنى «رب السموات» إلخ، ربّ كلّ موجودٍ، فيدخلُ فيه كلُّ ما سواه، فلا يكون إلهاً. وأما «العزيزُ» فلأنه يقتضي أن يغلبَ غيرَهُ ولا يُغلَبَ، ومع الشِّرْكة لا يتمُّ ذلك.

وأما «الغفار» فلأنه يقتضي أن يغفرَ ما يشاءُ لمن يشاء، فربما شاءَ مغفرةً لأحدٍ وشاءَ الآخر منه العقاب، فإن حصلَ مرادُهُ، فالآخرُ ليس بإله، وإن حَصَلَ مرادُ

---

(١) ما بين حاصرتين من تفسير البيضاوي ٧/ ٣١٩، وتفسير أبي السعود ٧/ ٢٣٤.

الآخر ولم يحصلْ مراده، لم يكن هو إلهاً، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وما قيل في برهان التمانع سؤالاً وجواباً يقال هنا.

وفي هذه الأوصاف من الدلالة على الوعد والوعيد ما لا يخفى، وللاقتصار على وَصْفِ الإنذار صريحاً فيما تقدَّم قُدِّم وَصْفُ «القهَّار» على وَصْفِ «الغفار» هنا. وجُوِّزَ أن يكون المقصودُ هو تحقيق الإنذار، وجيءَ بالثاني تتميماً له وإيضاحاً لما فيه من الإجمال، أي: قلْ لهم: ما أنا إلا منذرٌ لكم بما أعلم، وإنما أنذرتكم عقوبةَ مَنْ هذه صِفتُهُ، فإنَّ مِثْلَهُ حقيقٌ بأن يُخافَ عقابه، كما هو حقيقٌ بأن يُرجى ثوابه. والوجه الأول أوفقُ لمقتضى المقام؛ لأنَّ التعقيبَ بتلك الصفات في الدلالة على أنَّ الدعوةَ إلى التوحيد مقصودةٌ بالذات بمكانٍ لا يُنكر، ولأنَّ هذا بالنسبة إلى ما مرَّ من صَدْرِ السورة إلى هنا بمنزلةِ أن يقول المستدلُّ بعد تمام تقريره: فالحاصلُ، فالأولى أن يكونَ على وزان المبسوط، وفيه قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] فافهم.

﴿قُلْ﴾ تكريرُ الأمر للإيذان بأنَّ المقولَ أمرٌ جليلٌ، له شأنٌ خطيرٌ لا بدَّ من الاعتناء به أمراً وائتماراً. ﴿هُوَ﴾ أي: ما أنبأتكم به من كوني رسولاً منذراً، وأنَّ الله تعالى واحداً لا شريك له. ﴿نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ جدّاً، لا ريبَ فيه أصلاً ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ متمادون في الإعراض عنه لتمادي غفلتكم، وهذه الجملةُ صفةٌ ثانيةٌ لـ «نبأ»، والكلامُ بجملته تحسيرٌ لهم وتنبيهٌ على مكان الخطأ، وإظهارٌ لغاية الرأفة والعَطْفِ الذي يقتضيه مقامُ الدعوة.

واستظهر بعضُ الأجلَّة أنَّ «هو» للقرآن، كما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، واستشهد بآخر السورة وقال: إنه يدخلُ [فيه] ما ذُكِرَ دخولاً أوليًّا، واختارَ كونَ هذه الجملة[1] استئنافاً ناعياً عليهم سوءَ حالهم بالنسبة إليه، وأنهم لا يقدرون قَدْرَهُ الجليلَ مع غاية عظمته الموجبة للإقبال عليه وتلقِّيه بحُسْنِ القَبول.

---

(١) يعني الجملة: «أنتم عنه معرضون» كما في تفسير أبي السعود ٧/ ٢٣٤، والكلام وما بين حاصرتين منه.

وكأنَّ الكلامَ عليه ناظرٌ إلى ما في أول السورة من قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ١-٢] جيءَ به ليستدلَّ على أنه واردٌ من جهته تعالى بما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝﴾ إلخ، حيث تضمَّنَ ذِكْرَ نبأ من أنبائه على التفصيل من غير سابقةِ معرفةٍ به، ولا مباشرةِ سببٍ من أسبابها المعتادة، كالنظر في الكتب الإلهية والسماع من الكتابين، وهو حُجَّةٌ بيِّنةٌ دالةٌ على أنه بطريق الوحي من عند الله تعالى، وأنَّ سائرَ أنبائه أيضاً كذلك؛ وهو على ما قلنا تذكيرٌ لإثبات النبوَّة بذِكْرٍ مختصرٍ منه، تمهيداً لإرشاد الطريق وتذكيراً للباقي، وتسلُّقاً منه إلى استماع ما ذِكْرُهُ لُطْفٌ للمدعوِّينَ وتنويهٌ للداعي، وعدم التعرض لنحو ذلك في أمر التوحيد لظهور أدلَّته مع كونه ذكر شيء منها غضاً طريًّا، وهو ما أشارت إليه الصفاتُ المذكورةُ آنفاً، فلا يقال: إنَّ التعرُّضَ لإثبات النبوَّة دونَ التوحيد دليلٌ على أنَّ المقصودَ بالإفادة هو النبوَّةُ، وأنَّ الثاني جيءَ به تتميماً لذلك.

وأنت تعلم أنَّ النبوَّةَ وكونَ القرآن وحياً من عند الله تعالى متلازمان، متى ثبتَ أحدهما ثبتَ الآخر، لكن يُرجِّحُ جَعْلَ الآية في النبوَّة وإثباتها القُرْبُ وتصديرُ هذه الآية بنحو ما صُدِّرَتْ به الآيةُ المتضمِّنةُ دعوى النبوَّة قبلها من قوله تعالى: «قل»، فإن سَلِمَ لك هذا المرجِّحُ فذاك، وإلا فلا تَعْدِلْ عمَّا روي عن ابن عباس ومن معه.

وعن الحسن أنَّ ذلك يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١-٢] وقيل: ما تقدَّم من أنباء الأنبياء عليهم السلام، وقيل: تخاصُمُ أهل النار، وعُدِّيَ العِلْمُ بالباء نظراً إلى معنى الإحاطة.

والملأ: الجماعةُ الأشراف؛ لأنهم يملؤون العيونَ رواءً، والنفوسَ جلالةً وبهاءً، وهو اسمُ جمعٍ ولذا وُصِفَ بالمفرد، أعني: الأعلى، والمراد به عند ملأ: الملائكةُ وآدمُ عليهم السلام وإبليسُ عليه اللعنة، وكانوا في السماء، فالعلوُّ حِسِّيٌّ، وكان التقاولُ بينهم على ما ستعلمه إن شاء الله تعالى، و«إذ» متعلِّقةٌ بمحذوفٍ يقتضيه المقام؛ إذ المرادُ نفيُ علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم، والتقديرُ: ما كان لي فيما سَبَقَ عِلْمٌ ما بوجهٍ من الوجوه بحالِ الملأ الأعلى وقتَ اختصامهم،

وهو أَولى من تقدير الكلام كما ذهب إليه الجمهور، أي: ما كان لي عِلْمٌ بكلامِ الملأ الأعلى وقتَ اختصامهم؛ لأنَّ عِلْمه ﷺ غيرُ مقصورٍ على ما جرى بينهم من الأقوال فقط، بل عامٌّ لها وللأفعال أيضاً من سجودِ الملائكة عليهم السلام وإباء إبليسَ واستكباره حسبما ينطق به الوحي، فالأَولى اعتبارُ العموم في نفيه أيضاً.

وقيل: «إذ» بدلُ اشتمالٍ من «الملأ»، أو ظرفٌ لـ «عِلْم». وفيه بحثٌ.

والاختصام فيما يُشير إليه سبحانه بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ [الآية: ٧١]، والتعبير بـ «يختصمون» المضارع لأنه أمرٌ غريبٌ، فأُتي به لاستحضاره حكاية للحال، وضميرُ الجميع للملأ، وحكى أبو حيان كونه لقريشٍ واستبعده(١)، وكأنَّ في «يختصمون» حينئذٍ التفاتاً من الخطاب في «أنتم عنه معرضون» إلى الغَيبة، والاختصام في شأن رسالته ﷺ أو في شأن القرآن أو شأن المعاد، وفيه عدولٌ عن المأثور وارتكابٌ لما لا يكاد يُفهَمُ من الآية من غيرِ داعٍ إلى ذلك، ومع هذا لا يقبله الذوقُ السليم.

وقوله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ اعتراضٌ وُسِّط بين إجمال اختصامهم وتفصيله تقريراً لثبوت عِلْمه عليه الصلاة والسلام وتعييناً لسببه، إلا أنَّ بيانَ انتفائه فيما سبق لمَّا كان منبئاً عن ثبوته الآن، ومن البيِّن عدمُ ملابسته ﷺ بشيءٍ من مباديه المعهودة، تعيَّنَ أنه ليس إلا بطريق الوحي حَتْماً، فجعلَ ذلك أمراً مُسلَّمَ الثبوت، غنيّاً عن الإخبار به قَصْداً، وجَعَلَ مَصَبَّ الفائدة إخبارَه بما هو داعٍ إلى الوحي ومصحِّحٌ له، فالقائمُ مقامَ الفاعل لـ «يوحى» إما ضميرٌ عائدٌ إلى الحال المقدَّر كما أُشير إليه سابقاً أو ما يعمُّهُ وغيره، فالمعنى: ما يُوحى إليَّ حالُ الملأ الأعلى، أو: ما يوحى إليَّ الذي يُوحى من الأمور الغيبية التي من جملتها حالهم لأمرٍ من الأمور، إلا لأني نذيرٌ مبينٌ من جهته تعالى، فإنَّ كونه عليه الصلاة والسلام كذلك من دواعي الوحي إليه ومصحِّحاته.

وجُوِّزَ كونُ الضمير القائم مقامَ الفاعل عائداً إلى المصدر المفهوم من «يُوحى»،

(١) البحر المحيط ٧/ ٤٠٩.

أي: ما يُفعل الإيحاء إليَّ بحالِ الملأ الأعلى - أو بشيءٍ من الأمور الغيبية التي من جملتها حالهم - لأمرٍ من الأمور إلا لأني.. إلخ.

وجُوِّز أيضاً كون الجارِّ والمجرور نائب الفاعل، و«أنَّما» على تقدير اللام، قال في «الكشف»: ومعنى الحَصْر أنه ﷺ لم يُوحَ إليه لأمرٍ إلا لأنه نذيرٌ مبينٌ، وأيُّ مبينٍ، كقولك: لم تستقضِ يا فلانُ إلا لأنك عالمٌ عاملٌ مرشد.

وجوَّزَ الزمخشريُّ أن يكون بعد حَذْفِ اللام مقاماً مقام الفاعل[١]، ومعنى الحَصْر أني لم أُومر إلا بهذا الأمر وحده، وليس إليَّ غير ذلك؛ لأنه الأمرُ الذي يشتملُ على كلِّ الأوامر؛ إما تضمُّناً وإما التزاماً، أو: لم أُومر إلا بإنذاركم، لا بهدايتكم وصَدِّكم عن العناد، فإنَّ ذلك ليس إليَّ.

وما ذُكر أولاً أوفقُ بحال الاعتراض كما لا يخفى على من ليس أجنبيّاً عن إدراك اللطائف.

وقرأ أبو جعفر: «إنَّما» بالكَسْر، على الحكاية[٢]، أي: ما يُوحى إليَّ إلا هذه الجملة، وإيحاؤها إليه أَمرُهُ عليه الصلاة والسلام أن يقولها، وحاصلُ معنى الحَصْر قريبٌ مما ذُكر آنفاً، وجُوِّزَ أن يُراد: لم أُومرْ إلا بأنْ أقولَ لكم هذا القول، دون أن أقولَ: أعلمُ الغيبَ بدون وحي مثلاً. فتدبَّر ولا تغفل.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إلخ، شروعٌ في تفصيل ما أُجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول، فهو بدلٌ من «إذ يختصمون» بدلَ كلٍّ من كلٍّ، وجُوِّزَ كونه بدلَ بعض.

وصحَّ إسنادُ الاختصام إلى الملائكة مع أنَّ التقاولَ كان بينهم وبين الله تعالى كما يدل عليه: «إذ قال ربك» إلخ، لأنَّ تكليمه تعالى إياهم كان بواسطة الملك، فمعنى المقاولة بين الملأ الأعلى مقاولة ملك من الملائكة مع سائر الملائكة عليهم السلام في شأنِ الاستخلاف، ومع إبليسَ في شأن السجود، ومع آدم في قوله:

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨١.
(٢) النشر ٢/ ٣٦٢.

﴿أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ [البقرة:٣٣] ومعنى كون المقاولة بين الملائكة وآدم وإبليس وجودها فيما بينهم في الجملة، ولا يلزمُ الجَمْعُ بين الحقيقة والمجاز في الإسناد، فالكلُّ حقيقةٌ؛ لأنَّ الملأ الأعلى شاملٌ للملك المتوسِّط، وهو المقاول بالحقيقة، وهو عزَّ وجلَّ مقاولٌ بالمجاز، ولا تقل: المخاصم؛ ليكونَ الأمرُ بالعكس، وما يقال: إنَّ قوله تعالى: «إذ قال ربك» يقتضي أن تكونَ مقاولته تعالى إياهم بلا واسطة، فهو ممنوعٌ؛ لأنه إبدالُ زمانِ قصَّةٍ عن زمان التفاوض فيها، والغرضُ أن تُعلمَ القصة لا مطابقة كلِّ جزءٍ جزءٍ لكلِّ جزءٍ جزءٍ، فذلك غيرُ لازمٍ ولا مراد.

ثم فيه فائدةٌ جليلةٌ، وهي أنَّ مقاولةَ الملك إياهم أو إياهما عن الله تعالى، فهم مقاولوه تعالى أيضاً، وأُريد هذا المعنى من هذا الإيراد لا من اللفظ؛ ليلزمَ الجمعُ المذكورُ آنفاً، وجَعْلُ الله عزَّ وجلَّ من الملأ الأعلى بأنْ يُرادَ به ما عدا البشر؛ ليكونَ الاختصامُ قائماً به تعالى وبهم على معنى أنه سبحانه في مقابلتهم يخاصمونه ويخاصمهم، مع ما فيه من إيهام الجهة له عزَّ وجلَّ ينبو المقامُ عنه نبوّاً ظاهراً، ولم يذكر سبحانه جوابَ الملائكة عليهم السلام لتتمَّ المقاولةُ؛ اختصاراً بما كرّر مراراً، ولهذا لم يقلْ جلَّ شانه: إني خالقٌ خَلْقاً من صفته كيتَ وكيتَ، جاعلٌ إياه خليفة.

وروعي هذا النسقُ هاهنا لنكتةٍ سَرِيَّةٍ وهي أن يُجعَلَ مصبُّ الغرض من القصة حديث إبليس ليلائم ما كان فيه أهل مكة، وأنه بامتناعه عن امتثال أمرٍ واحدٍ جرى عليه ما جرى، فكيف يكونُ حالهم وهم مغمورون في المعاصي؟ وفيه أنه أولُ من سَنَّ العصيانَ، فهو إمامهم وقائدهم إلى النار، وذِكْرُ حديث سجود الملائكة وطيّ مقاولتهم في شأن الاستخلاف ليفرِّقَ بين المقاولتين، وأنَّ السؤالَ قبل الأمر ليس مثله بعده، فإنَّ الثاني يلزمه التواني.

ثم فيه حديثُ تكريم آدم عليه السلام ضِمْناً دلالة على أنَّ المعلِّمَ والناصحَ يُعَظَّمُ، وأنه شَرْعٌ منه تعالى قديم، وكان على أهل مكة أن يعاملوا النبيَّ ﷺ معاملةَ الملائكة لآدم، لا معاملةَ إبليس له. قاله صاحب «الكشف»، وهو حَسَنٌ، بَيْدَ أنَّ ما علّل به الاختصارَ من تكرار ذلك مراراً لا يتمُّ إلا إذا كان ذلك في سورةٍ مكية نزلتْ قبل هذه السورة، وقد علَّلَ بعضُهم تَرْكَ الذكر بالاكتفاء بما في البقرة، وفيه

أنَّ نزولها متأخِّرٌ عن نزول هذه السورة؛ لأنها مدنيَّة وهذه مكية، فلا يصحُّ الاكتفاءُ إحالةً عليها قبل نزولها، وكونُ المراد اكتفاء السامعين للقرآن بعد ذلك، لا يخفى حاله، ولعلَّ القصةَ كانت معلومةً سماعاً منه ﷺ، وكان عالماً بها بواسطة الوحي، وإن لم تكن إذ ذاك نازلةً قرآناً، فاختُصرت هاهنا لما ذكر في «الكشف» اكتفاءً بذلك.

وقال فيه أيضاً: ولك[1] أن تقول: التقاولُ بين الملائكة وآدم عليهم السلام حيث قال: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ [البقرة:٣١] تبكيتاً لهم بما نسبوا إليه من قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠] وبينه وبين إبليس، إما لأنه داخلٌ في الإنكار والتبكيت، بل هو أشدّهم في ذلك، لكنْ غلَّبَ الله تعالى الملائكةَ لأنه أخسّ من أن يُقرَنَ مع هؤلاء مفرَداً في الذكر، أو لأنه أُمر بالسجود لمعلِّمه فامتنع وأسمعه ما أسمع.

وقوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ) إلخ، للإتيان بطَرَفٍ مشتملٍ على قصةِ المقاولة، وتصويرِ أصلها، فلم يلزمْ منه أن يكونَ الربُّ جلَّ شأنه من المقاولين، وإن كان بينه سبحانه وبينهم تقاولٌ قد حكاه الله تعالى.

وهذا أقلُّ تكلُّفاً مما فيه دعوى أنَّ تكليمَهُ تعالى كان بواسطة الملك؛ إذ للمانع أن يمنعَ التوسُّطَ على أصلنا وعلى أصل المعتزلة أيضاً، لا سيَّما إذا جُعل المبكَّتون الملائكةَ كلَّهم، وعلى الوجهين ظَهَرَ فائدةُ إبدال «إذ قال ربك» من «إذ يختصمون» على وجهٍ بيِّنٍ.

والاعتراضُ بأنه لو كان بدلاً لكان الظاهرُ: إذ قال ربِّي؛ لقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية:٦٩] فليس المقامُ مما يقتضي الالتفاتَ = غير قادحٍ، فإنه على أسلوب قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الزخرف:٩-١٠] فالخطابُ بـ «لكم» نظراً إلى أنه من قول الله تعالى تمَّم قولهم، وذنبه كذلك هاهنا هو من قول الله تعالى لتتميم قول النبيِّ ﷺ، وهذا على نحو ما يقول مخاطِبُك: جاءني الأمير، فتقول: الذي أكرمَكَ وحباكَ، أو يقول: رأيتُ الأميرَ يومَ الجمعة، فتقول: يومَ خَلَعَ عليكَ الخِلْعة

---

(١) في (م): وذلك.

الفلانيَّة، ومنه عُلم أنه ليس من الالتفات في شيءٍ، وأنَّ هذا الإبدالَ على هذا الأسلوب لمزيد الحُسْن. انتهى.

وجُوِّزَ أن يقال: إنَّ «إذ» في قوله تعالى: «إذ قال ربك» ظرفٌ لـ: «يختصمون»، والمراد بالملأ الأعلى الملائكةُ، وباختصامهم قولهم لله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] في مقابلة قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلى غير ذلك، ولا يتوقَّفُ صحةُ إرادة ذلك على جَعْل الله تعالى من الملأ، ولا على أنه سبحانه كلَّمهم بواسطةِ ملك، ولا تقدُّم تفصيلِ الاختصام مطلقاً، بل يكفي ذِكْرُهُ بعد النزول سواء ذُكِرَ قرآناً أم لا، ويُرجِّحُ تفسيرَ الملأ بما ذُكر على تفسيره بما يعمُّ آدمَ عليه السلام أنَّ ذاك على ما سمعتَ يستدعي القولَ بأنَّ آدمَ كان في السماء، وهو ظاهرٌ في أنه عليه السلام خُلِقَ في السماء، أو رُفِعَ إليها بعد خَلْقه في الأرض، وكلا الأمرين لا يُسلِّمهما كثيرٌ من الناس.

وقد نقل ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة»[1] عن جَمْعٍ أنَّ آدمَ عليه السلام إنما خُلِقَ في الأرض، وأنَّ الجنة التي أُسْكِنَها بعد أن جَرى ما جَرى كانت فيها أيضاً، وأتى بأدلةٍ كثيرةٍ قويةٍ على ذلك، ولم يُجبْ عن شيءٍ منها، فتدبر.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الملأ الأعلى الملائكة، وأنَّ اختصامهم كان في الدرجات والكفارات، فقد أخرج الترمذيُّ وصحَّحه، والطبرانيُّ وغيرهما[2] عن معاذ بن جبل قال: احتبسَ عنَّا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غَداةٍ من صلاةِ الصبحِ، حتى كِدْنا نتراءى عينَ الشمس، فخرج سريعاً فثوَّبَ بالصلاة، فصلَّى رسول الله ﷺ، فلمَّا سلَّم دعا بصوته فقال: «على مصافِّكم» ثم التفتَ إلينا، ثم قال: «أما إنِّي أحدِّثكم بما حبسني عنكم الغداةَ، إني قمتُ الليلةَ، فقمتُ وصلَّيتُ ما قُدِّرَ لي، ونَعَسْتُ في صلاتي حتى استثقلتُ، فإذا أنا بربِّي تباركَ وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد، قلت: لبيكَ ربِّي. قال: فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلت:

---

(١) ١/ ١١ وما بعدها.

(٢) الترمذي (٣٢٣٥)، والطبراني في الكبير ٢٠/ ١٠٩ (٢١٦). وهو عند أحمد (١٦٦٢١) من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ.

لا أدري، فَوَضَعَ كَفَّه بين كتفيَّ، فوجدتُ بَرْدَ أنامله بين ثدييَّ، فتجلّى لي كلُّ شيءٍ وعرفته، فقال: يا محمد، قلت: لبيكَ. قال: فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلت: في الدرجات والكفَّارات، فقال: ما الدرجات؟ فقلتُ: إطعامُ الطعام، وإفشاءُ السلام، والصلاةُ بالليل والناس نيام، قال: صدقتَ، فما الكفَّارات؟ قلتُ: إسباغُ الوضوء في المكاره، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة، ونَقْلُ الأقدام إلى الجماعات، قال: صدقتَ، سَلْ يا محمد، فقلت: اللهمَّ إنِّي أسألكَ فِعْلَ الخيرات، وتَرْكَ المنكرات، وحُبَّ المساكين، وأن تغفرَ لي وترحمني، وإذا أردتَ بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غيرَ مفتون، اللهمَّ إني أسألك حُبَّكَ وحُبَّ من أَحبَّكَ، وحُبَّ عملٍ يُقرِّبني إلى حُبِّك»، قال النبيُّ ﷺ: «تعلَّموهنَّ وادرسوهنَّ، فإنهنَّ حقٌّ».

ومعنى اختصامهم في ذلك على ما في «البحر» اختلافُهم في قَدْرِ ثوابه[1]. ولا يخفى أنَّ حَمْلَ الاختصام في الآية على ما ذُكر بمراحلَ عن السياق، فإنه مما لم يعرفه أهلُ الكتاب، فلا يُسلِّمه المشركون له عليه الصلاة والسلام أصلاً، نعم هو اختصامٌ آخر لا تعلُّقَ له بالمقام. وجَعَلَ هؤلاء «إذ» في «إذ قال» منصوباً بـ «اذكر» مقدَّراً، وكذا كلُّ من قال: إنَّ الاختصامَ ليس في شأن آدم عليه السلام، يجعله كذلك. والشهاب الخفاجي قال: الأظهر ـ أي: مطلقاً ـ تعلُّق «إذ» بـ «اذكر» المقدَّر على ما عُهد في مثله؛ ليبقى «إذ يختصمون» على عمومه، ولئلا يفصلَ بين البدل والمبدل منه، وليشملَ ما في الحديث الصحيح من اختصامهم في الكفارات والدرجات، ولئلا يحتاجَ إلى توجيهِ العدول عن «ربِّي» إلى «ربك»[2]. انتهى، وفيه شيءٌ لا يخفى.

ومن غريب ما قيل في اختصامهم، ما حكاه الكرمانيُّ في «عجائبه» أنه عبارةٌ عن مناظرتهم بينهم في استنباط العلوم، كمناظرة أهل العلم في الأرض، ويُرَدُّ به على مَنْ يزعمُ أنَّ جميعَ علومهم بالفعل، والمعروفُ عن السلف أنه المقاولةُ في شأن آدم عليه السلام، والردّ به حاصلٌ أيضاً، والمراد بالملائكة في: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٤٠٩.

(٢) حاشية الشهاب ٧/ ٣٢٠.

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ما يعمُّ إبليس؛ لأنه إذ ذاك كان مغموراً فيهم، ولعلَّ التعبيرَ بهم دون الضمير الراجع إلى الملأ الأعلى على القول بالاتحاد؛ لشيوع تعلُّقِ القول بهم بين أهل الكتاب بهذا العنوان، أو لشهرةِ المقابلة بين الملك والبشر، فيلطف جدّاً قوله سبحانه ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ وقيل: عبَّر بذلك إظهاراً للاستغراق في المقول له، والمراد: إني خالقٌ فيما سيأتي، وفي التعبير بما ذُكر ما ليس في التعبير بصيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعلٌ ألبتَّة من غير صارف.

والبشر: الجسمُ الكثيفُ يلاقي ويباشر، أو بادي البشرة ظاهر الجلد غير مستورٍ بشعر أو وَبَرٍ أو صوف، والمراد به آدم عليه السلام؛ وذكر هنا خلقهُ من طينٍ، وفي «آل عمران»: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [الآية:٥٩]، وفي «الحِجْر»: ﴿مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الآية:٢٨]، وفي «الأنبياء»: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ [الآية:٣٧]، ولا منافاةَ، غايةُ ما في الباب أنه ذُكِرَ في بعض المادة القريبة وفي بعض المادة البعيدة، ثم إنَّ ما جرى عند وقوع المحكيِّ ليس اسم البشر الذي لم يخلق مسمَّاه حينئذٍ فضلاً عن تسميته به، بل عبارةٌ كاشفةٌ عن حاله، وإنما عبَّر عنه بهذا الاسم عند الحكاية.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أي: صَوَّرته بالصورة الإنسانية والخِلْقة البشرية، أو: سَوَّيتُ أجزاءَ بدنه بتعديل طبائعه. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ تمثيلٌ لإضافة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها، فليس ثمَّةَ نفخٌ ولا منفوخٌ، أي: فإذا أكملتُ استعدادَهُ وأَفَضْتُ عليه ما يحيا به من الروح الطاهرة التي هي أمري. ﴿فَقَعُوا لَهُۥ﴾ أَمْرٌ من «وقع»، وفيه دليلٌ على أنَّ المأمورَ به ليس مجردَ الانحناء كما قيل، أي: فاسقطوا له ﴿سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ تحيةً له وتكريماً.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: فَخَلَقَهُ فسوَّاه، فنفخَ فيه الروحَ، فَسَجَدَ له الملائكة ﴿كُلُّهُمْ﴾ بحيثُ لم يبقَ أحدٌ منهم إلا سجد ﴿أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: بطريق المعيَّةِ بحيثُ لم يتأخَّرْ أحدٌ منهم عن أحدٍ، فـ «كلّ» للإحاطة و«أجمع» للاجتماع، ولا اختصاصَ لإفادته ذلك بالحالية خلافاً لبعضهم، وتحقيقه على ما في «الكشف» أنَّ الاشتقاقَ الواضحَ يُرشِدُ إلى أنَّ فيه معنى الجمع والضَّمِّ، والأصلُ في الإطلاق

الخطابيّ التنزيلُ على أكمل أحوال الشيء، ولا خفاء في أنَّ الجمعَ في وقتٍ واحدٍ أكملُ أصنافه، لكنْ لمَّا شاع استعماله تأكيداً أُقيم مُقامَ «كلّ» في إفادة الإحاطة من غير نظر إلى الكمال، فإذا فُهمتِ الإحاطةُ بلفظٍ آخرَ لم يكن بُدٌّ من ملاحظة الأصل؛ صَوْناً للكلام عن الإلغاء، ولو سَلِمَ فـ «كلّ» تأكيدُ الشمول بإخراجه عن الظهور إلى النصوص، و«أجمعون» تأكيدُ ذلك التأكيد، فيفيدُ أتمَّ أنواع الإحاطة، وهو الإحاطةُ في وقتٍ واحد، واستخراجُ هذه الفائدة من جَعْله كإقامة المظهر مقام المضمَرِ لا يلوحُ وجهه، والنقضُ بقوله سبحانه: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ منشؤهُ عدمُ تصوُّرِ وجهِ الدلالة.

وظاهرُ هذه الآية وآية «الحِجْر» أنَّ سجودَهم مترتِّبٌ على ما حكي من الأمر التعليقيِّ، وكثيرٌ من الآيات الكريمة كالتي في «البقرة» و«الأعراف»(١) وغيرهما ظاهرةٌ في أنه مترتِّبٌ على الأمر التنجيزيِّ، وقد مرَّ تحقيقُ ذلك فليراجع.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناءٌ متَّصلٌ لما أنه ـ وإن كان جِنِّيّاً ـ معدودٌ في زمرة الملائكة، موصوفٌ بصفاتهم، لا يقومُ ولا يقعدُ إلا معهم، فشملته الملائكةُ تغليباً، ثم استثني استثناءَ واحدٍ منهم، أو لأنَّ من الملائكة جِنْساً يتوالدون وهو منهم. أو هو استثناءٌ منقطع.

وقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ على الأول استئنافٌ مبيِّنٌ لكيفية تَرْكِ السجود المفهوم من الاستثناء، فإنَّ تَرْكَهُ يحتملُ أن يكونَ للتأمل والتروِّي، وبه يتحقَّقُ أنه للإباء والاستكبار، وعلى الثاني: يجوزُ اتصاله بما قبله، أي: لكن إبليس استكبرَ وتعظَّم.

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ أي: وصار منهم باستكباره وتعاظُمه على أمر الله تعالى، وتَرْكُ الفاء المؤذنةِ بالسببية إحالةٌ على فِطْنةِ السامع، أو لظهور المراد. وكون التعاظم على أمره عزَّ وجلَّ لا سيَّما الشفاهي موجباً للكُفْر مما لا ينبغي أن يُشَكَّ فيه، على أنَّ هذا الاستكبارَ كان متضمِّناً استقباحَ الأمر وعَدَّهُ جَوْراً،

(١) سورة البقرة الآية (٣٤) وما بعدها، وسورة الأعراف الآية (١١) وما بعدها.

ويجوزُ أن يكون المعنى: وكان من الكافرين في عِلْمِ الله تعالى لِعِلْمِهِ عزَّ وجلَّ أنه سيعصيه، ويصدرُ عنه ما يصدرُ باختياره وخُبْثِ طويَّته واستعداده.

﴿قَالَ﴾ عزَّ وجلَّ على سبيل الإنكار والتوبيخ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ أي: من السجود ﴿لِمَا خَلَقۡتُ﴾ أي: للذي خلقتُه، على أنَّ «ما» موصولةٌ والعائدُ محذوف، واستُدلَّ به على جواز إطلاق «ما» على آحاد مَنْ يعقل، ومَن لم يُجِزْ قال: إنَّ «ما» مصدريةٌ، ويُراد بالمصدر المفعول، أي: أن تسجدَ لمخلوقٍ.

﴿بِيَدَيَّۖ﴾ وهذا عند بعض أهل التأويل من الخَلَفِ تمثيلٌ لكونه عليه السلام معتنًى بخَلْقه، فإنَّ من شأن المُعتنَى به أن يُعمَلَ باليدين، ومن آثار ذلك خَلْقه من غير توسُّطِ أبٍ وأمٍّ، وكونه جسماً صغيراً انطوى فيه العالم الأكبر، وكونه أهلاً لأن يُفاضَ عليه ما لا يُفاض على غيره، إلى غير ذلك من مزايا الآدميَّة.

وعند بعضٍ آخر منهم: اليدُ بمعنى القدرة، والتثنيةُ للتأكيد الدالِّ على مزيد قدرته تعالى؛ لأنها تَرِدُ لمجرد التكرير نحو: ﴿ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [الملك: ٤] فأُريد به لازمُهُ، وهو التأكيد، وذلك لأنَّ لله تعالى في خَلْقه أفعالاً مختلفةً من جَعْله طِيناً مخمَّراً، ثم جسماً ذا لحمٍ وعظمٍ، ثم نفخ الروح فيه وإعطائه قوَّةَ العلم والعمل، ونحو ذلك مما هو دالٌّ على مزيد قدرة خالقِ القُوى والقُدَر.

وجُوِّز أن يكون ذلك لاختلاف فعل آدم، فقد يصدرُ منه أفعالٌ مَلَكيَّةٌ، كأنها من آثار اليمين، وقد يصدرُ منه أفعالٌ حيوانيَّةٌ، كأنها من آثار الشمال، وكلتا يديه سبحانه يمين.

وعند بعضٍ: اليد بمعنى النعمة، والتثنيةُ إما لنحو ما مرَّ، وإما على إرادة نعمة الدنيا ونعمة الآخرة.

والسلف يقولون: اليدُ مفردةً وغيرَ مفردةٍ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ على المعنى اللائق به سبحانه، ولا يقولون في مثل هذا الموضع: إنها بمعنى القدرة أو النعمة، وظاهرُ الأخبار أنَّ للمخلوق بها مزيةً على غيره، فقد ثبت في الصحيح أنه سبحانه قال في

جواب الملائكة: اجعلْ لهم الدنيا ولنا الآخرة: وعِزَّتي وجلالي لا أجعلُ مَن خَلَقتُهُ بيديَّ كَمَنْ قلت له: كُنْ، فكان(١).

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ في «العظمة» والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خلقَ الله تعالى أربعاً بيده: العرش، وجنات عَدن، والقلم، وآدم، ثم قال لكلِّ شيءٍ: كُنْ، فكان(٢).

وجاء في غير ما خبر أنه تعالى كتب التوراةَ بيده.

وفي حديث مُحاجَّة آدم وموسى عليهما السلام ما يدلُّ على أنَّ المخلوقيةَ بها وَصْفُ تعظيم حيث قال له موسى: «أنت آدمُ الذي خَلَقَكَ الله تعالى بيده»(٣).

وكذلك في حديث الشفاعة أنَّ أهلَ الموقف يأتون آدمَ ويقولون له: «أنت آدمُ أبو الناس، خَلَقَكَ الله تعالى بيده»(٤).

ويُعلَمُ من ذلك أنَّ ترتيبَ الإنكار في «ما منعك أن تسجد» على خَلْقِ الله تعالى إياه بيديه لتأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ، كأنه قيل: ما منعكَ أن تُعظِّمَ بالسجود مَنْ هو أهلٌ للتعظيم؛ للعناية الربَّانيَّة التي حَفَّتْ إيجاده.

وزعم الزمخشريُّ أنَّ «خلقتُ بيديَّ» من باب: رأيته بعينيَّ، فـ «بيديَّ» لتأكيد أنه مخلوقٌ لاشكَّ فيه، وحيث إنَّ إبليسَ تَرَكَ السجود لآدم عليه السلام لشبهةِ أنه سجودٌ لمخلوقٍ، وانضمَّ إلى ذلك أنه مخلوقٌ من طين، وأنه هو مخلوقٌ من نار، وزلَّ عنه أنَّ الله سبحانه حين أَمَرَ مَنْ هو أَجَلُّ منه وأَقربُ عباده إليه زلفى وهم الملائكة امتثلوا ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له؛ تعظيماً لأمر ربِّهم وإجلالاً لخطابه، ذَكَرَ له ما يتشبَّثُ به من

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦١٦٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفي مسند الشاميين (٥٢١) من حديث جابر رضي الله عنه، وينظر تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ص١٠٠. والحديث ليس في الصحيح كما ذكر المصنف.

(٢) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١٤٥، والعظمة (٦٩٣)، والأسماء والصفات للبيهقي (٦٩٣).

(٣) أخرجه أحمد (٩٠٩٥)، ومسلم (٢٦٥٢): (١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٩٦٢٣)، والبخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الشبهة، وأخرج له الكلامَ مخرجَ القول بالموجب، مع التنبيه على مزلَّة القدم، فكأنه قيل له: ما منعكَ من السجود لشيءٍ هو كما تقول مخلوقٌ، خلقتهُ بيديَّ، ولا شكَّ في كونه مخلوقاً؛ امتثالاً لأمري وإعظاماً لخطابي، كما فعلت الملائكة[1].

ولا يخفى أنَّ المقامَ نابٍ عمَّا ذكره أشدَّ النّبو، وجَعْلُ ذلك من باب: رأيتُ بعيني، لا يفيد إلا تأكيد المخلوقية، وإخراجُ الكلام مخرجَ القول بالموجب مما لا يكادُ يُقبَلُ، فإنَّ سياقَ القول بالموجب أن يُسلّم له ثم ينكر عليه، لا أن يُقدّم الإنكار أصلاً ويؤتى به كالرَّمز، بل كالإلغاز، وأيضاً الأخبار الصحيحة ظاهرةٌ في أنَّ ذاك وَصْفُ تعظيم لا كما زعمه، وأيضاً جَعْلُ سجود الملائكة لآدم راجعاً إلى محض الامتثال من غير نظرٍ إلى تكريم آدم عليه السلام مردودٌ بما سُلِّمَ في عِدَّة مواضعَ أنه سجودُ تكريم، كيف وهو يقابل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وكذلك تعليمه إياهم، فليلحظ فيه جانب الآمر تعالى شأنه، وجانب المسجود له عليه الصلاة والسلام توفيةً للحقَّين، وكأنه قال ما قال وأخرج الآية على وجهٍ لم يخطرْ ببال إبليس حَذَراً من خَرْم مذهبه، ولا عليه أن يُسلِّم دلالة الآية على التكريم، ويخصَّهُ بوجهٍ، وحينئذٍ لا تدلُّ على الأفضلية مطلقاً، حتى يلزمَ خَرْمُ مذهبه، ولعَمْري إنَّ هذا الرجلَ عَقَّ أباه آدم عليه السلام في هذا المبحث من «كشافه» حيث أَورد فيه مثالاً لما قرَّره في الآية، جَعَلَ فيه سقاط الحشم مثالاً لآدم عليه السلام، وبَرَّ عدوَّ الله تعالى إبليس، حيث أقام له عُذْرَهُ وصوَّبَ اعتقاده أنه أفضلُ من آدم لكونه من نارٍ وآدم من طين، وإنما غَلَّطه من جهةٍ أخرى وهو أنه لم يقسْ نفسَهُ على الملائكة إذ سجدوا له، على علمهم أنه بالنسبة إليهم محطوطُ الرتبة ساقطُ المنزلة، وكم له من عَثْرةٍ لا يُقال لصاحبها لَعَاً[2] مع الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم في هذا المقام، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من مهاوي الهوى، ويثبِّتَ لنا الأقدام.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٣.

(٢) يقال للعاثر: لعاً لك، وهو دعاء له بأن ينتعش. مختار الصحاح (لعا).

وقرئ: «بيديَّ» بكسر الياء، كمصرخِيِّ[1]. و«بيدِي» على التوحيد[2].

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ بهمزة الإنكار وطَرْحِ همزة الوصل، أي: أتكبَّرتَ من غير استحقاق. ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ أو: كنتَ مستحقّاً للعلوّ فائقاً فيه. وقيل: المعنى: أَحَدَثَ لك الاستكبارُ، أم لم تزلْ منذ كنتَ من المستكبرين. فالتقابلُ على الأول باعتبار الاستحقاق وعدمه، وعلى الثاني باعتبار الحدوث والقِدَم، ولذا قيل: «كنت من العالين» دون: أنت من العالين.

وقيل: إنَّ العالين صِنْفٌ من الملائكة يقال لهم: المهيمون، مستغرقونَ بملاحظة جمال الله تعالى وجلاله، لا يعلمُ أحدهم أنَّ الله تعالى خَلَقَ غيرَهُ، لم يؤمروا بالسجود لآدم عليه السلام، أو هم ملائكةُ السماء كلُّهم، ولم يُؤمروا بالسجود، وإنما المأمورُ ملائكةُ الأرض، فالمعنى: أَتَرَكْتَ السجودَ استكباراً، أم تركتَهُ لكونك ممن لم يُؤمَرْ به؟! ولا يخفى ما فيه.

و«أم» في كلِّ ذلك متصلةٌ، ونقل ابنُ عطيةَ عن كثير من النحويين أنها لا تكون كذلك إذا اختلفَ الفعلان نحو: أَضَرَبْتَ زيداً أم قَتَلْتَهُ[3]. وتعقَّبه أبو حيان بأنه مذهبٌ غيرُ صحيح، وأنَّ سيبويه صَرَّحَ بخلافه[4].

وقرأتْ فرقةٌ منهم ابنُ كثيرٍ فيما قيل: «استكبرت» بصلة الألف[5]، وهي قراءةُ أهل مكة، وليست في مشهورِ ابن كثير، فاحتمل أن تكونَ همزةُ الاستفهام قد حُذفت لدلالة «أم» عليها، كقوله:

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٣، والدر المصون ٩/ ٣٩٨، والبحر ٧/ ٤١٠. ووقع في الأصل و(م): بكسر الدال، وهو خطأ، وقراءة «بمصرخيِّ» بكسر الياء لحمزة كما سلف ١٣/ ٢٦٦.

(٢) وهي قراءة الجحدري، ينظر القراءات الشاذة ص١٣٠، والكشاف ٣/ ٣٨٣، والبحر المحيط ٧/ ٤١٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٥.

(٤) البحر المحيط ٧/ ٤١٠.

(٥) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٥، والبحر المحيط ٧/ ٤١٠.

بـسـبـعٍ رمـيـنـا الـجـمـرَ أم بـثـمـانِ(١)

واحتمل أن يكون الكلامُ إخباراً، و«أم» منقطعة، والمعنى: بل أنت من العالين، والمراد استخفافه سبحانه به.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ قيل: هو جوابٌ عن الاستفهام الأخير، يؤدِّي مؤدَّى أنه كذلك ـ أي: هو من العالين ـ على الوجه الأول، وأنه ليس من الاستكبار سابقاً ولاحقاً في شيءٍ على الوجه الثاني، ويجري مجرى التعليل لكونه فائقاً، إلا أنه لمَّا لم يكنْ وافياً بالمقصود لأنه مجردُ دعوى أُوثر بيانه بما يُفيدُ ذلك وزيادة، وهو قوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ أما الأول فظاهرٌ، وأما الثاني فلأنه ذَكَرَ النوعين تنبيهاً على أنَّ المماثلة كافيةٌ، فضلاً عن الأفضلية، ولهذا أَبهمَ وفصَّل وقابل، وآثر «خلقتني» و«خلقته» دون: أنا من نارٍ وهو من طين، ليدلَّ على أنَّ المماثلةَ في المخلوقية مانعةٌ، فكيف إذا انضمَّ إليها خيريَّةُ المادة، وفيه تنبيهٌ على أنَّ الآمر كان أولى أن يستنكفَ، فإنه ـ أعني السجود ـ حقُّ الآمر، واستلطفه صاحب «الكشف» ثم قال: ومنه يُعلَمُ أنَّ جوابَ إبليس من الأسلوب الأحمق.

وجعل غيرُ واحدٍ قوله: «أنا خيرٌ منه» جواباً أولاً وبالذات عن الاستفهام بقوله تعالى: (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ) بادِّعاء شيءٍ مستلزمٍ للمانع من السجود على زَعْمه، وقوله: «خلقتني» إلخ تعليلاً لدعوى الخيريَّة.

وأيَّاما كان فقد أخطأ اللعينُ؛ إذ لا مماثلة في المخلوقية، فمخلوقيةُ آدم عليه السلام باليدين، ولا كذلك مخلوقيَّته، وأَمْرُ خيريَّة المادة على العكس في النظر الدقيق، ومع هذا الفضلُ غيرُ منحصرٍ بما كان من جهتها، بل يكونُ من جهة الصورة والغاية أيضاً، وفَضْلُ آدم عليه السلام في ذلك لا يخفى، وكأنَّ خطأه لظهوره لم يتعرَّضْ لبيانه، بل جعل جوابه طَردَهُ، وذلك قوله تعالى:

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ والفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من اللَّعين من المخالفة للأمر

---

(١) عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص٢٠٩، وصدره:

فـوالله مـا أدري وإنـي لـحـاسـبٌ

الجليل، وتعليلِها بأظهر الأباطيل، أي: فاخرجْ من الجنة، والإضمارُ قبل ذِكْرها لشهرةِ كونه من سكانها.

وعن ابن عباس أنه كان في عَدْنٍ لا في جنة الخلد. ثم إنه يكفي في صِحَّة الأمر كونُه ممن اتَّخذَ الجنةَ وطناً ومسكناً، ولا تتوقَّفُ على كونه فيها بالفعل وَقْتَ الخطاب كما هو شائعٌ في المحاورات، يقول مَنْ يُخاصم صاحبَهُ في السُّوق أو غيره في دار: اخرجْ من الدار، مع أنه وقت المخاصمة ليس فيها بالفعل، وهذا إن قيل: إنَّ المحاورةَ لم تكن في الجنة.

وقيل: «منها»، أي: من زمرة الملائكة المعزَّزين، وهو المرادُ بالهبوط، لا الهبوطُ من السماء كما قيل، فإنَّ وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد، وكانت ـ على ما روي عن الحسن ـ بطريق النداء من باب الجنة، على أنَّ كثيراً من العلماء أنكروا الهبوطَ من السماء بالكلية، بناءً على أنَّ الجنةَ التي أُسْكِنَها آدمُ عليه السلام كانت في الأرض.

وقيل: اخْرجْ من الخِلْقة التي أنت فيها، وانسلخْ منها. والأمرُ للتكوين، وكان عليه اللَّعنةُ يفتخرُ بخِلْقته، فغيَّرَ الله تعالى خِلْقته، فاسودَّ بعد ما كان أبيضَ، وقَبُحَ بعد ما كان حَسَناً، وأظلمَ بعد ما كان نورانيّاً.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٧﴾ تعليلٌ للأمر بالخروج، أي: مطرودٌ من كلِّ خيرٍ وكرامة، فالرجمُ كنايةٌ عن الطرد؛ لأنَّ المطرودَ يُرجَمُ بالحجارة، أو: شيطانٌ يُرجَمُ بالشُّهُب. كذا قالوا.

وقد يقال: المراد بـ «رجيم»: ذليل، فإنَّ الرَّجْمَ يستدعي الذِّلّة، وهو أبعدُ من توهُّمِ التكرار مع الجملة بعدُ من الوجه الأول وأوفقُ؛ لِمَا في «الأعراف» من قوله تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الآية: ١٣].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ﴾ أي: إبعادي عن الرحمة، وفي «الحجر»: ﴿ٱللَّعْنَةَ﴾ [الآية: ٣٥] فإن كانت «أل» فيه للعهد، أو عِوَضاً عن الضمير المضافِ إليه، فعَدَمُ الفرق بين ما هناك وما هنا ظاهرٌ، وإن أُريد كلّ لعنةٍ فذاك؛ لما أنَّ لعنةَ اللاعنين

من الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى، فهم يَدْعونَ عليه بلعنة الله تعالى وإبعاده من رحمته.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ يوم الجزاء والعقوبة، وفيه إيذانٌ بأنَّ اللعنةَ مع كمال فظاعتها ليست كافيةً في جزاء جنايته، بل هي أُنموذجٌ مما سيلقاه مستمرَّةٌ إلى ذلك اليوم، لكن لا على أنها تنقطعُ يومئذٍ كما يُوهمه ظاهرُ التوقيت - ونُسِبَ القولُ به إلى بعض الصوفية - بل على أنه سيلقى يومئذٍ من ألوان العذاب وأفانين العقاب ما تُنسى عنده اللعنة وتصير كالزائل، ألا يُرى إلى قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾ أي: أمهلني وأَخِّرني، والفاء متعلِّقةٌ بمحذوفٍ ينسحبُ عليه الكلام، كأنه قال: إذا جعلتني رجيماً فأمهلني ولا تُمتني.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي: آدمُ وذرِّيتُهُ للجزاء بعد الموت، وهو وقتُ النفخة الثانية، وأراد اللَّعينُ بذلك أن يجدَ فُسْحَةً من إغوائهم، ويأخذَ منهم ثأره، وينجو من الموت؛ لأنه لا يكونُ بعد البعث، وكان أَمْرُ البعث معروفاً بين الملائكة، فَسَمِعَهُ منهم فقال ما قال، ويمكن أن يكونَ قد عَرَفَهُ عقلاً، حيث عَرَفَ ببعض الأمارات أو بطريقٍ آخر من طُرُقِ المعرفة أنَّ أفرادَ هذا الجنس لا تخلو من وقوع ظُلْمٍ بينها، وأنَّ الدار ليست دارَ قرارٍ، بل لا بدَّ من الموت فيها، وأنَّ الحِكْمة تقتضي الجزاء.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ورودُ الجواب بالجملة الاسمية مع التعرُّضِ لشمول ما سأله الآخرين على وجهٍ يُشعرُ بأنَّ السائلَ تَبَعٌ لهم في ذلك، صريحٌ في أنه إخبارٌ بالإنظار المقدَّر لهم أزلاً، لا إنشاءٌ لإنظارٍ خاصٍّ به، قد وقع إجابةً لدعائه، وأنَّ استنظارَهُ كان طَلَباً لتأخير الموت؛ إذ به يتحقَّقُ كونه منهم، لا لتأخير العقوبة كما قيل، فإنَّ ذلك معلومٌ من إضافة اليوم إلى الدين، أي: إنك من جملة الذين أَخَّرْتُ آجالهم أزلاً حسبما تقتضيه حكمةُ التكوين.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ الذي قدَّرتُهُ وعيَّنته لفناء الخلائق، وهو وقتُ النفخة الأولى، لا إلى وقت البعث الذي هو المسؤول، فالفاءُ ليست لربط نفس الإنظار بالاستنظار، بل لربط الإخبار المؤكَّد به، كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧] وقول الشافعي:

فـإن تـرحـم فـأنـت لِـذاك أهـل[1]

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ قَسَمٌ بسلطان الله عزَّ وجلَّ وقهره، وهو كما يكون بالذات يكون بالصفة، فالباء للقَسَم على ما عليه الأكثرون، والفاء لترتيب مضمون الجملة على الإنظار، أي: فأُقسمُ بعزَّتك.

﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي: أفرادَ هذا النوع بتزيين المعاصي لهم.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته، وعَصَمهمْ عن الغواية.

وقرئ: «المخلِصين» على صيغة الفاعل[2]، أي: الذين أَخلصوا قلوبهم أو أعمالهم لله تعالى.

﴿قَالَ﴾ أي: الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ بِرَفْع الأول على أنه مبتدأٌ محذوفُ الخبر، أو خبرٌ محذوف المبتدأ، ونَصْبِ الثاني على أنه مفعولٌ لما بعده قُدِّمَ عليه للقَصْر، أي: لا أقولُ إلا الحقَّ، والفاءُ لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها، أي: فالحقُّ قَسَمِي.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ على أنَّ الحقَّ إما اسمُهُ تعالى، أو نقيضُ الباطل عَظَّمَهُ الله تعالى بإقسامه به، ورُجِّحَ بحديث إعادة الاسم معرفة، أو: فأنا الحقُّ، أو: فقَوْلي الحقُّ، وقوله تعالى: «لأملأن» إلخ حينئذٍ جوابٌ لِقَسَمٍ محذوفٍ، أي: والله لأملأنَّ.. إلخ، وقوله تعالى: «والحق أقول» على كلِّ تقدير اعتراضٌ مقرِّرٌ على

---

(١) وعجزه: وإن تَطْرُدْ فمَن يرحم سواكا، وسلف ١٣/ ٤٧٥.

(٢) التيسير ص١٢٨، والنشر ٢/ ٢٩٥، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ويعقوب.

الوجهين الأولين لمضمون الجملة القَسَمية، وعلى الوجه الثالث لمضمونِ الجملة المتقدِّمة، أعني فقَوْلي الحق.

وقول: «فالحق» مبتدأ خبرُهُ «لأملأنَّ» لأنَّ المعنى: أن أملأ، ليس بشيءٍ أصلاً.

وقرأ الجمهور: «فالحقَّ والحقَّ» بنصبهما(١)، وخُرِّجَ على أنَّ الثاني مفعولٌ مقدَّمٌ كما تقدَّم، والأولُ مُقْسَمٌ به حُذِفَ منه حَرْفُ القَسَم فانتصب، كما في بيت «الكتاب»:

إنَّ عليك اللهَ أن تُبايعا تؤخذَ كرهاً أو تجيءَ طائعا(٢)

وقولك: اللهَ لأفعلنَّ. وجوابه: «لأملأنَّ»، وما بينهما اعتراضٌ.

وقيل: هو منصوبٌ على الإغراء، أي: فالزموا الحقَّ، و«لأملأنَّ» جوابُ قَسَم محذوف.

وقال الفرَّاء: هو على معنى قولك: حقّاً لآتينَّكَ. ووجود «أل» وطرحُها سواءٌ، أي: لأملأنَّ جهنَّمَ حقّاً(٣). فهو عنده نَصْبٌ على أنه مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملة، ولا يخفى أنَّ هذا المصدرَ لا يجوزُ تقديمه عند جمهور النحاة، وأنه مخصوصٌ بالجملة التي جزآها معرفتان جامدان جموداً محضاً.

وقال صاحب «البسيط»: وقد يجوز أن يكون الخبرُ نكرةً، والمبتدأ يكون ضميراً، نحو: هو زيدٌ معروفاً، وهو الحقُّ بيِّناً، وأنا الأميرُ مفتخِراً، ويكون ظاهراً نحو: زيدٌ أبوك عَطُوفاً، وأخوكَ زيدٌ معروفاً. فكأنَّ الفراءَ لا يشترطُ في ذلك ما يشترطون.

وقرأ ابن عباس ومجاهد والأعمش بالرفع فيهما(٤)، وخُرِّجَ رَفْعُ الأول على

---

(١) التيسير ص١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦٢، وقراءة: «فالحقُّ» بالرفع لحمزة وعاصم وخلف.

(٢) البيت في الكتاب ١/ ١٥٦، والمقتضب ٢/ ٦٣، والخزانة ٥/ ٢٠٣، وقال البغدادي: هو من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها.

(٣) معاني القرآن له ٢/ ٤١٣.

(٤) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، والبحر المحيط ٧/ ٤١١.

ما مرَّ، ورَفْعُ الثاني على أنه مبتدأٌ، والجملةُ بعده خبرٌ، والرابطُ محذوفٌ، أي: أقوله، كقراءة ابن عامر: «وكلٌّ وَعَدَ الله الحسنى»[١] وقول أبي النجم:

قد أصبحتْ أمُّ الخيار تدَّعي عليَّ ذنباً كلُّه لم أصْنَعِ[٢]

بِرَفْعِ «كلّ» ليتأتّى السَّلْبُ الكُلِّيُّ المقصودُ للشاعر.

وقرأ الحسنُ وعيسى وعبد الرحمن بن أبي حماد عن أبي بكر بجرِّهما[٣]، وخُرِّجَ على أنَّ الأولَ مجرورٌ بواو القَسَم محذوفةً، أي: فوالحقِّ، والثاني مجرورٌ بالعَطْفِ عليه كما تقول: والله والله لأقومنَّ، و«أقول» اعتراضٌ بين القَسَم وجوابه، وجعله الزمخشريُّ مفعولاً مقدَّماً لـ «أقول» والجرُّ على حكاية لَفْظِ المقسَم به، قال: ومعناه التوكيدُ والتشديدُ[٤]. وإفادته ذلك زيادة على ما يفيده أصلُ الاعتراض؛ لأنَّ العدولَ عمَّا يقتضيه من الإعراب إلى الحكاية لمَّا كان لاستبقاء الصورة الأولى، دلَّ على أنها من العناية في شأنها بمكانٍ، وهذا جارٍ في كلِّ حكايةٍ من دون فِعْلِ قولٍ وما يقوم مقامه، فيدلُّ فيما نحن فيه على فَضْل عنايةٍ بشأن القَسَمِ، ويفيد التشديد والتوكيد.

وقرئ بجرِّ الأول على إضمار حرف القَسَم، ونَصْبِ الثاني على المفعولية[٥].

﴿مِنكَ﴾ أي: من جنسك من الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ في الغواية والضلالة ﴿مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم عليه السلام ﴿أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ توكيدٌ للضمير في «منك» والضميرِ المجرور بـ «من» الثانية، والمعنى: لأملأنَّ جهنَّم من المتبوعين والتابعين أجمعين، لا أتركُ منهم أحداً، أو توكيدٌ للتابعين فحسب، والمعنى: لأملأنَّها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس، لا تفاوُتَ في ذلك بين ناسٍ وناسٍ بعد وجود الأتباع منهم من أولاد الأنبياء وغيرهم، وتأكيدُ التابعين دون المتبوعين لما أنَّ حالَ التابعين إذا بلغ إلى أن اتَّصل إلى أولاد الأنبياء، فما بالُ المتبوعين!

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥. والقراءة في الإملاء ٢/ ٣١٠، والبحر ٣/ ٣٣٣.
(٢) الرجز في ديوان أبي النجم ص ١٣٢، والكتاب ١/ ٨٥، والخزانة ١/ ٣٥٩.
(٣) القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحرر الوجيز ٤/٥١٦، والبحر المحيط ٧/ ٤١١.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٨٤.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٨٤.

وقال صاحب «الكشف»: صاحبُ هذا القول اعتبر القُرْبَ، وأنَّ الكلامَ بين الحقِّ تعالى شأنه وبين الملعون في شأن التابعين، فأكَّد ما هو المقصود، وتَرَكَ توكيدَ الآخر للاكتفاء.

هذا، واعلم أنَّ هذه القصةَ قد ذُكرتْ في عِدَّة سُوَرٍ، وقد تُرِكَ في بعضها بعضُ ما ذُكر في البعض الآخر؛ للإيجاز ثقةً بما ذُكِرَ في ذلك، وقد يكونُ فيها في موضعين مثلاً لفظان متَّحدان مآلاً مختلفان لفظاً؛ رعايةً للتفنُّن، وقد يُحمَلُ الاختلافُ على تعدُّد الصدور، فيقال مثلاً: إنَّ اللَّعينَ أَقْسَمَ مرَّةً بالعِزَّة، فحكى ذلك في سورة «ص» بقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾، وأخرى بإغواء الله تعالى الذي هو أثرٌ من آثار قدرته وعِزَّته عزَّ وجلَّ، وحُكْمٌ من أحكام سلطانه، فحكى ذلك في سورة «الأعراف» بقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الآية:١٦]. وقد يُحمَلُ الاختلافُ على اختلاف المقامات كَتَرْكِ الفاء من قوله: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤] ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ في الأعراف [الآية:١٥] مع ذكرها فيهما في «ص»، والذي يجبُ اعتباره في نقل الكلام إنما هو أصلُ معناه، ونفس مدلوله الذي يفيده، وأما كيفيةُ إفادته له فليس مما يجبُ مراعاته عند النقل ألبتَّة، بل قد تُراعى وقد لا تراعى حَسب اقتضاء المقام. ولا يقدحُ في أصل الكلام تجريدُهُ عنها، بل قد تُراعَى عند نقله كيفياتٌ وخصوصياتٌ لم يُراعِها المتكلِّمُ أصلاً، حيث إنَّ مقامَ الحكاية اقتضتها وهي ملاكُ الأمر، ولا يُخِلُّ ذلك بكَوْن المنقول أصل المعنى كما قد حقَّقه صَدْرُ المفتين أبو السعود، وأطال الكلام فيه، فليراجع[1].

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن، كما روي عن ابن عباس، أو على تبليغ ما يُوحَى إليَّ، أو على الدعاء إلى الله تعالى على ما قيل. ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: أجراً دنيوياً جلَّ أو قلَّ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ من الذين يتصنَّعون ويتحلَّون بما ليسوا من أهله، وما عرفتموني قَطُّ متصنِّعاً ولا مدَّعياً ما ليس عندي حتى أنتحلَ النبوَّةَ وأتقوَّلَ القرآن، فأمره ﷺ أن يقول لهم عن نفسه هذه المقالة ليس لإعلامهم بالمضمونِ، بل

---

(١) ينظر تفسيره ٧/ ٢٣٧-٢٣٨.

للاستشهاد بما عرفوه منه عليه الصلاة والسلام، وللتذكير بما علموه، وفي ذلك ذمُّ التكلُّف.

وأخرج ابن عدي عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة»؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «هم الرحماء بينهم» قال: «ألا أنبئكم بأهل النار؟» قلنا: بلى. قال: «هم الآيسون القانطون الكذّابون المتكلِّفون»[١].

وعلامة المتكلِّف - كما أخرجه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» عن ابن المنذر - ثلاثٌ: أن يُنازل مَنْ فوقَهُ، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم[٢].

وفي الصحيحين[٣] أنَّ ابن مسعود قال: أيها الناس، مَنْ عَلِمَ منكم علماً فليقل به، ومَنْ لم يعلمْ فليقل: الله تعالى أعلم، قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ جليلُ الشأن من الله تعالى. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ للثقلين كافَّة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ أي: ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما، أو خبره الذي يقال فيه في نفس الأمر، وهو أنه الحقُّ والصِّدقُ. ﴿بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ قال ابن عباس وعكرمة وابن زيد: يعني يوم القيامة، وقال قتادة والفراء والزجاج: بعد الموت[٤]، وكان الحسن يقول: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

وفُسِّر نبؤه بالوعد والوعيد الكائنين في الدنيا، والمراد: لتعلمُنَّ ذلك بتحقُّقه إذا أخذتكم سيوفُ المسلمين، وذلك يوم بدر. وأشار إلى هذا السُّدِّيُّ. وأيًّاما كان ففي الآية من التهديد ما لا يخفى.

❁ ❁ ❁

(١) الكامل ٣/ ١٠٤٨، وفي إسناده أبو الجارود زياد بن المنذر، وهو متروك.
(٢) الشعب (٥٠٦٤) وفيه: ينازع. بدل: ينازل. وابن المنذر هو أرطاة بن المنذر الألهاني، أبو عدي الحمصي، توفي سنة (١٦٣هـ). التهذيب ١/ ١٠٢.
(٣) البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨)، وهو عند أحمد (٤١٠٤).
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٣، والزجاج ٤/ ٣٤٢.

هذا، وممَّا قَالَهُ بَعْضُ السَّادة الصُّوفيَّة في بَعْض الآيات، قالوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ إنه ظاهرٌ في أنَّ الجمادَ والحيوان الذي هو عند أهل الحجاب غيرُ ناطقٍ حيٌّ له علم بالله عزَّ وجلَّ، ونقل الشعرانيُّ عن شيخه عليٍّ الخوَّاص قُدِّسَ سِرُّهُ القول بتكليف البهائم من حيث لا يشعرُ المحجوبون، وجُوِّزَ أن يكونَ نذيرُها من ذواتها، وأن يكون خارجاً عنها من جنسها، وقال: ما سُمِّيَتْ بهائمَ إلا لكَوْن أمر كلامها وأحوالها قد أُبهم على غالب الخَلْق، لا لأنَّ الأمرَ مُبْهَمٌ عليها نفسها. وحكى عنه أنه كان يُعامل كلَّ جمادٍ في الوجود معاملةَ الحيِّ، ويقول: إنه يفهمُ الخطابَ، ويتألَّمُ كما يتألَّم الحيوان.

وقيل: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ النفوسَ مجبولةٌ على الظلم وسائر الصفات الذميمة، وإلى أنَّ الذين تزكَّتْ أنفسُهم قليلٌ جدًّا بالنسبة إلى الآخرين.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نقل الشعرانيُّ أنَّ خلافته عليه السلام، وكذا خلافةُ آدم كانت في عالم الصُّور وعالم الأنفس المدبّرة لها، دون العالم النورانيِّ، فإنَّ لكلِّ شخصٍ من أهله مقاماً معلوماً عيَّنه له ربُّهُ سبحانه. وللشيخ الأكبر قُدِّسَ سِرُّهُ كلامٌ طويلٌ في الخلافة، ويُحكى عن بعض الزنادقة أنَّ الخليفةَ لا يُكتَبُ عليه خطيئة، ولا هو داخلٌ في رَبْقة التكليف؛ لأنَّ مرتبته مرتبةٌ مستخلفةٌ. وهو كفرٌ صُراحٌ.

وفرَّق العلماء بين الخليفة والملك. أخرج الثعلبيُّ من طريق العوام بن حَوْشب قال: حدثني رجلٌ من قومي شَهِدَ عمر رضي الله عنه أنه سأل طلحة والزبير وكعباً وسلمان رضي الله عنهم: ما الخليفةُ من الملك؟ فقال طلحة والزبير: ما ندري. فقال سلمان: الخليفةُ الذي يَعْدِلُ في الرعية، ويَقْسِمُ بينهم بالسَّوية، ويُشفق عليهم شفقةَ الرجل على أهله، ويقضي بكتاب الله تعالى. فقال كعب: ما كنتُ أحسبُ أحداً يعرفُ الخليفةَ من الملك غيري[1]. فقوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾

(١) الدر المنثور ٥/٣٠٦، وهو في تفسير الثعلبي ١/ ١٧٧ بزيادة: ولكن الله عز وجل ملأ سلمان حكماً وعلماً وعدلاً.

كالتفسير لهذه الخلافة، وفيه إشارةٌ إلى ذَمِّ الهوى، وفي بعض الآثار: ما عُبد إلهٌ في الأرض أبغضُ على الله تعالى من الهوى، فهو أعظمُ الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فيه إشارةٌ - بناءً على المشهور في القصة - إلى أنَّ كلَّ محبوبٍ سوى الله تعالى إذا حَجَبَكَ عن الله تعالى لحظةً، يلزمكَ أن تُعالجه بسيفِ نفي لا إله إلا الله، وقد سمعتَ استدلال الشبليِّ بذلك على تخريق ثيابه، وما قيل فيه.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ لم يقصد بذلك السؤالِ إلا ما يُوجبُ مزيدَ القرب إليه عزَّ وجلَّ، وليس فيه ما يُخِلُّ بكماله عليه السلام، وإلا لعوتِبَ عليه، وقد تقدم الكلام في ذلك، ومنه يُعلَمُ كَذِبُ ما في «الجواهر والدرر» نقلاً عن الخوَّاص، قال: بلغنا أنَّ النملة التي كلَّمتْ سليمانَ عليه السلام قالت: يا نبيَّ الله، أعطني الأمان وأنا أنصحك بشيءٍ ما أظنُّكَ تعلمه. فأعطاها الأمانَ، فأسرَّتْ إليه في أذنه، وقالت: إني أشَمُّ من قولك: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ رائحةَ الحسد، فتغيَّر سليمانُ واغبرَّ لونُه، ثم قالت له: قد تركتَ الأدبَ مع الله تعالى من وجوه؛ منها عدمُ خروجك من شُحِّ النفس الذي نهاك الله تعالى عنه إلى حَضْرة الكرم الذي أمركَ الله تعالى به، ومنها مبالغتُكَ في السؤال بأن لا يكون ذلك العطاءُ لأحدٍ من عبيد سيِّدك من بعدك، فَحَجَرْتَ على الحقِّ تعالى بأن لا يُعطي أحداً بعد موتك ما أعطاه، كلُّ ذلك لمبالغتك في شِدَّة الحرص، ومنها طلبُكَ أن يكونَ ملكُ سيِّدك لك وَحْدَك، تقول: ﴿وَهَبْ لِي﴾، وغابَ عنك أنك عبدٌ له لا يصحُّ أن تملك معه شيئاً، مع أنَّ فَرَحَكَ بالعطاء لا يكون إلا مع شهود ملكك له، وكفى بذلك جهلاً، ثم قالت له: يا سليمان، وماذا مُلْكك الذي سألته أن يُعطيكه؟ فقال: خاتمي. قالت: أفٍّ لملكٍ يحويه خاتم. انتهى.

ويدلُّ على كَذِبِ ما بلغه وجوهٌ أيضاً لا تخفى على الخَوَاصِّ، والعجبُ من أنها خفيتْ على الخوَّاص.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يشيرُ إلى فَضْل آدم عليه السلام، وأنه أكملُ المظاهر، واليدان عندهم إشارةٌ إلى صِفَتَي اللُّطف والقهر،

وكلُّ الصفات ترجعُ إليهما، ولا شكَّ عندنا في أنه أفضلُ من الملائكة عليهم السلام.

وذكر الشعرانيُّ أنه سألَ الخوَّاصَ عن مسألة التفضيل الذي أشرنا إليه، فقال: الذي ذهب إليه جماعةٌ من الصوفية أنَّ التفاضلَ إنما يصحُّ بين الأجناس المشتركة، كما يقال: أفضلُ الجواهر الياقوت، وأفضلُ الثياب الحُلَّة. وأما إذا اختلفت الأجناسُ فلا تفاضُلَ، فلا يقال: أيُّما أفضلُ الياقوت أم الحُلَّة؟ ثم قال: والذي نذهبُ إليه أنَّ الأرواحَ جميعها لا يصحُّ فيها تفاضُلٌ إلا بطريق الإخبار عن الله تعالى، فمَنْ أخبره الحقُّ تعالى بذلك، فهو الذي حَصَلَ له العلمُ التامُّ، وقد تنوَّعتِ الأرواحُ إلى ثلاثة أنواع: أرواحٌ تُدبِّرُ أجساداً نوريَّةً، وهم الملأ الأعلى. وأرواحٌ تُدبِّرُ أجساداً ناريةً، وهم الجنُّ. وأرواحٌ تُدبِّرُ أجساداً ترابية، وهم البشر. فالأرواح جميعُها ملائكةٌ، حقيقةٌ واحدةٌ، وجنسٌ واحدٌ، فمَنْ فاضَلَ من غير علمٍ إلهيٍّ، فليس عنده تحقيقٌ، فإنَّا لو نظرنا التفاضُلَ من حيثُ النشأةُ مطلقاً، قالَ العقل بتفضيل الملائكة، ولو نظرنا إلى كمال النشأة وجمعيَّتها، حكمنا بتفضيل البشر، ومن أين لنا ركونٌ إلى ترجيح جانبٍ على آخر، مع أنَّ الملك جزءٌ من الإنسان من حيثُ روحُهُ؛ لأنَّ الأرواحَ ملائكةٌ، فالكلُّ من الجزء والجزءُ من الكلّ، ولا يقال: أيُّما أفضلُ جزءُ الإنسان أو كلُّه. فافهم. انتهى.

والكلام في أمر التفضيل طويلٌ، محلُّه كتبُ الكلام، ثم إنَّ حَظَّ العارف من القصص المذكورة في هذه السورة الجليلة لا يخفى إلا على ذوي الأبصار الكليلة. نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لفَهْم كتابه بحُرْمة سيِّد أنبيائه وأحبابه صلى الله عليه وسلم وشَرَّفَ وعظَّم وكرَّم.

(سورة صٓ)

(مكيّة) وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصري وست مدني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾

﴿صٓ﴾ ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز، ثم أتبعه القسم محذوف الجواب دلالة التحدّي عليه كأنه قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ أي ذي الشرف إنه لكلام معجز، ويجوز أن يكون ﴿صٓ﴾ خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال هذه صٓ أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول: هذا حاتم والله، تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله، وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بـ ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ إنه لمعجز. ثم قال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ﴾ تكبر عن الإذعان لذلك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة صٓ) مكيّة وهي ثمان وثمانون آية، ويقال لها سورة داود. ويجوز في صٓ هذه السكون على الحكاية والفتح لمنع الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار أن هذا الاسم علم على السورة والجرّ مع التنوين نظرًا إلى كون السورة قرآنًا. **قوله**: (مكيّة) أشار به إلى رد من قال إنها مدنية.

والاعتراف بالحق ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف لله ولرسوله. والتنكير في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ للدلالة على شِدَّتهما (**وتفاقمهما**. **وقرىء ﴿في غِرّة﴾**) أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وعيد لذوي العزّة والشقاق ﴿مِن قَبْلِهِم﴾ من قبل قومك ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ من أمة ﴿فَنَادَوا﴾ فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب ﴿وَّلَاتَ﴾ هي «لا» المشبهة بـ«ليس» زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على «رب» و«ثم» للتوكيد، وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضييها إما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعًا وهذا مذهب (**الخليل وسيبويه**)، وعند

قوله: (**وتفاقمهما**) في الصحاح تَفَاقَم الأمر أي عَظُم. اهـ. **قوله**: (**وقرىء ﴿في غِرّة﴾**) بكسر الغين المعجمة والراء المهملة في السمين قرأ الكسائي في رواية سورة وحماد بن الزبرقان وأبو جعفر والجحدري بالغين المعجمة والراء. وقد نقل عن حماد الراوية قرأها كذلك تصحيفًا فلما ردّت عليه قال: ما ظننت أن الكافرين في عزّة وهو وَهْمٌ منه لأن العزّة المشار إليها حمية الجاهلية. اهـ.

قوله: (**الخليل**) هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم كان إمامًا في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرًا ثم زاد فيه الأخفش بحرًا واحدًا وسمّاه الخبب. وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب، ويقال: إن أباه أحمد أوّل مَن سُمِيَ بأحمد بعد رسول الله ﷺ وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة وتُوفي سنة سبعين وقيل: خمس وسبعين ومائة. ويُحكى أنه كان ينشد كثيرًا هذا البيت وهو للأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

قوله: (**وسيبويه**) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبَر كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو وأخذ سيبويه النحو عن الخليل بن أحمد المتقدم ذكره وعن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب وغيرهم وأخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره تُوفي سنة ثمانين ومائة وقيل غير ذلك وسيبويه لقب فارسي

(**الأخفش**) أنها «لا» النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصّت بنفي الأحيان. وقوله: ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ (**منجى**) منصوب بها كأنك قلت: ولا حين مناص لهم. وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين. حين مناص أي وليس الحين حين مناص.

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم﴾ من أن جاءهم ﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم يعني استبعدوا أن يكون النبيّ من البشر ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ ولم يقل «وقالوا» إظهارًا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغيّ إذ لا كفر أبلغ من أن يسمّوا مَن صدّقه الله كاذبًا ساحرًا (**ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج، ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج. ورُوِيَ**) أن عمر ﷺ لما أسلم فرح به المؤمنون وشقّ على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون نفسًا (**من صناديدهم**) ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: أنت كبيرنا وقد

معناه بالعربية رائحة التفاح. وقال إبراهيم الحربي: سمي سيبويه لأن وجنتيه كأنهما تفاحتان وكان في غاية الجمال رحمه الله تعالى. **قوله**: (**الأخفش**) الأكبر هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد وكان نحويًا لغويًا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب وأخذ عنه سيبويه وأبو عبيدة ومن في طبقتهما والأخفش الأصغر هو أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل النحوي كان عالمًا، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه المرزباني وأبو الفرج المعافى الجريري وغيرهما وكان ثقة. والأخفش الأوسط هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة وهو صاحب سيبويه وحيث يطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور فإن أريد الأكبر أو الأصغر قيدوه. **قوله**: (**منجى**) بالقصر كمرمى من النجاة أي موضع النجاة والقوت.

قوله: (**ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج، ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج**) في لسان العرب يقال: الحق أبلج والباطل لَجلجٌ أي يُردد من غير أن ينفذ واللجلج المختلط الذي ليس بمستقيم والأبلج المضيء المستقيم اهـ. **قوله**: (**ورُوِي**) رواه أحمد في مسنده. **قوله**: (**من صناديدهم**) أي أشرافهم وعظمائهم

علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ـ يريدون الذين دخلوا في الإسلام ـ وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك. فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء **(فلا تمل كل الميل على قومك)**. فقال ﷺ: ماذا يسألونني؟ فقالوا: **(ارفضنا)** وارفض ذكر آلهتنا **(وندعك وإلـٰهك)** فقال ﷺ: أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب **(وتدين لكم)** بها العجم؟ قالوا: نعم وعشرًا أي نعطيكها وعشر كلمات معها. **(فقال: قولوا لا إلـٰه إلا الله. فقاموا)** وقالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أي **(أصير)** ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ **(أي بليغ في العجب)**. وقيل: العجيب ما له مثل والعجاب ما لا مثل له.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ **(وانطلق أشراف قريش)** عن مجلس أبي طالب بعدما **(بكتهم)** رسول الله ﷺ بالجواء **(العتيد قائلين بعضهم)** لبعض ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟﴾

الواحد صنديد بوزن القِنْدِيل. **قوله**: **(فلا تمل كل الميل على قومك)** أي لا تظلمهم يقال: مال عليه إذا أظله. **قوله**: **(ارفضنا)** أي اتركنا. **قوله**: **(وندعك)** أي نتركك **(وإلـٰهك)** الذي خصصت العبادة به فلا يلزم منه إنكارهم الإلـٰه. **قوله**: **(وتدين لكم)** أي تطيعكم الدين الطاعة ودان له أي أطاعه. **قوله**: **(فقال: قولوا لا إلـٰه إلّا الله)** كونه كلمة واحدة لأن المراد بها المعنى اللغوي وهي ما يتكلم به قليلًا كان أو كثيرًا. **قوله**: **(فقاموا)** عن المجلس. **قوله**: **(أصير)** أي صيرهم إلـٰهًا واحدًا في قوله وزعمه لأن ذلك في العقل محال إذ لا يقدر أحد أن يجعل الجماعة إنسانًا واحدًا مثلًا. **قوله**: **(أي بليغ في العجب)** فإن العجاب بمعنى العجيب وهو الأمر الذي يتعجب منه إلا أن العجاب أبلغ منه والعجاب بالتشديد أبلغ من العجاب بالتخفيف كما أن الكرّام مشددًا أبلغ من المخفف.

قوله: **(وانطلق أشراف قريش)** إشارة إلى أن الملأ الأشراف لا مطلق الجماعة ويقال للأشراف: ملأ لأنهم إذا حضروا مجلسًا امتلأت العيون من وجاهتهم والقلوب من مهابتهم. **قوله**: **(بكتهم)** أي استقبلهم بما يكرهون. والتبكيت إسكات الخصم بالفصاحة وإلزامه بالحجة. **قوله**: **(العتيد)** في الصحاح العتيد الشيء الحاضر المهيأ. **قوله**: **(قائلين بعضهم...)** الخ بيان لحاصل المعنى

و«أن» بمعنىٰ أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا **(ويتفاوضوا)** فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنًا معنىٰ القول ﴿وَٱصۡبِرُواْ﴾ (﴿عَلَىٰٓ﴾ **عبادة** ﴿ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا﴾ **الأمر)** ﴿لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر، أو إن هذا الأمر لشيء **(من نوائب الدهر)** يراد بنا فلا انفكاك لنا منه.

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩﴾

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ بالتوحيد ﴿فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ في ملّة عيسىٰ التي هي آخر الملل لأن النصارىٰ **(مثلثةٌ)** غير موحدة، أو في ملّة قريش التي أدركنا عليها آباءنا ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ ما هذا ﴿إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ **(كذب اختلقه)** محمد **(من تلقاء)** نفسه ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ القرآن ﴿مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدًا ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ من القرآن ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ **(بل لم يذوقوا عذابي بعد)**، فإذا ذاقوه **(زال عنهم ما بهم من الشك والحسد)** حينئذٍ أي أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب فيصدقون حينئذٍ ﴿أَمۡ

على أن إن مفسرة كما سيصرح به لا أن هنا قول مقدر وهو حال لأن المفسرة لا تقع بعد صريح القول بل بعد ما يضمن معناه. **قوله:** **(ويتفاوضوا. . .)** الخ في المصباح تفاوض القوم الحديث أخذوا فيه.اهـ. **قوله:** (﴿عَلَىٰٓ﴾ **عبادة** ﴿ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾) إشارة إلى تقدير مضاف فيه. **قوله:** (﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ **الأمر)** وهو الأمر بكلمة لا إلـٰه إلّا الله. **قوله:** **(من نوائب الدهر)** أي حوادثه.

قوله: **(مثلثة)** أي يجعلون الآلهة ثلاثة وهذا قول بعضهم. **قوله:** **(كذب اختلقه)** أي افتراه من غير سبق مثل له. **قوله:** **(من تِلْقاء)** أي قِبل. **قوله:** **(بل لم يذوقوا عذابي بعد)** نبّه به على أن لما نافية هنا مثل لم ولها معنى غيره ولذا فسّره به ولفظ بعد لإظهار ما في لما من معنى التوقّع.

قوله: **(زال عنهم ما بهم من الشك)** المصرّح به في قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ **(والحسد)** المدلول عليه بقولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾، وفيه إشعار

﴿عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها مَن شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا، ويتخيّروا للنبوّة بعض صناديدهم، ويترفعوا بها عن محمد، وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها، الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته. **(ثم رشح هذا المعنىٰ)** فقال:

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ﴾ حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلـٰهية التي يختص بها رب العزّة والكبرياء. ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال: فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرّف في قسمة الرحمة ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي إلى مَن يختارون. ثم وعد نبيّه عليه السلام النصرة عليهم بقوله: ﴿جُندٌ﴾ مبتدأ ﴿مَّا﴾ **(صلة)** مقوية للنكرة المبتدأة ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى بدر ومصارعهم، أو **(إلى حيث وضعوا فيه)** أنفسهم **(من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم)** من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست ﴿هُنَالِكَ﴾ خبر المبتدأ ﴿مَهْزُومٌ﴾ مكسور ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ متعلّق بـ ﴿جُندٌ﴾ أو بـ ﴿مَهْزُومٌ﴾

بأن بل إضراب عن مجموع الكلامين السابقين. **قوله: (ثم رشح هذا المعنى)** أصل معنى الترشيح التربية والتأهل كما يقال: رشح المتأهل ومنه ترشيح الاستعارة والمراد به هنا التقوية والتأكيد لا المعنى المصطلح أي ربى ما أفاده قوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ نفيًا وإثباتًا بقوله: ﴿أَمْ لَهُم﴾ الآية فإن نفي ملك هذا العالم الجسماني مع أنه بعض خزائنه يربي ويقوّي انتفاء ملك جميع خزائنه عنهم بلا شبهة.

قوله: (صلة) أي مزيدة. **قوله: (إلى حيث)** أي مكان معنوي **(وضعوا فيه)** أي في ذلك المكان. **قوله: (من الانتداب)** أي من الادعاء بيان لقوله حيث وضعوا فيه أنفسهم، والانتداب مطاوع ندب لكذا فانتدب له إذا دعاه فاستجاب. **قوله: (لمثل ذلك القول العظيم)** إشارة إلى ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾.

يريد ما هم إلا جند من الكفار **(المتحزبين)** على رسول الله مهزوم **(عما قريب)**، فلا تبال بما يقولون **(ولا تكترث)** لما به يهذون.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ موسىٰ ﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ قيل: كانت له أوتاد وجبال يلعب بها بين يديه. وقيل: **(يوتد من يعذب بأربعة أوتاد)** في يديه ورجليه ﴿وَثَمُودُ﴾ وهم قوم صالح صالحًا ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطًا ﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ **(الغيضة)** شعيبًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ أراد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم **(هم هم)** وأنهم الذين وجد منهم التكذيب ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ ذكر تكذيبهم أولًا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام حيث لم يبيّن المكذب، ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبيّن المكذَّب وهم الرسل، وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأن في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم. وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولًا وبالاستثنائية ثانيًا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد، أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه، ثم قال: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم. ﴿عذابي﴾ و﴿عقابي﴾ في الحالين: **(يعقوب)**.

قوله: **(المتحزبين)** أي الصايرين أحزابًا. **قوله**: **(عما قريب)** ما فيه زائدة وعن بمعنى بعد أي بعد زمن قريب. **قوله**: **(ولا تكترث)** من الاكتراث بمعنى المبالاة أي ولا تبال.

قوله: **(يوتد من يعذب بأربعة أوتاد)** أي يدقها للمعذب ويشده بها مسطوحًا على الأرض ثم يعذبه بما يريد من ضرب وإحراق وغيرهما. اهـ شهاب. **قوله**: **(الغيضة)** هي الشجر. **قوله**: **(هم هم)** يعني أن أولئك مبتدأ والأحزاب خبره والمعنى أن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هؤلاء الذين أخبر عنهم بأنه وجد منهم التكذيب بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ إلى الآخر. **قوله**: **(يعقوب)** بن إسحٰق الحضرمي وليس من السبعة.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ (وما ينتظر) أهل مكة، ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي النفخة الأولى وهي الفزع الأكبر ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ (وبالضم: حمزة وعلي)، أي ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب أي إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان. وعن ابن عباس ﵄: ما لها من رجوع و(ترداد)، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدرّ إلى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ حظنا من الجنّة لأنه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنّة فقالوا على سبيل الهزء: عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ [الحج: الآية ٤٧]. وأصل القط (القسط) من الشيء لأنه قطعة منه من قطهُ إذا قطعه، (ويقال: لصحيفة الجائزة) قط لأنها قطعة من القرطاس ﴿قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيك وصن نفسك أن تزلّ فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ وكرامته على الله كيف زلّ تلك الزلّة اليسيرة فلقي من عتاب الله ما لقي ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ ذا (القوة في الدين) وما يدلّ على أن الأيد القوة في

قوله: (وما ينتظر) إشارة إلى أن النظر هنا بمعنى الانتظار لا بمعنى الرؤية. **قوله**: (وبالضم) أي بضم الفاء (حمزة وعليّ) الكسائي والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى واحد. **قوله**: (ترداد) بفتح التاء بمعنى الرد والصرف أو بمعنى التكرار من قولهم: رد الفعل إذا كرره ومنه التردد على الناس.

قوله: (القسط) النصيب. **قوله**: (ويقال: لصحيفة الجائزة) أي العطية وصحيفتها ما يكتبه الكبير لبعض عماله أو أتباعه لأن ينفذه للسائل ونحوه. **قوله**: (القوة في الدين) لا في البدن.

الدين قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي رجاع إلى مرضاة الله تعالى، وهو تعليل لذي الأيد. رُوِيَ أنه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا﴾ ذللنا ﴿ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ قيل: كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ في معنى مسبحات على الحال. واختار ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ على «مسبحات» ليدلّ على حدوث التسبيح من الجبال شيئًا بعد شيء وحالًا بعد حال ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ أي في طرفي النهار، والعشي وقت العصر إلى الليل، والإشراق وقت الإشراق **(وهو)** حين تشرق الشمس أي تُضيء **(وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها)** تقول: شرقت الشمس ولمّا تُشرِق. **(وعن ابن عباس** ﵄ **: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية)**.

قوله: (وهو) أي وقت الإشراق **(وهو وقت الضحى)** أي الضحوة الصغرى **(وأما شروقها)** أي من الثلاثي **(فطلوعها)** تقول شرقت الشمس أي طلعت ولما تشرق أي لم تشرق من الإشراق أي لم تضيء ولم ترتفع ارتفاعًا تامًّا. **قوله: (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية)** إشارة إلى إنكار ثبوت صلاة النبيّ ﷺ لها وهو ما ذهب إليه بعض الصحابة وأقلها ركعتان وأكثرها اثني عشر وأوسطها في الفضيلة ثمانية. ووجّه فهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لها من الآية بناء على ما رُوِيَ عنه كما مرّ في سورة الصافات أن كل تسبيح ورد في القرآن فهو بمعنى الصلاة يعني ما لم يرد به التعجب والتنزيه كما رواه الطبري فحيث كانت صلاة لداود على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام قصّت على طريق المدح علم منه مشروعيتها لأن شرع من قبلنا شرع لنا إذا قصه الله تعالى ورسوله من غير نكير وهذا هو المراد بلا تكلّف وهذا بناء على أن معه متعلق بـ ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ حتى يكون هو مسبحًا أي مصليًا وإلا فتسبيح الجبال لا دلالة له على الصلاة. اهـ شهاب. وفي تفسير الخازن روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ قال: كنت أمرّ بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدّثتني أم هانيء بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلّى الضحى فقال: يا أم هانيء إن هذه صلاة الإشراق. اهـ. وكذا في تفسير

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ١٩﴾

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ وسخّرنا الطير مجموعة من كل ناحية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها ﴿كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أي لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح لتسبيحه. ووضع الأواب موضع المسبح لأن الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه. وقيل: الضمير لله أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح **(مرجّع للتسبيح)**.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ٢٠﴾

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قويناه. قيل: كان يبيت **(حول محرابه)** ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه. ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ الزبور وعلم الشرائع. وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل. والفصل هو التمييز بين الشيئين. وقيل: للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير، وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه مَن يخاطب به لا يلتبس عليه، وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور. والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل، وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات.

الخطيب، وأيضًا فيه وروى طاوس عن ابن عباس قال: هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن، قالوا: لا فقرأ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ١٨﴾ .اهـ فافهم. وفي الدرّ المختار وَندب أربع فصاعدًا في الضحى على الصحيح من بعد الطلوع إلى الزوال ووقتها المختار بعد ربع النهار. وفي المنية أقلّها ركعتان وأكثرها اثنا عشر وأوسطها ثمان وهو أفضلها كما في الذخائر الأشرفية لثبوته بفعله وقوله عليه السلام: وأما أكثرها فبقوله فقط .اهـ.

قوله: **(مرجع للتسبيح)** مكثر له لأن المرجع للشيء رجاع إليه يفعله مرة بعد أخرى ويرجع إلى فعله رجوعًا بعد رجوع.

قوله: **(حول محرابه)** المراد بالمحراب الغرفة.

وعن علي ﷺ : هو الحكم بالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه، وهو من الفصل بين الحق والباطل. **(وعن الشعبي: هو)** قوله: «أما بعد» وهو أول مَن قال: «أما بعد»، فإن مَن تكلم في الأمر الذي له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله: «أما بعد».

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة. والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل تقول خصمه خصمًا. وانتصاب ﴿إِذْ﴾ بمحذوف تقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم **(لما فيه من معنىٰ الفعل)** ﴿تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ تصعدوا سوره ونزلوا إليه، والسور الحائط المرتفع، والمحراب **(الغرفة)** أو المسجد أو صدر المسجد.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِذْ﴾ **(بدل من إذ الأولى)** ﴿دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ رُوِيَ أن الله تعالىٰ بعث إليه ملكين في صورة إنسانين، فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما **(الحرس)** فتسوّروا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان، ففزع منهم لأنهم دخلوا عليه المحراب في غير يوم القضاء، ولأنهم نزلوا عليه من

قوله: (وعن الشعبي: هو) عمر بن عامر بن شراحيل وهو كوفيّ تابعي جليل القدر وافر العلم.

قوله: (لما فيه من معنى الفعل) لكونه في الأصل مصدرًا كما صرّح به آنفًا.
قوله: (الغرفة) وهي البيت العالي.

قوله: (بدل من إذ الأولى) بدل الاشتمال. **قوله: (الحرس)** جمع حارس في المصباح حرسه يحرسه من باب قتل حفظه والاسم الحراسة فهو حارس والجمع حرس وحراس مثل خادم وخدم وخدّام.اهـ.

فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون مَن يدخل عليه ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ تعدى وظلم ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ **(ولا تجر)** من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ وأرشدنا إلى وسط الطريق **(ومحجته)** والمراد عين الحق ومحضه.

رُوِيَ أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضًا **(أن ينزل له عن امرأته)** فيتزوجها إذا أعجبته، وكان لهم عادة **(في المواساة)** بذلك **(وكان الأنصار)** يواسون المهاجرين بمثل ذلك، فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة **(أوريا)** فأحبها فسأله النزول عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أُم سليمان. فقيل له: إنك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلًا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به. وقيل: **(خطبها)** أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلّته أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه. وما يُحكىٰ أنه بعث مرة بعد مرة أوريا **(إلى غزوة البلقاء)** وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح **(من أفناء المسلمين)** فضلًا عن بعض

قوله: **(ولا تجر)** من الجور أي دم على عدم الجور في الحكومة. **قوله**: **(ومحجته)** في المصباح المحجة بفتح الميم جادّة الطريق. اهـ. **قوله**: **(أن ينزل له عن امرأته)** أي يطلقها. **قوله**: **(في المواساة)** من قولهم واساه إذا ساعده. **قوله**: **(وكان الأنصار...)** الخ أي وقد كان ذلك في صدر الإسلام بعد الهجرة فكان الرجل من الأنصار إذا كانت له زوجتان نزل عن أحديهما أي طلق أحديهما لمن اتخذه أخًا له من المهاجرين. **قوله**: **(أوريا)** بهمزة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة وياء تحتية بعدها ألف اسم رجل من مؤمني قومه. **قوله**: **(خطبها)** في المصباح خطب المرأة إلى القوم إذا طلب أن يتزوج منهم واختطبها والاسم الخطبة بالكسر. اهـ. **قوله**: **(إلى غزوة البلقاء)** في لسان العرب البَلْقاء أرض بالشام وقيل: مدينة. اهـ. وفي حاشية الكشّاف للعلّامة سعد الدين رحمه الله هي مدينة بالشام وقيل: إنه بلد الزعفران. اهـ. **قوله**: **(من أفناء المسلمين)** الأفناء الجماعات.

أعلام الأنبياء. (وقال عليّ رضي الله تعالىٰ عنه: مَن حدّثكم) بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء.

ورُوِيَ أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك، وإن كانت على ما ذكرت وكفّ الله عنها سترًا على نبيّه فما ينبغي إظهارها عليه. فقال عمر: لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس والذي يدلّ عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب، وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنًا من قلبه وأعظم أثرًا فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ هو بدل من ﴿هَٰذَآ﴾ أو خبر لـ ﴿إِنَّ﴾، والمراد أخوة الدين أو إخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ ﴿لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ (﴿وَلِىَ﴾ حفص. **والنعجة كناية عن المرأة**).

قوله: (وقال عليّ رضي الله تعالى عنه: مَن حدّثكم... الخ) كون حد القذف مائة وستين اجتهاد من عليّ رضي الله تعالى عنه على تقدير صحة تلك الرواية. قال الزين العراقي: لم يصح عنه وجهه على فرض صحته أنه ضوعف فيه حد القذف كما ضوعف حد الأحرار على حد العبد لأن الأنبياء عليهم السلام سادات السادات. كذا قيل: وهذا قول جيد إذا ورد في الشرع ولا اعتبار للاجتهاد فيما ورد النص فيه ولعل وجهه أن هذا ليس حد القذف في الحقيقة لأن حد القذف حق العبد وحده إنما يلزم بطلب المقذوف ولا مساغ للطلب هنا فهو تأديب لإساءة أدبه فهو مفوّض إلى الإمام أو ذلك سياسة وهو الأظهر إذ في الأول نظر. اهـ قنوي.

قوله: (﴿وَلِىَ﴾ حفص) أي قرأ حفص بفتح الياء والباقون بالسكون. **قوله: (والنعجة كناية عن المرأة)** النعجة هي الأنثى من الضأن ولكن كثر في كلامهم

ولما كان هذا تصويرًا للمسألة وفرضًا لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة في أنفسهم **(كما تقول لي: أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها)** ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ **(ملكنيها)** وحقيقته **(اجعلني أكفلها)** كما أكفل ما تحت يدي. وعن ابن عباس ﷺ: اجعلها كفلي أي نصيبي ﴿وَعَزَّنِي﴾ وغلبني يقال عزّه يعزّه ﴿فِي ٱلْخِطَابِ﴾ في الخصومة أي أنه كان أقدر على الاحتجاج مني. وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل، أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني

الكناية بها عن المرأة. **قوله:** (كما تقول لي: **أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها)** أي لا قليل ولا كثير. وعبارة الكشاف (فإن قلت): الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت): هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوّروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي كما تقول في تصوير السائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير إليهما فخلطاها وحال عليهما الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد (محركتان أي لا قليل ولا كثير) وتقول أيضًا في تصويرها لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها انتهت بزيادة يسيرة. وفي تفسير الخطيب قال الحسن بن الفضل: هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن ثم نعاج ولا بغي فهو كقولهم: ضرب زيد عمرًا أو اشترى أبو بكر دارًا ولا ضرب هناك ولا شراء. انتهى بحروفه. فائدة: نصاب الغنم ضأنًا أو معزًا أربعون وفيها شاة تعم الذكور والإناث وفي مائة وإحدى وعشرين شاتان وما بينهما عفو فما زاد على أربعين شاة مثلًا إلى المائة والعشرين لا شيء فيه إذا اتحد المالك فلو مشتركة بين ثلاثة أثلاثًا فعلى كل شاة قال في البحر ولو كانت لرجل فليس للساعي أن يفرّقها ويجعلها أربعين أربعين فيأخذ ثلاث شياه لأنه باتحاد المالك صار الكل نصابًا ولو كان بين رجلين أربعون شاة لا تجب على واحد منهما الزكاة وليس للساعي أن يجمعها ويجعلها نصابًا ويأخذ الزكاة منها لأن ملك كل واحد منهما قاصر عن النصاب .اهـ.

قوله: **(ملكنيها)** بالبيع أو الهبة المراد ملك العين هنا وملك المتعة في التعريض وهذا معنى مجازي. **قوله:** **(اجعلني أكفلها)** أي أعولها وأنفق عليها والمعنى طلقها لأتزوجها.

خطابًا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني. ووجه التمثيل أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون، فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجّه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده، وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله:

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ حتى يكون محجوجًا بحكمه. وهذا جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول **(وقد ضمن معنىٰ الإضافة فعُدّي تعديتها)** كأنه قيل: بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال **(والطلب)**. وإنما ظلّم الآخر بعدما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم.

ويُروَى أنه قال: أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود: إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة. فقال: يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت. ثم نظر داود فلم يرَ أحدًا فعرف ما وقع فيه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشركاء والأصحاب ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (﴿مَا﴾ **للإبهام**) و﴿هُمْ﴾ مبتدأ و﴿وَقَلِيلٌ﴾ خبره ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ أي علم وأيقن وإنما استعير له لأن الظن الغالب يداني العلم ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ابتليناه ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لزلّته ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي سقط على وجهه

قوله: **(وقد ضمن معنى الإضافة فعُدي تعديتها)** عبارة البيضاوي وتعديته إلى مفعول آخر بإلى لتضمينه معنى الإضافة.اهـ. وفي حاشية البيضاوي للعلّامة الشهاب قوله: وتعديته إلى مفعول... الخ وهو لا يتعدى فتضم ما يتعدى بها كالضم أو الإضافة.اهـ. **قوله**: **(والطلب)** فيه إشارة إلى أن السؤال سؤال الإعطاء لا سؤال الاستعلام. **قوله**: و(﴿مَا﴾) مزيدة **(للإبهام)**.

ساجدًا لله، **(وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة إذا نوى)** لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعًا عند هذه التلاوة والركوع في الصلاة يعمل هذا

قوله: (وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة إذا نوى...) الخ في التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية أطلق راكعًا على معنى ساجدًا فيكون فيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود إذا نوى لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعًا عند هذه التلاوة والركوع في الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة فهو مستشهد أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه في هذا الباب. صرّح به صاحب الكشّاف والمدارك. وقال الغوري: فيه نظر لأنه إذا قرأ ثلاث آيات أو أكثر بعد آية السجدة لا يقوم الركوع مقام السجدة بالاتفاق والعبارة هٰهنا مطلقة ولأن النص محمول على غير حال الصلاة على ما عرف من القصة فكيف يجوز في الصلاة دون غيره وقد ذكر الإمام فخر الإسلام البزدوي وغيره هذه المسألة في بيان معارضة القياس والاستحسان حيث قال: الاستحسان يقدم على القياس في كثير من المواضع وأما القياس إنما يقدم على الاستحسان إذا ظهر فساده واستوت صحته وأثره كما في قيام الركوع مقام السجود فإن النص ورد به وهو قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ [صٓ: الآية ٢٤] ففي الاستحسان لا يجوز لأن الشرع أمر بالسجود والركوع خلافه فلا يجوز كما في سجود الصلاة وهذا أثر ظاهر والقياس مجاز لكنه أولى بأثره الباطن، وذلك لأن السجود لم يجب عند التلاوة قربة مقصودة بل الغرض مجرد ما يصلح تواضعًا عند التلاوة والركوع في الصلاة يعمل هذا العمل بخلافه في غير الصلاة وبخلاف سجود الصلاة فإنه مقصود بنفسه، وفيه نهاية التعظيم ولا يتأدّى بالركوع لأنه أولى منه في إظهار الخضوع هذا ما قالوا انتهت بحروفها. وفي مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (وتؤدى بركوع أو سجود) كائنتين في (الصلاة غير ركوع الصلاة) وغير (سجودها) والسجود أفضل لأنه تحصيل قربتين صورة الواجب ومعناه، وبالركوع المعنى وهو الخضوع (ويجزىء عنها) أي عن سجدة التلاوة (ركوع الصلاة إن نواها) أي نوى أداءها فيه رأي عند الركوع وإن نوى في الركوع ففيه قولان وإن نوى بعد الرفع منه لا يجوز بالإجماع، نص عليه (أي على اشتراط النيّة) محمد لأن معنى التعظيم فيهما واحد ويجزي عنها أيضًا (سجودها) أي سجود الصلاة (وإن لم ينوها) أي التلاوية (إذا لم ينقطع

العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة ﴿وَأَنَابَ﴾ ورجع إلى الله بالتوبة. وقيل: إنه بقي ساجدًا أربعين يومًا وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه، ولا **(أن يرقأ)** دمعه حتى نبت **(العشب)** من دمعه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي زلّته ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لقربة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ مرجع وهو الجنة.

فور التلاوة) وانقطاعه بأن يقرأ **(أكثر من آيتين)** بعد آية سجدة التلاوة بالإجماع. وقال شمس الأئمة الحلواني لا ينقطع الفور ما لم يقرأ أكثر من ثلاث آيات. وقال الكمال: إن قول شمس الأئمة هو الرواية. اهـ باختصار وبزيادة يسيرة. وفي حاشية للعلّامة الطحطاوي قوله في الصلاة: هذا القيد بالنسبة إلى الركوع فقط فلا يجزي عنها ركوع في خارجها لأن الأثر إنما ورد فيما إذا ركع فيها فقط فيقصر على مورد الأثر لكن في البحر واختار قاضي خان أن الركوع خارج الصلاة ينوب عنها وفي النهر عن البزازية وهو ظاهر المروي. اهـ فيحمل على اختلاف الرواية انتهت بحروفها. وفي الدرّ المختار وكذا خارجها ينوب عنها الركوع في ظاهر المرويّ بزازية. اهـ.

وفي ردّ المحتار قوله: وكذا في خارجها... الخ هذا ضعيف لما قدمناه عن البدائع من أنه لا يجزي لا قياسًا ولا استحسانًا وما عزاه إلى البزازية تبع فيه صاحب النهر وهو خلل في النقل لأن الذي رأيته في نسختين من البزازية هكذا وروي في غير الظاهر أن الركوع ينوب عنها خارج الصلاة أيضًا. اهـ. فسقط من كلامه لفظ غير وما في البحر من أن قاضي خان اختار أنه ينوب عنها ففيه أن عبارة الخانية هكذا روى أنه يجوز ذلك ولا يخفى أنه مشعر بتضعيفه لا باختياره فتنبه لذلك. اهـ. يقول كاتب الحروف أصلح الله شأنه أن الذي رأيته في نسخة البزازية التي عندي مثل ما رآه صاحب رد المحتار في نسختين منها، وعبارة نسخة الخانية التي عندي هكذا رجل قرأ آية السجدة في غير الصلاة فأراد أن يركع للسجدة في رواية يجوز ذلك. اهـ فافهم.

قوله: **(أن يرقأ)** في المصباح رقأ الدم والدمع رقأ مهموز من باب نفع ورقوء على فعول انقطع بعد جريانه والرقوء مثال رسول اسم منه. اهـ. **قوله**: **(والعُشْبُ)** الكَلأُ الرَّطْب.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي استخلفناك على الملك في الأرض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق، وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ **(أي بحكم الله)** إذ كنت خليفته أو بالعدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي هوى النفس في قضائك ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهوى ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ أي بنسيانهم يوم الحساب.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق ﴿بَٰطِلًا﴾ **(خلقًا باطلًا)** لا لحكمة بالغة، أو مبطلين عابثين كقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٦] وتقديره ذوي باطل، أو عبثًا فوضع ﴿بَٰطِلًا﴾ موضعه أي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين، وهو أنا خلقنا نفوسًا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاءً على حسب أعمالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى خلقها باطلًا ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **(الظن)** بمعنى المظنون أي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا، وإنما جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنه خلق السمٰوات والأرض وما بينهما لقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: الآية ٢٥] لأنه لما

قوله: **(أي بحكم الله)** يعني أن الحق اسم الله تعالى وأن فيه تقدير المضاف أي بحكم الحق أي الله.

قوله: **(خلقًا باطلًا)** إشارة إلى أن باطلًا صفة مصدر محذوف. **قوله**: **(الظن)** بمعنى المظنون ليصح الحمل ولو أريد المبالغة لا يحتاج إلى ذلك التأويل.

كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديًا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه، لأن الجزاء هو الذي سبقت إليه الحكمة في خلق العالم، فمن جحده فقد جحد الحكمة في خلق العالم ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ («أم» **منقطعة**)، ومعنى الاستفهام فيها الإنكار، والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال مَن أصلح وأفسد واتقى وفجر، ومَن سوّى بينهم كان سفيهًا ولم يكن حكيمًا.

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿كِتَابٌ﴾ أي هذا كتاب ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن ﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة أخرى ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (**وأصله ليتدبروا**) قرىء به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به. وعن الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، حفظوا حروفه وضيعوا حدوده (﴿**لتدبّروا**﴾ **على الخطاب بحذف إحدى التاءين: يزيد**) ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وليتعظ بالقرآن أولو العقول.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أي سليمان. وقيل: داود، وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وعلّل كونه ممدوحًا بكونه أوّابًا أي كثير الرجوع إلى الله تعالى ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ بعد الظهر

قوله: (أم منقطعة) مقدرة ببل والهمزة وبل للإضراب الانتقالي والمعنى بل أنجعل.

قوله: (وأصله ليتدبروا) فأدغمت التاء في الدال. **قوله**: (﴿لتدبّرو﴾ **على الخطاب بحذف إحدى التاءين**: **يزيد**) أي قرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة بالتاء من فوق وتخفيف الدال على حذف إحدى التاءين على الخلاف فيها أهي تاء المضارعة أم التالية لها والأصل لتتدبروا والباقون بياء الغيب وتشديد الدال.

﴿ٱلصَّـٰفِنَٰتُ﴾ الخيول **(القائمة)** على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى **(على طرف حافر)** ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ السراع **(جمع جواد)** لأنه يجود **(بالركض)**، وصفها بالصفون لأنه لا يكون **(في الهجان)** وإنما **(في العراب)**. وقيل: وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية، يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كنت سراعًا خفافًا في جريها. وقيل: الجياد الطوال الأعناق من الجيد. ورُوِيَ أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ غزا أهل دمشق و**(نصيبين فأصاب ألف فرس)**. وقيل: **(ورثها من أبيه)** وأصابه أبوه

قوله: (القائمة) أي الواقفة. **قوله: (على طرف حافر)** أي من رجل أو يد. **قوله: (جمع جواد)** في لسان العرب فرس جواد بيّن الجُودة والأنثى جواد أيضًا. اهـ. وأيضًا فيه والجمع جِيَاد وكان قياسه أن يقال: جَواد فتصبح الواو في الجمع لتحركها في الواحد الذي هو جَواد كحركتها في طويل ولم يسمع مع هذا عنهم جِوَاد في التكسير البتة فأجروا واو جَوَاد لوقوعها قبل الألف مجرى الساكن الذي هو واو ثوب وسوط فقالوا: جِيَادٌ كما قالوا: حِيَاض وسياط ولم يقولوا جِوَادٌ كما قالوا: قِوَامٌ وطِوَالٌ. اهـ. في المصباح جاد الفرس جودة بالضم والفتح فهو جواد وجمعه جياد. اهـ. **قوله: (بالركض)** في المصباح ركض الرجل ركضًا من باب قتل ضرب برجله ويتعدى إلى مفعول فيقال: ركضت الفرس إذا ضربته ليعدو ثم كثر حتى أسند الفعل إلى الفرس واستعمل لازمًا فقيل: ركض الفرس قال أبو زيد: يستعمل لازمًا ومتعديًا فيقال: ركض الفرس وركضته ومنهم مَن منع استعماله لازمًا ولا وجه للمنع بعد نقل العدل. اهـ. **قوله: (في الهجان)** في المصباح الهجين من الخيل الذي ولدته بَرْذَوْنة من حصان عربي. اهـ. وقوله: برزونة في لسان العرب البرازين من الخيل ما كان من غير نِتاج العِراب. اهـ. وقوله: حصان في المصباح الحصان بالكسر الفرس العتيق. اهـ. **قوله: (في العراب)** في المصباح خيل عِراب خلاف البراذين الواحد عربيّ. اهـ. **قوله: (نَصِيبِيْن)** اسم بلد. **قوله: (فأصاب ألف فرس)** لبيت المال فلا إشكال بأن الغنائم لم تحل لغير نبيّنا عليه السلام إذ الحيوان لا يحرق فيكون لبيت المال. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله: (ورثها من أبيه)** على أنها معدّة لمصالح المسلمين لا على أنها ملكًا له حتى ينافي أن الأنبياء لا يورثون ولظهور المراد عبر بالإرث مسامحة فالمراد بالإرث حيازة

(**من العمالقة**) . وقيل: خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يومًا بعدما صلّى الظهر على كرسيه (**واستعرضها**) فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس (**وغفل عن العصر**) وكانت فرضًا عليه، فاغتمّ لما فاته فاستردها (**وعقرها تقرّبًا لله**) فبقي مائة، فما في أيدي الناس من الجياد، فمن نسلها. وقيل: لما عقرها أبدله الله خيرًا منها وهي الريح تجري بأمره.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ أي آثرت حب الخيل عن ذكر ربي كذا عن الزجاج. فأحببت بمعنىٰ آثرت كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ﴾ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصّلت: الآية ١٧] و«عن» بمعنىٰ «على»، وسمىٰ (**الخيل**) خيرًا كأنها نفس

التصرّف لا الملك وجه كون الأنبياء لا يورثون إما لبقائه على ملكهم أو لمصيره صدقة أو لعوده لبيت المال أو لكونه وقفًا على ورثته على ما فصله المحدثون والفقهاء لكن المختار كونه لبيت المال على ما أشرنا إليه. واختلف فقيل: إنه مخصوص بنبيّنا ﷺ وقيل: عام لقوله ﷺ: إنا معاشر الأنبياء لا نورث وهذا هو المختار. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله** : (من **العَمالِقَة**) الجَبَابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عاد. **قوله** : (**واستعرضها**) أي طلب سليمان العرض. **قوله** : (**وغفل عن العصر**) أي عن صلاة العصر. **قوله** : (**وعقرها تقرّبًا لله**) العقر لا يقتضي الملك فلا ينافي ما سبق بل يقتضي مالكية التصرّف. قوله: مقرّبًا لله على أنه مشروع في شريعته يعني لا غضبًا فلا يكون إسرافًا مذمومًا كيف لا وقد رُوِيَ أن الله تعالى أبدله خيرًا منها وهي الريح كما في الكشاف. اهـ قنوي. وقوله: وعقرها في المصباح عقره عقرًا من باب ضرب جرحه وعقر البعير بالسيف عقرًا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر في غير القوائم ورُبما قيل: عقره إذا نحره فهو عقير وجمال عقري. اهـ.

قوله : (﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ﴾) أي آثروا أي اختاروا الكفر. **قوله** : (**الخيل**. . .) الخ حديث صحيح وفي البخاري ومسلم الخير معقود[1] في نواصي

---

(١) المراد بالخير هنا الأجر والغنيمة.

الخير لتعلق الخير بها كما قال ﷺ «الخيل معقود بنواصيها الخير **(إلى يوم القيامة)**» وقال **(أبو علي)** : أحببت بمعنىٰ جلست من إحباب البعير وهو بروكه. حب الخير أي المال مفعول له مضاف إلى المفعول ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ الشمس ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ والذي دلّ على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير من جري ذكر أو دليل ذكر، أو الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي قال للملائكة: ردّوا الشمس علي لأصلّي العصر فردّت الشمس له وصلّى العصر، أو ردّوا الصافنات ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾

الخيل روياه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وفيهما أيضًا البركة في نواصي الخيل أي كثرة الخيل في ذواتها والناصية الرأس ويكنّى بها عن الذات وهو المراد هنا إنما جعل البركة في الخيل لأن بها يحصل الجهاد الذي فيها خير الدنيا والآخرة. وأما الحديث الآخر وهو الشؤم يكون للفرس فمحمول على ما لم يكن معدًّا للغزو بل الكبر والافتخار ومعدًا للنهب والإغارة بالتعدي والإضرار. **قوله** : **(إلى يوم القيامة)** فيه إشارة إلى أن الجهاد باقٍ إلى يوم القيامة.

قوله : **(أبو علي)** الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحويّ كان إمام وقته في علم النحو. ومن تصانيفه كتاب التذكرة وهو كبير وكتاب المقصور والممدود وكتاب الحجة في القراءات وكتاب الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني وكتاب العوامل المائة وكتاب المسائل الحلبيات وكتاب المسائل البغداديات وكتاب المسائل الشيرازيات وكتاب المسائل القصريات وكتاب المسائل العسكرية وكتاب المسائل البصرية وكتاب المسائل المجلسيّات وغير ذلك، وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله ويعدّد وكان متهمًا بالاعتزال وكان مولده في سنة ثمان وثمانين ومائتين وتُوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وقيل: ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة رحمه الله تعالى ببغداد. اهـ ابن خلكان باختصار.

(فجعل يمسح مسحًا) أي يمسح السيف بسوقها وهي جمع ساق كدار ودور وأعناقها، يعني يقطعها لأنها منعته عن الصلاة. تقول: **(مسح عُلاوته)** إذا ضرب عنقه، ومسح **(المسفر)** الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه. وقيل: إنما فعل ذلك كفارة لها أو شكرًا لرد الشمس، وكانت الخيل مأكولة في شريعته فلم يكن إتلافًا. وقيل: مسحها بيده استحسانًا لها وإعجابًا بها.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ابتليناه. ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ سرير ملكه ﴿جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع إلى الله. قيل: فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة، وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين: إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله **(أو نخبله)**، فعلم ذلك سليمان عليه السلام **(فكان يغذوه في السحابة)** خوفًا من مضرة الشياطين، فألقىٰ ولده ميتًا على كرسيه فتنبّه على زلّته في

قوله: (فجعل) أي شرع. **قوله: (يمسح مسحًا...)** الخ أشار إلى أن مسحًا مفعول مطلق ليمسح ومفعول به محذوف وهو السيف أو يمسح محذوف مع مفعوله وجملة يمسح خبر ﴿فَطَفِقَ﴾. **قوله: (مسح علاوته)** العِلاوة بالكسر رأس الإنسان ما دام في عنقه يقال: ضرب علاوته أي قطع رأسه. **قوله: (المُسَفِّر)** المجلد.

قوله: (أو نُخَبِّله) في مختار الصحاح الخبل بسكون الباء الفساد وبفتح الباء الجِنّ يقال: به خبل أي شيء من أهل الأرض وقد خبله من باب ضرب وخَبَّله تخبيلًا واختبله إذا أفسد عقله أو عضوه. اهـ. **قوله: (فكان يغذوه في السحابة)** فأمر السحاب حتى حملته وغذا ابنه في السحاب أي رباه فيه يقال: غذوته أغذوه أي ربيته أي فوضعه في سحاب وجعل من ظئره ومرضعه فيه بحيث لم يروه حين وضعه وهم لا يعلمون الغيب فلا وجه لما قيل ما فائدة وضعه فيه والشياطين يقدرون على الصعود للسحاب. وفيه دليل على أن التمسك بالسبب والتحصن لا ينافي التوكل لكن الأولى للمقربين التفويض إلى الله تعالى. ولذا قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. وقال عليه الصلاة والسلام: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل فللأنبياء خواص وشؤون فتأمل فلا إشكال بأنه عليه

أن **(لم يتوكل)** فيه على ربّه. ورُوِيَ عن النبيّ ﷺ «قال سليمان: **(لأطوفن الليلة)** على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن **(فلم تحمل)** إلا امرأة واحدة **(جاءت بشق رجل)** فجيء به على كرسيه فوضع في حجره، **(والذي)** نفس محمد **(بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعين» وأما ما يُروىٰ من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان** عليه السلام **فمن أباطيل اليهود)**.

الصلاة والسلام قال: «اعقلها وتوكّل» فلا ينافي التوكّل مباشرة الأسباب ما لم يعتقد التأثير فيها. **قوله: (لم يتوكل)** أي توكل الخواص اللائق به وهو عدم مباشرة الأسباب إذ ما فعله لا ينافي التوكل كما في «اعقلها وتوكّل». **قوله: (لأطوفن الليلة)** الطواف هنا كناية عن القربان والمراد بالليلة هذه الليلة الآتية بعد التكلم بلا انفصال أي والله لأجامعهن على سبعين امرأة. وفي رواية الإمام الصنعاني عن الشيخين لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله فقال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فأطاف بهن ولم تلد منهم إلا امرأة نصف إنسان لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجة وهذا متحد معنى ما رواه المصنّف رحمه الله. وما رواه المصنّف من غير الشيخين لأن ألفاظهما متخالفة كما عرفته وعدم قوله: إن شاء الله لأجل النسيان فلا محذور فضلًا عن ترك الأولى في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ وضع القابلة أو أمه له عليه ليراه ففي ألقيناه مجاز عقلي.

قوله: (فلم تحمل) بالتاء ورُوِيَ بالياء لتأويل بشخص وشيء ونحوه. **قوله: (جاءت)** وُلدت. **قوله: (بشق رجل)** أي بنصف ابن. **قوله: (والذي...)** الخ هكذا كان النبيّ ﷺ يقسم ومعنى **(بيده)** في تصرّفه إن شاء أحياها وإن شاء أماتها. **قوله: (لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعين)** المراد منه الحثّ على القول إن شاء الله في الأمور الحسنة فلا إشكال بأنه عليه السلام قال: لا تقل لو فإنه يفتح عمل الشيطان.

قوله: (وأما ما يروى من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود) عبارة الكشاف. وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكوا أن

....

سليمان بلغه خبر صَيْدون[١] وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكًا عظيم الشأن لا يُقوى عليه لتحصُّنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب[٢] بنتًا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهًا فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبّها وكانت لا يرقأ[٣] دمعها حزنًا على أبيها فأمر الشياطين فمثّلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها[٤] يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصفُ سليمانَ بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرشَ له الرماد فجلس عليه تائبًا إلى الله متضرّعًا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها. وكان[٥] مُلكه في خاتمه فوضعه عندها يومًا وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دلّ سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان، فقال: يا أمينة خاتمي فتختم وجلس على كرسيّ سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وغُيّر[٦] سليمان عن هيئته فأتى أمينةَ لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفّف[٧] وإذا قال: أنا سليمان حَثوا عليه الترابَ وسبّوه ثم عمد إلى السمّاكين ينقل لهم السمك فيُعْطونه كل يوم سمكتينِ فمكث على ذلك أربعين صباحًا عدد ما عُبد الوثن في بيته فأنكر آصفُ عظماء بني إسرائيل حكم الشيطان. وسأل آصف نساء سليمان فقلن: ما يدَعُ امرأة منا في دمها ولا يغتسل مِن جنابته وقيل: بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار[٨] الشيطان وقذف[٩] الخاتم في البحر وابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد

---

(١) بصاد مهملة ودال مهملة. (٢) قوله: أصاب أي وجدها.

(٣) قوله: يرقأ مهموز بمعنى ينقطع.

(٤) قوله: ولا يئدها جمع وليدة بمعنى مولود والمراد به الجارية.

(٥) يعني كان الله قدر له ملكه ما دام الخاتم معه فإذا فارقه نزع ملكه.

(٦) قوله: غيّر سليمان عن هيئته بقدرته تعالى كما ألقى شبه عيسى عليه السلام على غيره.

(٧) قوله: يتكفف أي يسأل وقيل هذا لمن يسأل لأنه يمد كفه.

(٨) قوله: طار أي ذهب عن كرسيه في الهوى.

(٩) قوله: وقذف أي رمى بالخاتم في البحر لئلا يأخذه غيره.

....

سليمان فبقر[١] بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدًا ورجع إليه ملكه وجابَ صخرة لصخر فجعله فيها وسدّ عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر. وقيل: لما افتُتن كان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف: إنك لمفتون بذنبك فالخاتم لا يقرّ في يدك فتب إلى الله ولقد أبى العلماء المُتقنون قبوله وقالوا: هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكّنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن يختلف فيه الشرائع. ألا ترى إلى قوله: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سَبَأ: الآية ١٣] وأما السجود للصورة فلا يظن بنبيّ الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه انتهت بحروفها. قوله: وسأل آصف نساء سليمان... الخ عبارة البيضاوي ونفّذ حكمه في كل شيء إلّا فيه وفي نسائه. اهـ. وفي حاشيته للعلامة الشهاب والقنوي ولبعد هذه الرواية عن مقام العصمة لم يذكرها المصنّف بل أشار إلى ردّه بقوله: إلّا في نسائه. اهـ. وأيضًا في تفسير البيضاوي والخطيئة تغافله عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل كان جائزًا حينئذٍ وسجود الصورة بغير علمه لا يضر. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة الشهاب قوله: والخطيئة... الخ توجيه لهذه القصة ورد على ما في الكشاف من أنها من افتراء اليهود فإنه لا يليق بمقامه ﷺ ما ذكر فإن ابن حجر قال: إن هذه القصة رواها النسائي وغيره بإسناد قويّ. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة القنوي قوله: والخطيئة... الخ جواب سؤال تقديره ظاهر وقيل: توجيه لهذه القصة وردّ على ما في الكشّاف من أنها من افتراء اليهود فإنها لا تليق بمقامه. قال ابن حجر: قال: إن هذه القصة رواها النسائي وغيره بإسناد قوي. انتهى ولعل صاحب الكشّاف لم يعمل بهذه الرواية لكونه خبر واحد لا يزاحم ما ثبت بالتواتر من عصمة الأنبياء عليهم السلام. قوله: تغافله عن حال أهله بعيد لأن المدة أربعون يومًا كما اعترف به فهذه المدة التغافل عن مثله مع أنه سخّر له الجن والإنس مستبعد جدًا فالأحوط ما اختاره الزمخشري والاكتفاء بالوجهين الأولين. اهـ.

---

(١) قوله: فبقر بمعنى شقّ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريًا على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال ﴿لَّا يَنۢبَغِي﴾ لا يتسهل ولا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ أي دوني. (**وبفتح الياء: مدني وأبو عمرو**)، وإنما سأل بهذه الصفة فيكون معجزة له لا حسدًا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين، فلما دعا بذلك سخرّت له الريح والشياطين ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ (﴿**الرياح**﴾ **أبو جعفر**).

﴿تَجْرِي﴾ حال من ﴿ٱلرِّيحَ﴾ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بأمر سليمان ﴿رُخَآءً﴾ لينة طيبة (**لا تزعزع**) وهو حال من ضمير ﴿تَجْرِي﴾ ﴿حَيْثُ﴾ ظرف ﴿تَجْرِي﴾ (﴿أَصَابَ﴾) قصد وأراد. والعرب تقول: أصاب الصواب فأخطأ الجواب ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ عطف على ﴿ٱلرِّيحَ﴾ أي سخّرنا له الشياطين ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ (**بدل من ﴿الشياطين﴾**) كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ أي ويغوصون له في البحر لإخراج اللؤلؤ، وهو

قوله: (**وبفتح الياء**) أي ياء ﴿بَعْدِي﴾ (**مدني**) أي قرأه نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وأبو عمرو**) البصريّ. **قوله**: (**الرياح**) بالجمع (**أبو جعفر**) المدنيّ وليس من السبعة. وفي التمجيد قراءة الريح هي المشهورة والرياح شاذّة. اهـ. **قوله**: (**لا تزعزع**) الزعزعة تحريك الشيء يقال: زعزعته فتزعزع وريح زعزعان وزعزع أي تزعزع الأشياء ولا ينافيه قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأنبياء: الآية ٨١] لأن المراد أن تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة إلا أنها لما جرت بأمره كانت لينة طيبة. **قوله**: (﴿أَصَابَ﴾) بمعنى أراد لأنه لو كان بمعناه المعروف لا مساغ قوله فأخطأ وكذا في النظم الكريم لا يناسب معناه المعروف وهو وقوع الصواب فلا جرم أنه مجاز عن أراد إذ الإصابة مسببة عن الإرادة والداعي إلى المجاز بيان أنه مصيب في إرادته.

قوله: (**بدل من ﴿الشياطين﴾**) بدل كل من كل إن كان تعريف الشياطين للعهد وهم المسخرون أو أريد من له قوة البناء والغوص والتمكن منهما أو بعض إن لم يقصد ذلك فيقدر ضمير أي منهم.

أول مَن استخرج اللؤلؤ من البحر. والمعنىٰ وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ داخل في حكم البدل ﴿مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكفّ عن الفساد. والصفد: القيد **(وسُمِيَ به)** العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه، ومنه قول علي ﷺ: **(مَن بَرَّك فقد أسرك)** ومَن جفاك فقد أطلقك ﴿هَٰذَا﴾ الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة ﴿عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾ فأعط منه ما شئت من المنّة وهي العطاء ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن العطاء، وكان إذا أعطى أجر وإن منع لم يأثم بخلاف غيره ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ متعلق بـ ﴿عَطَآؤُنَا﴾ وقيل: هو حال أي هذا عطاؤنا **(جمًّا كثيرًا)** لا يكاد يقدر على حصره، أو هذه التسخير عطاؤنا فامنن على مَن شئت من الشياطين بالإطلاق أو أمسك مَن شئت منهم في الوثاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿لَزُلْفَىٰ﴾ اسم «إن» والخبر ﴿لَهُۥ﴾ والعامل في ﴿عند﴾ الخبر.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ هو بدل من ﴿عَبْدَنَآ﴾ أو عطف بيان ﴿إِذْ﴾ بدل اشتمال منه ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ دعاه ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ﴾ بأني مسّني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسّه لأنه غائب ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾ **قراءة العامّة، ﴿بنُصُب﴾ يزيد تثقيل نُصْب ﴿بنَصَب﴾ كرشد ورشد، يعقوب**

قوله: **(وسمي به)** أي بالصفد. **قوله**: **(من برّك فقد أسرك)** أي من أحسن إليك فقد قيّدك. **قوله**: **(جمًا كثيرًا)** في المصباح جمّ الشيء جمًّا من باب ضرب كثر فهو جمّ تسمية بالمصدر ومال جمّ أي كثير. اهـ.

قوله: (﴿بِنُصْبٍ﴾) بضم النون وسكون **(قراءة العامة، ﴿بنُصُب﴾)** بضمتين **(يزيد)** أي أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة **(تثقيل نُصْب)** بالضم والسكون **(بنَصَب)** بفتحتين **(كرشد)** بالضم والسكون **(ورشد)** بفتحتين **(يعقوب)** بن

﴿بنصب﴾ على أصل المصدر هبيرة) ـ والمعنىٰ واحد وهو التعب والمشقّة ﴿وَعَذَابٍ﴾ يريد مرضه وما كان (**يقاسي**) فيه من أنواع (**الوصب**). وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء (**ويغريه**) على الكراهة (**والجزع**)، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه وردّه بالصبر الجميل. ورُوِيَ أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتدّ أحدهم فسأل عنه فقيل: ألقي إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين. وذكر في سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع، أو رأى منكرًا فسكت عنه، أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلّة سبقت منه.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أي أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له: اركض برجلك أي اضرب برجلك الأرض

إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة (﴿بنصب﴾) بالفتح والسكون (**على أصل المصدر هُبَيْرَة**[1]) التمّار في تفسير النيسابوري بنصب وَبضمتين يزيد وقرأ يعقوب بفتحتين وقرأ هبيرة بالفتح والسكون والباقون بالضم والسكون. اهـ. وفي السمين قوله: بنصب قراءة العامة بالضم والسكون وأبو جعفر وشيبة وحفص ونافع في رواية بضمتين وهو تثقيل نصب، وقرأ أبو حيوة ويعقوب وحفص في رواية بفتح وسكون. اهـ باختصار. وفي الإتحاف واختلف في بنصب فأبو جعفر بضم النون والصاذ وقرأ يعقوب بفتحهما وافقه الحسن والباقون بضم النون وإسكان الصاد وكلها بمعنى واحد وهو التعب والمشقة. اهـ فافهم. **قوله**: (**يقاسي**) في لسان العرب المقاساة مكابدة الأمر الشديد وقاساه أي كابده. اهـ وفي المصباح المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله. اهـ.

قوله: (**الوصب**) في المصباح الوصب الوجع وهو مصدر من باب تعب. اهـ. **قوله**: (**ويغريه**) من الإغراء وهو الحثّ. **قوله**: (**والجزع**) الشكوى وعدم الصبر.

---

(١) لحفص أربع روايات رواية هبيرة التمار وأبي شعيب القواش وعبيد بن الصبّاح وعمرو بن الصبّاح.

(وهي أرض الجابية) فضربها فنبعت عين فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك. وقيل: نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالىٰ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قيل: أحياهم الله تعالىٰ بأعيانهم وزاده مثلهم ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مفعول لهما أي الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب، لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء ﴿وَخُذْ﴾ معطوف على ﴿ٱرْكُضْ﴾ ﴿بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ **(حزمة)** صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. وعن ابن عباس ﷺ: **(قبضة)** من الشجر ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ، فحلّل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه، **(وهذه الرخصة باقية)** ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة. والسبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في

قوله: **(وهي أرض الجابية)** الجابية مدينة بالشام كذا في لسان العرب وحاشية الكشّاف للعلّامة التفتازاني رحمه الله.

قوله: (حزمة) في لسان العرب حَزَمَ الشيء يَحزمه حزمًا شَدَّه والحُزْمة ما حُزِم.اهـ. وفي المصباح حزمت الشيء جعلته حزمة والجمع حزم مثل غرفة وغرف.اهـ. **قوله**: (قبضة) في لسان العرب القبضة ما أخذتَ بجمع كفّك كله فإذا كان بأصابعك فهي القُبْصة بالصاد.اهـ. **قوله**: **(وهذه الرخصة باقية)** في الحدود في شريعتنا وفي غيرها أيضًا لكن غير الحدود يعلم منها بالطريق الأولى وكون حكمها باقيًا هو الصحيح حتى استدلوا بهذه الآية على جواز الحيل وجعلوها أصلًا لصحتها، وقيل: حكمها منسوخ وقيل: إنه مخصوص بأيوب والصحيح الأول لكن شرطوا فيه الإيلام أما مع عدمه بالكلية فلا فلو ضرب بسوط واحد له شعبتان خمسين مرة من حلف على ضربة مائة ضربة برّ إذا تألّم فإذا لم يتألّم لا يبرّ ولو ضربه مائة لأن الضرب وضع لفعل مؤلم يتصل بالبدن بآلة التأديب وقيل: يحنث بكل حال كما فصل في شرح الهداية وغيره.اهـ شهاب.

حاجة فخرج صدره. وقيل: باعت (ذؤابتيها برغيفين) وكانتا متعلّق أيوب عليه السلام إذا قام ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ﴾ علمناه ﴿صَابِرًا﴾ على البلاء نعم قد شكا إلى الله ما به واسترحمه لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزعًا فقد قال يعقوب عليه السلام (﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾) [يوسف: الآية ٨٦] على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنه لو كان نبيًّا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ﴾ (﴿عَبْدِنَا﴾ مكي). ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فمن جمع فـ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ومن بعده عطف بيان على ﴿عِبَٰدَنَآ﴾ ومن وحد فـ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وحده عطف بيان له، ثم عطف ذريته على ﴿عَبْدَنَا﴾ ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملًا لا تتأتى فيه المباشرة بالأيدي، أو كان العمال (جذمًا) لا أيدي لهم وعلى هذا ورد قوله: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي أولي الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا

قوله: (ذؤابتيها) في المصباح الذؤابة بالضم مهموز الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة فإن كانت ملوية فهي عقيصَة. اهـ. **قوله**: (برغيفين) في الصحاح الرغيف من الخُبْز والجمع أرْغِفَة ورُغُفٌ ورُغْفَانٌ. اهـ. وفي المصباح الرغيف جمعه رغف مثل بريد وبرد وأرغفة ورغفان بالضم ورغفت العجين رغفًا من باب نفع جمعته بيدك مستديرًا فالرغيف فعيل بمعنى مفعول. اهـ. **قوله**: (﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾...) الخ في تفسير الجلالين (﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾) هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبثّ إلى الناس (﴿وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾) لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه. اهـ.

قوله: (﴿عَبْدِنَا﴾ مكيّ) أي قرأ ابن كثير المكيّ بفتح العين وسكون الباء الموحدة ولا ألف بعدها على التوحيد على أنه إبراهيم وحده المزيد شرفه وإبراهيم عطف بيان وإسحٰق ويعقوب عطف على عبدنا والباقون بكسر العين وفتح الموحدة وألف بعدها على الجمع. **قوله**: (جُذمًا) جمع أَجْذم وهو المقطوع اليد. **قوله**:

يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوي الديانات **(في حكم الزمنى)** الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم **(والمسلوبي العقول)** الذين لا استبصار لهم، **(وفيه تعريض)** بكل مَن لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ جعلناهم لنا خالصين ﴿بِخَالِصَةٖ﴾ بخصلة خالصة لا شوب فيها. ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ ﴿ذِكۡرَى﴾ في محل النصب أو الرفع بإضمار «أعني»، أو «هي»، أو الجر على البدل من ﴿خالصة﴾ والمعنىٰ إنا أخلصناهم بذكرى الدار، والدار هنا: الدار الآخرة يعني جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم في الدنيا كما هو **(ديدن)** الأنبياء عليهم السلام، أو معناه أنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكر الدنيا **(﴿بِخَالِصَةِ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ على الإضافة مدني ونافع)** وهي من إضافة الشيء إلى ما يبينه، لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى. و﴿ذِكۡرَى﴾ مصدر مُضاف إلى المفعول أي بإخلاصهم ذكرى الدار. وقيل: خالصة بمعنىٰ خلوص فهي مضافة إلى الفاعل أي بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر، إنما همهم ذكرى الدار لا غير. وقيل: ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا، وهذا شيء قد أخلصهم به فليس

(في حكم الزمنى) خبر كان الذين. **وقوله: (الزمنى)** جمع زمين كمريض ومرضى في المصباح زمن الشخص زمنًا وزمانة فهو زمن من باب تعب وهو مرض يدوم زمانًا طويلًا والقوم زمنى مثل مرضى. اهـ. **قوله: (والمسلوبي العقول)** عطف على الزمنى. **قوله: (وفيه تعريض)** يعني أن وصف هذا الجمع خصوصًا بكونهم أولى الأعمال والأفكار تعريض بأن مَن ليسوا على صفتهم من العمل الصالح والفكر الصائب في حكم مَن لا قدرة لهم على الأعمال ولا فكر لهم في الأحوال.

قوله: (ديدن) في الأختري الديدن بالفتح والكسر والديدان بالفتح دأب وعادات. اهـ. **قوله: (﴿بِخَالِصَةِ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ على الإضافة مدنيّ ونافع)** في الإتحاف واختلف في ﴿بِخَالِصَةِ ذِكۡرَى﴾ فنافع والحلواني عن هشام وأبو جعفر بغير تنوين مضافًا للبيان والباقون بالتنوين وعدم الإضافة. اهـ باختصار.

يذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقوّيه قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: الآية ٥٠].

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارين من بين أبناء جنسهم ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خير أو خير على التخفيف كأموات في جمع ميت أو ميت. ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ كأن حرف التعريف دخل على «يسع» ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ﴾ التنوين عوض عن المُضاف إليه أي وكلهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾ أي هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدًا، وإن لهم مع ذلك لحسن مرجع يعني يذكرون في الدنيا بالجميل ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة ربٌ جليل.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾

ثم بيّن كيفية حسن ذلك المرجع فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿حسن مآب﴾ ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال من ﴿جَنَّٰتِ﴾ لأنها معرفة لإضافتها إلى ﴿عَدْنٍ﴾ **(وهو علم، والعامل فيها)** ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ **(من معنىٰ الفعل)** ﴿لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ ارتفاع الأبواب بأنها فاعل ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ والعائد محذوف أي مفتحة لهم الأبواب منها فحذف كما حذف في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: الآية ٣٩] أي لهم **(أو أبوابها)** إلا أن الأول أجود، أو هي بدل من الضمير في ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هي الأبواب وهو من بدل الاشتمال ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال من المجرور في

قوله: **(وهو)** أي عدن **(علم)** اشتقّ من عدن إذا أقام. **قوله**: **(والعامل فيها)** أي في الحال ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ **(من معنى الفعل**[١]**)** وهو ﴿وإنَّ﴾ حاصل ﴿لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ وذوا الحال هو الضمير المستتر في حاصل خبر إن. **قوله**: **(أو أبوابها)** على تعويض اللام من الإضافة.

---

(١) أي استقرّ وحصل لأنه ظرف مستقر وقع خبر إنَّ فذو الحال ما فيه من الضمير ومبناه على أنه لا حال من اسم أن أو ما هو تابع له.

﴿لَهُم﴾ والعامل ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ﴿فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ أي وشراب كثير فحذف اكتفاء بالأول.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي **(قصرن طرفهن)** على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ **(لدات)** أسنانهن كأسنانهن لأن التحاب بين الأقران أثبت **(كأن اللدات)** سمين أترابًا لأن التراب مسّهن في وقت واحد ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ **(وبالياء: مكي وأبو عمر)** ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي ليوم تجزى كل نفس بما عملت ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الإشارة.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ خبر والمبتدأ محذوف أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ مرجع ﴿جَهَنَّمَ﴾ بدل منه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، فـ ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿حَمِيمٌ﴾ خبر ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ **(بالتشديد: حمزة وعليّ وحفص)**. والغساق بالتشديد والتخفيف **(ما يغسق)** من

قوله: **(قصرن طرفهن)** المراد بالطرف البصر وأصله تحريك الأجفان للنظر فوضع موضع البصر والمعنى قصرن أبصارهن. **قوله**: **(لدات)** جمع لدة بوزن عدة أي مماثلة لهم في السن فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن صرّح به في سورة الواقعة. **قوله**: **(كأن اللدات)**... الخ أي لأنهم لما وُلدوا معهن في وقت واحد كأنهما وقعا في التراب في وقت واحد. **قوله**: **(بالياء)** التحتية على الغيبة **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(وأبو عمرو)** البصري والباقون بالفوقية على الخطاب وجه الغيبة. تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات إليهم والإقبال عليهم.

قوله: **(بالتشديد)** أي بتشديد السين **(حمزة وعليّ)** الكسائي **(وحفص)** والباقون بالتخفيف. **قوله**: **(ما يغسق)** أي يسيل وبابه جلس.

صديد أهل النار، يقال: غسقت العين إذا سال دمعها. وقيل: الحميم يحرق بحرّه والغساق يحرق ببرده.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَءَاخَرُ﴾ أي وعذاب آخر أو مذوق آخر ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ من مثل العذاب المذكور. و﴿أخر﴾ (بصري) أي ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق في الشدة (والفظاعة) ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ صفة لـ ﴿آخر﴾ لأنه يجوز أن يكون ضروبًا ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم. والاقتحام: الدخول في الشيء بشدة، و(القحمة): الشدة، وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبًا أي أتيت رحبًا من البلاد لا ضيقًا أو رحبت بلادك رحبًا ثم تدخل عليه «لا» في دعاء السوء، وبهم بيان للمدعو عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ أي داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم. وقيل: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ﴾ كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم، و﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ كلام الرؤساء. وقيل: هذا كله كلام الخزنة.

﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿قَالُوا۟﴾ أي الأتباع ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ أي الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به، وعلّلوا ذلك بقوله: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ والضمير للعذاب أو لصليهم

قوله: وآخر (بصريّ) أي اختلف في وآخر فأبو عمرو البصري ويعقوب بن إسحٰق البصري وليس من السبعة بضم الهمزة مقصورة جمع أخرى كالكبرى والكبر لا ينصرف للعدل عن قياسه والوصف والباقون بفتح الهمزة ممدودة على الإفراد لا ينصرف أيضًا للوزن الغالب والصفة. **قوله**: (والفظاعة) في المصباح فظع الأمر فظاعة جاوز الحد في القبح فهو فظيع. **قوله**: (القحمة) الشدة في المصباح القحمة بالضم الأمر الشاقّ لا يكاد يركبه أحد. اهـ.

أي أنكم دعوتمونا إليه فكفرنا بأتباعكم ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ أي النار ﴿قَالُواْ﴾ أي الأتباع ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا﴾ أي مضاعفًا ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ و(**معناه ذا ضعف**). ونحوه قوله: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابًا ضِعۡفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] وهو أن يزيد على عذابه مثله ﴿وَقَالُواْ﴾ الضمير لرؤساء الكفرة ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا﴾ (**يعنون فقراء المسلمين**) ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ من الأرذال الذين لا خير فيهم (**ولا جدوىٰ**).

﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ (**بلفظ الإخبار: عراقي غير عاصم**) على أنه صفة لـ ﴿رِجَالٗا﴾ مثل ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ وبهمزة الاستفهام: غيرهم على أنه إنكار على أنفسهم في الاستسخار منهم، (﴿سُخۡرِيًّا﴾ **مدني وحمزة وعلي وخلف والمفضل**) ﴿أَمۡ زَاغَتۡ﴾ مالت ﴿عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ هو متصل بقوله: ﴿مَا لَنَا﴾ أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها، قسموا أمرهم بين

قوله: (**معناه ذا ضعف**) يعني أن مضاعفًا من صيغ النسب. **قوله**: (**يعنون فقراء المسلمين**) كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان. **قوله**: (**ولا جدوى**) في لسان العرب الجَدوى العَطِيّة. اهـ.

قوله: (**بلفظ الإخبار عراقي غير عاصم...**) الخ إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل عراقي. وعبارة الإتحاف واختلف في ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾ فأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بوصل الهمزة بما قبلها ويبتدأ لهم بكسر همزة على الخبر وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالًا و﴿أَمۡ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦] منقطعة أي بل أزاغت كقولك إنها لإبل أم شاة أي بل شاة وافقهم الأعمش واليزيدي والباقون بقطع الهمزة مفتوحة وصلًا وابتداء على الاستفهام وأم متصلة لتقدم الهمزة. اهـ. **قوله**: (﴿سُخۡرِيًّا﴾ **مدنيّ وحمزة وعليّ وخلف والمفضل**) أي قرأ ﴿سِخۡرِيًّا﴾ [المؤمنون: الآية ١١٠] بضم السين مدني أي نافع وأبو جعفر وحمزة وعليّ والكسائي وخلف بن هشام البزار والمفضل[١] بن محمد والباقون بكسرها.

---

(١) من رواة عاصم.

أن يكونوا من أهل الجنّة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي حكينا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ لصدق كائن لا محالة لا بد أن يتكلموا به. ثم بيّن ما هو فقال: هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ ولما شبّه تقاولهم وما جرى بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين سمّاه تخاصمًا، ولأن قول الرؤساء ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ وقول أتباعهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصمًا لاشتماله على ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إلـه إلا الله ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ **(بلا ند)** ولا شريك ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكل شيء ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ له الملك والربوبية في العالم كله ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب إذا عاقب ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لذنوب مَن التجأ إليه.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ﴾ أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولًا منذرًا وأن الله واحد لا شريك له ﴿نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة. ثم ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ غافلون ﴿مَا كَانَ لِىَ﴾ **حفص)** ﴿مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ احتجّ لصحة نبوّته بأن ما ينبىء به عن الملإ الأعلى واختصامهم أمر ما كان به بد من علم قط، ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب، فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله تعالى. ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ **(أي لأنما)** أنا نذير مبين ومعناه ما

قوله: (بلا ند) في المصباح الند بالكسر المثل. اهـ.

قوله: (﴿لِىَ﴾) بفتح الياء **(حفص)**. **قوله: (أي لأنما)** إشارة إلى أن محل ﴿أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ النصب بنزع الخافض.

يوحىٰ إليّ إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه، ويجوز أن يرتفع على معنىٰ ما يوحى إلي إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس لي غير ذلك. **(وبكسر** ﴿إِنَّمَآ﴾ **يزيد)** على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئًا آخر. وقيل: النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد. وعن ابن عباس ﵄: القرآن. وعن الحسن: يوم القيامة. والمراد بالملإ الأعلى أصحاب القصة: الملائكة وآدم وإبليس، لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم و﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ متعلّق بمحذوف إذ المعنىٰ ما كان لي من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي في شأن آدم حين قال تعالىٰ على لسان ملك ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: الآية ٣٠] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ فإذا أتممت خلقته وعدلته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ الذي خلقته، وأضافه إليه تخصيصًا كبيت الله وناقة الله، والمعنىٰ أحييته وجعلته حساسًا متنفسًا ﴿فَقَعُواْ﴾ أمر من وقع يقع أي اسقطوا على الأرض والمعنىٰ اسجدوا ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ قيل: كان انحناء يدلّ على التواضع. وقيل: كان سجدة لله أو كان **(سجدة التحية)** ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ «كل» للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم في وقت واحد غير متفرقين في أوقات. ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾ تعظم عن السجود ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **(وصار)** من الكافرين بإباء الأمر.

قوله: (وبكسر ﴿إِنَّمَآ﴾ يزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة والباقون بفتحها.

قوله: (سجدة التحية) والإكرام. **قوله:** (وصار) فسر كان بصار إشارة إلى أن وجود كفره إنما كان وقت إبائه واستكباره من الأزمنة الماضية لا في جميع

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ ما منعك عن السجود ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ أي بلا واسطة امتثالًا لأمري وإعظامًا لخطابي، وقد مرّ أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب: هو ما عملت يداك، حتى قيل لمن لا يدين له: **(يداك أوكتا وفوك)** نفخ. وحتى لم يبق فرق بين قولك: «هذا مما عملته» و«هذا مما عملته يداك»، ومنه قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: الآية ٧١] و﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ استفهام إنكار ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ **(ممن علوت)** وفقت.

الأزمنة الماضية فإن كان ليس بموضوع لاستمرار خبره لاسمه في جميع الأزمنة الماضية بل مطلقًا في جنس الأوقات الماضية فصحّ إرادة أيّ وقت منها وصح إرادة وقت إبائه واستكباره عنه وصح أيضًا إرادة جميع الأزمنة الماضية وذلك إذا حمل على وجود كفره في علم الله تعالى.

قوله: **(يَدَاكَ أوكَتَا وفُوك)** نفخ قال المفضل: أصله أن رجلًا كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر على زق قد نفخ فيه فلم يحسن إحكامه حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق فلما غشيه الموت استغاث برجل فقال له: يداك أوكتا وفوك نفخ يضرب لمن يجني على نفسه الجبن. اهـ. مجمع الأمثال للعلّامة أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري رحمه الله. وقال العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشّاف ولا يخفى أن تفريع هذا التغليب ليس بالوجه لأنه مثل ورد فيمن له يدان وفم ونفخ وإيكاء أي شد لوكاء الزق ونفخ فيه فيضرب لمن جنى على نفسه تشبّهًا له بحالة ذلك الرجل في الجناية على نفسه على ما هو طريقة الاستعارة وفي مثله لا عبرة بمفردات المشبّه به في جانب الشبه لا حقيقة ولا مجازًا ولا تغليبًا. اهـ. **قوله**: **(ممن علوت)** بالخطاب كذا في الكشاف مع أن الظاهر ممن علا لأن اسم الموصول غائب فاللائق كون صلته غائبًا واعتذر بأنه ميل إلى المعنى كقوله: أنا الذي سمّتني أمي حيدره، وحلّ الكلام نظرًا إلى المعنى شائع في كلامهم وأن الزمخشري إمام في هذا الباب واستفيد من كلامه أن صلة من يصح أن يكون مخاطبًا إذا كان الموصول عبارة عن المخاطب ومتكلّمًا

(وقيل: **أستكبرت الآن**) أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين؟

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧﴾

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝٧٦﴾ يعني لو كان مخلوقًا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله؟ وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾ مجرى المعطوف عطف البيان والإيضاح.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ من الجنّة أو من السمٰوات أو من الخلقة التي أنت فيها، لأنه كان يفتخر بخلقته فغيّر الله خلقته واسودّ بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنًا وأظلم بعدما كان نورانيًا ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ مرجوم أي مطرود. تكبّر إبليس أن يسجد لمن خلق من طين وزلّ عنه أن الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره إجلالًا لخطابه وتعظيمًا لأمره فصار مرجومًا ملعونًا بترك أمره.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٨١﴾

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ (**بفتح الياء: مدني**) أي إبعادي من كل الخير ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي يوم الجزاء ولا يظن أن لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع، لأن معناه أن عليه اللعنة في الدنيا وحدها فإذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد، أو لما كان عليه اللعنة في أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه في غير أوانها، وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية

إذا كان عبارة عن المتكلم كما صح أن يكون غائبًا، نظرًا إلى لفظ الموصول نظيره كون صلة من مفردًا بالنظر إلى لفظه وجمعًا نظر إلى معناه وإلّا فالفرق تحكم. اهـ قنوي. **قوله**: (**وقيل: أستكبرت الآن**. . .) الخ والمعنى على الأول ألاستكبارك تركت السجود أم لعلوّك، وعلى الثاني لاستكبارك الحادث تركت السجود أم لآستكبارك القديم المستمرّ.

قوله: (**بفتح الياء: مدنيّ**) أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ ومن السبعة. **قوله**: (﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾) نادى منادٍ (﴿بَيۡنَهُمۡ﴾) من الفريقين أسمعهم. اهـ جلالين.

٤٤]؟ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ فأمهلني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ الوقت المعلوم الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى، ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه، ومعنىٰ المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي أقسم بعزّة الله وهي سلطانه وقهره ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ (ٱلْمُخْلَصِينَ) ﴿٨٣﴾﴾ وبكسر اللام: مكي وبصري وشامي.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ﴾ (**بالرفع: كوفي غير عليّ**) على الابتداء أي الحق قسمي، أو على الخبر أي أنا الحق. وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقولك الله لأفعلن كذا يعني حذف عنه الباء فانتصب وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ اعتراض بين المقسم والمقسم عليه وهو منصوب بـ ﴿أَقُولُ﴾ ومعناه ولا أقول إلا الحق، والمراد بالحق إما اسمه عزّ وجلّ الذي في قوله ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: الآية ٦] أو الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ من جنسك وهم الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ أي لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدًا ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ الضمير للقرآن أو الوحي ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من الذين يتصنعون (**وينتحلون**) بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعًا ولا مدعيًا

قوله: (﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾) بفتح اللام نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف. **قوله**: (**بالرفع: كوفيّ غير عليّ**) أي قرأه عاصم وحمزة وخلف.اهـ إتحاف. وفي تفسير النيسابوري ﴿فَٱلْحَقُّ﴾ بالرفع حمزة وخلف وعاصم غير المفضل وهبيرة ويعقوب عن رويس.اهـ.

قوله: (**وينتحلون**) الانتحال ادعاء ما لا أصل له بوقوعه.

بما ليس عندي حتى **(انتحل النبوّة)** وأتقول القرآن ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ من الله ﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ **(للثقلين)** أُوحي إليّ فأنا أبلغه. وعن رسول الله ﷺ: «للمتكلّف ثلاث علامات: ينازع من فوقه **(ويتعاطى)** ما لا ينال ويقول ما لا يعلم» ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة، ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفّق.

قوله: **(انتحل النبوّة)** أي ادّعاها لنفسه كاذبًا يقال: انتحل شعر غيره إذا ادّعاه لنفسه. **قوله**: **(للثقلين)** أي الإنس والجن لأنهما مكلّفان بالأوامر والنواهي خصهما بالذكر لأن الملائكة ليسوا مأمورين بالعمل بالقرآن وما عداهم ليسوا بمكلفين. اهـ قنوي. **قوله**: **(يتعاطى)** أي يتناول والله سبحانه وتعالى أعلم.

هذا آخر ما أمليته في سورة صۤ.
الحمد لله على حُسْن توفيقه للإتمام،
وعلى سيدنا محمد وعلى آله أفضل الصلاة والسلام،
فالآن أشرع مستعينًا بالله في شرح ما في سورة الزّمر
اللّهمّ لا حول إلا بك، فاعتصمت بحبلك المتين وبتأييدك أقول: